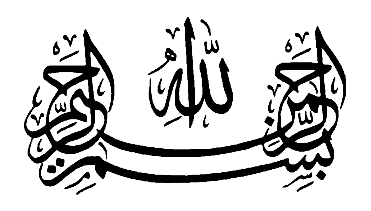


الوهابية المتطرفة

موسوعة نقدية


بسم الله الرحمن الرحيم





المجلد
الثاني

سرشناسه: فرمانیان، مهدی، ۱۳۵۲ـ، گردآورنده
عنوان و پدیدآور: الوهابیة المتطرفة: موسوعة نقدیة/ تالیف جمعٌ من المولفین؛ باهتمام مهدی فرمانیان: بطلب من المؤتمر العالمي «آراء علماء الإسلام في التیارات المتطرفة والتکفیریة»
مشخصات نشر: قم: دارالإعلام لمدرسة اهل البیت (ع)، ۱۳۹۳-
مشخصات ظاهری: ج.
شابک (ج.۲): 978-600-94845-9-1 (V.2)
شابک (دوره): 978-600-94845-8-4 (V.SET)
وضعیت فهرستنویسی: فیپا
یادداشت: عربی
یادداشت: فهرستنویسی بر اساس جلد دوم: ۱۳۹۳
یادداشت: این مجموعه ۵ جلدی است و شامل چندین کتاب در نقد وهابیت افراطی است که توسط علمای اهل سنت تألیف شده است.
یادداشت: کتابنامه
موضوع: وهابیه - عقاید - نقد و تفسیر
موضوع: سلفیه - عقاید - نقد و تفسیر
موضوع: تکفیر - نقد و تفسیر
موضوع: وهابیه - عقاید - نظر اهل سنت
موضوع: سلفیه - عقاید - نظر اهل سنت
شناسه افزوده: کنگره جهانی جریان های افراطی و تکفیری از دیدگاه علمای اسلام (نخستین: ۱۳۹۳: قم)
رده بندی کنگره: ۱۳۹۳ ۹و۴ف/ BP۲۳۸/۵
رده بندی دیویی: ۲۹۷/۴۱۶۴
شماره کتابشناسی: ۹۳۲۹۷۴۱۶

المؤتمر العالمي «آراء علماء الإسلام في التیارات المتطرفة والتکفیریة»
قم، شارع الشهداء، ناصیة زقاق ۲۲، رقم البنایة ۶۱۸
هاتف: ۰۲۵-۳۷۸٤۲۱٤۱
البرید الالکتروني: info@makhateraltakfir.com
الموقع الالکتروني: www.makhateraltakfir.com

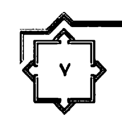
الوهابية المتطرفة: موسوعة نقدية - المجلد الثاني

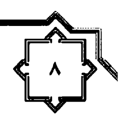
بطلب من: المؤتمر العالمي "آراء علماء الإسلام في التيارات المتطرّفة والتكفيرية"
باهتمام: الدكتور مهدي فرمانيان
الناشر: دارالإعلام لمدرسة اهل البيت عليهم السلام
الإخراج الفني: سالم فيض الله
تصميع الغلاف: محمد مهدى اسعدى
المشرف على الطباعة: سيد محمد موسوى
الطبعة: الأولى، ۱۴۳۵هـ
الكمية: ۵۰۰ نسخة
طبع و تجليد: سليمان‌زاده
سعر الدورة: ۱۵۰/۰۰۰ تومان
ردمك الدورة: ۹۷۸-۶۰۰-۹۴۸۴۵-۸-۴

قم، شارع الشهيد فاطمي، زقاق۲، الفرع الأول، رقم البناية ۳۱
هاتف: ۰۲۵ _ ۳۷۷۴۰۷۲۹
البريد الألكتروني: info@darolelam.ir
عنوان الموقع: darolelam.ir

الفهرس

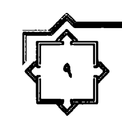
السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل


٧



مصباح الأنام وجلاء الظلام في ردّ شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام

الزيارة النبوية بين البدعية و الشرعية


٩



تلاقيق الآمال فيما ينفع الميت من الأعمال



الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق

السيف الصقيل

في الرد على ابن زفيل

للإمام الحجة

أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الكبير

يرد به على نونية ابن القيم

ومعه تكملة الرد على نونية ابن القيم

بقلم: محمد زاهد بن الحسن الكوثري عفي عنهما



بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة السبكي

هو: علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي أبو الحسن تقي الدين شيخ الإسلام في عصره، و أحد الحفاظ المفسرين المناظرين، و هو والد التاج السبكي صاحب الطبقات.

مولده ورحلاته العلمية: ولد في (سبك من أعمال المنوفية) سنة ٦٨٣هـ = ١٢٨٤م.

انتقل من سبك إلى القاهرة، ثم إلى الشام و ولي قضاء الشام سنة ٧٣٩هـ و اعتل فعاد إلى القاهرة فتوفي فيها... .

من تصانيفه:

«الدر النظيم في التفسير ـ لم يكمله»، «مختصر طبقات الفقهاء»، «احياء النفوس في صنعة إلقاء الدروس»، «الاغريض في الحقيقة و المجاز و الكنية و التعريض»، «التمهيد فيما يجب فيه التحديد ـ ط. في المبايعات و المقاسمات و التمليكات و غيرها»، السيف الصقيل ـ ط، رأيته بخطه في ٢٥ ورقة في المكتبة الخالدية بالقدس في الرد على قصيدة نونية تسمى الكافية في الاعتقاد منسوبة



إلى بن القيم»، «المسائل الحلبية و أجوبتها ـ خ. فى فقه الشافعية»، «السيف المسلول على من سب الرسول ـ خ»، «مجموعة فتاوى ـ ط»، «شفاء السقام فى زيارة خير الأنام ـ ط»، و «الابتهاج فى شرح المنهاج ـ فقه». و رأيت مجموعة ـ خ ـ بخطه فى مجلد ضخم تشتمل على رسائل كثيرة له، منها: الأدلة فى إثبات الأهلة. و الاعتبار ببقاء الجنة و النار. و فتاوى و غير ذالك. و رأيت مجموعة أخرى كلها بخطه «فى الرباط ٦ ٣أ أوقاف» تشتمل على تسع رسائل منها: المجاورة و النشاط فى المجاورة و الرباط... إلخ و قد استوفى ابنه تاج الدين أسماء كتبه، و أورد ما قاله العلماء فى وصف أخلاقه، وسعة علمه.

وفاته:

توفى بالقاهرة سنة ٧٥٦هـ = ١٣٥٥م[١].

ترجمة محمد زاهد الكوثرى

محمد زاهد بن الحسن بن على الكوثرى.

فقيه حنفى جركسى الأصل. له اشتغال بالأدب و السير.

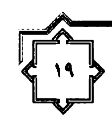
مولده: ولد سنة ١٢٩٦هـ.

نشأته و تفقهه و جهاده

تفقه فى جامع الفاتح بالآستانة، و درس فيه، و تولى رياسة مجلس

---

١. انظر: الأعلام للزركلى ٤/ ٢ ٣٠ طبعة: دار العلم للملايين ـ بيروت، الخطط التوفيقية على مبارك ١٢/ ٧ طبعة: الأميرية ببولاق سنة ١٣٠٥هـ غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٥٥١ طبعة السعادة بمصر سنة ١٩٣٣، الدرر الكامنة ٣/ ٤٠٦٣ الطبعة الأولى ـ الهند سنة ١٣٤٩هـ طبقات شافعية الكبرى للسبكى ٦/ ٤٢ ـ ٤٤ طبعة عيسى الحلبى الأولى سنة ١٣٨٦هـ = سنة ١٩٦٧م، ٥ / ٣٦٦ـ٣٦٨ نفس الطبعة.



التدريس و اضطهده الاتحاديون فى خلال الحرب العالمية الأولى لمعارضته خطتهم فى إحلال العلوم الحديثة محل العلوم الدينية فى أكثر حصص الدراسة. و لما تولى الكماليون و جاهروا بالإلحاد أريد اعتقاله فركب إحدى البواخر إلى الإسكندرية سنة ١٣٤١هـ = ١٩٢٢م، وتنقل زمناً بين مصر و الشام، ثم استقر فى القاهرة موظفاً فى دار المحفوظات ـ لترجمة ما فيها من الوثائق التركية إلى العربية. و كان يجيد العربية و التركية و الفارسية و الجركسية، و فى نطقه بالعربية لكنة. و توفى بالقاهرة.

من مؤلفاته

له تعليقات كثيرة على بعض المطبوعات فى أيامه، فى الفقه و الحديث و الرجال، و له تآليف منها: «تأنيب الخطيب على ما ساقه فى ترجمة أبى حنيفة من الأكاذيب ـ ط» و يعنى بالخطيب، صاحب تاريخ بغداد. «والنكت الطريفة فى التحدث عن ردود ابن أبى شيبة على أبى حنيفة»، و «الاستبصار فى التحدث عن الجبر و الاختيار»، و رسائل فى تراجم الإمام زفر و أبى يوسف القاضى، و محمد بن الحسن الشيبانى، و البدر العينى، و الإمامين الحسن بن زياد، و محمد بن الشجاع.

و الطحاوى و كلها مطبوعة. و له نحو مائة مقال جمعها السيد أحمد خيرى فى كتاب: مقالات الكوثرى[١].

---

١ . الأعلام للزركلى ٦ / ٣٦٣ ـ ٣٦٤، مقالات الكوثرى، تحفة الأخوان ص١١٧، والصحف المصرية ٢٠ / ١١ / ١٣٧١هـ.

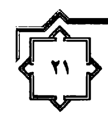


التعريف بكتاب «السيف الصقيل»

في أثناء القرن السابع الهجرى رحل من حران إلى الشام بيتُ علم و فضل، خوفاً على أنفسهم من التتر و استوطنوا دمشق. و كان منهم طفل صغير من مواليد حران حمله أبوه معه فيما حمل من أهله، فألحقه بمدرسة من مدارس دمشق. ذالك الصغير، هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام المعروف بابن تيمية. و عبد السلام كان من خيرة العلماء، له في مذهب أحمد تصانيف، و له منتقى الأخبار الذي شرحه الشوكاني وأسماه: نيل الأوطار. فأقبل ذالك الصغير على العلم و ظهرت عليه مخايل الذكاء، و تفقه في مذهب أحمد كأسرته الحنابلة و قرأ في كثير من الفنون و العلوم، و اشتهر بجودة الحفظ و قوة الذاكرة، و تصدر للفتيا و إلقاء الدورس في سن مبكرة، و ظهرت عليه آثار النسك و العبادة، فأحبته العامة و أثنت عليه الخاصة، و بالغ في الدعاء إلى السنة و مجانبة البدعة. و قد أنس من نفسه قوة ذهن و شدة عارضة فلم يحفل بالرجوع إلى شيوخ الوقت و أكابره، و رفعت إليه الأسئلة و الاستفتاءات، فأجاب و أفتى، وهو مرموق في كل ذالك بعين التجلة من الجميع... حتى إذا قارب سن الأربعين سن الكمال عادة، بدأ النقص يظهر فيه، فبدا يسير على طريق الكرامية و الحشوية[1] و «يحيى بدعة القول بالجهة و المكان و الأجزاء لله.»

١ . و هاك صورة مجملة عن الكرامية و الحشوية، حتى تستيقن حقيقتهما، و تختبر عودهما، و تنظر في أصلهما فيحكي لنا الإيجي أنهما فرعان لشجرة حنظل واحدة، هي شجرة التشبيه، تشبيه الخالق بالمخلوق، و إن اختلفوا في طريقته فمنهم مشبهة غلاة الشيعة. و منهم مشبهة الحشوية كمضر و كهمس و الهجيمي و منهم مشبهة الكرامية أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام. و يؤكد الرازي على أن اليهود أكثرهم مشبهة و أن ظهور التشبيه في الإسلام قد بدأ من الروافض مثل بيان بن سمعان الذي كان يثبت لله تعالى الأعضاء و الجوارح، و هشام بن الحكم و هشام بن سالم الجواليقي، و يونس بن عبد الرحمن القمي، و أبو جعفر الأحوال الذي كان يُدعى شيطان

←



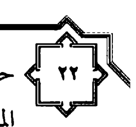
و قيام الحوادث من الصوت و غيره بذاته تعالى و أخذ يشيع أن القول بذالك هو الأسلام و الإيمان و الدين و التوحيد، و أن ذالك هو مذهب أحمد بن

الطاق. و هؤلاء رؤساء علماء الروافض، ثم تهافت في ذالك المحدثون و ممن لم يكن لهم نصيب من علم المعقولات.

ويصور لنا الشهرستاني بعض معتقداتهم، و بعد أن يورد أصولهم فيقول: إن جماعة من الشيعة الغالية، و جماعة من أصحاب الحديث الحشوية صرحوا بالتشبيه مثل: الهشاميين من الشيعة. و مثل مضر، و كهمس، و أحمد الهجيمي و غيرهم من الحشوية. قالوا: معبودهم على صورة ذات أعضاء و أبعاض و يجوز عليه الانتقال و النزول و الصعود و الاستقرار و التمكن. و أما مشبهة الحشوية، فحكى الأشعري عن محمد بن عيسى أنه حكى عن مضر، و كهمس، و أحمد الهجيمي: أنهم أجازوا على ربهم الملامسة و المصافحة، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا و الأخرة. و حكى عن داود الجواربي أنه قال: اعفوني عن الفرج و اللحية و اسألوني عما وراء ذالك. و قد أورد كثيراً من هذه المعتقدات الفاسدة الأشعري في مقالاته، و كذا البغدادي في فرقه...

ثم إن الإمام الرازي رتب فرقهم الخمسة هكذا: ١ـ الحكمية: و هم أصحاب هشام بن الحكم. ٢ـ الجواليقية: أتباع هشام بن سالم الجواليقي الرافضي ٣ـ اليونسية: أتباع يونس بن عبدالرحمن القمي. ٤ـ الشيطانية: أتباع شيطان الطاق. ٥ـ الحوارية أصحاب داودالحواري. وكذا أورد طوائف الكرامية و قال: و أقربهم الهيصمية، و في الجملة، فهم كلهم يعتقدون أن الله تعالى جسم و جوهر و محل للحوادث، و يثبتون له جهة و مكانا. ونقول: و الحشوية ـ كما سبق ـ من أهل الحديث الذين تمسكوا بظواهر الأحاديث التي تشعر بالتشبيه، و سبب تسميتهم بهذا الاسم كما يقول الكوثري ـ في مقدمته على تبيين كذب المفتري ـ : أن الحسن البصري كان يلازم مجلسه نبلاء أهل العلم، و قد حضر مجلسه يوماً أناس من رعاع الرواة. و لما تكلموا بالقسط عنده قال: ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة أي جانبها، فسموا الحشوية. و منهم أصناف المجسمة و المشبهة. و الحشوية بفتح الشين و يصح إسكانها، لقولهم بالتجسيم، لأن الجسم محشو.

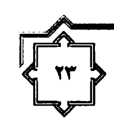
انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، الملل و النحل للشهرستاني، ج ١ / ١٠٥، الفرق بين الفرق للبغدادي ص٦٥، و المواقف للإيجي ص٤٢٩، اعتقاد فرق المسلمين و المشركين للفخر الرازي ص٩٧ ـ ١٠١، تبيين كذب المفتري لابن عساكر الدمشقي ص١١.



حنبل[١] و أن من خالف ذالك هو معطل ملحد عدو للدين منابذ للإسلام و المسلمين، فأحيا بذالك بدعة الحشو بعد ما ماتت أو كادت، حتى لقد رآه ابن بطوطة ـ في بعض رحلاته ـ يخطب على المنبر، و تلا حديث النزول ثم قال: ينزل كنزولي هذه و نزل درجة، فانكر عليه بعض الحاضرين، فهاج العامة على المنكر و ضربوه ضرباً شديداً. بل لقد تعصب له بعض الحنابلة أولا، حتى إذا استطار في الناس ضرره جعلوا يوجهون إليه النصائح بالمشافهة و المكاتبة. و حسبك نصيحة الحافظ الذهبي له ـ و هي مثبتة في ذيل تكملة السيف الصقيل الذي بين يديك ـ و هو شيخ الحنابلة و الحديث ـ و كان قبل ذالك يكثر الثناء عليه بل يطريه ـ فيقول: «كان سيف الحجاج و لسان ابن حزم شقيقين فواخيتهما» ثم قال: إن سلم لك إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد... إلخ و سنأتيك بتمامها». ونقول: لقد برع في الاحتيال لنشر آرائه المخالفة للمعقول و المنقول و برز في نصر بدع الكرامية، و إحياء ما اندرس من شبههم و شبه غيرهم، و ترى ذالك في منهاجه الذي يرد به على الروافض و في الحقيقة لقد

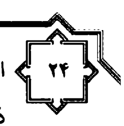
---

١ . يقول الرازي: اعلم أن جماعة من المعتزلة ينسبون التشبيه إلى الإمام أحمد بن حنبل و اسحاق بن راهويه و يحيى بن معين. و هذا خطأ، فأنهم منزهون في اعتقادهم عن التشبيه و التعطيل، و لكنهم كانوا لا يتكلمون في المتشابهات مع جزمهم بأن الله تعالى لا شبيه له و ليس كمثله شيء.
و أقول بعد ذالك: فلا يخدعنك عن دينك قول من يقول: إن كل حنبلي مجسم، فتظن أن الإمام أحمد كان هو أو فقهاء أتباعه كذالك ـ فالمجسمة إن كانوا حنابلة ففي الفروع لا في الأصول ـ و قد روى الإمام أبوالفضل التميمي شيخ الحنابلة و الحافظ بن الجوزي و غيرهما من أعيان المذهب عن الإمام أحمد ما عليه الجماعة من تنزه الحق عن الجسمية و لوازمها. روى البيهقي في مناقب الإمام أحمد بسنده عن أبي الفضل أنه قال: «أنكر أحمد على من قال بالجسم و قال: إن الأسماء مأخوذة من الشريعة و اللغة، و أهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول و عرض و سمك و تركيب و صورة و تأليف. و الله تعالى خارج عن ذالك كله فلم يجز أن يسمى جسما لخروجه عن معنى الجسمية. و لم يجيء في الشريعة ذالك فبطل.»



خالف فيه منهاج السنة، فأثبت بأنه لا أول للحوادث و أنه لا ابتداء لها، و أن ذالك هو مذهب الصحابة و التابعين، و تراه مع ذالك... فى تناقض واضح ـ ينقل خلاف الصحابة و التابعين فى أول مخلوق، هل هو العرش أو القلم أو الماء ؟!! و فى صفحة واحدة دون خالجة من الخجل.

و له فى ثلب الكرام طرق غريبة ماكرة، تجد ذالك فى كيده للانتصار للأئمة الأربعة و إن حفل نصفه الأول بالثناء عليهم فقد انسرب مكره بهم فى النصف الثانى تمهيداً لجرأة العامة عليهم و كذالك كان صنيعه مع إمامَى أهل السنة أبى الحسن الأشعرى و أبي منصور الماتريدي. و لا عليك فإن جاءك خلاف بين الأشاعرة و الحنابلة فلا تشك أنه هو و أتباعه فقط. و لم يسلم من لسانه إمام من أئمة أهل السنة فارجع إلى موافقة معقوله تجده قد وقع فى إمام الحرمين و حجة الإسلام الغزالى و وصفهما بأنهما أشد كفرا من اليهود والنصارى!! ... و لكن هل تركه علماء عصره على هذه الضلالات؟ و نبادر إلى القول بأن علماء عصره على اختلاف مذاهبهم قد تصدوا له، فهذا هو علامة عصره تقى الدين الحصنى فى كتابه «دفع شُبَه من شبَّه و تمرد و نسب ذالك إلى الإمام أحمد» يقول أخبرنا أبو الحسن على الدمشقى عن أبيه قال: «كنا جلوساً فى مجلس ابن تيمية، فذكر و وعظ و تعرض لآيات الاستواء ثم قال: و استوى الله على عرشه كاستوائى هذا: قال: فوثب الناس عليه وثبةً واحدة و أنزلوه من الكرسى، و بادروا إليه ضرباً باللكم و النعال... حتى أوصلوه إلى بعض الحكام و اجتمع فى ذالك المجلس العلماء فشرع يناظرهم فقالوا: ما الدليل على ما صدر منك؟ فذكر آية الاستواء فضحكوا منه، و عرفوا أنه جاهل...» و كان الإمام العلامة شيخ الإسلام فى زمانه أبو الحسن على بن إسماعيل القونوى يصرح بأنه من الجهلة بحيث لا يعقل ما يقول. ونقل عن صلاح الدين الكتبى و يعرف بالتريكى في



الجزء العشرين من تاريخه ما قام به العلماء فى جهاد هذا الرجل. و ذكر قبل ذالك صورة المرسوم الذى أصدره السلطان الناصر محمد بن قلاوون، و ذكره أيضاً العلامة الكوثرى بنصه. ناقلاً له مما رآه بنفسه من خط ابن طولون فى تكملته للسيف الصقيل. و مع هذا فقد ترك بعد موته أئمة ابتداع عبوا من حياضه الآسنة و على رأسهم الإمام ابن زفيل الشهير با بن القيم ـ و كان أبوه قيم المدرسة الجوزية و لذالك يقولون أحياناً: ابن قيم الجوزية، يعنون بها تلك المدرسة ـ كان أتبعُ لشيخه ابن تيمية من ظله، و قد أفنى عمره فى خدمة بدع أستاذه بفنون من التلبيس، فيؤلف فى السيرة النبوية، و فى الفوائد الصوفية و فى المواعظ، و يدس فى خلال ذالك من حشو شيخه و أضاليله ما استطاع ثم يعود إلى ما يعرفه العلماء، و كثيرا ما يحكى المسألة المجمع عليها بين العلماء إجماعاً ظاهرياً فيذكر فيها خلافا فيقول: قالت طائفة بذالك و يحتج لها و يطيل الاحتجاج. و قالت طائفة أخرى و يطول الاحتجاج بما يظنه حجة من أوهام شيخه. كما وقع الطلاق الثلاث المجموع ثلاثاً و غيرهما كثير و قلما يسلم له كتاب من تشعيب و دس و تهويش، و قد جمع شواذ شيخه فى قصيدة سخيفة نونية بلغها ستة آلاف بيت تقريباً[١] و كان إخوانه و تلاميذه يخفونها خوفا من أهل العلم و أهله، حتى وقعت فى يد شيخ الإسلام تقى الدين أبو الحسن على السبكى، فكتب عليها كتابة سماها: السيف الصقيل فى الرد على ابن زفيل ـ و قد وضع العلامة الكوثرى تكملة لهذا السيف و أجاد كل الإجادة ـ و هو الكتاب الذى بين يديك أيها القارئ الكريم ـ و من قرأ هذه المنظومة النونية و قرأ كتب ابن تيمية ـ و هو من أهل العلم ـ لا يرتاب فى أنه نسخة منه، فإنه يرمى من تقدمه من محققى أهل العلم و أكابر العلماء بأنهم أعداء الإسلام، و ذالك

١ . وعدد أبياتها على التحقيق ستة آلاف بيت إلا واحداً و خمسين بيتاً.



لأنهم لم يقولوا بما قال به ابن تيمية من التجسيم و التشبيه، وإن كان ابن الجـوزي قد أثخن أهل التجسيم و التشبيه بالجراح في كتابه القيم: دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه في الرد على المجسمة و المشبهة بتحقيق: محمد زاهد الكوثري و تـصدير العلامة محمد أبي زهرة و تقديم الدكتور: جمعة الخولي بما يشفي الصدر و يـثلج النفس. و كذالك فإن العلامة زاهد الكوثري قد أنصف أهل الـسنة مـن هـذا و شيخه و من تبعهما في كتابه: التكملة و هو ضميمة للـسيف الـصقيل بـما يـبهج الخاطر و يرد الظلامة و يسفر بنور الإصباح. و لا يغرنك كتاب ابن القيم: «غزو الجيوش الإسلامية، للمعطلة و الجهمية» فإنه جمع فيه مـا تـشابه مـن الآيـات و الأحاديث، لا فرق بين صحيحها و سقيمها و موضـوعها ليثبـت بـذالك ـ فـي زعمه ـ الجهة لله تعالى عما يقول. و قد عنى بالمعطلة و الجهمية كـل مـن نـزه الله تعالى عن الجهة و غيرها من لوازم الأجسام!!

و لا يقع في وهمك أن ابن القيم قد رجع عن هذه الأباطيل، كما تأكد لديك ثبات شيخه عليها إلى وفاته فإن ابن رجب ـ في طبقـات الحنابلـة ـ سـمعها أي هذه المنظومة من لفظ ابن القيم عام وفاته أي أنه استمر على هذا العقـد الباطـل إلى أواخر عمره.

والله ولي التوفيق



بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم للكتاب

الحمد لله القدوس المتعال، المنزه عن النظير و المثال، جلت ذاته و علت صفاته على أن يحوم حول اكتناهها وهم أو خيال، و العقول عن إدراك تلك المطالب فى عقال، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد المبعوث لتتيم مكارم الخلال، منقذاً لهذه الأمة من مخالب الوثنية و صنوف الضلال، و هاديا إلى مراضى مولاه ذى الجلال و الجمال و على آله خير الآل و أصحابه أصحاب كرائم الخصال.

انقشاع ظلمات الجاهلية بمبعثه ﷺ

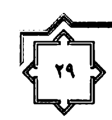
و بعد، فلا يخفى على من درس تاريخ الدين الإسلامى أن الله سبحانه بعث خاتم رسله فى بيئة عريقة فى الوثنية، و قد أحدقت بتلك البيئة أمم يدينون بالإشراك و التشبيه و أنواع من التخريف و التمويه، فبمبعثه ﷺ انقشعت تلك الظلمات الجاهلية، و استنارت بصائر الذين آمنوا به بأنوار التعاليم الإسلامية، حتى داسوا تحت أرجلهم تقاليد الوثنية و نبذوا تلك الأساطير الهمجية و خمدت عزائم أعداء الدين، و فترت مواصلتهم العداء إلى حين.

٢٨ تحين الأعداء الفرص للكيد بالمسلمين

لكنهم كانوا يتحينون الفرص لتفريق كلمة المسلمين، و تشويه تعاليم هذا الدين في الأخلاق و العمل و الاعتقاد، حتى تذرعوا بعد وفاته ﷺ بشتى الوسائل إلى بذر بذور الفساد كلما ظنوا أن الفرصة سانحة، يلبسون في كل عصر ما يرونه أنجع في مخادعة الجمهور، و أغشى على بصائر الخاصة و الدهماء و أشد فتكا بهم في صميم دينهم. إلى أن تمكنوا من إضلال طوائف في الأطراف و رغم هذا بقيت بيضة الإسلام ـ بحمد الله جل شأنه ـ مصونة الجانب تحت كلاءة الله سبحانه و رعايته، حيث لم يمكنهم من إبادة خضراء الملة، و لا من إحداث أحداث جوهرية في صميم الدين الإسلامي تُشتّت شمل الجماعة، بل بقي الإسلام في جوهره ـ بفضل الله جل جلاله ـ وضاء المنار واضح المنهاج، نير الطريقة، بادي المعالم لمن ألقى إلى تعاليمه السمع و هو شهيد.

و غاية ما تخيل الأعداء أن يتمكنوا منه أو يوقفوا نموه العظيم الذي كان ظهر في الصدر الأول، و يعرقلوا رقي معتنقيه السريع بعد أن بهر أبصار أولي الأبصار في أوائل انتشاره، لكن أبى الله إلا أن يتم نوره.

و كان أخطر هؤلاء الأعداء على الدهماء و أبعدهم غوراً في الإغواء أناساً ظهروا بأزياء الصالحين بعيون دامعة كحيلة، ولحى مسرحة طويلة؛ و عمائم كالأبراج، و أكمام كالأخراج، يحملون سبحات كبيرة الحبات، و يتظاهرون بمظهر الدعوة إلى سنة سيد السادات مع انطوائهم على مخاز ورثوها عن الأديان الباطلة، و النحل الآفلة، و كان من مكرهم الماكر أن خلطوا الكذب المباشر بالتزيد في تفسير مأثور أو في حديث صح أصله عند الجمهور،



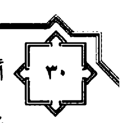
باعتبارهم ذالك أنجع فى إفساد دلالة كتاب الله و سنة رسوله ﷺ على أفهام أناس قرب عهدهم من الجاهلية و لم تتكامل بعد عقولهم و لا نضجت أفكارهم.

و كم أضل رواة من هذا القبيل طوائف من سذج المسلمين منذ عهد التابعين حيث اندسوا بين الصالحين من رواة الأعراب و مواليهم لأدخال ما اختلقوه من الأخبار بين مرويات هؤلاء الأخيار، حتى يتم إفساد دين المسلمين عليهم، و لكن أبى الله إلا أن يرد كيدهم فى نحرهم حيث أقام جهابذةً يسعون فى إبعاد مختلقاتهم عن مرتبة الاعتداد فى جميع الطبقات، على أن فى عقول الذين أسلموا إسلاماً صحيحا من النور ما يشق لهم الطريق إلى تعرف دخائل المرويات من نفس تلك الروايات، و إن لم تخل طبقة من طبقات الرواة من أغرار انخدعوا بها و تعصبوا لها، لأن الفاتنين كانوا راعوا فى رواياتهم عقول هؤلاء و مداركهم فى جاهليتهم تيسيراً لزلل أقدامهم و تدهورهم فى هاوية إغوائهم.

انخداع سذج الرواة

فالرواة السذج إذا انخدعوا بمثل هذا التمويه يكون عندهم بعض عذر، و من الذى لا ينخلع قلبه؟ إذا سمع السنة و الدعوة إلى السنة من متقشف متظاهر بالورع الكاذب على تقدير جهل السامع بما وراء الأكمة؟ فيجب أخذ هؤلاء بالرفق لتدريجهم إلى الحق من باطل تورطوا فيه باسم السنة.

و من محققى أهل السنة من يشير إلى أن العامى إذا بدر منه ما يوهم ظاهره التشبيه يرجى من فضل الله أن يسامحه حيث يعلو التنزيه من الجهة و نحوها عن مداركه. و أما من جمع بين الرواية و الدراية على زعمه و ألف فى ذات الله و صفاته، و صدر منه مثل هذا فلا يوجد بين علماء أهل السنة من يعذر مثله بل



أطبقت كلماتهم على إلزامه مقتضى كلامه، و ليس لعالم عـذر فـى الميـل إلـى شيء من التشبيه و القرمطة لظهور سقوطهما لكل ناظر. قال القاضى أبوبكر بن العربى فى القواصم و العواصم: «مالقيت طائفة إلا و كانـت لـى معهـم وقفـة عصمنى الله منها بالنظر ـ بتوفيقه ـ إلا الباطنية و المشبهة فإنهما زعنفة تحققت أنـه ليس وراءهما معرفة فقذفت نفسى كلامهما من أول مرة» ا هـ. بل لا يتـصور أن يميل إلى أحدهما عاقل إلا إذا كان له غاية إلحاديـة، وآنـى يـستعجم علـى عـالم باللسان العربى المبين ما فى كتاب الله و سنة رسوله ﷺ من الدلالة على تنزيـه الله جل شأنه من الجسمية و الجسمانيات و المـادة و الماديـات، بخـلاف العـامى الذى هو قريب العهد من الجاهلية.

فضل علماء أصول الدين في حراسة الدين

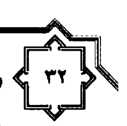
جزى الله علماء أصول الدين عن الإسلام خيراً، فإن لهم فـضلا جـسيما فـى صيانة عقائد المسلمين بأدلة ناهضة مدى القرون أمـام كـل فرقـة زائغـة، و إنـما يكون التعويل فى كل علم على أئمته دون من سواهم، لأن من يكون إماما فـى علم كثيراً ما يكون بمنزلة العامى فى علم آخـر. فـإذا لا يعـول فـى العقائـد إلا على أئمة أصول الدين لا على الرواة البعيدين عن النظر، و كم بينهم من يرثـى لمداركه حيث يقل عقله عن عقول الأطفال و إن بلغ فى السن مبلـغ الرجـال. و من طالع ما ألفه بعـض الـرواة علـى طـول القـرون مـن كتـب فـى التوحيـد و الصفات و السنة و الردود على أهل النظر يشكر الله سبحانه علـى النـور الـذى أفاضه على عقله حتى نبذ مثل تلك الطامات بأول نظرة.



محاولة ابن تيمية بعث الحشوية من مرقدها

و قد استمرت فتن المخدوعين من الرواة على طول القرون مجلبة لسخط الله تعالى و لاستسخاف العقلاء من غير أن يخطر ببال عاقل أن يناضل عن سخافات هؤلاء، إلى أن نبغ في أواخر القرن السابع بدمشق حراني تجرد للدعوة إلى مذهب هؤلاء الحشوية السخفاء متظاهراً بالجمع بين العقل و النقل على حسب فهمه من الكتب بدون إستاذ يرشده في مواطن الزلل، وحاشا العقل الناهض و النقل الصحيح أن يتضافرا في الدفاع عن تخريف السخفاء إلا إذا كان العقل عقل صابئ و النقل نقل صبي، و كم انخدع بخزعبلاته أناس ليسوا من التأهل للجمع بين الرواية و الدراية في شيء و له مع خلطائه هؤلاء موقف في يوم القيامة لا يغبط عليه. و من درس حياته يجدها كلها فتناً لا يثيرها حافظ بعقله غير مصاب في دينه و أنّى يوجد نص صريح منقول أو برهان صحيح معقول يثبت الجهة و الحركة و الثقل و المكان و نحوها لله سبحانه؟ و سيمر بك سرد بعض مخازيه مع نقضها إن شاء الله تعالى.

و كل ما في الرجل أنه كان له لسان طلق، و قلم سيال، و حافظة جيدة، قلب ـ بنفسه بدون إستاذ رشيد ـ صفحات كتب كثيرة جدّا من كتب النحل التي كانت دمشق امتلأت بها بواسطة الجوافل من استيلاء المغول على بلاد الشرق، فاغتر بها فهمه من تلك الكتب من الوساوس و الهواجس، حتى طمحت نفسه إلى أن تكون قدوة في المعتقد و الاحكام العملية ففاه في القبيلين بما لم يفه به أحد من العالمين مما هو وصمة عار و أمارة مروق في نظر الناظرين فانفض من حوله أناس كانوا تعجلوا في إطرائه بادئ بدء قبل تجريبه و تخلوا عنه



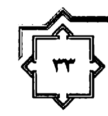
واحداً إثر واحد على تعاقب فتنه المدونة فى كتب التاريخ و لم يبق[1] معه إلا أهـل مذهبه فى الحشو من جهلة المقلدة، و من ظن أن علماء عصره صاروا كلهـم إلباً واحدا ضده حسدا من عند أنفسهم فلْيَتّهِمْ عقله و إدراكه قبـل اتهـام الآخـرين، بعد أن درس مبلغ بشاعة شواذه فـى الاعتقـاد و العمـل و هـو لم يـزل يـستتاب استتابة إثر استتابة، و ينقل من سجن إلى سجن إلى أن أفضى إلى ما عمل و هو مسجون فقبر هو و أهواؤه فى البابين بموتـه و بـردود العلـماء عليهـا و مـا هـى ببعيدة عن متناول رواد الحقائق.

مسايرة ابن القيم لابن تيمية في فتنته

و كان ابن زفيل الزرعى المعروف بابن القيم يسايره فى شواذه كلهـا حيّـا و ميتاً، و يقلده فيها تقليدا أعمى فى الحـق و الباطـل، و إن كـان يتظـاهر بمظهـر الاستدلال لكن لم يكن استدلاله المصطنع سوى ترديد منه لتشغيب قدوته دائبـاً على إذاعة شواذ شيخه، متوخياً فى غالب مؤلفاته تلطيف لهجة أستاذه فى تلك الشواذ، لتنطلـى و تنفـق علـى الـضعفاء، و عملـه كلـه التلبـيس و المخادعـة و النضال عن تلك الأهواء المخزية حتى أفنى عمره بالدندنة حول مفردات الشيخ الحرانى. تراه يثرثر فى كل واد، و يخطب بكل ناد بكلام لا محصل لـه عنـد أهـل التحصيل، و لم يكن له حظ من المعقول، و إن كان كثير السرد لآراء أهل النظـر. و يظهر مبلغ تهافته و اضطرابه لمن طالع (شفاء العليـل) لـه بتبـصر، و نونيتـه و عزوه من الدلائل على أنه لم يكن ممن له علم بالرجال و لا ينقد الحـديث حيـث

---

١ . و ثناء بعض المتأخرين عليه لم يكن إلا عن جهل بمضلات الفتن فى كلامـه و وجـوه الزيـغ فـى مؤلفاته و منهم من ظن أنه دام على توبته بعد ما استتيب فدام علـى الثنـاء و لا حجـة فـى مثـل تلك الأثنية، و أقواله الماثلة أمامنا فى كتبه لا يؤيدها إلا غاو غوى، نسأل الله السلامة.



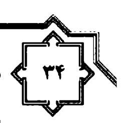
أثنى فيهما على أناس هلكى، و استدل فيهما بأخبار غير صحيحة على صفات الله سبحانه. و قد ذكره الذهبي في المعجم المختص بما فيه عبرة، و لم يترجم له الحسيني و لا ابن فهد و لا السيوطي في عداد الحفاظ على ذيولهم على طبقات الحفاظ، و ما يقع من القارئ بموقع الإعجاب من أبحاثه الحديثية في زاد المعاد و غيره فمختزل مأخوذ مما عنده من كتب قيمة لأهل العلم بالحديث، «كالمورد الهني شرح سير عبد الغني للقطب الحلبي» و نحوه و لولا محلى ابن حزم و احكامه و مصنف ابن أبي شيبة وتمهيد ابن عبد البر لما تمكن من مغالطاته و تهويلاته في أعلام الموقعين. و كم استتيب و عزر مع شيخه و بعده على مخاز في الاعتقاد و العمل تستبين منها ما ينطوي عليه من المضي على صنوف الزيغ تقليداً لشيخه الزائغ وسيلقى جزاء عمله هذا في الآخرة ـ إن لم يكن ختم له بالتوبة و الإنابة ـ كما لقي بعض ذالك في الدنيا.

نماذج من أقوال أصحاب

ابن القيم و أضداده و المتحايدين

قال الذهبي في المعجم المختص عن ابن القيم هذا: عني بالحديث بمتونه و بعض رجاله و كان يشتغل في الفقه و يجيد تقريره، و في النحو و يدريه، و في الأصلين. و قد حبس مدة لانكاره على شد الرحيل لزيارة قبر الخليل (إبراهيم ﷺ) ثم تصدر للاشتغال و نشر العلم لكنه معجب برأيه جرئ على الأمور اهـ.

قال ابن حجر في الدرر الكامنة: غلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله بل ينتصر له في جميع ذالك، و هو الذي هذب كتبه و



نشر علمه... و اعتقل مع ابن تيمية بالقلعة بعد أن أهين و طيف به على جمل مضروباً بالدرة، فلما مات أفرج عنه و امتحن مرة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية و كان ينال من علماء عصره و ينالون منه ا هـ.

قال ابن كثير: كان يُقصد للإفتاء بمسألة الطلاق حتى جرت له بسببها أمور يطول بسطها مع ابن السبكى و غيره... و كان جمّاعا للكتب فحصل منها ما لا يحصر حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهرا طويلا سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم... و هو طويل النفس فى مصنفاته يتعانى الإيضاح جهده، فيسهب[١] جدّا، و معظمها من كلام شيخه يتصرف فى ذالك، و له فى ذالك ملكة قوية، و لا يزال يدندن حول مفرداته و ينصرها و يحتج لها... و جرت له محن مع القضاة، منها فى ربيع الأول طلبه السبكى بسبب فتواه بجواز المسابقة بغير محلل فانكر عليه و آل الأمر إلى أن رجع عما كان يفتى به من ذالك ا هـ و قال: التقىّ الحصنى كان ابن تيمية ممن يَعتقد و يُفتى بأن شد الرحال إلى قبور الأنبياء حرام لا تقصر فيه الصلاة، و يصرح بقبر الخليل و قبرالنبى صلى الله عليهما و سلم. و كان على هذا الاعتقاد تلميذه ابن قيم الجوزية الزرعى و إسماعيل بن كثير الشركوينى، فاتفق أن ابن قيم الجوزية سافر إلى القدس الشريف و رقى على منبر فى الحرم. و وعظ و قال فى أثناء وعظه بعد أن ذكر المسألة: و ها أنا راجع و لا أزور الخليل. ثم جاء إلى نابلس و عمل له مجلس وعظ و ذكر المسألة بعينها حتى قال فلا يزور قبر النبى ﷺ فقام إليه الناس و أرادوا قتله فحماه منهم والي نابلس، و كتب أهل القدس و أهل نابلس إلى دمشق يعرّفون صورة ما وقع منه فطلبه القاضى المالكى فتردد و صعد إلى الصالحية إلى القاضى شمس الدين بن

---

١. الإسهاب = الإطناب، و هو عكس الإيجاز.



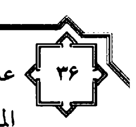
مسلم الحنبلى و أسلم على يديه فقبل توبته و حكم بإسلامه و حقن دمه و لم يعزّره لأجل ابن تيمية... ثم أحضر ابن قيم الجوزية و ادعى عليه بما قاله فى القدس الشريف و فى نابلس فانكر، فقامت عليه البينة بما قاله فأدب و حُمل على جمل ثم أعيد فى السجن ثم أحضر إلى مجلس شمس الدين المالكى و أرادوا ضرب عنقه فما كان جوابه الا أن قال إن القاضى الحنبلى حكم بحقن دمى و بإسلامى و قبول توبتى، فأعيد إلى الحبس إلى أن أحضر الحنبلى فأخبر بما قاله فأحضر و عزر و ضرب بالدرة و أركب حمارا وطيف به فى البلد و الصالحية و ردوه إلى الحبس ـ و جرسوا ابن القيم و ابن كثير و طيف بهما فى البلد و على باب الجوزية لفتواهم فى مسألة الطلاق ا هـ.

قال ابن رجب: قد امتحن و أوذى مرات و حبس مع الشيخ تقى الدين فى المدة الأخيرة بالقلعة منفردا و لم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ ا هـ.

و قد سقت هنا نماذج من كلمات أصحابه و أضداده و المتحايدين فى حقه فى هذا الكتاب، و أرجو أن الحق لا يتعدى ما دللت عليه فى حقه فيما كتبناه.

أحق الناس بالرثاء

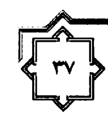
و أحق الناس بالرثاء و أجدرهم بالترحم من أفنى عمره فى سبيل العلم منصاعاً لمبتدع يرديه من غير أن يتخير أستاذا رشيدا يهديه، و مثله إذا دوّن أسفارا لا يزداد بها إلا بعداً عن الله و أوزاراً، و هو الذى يصبح متفانيا فى شيخه الزائغ بحيث لا يسمع إلا بسمعه و لا يبصر إلا ببصره فى جميع شئونه، و يبقى فى أحط دركات الجهل من التقليد الأعمى، و لو فكر قليلا لكان أدرك أن من السخف بمكان وضعه لشيخه فى إحدى كفتى الميزان ليوازن به جميع العلماء و الفقهاء من هذه الأمة فى كفته الأخرى فيزنهم و يغالبهم به فيغلبهم فى



علومهم! و هذا ما لا يصدر من حافظ بعقله، و لا سيما بعد التفكير في تلك المخازي من شواذه. نعم يمكن أن يكون عنده أو عند شيخه بعض تفوق في بعض العلوم على بعض مشايخ حارته أو أهل خطته أو قريته أو مضرب خيام عشيرته، لكن لا يوجب هذا أن يصدق في ظنه في حق نفسه أن جوّ هذه الأرض يضيق عن واسع فهومه، و عرض هذه البحار لا يتسع لزاخر علومه.

أخطر ما يطغي من صنوف الاستغناء

و من الآفات المردية التي تعتري الإنسان و تقذف به إلى هاوية الخسران طغيانه حينما يرى نفسه على شيء من الاستغناء بمال أو جاه أو علم، لكن المال عرض زائل، و الجاه الدنيوي قلما يدوم على حال، و علم الإنسان مهما اتسع فما أوتي من العلم إلا قليلا، و تلك الخلال لو روعيت حدودها لكانت أكبر عون للمرء على إحراز مرضاة الله سبحانه، و أما إذا اتخذها أداة طغيان فعند ذاك تنقلب تلك النعم مجلبة لسخط الله عز و جل و مقت الخلق، فيصبح ذالك الطاغي من الأخسرين أعمالا في الدارين، و ليعلم أن ضرر العلم ـ إذا زاغ صاحبه ـ دونه كل ضرر، فإن الطاغي بالمال يزول ضرره بزوال ماله، كصاحب الجاه الذي لم يدم جاهه، و أما صاحب العلم الذي لعب به الشيطان و خلد كتبا فيما طغي به فهمه وطاش قلمه، فيدوم ضرره و يتضاعف وزره مادامت آثاره دارجة يضل بها أناس، فإذا هي أخطر تلك الآفات، و لا يخفف عن مؤلفها العذاب إلا بإعراض الناس عن كتبه المغوية بتنبيه أهل العلم المهتدين على ما حوته من صنوف الزيغ و الضلال، فيكون في الكشف عن مواطن الغواية من أمثال تلك الكتب تخفيف لعذاب مؤلفيها، و صون للأمة عن الوقوع في مهاويها،. و قد عني الموفقون من علماء هذه الأمة بنقض أمثال تلك الكتب لتلك الغاية النبيلة قديما و حديثا و من هلك بعد ذالك فلا يلومن إلا نفسه.

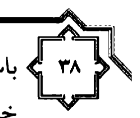


ردود السبكي على ابن تيمية و الكلام في رده على نونية ابن القيم

و للحافظ التقى السبكى فضل مشكور و عمل مبرور فى الرد على ابن زفيل و شيخه فى شواذهما المردية، و من جملة مؤلفاته فى هذا الصدد «رده على نونية ابن القيم» و قد نقل السيد محمد المرتضى الزبيدى في شرح الإحياء عند الكلام على إمامى أهل السنة عن هذا الرد المسمى «السيف الصقيل فى الرد على بن زفيل» جملة نافعة من مقدمته. و التقى السبكى أوجز فى رده مكتفيا بلفت النظر إلى كلمات الناظم الخطرة فى الغالب بدون أن يناقشه فيها كثيرا، باعتبار أن الاطلاع عليها يكفى بمجرده فى نبذها و تضليل قائلها، و لو كان السبكى يرى ابن القيم يستأهل المناقشة لأوسع فى الرد عليه، لأنه كان أنظر أهل عصره ـ كما قال الاسنوى و غيره من المحققين ـ لكنه كان يعده فى غاية من الغباوة فاكتفى فى غالب الأبحاث بلفت نظر عامة العلماء إلى أهوائه البشعة، و التقى السبكى من ألطف أهل العلم لهجة و أنزههم لسانا مع من يردُّ عليهم. لكن حيث إن الناظم أسرف فى ضلاله و إضلاله، اضطر التقى فى رده عليه إلى بعض إغلاظ فى حقه صونا لمن عسى أن ينخدع بتلبيساته، و قرعا للعبد بالعصا، وهو معذور فى ذالك بل إغلاظه ليس بشىء فى جنب ما تقوّل به ابن القيم فى حق جمهور أهل الحق.

و دونك نونيته التى رد عليها السبكى و هى أصدق شاهد لما قلنا.

و نونية ابن القيم هذه من أبشع كتبه وأبعدها غوراً فى الضلال و أشنعها إغراء للحشوية ضد أهل السنة، و أوقحها فى الكذب على العلماء كما ترى إيضاح ذالك فى مقدمة «السيف الصقيل» فلا نزاحم السبكى فى شرح بشاعة طريقته فيها إلا أنا نشير هنا إلى أن ابن القيم كلما تراه يزداد تهويلاً و صراخاً



باسم السنة فى كتابه هذا يجب أن تعلم أنه فى تلك الحالة متلبس بجريمة خداع خبيث و أنه فى تلك الحالة نفسها فى صدد تلبيس و دس شنيعين، و إنما تلك التهويلات منه لتخدير العقول عن الانتباه لما يريد أن يدسه فى غضون كلامه من بدعه المخزية كما يظهر من مطالعة النونية بتبصر ويقظة.

و إنما اختار طريق النظم فى ذالك ليسهل عليه أن يهيم فى كل واد، ولولا أنها طبعت مراراً و تكراراً ممن لا بغية له من طبعها غير عدد من القرش يملأ به الكرش. قام بذالك الدين أم قعد، بدون أن يقوم أحد من العلماء المعاصرين بالرد عليها، لكان إهمال الرد عليها أنسب لكن لم يبق بعد تكرر طبعها مع تقاعس أهل العلم عن ردها مساغ للإهمال، فوجب تقويض دعائمها بنشر كتاب السبكى مع تعليق كلمات عليه فى مواضع رأيناها فى حاجة إلى التعليق، و قد سميت ما علقته «تكملة الرد على نونية ابن القيم»

و الله سبحانه ولى النفع و عليه توكلت

و إليه أنيب،،،

محمد زاهد بن الحسن الكوثرى

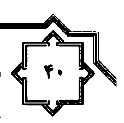
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب للمؤلف

(قال الإمام الحجة أبو الحسن على بن عبد الكافى السبكى رضي الله عنه):

يا عالما بكل شيء، قادرا على كل شيء، ارحم عبدا جاهلا بكل شيء، عاجزا عن كل شيء، خلق ضعيفا تنتوشه الآفات من جميع الجهات و يستغرقه احتياجه على ممر الأنفاس و اللحظات، مدته فى الدنيا قصيرة لو صرفها كلها فى طاعة ربه، و علم نافع، به سلامة قلبه كان موفقا يقتصر على خويصة نفسه و هذا يحتاج إلى مدد إلاهى فى دنياه فى صحة جسمه و كفايته و كفاية من يتعلق به فى القوت و ما يتعلق به و دفع الأذى عنه، و فى دينه بسلامة قلبه من العقائد الفاسدة، و إقباله على الله تعالى و سلامة جوارحه من المعاصى و قيامها بما افترض الله عليها، و سلامته فى قلبه وجسمه من شياطين الإنس والجن و نفسه و هواه و فى علمه فلا يشتغل من العلوم إلا بما ينفع و هو القرآن والسنة و الفقه و أصول الفقه و النحو و يأخذها عن شيخ سالم العقيدة و يتجنب علم الكلام و الحكمة اليونانية، و الاجتماع بمن هو فاسد العقيدة أو النظر فى كلامه.

و ليس على العقائد أضر من شيئين: علم الكلام والحكمة اليونانية، و هما فى الحقيقة علم واحد، و هوالعلم الإلهى لكن اليونان طلبوه بمجرد عقولهم،



والمتكلمون طلبوه بالعقل والنقل معا و افترقوا ثلاث فرق إحداها غلب عليها جانب العقل و هم المعتزلة[1] و الثانية غلب عليها جانب النقل و هم الحشوية[2] و

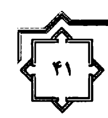
---

١ . قول أبي الحسين الطرائفي في المعتزله:

و عنهم يقول أبوالحسين محمد بن أحمد الطرائفي الشافعي المتوفى سنة ٣٧٧هـ في كتاب الرد على أهل الأهواء والبدع: «و هم أرباب أنواع الكلام و أصحاب الجدل و التمييز و النظر و الاستنباط و الحجج على من خالفهم، و المفرقون بين علم السمع و علم العقل و المتصفون في مناظرة الخصوم، و هم عشرون فرقة يجتمعون على أصل واحد لا يفرقونه و عليه يتولون و به يتعادون و إنما اختلفوا في الفروع و هم سموا أنفسهم معتزلة، و ذالك عندما بايع الحسن بن علي ﷺ معاوية و سلم إليه الأمر اعتزلوا الحسن و معاوية و جميع الناس ـ و ذالك أنهم كانو من أصحاب علي ـ و لزموا منازلهم و مساجدهم و قالوا نشتغل بالعلم و العبادة فسموا بذالك معتزلة» اهـ . ثم ذكر أئمتهم من البصريين و البغداديين و سرد بعض آرائهم في عدة أوراق. و هو من محفوظات الظاهرية بدمشق تحت رقم ٥٩ في التوحيد و لمتقدميهم فضل الدفاع عن الدين الإسلامي و الرد على الزنادقة و النصارى و اليهود، لكن تحكيمهم للعقل و كثرة احتكاكهم بفرق الزيغ أدى بكثير منهم و لا سيما المتأخرين إلى صنوف من البدع الرديئة كما أشرت إلى ذالك في مقدمة ما كتبته على «تبيين كذب المفترى».

٢ . و منهم أصناف المشبهة و المجسمة، و سبب تسميهتم حشوية أن طائفة منهم حضروا مجلس الحسن البصري بالبصرة و تكلموا بالسقط عنده فقال: ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة ـ أي جانبها ـ فتسامع الناس ذالك و سموهم الحشوية بفتح الشين، و يصح إسكانها ـ لقولهم بالتجسيم لأن الجسم محشو ـ راجع شفاء الغليل للشهاب الخفاجي، و ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب للشيخ المحدث أبي العباس أحمد العجي، و مقدمة ما كتبنا، على تبيين كذب المفترى. والحشوية هم الذين حادوا عن التنزيه و تقولوا في الله بأفهامهم المعوجة و أوهامهم الممجوجة، و هم مهما تظاهروا باتباع السلف إنما يتابعون السلف الطالح دون السلف الصالح و لا سبيل إلى استنكار ما كان عليه السلف الصالح من إجراء ما ورد في الكتاب و السنة المشهورة في صفات الله سبحانه على اللسان، مع القول بتنزيه الله سبحانه تنزيها عاماً بموجب قوله تعالى ﴿لَيْسَ كمثله شَيْءٌ﴾ بدون خوض في المعنى و لا زيادة على الوارد و لا إبدال ما ورد بها لم يرد. و في ذالك تأويل إجمالي بصرف الوارد في ذات الله سبحانه عن سمات الحدوث من غير تعيين المراد و هم لم يخالفوا في أصل التنزيه الخلف الذين يعينون معنى موافقا للتنزيه بما يرشدهم إليه استعمالات

←



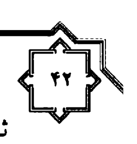
الثالثة ما غلب عليها أحدهما بل بقى الأمران مرعيين عندها على حد سواء و هم الأشعرية و جميع الفرق الثلاث فى كلامها مخاطرة إما خطأ فى بعضه و إما سقوط هيبة، و السالم من ذالك كله ما كان عليه الصحابة و التابعون و عموم الناس الباقون على الفطرة السليمة، و لهذا كان الشافعي رضي الله عنه ينهى عن الاشتغال بعلم الكلام و يأمر بالاشتغال بالفقه فهو طريق السلامة، و لو بقى الناس على ما كانوا عليه فى زمن الصحابة كان الأولى للعلماء تجنب النظر فى علم الكلام جملة، لكن حدثت بدع أوجبت للعلماء النظر فيه لمقاومة المبتدعين و دفع شبههم حذرا من أن تزيغ بها قلوب المهتدين.

الأشعرية أعدل الفرق

و الفرقة الأشعرية هم المتوسطون فى ذالك و هم الغالبون من الشافعية و المالكية و الحنفية و فضلاء الحنابلة و سائر الناس.

العرب و أدلة المقام و قرائن الحال على أن الخلف يفوضون علم ما لم يظهر لهم وجهه كوضح الصبح إلى الله سبحانه.

فالخلاف بين الفريقين هين يسير و كلاهما منزه، و إنما السبيل على الذين يحملون تلك الألفاظ على المعانى المتعارفة بينهم عند إطلاقها على الخلق و يستبدلون بها ألفاظاً يظنونها مرادفة لها و يستدلون بالمفاريد و المناكير و الشواذ و الموضوعات من الروايات. و يزيدون فى الكتاب و السنة أشياء من عند أنفسهم و يجعلون الفعل الوارد صفة إلى نحو ذالك فهؤلاء يلزمون مقتضى كلامهم و هم الحشوية. فمن قال إنه استقر بذاته على العرش و ينزل بذاته من العرش، و يقعد الرسول ﷺ على العرش معه فى جنبه و إن كلامه القائم بذاته صوت و إن نزوله بالحركة و النقلة و بالذات و إن له ثقلا يثقل على حملة العرش، وأنه متمكن بالسماء أو العرش، و أن له جهة وحداً و غاية و مكانا و أن الحوادث تقوم به و أنه يماس العرش أو أحدا من خلقه و نحو ذالك من المخازى فلانشك فى زيغه و خروجه و بعده عما يجوز فى الله سبحانه. و هذا مكشوف جدا فلا يمكن ستر مثل تلك المخازى بدعوى السلفية، و الذين يدينون بها هم الذين نستنكر عقائدهم و نستسخف أحلامهم، و نذكرهم بأنهم نوابت حشوية.



و أما المعتزلة فكانت لهم دولة في أوائل المائة الثالثة ساعدهم بعض الخلفاء ثم انخذلوا و كفى الله شرهم.

و هاتان الطائفتان الأشعرية و المعتزلة هما المتقاومتان و هما فحولة المتكلمين من أهل الإسلام، و الأشعرية أعدلها لأنها بنت أصولها على الكتاب و السنة و العقل الصحيح.

و أما الحكمة اليونانية فالناس مكفيون شرها، لأن أهل الإسلام كلهم يعرفون فسادها و مجانبتها للإسلام.

و أما الحشوية فهي طائفة رذيلة جهال[1] ينتسبون إلى أحمد و أحمد مبرأ منهم. و سبب نسبتهم إليه أنه قام في دفع المعتزلة و ثبت في المحنة ﵁، نقلت عنه كليات ما فهمها هؤلاء الجهال فاعتقدوا هذا الاعتقاد السيىء و صار المتأخر منهم يتبع المتقدم، إلا من عصمه الله و ما زالوا من حين نبغوا مستذلين ليس لهم رأس و لا من يناظر و إنما كانت لهم في كل وقت ثورات و يتعلقون ببعض أتباع الدول و يكفي الله شرهم، و ما تعلقوا بأحد إلا كانت عاقبته إلى سوء و أفسدوا اعتقاد جماعة شذوذ من الشافعية[2] و غيرهم و لا سيما بعض المحدثين الذين نقصت عقولهم أو غلب عليها من أضلهم فاعتقدوا أنهم يقولون بالحديث. و

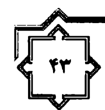
---

١ . و هم طوائف كالكرامية و البربهارية و السالمية و لا بن الجوزي كتاب (منهاج الوصول إلى علم الأصول) و كتاب (دفع شبه التشبيه بكف التنزيه) أجاد الرد عليهم فيهما، و سبق أن نشر الثاني، و من جملة ما يقوله ابن الجوزي فيه:

فقد فضحوا ذالك الإمام بجهلهم و مذهبه التنزيه لكن هم اختلوا

و هو بديع في بابه حجة على منساير هم من الحنابلة.

٢ . على طول القرون لكن كفى شرهم نظارأهل الحق من الشافعية و لسنا في صدد سرد أسمائهم هنا و نشير عرضا إلى بعضهم فيما نعلق على هذا الكتاب.



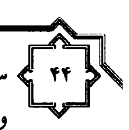
لقد كان أفضل المحدثين فى زمانه بدمشق ابن عساكر[١] يمتنع من تحديثهم و لا يمكنهم أن يحضروا مجلسه و كان ذالك أيام نور الدين الشهيد و كانوا مستذلين غاية الذلة.

ثم جاء فى أواخر المائة السابعة رجل له فضل ذكاء و اطلاع و لم يجد شيخاً يهديه و هو على مذهبهم و هو جسور متجرد لتقرير مذهبه و يجد أموراً بعيدة فبجسارته يلتزمها فقال بقيام الحوادث بذات الرب سبحانه و تعالى[٢] و أن الله

---

١ . و قد سبق أن نشر «تبيين كذب المفترى فى الذب عن الأشعرى» له مع مقدمة لنا عليه فى بيان الحالة العامة عند البعثة النبوية و لمعة فى نشأة الفرق و تعليقات على مواضع من الكتاب كنت كتبتها ففيها و فى الكتاب كثير مما يتعلق بالحشوية، و لابن عساكر أيضاً مجلس فى إثبات التنزيه و آخر فى نفى التشبيه، و كتاب فى (بيان وجوه التخليط فى حديث الأطيط) و كتاب فى (سرد الأسانيد فى حديث يوم المزيد) يبين فيها وجوه الضعف فى أحاديث الأطيط و روايات يوم المزيد.

٢ . اتفقت فرق المسلمين سوى الكرامية و صنوف المجسمة على أن الله سبحانه منزه من أن تقوم به الحوادث و أن تحل به الحوادث و أن يحل فى شىء من الحوادث بل ذالك مما علم من الدين بالضرورة، و دعوى أن الله لم يزل فاعلا متابعة منه للفلاسفة القائلين بسلب الاختيار عن الله سبحانه، و بصدور العالم منه بالإيجاب، و نسبة ذالك إلى أحمد و البخارى و غيرهما من السلف كذب صريح و تقول قبيح، و دعوى أن تسلسل الحوادث فى جانب الماضى غير محال لا تصدر ممن يعى ما يقول فمن تصور حوادث لا أول لها تصور أنه ما من حادث محقق، و أن ما دخل بالفعل تحت العد و الإحصاء غير متناه، و أما من قال بحوادث لا آخر لها فهو قائل بأن حوادث المستقبل لا تنتهى إلى حادث محقق إلا و بعده حادث مقدر، فأين دعوى عدم تناهى ما دخل تحت الوجود فى جانب الماضى من دعوى عدم تناهى ما لم يدخل تحت الوجود فى المستقبل؟ على أن القول بالقدم النوعى فى العالم من لازمه البين عدم تناهى عدد الأرواح المكلفة فأنى يمكن حشر غير المتناهى من الأرواح و أشباحها فى سطح متناه محدود على هذا التقدير؟ فيكون القائل بعدم تناهى عدد المكلفين قائلا بنفى الحشر الجسمانى بل بنفى الحشر الروحانى أيضاً حيث إن هذا القائل لا يعترف بتجرد الروح فيكون أسوأ حالاً من غلاة الفلاسفة النافين للحشر الجسمانى و فى شواذ ذالك الزائغ كتب خاصة ترد عليه فى بدعه الأصلية و الفرعية، و لاستقصاء ذالك موضع آخر.



سبحانه ما زال فاعلا و أن التسلسل ليس بمحال فيما مضى كما هو فيما سيأتى وشق العصا، وشوش عقائد المسلمين و أغرى بينهم و لم يقتصر ضرره على العقائد فى علم الكلام حتى تعدى و قال إن السفر لزيارة النبى ﷺ معصية[١] و قال إن الطلاق الثلاث لا يقع و إن من حلف بطلاق امرأته و حنث لا يقع عليه طلاق. و اتفق العلماء على حبسه الحبس الطويل فحبسه السلطان[٢] ومنعه من الكتابة فى الحبس و أن يدخل إليه أحد بدواة و مات فى الحبس. ثم حدث من أصحابه من يشيع عقائده و يعلم مسائله و يلقى ذالك إلى الناس سرا ويكتمه[٣]

---

١ . و ضبطت فتواه بخطه بهذا المعنى و ثبت ذالك ثبوتاً شرعيا و شهد بذالك الإمام جلال الدين القزوينى صاحب التلخيص و الإيضاح و ألف قاضى قضاة المالكية تقى الدين أبو عبدالله محمد الإخنائى فى الرد عليه (المقالة المرضية فى الرد على من ينكر الزيارة المحمدية) كما ألف فى الرد عليه مؤلف شفاء السقام فى تلك المسألة بل جمع الحافظ الصلاح العلائى طرق حديث الزيارة فى الرد عليه أيضاً بطلب ابن الفركاح و لم يستمر على مشايعته بعد ذالك إلا مكسر و الحشوية تحت الخفاء، و كم استتيب و أخذ خطه بالتوبة ثم نقض مواثيقه. راجع (نجم المهتدى) و (دفع الشبه) و (الدرر الكامنة).

٢ . الملك الناصر محمد بن قلاوون و لم يكن له عداء شخصى نحو ابن تيمية أصلا كما اعترف بذالك أشياع ابن تيمية لكن لما رأى توالى فتنه و اتفق علماء المذاهب ضده و معهم قاضى قضاة الحنابلة لم يسعه إلا أن يصدر مرسوما لأهل دمشق و مرسوما لسائر البلدان أسوة بما أصدره بمصر ضد هذا الزائغ. و نصوص تلك المراسيم مدونة فى (نجم المهتدى) و (عيون التواريخ) و (دفع الشبه) بألفاظ متقاربة فى المعنى و فى الاطلاع فيها عبرة بالغة. و قد تليت تلك المراسيم على المنابر نصحاً للأمة و إفهاما لها أن ذالك الرجل مجسم زائغ اعتقاداً و عملا فلا يجوز الاغترار به.

٣ . و يظهر من ذالك أن نونية ابن القيم لم تكن تذاع فى ذالك العهد إلا سرا و كفى هذا سعيا بالفساد و لا يحسبن القارئ أن ابن القيم ربما يكون تاب و أناب عن هذه العقيدة الزائغة التى احتوتها تلك القصيدة فإنه يرى فى ترجمته من طبقات الحنابلة لأبن رجب أن ابن رجب سمعها من لفظ ابن القيم عام وفاته و هذا من الدليل على أنه استمر على هذا المعتقد الباطل إلى أواخر عمره و عدد أبياتها ستة الآف بيت إلا واحدا و خمسين بيتاً.

جهراً فعم الضرر بذالك حتى وقفت فى هذا الزمان على قصيدة نحو ستة آلاف بيت يذكر ناظمها فيها عقائده و عقائد غيره ويزعم بجهله أن عقائده عقائد أهل الحديث[١]. فوجدت هذه القصيدة تصنيفا فى علم الكلام الذى نهى العلماء عن النظر فيه و لو كان حقا فكيف و هي تقرير للعقائد الباطلة وبوح بها و زيادة على ذالك و هى حمل العوام على تكفير كل من سواه و سوى طائفته فهذه ثلاثة أمور هى مجامع ما تضمنته هذه القصيدة.

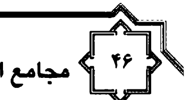
فالأول من الثلاثة حرام لأن النهى عن علم الكلام إن كان نهى تنزيه فيما تدعو الحاجة إلى الرد على المبتدعة فيه فهو نهى تحريم فيما لا تدعو الحاجة إليه فكيف فيما هو باطل.

و الثانى من الثلاثة: العلماء مختلفون فى التكفير به إذا لم ينته إلى هذا الحد أما مع هذه المبالغة ففى بقاء الخلاف فيه نظر.

و أما الثالث فنحن نعلم بالقطع أن هؤلاء الطوائف الثلاثة الشافعية و المالكية و الحنفية و موافقيهم من الحنابلة مسلمون ليسوا بكافرين، فالقول بأن جميعهم كفار و حمل الناس على ذالك كيف لا يكون كفرا و قد قال ﷺ: «**إذا قال المسلم لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما**». فالضرورة أوجبت العلم بأن بعض من كفرهم مسلم و الحديث اقتضى أن يبوء بها أحدهما فيكون القائل هو الذى باء بها.

---

١ . و بين أهل الحديث من القدرية و الخوارج و صنوف الشيعة و المجسمة من كرامية و بربهارية و سالمية رجال لا يحصيهم العد كما لا يخفى على من له إلمام بعلم الرجال فليس لهم عقيدة جامعة فيكون عزو عقيدة إلى جماعة الحديث مخادعة و تمويها على العقول، فإن كان يريد تخصيص هذا الاسم بصنوف المجسمة فهذه التسمية إنما تكون تسمية ما أنزل الله بها من سلطان، و إنما التعويل على أهل الحديث فى روايتهم الحديث فقط فيما لا يتهمون به، و أما علم أصول الدين فله أئمة معروفون و براهين مدونة فى كتبهم، و أهل الحديث المبرءون من البدع يسيرون سيرهم.



مجامع الزيغ في نونية ابن القيم

و ها أنا أذكر مجامع ما تضمنته القصيدة ملخصاً من غير نظر و ناظمها[١] أقل من أن أذكر كلامه لكنى تأسيت فى ذالك بإمام الحرمين في كتابه المسمى بنقض كتاب السجزى، والسجزى هذا كان محدثاً له كتاب مترجم بمختصر البيان وجده إمام الحرمين حين جاور بمكة شرفها الله، اشتمل كتاب السجزى هذا على أمور منها أن القرآن حروف و أصوات. قال إمام الحرمين: و أبدى من غمرات جهله فصولا و سوّى على قصب سخافة عقله نصولا و مخايل الحمق فى تضاعيفها مصقولة و بعثات الحقائق دونها معقولة. و قال إمام الحرمين أيضا: و هذا الجاهل الغر المتمادى فى الجهل المصر، يتطلع إلى الرتب الرفيعة بالدأب فى المطاعن فى الأئمة و الوقيعة. و قال إمام الحرمين أيضا: صدّر هذا الأحمق الباب بالمعهود من شتمه فأف له و لخرقه فقد و الله سئمت البحث عن عواره و إبداء شناره. وقال الإمام أيضا: و قد كسا هذا التيس الأئمة صفاته. و قال الإمام أيضا: أبدى هذا الأحمق كلاما ينقض آخره أوله فى الصفات و ما ينبغى لمثله أن يتكلم فى صفات الله تعالى على جهله و سخافة عقله. و قال الإمام أيضا قد ذكر هذا اللعين الطريد المهين الشريد، فصولا و زعم أن الأشعرية يكفرون بها فعليه لعائن الله تترى، واحدة بعد أخرى، و ما رأيت

---

١ . و هو ابن زفيل الزرعى المعروف بابن قيم الجوزية كان بمتناول يده من كتب الفرق التى كانت دمشق امتلأت بها بعد نكبة بغداد و نكبة البلاد الشرقية باستيلاء المغول عليها ما يزداد به غواية إلى غوايته و قد حشر فى مؤلفاته ما لم يفهمه و لم يهضمه من أقوال أرباب النحل شأن من خاض فى المسائل النظرية الخطرة من غير أستاذ رشيد فحصل فى تفكيره ما يحصل فى معدة الشره المتخوم فأصبحت مؤلفاته محشر الأقوال المتناقضة و لم ينخدع بها إلا من ظن أن العلم هو حشد المصطلحات من غير نظام يربط بعضها ببعض و بدون تمحيص الحق من الباطل.



جاهلا أجسر على التكفير و أسرع إلى التحكم على الأئمة من هذا الأخـرق، و تكلم السجزى فى النزول و الانتقال و الزوال و الانفصال و الذهاب و المجيء فقال الإمام و من قال بذالك حل دمه وتبرم الإمام كثيرا من كلامه معه.[١]

تأسي السبكي بإمام الحرمين في الرد على بعض جهلة أهل الحديث

و ها أنا أيضا أقتدى بالإمام فى كلامى مع هذا الجاهل متبرمـا لكـن خـشية على عقائد العوام تكلمت.

و السجزى الذى رد عليه الإمام أعرف ترجمته، محدث[٢] لا يصل ناظم هـذه

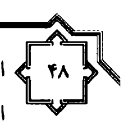
---

١ . و عن هذا السجزى يقول أبو جعفر اللبلى الأندسى فى فهرسته: و كـذالك اللعـين المعـروف بالسجزى فإنه تصدى أيضا للوقوع فى أعيان الأئمة و سرج الأمة بتأليف تالف و هو علـى قلـة مقداره و كثرة عواره ينسب أئمة الحقائق و أحبار الأمة و بحور العلوم إلى التلبيس و المراوغة و التدليس و هذا الرذل الخسيس أحقر من أن يكثرت به ذما و لا يضر البحر الخضم و لغة كلب.

ما يضر البحر أمسى زاخرا أن رمى فيـه غـلام بحجـر

فمما ذكر هذا المنافق الحائد جهله عن الحقـائق أن مـن مـذهب الأشـعرية أن النبـوة عـرض مـن الأعراض و العرض لا يبقى زمانين و إذا مات النبى زالت نبوته و انقطعت دعوته، و هـذه مـن جملة حكاياته و تقولاته المستبعدة ا هـ و سيأتى الرد على هذا الهذيان. و قد وفـاه اللبلـى الكيـل صاعاً بصاع.

٢ . و من الغريب أن السجزيين مهما علت منزلتهم فى الرواية يقل بينهم جدّا من يكون طاهر الذيل ناصع الجبين من فحش التشبيه و وصمة التجسيم كما لا يخفـى علـى مـن بحـث فـى مؤلفـاتهم بتبصر و أرى ذالك من عدوى مرض شيخ المجسمة أبى عبدالله محمد بن كرام الـسجزى الـذى بتقشفه كان سحر ألباب أهل سجستان و تاريخه فى غاية من الشهرة. وهـذا الـسجزى هـو أبـو نصر الوائلى. مؤلف الإبانة المتوفى سنة ٤٤٤ و صاحبه السعد الزنجانى بمكة مثلة فـى التـشبيه مع أنهما ينتحلان مذهب الشافعى. و من هذا الطراز الآجـرى صـاحب كتـاب الـشريعة قـبلهما ويرثى لحال من يميل إلى التشبيه مع جلالة مقداره فى الحديث و نحن لا نعول على الرجـل إلا فى العلم الذى يتقنه دون سائر العلوم فكم بين أهل الحديث من هو أنزل منزلة من العـامى فـى علم أصول الدين و الفقه و كذالك سائر العلماء فى غير علومهم.



القصيدة إلى عشره فى الحديث و لكن الإنسان يضطر إلى الكلام مع الجهال و المبتدعين صيانة لعقائد المسلمين و ليت كلامى كان مع عالم أو مع زاهد أو متحفظ فى دينه صين فى عرضه قاصد للحق و لكنها بلوى نسأل الله حسن عاقبتها و بعد أن كنت قصدت الاقتصار على اختصار مجامعها عنَّ لى هنا أن أستوعب كلماتها لأطفى جمراتها.

فصل: مناظرة خيالية بين المشبه و المنزل... إلخ

قال: «جمع مجلس المذاكرة بين مثبت للصفات و العلو و معطل» إلى أن قال: «من كلام المثبت أن كهيعص و حمعسق و ق و ن كلام الله حقيقة و أن الله تكلم بالقرآن العربى الذى سمعه الصحابة».

مراده بذالك أن كلام الله حرف و صوت و هذا الجاهل لا يفرق بين كلام الله و اللفظ الدال عليه.[1]

ثم قال: «و من قال ليس لله فى الأرض كلام فقد جحد رسالة محمد ﷺ»

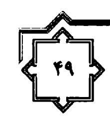
---

١ . بل بين الكلام اللفظى والكلام النفسى وفى أوائل تفسير (روح المعانى) بسط لطيف فى الكلام النفسى بحيث لا يدع شكا لمرتاب. و بعد أن انتهى الألوسى فيه من الكلام فى الكلام النفسى قال: و من أحاط بذالك اندفع عنه كل إشكال فى هذا الباب و رأى أن تشنيع ابن تيمية و ابن القيم وابن قدامة (الموفق) و ابن قاضى الجبل و الطوفى (سليمان بن عبد القوى) و أبى نصر (السجزى) و أمثاهم صرير باب أو طنين ذباب... و قد انحرفت إفكارهم و اختلطت أنظارهم فوقعوا فى علماء الأمة و أكابر الأئمة و بالغوا فى التعنيف و التشنيع و تجاوزوا فى التسخيف و التفظيع و لولا الخروج عن الصدد لوفيتهم الكيل صاعاً بصاع و لتقدمت إليهم بما قدموا باعاً بباع و لعلمتهم كيف يكون الهجاء بحروف الهجاء و لعرفتهم إلام ينتهى المراء بلا مراء:

ولى فرس للحلم بالحم ملجم — ولى فرس للجهل بالجهل مسرج

فمن رام تقويمى فإنى مقوَّمٌ — و من رام تعويجى فإنى معوج

على أن العفو للتقوى و الإغضاء مبنى الفتوة و عليه الفتوى و السادة الذين تكلم فيهم هؤلاء إذا مروا باللغو مروا كراما و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اهـ.



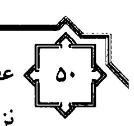
هذا الكلام يحتمل وجهين[١] لا نطول بها، ثم قال: «إن الله فوق سمواته» يقول له: أين قال الله أو رسوله إنه فوق سمواته؟ و أنت قلت مخلوقاته شئ من ذاته و لا في ذاته شئ من مخلوقاته، فقد نسبت إلى قول الله ما لم يقله. و من هو المعطل الذي عنيته فإنا لا نعرف اليوم أحدا معطلا يتظاهر بين المسلمين بل و لا معتزليا و لا فيلسوفاً يتظاهر بقول الفلاسفة[٢] فلعلك عنيت الأشعرية فإنهم القائمون اليوم من أكثر المذاهب ثم قال[٣]: «فلما سمع المعطل منه ذالك امسك ثم أسرها في نفسه و خلا بشياطينه و بني جنسه و أوحى بعضهم إلى بعض أصناف المكر و الاحتيال و راموا أمرا يستحمدون به إلى نظرائهم من أهل البدع و الضلال و

---

١ . لعله يريد وجود الكلام النفسي و وجود الكلام اللفظي فنفي وجود الثاني في الأرض نفي لوجود كتاب الله و شرعه في الأرض و هو كفر صراح و لا قائل بذالك من فرق المسلمين. و أما زعم وجود الكلام النفسي القائم بالله في الأرض فقول بالحلول كقول النصارى في الكلمة، و قد كفر غير واحد من أئمة السنة، السالمية على قولهم بأنه تعالى يقرأ على لسان كل قارئ، تعالى الله عما يأفكون. و قد ذكرنا ما يتعلق بذالك بنوع من البسط فيما علقناه على التبيين و في (لفت اللحظ إلى ما في الاختلاف في اللفظ).

٢ . هذا بالنظر إلى عهد المؤلف، فإن العلماء كانوا قائمين بواجبهم إذ ذاك يوقفون المبتدعة الذين يحاولون الاعتداء على حريم قدس الدين عند حدهم و ما ألف في الرد على هذا الزائغ و شيخه من الكتب في ذالك العصر يعد بالعشرات فضلا عن باقي أهل الضلالة. و أما اليوم فقلما تجد بين العلماء من يسهر على السنة النقية البيضاء و الدين الحنيف فاتسع المجال لتمويه الضلال و أدعو الله سبحانه أن يوقظ أهل الشأن من سباتهم العميق و يرشدهم إلى حراسة الشرع من اعتداء المعتدين.

٣ . مما اختص به ناظم القصيدة من بين دعاة الحشوية تصوير مناظرات في مسائل يدس في غضون كلام الطرفين ما يشاء من وسائل استدراج الضعفاء إلى ضلاله و هذه طريقة الأقدمين من أعداء الدين بعثها من مرقدها هذا الناظم ليصل إلى إضلالهم بطريقة روائية خيالية فمن مشى على الاستسلام له فيما يراه من مناظراته الخيالية في هذا الكتاب و في شفاء العليل و أعلام الموقعين و نحوها فإنه معرض للانحلال و سنكشف الستار عن وجوه تضليله و تدجيله بحول الله و توفيقه.



عقدوا مجلسا بيتوا فيه ما لا يرضاه الله من القول و راموا استدعاء المثبت ليجعلوا نزله ما لفقوه من الكذب و تموه فلم يتجاسروا و خذلهم المطاع فمزق ما كتبوه من المحاضر، فسعى فى عقد مجلس عند السلطان فلم يذعنوا فطالبهم بإحدى ثلاث: مناظرة فأبوا، فدعاهم إلى مكاتبة فأبوا، فدعاهم إلى المباهلة[١] بين الركن و المقام فلم يجيبوا فحينئذ عقد المثبت لله مجلسا بينه و بين خصمه و ما كان أهل التعطيل أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون.»

هذا كله مقصوده به و الله أعلم طوائف الأشعرية الشافعية و المالكية و الحنفية الذين كانوا مقاومين لابن تيمية فهم الذين يسميهم المعطلة، و كان مراده بالمثبت ابن تيمية و العاقد للمجلس فيما بينه و بين خصمه إما ابن تيمية و إما هذا النحس المتشبع بما لم يعط.

فصل: أمثال مضروبة للمعطل و المشبه والموحد

قال: «و هذه أمثال حسان مضروبة للمعطل و المشبه و الموحد»

مقصوده بالمعطل الجماعة الأشعرية، و بالموحد نفسه و طائفته، و المشبه لا وجود له عنده. و مقصود غرمائه بالمشبه هو و طائفته و بالموحد أنفسهم، و المعطل لا وجود له الآن عندهم، لأن المعطل هو المنكر للصانع، و المشبه هو الذى شبهه بخلقه و هذا على ظاهره لايوجد من يقول به لكن بما يلزم عنه، و لا شك أن لزوم التشبيه له أظهر من لزوم التعطيل لغرمائه، و إذا امتحن الإنسان نفسه قطع بأن الأشعرى ليس بمعطل و أن هذا النحس مشبه و لا ينجيه انكاره باللسان و قد اعترف على نفسه بأن من شبه الله بخلقه فقد كفر. اندفع فى ضرب الأمثلة بما لا نطول به.

---

١ . راجع الآية ٦١ من سورة آل عمران.



فصل: من قصيدته النونية

قال فى قصيدته التى أهدت الجرى إليه و فرقت سهام النبال عليه:

«إن كنت كاذبة الذي حدثتني فعليك إثم الكاذب الفتان

جهم بن[١] صفوان وشيعته الألي جحدوا صفات الخالق الديان

بل عطلوا منه السماوات العلى والعرش آخلوه من الرحمن»

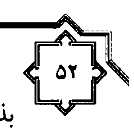
أما جهم فمضى من سنين كثيرة و لا يعرف اليوم أحد على مذهبه فعلم أن مراد هذا الناظم بالجهمية الأشعرية من الشافعية و المالكية و الحنفية و فضلاء الحنابلة فليعلم اصطلاحه و كل ما ينسبه إلى الجهمية فمراده بها هؤلاء. و المعتزلة يشاركون الأشعرية فى ذالك لكن ما منهم أحد موجود فى هذه البلاد و إن كان موجودا فلا ظهور له، فكلما قال هذا الناظم عن جهم فى هذه القصيدة فمراده، الذى مذهبه مذهب الأشعرى.

فصل: تخيل الناظم في أفعال العباد... إلخ

قال:

و العبد عندهم فليس بفاعل بل فعله كتحرج الرجفان

١ . جهم بن صفوان زائغ باتفاق بين أهل السنة و المعتزلة، يقول بنفى الخلود فى الجنة و فى النار، وتابعه ناظم القصيدة فى شطر هذا المعتقد حيث يقول لا خلود للكفار فى النار تبعا لشيخه و هو كفر عند جمهور أهل الحق. و كان جهم منبوذا لم يبق بعد قتله من تابعه أصلا و من يقال فيه من المتكلمين إنه جهمى من قبيل النبز بالألقاب، و قد توسعت فى بيان ذالك بعض توسع فيما علقته على الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة و ليس بين المعتزلة فضلا عن الأشاعرة من ينفى أن الله سبحانه عالم قدير سميع بصير... إلى آخر تلك الصفات الواردة فى الكتاب و السنة المشهورة حتى يصح رميهم بجحد الصفات و جل الإله سبحانه من أن يكون له مكان يحويه فلا يقال إن السماء ظرف له و لا إن العرش مستقر ذاته فأين فى كتاب الله مثل ذالك أو تفسير الاستواء بالاستقرار إنما هو قول مقاتل بن سليمان شيخ المجسمة و قول الكلبى الزائغ.



كذب هذا الجاهل في قوله: إن العبد عندهم ليس بفاعل. و لكن مراده بذالك قولهم: إنه لا يخلق فعله. و ليس بخالق و الله سبحانه هو خالق أفعال العباد، فاعتقد هذا الجاهل[١] بسبب ذالك أنهم يقولون إنه ليس بفاعل. و كون العبد ليس بخالق حق، و كونه ليس بفاعل باطل، و الفاعل من قام به الفعل و الفعل قائم بذات العبد، و الخالق من أوجد الفعل و لا يوجده إلا الله. و قوله: كتحرك الرجفان جهل منه فإنه لم يفرق بين الجبر و مذهب الأشعري ثم قال:

و الله يصليه على ما ليس من   أفعاله حر الحميم الآن

استمر هذا الجاهل على جهله و كذبه. و كذالك قوله: «لكن يعاقبه على أفعاله» ثم قال: «و الظلم عندهم المحال لذاته» نعم إن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴿وَمَا رَبك بِظَلَاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] و كيف يتصور الظلم و الكل ملكه ثم قال: «أني ينزه عنه و يكون مدحا ذالك التنزيه» قلنا يا جاهل اجترأت على الله و على عباده فلم تفرق بين الفعل و الخلق و ظننت بجهلك أنهما سواء و أنه لا يعاقب على فعله، و قلت: «ما هذا بمعقول لذي الأذهان» و أي ذهن لك حتى تعقل به و أنت عن تعقل احكام الربوبية بمعزل؟ و هل مثلك و مثل من هو أكبر منك إلا كمثل الخفاش بالنسبة إلى ضوء النهار؟

---

١ . أقل ما يقال في هذا الناظم أنه جاهل، فإذا طالعت ما ذكره في شفاء العليل عن كسب العبد تجده ينقل عن نظامية إمام الحرمين قوله في أفعال العباد فيسايره الى أبعد حد ثم يتراجع فيقع في أحط دركات الجبر ثم يقع في المعتزلة وقيعة لا مزيد عليها ثم تجده يسبقهم في التجرؤ و الحاصل أنه جمّاع لآراء الناس من غير أن يعقلها على وجوهها فيتخبط تخبط من به مس، و هو يصور مناظرات خيالية بين سني و جبري و أخرى بين سني و قدري، في شفاء العليل يدس في خلالها أمورا ينقض بعضها بعضا و ذالك كله من سوء فهمه و ضغطه لذهنه بشتى الأنظار التي هو غير مستأهل لتحقيقها و تمحيص الحق من بينها فتتشوه الحقائق في ذهنه و تكتسي أسمج الصور كما هو شأن ما ينعكس في المرايا المحدبة و المقعرة و شأن من اختلت بصيرته، نسأل الله العافية.



فصل

قال:

وكذاك قالوا ما له من حكمة[١] هي غاية للأمر و الإتقان

انظر هذه الجراءة و الكذب و البهت على العلماء و ما قال إنهم نسبوه إلى الله ثم قال:

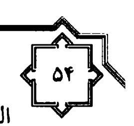
ما ثم غير مشيئة قد رجحت مثلاً على مثل بلا رجحان

أبصر هذا الفدم البليد الفهم ساء سمعاً فساء إجابة كانه سمع كلام الأشعرية فما فهمه و ظن أنهم يقولون إن الأفعال كلها سواء بالنسبة إلى كل شيء و إن المشيئة رجحت بعضها على بعض مع تساويها و أنه ما ثم غير المشيئة و جعل المشيئة هى المرجحة و لم يذكر القدرة و التبس عليه الرجحان الحاصل فى الفعل بالرجحان الذى هو موجب للفعل أو باعث عليه، و من لا يكون اشتغل بشيء من العلوم كيف يتكلم فى هذه الحقائق؟ ثم قال:

هذا و ما تلك المشيئة و صفه بل ذاته أو فعله قولان

---

١ . و لا قائل بذالك مطلقا بين فرق المسلمين، الذين علموا من الدين بالضرورة أن الله عزيز حكيم، و أما كون أفعال الله سبحانه غير معللة بالأغراض فليس من نفى الحكمة فى شيء بل من قبيل التهيب و الاحتراز من القول بأن هناك غرضا يحمل الله سبحانه على الفعل استحصالا لذالك الغرض الذى لا يحصل إلا بذالك الفعل. و لا يخفى أن هذا مما يجب الاحتراز منه لعدم ورود إطلاق مثل ذالك فى الكتاب و السنة و لما فى ذالك من الاستكمال بالغير. و أما قول محققى أهل الفقه بوجود حكم و مصالح فيها ترجع إلى العباد سواء عقلناها أو لم نعقلها فليس فيه ما يوجب التهيب بل هو محض الصواب هذا عند القائلين بأن الله فاعل بالاختيار كما هو الحق و أما الذين يعدونه فاعلا بالإيجاب كالفلاسفة فلا يتصورون هناك لا غرضاً و لا حكمة و ليس المراد هنا بالوجوب الضرورة بشرط المحمول. و من الغريب أن ابن القيم قائل بالإيجاب حتى تراه يدافع عن أن الحوادث لا أول لها ومع ذالك يرى أنها معللة بالأغراض و ما هذا إلا تهاتر.



ليتنى ما شرعت فى الكلام مع هذا... ينبغى أن يطالب بالقولين على هـذه الصورة و بالقول بأنه ما تلك المشيئة وصفه و إنما سمع كلاما إما من كلامهـم و إما من شيخه فما فهمه هو أو ما فهمه شيخه و عبر عنه بهذه العبارة الرديئة، و إن أراد بهذا البيت المعتزلة فقد خلط كلام المعتزلة بكلام الأشعرية.

ثم قال: و كلامه مذ كان غيرا كان مخلوقا له

هذا بالنسبة إلى المعتزلة ثم قال:

قـالـوا و إقـرار العبـاد بأنه　　　خلاقهم هو منتهى الإيمان

لم يقولوا كذالك، أما أولاً فلأنه لابد مـن الـشهادتين، و أمـا ثانيـا فمنتهـى الإيمان يشعر بالإيمان الكامل و لم يقل بهذه أحد، و أما ثالثا فقوله «فالنـاس فـى الإيمان شيء واحد» ليس مما يحسن[1] و أما رابعا فكما ذكره عن أبى جهل و غيره[2]

---

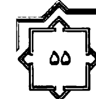
١ . لأنه إن أراد أن الناس متساوون فى الإيمان فهذا باطل لأن من الناس من هـو مـؤمن و مـن هـو كافر و إن أراد أن المؤمنين متساوون فى الإيمان فلا يصح ذالك أيضا فـإن مـنهم مـن هـو كامـل الإيمان باستكمال العمل و منهم من هو غير كامل الإيمان بإخلاله بالعمـل و إن كـانوا متـساوين فى المؤمن به وفى الجزم المنافى لتجويز النقيض، على أن طريق حصول هذا الجـزم مختلـف فـى المؤمنين فيتفاوت إيمانهم باعتبار عدم قبولـه الـزوال أصـلا أو قبولـه الـزوال بـبطء أو بـسرعة، فالعامى الجازم معرض لزوال الإيمان بأدنى تشكيك و العالم الجازم بالبراهين يمكن زوال إيمانـه بطروء شبهة، و إيمان الأنبياء لا يحتمل الزوال أصلا لأن طريق حصوله الوحى و المشاهدة.

٢ . من عبدة الأوثان و اليهود والنصارى و فرعون و قارون و هامان و نحوهم. و لو تذكر ابن القيم قول يوسف ﷺ [كما حكى القرآن الكـريم] ﴿**أأربـاب مُتَفَرِّقُـونَ خَـيرٌ أم اللهُ الوَاحِـدُ القَهَّـار**﴾ [يوسف: ٣٩] و قول إبراهيم ﷺ [كما حكى القرآن الكريم] ﴿**ءَإفكا آلِهَـةً دُونَ اللهِ تُرِيـدُونَ**﴾ و قول الكفار حينما دعاهم الرسول ﷺ إلى كلمة التوحيد [كما حكى القـرآن الكـريم] ﴿**أجَعَـلَ الآلِهة إلهاً واحِداً**﴾ [ص:٥] و قوله فى التلبية «**لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لـك إلا شريـك هو لك تملكه و ما ملك**» لاستحيا أن يفوه بذالك و بقوله:

هل كان فيهم منكـر للخـالق　　　الرب العظيم مكون الأكوان

فليبشروا ما فـيهم مـن كـافر　　　هم عند جهم كـاملو الإيـمان

←



أنه لم يكن فيهم منكر للخالق، يكفى فى الرد عليه أن كل من سمعه يتخذه ضحكة.

فصل:

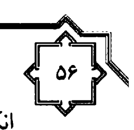
قال: «وقضى ـ يعنى جهما ـ و شيعته الذين هم الأشعرية بزعمه بأن الله كان معطلاً، و الفعل ممتنع بلا إمكان ثم استحال و صار مقدوراً له من غير أمر قام بالديان» مقصوده أن الله ما زال يفعل و هذا يستوجب[١] القول بقدم العالم و هو كفر.

فصل: استنكار الناظم إعادة المعدوم.... إلخ

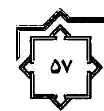
قال: «وقضى الله بأن يجعل خلقه عدماً و يقلبه وجوداً يعيد ذا المعدوم، هذا المعاد و ذالك المبدأ لذى جهم و قد نسبوه للقرآن هذا الذى قاد ابن سينا و الألى قالوا مقالته إلى الكفران لم تقبل الإذهان ذا، و توهموا أن الرسول ﷺ عناه بالإيمان، هذا كتاب الله أنى قاله أو عبده أو صحبه أو تابع، بل صرح الوحى بأنه مغير الأكوان و تحدث الأرض و تشهده أفيشهد العدم».

فأين توحيد الربوبية والألوهية من توحيد الخالقية والرازقية؟ على تقدير تسليم شمول آية توحيد الخالقية لهم بل الضمير فى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ بعيد عن العموم. و معتقد المؤمنين: أنه لا رب و لا إله و لا خالق و لا رازق سوى الله عز وجل. و هذا هو إيمان المؤمنين على رغم تقول الزائغين المائلين إلى الخوارج المستهجنين لمعتقد المؤمنين.

١ . و هذا الاستلزام بين و ما يقال من أن لازم المذهب ليس بمذهب إنما هو فيما إذا كان اللزوم غير بين، فاللازم البين العاقل مذهب له و أما من يقول بملزوم مع نفيه للازمه البين فلا يعد هذا اللازم مذهبا له لكن يسقطه هذا النفى من مرتبة العقلاء إلى درك الأنعام و هذا هو التحقيق فى لازم المذهب فيدور أمر القائل بما يستلزم الكفر لزوماً بينا بين أن يكون كافراً أو حماراً.



أجمع المسلمون على أن الله قادر على أن يعدم الخلق ثم يعيده و على أن انكار ذالك كفر و جمهور المسلمين على أن الواقع ذالك لقوله تعالى: ﴿كل مَن عَلَيهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] و ﴿كل شَيءٍ هَالك إلَّا وَجهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] و قيل إن الأجسام تتفرق ثم تعاد و قوله (أفيشهد العدم) أنحن قلنا تشهد و هى عدم إنما تشهد بعد الإعادة فانظر كلام هذا الجاهل و قوله (لم تقبل الإذهان ذا) إن كان ينكر امكانه (و كونه مقدوراً لله) فهو كافر و إن لم ينكر إلا وقوعه فهو مذهب ضعيف. ثم قال «هذا الذى جاء الكتاب و سنة الهادى به، ما قال إن الله يعدم خلقه طرّا كقول الجاهد الحيران» أقول قد قال تعالى ﴿كما بَدَأنَا أوَّلَ خلق نُعيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] و لو كانت الإعادة جمع الأجزاء بعد تفريقها أو الإتيان بغيرها لم تنطبق على الآية فإن الآية تقتضى أن جميع ما بدأ به الخلق يعيده و إنما يكون كذالك إذ أعدمه ثم أعاده بعينه، و الله قادر على ذالك و قال تعالى ﴿وَهُوَ أهوَنُ عَلَيهِ﴾ [الروم: ٢٧] و إنما أهون بالنسبة إلى الشاهد لأن الإعادة فى الشاهد فعل على مثال و هو أهون من الابتداء لأنه فعل على غير مثال مع اشتراكهما فى الإخراج من العدم إلى الوجود. و عند هذا المتخلف ما أخرج المعاد من العدم إلى الوجود بل من صفة إلى صفة يتعالى الله عن قوله فهذا القول منه بما دل عليه من أن الإبراز من العدم إلى الوجود فى الإعادة غير مقدور، كفر إلا إذا تأول على الوقوع مع الموافقة على الأمكان و ليس ظاهر الكلام ففى قبول قوله إذا ادعاه نظر لأن هذا يتكرر و تكرير هذه الأمور يشبه الزندقة.



فصل: زعم الناظم قيام الله بالحوادث

قال: «و قضى بأن الله ليس بفاعل فعلاً يقوم[١] به بلا برهان» مقصود الناظم أن الله يفعل فعلا فى ذاته فيكون محلا للحوادث، تعالى الله عن قوله، فنسب إلى جهم خلاف قوله و أنه بلا برهان. و هذا الناظم لا يعرف حقيقة البرهان ثم قال: «و الجبر مذهبه» إن أراد نفس جهم فهو ليس بموجود و الكلام معه ضياع و إن أراد الأشعرى فقد كذب فى قوله (إن الجبر مذهبه) ثم قال: «لكنهم حملوا ذنوبهم على رب العباد» هذا كذب أيضا عليهم فإن الجبرية يقولون إن الله تعالى يعذب من يشاء بذنب و بغير ذنب، له ذالك ﴿لا يُسأَلُ عَمَّا يَفعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. و قوله:

و تبرأوا منها و قالوا إنها ... أفعاله ما حيلة الإنسان

ما يتبرأ منها على هذه الصورة إلا ملحد، و الذى يعتقد ذالك يقول إنه تعالى يفعل ما يشاء و أطال الناظم فى هذا كثيراً بجهل و صبية أو تقليد لمن هو

---

١ . قال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر البغدادى فى كتاب (الأسماء و الصفات): إن الأشعرى و أكثر المتكلمين قالوا بتكفير كل مبتدع كانت بدعته كفرا أو أدت إلى كفر، كم زعم أن لمعبوده صورة أو أن له حدّا و نهاية أو أنه يجوز عليه الحركة و السكون... و لا إشكال لذى لب فى تكفير الكرامية مجسمة خراسان فى قولهم إنه تعالى جسم له حد و نهاية من تحته و أنه مماس لعرشه و أنه محل الحوادث و أنه يحدث فيه قوله و إرادته ا. هـ . (راجع الفتاوى الحلبيات فى أجوبة المؤلف عن ٦٤ مسألة سأله عنها الشهاب الأذرعى) و كثيرا ما ترى الناظم يلهج بقيام الأفعال الحادثة بالله تعالى و ينطق بلوازم الجسمية و التشبيه بكل صراحة و فى مثله قال القائل:

كم تزرع التشبيه فى ... سنخ القلوب فما انزرع
فاهجر دمشق و أهلها ... و اسكن ببصرى أو زرع
فهناك يمكن أن يصـ ... ـدق ما تقول و يستمع

و حق أمصار المسلمين أن لا تروج فيها أمثال تلك الأباطيل، و أن ترج فإنما تروج فى مثل بصرى بلد ابن زكنون أو زرع بلد الناظم أو تلك القفار التى لا يشع فيها نور غير نور الشمس.

مثله ثم قال:

و كذالك أفعال المهيمن لم تقم أيضا به خوفاً من الحدثان

فإذا جمعت مقالتيه أنتجا كذبا (وزوراً واضح البهتان)

يعنى أن فعل العبد فعل الله و فعل الله ما هو فى ذاته إنتاجاً بجهله ما يقوله و هو قوله:

فهناك لا خلق و لا أمر و لا وحي و لا تكليف عبد فان

ما هذه إلا قحة و بلادة يأخذ ما يتوهمه لازما فيستنتج و ينكر على الناس إلزامه التجسيم اللازم، ثم قال:

فانظر إلى تعطيله الأوصاف[1] والـ ـأفعال و الأسماء للرحمن

يا جاهل من قال بحدوث الأفعال كيف يلزمه التعطيل؟ ثم قال:

ماذا الذي في ضمن ذا التعطيل نفي و من حجد و من كفران

إذا رجعنا إلى الخلاف بينك و بينه وجدناك كاذباً عليه ليس فى القول بحدوث الأفعال لا نفى و لا جحود و لا كفران، ثم قال:

لكنه أبدي المقالة هكذا في قالب التنزيه للرحمن

وأتى إلى الكفر العظيم فصاغه عجلا ليفتن أمة الثيران

---

١ . و الناظم المسكين قائل بحوادث لا أول لها انخداعاً منه بشبه أوردها الفلاسفة فى بحث الحدوث غير متصور اتصاف الله سبحانه بصفاته العليا قبل صدور الأفعال منه تعالى و استنكار شيخه (كان الله و لم يكن معه شيء) مما استبشعه ابن حجر فى فتح البارى جد الاستبشاع. و حدوث الأفعال فيها لا يزال لا يلزم منه تعطيل الصفات أصلا لا فى زمن حدوث الأفعال و لا فى غيره و هو تعالى سريع الحساب و شديد العقاب قبل خلق الكون و قبل النشور و هل يتصور عاقل أن يحاسب الله خلقه أو يعاقبه قبل أن يخلقهم؟ و هذا يهدم مزاعم الناظم الذى يجرى الصفات على مجرى واحد، فالله القادر مختار يفعل ما يشاء متى شاء.



الله عند لسان كل قائل. الرجل إنما قال ذالك في قالب التنزيه و لم نعلم نحن باطنه فمن أين لك أنه قصد خلافه و صاغ الكفر عجلا ثم قال:

فرآه ثيران الورى فأصابهم كمصاب أخوتهم قديم زمان

إن أراد طائفة لا وجود لها فما في ذكرها من فائدة، و إن أراد خصمائه من الأشعرية و نحوهم فيا لها من مصيبة جعلهم ثيراناً إخوة اليهود ثم قال:

عجلان قد فتنا العباد بصوته أحداهما و بحرفة ذا الثاني

و ذكر أبياتاً إلى أخرها، و الله أعلم أنه يقصد بها ربط قلوب الناس على أنه لا مسلم إلا هو وطائفته و سائر الناس كفار كاليهود الذين عبدوا العجل فيا ترى من أحق بشبه من عبد العجل؟ المجسم أم غيره؟

فصل

ثم قال:

يا أيها الرجل المريد نجاته اسمع مقالة ناصح معوان

واضرب بسيف الوحي كل معطل ضرب المجاهد فوق كل بنان

من ذا يبارز فليقدم نفسه أو من يسابق يبد في الميدان

و يلك من أنت؟ أو أنت تعرف المبارزة أو حضرت قط مبارزة أو ميداناً؟

ثم قال:

لا تخش من كيد العدو ومكرهم فقتالهم بالكذب و البهتان

فجنود أتباع الرسول ملائك و جنودهم فعساكر الشيطان

انظر كيف يقول عن خصومه و هم هداة العالم إنهم عساكر الشيطان و إن قتالهم بالكذب و البهتان ثم قال: «فإذا رأيت عصابة الإسلام قد وافت» يعني



عصابة طائفته فانظر دلالته على كفر غيره «فاذا دعوك لغير حكمها» يعني الكتاب و السنة «فلا سمعا لداعي الكفر والعصيان» فانظر إلى إيهامه العوام أن خصومه يدعون إلى غير الكتاب و السنة. ثم قال:

واسمع نصيحة من له خبر بها — عندالورى من كثرة الجولان

ما عندهم و الله خير غير ما — أخذوه عمن جاء بالقرآن

نعم و لكنهم فهموه و أنت ما فهمته ثم قال:

و الكل بعد فبدعة أو فرية — أو بحث تشكيك ورأى فلان

(كانه يصف طائفته)

فصل: عقد مجلس خيالي.. كلامه في وحدة الوجود

و هذا أول عقد مجلس التحكيم قال:

واحكم إذا في رفقة قد سافروا — يبغون فاطر هذه الأكوان

فترافقوا في سيرهم و تفارقوا — عند افتراق الطرق بالحيران

فأتى فريق ثم قال وجدته — هذا الوجود بعينه و عيان

فهو السماء بعينها و هو الغمام بعينه و هو الهواء بعينه، هذه بسائطه و منه تركبت هذه المظاهر[١] يلبسها و يخلعها و تكثر الموجود كالأعضاء فى المحسوس

---

١ . فتكون المظاهر على ما صوره الناظم محلا له تعالى، تعالى الله عن ذالك، و أما كون الشيء مجلى لشيء فلا يفيد كونه محلا له، فإن الظاهر فى المرآة مثلا خارج عنها بذاته قطعا بخلاف الحال فى محل، فإنه حاصل فيه فالظهور غير الحلول فإن الظهور يجامع التنزيه بخلاف الحلول عند أشياع الشيخ الأكبر، و أما كونه كلا والكون جزءاً له على ما ذكره الناظم فعلى خلاف ما اشتهر عنهم أن العالم أعراض مجتمعة فى عين واحد كالثلج مع الماء، تعالى الله عما يأفكون، و الواجب تعالى عندهم هو الوجود المحض المجرد عن الماهية القائم بذاته المتعين بذاته المطلق حتى عن قيد ←



أو كالقوى فى النفس. هذه مقالة. أو كتكثر الأنواع فى جنس فيكون كليّا و جزئياته هذا الوجود[١] فهذان قولان الأول نص الفصوص و ما بعده قول ابن سبعين و ما القولان عند العفيف التلمساني الذى هو غاية فى الكفر إلا من الأغلاط فى حس و فى وهم و تلك طبيعة الإنسان و الكل شىء واحد» و أطال فى أقوالهم.

حتى عن قيد الإطلاق بمعنى أنه واحد شخصى موجود بوجود هو نفسه فلا يكون المطلق عندهم بمعنى الكلى حتى يرد على ذالك ما أورده السعد فى شرح المقاصد من تسعة أوجه، و أول من نطق بوحدة الوجود فى الإسلام ـ فيما نعلم ـ هو جهم بن صفوان، و لذالك ذهب إلى الجبر، فكم فتح هذا الرأى من أبواب للإباحة و الزندقة على شرار الخلق، و أما القول بأن الممكن الوجود كلا موجود بالنظر إلى واجب الوجود لاحتياجه إليه بدءا و دواما فليس من الخطر فى شىء كالقول بأن ذالك حالة خيالية تطرأ للسالك المقبل إلى الله بكليته ثم تنجلى كما ذكره السعد فى شرح النسفية و الناظم فى كثير من كتبه و من الصوفية من يتصور مسألة الوجود بحيث لا يخل بالتكليف و التنزيه و يقول إنه طور وراء طور العقل و لا كلام لنا فيما هو وراء طور العقل.

١ . و لا وجود للكلى إلا فى ضمن جزئياته فيكون الواجب هو العالم و هو عين مذهب الطبيعيين على تصوير الناظم خذلهم الله. على أن هذا التصوير يخالف ما قرره ابن سبعين فى بدء العرف فليراجع و ترى شيخ النظام ينسب إلى الصدر القونوى القول بأنه الموجود المطلق لا بشرط شىء و إلى ابن سينا القول بأنه الوجود المطلق بشرط الإطلاق فيعده نافيا للصانع باعتبار أن ما هو بشرط الإطلاق لا وجود له إلا فى الأذهان، لكن الفلاسفة، و منهم ابن سينا ـ يرون أن الواجب هو الوجود المقيد بقيد التجرد، بمعنى اللاعروض، و هو مبدأ الكون كله، فعلم أن شيخ الناظم لم يحك كلام ابن سينا على الوجه، و تغابى عن فهمه كما سبق مثل ذالك. و رأى الصدر القونوى يظهر من مفتاحه. و الحاصل أن بحث وحدة الوجود بحث خطر متشعب والموفق من وقاه الله شره، و ممن توسع فى رد ذالك القاضى عضد الدين فى المواقف.

فصل

قال:

و أتـى فريـق ثـم قـال وجدتـه بالذات موجـوداً بكـل[١] مكـان

هـو كـالهواء بعينـه لا عينـه مـلأ الخـلاء و لا يـرى بعيـان

و القوم ما صانوه عـن بئـر و لا قـبر و لا حـش و لا أعطـان

وعلـيهم ردّ الأئمـة أحمـد و صحابه مـن كـل ذى عرفـان

فهم الخصوم لكل صاحب سنة وهـم الخـصوم لمنـزل القـرآن

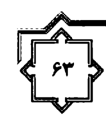
هؤلاء أيضا ليس علينا منهم.

فصل

ثم قال:

---

١ . و هذا بظاهره قول بالتجسيم كقول من يقول إنه مستقر على العرش، و إن كان مراده أنه لا يوصف بمكان دون مكان، بل نسبته إلى الأمكنة على حد سواء لتعاليه عن الجهات، فهو قول متكلمى أهل السنة و المعتزلة، و لعل هذا اللفظ من حكى هذا المذهب تشنيعاً، و أما إن كان بيانا لمذهب جهم على خلل فى اللفظ فهو داخل فى الفريق القائل بوحدة الوجود، فلا وجه لإفراده بكل حال. و نسبة كتاب (الرد على الجهمية) الذى فيه الرد على هؤلاء إلى أحمد نسبة كاذبة، و راويه الخضر بن المثنى مجهول، و قد أنصف الذهبى حيث قال: و فى النفس شيء من صحة هذه النسبة. و يقول الناظم فى عزوه: إن الخضر المذكور عرفه الخلال. لكن لو كان بمثل هذا القول تزول الجهالة لما وجد بين الرواة مجهول أصلا، على أن نظرنا إلى الخلال وغلامه ليس كنظر الناظم و شيخه إليهما فضلا عمن دونهما فى السند من مقلدة الحشوية بل فى متن (الرد على الجهمية) ما يجل مقدار أحمد عن أن يفوه بمثله جزماً.



«و أتى فريق[١] ثم قارب وصفه ... هذا ولكن جد فى الكفران
فأسر قول معطل و مكذب ... فى قالب التنزيه للرحمن
إذ قال ليس بداخل فينا و لا ... هو خارج عن جملة الأكوان
بل قال ليس ببائن عنها و لا ... فيها و لا هو عينها ببيان
كلا و لا فوق السموات العلى ... و العرش من رب و لا رحمان
والعرش ليس عليه معبود سوى ... العدم الذى لا شيء فى الأعيان
بل حظه من ربه حظ الثرى ... منه و حظ قواعد البنيان
لو كان فوق العرش كان كهذه الـ ... ـأجسام سبحان العظيم الشأن»

يعنى أن هذا من قولهم، ثم قال:

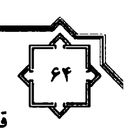
«و لقد وجدت لفاضل منهم مقا ... ماً قامه فى الناس منذ زمان»

فى قوله ﷺ «**لا تفضلونى على يونس**» قد كان يونس فى قرار البحر و محمد صعد السماء و جاوز السبع الطباق، و كلاهما فى قربه من ربه سبحانه إذ ذاك مستويان.

فاحمد الهك أيها السنى إذ ... عافاك من تحريف ذى بهتان
و الله ما يرضى بهذا خائف ... من ربه أمسى على الإيمان
هذا هو الإلحاد حقّا بل ... هو التحريف محضا أبرد الهذيان
و الله ما بلى المجسم قط ذى الـ ... ـبلوى و لا أمسى بذى الخذلان
أمثال ذا التأويل أفسد هذه الـ ... ـأديان حين سرى إلى الأديان

---

١ . و هم أهل السنة خصوم كل مجسم و زائغ، و هم يقولون إنه لا يقال إن الله فى داخل العالم، كما لا يقال إنه فى خارج العالم، و لا إنه مستقر على العرش لأن ذالك لم يرد فى الكتاب و لا السنة، و لأن ذالك شأن الأجسام، و من جوز فى معبوده الدخول و الخروج و الاستقرار فهو عابد وثن، و يؤيدهم البراهين و الآيات الواردة فى التنزيه. و ليس للمشبهة شبه شبهة فى ذالك كما سيأتى رغم أنف هذا الناظم الزائغ.

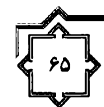


والفاضل الذى أشار إليه[1]... و تفسيره للحديث المذكور بما قاله صحيح، و قد سبقه إليه إمام دار الهجرة نجم العلماء أمير المؤمنين فى الحديث، عالم المدينة أبو عبدالله مالك بن أنس حكى ذالك الفقيه الإمام العلامة قاضى قضاة الإسكندرية ناصر الدين بن المنير المالكى[2] الفقيه المفسر النحوى الأصولى الخطيب الأديب البارع فى علوم كثيرة فى كتابه(المقتفى فى شرف المصطفى) لما تكلم على الجهة و قرر نفيها، قال: و لهذا المعنى أشار مالك رحمه الله فى قوله ﷺ: **«لا تفضلونى على يونس بن متى»** فقال مالك: إنما خص يونس للتنبيه على التنزيه لأنه ﷺ رفع إلى العرش، و يونس عليه السلام هبط إلى قابوس البحر، و

---

١ . وهنا بياض فى أصل المؤلف و المراد بذالك الفاضل هو إمام الحرمين عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجوينى، و قد ذكر غير واحد من أهل العلم منهم ابن فرح القرطبى فى تذكرته رواية عن القاضى أبى بكر ابن العربى عن غير واحد من أصحاب إمام الحرمين عنه ما معناه: أن ذا حاجة حضر عنده و شكا من دين ركبه فأشار إليه بالمكث لعل الله يفرج عنه و فى أثناء ذالك حضر غنى يسأله عن الحجة فى تنزه الله سبحانه عن الجهة فقال إمام الحرمين: الأدلة على هذه كثيرة جدّا، منها نهيه ﷺ عن تفضيله على يونس عليه السلام. فصعب فهم وجه دلالة ذالك على الحضور فسأله السائل عن وجه الدلالة فقال إمام الحرمين: حتى تقضى حاجة هذا ـ مشيرا إلى صاحب الدين ـ فتولى قضاء دينه، ثم أجاب الإمام قائلا: إن هذا الحديث يدل على أن النبى ﷺ و هو عند سدرة المنتهى لم يكن بأقرب إلى الله من يونس عليه السلام و هو فى بطن الحوت فى قعر البحر، فدل ذالك على أنه تعالى منزه عن الجهات. و إلا لما صح النهى عن التفضيل، فاستحسنه الحاضرون غاية الاستحسان و لفظ البخارى (لا يقولن أحدكم إنى خير من يونس ابن متى) و المعنى واحد و ذكره القاضى عياش فى الشفاء على لفظ المؤلف، و من أطلق الكفر على إثبات الجهة فى غاية من الكثرة بين الأئمة، و من الدليل على تنزه الله سبحانه عن الجهة حديث **«أقرب ما يكون العبد من ربه و هو ساجد»** أخرجه النسائى و غيره.

٢ . صاحب «البحر الكبير فى نخب التفسير» الذى يقول عنه بعض المحققين إنه لم يؤلف فى التفسير مثله و هو من مفاخر المالكية فى القرن السابع بل من مفاخر علماء الإسلام طرا، و يوجد بدار الكتب المصرية جزء من هذا التفسير و كتابه المقتفى يتوسع فى بيان الإسراء.



نسبتهما مع ذالك من حيث الجهة إلى الحق جل جلاله نسبة واحدة! و لو كان الفضل بالمكان لكان عليه الصلاة و السلام أقرب من يونس بن متى و أفضل مكاناً، و لما نهى عن ذالك. ثم أخذ الفقيه ناصر الدين يبدى أن الفضل بالمكانة لأن العرش فى الرفيق الأعلى، فهو أفضل من السفل، فالفضل بالمكانة لا بالمكان، فانظر أن مالكا ﷺ ـ و ناهيك به ـ قد فسر الحديث بما قال هذا المتخلف النحس، إنه إلحاد، فهو الملحد عليه لعنة الله[1] ما أوقحه و ما أكثر تجرأه؟! أخزاه الله.

فصل: الفوقية الحسية... إلخ

ثم قال:

«و أتى فريق ثم قارب وصفه هـذا وزاد عليه فى الميزان

قال اسمعوا يا قوم لا تلهيكم هذى الأمانى هن شر أمانى

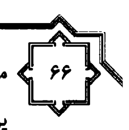
أتبعت راحلتى و فتشت، ما دلنى أحد عليه إلا طوائف بالحديث تسمكتْ، تعزي مذاهبها إلى القرآن، قالوا: الذى تبغيه فوق عباده[2] فوق السماء و فوق كل

---

١ . ترى المؤلف على ورعه البالغ يستنزل اللعنات على الناظم فى كثير من مواضع هذا الكتاب، و هو يستحق تلك اللعنات من حيث خروجه على معتقد المسلمين بتلك المخازى، لكن الخاتمة مجهولة، فالأولى كف اللسان الآن عن اللعن. و أما استنزال المؤلف اللعنة عليه فكان فى حياة الناظم و هو يمضى على زيغه و إضلاله عامله الله بعدله.

٢ . و الوارد فى القرآن الكريم ﴿وَ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ﴾ [الإنعام: ١٨] و من الخرق أن يظن من قوله تعالى عن القبط ﴿وَ انّا فَوْقَهُم قاهِرونَ﴾ [الأعراف:١٢٧] ركوب القبط على أكتاف بنى إسرائيل مع إمكان ركوب جسم على جسم، و كيف يتصور ذالك فى الله تعالى المنزه عن الجسم و لوازم الجسمية و اعتبار ذات الله فوق عباده فوقية مكانية إلحاد ليس من مدلول الآية فى شيء و كون ذاته جل جلاله فوق إحدى السماوات فوقية مكانية و فوق كل مكان فوقية مكانية مثل ما سبق فى الزيغ، و أين فى القرآن ما يوهم ذالك؟ على أن القول الأخير موافقة منه

←



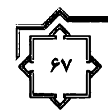
مكان و هو الذى حقا على العرش استوى و إليه يصعد كل قول طيب و إليه يرفع سعى ذى الشكران، و الروح والأملاك منه تنزلتْ و إليه تعرج و إليه أيدي السائلين توجهتْ، و إليه قد عرج الرسول ﷺ و إليه قد رفع المسيح حقيقة و إليه يصعد روح كل مصدق، لكن أولو التعطيل منهم أصبحوا مرضى بداء الجهل و الخذلان.

تسمية الناظم أهل الحق بحزب جنكيز خان

فسألت عنهم رفقتى أصحاب جهم حزب[1] جنكيزخان. من هؤلاء؟ قال

لمن يقول إن ذاته جل شأنه بكل مكان و كفى هذا تهاترا، و إن كان يريد بالاستواء الاستقرار تبعا لمقاتل بن سليمان شيخ المجسمة فقد استعجمت عليه الآية الكريمة و تباعد عن بلاغتها أيما تباعد وقد أوضحت ذالك فى (لفت اللحظ إلى ما فى الاختلاف فى اللفظ) و نسبة الصعود إلى الأعراض و المعانى من الدليل فى أول نظر على أنه مجاز من القبول و ماذا من نزول الملائكة من السموات و عروجهم إليها. و إليه تعالى قصد السائلين، لكن رفعهم الأيدى إلى السماء ليس فيه شىء من الدلالة على استقرار وجود ذاته فى السماء و إنما ذالك لمجرد أن السماء قبلة الدعاء و منزل الأنوار و الأمطار و الخيرات و البركات ﴿وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ﴾ [الذاريات: ٢٢] و سمْتُ الرأس مما يتبدل آنا فآنا كما يعرف ذالك صغار التلاميذ فى المدارس، فهل ذات معبود الناظم فى تنقل دائم لا يبرح سمت رأسه؟! و ما حال سائر الداعين فى أقطار الأرض؟ و هذا هو الجهل المطبق. لم يكن إسراء النبى ﷺ ليغشى مكان الله ـ سبحانه عن المكان ـ بل أسرى به ربه ليريه من آياته الكبرى كما نص على ذالك القرآن و مقام عيسى ﷺ يظهر من حديث المعراج فويح الناظم ما أجهله بالسنة، نعم يوجد بين النصارى من يزعم أن الابن رفع إلى السماء و جلس فى جنب أبيه، تعالى الله عما يقول المجسمة و إخوانهم النصارى و اليهود علوا كبيرا، و صعود الأرواح إلى السماء من الذى يراه صالحا ليتخذه دليلا على التجسيم؟

١ . انظر هذا الحشوى كيف يجعل أهل السنة المنزهين لله عن الجسم والجسمانيات من حزب جنكيز خان الذى اكتسح معالم الإسلام من بلاد الصين إلى حدود الشام غرباً و إلى نهر ولجا و ما والاها من بلاد البلغار القديم شمالا ذالك الكافر العريق فى الكفر، المسوّد لتاريخ البشرية بعظائمه الهجمية. و لم تزل أعين المسلمين تفيض دما على تلك الكوارث التى قضت على تلك



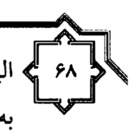
مشبهة مجسمة[1] فلا تسمع قولهم و العنهم و احكم بسفك دمائهم فهم أضل من

العلوم الزاهرة و على هؤلاء العلماء النبهاء حراس الشريعة الغراء، حتى أصبح مثل الناظم يجد مجالا للكلام، بمثل هذه المخازى، كأنه و شيخه كانا يحاولان القضاء على البقية الباقية من الإسلام، و من علوم الإسلام، إتماما لما لم يتم بأيدى المغول، لكنهما قضيا على أنفسهما و مداركهما قبل أن يقضيا على السنة باسم السنة و على عقول الناس باسم النظر عاملهما سبحانه بعدله.

١ . يسعى الناظم بكل قواه فى تهوين أمر التجسيم أسوة بشيخه، لكن القائلين بقدم الجسم طائفتان ليس بين طوائف البشر أسخف أحلاما من كلتا الطائفتين. إحداهما الطبيعيون و قد تسمى الملاحدة و الزنادقة و الدهرية والمعطلة و هم القائلون بنفى الصانع، و هم كما يقول المطهر المقدسى أقل الناس عددا و أفيلهم رأيا، و أشرهم حالا و أوضعهم منزلة، يقولون بقدم أعيان العالم و الأجسام و تولد النبات و الحيوان من الطبائع باختلاف الأزمنة. و الثانية المجسمة و قد تسمى الحشوية و المشبهة على اختلاف بينهم فيما يختلقونه فى الله من السخافات والحماقات، تعالى الله عما يصفون و هم مشاركون لهؤلاء فى القول بجسم قديم قدما ذاتيا إلا أنهم يؤلهونه و يتعبدونه بخلاف هؤلاء، سواء أطلقوا لفظ الجسم عليه أم لم يطلقوا بعد أن قالوا بمعنى الجسم الشاغل للفراغ، الذاهب فى الجهات، حيث خاضوا فى ذات الله سبحانه بعقولهم الضئيلة التى تعجز عن اكتناه ذوات المخلوقات و إنما علمهم بالمخلوقات عبارة عما تخيلوه بشأنها من أحساسهم بأعراضها، فيكف يجترئون على تخيل الحوم حول حمى الخالق جل و علا.

قال ابن تيمية فى التأسيس فى رد أساس التقديس المحفوظ فى ظاهرية دمشق فى ضمن المجلد رقم ٢٥ من الكواكب الدرارى ـ و هذا الكتاب مخبأة و وكر لكتبهم فى التجسيم وقد بينت ذالك فيما علقته على المصعد الأحمد (ص ٣١): «فمن المعلوم أن الكتاب و السنة و الإجماع لم ينطق بأن الأجسام كلها محدثة و أن الله ليس بجسم و لا قال ذالك إمام من أئمة المسلمين فليس فى تركى لهذا القول خروج عن الفطرة و لا عن الشريعة اهـ.»

و قال فى موضع آخر منه: «قلتم ليس هو بجسم، و لا جوهر و لا متحيز و لا فى جهة ولا يشار إليه بحس و لا يتميز منه شيء و عبرتم عن ذالك بأنه تعالى ليس بمنقسم و لا مركب و أنه لا حد له و لا غاية، تريدون بذالك أنه يمتنع عليه أن يكون له حد و قدر أو يكون له قدر لا يتناهى... فكيف ساغ لكم هذا النفى بلا كتاب و لا سنة ا هـ. و فى ذالك عبرة للمعتبر، و هل يتصور لمارق أن يكون أصرح من هذا بين قوم مسلمين؟



اليهود و النصارى، و احذر من أن تجادلهم بـ «قال الله و قال الرسول» هم أولى به، فإذا ابتليت بهم فغالطهم على التأويل للأخبار و القرآن، و على التكذيب للإلحاد.

هذان أصلان أوصى بهما أشياخنا أشياخهم، و إذا اجتمعتَ بهم في مجلس فابدأ بإيراد و شغل زمان لا يملكوه عليك بالآثار و تفسير القرآن، فإن وافقت صرت مثلهم، و إن عارضت صرت زنديقا كافرا، و إن سكت يقال جاهل، فابدأ و لو بالفشر و الهذيان هذا الذي ـ و الله ـ[1] وصانا به أشياخنا فرجعت عن سفري و قلت لصاحبي: عطل ركابك ما ثم شيء غير ذي الأكوان، لو كان للأكوان رب خالق كان المجسم صاحب البرهان أو كان رب بائن عن ذا الورى، كان المجسم صاحب الإيمان. فدع التكاليف و اخلع عذارك ما ثم فوق العرش من رب، و لم يتكلم الرحمن بالقرآن لو كان فوق العرش رب لزم التحيز و لو كان القرآن عنه كلامه حرفا و صوتا[2] كان ذا جثمان، فإذا انتفيا ما الذي يبقى

---

١ . ثم انظر كيف يحلف كذبا في هذه المحاورة الخيالية فهل يتصور أن يصدر منه مثل ذالك لو كان يخاف مقام ربه في ذالك اليوم الرهيب، و سيأتي ما يقضي على مزاعمه في استقرار معبوده على العرش ـ جل إله المسلمين عن مثل هذه الوثنية ـ كما سيأتي القضاء على مزاعمه في الحرف و الصوت قضاء لا نهوض لها بعده إن شاء الله تعالى.

٢ . و اعتقاد الصوت في كلام الله خطر جدّا، و كان الإمام عز الدين بن عبد السلام ابتلي بالمبتدعة الصوتية في عهدالملك الأشرف موسى ابن الملك العادل الأيوبي، و كان الملك الأشرف هذا يميل إليهم و يعتقد فيهم أنهم على صواب حيث كان يخالطهم منذ صغره حتى منع العز المذكور من الإفتاء بسبب هذه المسألة كما هو مشروح، مفصل في مطلب الأديب لأبي بكر بن علي الحسيني السيوطي، و في طبقات التاج ابن السبكي و طبقات التقي التميمي، و في خلاصة الكلام في مسألة الكلام للشيخ محمد عبد اللطيف بن العز المذكور ـ و قد نقلت الرسالة الأخيرة من خط المؤلف ـ و استمر منعه من الإفتاء إلى أن ركب الإمام الكبير جمال الدين الحصيري ـ شارح الجامع الكبير، و شيخ الفقهاء في عصره ـ و توجه إلى الملك الأشرف و أفهمه أن الحق

←

مع العز و قال له إن ما فى فتياه هو اعتقاد المسلمين و كل ما فيها صحيح و من خالف ذالك فهو حمار. و كان الجمال الحصري عظيم المنزلة عند الملك لجلالة قدره عند جماهير أهل العلم، فأطلق الإفتاء للعز و منع الصوتية من مزاعم الحرف و الصوت فى كلام الله سبحانه.

فتاوى فى الرد على القائلين بالحرف و الصوت

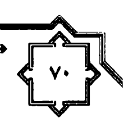
و أرى من النصح للمسلمين أن أنقل هنا أجوبة الإمام العز بن عبدالسلام و الإمام جمال الدين أبى عمر و عثمان بن الحاجب المالكى، و الإمام علم الدين أبى الحسن على بن محمد السخاوى مؤلف «جمال القراء و كمال الإقراء» حينما استفتوا فى هذه المسألة. و مكانتهم السامية فى العلم معروفة.

و نص السؤال و الأجوبة كما هو مدون فى «نجم المهتدى و رجم المعتدى» للفخر بن المعلم القرشى كالآتى:

صورة السؤال: ما يقول السادة الفقهاء رضي الله عنهم فى كلام الله القديم القائم بذاته؟ هل يجوز أن يقال إنه عين صوت القارئ و حروفه المقطعة، و عين الأشكال التى يصورها الكاتب فى المصحف؟ و هل يجوز أن يقال إن كلام الله القديم القائم بذاته حروف و اصوات على المعنى الظاهر فيها و إنه عين ما جعله الله معجزة لرسوله ﷺ؟ و ما الذى يجب على من اعتقد جميع ذالك و أذاعه و غرّ به ضعفاء المسلمين و هل يحل للعلماء المعتبرين إذا علموا أن ذالك قد شاع أن يسكتوا عن بيان الحق فى ذالك و إظهاره و الرد على من أظهر ذالك و اعتقده؟ أفتونا مأجورين.

صورة جواب الإمام عز الدين عبد السلام رحمه الله:

القرآن كلام الله صفة القارئين من صفاته قديم بقدمه، ليس بحروف و لا أصوات و من زعم أن الوصف القديم هو عين أصوات القارئين و كتابة الكاتبين فقد ألحد فى الدين و خالف أجماع المسلمين، بل إجماع العقلاء من غير أهل الدين و لا يحل للعلماء كتمان الحق و لا ترك البدع سارية فى المسلمين، و يجب على ولاة الأمر إعانة العلماء المنزهين الموحدين، و قمع المبتدعة المشبهين المجسمين، و من زعم أن المعجزة قديمة فقد جهل حقيقتها، و لا يحل لولاة الأمر تمكين أمثال هؤلاء من إفساد عقائد المسلمين، و يجب عليهم أن يلزمهم بتصحيح عقائدهم بمباحثة العلماء المعتبرين، فإن لم يفعلوا ألجئوا إلى ذالك بالحبس و الضرب و التعزير، و الله أعلم. كتبه عبدالعزيز بن عبد السلام



و صورة جواب الإمام جمال الدين أبى عمرو عثمان بن الحاجب المالكى:
من زعم أن أصوات القارئ و حروفه المقطعة و الأشكال التى يصورها الكاتب فى المصحف هى نفس كلام الله تعالى القديم فقد ارتكب بدعة عظيمة و خالف الضرورة و سقطت مكالمته فى المناظرة فيه و لا يستقيم أن يقال إن كلام الله تعالى القديم القائم بذاته هو الذى جعله الله معجزة لرسوله ﷺ، فإن ذالك يعلم بأدنى نظر، و إذا شاع ذالك أو سئل عنه العلماء وجب عليهم بيان الحق فى ذالك و إظهاره و يجب على من له الأمر و وفقه الله أخذُ من يعتقد ذالك و يغر به ضعفاء المسلمين و زجرُهُ و تأديبه و حبسه عن مخالطة من يخاف منه إضلاله إلى أن يظهر توبته عن اعتقاد مثل هذه الخرافات التى تأباها العقول السليمة، و الله أعلم. كتبه عثمان بن أبى بكر الحاجب

و صورة جواب الإمام علم الدين أبى الحسن على السخاوى:
كلام الله عزوجل قديم صفة من صفاته ليس بمخلوق، و أصوات القراء، و حروف المصاحف أمر خارج عن ذالك، و لهذا يقال صوت قبيح و قراءة غير حسنة و خط قبيح غير جيد، و لو كان ذالك كلام الله لم يجز ذمه على ما ذكر لأن أصوات القراء به تختلف باختلاف مخارجها و الله تعالى منزه عن ذالك، و القرآن عندنا مكتوب فى المصاحف متلو فى المحاريب محفوظ فى الصدر غير خال فى شيء من ذالك، والمصحف عندنا معظم محترم لا يجوز للمحدث مسه، و من استخف به أو ازدراه فهو كافر مباح الدم، و الصفة القديمة القائمة بذاته سبحانه و تعالى ليست المعجزة، لأن المعجزة ما تحدى به الرسول ﷺ و طالب بالإتيان بمثله و معلوم أنه لم يتحدهم بصفة البارى القديمة، و لا طالبهم بالأتيان بمثلها، و من اعتقد ذالك و صرح به أو دعا إليه فهو ضال مبتدع، بل خارج عما عليه العقلاء إلى تخليط المجانين، و الواجب على علماء المسلمين إذا ظهرت هذه البدعة إخمادها و تبيين الحق و الله أعلم.

على السخاوى

انظر ـ رعاك الله ـ كيف كان العلماء يتكاتفون فى قمع البدع و إحقاق الحق على اختلاف مذاهبهم فى تلك العصور الزاهرة بخلاف غالب أهل العلم فى زماننا هذا فإن لهم منافع وراء اختلاف المذاهب لا يهمهم ذيوع الباطل و قدخانوا دينهم الذى ائتمنهم الله عليه، و به يعيشون، و يوم الخائنين يوم رهيب.

و كانت تلك الفتنة بالشام فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى، وقد وقع مثلها فى النصف الأخير من القرن السادس بمصر، و فتنة القاهرة معروفة بفتنة ابن مرزوق و ابن



الكيزاني و كلاهما من حشوية الحنابلة، و ظن التاج ابن السبكي بن الكيزاني من الشافعية فترجم له في طبقاته تبعا لابن خلكان، فلا بأس في الإشارة هنا إلى فتاوى علماء ذالك العصر في حقهما.

و صورة الاستفتاء في شأنهما:

ما قولكم في الحشوية الذين على مذهب ابن مرزوق، و ابن الكيزاني اللذين يعتقدان أن الله سبحانه يتكلم بحرف و صوت، تعالى الله عن ذالك، و أن أفعال العبادة قديمة، هل تنفذ أحكامهم على أهل التوحيد و عامة المسلمين و هل تقبل شهاداتهم على المسلمين أم لا؟

جواب الإمام شهاب الدين أبي الفتح محمد بن محمود الطوسي الشافعي (صاحب الوقائع مع ابن نجية الحنبلي) تقبل شهادة عدوهم على أصحابهم و لا تسمع شهاداتهم على أهل الحق من الموحدين و لا ينفذ حكم قاضيهم على الموحدين فإنهم أعداء الحق - و الله أعلم.

كتبه محمد الطوسي

و جواب الإمام يوسف الأرموي:

ما نُصّ عليهم أعلاه، اقترفوا حوبة عظيمة يجب عليهم القفول عما اعتقدوه و هم كفار عند أكثر المتكلمين و كيف يسوغ قبول أقوالهم؟ و يجب على من إليه الأمر إحضارهم و استتابتهم عما هم عليه، فإن تابوا و إلا قتلوا، و حكمهم في الاستتابة حكم المرتد في إمهاله ثلاثة أيام و لا يقتل في الحال.

كتبه يوسف الأرموي

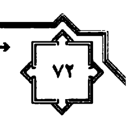
و جواب الخطيب أبي عبدالله محمد بن إبراهيم الحموي:

من اعتقد أن أفعال العباد قديمة فقد قال قولا يلزم منه القول بقدم العالم و من قال بقدم العالم فهو كافر لا تصح ولايته و لا تقبل شهادته و الله أعلم

كتبه محمد إبراهيم الحموي

و استفتاء آخر صورته:

ما قول الفقهاء الأئمة قادة علماء هذه الأمة أدام الله إرشادهم و وفق إصدارهم و ايرادهم في الحشوية الذين على مذهب ابن مرزوق و ابن الكيزاني. اللذين يعتقدان أن الله سبحانه متكلم بحرف و صوت، و أن أفعال العباد قديمة، هل تقبل شهاداتهم على أهل الحق الموحدين الأشعرية، و هل تنفذ أحكام قضاتهم على الأشعرية أم لا؟



جواب الإمام أبى المنصور ظافر بن الحسين الإزدى المالكى:

لا تقبل شهادة من يقول إن الله تعالى يتكلم بحرف و صوت لإنهم مرتكبون كبيرة هى أعظم من سائر المعاصى كالزنا و شرب الخمر لأنها كبيرة تتعلق بأصل من أصول الدين. كتبه ظافر بن الحسين الأزدى

و جواب شارح المهذب أبى إسحاق إبراهيم العراقى:

جوابي كذالك

كتبه إبراهيم العراقى

وجواب الخطيب محمد بن إبراهيم الحموى:

من قال إن الله متكلم بحرف و صوت فقد قال قولا يلزمنه أن الله جسم و من قال إنه جسم فقد قال بحدوثه و من قال بحدوثه فقد كفر، و الكافر لا تصح و لا تقبل شهادته، و الله أعلم.

كتبه محمد بن إبراهيم الحموى

و جواب الشيخ جمال الدين بن رشيق المالكى:

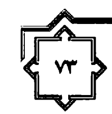
لا تقبل شهادتهم و لا يجوز أن يولوا الحكم و لا غيره من المناصب الدينية لأنهم بين جاهل يصر على جهله بما يتعين عليه اعتقاده من صفات الله سبحانه و بين عالم معاند للحق، و من هذه صفته يتعين تأديبه و زجره عما صار إليه بأبلغ الأدب، و من جملته رد الشهادة و بالله التوفيق.

كتبه جمال الدين بن رشيق

و جواب الشيخ محيى الدين محمد بن أبى بكر الفارسى:

من قال إن الله سبحانه متكلم بالصوت و الحرف فقد أثبت الجسمية و صار بقوله مجسماً، و المجسم كافر، و من قال إن أفعال العباد قديمة فقد كذّب الله تعالى فى قوله: **﴿وَ اللهُ خَلَقَكُم وَ مَا تَعمَلُونَ﴾** [الصافات: ٩٦] و مكذب الله بصفة الإصرار كافر و لا تثبت عدالتهم و لا تقبل شهادتهم و لاتجوز الصلاة خلفهم، و يجب على الإمام و على نوابه فى الأقاليم استتابتهم، فإن لم يرجعوا عما هم فيه من الكفر يعاقبهم على كفرهم أو يقبل الجزية منهم أذلاء لا كاليهود و النصارى بل كفرهم أشنع و أبشع من مقالة النصارى و اليهود، أما اليهود فشبهوه بالحادث صفة، و أما النصارى فقالوا إنه جوهر شريف و المجسمة يثبتون الجسم لله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

كتبه محمد الفارسى

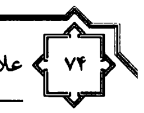


من إيمان؟ فدع الحلال مع الحرام لأهله، فهما السياج فاخرقه ثـم ادخـل و اقطـع

و فى تلك الفتاوى ما ينزجر به من يخاف مقام ربه من تلك البدع الشنيعة و بها يعلم أيضا أن أبـا عمرو عثمان بن مرزوق الحنبلى و أبا عبدالله الكيزانى الحنبلى مشتركان فى إثارة البدع المـذكورة بمصر و لا مانع من أن يكون بينهما بعض اختلاف فى فرع من فروع تلك البـدع، و مـن حـاول تبرئة أحدهما منها فلا حجة عنده أصلا، و قد تكلف ابن رجب فى طبقاته تبرئة ابن مرزوق عـن ذالك بدون جدوى بعد أن أقر بذالك الناصح الحنبلى و ابن القطيعى الحنبلـى، و لـو كـان ابـن رجب رأى تلك النصوص من فتاوى علماء عـصر ابـن مـرزوق و ابـن الكيزانـى المنقولـة عـن خطوطهم المحفوظة فى خزانة الملك الظاهر بيبرس لما سعى فى تبرئة سـاحته مـن تلـك البدعـة الشنيعة.

و نسبة القول بتلك البدعة إلى ابن الكيزانى فى مرآة الزمان لـسبط ابـن الجـوزى لا تـبرئ ابـن مرزوق منها على أن ابن رجب قال بعد ذالك: ثم وجدت لأبى عمرو بن مـرزوق مـصنفا فـى أصول الدين، ورأيته يقول فيه إن الإيمان غير مخلوق أقواله و أفعاله و إن حركات العباد مخلوقة، لكن القديم يظهر فيها كظهور الكلام فى ألفاظ العباد ا هـ.

هذا طراز آخر فى التخريف يدل على أنه قائل بالحلول على مذهب الـسالمية، و مثلـه لا يمكـن ترقيع كلامه، و وقعت بين الفتنتين فتنة عبد الغنى المقدسى الحنبلى فى الصوت و نحوه كـما فـى ذيل الروضتين لأبى شامة فليراجع هناك، و ما حدث فى القرن الخامس ببغـداد فـى عهـد أبـى نصر بن القشيرى من فتنة الحشوية فمشهور جدّا، والمحضر الذى رفعه أبو إسحاق الـشيرازى و الحسين بن محمد الطبرى و محمد بن أحمد الشاشى و الحسين بن أحمد البغدادى و عزيزى بن عبد الملك شيذلة، و غيرهم من أئمة ذالك العصر عن تلك الفتنة بخطوطهم إلى نظام الملك، مسجل فى تبيين كذب المفترى لابن عساكر (ص ٣١٠) فيراجع هناك ليعلم مبلـغ سـعى الحـشوية فـى إثارة الفتن فى كل قرن و ذالك مما يعرق به جبـين الـدهر خجـلا مـن تخريفـاتهمالتى يتـبرأ منهـا العقلاء كلهم، و أما ما أحدثوه من الفتن فى أوائل القرن الرابع من الدعوة إلى القول بـإجلاس محمد ﷺ على العرش فى جنبه تعالى فمـدون فـى كتـب التـاريخ. والمرسـوم الـذى أصـدره الراضى العباسى ضد البربهارى الداعى إلى تلك البدعة مسجل فى تاريخ ابـن الأثـير بنـصه و فصه فليراجع القارئ الكريم هـذا و ذاك لـيعلم نـصيب الحـشوية مـن العقـل و الـدين و كـلا الكتابين بمتناول الأيدى فنستغنى عن نقل نصوص عنهما، و فى كل مـا تقـدم عـبر، وياهـا مـن عبر، و الله سبحانه هو الهادى إلى سواء السبيل.



علائقك التى قد قيدتْ هذا الورى لتصير حراً[١] لست تحت أوامر و لا نهى و لا

١ . رد حديث الأوعال

انظر هذا الخبث المضاعف، يصور الناظم أن القول بعدم استقرار الإله جل شأنه على العرش استقرار تمكن، و بعدم كون الله القائم بذاته حرفاً و صوتا حادثين فى ذاته تعالى يكون انحلالا عن الدين و انسلاخاً من التكاليف، و لست أشك أن من يجترى على هذا التصوير و يدور فى خلده مثل هذا أمام جماهير أهل الحق المعتقدين للتنزيه من فجر الإسلام إلى اليوم فى مشارق الأرض و مغاربها على طول القرون لا يكون إلا منطويا على الانسلاخ الذى يرمى به أهل الحق ـ قاتله الله ما أجرأه على الله و ما أوقحه ! فمن الذى نفى أن للعالم مدبرا و أن القرآن كلام الله نزل به الروح الأمين على قلب رسوله ﷺ ؟ و من الذى يجهل أن الملء و التخلية من شأن الأجسام نفيا و إثباتا و لم يرد الملأ فى سنة صحيحة حتى يجوز إطلاقه عليه سبحانه، على أن تنزهه سبحانه عن الجسمية و لوازم الجسمية مما أجمع عليه أهل الحق، و لم يشك فيه سوى من عنده نزعة الوثنية، و لفظ بائن من خلقه لم يرد فى كتاب و لا سنة، و إنما أطلق من أطلق من السلف بمعنى نفى الممازجة ردّا على جهم لا بمعنى الابتعاد بالمسافة، تعالى الله عن ذالك، كما صرح بذالك البيهقى فى الأسماء والصفات، و أما لفظ أنه فوق العرش فلم يرد مرفوعا إلا فى بعض طرق حديث الأوعال ـ من رواية ابن منده فى التوحيد ـ و عبدالله بن عميرة فى سنده مجهول الحال، و لم يدرك الأحنف فضلا عن العباس، و سماك انفرد به عن عبدالله هذا، فى جميع الطرق، و يحيى بن العلاء فى رواية عبدالرزاق عن سماك يقول عنه أحمد: كذاب يضع الحديث. و تصحيح بعض الحشوية لبعض طرق حديث الأوعال لا يزيل ما به سندا و متنا بل خبر الأوعال ملفق من الإسرائيليات كما نص عليه أبوبكر بن العربى فى شرح سنن الترمذى و أن تتعرف مبلغ براعته فى الحديث و نقده و تحسين الترمذى بالنظر إلى تعدد طرقه بعد سماك، و هذا مصطلح قوله: غريب إشارة إلى انفراد سماك عن ذالك المجهول و لا شأن للمجاهيل و الوحدان و المنقطعات فى إثبات الصفات أصلا و لم يثبت عن القدمين حديث مرفوع، و قول ابن عباس لإفادة أن الكرسى صغير بالنسبة إلى العرش ككرسى قد وضع لقدمى القاعد على السرير كما قال ابن الجوزى. رواية من رواه بلفظ (قدميه) تحريف للرواية و تقييد الرؤية بلفظ (من فوق) من كيس المجسم بدون كتاب و لا سنة. و وصفه سبحانه بالصفات الواردة فى الكتاب والسنة لم ينفه أحد من أهل الحق، كما لم ينف أحد منهم كلام الله لموسى بلا كيف. و الإقعاد معه على العرش يروى عن مجاهد بطريق ضعيفة و تفسير المقام المحمود بالشفاعة متواتر تواترا معنويا و أين ما ينسب إلى مجاهد من ذاك؟ و قد صرح غير واحد من الأئمة ببطلان ما يروى عن مجاهد، و يرى بعض النصارى رفع عيسى ﷺ و أقعاده فى جنب أبيه و هذا هو مصدر هذا التخريف.



فرقان، لكن جعلت حجاب نفسك إذ ترى، فوق السماء من ديان، لو قلت ما فوق السماء مدبر و العرش تخليه من الرحمن، و الله ليس متكلما بالقرآن لحللت طلسمه و فزت بكنزه و علمت أن الناس فى هذيان، لكن زعمت أن ربك بائن من خلقه و أنه فوق العرش و الكرسى و فوقه القدمان و أنه يسمع خلقه و يراهم من فوق و أن كلامه منه بدا و إليه[١] يعود و وصفته بالسمع و البصر والإرادة و القدرة و كراهة و محبة و حنان، و أنه يعلم كل ما فى الكون، و أنه كلم موسى، و النداء صوت بإجماع النحاة، و أن محمدا ﷺ أسرى به (ليلا إليه) فهو منه دانى و أنه يدنيه يوم القيامة حتى يرى قاعداً معه على العرش و أن لعرشه أطيطا[٢] و أن الله أبدى بعضه للطور، و أن له وجها و له يمين بل زعمت يدان، و أن يديه للسبع العلى و الأرض (يوم الحشر قابضتان[٣] و أن يمينه ملأى

---

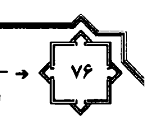
١ . قال ابن المعلم القرشى: و هذا الحديث أوردوه بإسناد فيه محمد بن يحيى بن رزين، قال أبو حاتم البستى كان كذابا دجالا يضع الأحاديث ا هـ.
و زيادة على ما سبق سيأتى الكلام على الصوت فانتظره، و دعوى الإجماع فى أن النداء صوت كذب كما سيأتى.

٢ . و يغنينا عن إبداء وجوه التخليط فى حديث الأطيط ما ألفه الحافظ ابن عساكر فى ذالك و إبداء بعضه للطور بمعنى إبداء بعض آية على أنه مما أدخل على حماد بن سلمة، تعالى الله سبحانه عن الأبعاض و الأجزاء رغم أنف المجسمة. و يأتى الكلام على قبض السماوات.

قبض السموات و الأرض

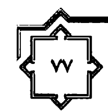
٣ . قال البخارى فى تفسير قوله تعالى ﴿سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] إن أبا هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يقبض الله الأرض و يطوى السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض**» ا. هـ. و هذا هو أصل الحديث و هو مروى بأسانيد كثيرة جدّا و هو الموافق لكتاب الله سبحانه، و اليمين: القدرة كما هو مبسوط فى أساس التقديس، و حاشا أن يكون قبض الله من قبيل احتواء الأنامل على شىء، و مازاد على ذالك فى الروايات من أنه يأخذ السماوات بيده اليمنى و يأخذ الأرض بشماله ـ و حاشا أن يكون له شمال و كلتا يديه يمين ـ فمن تصرفات الرواة أثناء النقل بالمعنى كما لا يخفى على أهل هذه الصناعة المستحضرين

←



لأحاديث الباب و مبلغ اضطرابها سنداً و متناً.

و أما حديث الحبر اليهودى فيوضع أجزاء الكون على إصبع فضحك النبى ﷺ فيه لا يدل على تصديق ذالك و إن ظنه بعض الرواة تصديقا ـ فى بعض الطرق ـ بل يدل على الأنكار و الاستهجان. و قد برهن ابن الجوزى فى دفع الشبه و ابن حجر فى الفتح على أن ذالك أنكار لا تصديق رغم توهم ابن خزيمة كونه تصديقا لزيغ مشهور فى معتقده، كما سيأتى بيانه، بل نزول قوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أى تحت تصرف مالك يوم الدين لا يجرى لأحد سواء حكم فى ذالك اليوم ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ أى بقدرته لا حساب على سكانها بخلاف أهل الأرض فإنهم محاسبون ﴿سُبحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشرِكون﴾ [الزمر:٦٧] عقب حديث حبر اليهود دليل واضح على الأنكار و على أن إثباتهم الأصابع الحسية بالوجه السابق إشراك. قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ يُمسِكُ السَّمَوَاتِ وَ الأرضَ أن تَزُولا﴾ [فاطر:٤١] فمن الذى يظن أن ذالك بالمماسة؟ و كذالك القبض، و إن هذى الشيخ محمد المنبجى الحنبلى تلميذ الناظم فى جزء (إثبات المماسة) بما شاء من صنوف الهذيان، و كل ذالك من بلايا ابن تيمية حيث لفق الروايات فى هذا الصدد و قال ما شاء أن يقوله فى الأجوبة المصرية و ذكر ما ورد فى بعض طرق الحديث و هو (و قبض كفيه فجعل يقبضهما و يبسطهما) ثم قال: (و هنا شبه القبض و البسط بقبضه و بسطه) ا. هـ. و هذا تشبيه صريح من ابن تيمية ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧] و مغالطة مكشوفة، و اللفظ المذكور لم يقع إلا فى بعض الروايات، و الاضطرب فى الحديث سندا و متناً زيادة و نقصاً ظاهر جداً لمن اطلع على طرقه بحيث لا يصح الاستدلال به و لا سيما فى مثل هذا المطلب و على فرض ثبوت أن النبى ﷺ قبض كفيه و بسطهما أثناء الخطبة لم ينسب إليه ﷺ فى حديث أنه قال: هكذا يقبض و يبسط حتى يصح كلام ابن تيمية، بل البسط غير موجود فيما يروى عما يفعله سبحانه عند قيام الساعة حتى يظن به ﷺ إذا قبض كفيه و بسطهما أنه أراد تشبيههما بقبض الله، على أن الخطيب كثيرا ما تصدر منه حركات و إشارات أثناء الخطبة، و حملها على معان لم ينطق هو بها تقويل للخطيب ما لم يقله، و من الظاهر جدّا أن الأرض تحتوى على الأنجاس و الأرجاس فكيف يتصور أن يكون قبض الله كقبض أحد من خلقه حقيقة بحيث يستلزم ذالك القبض على الأخباث و الأرواث، تعالى الله عن ذالك، و هذا مما لايتصوره من يخاف مقام ربه و لو كان جاهلا باستحالة الجسمية على الله سبحانه. و لا نتعرض هنا لرواية كاتب الليث فى الخبزة و لعل فيما ذكرنا كفاية.



من الخير، و أن العدل فى الأخرى و أن الخلق طراً عنده يهتز فوق أصابع[١]

١ . الأصابع فى كلام الحبر

لم يرد فى حديث وضع السماوات على أصبع إضافة الأصابع إلى الرحمن أصلا و هكذا كذب و تصرف فى الحديث بالتحريف و التغيير قال القاضى أبوبكر بن العربى فى القواصم و العواصم: و أما ذكر الأصابع فصحيح و لكن لم ترد مضافة إليه تعالى و إنما ورد أنه يضع السموات على أصبع والأرضين على أصبع ثم يهزهن... الحديث، و من أين لهم أن أصابع الوضع المطلقة هى أصابع التقليب المضافة إليه؟! هـ على أن قول النبى ﷺ بعد أن قال الحبر ذالك ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ يدل على أنكار ما قاله الحبر كما قال ابن حجر فى شرح البخارى ردّا على ابن خزيمة ـ و توحيد ابن خزيمة من أهيف الكتب، راجع تفسير ﴿لَيْسَ كمثله شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] من تفسير الفخر الرازى ـ و ما أخرجه الضياء الحنبلى من حديث الخنصر فباطل بالمرة و فيه من العلل ما بُيّن فى موضعه و ليس فى حديث الترمذى رفع حديث طرف الإبهام إلى الرسول ﷺ على انفراد حماد بن سلمة به، بل نسبة ذالك إلى سليمان بن حرب أو حماد، قال ابن العربى و تمثيل سليمان بن حرب و أمثاله ما تجلى للجبل بالأنملة لا ينظر إليه لأنه كلام غير معصوم و لا واجب الاتباع فالأمر هين والمخرج عنه سهل بين ا هـ فيا سبحان الله ما أجهل هذا الناظم بلسان قومه كيف يفهم من اليد معنى الجارحة و من الضحك إبداء النواجذ، راجع القواصم لابن العربى، و دفع الشبه لابن الجوزى، و الأسماء و الصفات للبيهقى، و قد روى القاضى أبوبكر بن العربى فى العارضة و القاضى عياض فى الشفاء عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله أنه كان يرى قطع يد من أشار بيده إلى عضو من أعضائه عند ذالك تشبيه، تعالى الله عن ذالك و أما ما وقع فى صحيح مسلم من حديث القبض باليمين و الشمال فلم يخرجه البخارى لاضطراب عبد العزيز بن سلمة فى سنده لأنه يرويه مرة عن أبيه عن ابن مقسم عن ابن عمر كما وقع فى رواية سعيد بن منصور و أخرى عن أبيه عن عبيد ابن عمير عن ابن عمر، كما فى رواية القعنبى، و تارة أخرى عن أبيه عن عبيد بن عمير عن عبدالله بن عمرو بن العاص كما فى رواية يحيى بن بكير، فدلت تلك الأسانيد المختلفة على أن عبدالعزيز لم يضبط السند كما يجب، و حال المتن توازي حال السند و مسلم حيث ترجح عنده روايته بطريق ابن مقسم بالنظر الى متابعة يعقوب بن عبد الرحمن القارئ لعبد العزيز في روايته عن سلمة عن ابن مقسم خرجه فى صحيحه، لكن ما يحتاج إلى متابع يكون منحط الرتبة فى الصحة بل من أحاط بأسانيد هذا الخبر فى توحيد ابن خزيمة و حلية أبى نعيم يعده مضطرب السند و المتن معا. على

←



الرحمن و أن قلب العبد بين اثنتين من أصابعه، و أنه يضحك عند تقابل الصفين من عبده يأتي فيبدى نحره لعدوه، ويضحك عندما يثب الفتى من فرشه لقراءة القرآن، و من قنوط عباده إذا جدبوا، و أنه يرضى و يغضب، و أنه يسمع صوته[١] و يشرق نوره يوم الفصل و يكشف ساقه[٢] و يبسط كفه و يمينه تطوى السماء و ←

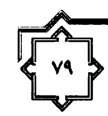
أن ما يقع فى المنبر أمام الجمهور تتوفر فيه الدواعى إلى روايته فكيف ينفرد برواية مثله راو واحد، و إن صح الاحتجاج بمثل ذالك فإنما يصح عند ـ عدمالمعارض ـ فى الأعمال فقط دون الاعتقاد على أن تلاوته ﷺ قوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ عند ذكر حديث الحبر فى الصحيح تعارضه إذا لم يحمل خبر مسلم على المجاز فيوجد بين أهل العلم من لا يستدل بمثله فى الأعمال فضلا عن الاعتقاد و مع هذا كله لا يحتج بها دون المشهور من الأحاديث فى ذات الله و صفاته عند جمهور أهل الحق فكيف يحتج بذالك الحديث فى باب الاعتقاد و قد بينا بعض ما فيه.

١ . و حديث جابر المعلق فى صحيح البخارى مع ضعفه فى سياق ما بعده من حديث أبى سعيد ما يدل على أن المنادي غير الله حيث يقول (... فيناد بصوت إن الله يأمرك...) فيكون الإسناد مجازيا على أن الناظم ساق فى حادى الأرواح بطريق الدار قطنى حديثا فيه «**يبعث الله يوم القيامة مناديا بصوت...**» و هذا نص من النبى ﷺ على أن الإسناد فى الحديث السابق مجازى و هكذا يخرب الناظم بيته بيده و بأيدى المسلمين و للحافظ أبى الحسن المقدسى جزء فى تبيين وجوه الضعف فى أحاديث الصوت فيراجع ثمت.

٢ . **الكلام على الساق و النزول و المجيء و وضع القدم**

و فى القرآن ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] بدون ضمير و ذالك استعارة عن الشدة كما ذكره الفراء و ابن قتيبة و ابن الجوزى، و ذكر الإسماعيلى فى مستخرجه أن رواية حفص بن ميسرة (يكشف ربنا عن ساق) بدون ضمير و روايته بالضمير منكرة. راجع ما كتبناه على دفع الشبه لابن الجوزى، و من عادة الحشوية حمل المجاز المشهور على الحقيقة باختلاق رواية حول ذالك و إلقائها على ألسنة الرواة. و تصرفات المجسمة هنا من هذا القبيل.

و إنى أنقل للقارئ بلية من بلايا المجسمة تفهمه إلى أى حد يصل جنون هؤلاء، و قد رأينا فى بعض كتب روافضهم أن فاطمة ﵍ تحمل قميص حسين ﵇ فى يوم القيامة و تقول لله سبحانه و هو جالس على عرشه هذا ما فعلته الأمة بابنى سبط الرسول ﷺ، و يكشف الله ←



ينزل[١] فى الدجى فى الثلث الأخير و الثلث الثانى و أن له نزولا[٢] ثانيا يوم القيامة للقضاء و أنه يبدو جهرة لعباده حتى يرونه و يسمعون كلامه و أن له قدما[٣] و أنه واضعها على النيران و أن الناس كل منهم يحاضر[٤]، ربه، بالخاء و الصاد و الحاء و الضاد وجهان محفوظان فى الترمذى و المسند و غيرهما من كتب التجسيم، و وصفتُهُ بصفات حى فاعل بالاختيار، و ذالك الأصلان أصل التفرق فى البارى فكن فى النفى غير جبان أو لا فلا تلعب بدينك تثبت بعض

→

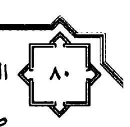
سبحانه إذا ذاك عن ساقه فإذا هى مربوطة برباط و يقول ماذا أنا فاعل إزاء هذا و هم قد فعلوا بى ما ترونه؟ و يعللون هذا بما فعله نمرود من توجيهه الرمى إلى السماء ليقتل إله إبراهيم ﷺ فاهمين أن سهمه أصاب ساق الله فبقيت مربوطة من أثر الجرح فى ذالك اليوم. فهل رأى القارئ كفرا أشنع من هذا و أبعد من هيبة الرب سبحانه و تقديره حق قدره و أدل على ذهاب العقول؟ قاتلهم الله.

١ . قال ابن حزم فى الفصل: إن ثلث الليل مختلف فى البلاد باختلاف المطالع و المغارب يعلم ذالك ضرورة من بحث عنه فصح ضرورة أنه فعل يفعله ربنا فى ذالك الوقت لأهل كل أفق و أما جعل ذالك نقلة فقد قدمنا بطلانقوله فى إبطال القوم بالتجسيم ا هـ و فى بعض طرق الحديث ما يعين انه إسناد مجازى، ففى سنن النسائى (إن الله يأمر ملكا ينادى...) و فى شرحى البدر العينى و ابن حجر على البخارى بسط واف فى المسألة.

٢ . و لفظ التنزيل ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] قال أحمد: أمره، و قد بينه فى قوله تعالى ﴿أو يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل:٣٣] رواه ابن حزم و أبو يعلى و ابن الجوزى. قال الخلال فى السنة بسنده إلى حنبل عن عمه الإمام أحمد أنه سئل عن أحاديث النزول و الرؤية و وضع القدم و نحوها فقال: «نؤمن بها و نصدق بها و لا كيف و لا معنى».

٣ . وضع القدم مجاز مشهور عن التسكين و عن الردع و القمع، راجع أساس البلاغة و الفائق و دفع شبه التشبيه و أساس التقديس، و الأخيران مهمان جدًا فى الرد على الحشوية، و هما مطبوعان يسهل تناولهما ففيهما غنية عن التوسع بأكثر مما ذكر.

٤ . قال ابن العربى: أما حديث المخاصرة فضعيف، راجع العواصم، فكم فى سنن الترمذى و مسند أحمد من أحاديث ضعيفة و الناظم هو الذى يسميها بالتجسيم، قال ابن الجوزى هذا يرويه يوسف بن عبد الله و هو خطأ.



الصفات و تنفى بعضها فانكر الجميع أو فرّق بين ما أثبته و نفيته، فذروا المـراء و صرحوا بمذاهب القدماء و انسلخوا مـن الإيـمان أو قـاتلوا مـع أمـة التـشبيه و التجسيم تحت لواء ذى القرآن أو لا فلا تتلاعبـوا بعقـولكم و كتـابكم و بـسائر الأديان، فجميعها قد صرحت بصفاته و كلامه و علوه و الناس بـين مـصدق أو جاحد أو بـين ذالـك أو حمـار، فنـزه و أنـف الجميـع و لُقّـب مـذهب الإثبـات بالتجسيم و احمل على الأقران، فمتى سمحت لهم بوصف واحد حملـوا عليـك فصرعت فلذاك انكرنا الجميع مخافة التجسيم إن صرنا إلى القرآن و لـذا خلعنـا ربقة الأديان من أعناقنا و لنا ملوك قـاوموا الرسـل فـى آل فرعـون و قـارون و هامان و نمرود و جنكيزخان و لنا الأئمة أرسطو و شيعته ما فيهم مـن قـال: إن الله فوق العرش، و لا إن الله يتكلم بالوحى، و لهذا رد فرعـون علـى موسـى إذ قال موسى ربنا متكلم فوق السماء و أنه نادانى، و كذا ابن سينا لم يكن منهم و لا الطوسى قتل الخليفة و القضاة و الفقهاء إذ هم مجسمة، و لنا الملاحـدة الفحـول أئمة التعطيل و لنا تصانيف مثل الشفاء و رسائل إخوان الصفاء و الإشارات قد صرحت بالضد مما جاء فى التوراة و الإنجيل و الفرقان، و إذا تحاكمنا فإليهم لا إلى القرآن، يا ويح جهم و ابن درهم و من قال بقولهما، بقيـت مـن التـشبيه فيـه بقية ينفى الصفات. مخافة التجسيم و يقال: إن الله يسمع و يرى و يعلم و يشاء و إن الفعل مقدور له و الكون ينسبه إلى الحدوث و يصرح بنفى التجسيم و الله ما هذان متفقان، لكنا قلنا محال كل ذا حذاراً من التجسيم و الإمكان» ا هـ .

تصوير الناظم أهل الحق أسوأ تصوير

انتهى كلام هذا الملحد تباً له و قطع الله دابر كلامه، انظر هذا الملعون كيـف أقام طوائف الشافعية والمالكية و الحنفية الذين هم قدوة الإسلام وهـداة الأنـام

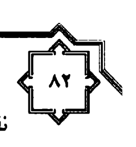


فى صورة الملاحدة الزنادقة المقرين على أنفسهم باتباع فرعون و هامان و أرسطو و ابن سينا، المقدمين كلامهم على القرآن، و أنهم أتباع أصحاب جنكيزخان، و أن رائده، لعنه الله و لعنه، سألهم عما يقوله أهل الحديث فنسبوهم إلى ما نسبوهم إليهم، و أنه لذالك انحل عن الأديان و خلع ربقة الإيمان و أبرز ذالك فى صورة مقامة و خيال ليرتسم به فى ذهن من يقف عليه من العوام و الجهال أن الطوائف المذكورة، على هذه الصفة.

و إذا كان علماء الشريعة و قادة الأمة بهذه الصفة كيف يقبل قولهم فى الدين؟ أو ما ذا تكون قيمة فتاويهم عند المسلمين؟ فما أراد هذا إلا أن يقرر عند العوام أنه لا مسلم إلا هو و طائفته التى ما برحت ذليلة حقيرة، ما أدرى ما يكون وراء ذالك من قصده الخبيث، فإن الطعن فى أئمة الدين طعن فى الدين و قد يكون هذا فتح باب الزندقة و نقض الشريعة و يأبى الله ذالك و المؤمنون.

و جماعة من الزنادقة يكون مبدأ أمرهم خفيا حتى تنتشر ناره و يشتعل شناره، نسأل الله العافية.

فينبغى لأئمة المسلمين و ولاة أمورهم أن يأخذوا بالحزم و يحسموا مادة الشر فى مبدئه قبل أن يستحكم فيصعب عليهم رفعه. ثم إن هذا الوقح لا يستحى من الله و لا من الناس، ينسب إلى طوائف المسلمين ما لم يقولوه فيه و فى طائفته، و أن شيوخهم وصوهم بذالك، و هو يزعم بكذبه أنه متمسك بالقرآن و أين قال الله و فى القرآن (إنه فوق السماء) و أين قال (إنه بائن من خلقه) و أين قال (إنه فوق العرش) بهذا اللفظ و أين قال (إن القدمين فوق الكرسى) و أين قال (إنه يسمع خلقه و يراهم من فوق) و أين قال (إن محمدا قاعد معه على العرش) إلى بقية ما ذكره جميعه.

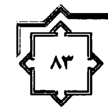


و المتبع للقرآن لايغيره و لا يغير لفظه بل يتمسك بـه مـن غـير زيـادة و لا نقصان، و كذالك الأحاديث الصحيحة يقف عند ألفاظها و لا يزيد في معناهـا و لا ينقص.

كذب الناظم على الله و رسوله ﷺ

و هكذا أكثر ما ذكره لم يجيء لفظه في قرآن و لا سنة، بل هو زيادة من عنده قد كذب فيها على الله[1] و على رسوله ﷺ و فهمها على خلاف الحـق و نـسب

١ . جرت سنة العلماء في تصانيفهم أن أحدهم إذا نقل عن أحد العلماء نقلا ينص على أنه نقله بنصه أو مع شيء من التصرف بالزيادة فيه أو النقص منه، يفعلون ذالك حرصا على صفة الأمانة التي يهوى إلى الدرك الأسفل من الحقارة و الصغار من حفظ عنه أنه أخل بها في تافـه مـن الأمـور، فهم يحرصون على تلك الصفة صفة الأمانة في النقل عن العلماء أخوانهم فاهمين أنهم لو خـانوا في النقل عنهم (و هم ينقلون عنهم دينا يدين به العباد) لهووا في هاوية من النقص لا قرار لهـا و لا تقوم لهم قائمة بعدها، و هم إذا حفظوا عن واحد ممن ينتسب إلى العلـم شـيئا مـن الإخـلال بتلك الأمانة سقط من نظرهم و أكنوا له في صدورهم من الازدراء به كعالم ما يجعله في نظرهم كأنه مسخت إنسانيته و أصبح مخلوقا آخر من المخلوقات التي لا يقع في النفوس أنها تكون فـي وقت من الأوقات مصدرا لأي معنى ينتفع به بنو الإنسان من الناحية الأدبية، هـذا نظـرهم لمـن يخون في النقل عن رجل مثلهم ما قال الله و رسوله ﷺ إنه معصوم.
و إذا كان الأمر كذالك في هذا فليقل لي حضرات إخواننا المساكين المغرورين بابن القـيم كيـف يدومون على غرورهم به و إمام عظيم من أئمة المسلمين يقول عنه بعبارة صريحة فصيحة بينة لا تحتمل التأويل، لا يقولها فقط بلسانه بل يكتبها في كتاب تبقى فيه على مر الذهور يقرؤها البعيد و القريب و الصغير و الكبير و العالم و الجاهل و المؤمن والكافر يقول تلك الكلمـة هـذا الإمـام النادر المثال في فضله و زهده و ورعه و علمه و هو يعلم أنه مسئول عنها عند ربه ولي أمره فـي دنياه و في أخراه، و أي كلمة هذه الكلمة هي قوله: إن ابن القيم كذب على الله و رسوله ـ ليقل لي حضرات المغرورين بابن القيم كيف يكون نظرهم إليه في الحقارة و الصغار و هم يـسمعون إماما كبيراً لا ينسب إمامهم إلى الخيانة في النقل عن فريق العلماء جميعا بل ينسبه إلى الخيانة فـي النقل عن الله و رسوله ﷺ يقول عنه إنه يكذب عليهما و يسند اليهما ما لم يقله كتـاب و لا سـنة ←

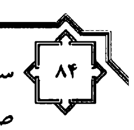


إلى علماء المسلمين البرآء من السوء كل قبيح، و جعل ذالك طريقا للخروج من الدين و الانسلاخ من الايمان و انتهاك الحرام، و عدم اعتقاد شيء فهل وصلت الزنادقة و الملاحدة و الطاعنون في الشريعة إلى أكثر من هذا؟ بل ولا عشر هذا، و إيهامه الجهال أنه هو المتمسك بالقرآن و السنة، لينفق عندهم كلامه و يخفى عنهم سقامه.

فصل

قال: «في قدوم ركب الإيمان و عسكر القرآن». قال: «و أتى فريق ثم قال: ألا اسمعوا قد جئتكم من مطلع الإيمان؛ من أرض طيبة، من مهاجر أحمد.

أمع هذا يبقون على غرورهم و إفراطهم في تعظيم ذالك الرجل الذى يقول عنه الإمام السبكى بحق: إنه ما زاد عنه الزنادقة و الملاحدة و الطاعنون في الشريعة... في الخروج على الإسلام و المسلمين، أنا لا أتوهم بعد اطلاع هؤلاء المساكين على حال هذا الرجل أن يبقى في قلوبهم مثقال ذرة من التعظيم له و العطف عليه، كيف لا و هم مؤمنون و الله يقول في كتابه الكريم عن كل من اتصف بالإيمان ﴿لا تَجِدُ قَوماً يُؤمِنونَ بِالله وَ اليَومِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَن حادَّ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَو كانوا أباءَهُم أَو أبنَاءَهُم أو إخوَانَهُم أو عَشيرَتَهُم﴾ [المجادلة: ٢٢] و إني أعيذهم بالله من احترام رجل لا يزيد عنه في الخروج على الإسلام و المسلمين لا الزنادقة و لا الملاحدة و لا الطاعنون في الشريعة، إني أرجو إخواننا المغرورين بابن القيم أن يفهموا أن كذب صاحبهم على الله و رسوله ﷺ في أصول الإسلام ليعلموا هذا جيدا ثم ليوقنوا أن الذى يكذب في الأصول هين جدّا عنده أن يكذب في الفروع و إذن ترتفع بكل معناها عن ابن القيم فلا يجوز لمسلم أن يعتمد عليه في نقل لا في أصول ديننا و لا في فروعه و هو على هذه الحالة سيئة واحدة من سيئات شيخه الكبير إمامكم العظيم في ابن تيمية. ما ثبت له يثبت لشيخه بالأولى ثم بالأولى. و بناء على هذا أؤكد عليكم أن تنظروا إلى كل كتاب خطته يراعة هذا الرجل و شيخه نظر من لا أثر للثقة في قلبه بهما و بما يكتبانه و إلا فمثلكم حينئذ مثل من يرى اللص بعينه يسرق العظائم من أموال الناس ثم في الوقت عينه يقول ما أصلحه و ما أجله و ما أوثق دينه.



سافرت فی طلب الإله فدلنی الهادی علیه، و محکم القرآن مع فطرة الرحمن و صریح عقل شهدوا بأن الله منفرد بالملك و السلطان و هو الإله الحق».

هذا صحیح. ثم قال: لا معبود إلا وجهه. هذا عندنا صحیح و أما عنده فالوجه غیر الذات فکیف یصح؟

ثم قال: «و الناس بعد فمشرك أو مبتدع و کذالك شهدوا بأن الله ذو سمع و ذو بصر هما صفتان».

هذا نحن نقوله لکن لو طولب بالشهادة بأنه ذو سمع و ذو بصر أین یجدها[1] فی ألفاظ القرآن و السنة و لو کان کذالك لم یکن بیننا و بین المعتزلة نزاع فیه.

قال: «و عموم قدرته[2] یدل بأنه هو خالق الأفعال للحیوان».

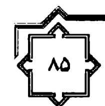
اعتقدنا أنه سبحانه خالق أفعال الحیوان و لکن کیف یدل عموم القدرة علی ذالك بل لذالك أدلة أخر. و استدلال هذا القدم بعموم القدرة من عدم شعوره.

ثم قال: «هی خلقه حقّا و أفعال لهم حقّا و لا یتناقض الأمران!».

---

١. بل الواجب علی من یهاب مقام ربه أن لا یطلق علیه تعالی ما لم یرد إطلاقه علیه فی الکتاب و السنة المشهورة مع الاقتصار علی الوارد فعلا کان أو صفة أو مفردا أو مجموعا، فلا یقال له عینان و لا هو مستو. فإبدال الفعل صفة و المجموع مثنی، و إبدال اللفظ بما یظن مرادفا له مما یجب أن یتهیبه کل مسلم. بل قال إمام الحرمین: أجمع المسلمون علی منع تقدیر صفة مجتهد فیها لله عزوجل لا یتوصل فیها إلی قطع بعقل أو سمع و أجمع المحققون علی أن الظواهر یصح تخصیصها أو ترکها بما لا یقطع به من أخبار الآحاد و الأقیسة و ما یترك بها لا یقطع به کیف یقطع به؟ اهـ.

٢. و کم من شیء مقدور علیه لم یدخل فی حیز الوجود فمن أین یدل عموم القدرة علی أنه خالق أفعال الحیوان؟ بل الدلیل علی ذالك قوله تعالی ﴿و اللهُ خَلَقَکُم وَ مَا تَعمَلُونَ﴾ [الصافات] و قوله تعالی ﴿اللهُ خَالِقُ کل شیءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] و کم لنا من براهین عقلیة علی ذالك لکن الناظم بالغ الجهل ظاهر البلادة حتی فی مثل هذه المسائل الظاهرة لصغار المتعلمین و حق مثله أن یقرع إیقافاً له عند حده فالمصنف معذور إذا قال عنه أنه حمار أو تیس.



عجب قد تقدم انكاره على جهم و شيعته قولهم: إن العبد ليس بفاعل فما هذا التناقض[١] و لعله نقل الكلامين تقليدا و لم يفهم معناهما فلذالك وقع التناقض بينهما و يكونان من كلامين.

ثم قال: فحقيقة القدر الذى حار الورى فى شأنه هو قدرة الرحمن، و استحسن ابن عقيل ذا من أحمد وقال شفى القلوب بلفظه»

و قال الناظم: «إن الجبرية و المكذبين بالقدر نظروا نظر الأعور» و الكلام فى ذالك يطول و ليس هذا من أهله[٢] و لا هو متعلق به بل كلامه فيه فضول فيما لا يعنيه.

فصل

قال: «أيكون أعطى الكمال وما له ذاك الكمال أيكون[٣] إنسان سميع مبصر

---

١ . نفى عن العبد كونه فاعلاً فى مذهب الجهمية يعنى الأشاعرة فيما سبق و أثبته هنا مذهبا لهم، وعد اعتبار العبد فاعلا مناقضا لاعتبار أن الله خالق لفعل العبد! مع أن التناقض فى كلامه نفسه كما شرحنا حيث نفى عنهم سابقا ما أثبته لهم هنا، و أين التناقض بين كون الله خالقا و بين كون العبد فاعلا؟ فتدبر.

٢ . نرجوا حضرات المغترين بهذا الناظم و نلح فى الرجاء أن يقفوا هنا طويلاً ليفهموا مقدار قدوتهم الذى لا يرضون أن يكون بجانبه أحد من علماء الأمة فى العلم، فها هم أولا يسمعون الشيخ السبكى و هو الإمام الجليل فى تقواه و فضله يقرر بصراحة أن ابن القيم ليس بأهل للكلام معه فى مسألة من المسائل العادية، و إنى أعود فأرجوهم أن يتأملوا طويلا فى كلمة هذا الإمام الكبير رحمه الله.

٣ . دليل اتصاف الله سبحانه بصفات الكمال من الكتاب و السنة و المعقول معروف عند أهله، و أما الطريق الذى سلكه الناظم فى ذالك فليس فى شىء من الأداء إلى ما يتوخاه، و إنما سلك هذا الطريق الغير النافذ ليخيل إلى العامة أن صفات الله من قبيل صفات العبد فلا مانع من أن يكون البارى ينظر بعين يسمع بأذن... إلى آخر تلك المخازى كما هو مذهبه فى إثبات الصورة له تعالى مع أن تلك الصفات فى العبد بآلات و جوارح فهى فى العبد مقرونة بالنقائص و الاحتياج، تعالى الله عن ذالك، فليتنبه إلى دسائس الناظم.



متكلم و له الحياة و القدرة و الإرادة و العلم و الله قد أعطاه ذاك و ليس وصفه فاعجب من البهتان بخلاف نوم العبد و جُماعه و أكله و حاجة بدنه إذ تلك ملزومات كون العبد محتاجاً و تلك لوازم النقصان و كذا لوازم كونه جسداً نعم، و لوازم الأحداث و الإمكان يتقدس عنها وعن أعضاء ذي جثمان».

عدم تمييز الناظم بين اللازم و الملزوم

الجسدية و الحدوث و الإمكان يلزم منها ثلاثتها الاحتياج و النقص، فالنوم و الجُماع و الأكل لوازم لذالك لا ملزومات[1] و تقديسه عن الأعضاء مع إثباته قدمين كيف يجتمعان.

تخبط الناظم في الصوت

قال: «و الله ربي لم يزل متكلما، هو قول ربي كله بعضه لفظا و معنى، ما هما خلقان».

أما كونه لم يزل متكلما و قوله مع ذالك إنه لفظ و إنه غير مخلوق فكلام من لا يدري ما يقول.[2]

---

١ . يا حضرات المغترين بابن القيم، اعملوا معروفاً مع أنفسكم و انظروا كيف لا يميز صاحبكم اللازم من الملزوم، أيكون حاله هكذا في الجهل و يصل غروركم به إلى أن تعتقدوا أنه الإمام الذي لا يساميه بل لا يدانيه إمام.

٢ . لأن اللفظ لابد من أن يكون باعتبار وجوده الخارجي متعاقب الحروف فلا يتصور العاقل في مثله قدماً، نعم ليس للفظ باعتبار وجوده العلمي والنفسي تعاقب فيكون قديما كما قال بذالك أحمد و تابعه ابن حزم، و هو الموافق لتحقيق القوم في الكلام النفسي، إلا أن وجوده أصلي بخلاف العلم فإنه بالإضافة إلى المعلوم و الناظم ليس بقائل بما قال به أحمد كما يظهر من مواضع من نظمه فيكون قائلا بما هو غير معقول.



قال: «لكن أصوات العباد مخلوقة، فإذا انتفت الوساطة كتكلم الله لموسى فالمخلوق نفس السمع[١] لا المسموع، هذه مقالة أحمد (يعنى ابن حنبل) و محمد (يعنى البخارى)».

قلنا نعم نوافقه على ذالك على قول الأشعرى إن الكلام النفسى يسمع و لا يلزم أن يكون هناك حرف و صوت و من اعترف بكلام الله تعالى و أن موسى سمعه و لم يقل إنه حرف أو صوت أو غير ذالك بل وقف عند حده و عجزه و جهله و نزه الله تعالى عن صفات خلقه، سلم.

ثم قال فى بيت الأخطل:

يا قوم قد غلط النصارى فى الكلمة

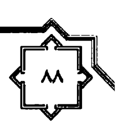
و نظير هذا من يقول كلامه معنى قديم غير محدث و الشطر مخلوق و تلك حروفه ناسوته.[٢]

---

١ . لا فرق بين موسى ﷺ و بين غيره فى خلق السميع فيهما، و أما المسموع فإن كان يريد به الصوت المكيف فكذالك، و إن كان يريد ما هو قائم بالله فجل الإله أن يقوم به عرض سيال. و الوارد فى الكتاب أنه تعالى كلم موسى ـ بدون ذكر الصوت أصلا ـ و التكلم لا يستلزم الصوت قال تعالى ﴿وَ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أن يُكلمه اللهُ إلّا وَحياً أو من وَرَاء حِجَاب أو يُرسِلَ رَسُولاً﴾ [الشورى: ٥١] إذ لا صوت فى الوحى إلى القلب و الصوت فى الثالث صوت الرسول دون المكلم فليكن الكلام من وراء حجاب كذالك و هو الذى حصل لموسى، فمهما كان النبى بسماعه صوت الرسول إليه يعد أن الله كلمه فلا يكون أى مانع من أن يعد موسى كلمه ربه إذ نودي من الشجرة، فأي زائغ يتصور حلول الله فى الشجرة حتى يقول: إن الذى سمعه صوت الله؟ تعالى الله أن يكون كلامه صوتا، و الآية قاضية على جميع الأوهام فى هذا البحث لمن أحسن التدبر فيها.

٢ . لم يفهم الناظم كلام القوم فشنع كما شاء، قاتل الله البلادة ما أفتكها ظن الناظم أن المراد بالمعنى معنى النظم فبنى عليه ما شاء، مع أن مرادهم بالمعنى هنا هو القائم بالله الشامل للدال و مدلوله باعتبار وجودهما العلمى كما نص عليه أحمد فى رده على ابن أبى دؤاد، كما ذكر فى كتاب السنة و غيره، فلا يكون للفظ الخارجى دخل أصلا فى القدم على مذهب إمامه نفسه، نعم يوجد من يسير سير النصارى فى الحلول بين الذين تكلموا فى القرآن و هو من يقول إن الصوت من

←



أبصرْ !! هذه الجراءة و تشبيهه أقوال العلماء بأقوال النصارى وجهله و كذبه بأن الحروف كالناسوت و المعنى قائم بذات الرب سبحانه و تعالى و الألفاظ بالقارئ لا يتحد أحدهما بالآخر و لا يحل فيه كما يقول النصارى تعالى الله عن قولهم.

فصل

قال: «الكلام قيل بغير مشيئة، و إنه معنى إما واحد و إما خمسة معان، و قيل: إنه لفظ مقترن فالسين مع الباء، و الذين قالوا بمشيئة صنفان أحدهما جعله خارج ذاته و هو قول الجهمية و متأخرى المعتزلة و الثانية فى ذاته و هم الكرامية، و هم نوعان احدهما جعله مبدوءاً به حذراً من التسلسل فلذالك قالوا له أول و الآخرون كأحمد و محمد قالوا: لم يزل متكلما[1] بمشيئة و إرادة. وتعاقب[2] الكلمات» ←

المصوت قديم و إن الله تعالى قرأ على لسان كل قارى كما ذهب إلى ذالك السالمية، تعالى الله عما يقول الظالمون. و الناظم من أقرب المبتدعة إليهم.

١ . افترى الناظم عليهما تمويها و تحميلا على لفظ مجمل ما لا يحتمله وهما كباقى أهل السنة يقولان: إن الله متصف بصفة الكلام أزلا كاتصافه بباقى صفاته الأزلية و هو يتكلم متى شاء، و هما بعيدان من المماحكات الزائفة، و الله سبحانه سريع الحساب و شديد العقاب أزلا و لا يستلزم ذالك قدم البعث و هو سبحانه لم تحدث له صفة بخلق الخلق و هو خالق أزلا قبل أن يخلق الخلق.

٢ . فيكون محلا للحوادث، تعالى الله عن ذالك ، و ابن تيمية تابع الكرامية فى ذالك و أربى عليهم فى الزيغ بدعوى القدم النوعى فى الكلام، مع أنه لا وجود للكلى إلا فى ضمن الأفراد، فلامعنى لوصف النوع بالقدم بعد الاعتراف بحدوث كل فرد من أفراده و قد أطال العلامة قاسم بن قطلوبغا الحافظ فيما كتبه على المسايرة الكلام فى ذالك لا نطيل الكلام بما هو فى متناول أيدى صغار التلاميذ. والناظم من أتبع الناس لابن تيمية فى سخافاته، و قد نقل ابن رجب فى طبقاته عن الذهبى فى حق ابن تيمية أنه أطلق عبارات أحجم عنها الأولون و الآخرون و هابوا و جسر هو عليها ا هـ . فيدور أمره بين أن يكون مصابا فى عقله أو دينه، فتبا لمن يتخذ مثله قدوة.



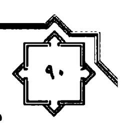
هذا هو الذى ابتدعه ابن تيمية و التـزم بـه حـوادث لا أول لهـا، و العجـب قوله مع ذالك إنه قديم، و حين النطق بالباء لم تكن الـسين موجـودة، فـإن قـال النوع قديم و كل واحد من الحروف حادث عدنا إلى الكلام فى كل واحـد مـن حروف القرآن، فيلزم حدوها و حدوثه، فالذى التزمه من قيام الحـوادث بـذات الرب لا ينجيه بل يرديه، و هذا آفة التخليط و التطفل على العلوم و عدم الأخذ عن الشيوخ.

كلام واف في أحاديث الصوت

ثم قال: «و أذكر حديثاً فى صحيح محمد ذاك البخـارى فيـه نـداء الله[1] يـوم معادنا بالصوت.»

---

١ . إن كان يريد حديث جابر عن عبدالله بن أنيس «**يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب...**» الحديث، فهو حديث ضعيف علقه البخارى بقوله و يـذكر عـن جـابر دلالة على أنه ليس من شرطه و مداره على عبدالله بن محمد بن عقيل و هـو ضـعيف باتفـاق، و قد انفرد عنه القاسم بن عبدالواحد و عنه قـالوا إنـه ممـن لا يحـتج بـه. و للحـافظ أبـى الحـسن المقدسى جزء فى تبيين وجوه الضعف فى الحديث المذكور، و أما إن كان يريد حديث أبى سعيد الخدرى «**يقول الله يا آدم يقول لبيك و سعديك فينادى بصوت إن الله يأمرك...**» الحديث، فلفظ ينادى فيه على صيغة المفعول جزماً بدليل «إن الله يأمرك» و لو كان على صيغة الفاعل لكان إنى آمرك كما لا يخفى على أن لفظ (صوت) انفرد به حفـص بـن غيـاث و خالفـه وكيـع و جريـر و غيرهما فلم يذكروا الصوت، و سئل أحمد عن حفص هذا فقال كان يخلط فى حديثه كما ذكره ابن الجوزى، فأين الحجة للناظم فى مثله؟ على أن النـاظم نفـسه خـرج فـى حـادى الأرواح و فـى هامشه إعلام الموقعين (٢ ـ ٩٧) عن الدار قطنى من حديث أبى موسى «**يبعث الله يـوم القيامـة منادياً بصوت يسمعه أولهم و آخرهم إن الله وعدهم...**» الحديث، و هذا يعين أن الإسناد مجازى على تقدير ثبوت الحديثين فظهر بذالك أن الناظم متمسك فى ذالك بالسراب و المؤلف تـساهل فى الرد عليه وفى (القواصم و العواصم) لابن العربى ما يقصم ظهر الناظم فى (٢ ـ ٢٩) منه.



اللفظ الذى فى البخارى (فينادى بصوت) و هذا محتمل لأن يكون الدال مفتوحة و الفعل لم يسم فاعله و أن يكون مكسورة فيكون المنادي هو الله تعالى فنقله عن البخارى نداء الله ليس بصحيح، و العدالة فى النقل أن ينقل المحتمل محتملا، و إذا ثبت أن الدال مكسورة، فلِمَ يقول إن الصوت منه؟ فقد يكون من بعض ملائكته أو من يشاء الله.

ثم قال: «أيصح فى عقل و فى نقل[1] نداء ليس مسموعا لنا».

أما العقل فلا مدخل له فى ذالك و أما النقل فقد قال تعالى: ﴿إِذ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً﴾ [مريم: ٣]

ثم قال: «و الله موصوف بذاك حقيقة هذا الحديث و محكم القرآن».

ليس فى الحديث و محكم القرآن أنه حقيقة.

قال: «ورواه عندكم البخارى المجسم بل رواه مجسم فوقانى».

هذا بهت لنا فى أن البخارى مجسم عندنا و الله ما اعتقدنا فيه ذالك و لا فى أحمد الذى عناه بالفوقانى و لكن هذا بهت لنا و إساءة على البخارى و من فوقه.

ثم قال: «و أذكر حديثاً لابن مسعود صريحا إنه ذو أحرف».

هو حديث فى الترمذى: «**من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة**» و قال حسن صحيح و وقفه بعضهم على ابن مسعود، و على كل تقدير الحرف فى قراءة القارئ، و قد تقدم من هذا الناظم أن الصوت فعل القارئ فلا وجه لاحتجاجه هنا، و لابن مسعود حديث آخر أنه على سبعة أحرف، والمراد نزوله بها ثم قال: «وانظروا إلى السور التى افتتحت بأحرفها لم يأت قط بسورة إلا أتى فى أثرها خبر عن القرآن».

---

١ . النداء طلب الإقبال عند النحاة و اللغويين فيجرى مجرى القول وكم فى الكتاب و السنة مما يدل على القول و الكلام بدون صوت كما نسرد بعض ذالك عند التدليل على الكلام النفسى و قول صاحب القاموس: النداء الصوت تسامح منه، و كم له من مسامحات معروفة عند أهل العلم.



هذا منتقض بسورة «كهيعص» و «العنكبوت» و «الروم» و «ن».

فصل

قال: «إنه يلزم من نفى صفة الكلام نفى الرسالة».[١] و هو جهل منه و إن كنا لا ننفى صفة الكلام.

فصل

و قال: «إنه يلزمهم تشبيه الرب بالجماد الناقص». و هذا بلادة.[٢]

فصل

قال: فى إلزامهم[٣] أن كلام الخلق حقه و باطله عين كلام الله سبحانه بخلقه أفعال العباد». ماهذا إلا..

---

١ . و قد نص الله سبحانه على أن تكليم الله سبحانه منحصر فى الوحى إلى القلب و إرسال ملك يبلغ كلامه، و الكلام وراء حجاب و ليس فى واحد منها صوت للمكلم سبحانه فمن أين يلزم من نفى ما أثبته المجسمة من حرف و صوت فى الرسالة بل عد الإله سبحانه محلاً للأعراض هو المستلزم لنفى الصانع فضلا عن الرسالة، قاتل الله هذه الفئة السخيفة، ما أجهلهم بما يجوز فى الله و ما لا يجوز.

٢ . اكتفى بوصفه بالبلادة لئلا يوقع عليه الحكم بالكفر لو كان يعقل ما يقول، لأن إثبات الحرف و الصوت لله تشبيه له بالإنسان و تشبيه الله بمخلوق كفر و الصوت عرض سيال محال أن يقوم بالله سبحانه بل هو متكلم بكلام نفسى ليس له صوت.

٣ . وجه هذا الإلزام لا يظهر إلا لمن هو على شاكلة الناظم فى تخيل ما هو غير معقول و لو ألزم القائلين بالحرف و الصوت أن التالى قد يكون لاحناً قبيح الأداء فلا يتصور فى صفة الله سبحانه مثل ذالك فيبطل القول بأن كلام الله حرف و صوت لكان قوله هذا ملزماً حقيقة و أما إلزام الناظم هنا فقلب للحقيقة بل هذيان ظاهر و أمام هذا لم يسع المصنف إلا أن يخرج الناظم من عداد العقلاء و من الصعب جدّا على العالم خطاب من لا يفهم.



فصل

فى التفريق بين الخلق و الأمر قال:«و كلاهما عند المنازع واحد». المنازع هم المعتزلة، و لسنا منهم، لكن قوله: إنهما عندهم[1] واحد ليس بصحيح.

فصل

قال: «و الله أخبر فى الكتاب بأنه منه» قلنا: الذى فى الكتاب ﴿تَنزِيلُ الكتاب مِنَ الله العَزِيزِ العَلِيم﴾ [غافر: ٢]...، ونحوه و ليس فيها الكتاب منه.

ثم قال: «و المجرور بـ(من)[2] نوعان: عين و وصف قائم بالعين، فالعين خلقه والوصف قام بالمجرور» قوله قائم بالعين ليس بصحيح فقد يكون قائماً بنفسه(؟).

فصل: وقيعة الناظم و شيخه في ابن حزم

قال: «و أتى ابن حزم فقال ما للناس قرآن و لا اثنان بل أربع كل يسمى بالقرآن و ذاك قول بين البطلان. هذا الذى يتلى و المرسوم و المحفوظ و المعنى القديم فالشىء شىء واحد لا أربع فدهى ابن حزم[3] ملة القرآن».

---

١ . و هم يفرقون بين الأمر التكليفى و الأمر التكوينى، و قد ذكروا فيها ألفوه فى أصول الفقه ما هو موجب الأمر التكليفى. و قوله تعالى ﴿إلا لَهُ الخَلقُ وَ الأمرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] يحتمل معانى و من أجلاها أنه هوالذى خلق الخلق و إليه فقط أن يأمرهم بما يشاء و أولو الأمر إنما يستمدون الأمر من أمره تعالى فلا يكون للآية دخل فى هذا البحث أصلاً و إن كان بعضهم يلهج. بذالك.

٢ . يريد أن ما سبق على المجرور بـ«من» إما أن يكون عيناً أو وصفاً فالعين مخلوقه تعالى، قال: و الوصف قائم به تعالى لكن فى العبارة ارتباك، وكذا عبارة المصنف فليحرر.

٣ . و من المضحك المبكى وقيعة الناظم و شيخه فى ابن حزم و هو إمامهما فى غالب المسائل الفرعية التى شذا بها عن الجماعة و أنت تراهما يطعنان فيه طعناً مرّا فى المسائل الاعتقادية، و هو أقرب

←



هذا لم يفهم كلام ابن حزم، مراد ابن حزم أن القرآن هو المعنى وهو واحد له وجود فى نفسه و يتلى و يرسم و يحفظ فيوجد فـى اللفـظ و الخـط و الـصدر و يطلق على الثلاثة أيضاً قرآن فاللفظ مشترك بين الأربعة.

ثم قال ما معناه: «إن اللفظ يطلق على المصدر و يطلق على الملفوظ وألفاظ العباد كذالك، فالأول مخلوق و الثانى[1] غير مخلوق وهـو القـرآن و علـى ذالـك حمل كلام أحمد[2] والبخارى.»

→

إلى الحق منهما فى غالب تلك المسائل و لا سيما فى مسألة القرآن و هو من المنزهين دونهما و هـو عدو لدود للمجسمة حتى إنهم تراهم ينبزون هذا الظاهرى بالقرمطـة، و فـى الفـصل أبحـاث جيدة تتعلق بقمع أهل التجسيم لعلهـا تكـون كفـارة عـن بعـض قـسوته و شـذوذه و مخالفاتـه لجمهور العلماء و قول ابن حزم بكون القرآن مشتركا بين تلك الأربعة موافق لكتاب الله، قال الله تعالى ﴿بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الّذين أوتُوا العِلمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] و قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرآنٌ مَّجِيدٌ * فِى لَوحٍ مَحفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢] و قال تعالى ﴿وَ إذ صَرَفنَا إليكَ نَفَراً مِـنَ الجِـنِّ يَـستَمِعُونَ القَـرآنَ﴾ [الأحقـاف: ٢٩] فـصدور العلـماء و اللـوح المحفـوظ و لـسان الرسول ﷺ مخلوقة مع ما فيها، فالقديم هو ما قام بالله سبحانه دون مـا الـصدور و الألـواح و الألسنة، و هذا فى غاية من الظهور. و غلط ابن حزم إنما هو فى قوله بعموم المشترك هنا.

١ . يعنى الملفوظ، فإن كان يريد وجوده العلمى فى علم الله فقدمه بهذا الاعتبار موضع اتفـاق، و إن كان يريد الصوت الصادر من فم اللافظ فهو حادث قطعا، و أنى يتصور القدم لعرض محسوس المبدأ و المقطع ومذهب الناظم اعتبار كلام الله صوتا صادرا من الله حادثا شخـصا قـديما نوعـا، تعالى الله عن ذالك. و لم يقل به أحد قبل شيخ الناظم و تابعـه النـاظم المـسكين كـما يظهـر مـن مواضع فى هذا الكتاب فقوله (والثانى غير مخلوق) لا يصح بالنظر إلى الصوت و هـو ظـاهر و الله سبحانه هو الهادى.

٢ . **الخلاف بين أحمد والبخارى فى اللفظ**

و المعروف بين أهل العلم أن البخارى كان يقول بحدوث اللفظ ـ يعنى لفظ التـالى الـدال دون تعرض للمعنى المدلول عليه وضعا أو عقلاً ـ و أحمد يبدع من يقول ذالك و تبـديع هـذا و قـول ذاك متواردان على شىء واحد، و الحـق مـع البخـارى فـى تلـك المـسألة و إن كـان الـذهلى و أصحابه جميعاً هجروه على ذالك، راجع كتاب الجرح و التعديل لابن أبى حاتم و لـيس بقليـل

←

 الكلام اللفظي

قلنا أما المصدر فمخلوق بلا شك[١] و هو فعل العبد و أما الملفوظ من فم العبد فهو الصوت الخارج منه، المخلوق لله تعالى، و قولنا له كلام الله كما يقال إذا قرأ المحدث (إنما الأعمال بالنيات) هذا كلام النبى ﷺ و إذ قرىء كتاب ملك علينا نقول هذا كتاب الملك.

فصل

قال: فى مقالة الفلاسفة و القرامطة: هذا لا يتعلق بنا فعليهم غضب الله، و لكن غرضه أن يخلط الحق بالباطل حتى يروج[٢] الباطل.

فصل

قال: فى الاتحادية: هو من النمط الذى قبله.

ثم قال: «هذه مقالات الطوائف كلها فاعطف على الجهمية المُغُل الذين خرقوا سياج العقل و القرآن شرّد[٣] بهم من خلفهم و اكسرهم». ثم ذكر مذاهب المعتزلة و مذاهب الأشعرية و هما اللذان يسميها الجهمية.

← بين أهل العلم الذين يقولون بأن المعنى المصدرى أمر نسبى من قبيل الحال فعندهم أن اللافظ هو العبد و هو مخلوق الله والملفوظ هوالصوت المكيف الخارج من فم العبد وهو مخلوق الله تعالى أيضا و اللفظ بالمعنى المصدرى نسبة بين اللافظ و الملفوظ فلا يتعلق به الخلق عندهم و قول الناظم و المصنف يخلقه على مذهب نفاة الحال و تفصيل هذا البحث فيما كتبناه على الاختلاف فى اللفظ.

١ . يعنى عند نفاة الحال، راجع شرح المواقف.

٢ . هل يعد من علماء الإسلام بل من عامة المسلمين من يروج الباطل و هو يعلم أنه باطل؟

٣ . التشريد المذكور فى الآية مأمور أن يوقعه النبى ﷺ بالكفار. ولينظر القارئ كيف يأمره حضرة الناظم أن يوقعه بجماعة المسلمين الأشاعرة و غيرهم من أجل أنهم لا يوافقونه فى ضلاله.



ثم قال: هذا الذى قد خالف المعقول والمنقول و الفطرات للإنسان، أما الذى قد قال إن كلامه ذو أحرف قد رتبت ببيان و كلامه بمشيئة و إرادة كالفعل منه كلاهما[١] سيان فهو الذى قد قال قولا يعلم العقلاء صحته بلا نكران، فلأى شيء كان ما قلتم أولى؟ و لأى شيء كفرتم أصحاب هذا القول؟ فدعوا الدعاوى و ابحثوا معنا وارفوا مذاهبكم إن أمكن.»

ليت شعرى من هو الذى من العقلاء يعلم صحة كلام ذى أحرف مترتبة مفعول قديم و لكن هذا صبى العقل غره، هجام على الحقائق بهواه.

ثم قال: «فاحكم ـ هداك الله ـ بينهم لا تنصرن سوى الحديث و أهله هم عسكر القرآن فنقول هذا القدر قد أعيا على أهل الكلام وقاده أصلان، أحدهما:

---

١ . هذا إنما يصح فى الكلام اللفظى الحادث باعتبار وجوده الخارجى و أما باعتبار وجوده العلمى فقديم، كما سبق، قال أبوبكر الباقلانى فى النقض الكبير: «من زعم أن السين من باسم الله بعد الباء و الميم بعد السين الواقعة بعد الباء لا أول له فقد خرج عن المعقول و جحد الضرورة و أنكر البديهة، فإن اعترف بوقوع شيء فقداعترف بأوليته، فإذا ادعى أنه لا أول له فقد سقطت محاجته و تعين لحوقه بالسفسطة، و كيف يرجى أن يرشد الدليل من يتواقح فى جحد الضرورى اهـ» راجع الشامل لإمام الحرمين و نجم المهتدى لابن المعلم القرشى. و فى شعب الإيمان للحليمى «و من زعم أن حركة شفتيه أو صوته أو كتابته بيده فى الورقة هو عين كلام الله القائم بذاته فقد زعم أن صفة الله قد حلت بذاته و مست جوارحه و سكنت قلبه، و أي فرق بين من يقول هذا و بين من يزعم من النصارى أن الكلمة اتحدت بعيسى عليه الصلاة و السلام اهـ» ليحفظ القارئ هذا ثم أرجوه أن يقرأ قول الموفق الحنبلى صاحب المغنى فى مناظرته المسجلة فى المجموعة المحفوظة تحت رقم ١١٦ بظاهرية دمشق و نصه «قال أهل الحق: القرآن كلام الله غير مخلوق، و قالت المعتزلة هو مخلوق، و لم يكن اختلافهم إلا فى هذا الموجود دون ما فى نفس البارى مما لا ندرى ما هو و لا نعرفه.»

و عن الموفق هذا يقول شيخ الناظم ما حل دمشق مثله بعد الأوزاعى و أنت ترى كلامه فى المسألة و إذا كان هذا حال الموفق فماذا تكون حال الناظم و شيخه؟



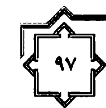
هل فعله[1] مفعوله أو غيره، قولان والقائلون بأنه عينه فروا من الحدث في الصفات و حقيقة قولهم تعطيل الخالق عن فعله إذ فعله مفعوله لكنه ما قام به فعلى الحقيقة ما له فعل إذ المفعول منفصل عنه. و القائلون بأنه غيره طائفتان: إحداهما قالت قديم قائم بالذات، سموه تكويناً، وهم الحنفية. و الآخرون رأوه حادثا قام بالذات، و هم نوعان: أحدهما جعله مفتتحا به حذرا من التسلسل و هو قول الكرامية، و الآخرون أهل الحديث كأحمد[2] بن حنبل قال: إن الله لم يزل

---

١ . إن كان المراد بالفعل ما هو بالمعنى المصدري من قوله تعالى ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] فليس في فرق الإسلام من ينفي الفعل بهذا المعنى عنالله سبحانه بل إثباته موضع اتفاق بين الفرق كلها و إن كان يريد ما هو مبدأ هذا المعنى فهو صفة قديمة غير الإرادة و القدرة عند طوائف من أهل الحق و هي المسماة عندهم بصفة التكوين، و أما الأشاعرة فيرجعونها إلى القدرة و للقولين حظ من النظر و أما إن كان المراد بالفعل الفعل الحاصل بالمصدر أعني الأثر المترتب على التكوين أوالقدرة فلا شك أنه مفعول الله و مخلوقه و غير قائم به أصلا، فأفعال الله بهذا المعنى هي مخلوقاته حتماً و دعوى قيامها بالله لاتصدر ممن يعي ما يقول و من المجسمة أناس يظنون أن أفعال الله تكون بالحركة كأفعال العباد و تصدر منه بالعلاج و المزاولة مع أن الجوارح و الآلات إنما وضعت للعباد ليتوصلوا به إلى قصدهم وهي كلها نقص و آفات، و أما من له الحول و القوة جل جلاله فإنما هو إذا أراد شيئا قال له كن فيكون بدون آلة ولا جارحة و لا علاج و لا مزاولة. يريد الشيء فيحدث. و بهذا البيان ظهرما في كلام الناظم من الاختلال و وجوه الضلال.

٢ . نسبة القول بقيام الفعل الحادث بالله سبحانه إلى أحمد و جعفر الصادق و ابن عباس ﷺ نسبة كاذبة و فرية مكشوفة. وقول أحمد (إن الله لم يزل متكلما إن شاء) بمعنى أن الكلام صفة قديمة و أنه تعالى يكلم أنبياءه متى شاء بدون حرف و لا صوت بالوحي و من وراء حجاب أو بإرسال رسول «وهو متكلم خالق قبل أن يكلم الرسل و يخلق الخلق» كما صرح بذالك غلام الخلال من قدماء الحنابلة في المقنع، و أما عثمان بن سعد الدارمي السجزي مؤلف النقض على المريسي فكان فيما سبق لا يخوض في صفات الله سبحانه كما هو طريقة السلف، ثم انخدع بالكرامية و أصبح مجسما مختل العقل عند تأليفه النقض المذكور، و هو حقيق بأن يكون قدوة للناظم و نسجل هنا على الناظم اعتقاده قيام الحوادث بالذات الله سبحانه و تعالى و اعتقاده أن هذه

←



متكلما إن شاء، جعل الكلام صفة فعل قائمة بالذات لم يفقد من الرحمن، وكذاك نص على دوام الفعل و كذا ابن عباس و جعفر الصادق و (عثمان بن سعيد) الدارمي و صدق فالحياة و الفعل متلازمان و كل حي[١] فعال إلا إذا عرضت آفة أو قسر، أوَلست تسمع قول كل موحد (يا دائم المعروف قديم الإحسان) أوَليس فعل الرب تابع وصفه و كماله؟ أفذاك ذو حدثان؟ و كماله سبب الفعال و خلقه أفعالهم سبب الكمال الثاني، أوما فعال الرب عين كماله؟ أفذاك ممتنع على المنان أزلا إلى أن صار فيما لم يزل ممكنا؟ تالله قد ضلت عقول القوم إذ قالوا بهذا، و تخلف التأثير بعد تمام موجبه محال و الله ربي لم يزل ذا قدرة و مشيئة و علم و حياة و بهذه الأوصاف تمام الفعل فلأى شيء تأخر فعله مع موجب[٢] قد

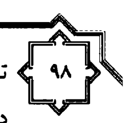
الحوادث لا أول لها، و إنى ألفت نظر حضرة القارئ إلى هذه العقيدة و هل تتفق مع دعوى أنه إمام دونه كل إمام؟ بل هل تتفق هذه العقيدة مع دعوى أنه فى عداد المسلمين فقط؟

١ . الرد على عثمان بن سعيد فى إثباته الحركة

ليست حياة الله كحياة العباد و لا فعله تعالى كأفعالهم، و إدخال الله سبحانه فى مثل هذه الكلية لا يصدر إلا ممن هو مريض القلب بمرض التشبيه، و عثمان بن سعيد هذا يصرح فى نقضه المنقوض بأن كل حى فعال متحرك و يثبت لله الحركة و يظهر من ذالك كيف يتصور فعل الله، و الناظم يقتدى بمثل هذا المخذول، و لعل القارئ ازداد بصيرة و علما من هذا الكلام بأن الحوادث لا أول لها فى نظر هذا الناظم لأن حياة الله لا أول لها فيكون فعله لا أول له، و هذه المسألة من المسائل التى كفر علماء الإسلام الفلاسفة بها فليعرفه المغرورون بابن القيم ثم ليعرفوه.

٢ . الرد على قول الناظم بالإيجاب

و هذا تصريح منه بأن الله سبحانه فاعل بالإيجاب انخداعا منه بقول الفلاسفة القائلين بقدم العالم و قد أتى أهل الحق بنيانهم من القواعد، و إن كان الناظم المسكين بعيدا عن فهم أقوال هؤلاء و أقوال هؤلاء. ثم يناقض الناظم نفسه و يثبت لله الاختيار و هو فى الحالتين غير شاعر بما يقول تعالى الله عما يقول. و أرجو أن يفهم القارئء هنا معنى لابد من اعتقاده و هو أن القائل بأن الله فاعل بالإيجاب فى ناحية و دين الإسلام كله فى ناحية، و أى مسلم يستطيع أن يقول إن ربنا مرغم على فعل ما يفعله.



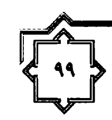
تم والله عاب على المشركين عبادتهم ما ليس بخالق و لا ينطق، و الله إلـه حق دائماً، أفعنه الوصفان[١] مسلوبان أزلا، هذا المحال إن كان رب العرش لم يزل إلـه الخلق، فكذا لم يزل متكلما فاعلا ـ و الله ـ ما في العقل ما يقضي لـذا بـالرد بـل ليس في المعقول غير ثبوته، و ما دون المهيمن حادث لـيس القـديم سـواه و الله سابق كل شيء ما ربنا والخلق مقترنان و الله كان و ليس شيء[٢] غيره لسنا نقـول كما يقول اليوناني بدوام هذا العالم المشهود و الأرواح فـي أزل و لـيس بفـان، و اندفع في ذكر النصير الطوسي لعنه الله فهو معذور فيه، لكنه لا فرق بينـه و بـين القائلين بقدم العالم إلا أنه لا يقول بقدم هذه الأجسام المشاهدة و الأرواح و هذه الأجسام و الأرواح كالحوادث اليومية التي أجمع كل عاقل علـى حـدوثها، فلـو جاء زنديق و قال إنه لم يزل أجسام و أرواح خلقاً من قبل خلق و إنـه كـان قبـل هذه السموات سموات غيرها لا إلى نهاية، و أرواح غـير هـذه الأرواح لا إلـى نهاية لم يكن بينه و بين هذا الناظم فرق إلا أن هذه في غير ذاته تعالى، و مـا قالـه الناظم، بحدوثه في ذاته سبحانه و تعالى و التسلسل عنده جائز فبم ينكـر علـى الزنديق الذي يدعي ذالك؟ و أي فرق بين قوله و قوله؟ فإن التزم جوازهما فأي فرق بينهما و بين جرم هذه السماء[٣]؟ وقوله (تخلف التأثير بعد تمام موجبـه) ففيـه

---

١ . ليس منذ خلق الخلق استفاد اسمالخالق و لا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري له معنى الربوبية و لا مربوب و معنى الخالق و لامخلوق و هكـذا كـما نقلـه الطحـاوي عـن فقهـاء الملـة لكـن أيـن للمجسم المسكين أن يفهم هذه الحقائق.

٢ . والمسلمون جميعهم يعتقدون أن حياة الله لا افتتاح لها، و قد تقدم للناظم أنه يقـول: إن كـل حـي فعال و إن الحياة و الفعل متلازمان و معنى هذا أن الفعل لا افتتاح له أيضاً فإذن كيف يتفق قوله هذا السابق مع قوله هنا «**كان الله و ليس شيء غيره**» فليعرف ذالك أهل الغرور بـابن القـيم ثـم ليعرفوه.

٣ . و لعل المصنف لم يرجزء (حوادث لا أول لها) لابن تيمية إذ قوله فيه خطر جدًا.



اعتراضان: أحدها أن المؤثر خلاف الفاعل بالاختيار و الله تعالى فاعل بالاختيار و الثاني قوله (بعد تمام موجبه) إن أراد الإيجاب الذاتي فهو قول الفلاسفة و الله فاعل بالاختيار، و من ضرورة الفعل بالاختيار تأخر عن الاختيار، و التأخر يقتضي الحدوث فكيف يتخلص عن هذه اللكنة. [و إن أراد الوجوب عن الله فسياق العبارة ينافيه].

فصل: القول في تجويز التسلسل في الماضي

قال: «فلئن زعمتم أن ذاك تسلسل قلنا صدقتم و هو ذو إمكان كتسلسل التأثير في مستقبل، وهل بينهما[1] فرق؟ و أبو على [الجبائى] و ابنه [أبو هاشم] و الأشعرى و ابن الطيب [الباقلانى] و جميع أرباب الكلام الباطل فرقوا وقالوا ذالك فيما لا يزال حق و فى الأزل ممتنع لأجل تناقض الأزلى و الأحداث، فانظر إلى التلبيس فى ذا الفرق ترويجا على العوران و العميان ما قال ذو عقل بأن ذا أزلى لذى ذهن و لا أعيان بل كل فرد فهو مسبوق بفرد ونظيره كل فرد ملحوق بفرد فالآحاد تفنى والنوع[2] لا يفنى أزلا و أبداً و تعاقب الأنات ثابت فى الذهن كذا فى العين، فإن قلتم الأنات حادثة فيقال ماذا تعنون بالأنات؟ هل تعنون مدة من حين إحداث السموات؟ ونظنكم تعنون ذاك و لم يكن قبلها

١ . لو كان الناظم سعى فى تعلم أصول الدين عند أهل العلم قبل أن يحاول الإمامة فى الدين لبان له الفرق بين الماضى و المستقبل فى ذالك، و لعلم أن كل ما دخل فى الوجود من الحوادث متناه محصور و أما المستقبل فلا يحدث فيه حادث محقق إلا و بعده حادث مقدر لا إلى غير نهاية بخلاف الماضى كما سبق و سيأتى كلام أبى يعلى و غيره فى ذالك.

٢ . عدم فناء النوع فى الأزل بمعنى قدمه، و أين قدم النوع مع حدوث أفراده؟ و هذا لا يصدر إلا ممن به مس بخلاف المستقبل و قد سبق بيان ذالك، وقال أبو يعلى الحنبلى فى المعتمد: «والحوادث لها أول ابتدأت منه خلافا للملحدة ا هـ» . و هو من أئمة الناظم فيكون هو و شيخه من الملاحدة على رأى أبى يعلى هذا فيكونان أسوأ حالا منه فى الزيغ نسأل الله السلامة.



شيء من الأكوان، هل جاءكم في ذاك من أثر و من نص و من نظر و من برهان؟ إنا نحاكمكم إلى ما شئتم منها أوليس خلق الكون في الأيام أوليس ذلكم الزمان بمدة، فحقيقة الأزمان[1] نسبة حادث لسواه، و أذكر حديث السبق بخمسين ألف سنة سابقة، و عرش الرب فوق الماء من قبل السنين بمدة و زمان و الحق أن العرش كان قبل القلم و الذين لم يقولوا بدوام فعله[2] عموا عن القرآن والحديث و مقتضى العقول و فطرة الرحمن و البرهان و أسسوا أصل الكلام و

---

١ . **الرد على كلام الناظم في الزمان**

بل الزمان متجدد معلوم يقدر به متجدد مبهم إزالة لإبهامه عند المتكلمين، و جوهر مجرد عند بعض الفلاسفة، و عرض غير قار الذات عند جمهورهم أو هو الفلك الأعظم أوحركته أو مقدار تلك الحركة عند طوائف منهم، و قول الناظم لا يطابق واحدا منها و الكلام في الزمان و المكان طويل الذيل مبسوط في موضعه، فكان الناظم يريد أن يقول: إن الزمان كان موجودا قبل هذه السموات بدليل تلك الأحاديث فلا مانع من وجود حوادث لا أول لها متعاقبة في الماضي في آنات متعاقبة لا أول لها، و هو قول الدهرية نفاة الصانع. فيا ترى ماذا يريد من كون العرش قبل القلم فإن كان أراد أن يجعل لله عرضا يستقر عليه أزلاً إما بقدم العرش قدما نوعيا، كما روى الدواني عن ابن تيمية أو قدما شخصيا لورود «**أول ما خلق الله القلم**» فحاشاه أن يستقر على عرش استقرار تمكن حادثا كان العرش أو غير حادث. تعالى الله عن هذا و ذاك. و لإهل العلم كلام واف في الأحاديث الواردة في أول ما خلق الله تعالى و لا غرض لنا يتعلق بذالك هنا و العرش هو المخلوق الثالث عند محققي أهل العلم بالحديث.

٢ . القول بدوام فعله تعالى في جانب الماضي قول بحوادث لا أول لها، و قد سبق تسخيف ذالك مرات، قال القاضي أبو يعلى الحنبلي: «لا يجوز وجود موجودات لا نهاية لعددها سواء كانت قديمة أو محدثة خلافا للملحدة و الدلالة عليه أن كل جملة لو ضممنا إليها خمسة أجزاء مثلا لعلم ضرورة أنها زادت، و كذالك عندالنقص، وإذا كان كذالك وجب أن تكون متناهية بجواز قبول الزيادة و النقصان عليها، لأن كل ما يأتي فيه الزيادة و النقصان وجب أن يكون متناهيا من جهة العدد ا هـ» راجع المعتمد المحفوظ تحت رقم ٤٥ من التوحيد في ظاهرية دمشق و هذا بالنظر إلى الماضي كما سبق فتبا لمن يكون أسوأ حالا في هذه المباحث من أبي يعلى المذكور حاله في دفع شبه التشبيه لابن الجوزي.



بنوا قواعدهم عليه و قادهم قسرا إلى التعطيل، نفى القيام لكل أمر حادث بالرب خوف تسلسل الأعيان فيسد ذاك عليهم بزعمهم إثبات الصانع إذا أثبتوه بخلاف الأجسام، هذه نهايات إقدام الورى فى ذا المقام الضيق فمن يأتى بفتح ينجي الورى من الحيرة» انتهى كلامه فى هذا الفصل.

و قد صرح بقبائح منها إمكان التسلسل و منها نسبة أكابر علماء الأشعرية إلى التلبيس و منها نسبة ذالك القرآن و السنة و أنه لم يجيء أثر ينص على العدم المتقدم و قد جاء (كان[1] الله و لا شيء معه) و الشيء يشمل الجسم و الفعل و النوع و الآحاد.

فصل

قال: «هذا[2] الدليل هو الذى أرداهم ما زال أمر الناس معتدلا إلى أن دار فى الأوراق فرفعت لوازمه قواعد الإيمان و تركوا حق الأدلة و هى فى القرآن و دليلهم لم يأت به الله و لا رسوله ﷺ بل حدث على لسان جهم و حزبه.»

ينبغى أن يقال لهذا الردي انتصب للدليل حتى يرى ما عنده.

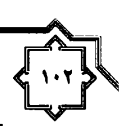
فصل

قال: فى الرد على الجهمية المعطلة القائلين بأنه ليس على العرش إله يُعبَدُ و لا فوق السموات إله يُصَلَّى له و يُسجَد.»

---

١ . أخرجه ابن حبان و الحاكم و ابن أبى شيبة عن بريدة و فى رواية و لا شيء غيره.

٢ . و هو القول بأن الجسم لا يخلو من حادث فى الاحتجاج على حدوث العالم وانتهائه إلى محدث واجب الوجود منزه عن الجسمية والجسمانيات، و هو حجة الله التى آتاها إبراهيم مهما تقولت المجسمة و هذت فى ذالك، و قد اعترف بتلك الحجة مثل ابن حزم مع كونه ظاهريا فما للناظم لا يتابعه فى ذالك و هو يتابعه فى شواذه الباطلة؟ فلعله اتخذه قدوة فى الباطل دون الحق.



هذا المُدْبر يأخذ الكلام يقلبه كما يقلب الحقائق، فإنه جعل مصب كلام خصومه إلى نفى الإله و هم أثبتوا الإله و نفوا كونه فوق العرش و قوله (المعطلة) يوهم به أنهم معطلة العالم من الصانع و هو يريد به معطلة الخالق من قيام الفعل الحادث به فما أكثر تلبيسه[1] و تدليسه و مراده بالجهمية (المعتزلة و الأشعرية) و ليس أحد من المعتزلة اليوم عندنا ظاهرا فلا كلام له إلا مع الأشعرية الذين أكثر الخلق يقتدون بهم، يريد تنقيصهم و الطعن فيهم، و يأبى الله إلا أن يتم نوره.

قال: «و الله كان و ليس شيء[2] غيره و خلق البرية، فسل المعطل هل هي

---

١ . و كيف يرضى العاقل أن يعد من العلماء ـ و هم أمناء الله فى أرضه ـ رجلا كثير الغش لأمة محمد ﷺ كثرة يتعجب منها أئمة الإسلام و ليس هذا الغش فى أمر من أمور الدنيا و لو كان هذا لهان الأمر و لكنه غش فى صميم الإسلام فليعرف ذالك المغرورون بابن القيم ثم ليعرفوه.

٢ . و هذا يناقض القول بحوادث لا أول لها و دوام الفعل فى جانب الماضى، و الناظم كم ينقض غزله و له هوى فى إكفار الأمة بكل وسيلة، و لا أدرى ماذا يكسب هذا المتهوس إذا لم يبق من الأمة مسلم سوى مكسرى الحشوية. و بين الصوفية أتقياء أبرار يراعون أدق أوامر الشرع فى جميع شئونهم و يرون فى الوجود ما لا يتنافى مع التكاليف الشرعية كما أن بين المتصوفة زنادقة إباحية، و إجراء الكلام فى حق الفريقين بمجرى واحد ليس من الإنصاف فى شيء و كفى أن ينسب إليهم بعض بدع بدون تسرع فى إكفارهم، و قال العلامة يوسف البحرى من أجلة أصحاب السيد مرتضى الزبيدى فيما علقه على (المجموع فى المشهود و المسموع): إن الواجب له عز الوجوب و العظمة و الكبرياء فهو منزه عن اللواحق المادية و التعطيلات الإلحادية و إن الممكن له ذل الإمكان و حقارة الاحتياج إليه محقور مقهور محتاج إليه تعالى فى وجوده و بقائه و جميع أطواره فلا ينقلب الواجب ممكنا و لا الممكن واجبا بل الواجب خالق قادر غنى و الممكن مخلوق عاجز محتاج، فلا يكون أحدهما عين الآخر، و هذا بدهى و به نزلت الكتب السماوية و جاء به الأنبياء و المرسلون و دعوا الناس إلى اعتقاده و قامت عليه البراهين و اتحدت كشوف الأولياء مع طريق النظر فى هذا المطلب اهـ. ثم شرح كيف يضمحل الوجود الإمكانى فى نظر المقبل إلى الله بكليته.



خارج ذاته أو فيها أو هو عينها لارابع، و لـذالك قـال محقـق القـوم الـذى رفـع القواعد هو عين الكون فهو الوجود بعينه إن لم يكن فوق الخلائق إذ ليس يعقـل بعد إلا أنه فيهما كمقالة النصرانى فاحكم على من قال ليس بخارج و لا داخـل بأنه أوقع عليه[١] حد المعدوم، فإن زعم أن ذاك فى الجسم، و الرب لـيس كـذالك فيقال هذا دعوى و اصطلاح اليونان.»

إن أراد بالدعوى نفى الجسمية عن الرب و بالاصطلاح ذالك فقد أظهر مـا فى نفسه، و إن أراد أن النفى إنما يصدق فى الأجسام و الظاهر أنه مراده فلايقال فيه اصطلاح.

قال: «و الشيء يصدق نفيه عن قابل و سواه و لذا ينفى عنه الظلم المحال و النوم و السنة و الطعم و الولادة و الزوجة، و الله وصف الجماد بأنه ميت أصـم، و نفى عنه الشعور و النطق و الخلق و هو لا يقبل، و لو سلم أن هـذا شرط كـان فى الضدين لا فى النقيضين و نفيكم لقبولهما يزيل الإمكـان و هـو كنفـى قيامـه بالنفس أو بالغير فإذا المعطل قال إن قيامه بالنفس أو بالغير باطل إذ ليس يقبلهما إلا جسم أو عرض فكلاكما ينفى الإله حقيقة ماذا يرد عليـه مـن هـو مثلـه فـى النفى صرفا و الفرق ليس بممكن لك والخصم يزعم أن ما هو قابل لهـما كقابـل لمكان فافرق أو اعط القوس باريها و خل الفشرة و كثرة الهذيان.»

فهذا فشار كبير ممـن لا يعـرف الـضدين و لا النقيـضين و لا الإمكـان و لا الامتناع، يا سبحان الله الدخول و الخروج نقيضان أوَنفـى الوصـف بهـما يزيـل الإمكان أو ينفي الإله؟ هذا خلط.

---

١ . من يعلم هذا البجباج النفاج أنواع التقابل و الفرق بين الـضدين و النقيـضين؟ و مـن يفهمـه أن الخروج و الدخول ضدان لا نقيضان قد يرتفعان عما ليس بجسم بخلاف النقيضين؟.



فصل

قال:

في سياق هذا الدليل على وجه آخر إن نفى المعطل كون الإله خارج الإذهان بالغ في الكفر و إن أقر، فإن قال إنه عين الأكوان قال بالاتحاد و جحد ربه، و إن قال غيرها، فإن قال الخلق في ذاته أو ذاته فيهم فهو قول النصارى، و إن قال قائم بنفسه فهو و غيره مثلان أو ضدان أوغيران و على التقادير[1] الثلاثة لولا التباين لم يكن شيئان فلذا قلنا إنكم باب من الاتحاد.»

أسمعُ جعجعة و لا أرى طحنا آخره مطالبة بأن ما ليس في حيز كيف يكون موجوداً.

فصل: نصوص عن ابن تيمية في الفوقية الحسية

قال: «ولقد أتانا عشرة أنواع من المنقول في فوقية[2]. الرحمن مع مثلها أيضا

---

١ . يلوك لسانه مصطلحات أهل المعقول من غير أن يفهم مرادهم ليظهر عند الحمقى بأنه جامع بين المعقول و المنقول، فالغيران إذا اشتركا في تمام الماهية فهما مثلان، و إلا فإن كانا وجوديين أمكن تعقل أحدهما مع الذهول عن الآخر فهما ضدان، والتباين عندهم باعتبار الصدق أو التحقق لا بمعنى البينونة المفيدة إشغال هذا حيزا غير حيز ذاك، و الحاصل أنه جعل القسم قسيما و حمل التباين على التباعد بالمسافة و إشغال كل حيزا غير حيز الآخر، و حاول أن يستنتج من الدعوى المجردة ما يدعيه، و لو كان المسكين درس الطوالع مثلا قبل أن يخوض في هذه المباحث عند عالم كالأصبهاني لما فضح نفسه بهذيان المحمومين، و حق للمصنف أن يقول في ثرثرة الناظم أسمع جعجعة و لا أرى طحنا. لأن معنى كلام الناظم: إن نفى المعطل الإله في خارج الإذهان فهو كافر، وإن أقر بوجوده بأن قال إنه عين الكون فهو اتحادي ملحد، و إن قال إنهما مثلان أو ضدان أو غيران بدون اختلاف في الجهات فهو قائل بالاتحاد أيضا. فيا ترى هل لهذا التخريف من معنى عند أهل البصيرة؟

٢ . شيخ الناظم يريد بالفوقية الحسية كما صرح به فيما رد به على الرازي حيث قال: «إن العرش في اللغة السرير و ذالك بالنسبة إلى ما فوقه كالسقف بالنسبة إلى ما تحته، فإذا كان القرآن جعل الله

←



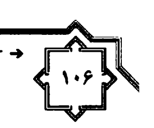
يزيد بواحد، ها نحن نسردها بلا كتمان.»

أخذ هذا الخلف السوء، يذكر ما قاله شيخه في كتاب العرش و كانه المقصود بهذا النظم فإنه أطال فيه.

قال: «هذا و من عشرين وجها يبطل التفسير بـ (استولى) لذى العرفان قد أفردت بمصنف لإمام هذا الشأن بحر العالم[١] الحرانى».

عرشا و ليس هو بالنسبة إليه كالسقف علم أنه بالنسبة إليه كالسرير بالنسبة إلى غيره و ذالك يقتضى أنه فوق العرش اهـ» و مثل هذه الفوقية لا يقول به إلا مجسم، و نقل البيهقى فى مناقب أحمد عن رئيس الحنابلة و ابن رئيسها أبى الفضل التميمى أنه قال: «أنكر أحمد على من قال بالجسم و قال: إن الأسماء مأخوذة من الشريعة و اللغة و أهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذى طول و عرض و سمك وتركيب و صورة و تأليف و الله تعالى خارج عن ذالك كله فلم يجز أن يسمى جسما لخروجه عن معنى الجسمية و لم يجيء فى الشريعة ذالك فبطل» انتهى.
فالناظم و شيخه متقولان على الشرع و على اللغة و على إمامها فضلا عن باقى الأئمة، عاملهما الله بعدله.

١ . بل هو وارث علوم صابئة حران حقًا، و المستلف من السلف ما يكسوها كسوة الخيانة و التلبيس. و عن هذا الحرانى ـ الذى اتخذه الناظم إماما ـ يقول ابن حجر فى الدرر الكامنة فى ترجمته: «و استشعر أنه مجتهد فصار يرد على صغير العلماء و كبيرهم، قديمهم و حديثهم، حتى انتهى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فخطأه فى شيء فبلغ الشيخ إبراهيم الرقى الحنبلى فأنكر عليه فذهب إليه و اعتذر واستغفر و قال فى حق علىّ [كرم الله وجهه] أخطأ فى سبعة عشر شيئا، خالف فيها نص الكتاب، منها اعتداد المتوفى عنها زوجها أطول الأجلين، و كان لتعصبه لمذهب الحنابلة يقع فى الأشاعرة حتى إنه سب الغزالى فقام عليه قوم كادوا يقتلونه. وذكروا أنه ذكر حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين فقال: كنزولى هذا، فنسب إلى التجسيم. و افترق الناس فيه شيعا، منهم من نسبه إلى التجسيم لما ذكر فى العقيدة الحموية [التى رد عليها ابن جهبل] و الواسطية و غيرهما من ذالك، كقوله: إن اليد و القدم و الساق و الوجه صفات حقيقية لله وأنه مستو على العرش بذاته فقيل له يلزم من ذالك التحيز و الانقسام فقال: أنا لا أسلم أن التحيز و الانقسام من خوّاص الأجسام فألزم بأنه يقول بالتحيز فى ذات الله تعالى، و منهم من ينسبه إلى الزندقة لقوله: إن النبى ﷺ لا يستغاث به. لأن فى ذالك تنقيصاً ومنعا من ←



تعظيم رسول الله ﷺ وكان أشد الناس عليه في ذالك النور البكري، فإنه لما عقد لـه المجلس بسبب ذالك، قال بعض الحاضرين يعزر فقال البكري لا معنى لهذا القول فإنـه إن كـان تنقيصاً يقتل و إن لم يكن تنقيصا لا يعزر، و منهم من ينسبه إلى النفاق لقوله في علي [كرم الله وجهه] ما تقدم، و لقوله: إنه كان مخذولاً حيثما توجه، و إنه حاول الخلافة مرارا فلم ينلها، و إنما قاتل دون الرياسة لا للديانة، و أن عثمان [رضي الله عنه] كان يحب المال. و لقوله أبو بكر [رضي الله عنه] أسلم شيخا لا يدري ما يقول و علي [كرم الله وجهه] أسلم صبيّا و الصبي لا يصح إسلامه على قول. و نسبه قوم إلى أنه كان يسعى في الإمامة الكبرى فإنه كان يلهج بذكر تومرت و يطريه فكان ذالك مؤكدا لطول سجنه و له وقائع شهيرة و كان إذا حوقق و ألزم يقول لم أرد هذا إنما أردت كذا فيذكر احتمالا بعيداً ا هـ».

و الدرر الكامنة من محفوظات دار الكتب المصرية و قد طبعت حديثا بمعرفة دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن و ليس بين هؤلاء من ذكره بالإمامة و القدوة في الدين و من اتخذه إماماً إنما اتخذه إماماً في الزيغ و الشذوذ من غير أن يتهيب ذالك اليوم الذي يدعى فيه كل أناس بإمامهم، فليعتبر بذالك من ظن أن ابن حجر العسقلاني في صف المثنين على إمامته على الإطلاق. و هذا كلام ابن حجر في هذا الزائغ مع أنه لم يطلع على جميع مخازيه. و من أثنى عليه من أهل السنة في مبدأ أمره قبل أنكشاف الستر عن بدعه الطامة إنما أثنى عليه تشجيعاً له على العلم لما كانوا يرون فيه في مبدأ نشأته من القابلية للعلم كما كانوا يفعلون مثل ذالك مع كل ناشىء لكن لما تشعبت هموم ابن تيمية و توزعت مواهبه في مختلف الأهواء وضاع صوابه بين أمواج البدع التي ارتضاها لنفسه تراجع كل من أثنى عليه من هؤلاء على توالي فتنه بين الأمة و تعاقب أهوائه المخزية و انقلبوا ضده، و لولا مغامراته في شتى العلوم التي يكفي واحد منها ليختص فيه أذكى العلماء لربما برع في علم يتفرغ له بعزيمة صادقة لكن جنى على نفسه بتشتيت مساعيه وراء أهواء بشعة فأصبح في موضع هزء البارعين كلما اختبروه في علم من العلوم التي يدعي الإمامة فيها و من أمثلة ذالك أن صفي الدين الأرموي المشهور كان طويل النفس في التقرير إذا شرع في وجه يقرره لا يدع شبهة و لا اعتراضا إلا و قد أشار اليه في التقرير بحيث لا يتم التقرير إلا و يعز على المعترض مقاومته، وكان حضر حينما جمعت العلماء لأجل النظر في المسألة الحموية، ولما عقد المجلس لأجل امتحان ابن تيمية عما أورده في الحموية أخذ الصفي الأرموي يقرر المسألة على طريقته البارعة ليقطع الطرق على ابن تيمية من جميع الوجوه فبدأ ابن تيمية يعجل عليه على عادته و يخرج من شيء إلى شيء على أمل أن ينفق عليه تشغيبه لكن سقط في



قول أبي حيان في ابن تيمية

المصنف المذكور هوكتاب العرش لابن تيمية[١] و هو من أقبح كتبه، و لما

يده حيث قال له الصفى الأرموى:

ما أراك يا بن تيمية إلا كالعصفور حيث أردت أن أقبضه من مكان يفر إلى مكان آخر اهـ . و ما ابن تيمية فى نظر مثل الأرموى إلا كعصفورة فى العلم و إن اتخذه الجهلة الأغرار إماما بأن نبذوا الأئمة المتبوعين وراء ظهورهم حيث راجت عليهم ثرثرته الفارغة، و لا غرو فإن لكل ساقطة لاقطة والطير على أشكالها تقع.

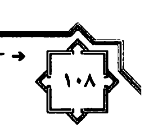
و المسألة الحموية هذه تتضمن القول بالجهة و حبس ابن تيمية بعد هذا المجلس بسبب هذه المسألة و نودى عليه فى البلد و على أصحابه و عزلوا من وظائفهم، و هذه المسألة هى التى رد عليها العلامة ابن جهبل ردا مشبعا، و قدعلمت بذالك قيمة علم ابن تيمية عند البارعين من أهل العلم. وههنا لابد من التنبيه على شيء و هو أنى كنت كتبت فيما علقت على دفع الشبه لابن الجوزى فى (ص ٤٧): (بل يروى عنه نفسه أعنى ابن تيمية) أنه نزل درجة و هو يخطب على المنبر فى دمشق و قال: «ينزل الله كنزولى هذا» على ما أثبته ابن بطوطة من مشاهداته فى رحلته. و قال الحافظ ابن حجر فى (الدرر الكامنة): ذكروا أنه ذكر حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين فقال: «كنزولى هذا» فنسب إلى التجسيم ا هـ . و هنا انتهى ما علقته على الموضع المذكور.

و أما ما زاد على ذالك و هو: «و يقول بعض علماء دمشق بأنه رأى هذه الخطبة فى مخطوط قديم بزيادة (لا) قبل (كنزولى) و الله أعلم، فزيادة من الأستاذ الناشر اعتماداً على ما سمعه من الشيخ بدران الدومانى كأنه لم يكن يعرف مبلغ اجترائه على المجازفات و إرسال الكلام بدون ميزان و لم تكن الجماعة تعتقد أن نزول الله كنزول ابن تيمية حتى يكون لهذا الكلام معنى ما و لأجل ما زيد فى كلامى هنا نكت الشيخ خضر الشنقيطى رحمه الله عليّ فى (استحالة المعية) و أنا برىء من تلك الزيادة، سامحه الله. **صيغة استتابة ابن تيمية فى الاستواء و الصوت وخطوط كبار العلماء**

١ . و قد استتيب مرات فى أمور خطرة و هو ينقض مواثيقه و عهوده فى كل مرة و أوردت هنا صورة من صيغ استتابته كما هى مسجلة فى (نجم المهتدى) لتكون عبرة للمعتبر و هى هذه:

«الحمد لله. الذى أعتقده أن القرآن معنى قائم بذات الله و هو صفة من صفات ذاته القديمة

←



الأزلية و هو غير مخلوق و ليس بحرف و لا صوت وليس هو حالا في مخلوق أصلا، لا ورق و لا حبر و لا غير ذالك، والذي أعتقده في قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] إنه على ما قال الجماعة الحاضرون و ليس على حقيقته و ظاهره، ولا أعلم كنه المراد به، بل لا يعلم ذالك إلا الله، و القول في النزول كالقول في الاستواء أقول فيه ما أقول فيه، لا أعرف كنه المراد به بل لا يعلم ذالك إلا الله و ليس على حقيقته وظاهره كما قال الجماعة الحاضرون، و كل ما يخالف هذا الاعتقاد فهو باطل، و كل ما في خطي أو لفظي مما يخالف ذالك فهو باطل، و كل ما في ذالك مما فيه إضلال الخلق أو نسبة ما لا يليق بالله إليه فأنا بريء منه، فقد برئت منه و تائب إلى الله من كل ما يخالفه. كتبه أحمد بن تيمية، و ذالك يوم الخميس سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعمائة.

و كل ما كتبته و قلته في هذه الورقة فأنا مختار في ذالك غير مكره، كتبه أحمد بن تيمية حسبنا الله و نعم الوكيل».

و بأعلى ذالك بخط قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ما صورته: اعترف عندي بكل ما كتبه بخطه في التاريخ المذكور، كتبه محمد بن إبراهيم الشافعي. و بحاشية الخط: اعترف بكل ما كتب بخطه، كتبه عبد الغني بن محمد الحنبلي، و بآخر خط ابن تيمية رسوم شهادات هذه صورتها: كتب المذكور بخطه أعلاه بحضوري واعترف بمضمونه، كتبه أحمد بن الرفعة.

صورة خط آخر: أقر بذالك، كتبه عبد العزيز المراوي.

صورة خطر آخر: أقر بذالك كله بتاريخه، علي بن محمد بن خطاب الباجي الشافعي

صورة خط آخر: جرى ذالك بحضوري في تاريخه، كتبه الحسن بن أحمد بن محمد الحسيني و بالحاشية أيضا ما مثاله: كتب المذكور أعلاه بخطه و اعترف به، كتبه عبدالله بن جماعة.

مثال خط آخر: أقر بذالك و كتبه بحضوري، محمد بن عثمان البوريجي.

و كل هؤلاء من كبار أهل العلم في ذالك العصر، و ابن الرفعة وحده له (المطلب العالي في شرح وسيط الغزالي) في أربعين مجلدا و في ذالك عبر. و لولا أن ابن تيمية كان يدعو العامة إلى اعتقاد ضد ما في صيغة الاستتابة هذه بكل ما أوتي من حول وحيلة لما استتابه أهل العلم بتلك الصيغة و ما اقترحوا عليه أن يكتب بخطه ما يؤاخذ به إن لم يقف عند شرطه، و بعد أن كتب تلك الصيغة بخطه توج خطه قاضي القضاة البدر ابن جماع بالعلامة الشريفة و شهد على ذالك جماعة من العلماء كما ذكرنا، و حفظت تلك الوثيقة بالخزانة الملكية الناصرية، لكن لم تمض مدة على ذالك حتى نقض ابن تيمية عهوده و مواثيقه، كما هي عادة أئمة الضلال.، و عاد إلى



وقف عليه الشيخ أبو حيان[1] ما زال يلعنه حتى مات بعد أن كان يعظمه. قال:

→ دعوته الضالة و رجع إلى عادته القديمة في الإضلال و كم له من فتن في مختلف التواريخ * في سني ٦٩٨ و ٧٠٥ و ٧١٨ و ٧٢١ و ٧٢٢ و ٧٢٦ و هي مدونة في كتب التواريخ و في كتب خاصة، و مجرد تصور شواذه التي ألممنا ببعضها في هذا الكتاب يدل المسترشد المنصف على ما ينطوي عليه من الزيغ و إضلال الأمة، و الله سبحانه ينتقم منه.

و الغريب أن أتباع هذا الرجل يسيرون وراءه و يتشبهون به في إثارة القلاقل و الفتن بين الأمة بمواجهتها بالحكم على أفرادها بالشرك و الزيغ و الكفر و عبادة الأوثان و الطواغيت، يعنون أحباب الله الأنبياء و الأولياء يقولون إن من يزورهم يكون عابد الأوثان و الطواغيت و من هذا الطراز في زمننا كثير نراهم بأعيننا و نسمعهم بآذاننا، طهر الله الأرض منهم و أراح العباد من شرهم.

١ . قال أبو حيان الأندلسي الحافظ في تفسير قوله تعالى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقره:٢٥٥] و قد قرأت في كتاب لأحمد بن تيمية هذا الذي عاصرناه و هو بخطه سماه كتاب العرش «**إن الله يجلس على الكرسي و قد أخلى مكانا بقعد معه فيه رسول الله ﷺ، تحيل عليه محمد بن عبد الحق و كان من تحيله أنه أظهر أنه داعية له حتى أخذ منه الكتاب و قرأن ذالك فيه**» كما ترى في النسخ المخطوطة من تفسير أبي حيان و ليست هذه الجملة بموجودة في تفسير البحر المطبوع، و قد أخبرني مصحح طبعه بمطبعة السعادة أنه استفظعها جدًا و أكبر أن ينسب مثلها إلى مسلم فحذفها عند الطبع لئلا يستغلها أعداء الدين، ورجاني أن أسجل ذالك هنا استدراكاً لما كان منه و نصيحة للمسلمين.

و قد علمت العواتق في خدورهن حكاية هجر أبي حيان لابن تيمية لهذا السبب بعد أن كان تسرع في إطرائه، وإطراؤه مدون في الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي و أما تقول بعض المداهنين بأنه إنما كان هجره لوقوعه في سيبويه حيث قال: أكان سيبويه نبي النحو و قد غلط في كيت و كيت، فرجم بالغيب أمام تصريح أبي حيان صاحب القصة، نعم هذا تهور و قلة أدب من ابن تيمية و ما هي قيمة نحوه في جانب استبحار سيبويه و أبي حيان في النحو، و إن كان لكل إمام غلطات معدودة في علمه لكن و قوعه في سيبويه في جنب الوقوع في الله سبحانه ليس بشيء مذكور فحمل هجره الدائم على خلاف ما ذكره الهاجر ليس شأن من يخاف الله، و يتوخى مراضيه. بل ذالك شأن المخدوعين المفتونين.

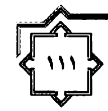


«منها استوى[١] فى سبع آيات بغير لام و لو كانت بمعنى استولى لجاءت فى موضع باللام.»

و هذا الذى قاله ليس بلازم فالمجاز قد يطرد و حسنه أن لفظ استوى أعذب و أخصر و ليس هذا من الاطراد الذى يجعله بعض الأصوليين من علامة الحقيقة، فإن ذالك هو الاطراد فى جميع موارد الاستعمال و الذى حصل هنا اطراد استعمالها فى آيات فأين أحدهما من الآخر، ثم إن استوى وزنه افتعل فالسين فيه أصلية و استولى وزنه استفعل فالسين فيه زائدة و معناه من الولاية فهما مادتان متغايرتان فى اللفظ و المعنى، و الاستيلاء قد يكون بحق و قد يكون بباطل و الاستواء لا يكون إلا بحق و الاستواء صفة للمستوى فى نفسه بالكمال و الاعتدال، و الاستيلاء صفة متعدية إلى غيره فلا يصح أن يقال استولى حتى يقول على كذا، و يصح أن يقول استوى و يتم الكلام، فلو قال استولى لم يحصل المقصود، و مراد المتكلم الذى يفسر الاستواء بالاستيلاء التنبيه على صرف اللفظ عن الظاهر الموهم للتشبيه و اللفظ قد يستعمل مجازا فى معنى لفظ آخر ويلاحظ معه معنى آخر فى لفظ المجاز لو عبر عنه باللفظ الحقيقى لاختل

---

١ . ويقال لهذا المتعلم بل لو كان (استوى) بمعنى (جلس) لأتى لفظ (جلس) فى أحد المواضع السبعة. و مما يقصر المسافة فى الرد على الحشوية التى تدعى التمسك بالظاهر أن قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾ [الأعراف: ٥٤] صيغة فعل مقرونة بما يدل على التراخي و ذالك يدل على أن الاستواء فعل له تعالى متقيد بالزمن و بالتراخي شأن سائر الأفعال وعد ذالك صفة إخراج للكلام عن ظاهره و هذا ظاهر جدّا و لم يرد (المستوى) فى عداد أسماء الله الحسنى لا فى الكتاب و لا فى السنة حتى يصح إطلاقه على الذات العلية على أن يكون صفة أو علماً. و قد أجمعت الأمة على أن الله تعالى لا تحدث له صفة فلا مجال لعد ذالك صفة و قد ذكرت وجه حسن الاستعارة التمثيلية فى الآية (فى لفت اللحظ إلى ما فى الاختلاف فى اللفظ) و لعل القارئ المنصف يكاد يعد ذالك متعينا و لا حاجة إلى إعادة من هناك، فليراجع ثمة.



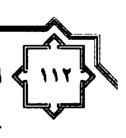
المعنى و قد يريد المتكلم أن الاستواء من صفات الأفعال كالاستيلاء المتمحض للفعل من كل وجه و يكون السبب فى لفظة الاستواء عذوبتها و اختصارها فقط دون ما ذكرناه و لكن ما ذكرناه أحسن و أمكن مع مراعاة معنى الاستيلاء، و انظر قول الشاعر:

قد استوى قيس على العراق   من غير سيف و دم مهراق

و لو أتى بالاستيلاء لم يكن له هذه الطلاوة و الحسن، و المراد بالاستواء كمال الملك هو مراد القائلين بالاستيلاء، و لفظ الاستيلاء قاصر عن تأدية هذا المعنى، فالاستواء فى اللغة له معنيان أحدهما استيلاء بحق و كمال فيفيد ثلاثة معان و لفظ الاستيلاء لا يفيد إلا معنى واحدا، فإذا قال المتكلم فى تفسير الاستواء الاستيلاء مراده المعانى الثلاثة و هو أمر يمكن فى حق الله سبحانه و تعالى فالمُقْدم على هذا التأويل لم يرتكب محذوراً و لا وصف الله تعالى بما لا يجوز عليه و المفوض المنزه لا يقدم على التفسير بذالك لاحتمال أن يكون المراد خلافه و قصور أفهامنا عن وصف الحق سبحانه و تعالى مع تنزيهه عن صفات الأجسام قطعاً، و المعنى الثانى للاستيلاء فى اللغة الجلوس و القعود، و معناه مفهوم من صفات الأجسام لا يعقل منه فى اللغة غير ذالك و الله تعالى منزه عنها، و من أطلق القعود و قال إنه لم يرد صفات الأجسام قال شيئاً لم تشهد به اللغة فيكون باطلاً و هو كالمقر بالتجسيم[1] المنكر له فيؤاخذ بإقراره و لا يفيد

---

١ . و الإقرار بتجويز الجسمية بكل صراحة موجود فى كلام شيخه فيما رد به على الفخر الرازى كما سبق، بل لصاحب الفرج بعد الشدة الشيخ محمد المنبجى الحنبلى من أخص تلاميذ الناظم رسالة فى الرد على من ينفى المماسة بكل وقاحة، و ما تخفى صدور هؤلاء أكبر فالمؤمن الرشيد يجب عليه أن يتوقى من الوقوع فى هاويتهم و المسألة مسألة كفر و إيمان و سننقل نصوصا من الكتابين المذكورين فى مواضع تحذيراً للمغترين.



انكاره و اعلم أن الله تعالى كامل الملك أزلاً و أبداً، و لكن العرش و ماتحته حادث، فإن قوله ﴿ثُمَّ استَوَى عَلَى العَرشِ﴾ لحدوث العرش لا لحدوث الاستواء.

فصل

قال: «و ثانيها لفظ العلى و الأعلى[1] والعلو بمطلقه عام و نفيه نقص و علوه فوق الخليقة كلها فطرت عليه الخلق» فيقال أسماء الله قديمة فإن لزم من العلى و الأعلى كونه فوق جسم لزم قدم العالم و الذى فطرت عليه و البديهة التعظيم إلى أعلى غاية.

فصل: كلمة ابن تيمية في العلو و الفوقية و الرد عليه

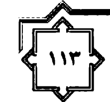
قال: «و ثالثها صريح الفوق[2] مصحوباً بمن و بدونها أحدهما قابل للتأويل

---

١ . العلو مشتقاته من صفات التنزيه تعالى الله عما يصف به المجسمة، و الحمل على علو المكان نزعة وثنية، قال ابن تيمية فى التأسيس: «و البارى سبحانه و تعالى فوق العالم فوقية حقيقية و ليست فوقية الرتبة كما أن التقدم على الشيء قد يقال إنه بمجرد الرتبة كما يكون بالمكان مثل تقدم العالم على الجاهل وتقدم الإمام على المأموم فتقدم الله على العالم ليس بمجرد ذالك بل هو قبلية حقيقية و كذالك العلو على العالم قد يقال إنه يكون بمجرد الرتبة كما يقال العالم فوق الجاهل و علو الله على العالم ليس بمجرد ذالك بل هو عال عليه علوا حقيقياً و هو العلو المعروف و التقدم المعروف ا هـ». فهل يشك عاقل أن ابن تيمية يريد بذالك الفوقية الحسية و العلو الحسى، تعالى الله عما يأفكون، و استعمال العلو و مشتقاته فى اللغة العربية بمعنى علو الشأن فى غاية من الشهرة رغم تقول المجسمة.

٢ . ينص شيخه فى كتابه المذكور على أن المراد بالفوقية الفوقية الحسية فكأنه لم يتل فى كتاب الله ﴿يَدُ الله فَوقَ أيدِيهِم﴾ [الفتح:١٠] و ﴿فَوقَ كلِ ذِي عِلمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦] و المراد بالفوقية فوقية العزة و القهر و التنزه. (و الله فوق ذالك) فى حديث الترمذى بمعنى أنه يعلو عن

←



و الأصل الحقيقة و المجرور لا يقبل التأويل وضع لفائدة جليل قدرها إن الكلام إذا أتى بسياقه يبدى المراد أضحى كنص قاطع».

فيقال المجرور أولى بالتأويل لأن قوله تعالى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] يحتمل أن المراد خوفاً من فوقهم و ليس فى سياق الكلام ما يبدى المراد الذى ادعاه فأين الفائدة؟ و الفوقية بمعنى القهر و علو القدر متفق عليها و الجهة هى عين النزاع و يلزم منها قدم الجهة.

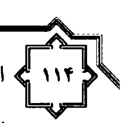
فصل

قال: «و رابعهما عروج الروح و الملائكة فى سورتى السجدة و المعارج قالوا هما بزمان و عندى يوم واحد عروجهم فيه إلى الديان فالألف مسافة نزولهم و صعودهم إلى السماء الدنيا و الخمسون ألف من العرش إلى الحضيض الأسفل».

فيقال له فى الآيتين «إليه» فعلى قوله يكون الله فى مكانين أحدهما فى السطح التحتانى من السماء الدنيا لأنه نهاية الألف و الثانى فى العرش ثم إن

←

مدارك البشر بدليل ما فى سنن الترمذى أيضاً من حديث (لو دليتم) قال: ابن جهبل: الفوقية ترد لمعنيين: أحدهما نسبة جسم إلى جسم بأن يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل بمعنى أن أسفل الأعلى من جانب رأس الأسفل، و هذا لا يقول به من لا يجسم، و ثانيهما بمعنى المرتبة كما يقال الخليفة فوق السلطان و السلطان فوق الأمير، و كما يقال: جلس فلان فوق فلان و العلم فوق العمل و الصياغة فوق الدباغة قال تعالى ﴿و رَفَعنَا بَعضَهُم فَوقَ بَعضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف:٣٢] و لم يطلع أحدهم فوق أكتاف الآخر و قال تعالى عن القبط ﴿وَ إِنَّا فَوقَهُم قَاهِرونَ﴾ [الأعرفا: ١٢٧] و ما ركبت القبط أكتاف بنى إسرائيل و لا ظهورهم اهـ . فظهر بذالك بطلان التمسك بكلمة فوق فى الآيات و الأحاديث فى إثبات الجهة له تعالى الله عن مزاعم المجسمة.



المسافة إذا فصلت على أن بين السماء و الأرض خمس مائة عام و كذا ثخانة كل سماء و ما بين كل سماء و سماء لا يبلغ هذا المقدار و هذا لا يتعلق بغرضنا، و المتعلق بغرضنا إلزامه بظاهر قوله «إليه» مع التزامه أن الغاية في المكان و كون ما بين السماء و الأرض خمس مائة عام روى بطرق ضعيفة وفي الترمذي من رواية العباس في حديث الأوعال إما واحدة و إما اثنتان أو ثلاث و سبعون سنة و هو يوافق قول أهل الهيئة و هذا يرجح أنهما يومان: أحدهما في الدنيا إلى العرش ألف سنة و الثاني يوم القيامة خمسون ألف سنة من الشدة و قد جاء أن في الجنة مائة درجة بين كل درجتين مائة عام في رواية و في رواية كما بين السماء و الأرض (و كلاهما في الترمذي و الفردوس أعلى الجنة و فوقه العرش فهذه المسافة أكثر من عشرة آلاف سنة)[١].

فصل

قال: «وخامسها صعود كلامنا[٢] والصدقة والحفظة والسعي والمعراج[٣] وعيسى وروح المؤمنين و دعاء المضطر ودعاء المظلوم.»

و قال في المعراج: «و قد دنا منه إلى أن قدرت قوسان».

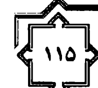
و قد علم كل واحد اختلاف المفسرين في قوله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: ٨] فكيف يستدل به و عيسى في السماء الرابعة ليس على العرش، و

---

١ . ما بين القوسين في هامش الأصل.

٢ . قال ابن جهبل: الصعود كيف يكون حقيقة في الكلام؟ مع أن الصعود في الحقيقة من صفات الأجسام فليس المراد إلا القبول اهـ و هذا ظاهر جدّا.

٣ . قال ابن جهبل: لم يرد في حديث المعراج أن الله فوق السماء أو فوق العرش حقيقة و لا كلمة واحدة من ذالك و هو لم يسرد حديث المعراج و لا بين وجه الدلالة منه حتى نجيب عنه فلو بين وجه الدلالة لعرفنا كيف الجواب اهـ.



رفع الصدقة و الكلام و شبههما من المعانى ليس بالانتقال من مكان إلى مكان لأن المعانى لا تنتقل.

فصل: حديث النزول

قال: «و سادسها و سابعها النزول[١] و التنزيل». أ

و تنزيل القرآن لنزول جبريل به من جهة العلو.

فصل

قال: «و ثامنها رفيع الدرجات و فعيل بمعنى المفعول».

ما بقى من تخلف هذا النحس إلا أن يجعل لله سلما يصعد و ينزل فى درجاته تعالى الله عما يقول. يحمل على اللفظ فوق ما يحتمله و يفهم منه غير مراده فسحقا له.

فصل

«و تاسعها فوق السماء».[٢]

---

١ . قاتل الله الجهل، ما أفتكه، فمن الذى يجهل استمرار الثلث الأخير من الليل فى البلاد باختلاف المطالع حتى يحمل النزول إلى السماء الدنيا على النزول الحسى، و قد حمل حماد بن زيد النزول فى الحديث على معنى الإقبال و من أهل العلم من حمل الحديث على أن الإسناد فيه مجازى من قبيل الإسناد إلى السبب الآمر و يؤيده حديث أبى هريرة فى سنن النسائى و فيه (ثم يأمر مناديا يقول هل من داع فيستجاب له). و ليس فى استطاعة من يخاف الله غير أن يفوض معنى النزول إلى الله مع التنزيه أو أن يحمل الحديث على المجاز فى الطرف أو فى الإسناد، بل الأخير هو المتعين لحديث النسائى المذكور فيخرج حديث النزول من عداد أحاديث الصفات بالمرة عند منفكر و تدبر تعالى الله عن النقلة التى يقول بها المجسمة.

٢ . يريد حديث الرقية و فى لفظ الناظم تغيير للفظ الحديث و سيأتى بيان ذالك و الرد عليه.



فصل

قال: «و عاشرها الملائكة الذين هم عند الرحمن و كتاب رحمته عنده فوق العرش و سائر الأشياء ليست كذالك».

من هم الملائكة الذين هم معه فى المكان و جبريل يتأخر عن المكان الذى وصل إليه النبى ﷺ؟.

فصل: الإشارة إلى رفع الأيدي إلى السماء

قال: «و حادى عشرها إشارة النبى ﷺ بأصبعه فى الموقف لله.»[1]

جوابه: إن القلب متوجه إلى الرب العالى قدرا و قهرا على كل شىء و الإشارة إلى جهة العلو التى هى محل ملكه و سلطانه و ملائكته و العليين عن خلقه، و قبلة دعائه و منزل وحيه و هكذا رفع[2] الأيدى فى الدعاء.

---

١ . أين فى الحديث ذكر الإشارة إلى الله؟ وهكذا تكون أمانة مثل الناظم و شيخه فى النقل؟ و هل صدر منه ﷺ فى خطبة عرفات سوى أن رفع أصبعه ثم نكبها إليهم و هل فى ذالك دلالة على أن رفعه كان ليشير به إلى جهة الله سبحانه؟ تعالى الله عن ذالك. و الخطيب يرفع يده و ينكبها كيف يشاء فى أثناء خطبته. و جعل ذالك حجة فى شىء لا يصدر إلا ممن فى قلبه مرض على أن الأرض كروية فالواقف فى شرق الأرض تكون إخمصه فى مقابلة إخمص الواقف فى غرب الأرض، و من ضرورة ذالك أن يكون سمتا رأسيهما إلى جهتين متعاكستين فتكون إشارة أحدهما إلى جهة تعاكس الجهة التى يشير إليها الآخر، و هكذا، و كروية الأرض منصوصة فى الكتاب و السنة كما فى فصل ابن حزم و المنكر لذالك ليس بمنكر لقول أهل الهيئة فقط، و لا للمحسوس فقط. و نسى الناظم الاستدال فى هذا الصدد بالإشارة فى التشهد؟!

٢ . و رفع الأيدى إلى السماء لأجل إن السماء منزل البركات والخيرات لأن الأنوار إنما تنزل منها و الأمطار، وإذا ألف الإنسان حصول الخيرات من جانب مال طبعه إليه فهذا المعنى هو الذى أوجب رفع الأيدى إلى السماء و قال الله تعالى ﴿وَ فِى السَّماءِ رِزْقُكُم وَ مَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] ذكره ابن جهبل فيما رد به على العقيدة الحموية لابن تيمية و هذا الرد يحق أن

←



فصل

قال: «و ثانى عشرها وصفه تعالى بالظاهر و فسر فى الحديث (أنت الظاهر فليس فوقك شيء)».

يقال لهذا المدبر إن كان الظاهر يقتضى الفوقية الحسية فاسم الباطن يقتضى التحتية الحسية ـ تعالى الله.

فصل: دعوى الناظم في الرؤية بدون مقابلة

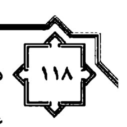
قال: «و ثالث عشرها إخباره أنا نراه فى الجنة و هل نراه إلا من فوقنا[1] و

→

يكتب بماء الذهب، و من حاول الرد عليه من الحشوية فقد وقع على أم رأسه و كتاب ابن جهبل حقه أن يفرد بالطبع من طبقات ابن السبكى ـ ونسخة مخطوطة من كتاب ابن جهبل هذا توجد بمكتبة (لا له لى) باسطنبول.

١ . قال: «إذ رؤية لا فى مقابلة من الرائى محال ليس فى الإمكان». و هذا صريح فى أنه لا يرى رؤية لا يكون المرئى فيها فى مقابلة الرائى فلا يكون أصرح من هذا فى القول بالتجسيم و من جملة ما يهذى به الناظم فى شفاء العليل (١٥٩): «كيف يصح عند ذى عقل، مرئى يرى بالأبصار عيانا لا فوق الرائى و لا تحته و لا عن يمينه و لا عن شماله و لا خلفه و لا أمامه» اهـ. و هذا مثل ما هنا و هو من أبعد الناس عن نفى الرؤية فيكون مجسما صريحا، و رؤية الله كما يرى القمر فى ليلة البدر يقول عنها ابن قتيبة فى (الاختلاف فى اللفظ) لم يقع التشبيه فيها على حالات القمر من التدوير و المسير و الحدود و غير ذالك و إنما وقع التشبيه فى أن إدراكه يوم القيامة كإدراكنا القمر ليلة البدر لا يختلف فى ذالك كما لا يختلف فى هذا، و العرب تضرب بالقمر المثل فى الشهرة و الظهور اهـ فعار على الناظم و شيخه أن يغيب عنهما ما لم يغب عن مثل ابن قتيبة، لكن الهوى يعمى و يصم، و كلامهما ينبيء عن تشبيه المرئى بالمرئى بل عادة ابن تيمية تهوين شأن التشبيه حتى تجده يقول فيما رد به على الرازى (٢٤ ـ الكواكب) «ليس فى كتاب الله و لا سنة رسوله ﷺ و لا كلام أحد من الصحابة و التابعين و لا الأكابر من أتباع التابعين ذم المشبة و ذم التشبيه و نفى مذهب التشبيه ونحو ذالك و إنما اشتهر ذم هذا من جهة الجهمية اهـ» كأنه لم يتل قوله تعالى ﴿لَيسَ كمثله شَيء﴾ [الشورى:١١] و قوله تعالى ﴿أفَمَن يَخلُقُ كَمَن لا يَخلُقُ﴾

←



دعوى سواها مكابرة و لذا قال محقق منكم للمعتزلة ما بيننا خلف فاحملوا معنا على المجسمة إذ قالوا يُرى كما يُرى القمران فيلزمهم العلو و ليس فوق العرش رب، هذا الذى و الله مودع كتبهم.» ينبغى أن يحضر هذا النحس و يلزم بأن يخرج من كتبهم أنه ليس فوق العرش رب و لن يجده فى كتبهم أبداً و توهمه أنه لا يُرى إلا من فوق لقصور عقله. و نقله اتفاقنا مع المعتزلة لعدم فهمه بل بيننا و بينهم وفاق و خلاف فقوله: ما بيننا و بينكم خلف كذب علينا.

فصل: بسط الكلام في السؤال بـ «أين» في حديث الجارية

قال: «و رابع عشرها أين الله فى كلام النبى ﷺ فى حديث معاوية بن الحكم و فى تقريره لمن سأله رواه أبو رزين.»

أقول: أما القول فقوله ﷺ للجارية «أين[١] الله ؟ قالت فى السماء» و قد

[النحل:١٧] و هو الذى يروى عن ابن راهويه فى موضع آخر من ذالك الكتاب «من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلقه فهو كافر بالله العظيم» و يروى أيضا مثله عن نعيم بن حماد فى موضع آخر و هو من أئمتهم بل يروى عن الامام أحمد نفسه (لا يشبهه شئ من خلقه) في موضع آخر من كتابه المذكور و هذا مما يدل على وقاحته البالغة و قلة دينه، و هل أدل على قلة عقل الرجل من تناقضه فى كتاب واحد؟ و الله ينتقم منه.

١ . و راوى هذا الحديث عن ابن الحكم هو عطاء بن يسار و قد اختلفت ألفاظه فيه ففى لفظ له «فمد النبى ﷺ يده إليها و أشار إليها مستفهما من فى السماء...» الحديث، فتكون المحادثة بالإشارة على أن اللفظ يكون ضائعاً مع الخرساء الصماء فيكون اللفظ الذى أشار إليه الناظم و المؤلف لفظ أحد الرواة على حسب فهمه لا لفظ الرسول ﷺ، و مثل هذا الحديث يصح الأخذ به فيما يتعلق بالعمل دون الاعتقاد، و لذا أخرجه مسلم فى باب تحريم الكلام فى الصلاة ـ دون كتاب الإيمان ـ حيث اشتمل على تشميت العاطس فى الصلاة و منع النبى ﷺ عن ذالك، و لم يخرجه البخارى فى صحيحه و أخرج فى جزء خلق الأفعال ما يتعلق بتشميت العاطس من هذا الحديث مقتصراً عليه دون ما يتعلق بكون الله فى السماء بدون أى إشارة إلا أنه

اختصر الحديث و ليس فى رواية الليثى عن مالك لفظ (فإنها مؤمنة) ... و أما عدم صحة الاحتجاج به فى إثبات المكان له تعالى فللبراهين القائمة فى تنزه الله سبحانه عن المكان و المكانيات و الزمان و الزمانيات، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَ الأرضِ قُل لله﴾ [الأنعام: ١٢] و هذا مشعر بأن المكان وكل ما فيه ملك لله تعالى. و قال تعالى: ﴿و لَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيلِ وَ النَّهارِ﴾ [الأنعام:١٣] و ذالك يدل على أن الزمان و كل ما فيه ملك لله تعالى، فهاتان الآيتان تدلان على أن المكان و المكانيات والزمان و الزمانيات كلها ملك لله تعالى و ذالك يدل على تنزيهه سبحانه عن المكان و الزمان، كما فى أساس التقديس للفخر الرازى، و لأن الحديث فيه اضطراب سندا و متنا رغم تصحيح الذهبى و تهويله راجع طرقه فى كتاب العلو للذهبى و شروح الموطأ و توحيد ابن خزيمة حتى تعلم مبلغ الاضطراب فيه سندا و متنا، و حمل ذالك على تعددالقصة لا برضاء أهل الغوص فى الحديث و النظر معا فى مثل هذا المطلب فالروايات على رجل مبهم محمولة على ابن الحكم، و لم يصح حديث كعب بن مالك و لا حديث يروى عن امرأة، فما لك يرويه عن عمر بن الحكم غير مقر بأن يكون غلطا فيه، ومسلم عن معاوية بن الحكم و لفظها كما سبقت الإشارة إليه مع نقص لفظ (فإنها مؤمنة) فى رواية مالك. و لفظ ابن شهاب فى موطأ مالك عن أنصارى ـ و هو صاحب القصة فى الرواية الأولى ـ (فقال لها رسول الله ﷺ: أتشهدين أن لا إله إلا الله؟ قالت: نعم، قال: أتشهدين أن محمدا رسول الله ؟ قالت: نعم) و أين هذا من ذاك؟ و ستعرف حال الذهبى فى أواخر الكتاب فلا تلتفت إلى تهويله و تحريفه فى هذا الباب فلعل لفظ (أين الله) تغيير بعض الرواة على حسب فهمه. و الرواية بالمعنى شائعة فى الطبقات كلها و إذا وقعت الرواية بالمعنى من غير فقيه فهناك الطامة، و صاحب القصة لم يكن من فقهاء الصحابة و لا له سوى هذا الحديث فى التحقيق، بل كان أعرابياً يتكلم فى الصلاة، على أن (أين) تكون للسؤال عن المكان و للسؤال عن المكانة حقيقة فى الأول و مجازا فى الثانى أو حقيقة فيهما. قال أبوبكر بن العربى فى شرح حديث أبى رزين فى العارضة: المراد بالسؤال بأين عنه تعالى المكانة، فإن المكان يستحيل عليه، و أين مستعملة فيه، و قيل إن استعمالها فى المكان حقيقة و فى المكانة مجاز و قيل هما حقيقتان، و كل جار على أصل التحقيق مستعمل على كل لسان و عند كل فريق. هـ . و قال أبو الوليد الباجى فى المنتقى: يقال مكان فلان فى السماء بمعنى علو حاله و رفعته و شرفه، فلعل الجارية تريد وصفه بالعلو، و بذالك يوصف كل من شأنه العلو ا. هـ فيكون معنى (أين الله) ما هى مكانة الله عندك و معنى (فى السماء) أنه تعالى فى غاية من علو الشأن، يتحد هذا المعنى مع



تكلم الناس عليه قديما و حديثا و الكلام عليه معروف و لا يقبله ذهن هذا الرجل لأنه مشاء على بدعة لا يقبل غيرها؟ و أما حديث أبى رزين[١] فى سنن

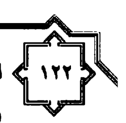
معنى (أتشهدين أن لا إله إلا الله قالت نعم) فإن قيل فليكن لفظ الرسول ﷺ هو (أين الله و لفظ الراوى هو (أتشهيدن...) رواية بالمعنى على الصورة السابقة فالجواب أنه لم يصح عن النبى ﷺ فى تلقين الإيمان طول أداء رسالته السؤال بأين أو ذكر ما يوهم المكان و لا مرة واحدة فى غيرهذه القصة المضطربة بل الثابت هو تلقين كلمة الشهادة، فاللفظ الجارى على الجادة أجدر بأن يكون لفظ الرسول ﷺ، على أن المحقق السيد الشريف الجرجانى أجاز فى شرح المواقف أن يكون السؤال للاستكشاف عن معتقد الجارية هل هى عابدة وثن أرضى هى مؤمنة بالله رب السموات.

و من أهل العلم من يعد العامى معذورا فى اللفظ الموهم اعتدادا بأصل اعتقاده بالله سبحانه و إن أوهم بعض إيهام فى وصفه تعالى ﷺ و إليه يشير القرطبى فى الفهم فى شرح حديث الجارية فى صحيح مسلم، قال ابن الجوزى: قد ثبت عند العلماء أن الله لا تحويه السماء و لا الأرض، و لا تضمنه الأقطار، و إنما عرف بإشارتها تعظيم الخالق جل جلاله عندها اهـ و على تقدير ثبوت لفظ (أين) فالمعنى الذى ذكره الباجى و ابن العربى معنى لا حيدة عنه أصلا و جلالة مقدار هذين الإمامين فى الحديث و اللغة و أصول الدين و الفقه لا يجحدها إلا الجاهلون و قول ذالك الصحابى الذى كان يبغى فوق السماء مظهرا، من الأدلة على ما أشار إليه الباجى.

١ . توهين حديث أبى رزين

أما حديث أبى رزين ففى سنده حماد بن سلمة مختلط، و كان يدخل فى حديثه ربيباه ما شائا و ليس فى استطاعة ابن عدى و لا غيره إبعاد هذه الوصمة عنه، و يعلى بن عطاء تفرد به عن وكيع بن حدس أو عدس، وهو مجهول الصفة، و هو تفرد عن أبى رزين، و لا شأن للمنفردات و الوحدان فى إثبات الصفات فضلا عن المجاهيل و عمن به اختلاط، فليتق الله من يحاول أن يثبت به صفة لله، و قد سئم أهل العلم من كثرة ما يرد بطريق حماد بن سلمة من الروايات الساقطة فى صفات الله سبحانه، و قد روى أبو بشر الدولابى الحافظ عن ابن شجاع عن إبراهيم بن عبدالرحمن بن مهدى أنه قال: «كان حماد بن سلمة لا يعرف بهذه الأحاديث حتى خرج خرجة إلى عبدان فجاء و هو يرويها، فلا أحسب إلا شيطانا خرج إليه فى البحر فألقاها إليه اهـ» . و ماذا يجدى تحمس ابن عدى فى الدفاع عنه و الرد على محمد بن شجاع الإمام افتراء منه عليه؟ و ابن شجاع هذا مات فى صلاة العصر و هو ساجد و لا مغمز فى علمه وثقته

و ورعه إلا أنه كان يقف في القرآن و لا يقول إنه مخلوق أو غير مخلوق لعدم ورود هذا و ذاك نصا في الكتاب و السنة، و ألف كتابا في الرد على المشبهة و هذا ذنب لا يغتفر عندهم و إنما يدل هذا التحمس على خبيء لابن عدي الذي لم يتعلم من العربية ما يقوّم به لسانه و يصونه من اللحون الفاضحة، و أنى لمثله أنيقوم فكره حتى يتخذ قدوة؟ و كان ابن شجاع يحذر الرواة من الأخذ بروايات تالفة أدخلها الوضاعون على بعض شيوخ الرواية فيرد عليه عثمان بن سعيد الدارمي المجسم قائلا كيف يجد الوضاعون سبيلا إلى الإدخال على شيوخ في الرواية؟ و ابن عدي يعكس الأمر و يجعل الذي يدخل عليهم هو ابن شجاع بدون أي دليل و بدون سوق أي سند كما هو شأن المتقولين و له مع ثقات الرواة و أئمة الأمة في الفقه الذين تكلم فيهم موقف في يوم القيامة، لا يغبط عليه، و العقيلي على تعنته لم يذكره في كتابه ـ و حديث إجراء الخيل كان ذائعاً بين شيوخ الرواية من الحشوية حتى يشكو من ذالك ابن قتيبة مر الشكوى في (الاختلاف في اللفظ) و هو معاصر لابن شجاع، و كذالك خرجه أبو علي الأهوازي بسنده بطريق حماد ابن سلمة، و قول الحاكم (أنبأنا إسماعيل بن محمد الشعراني أنه قال: بلغت عن محمد بن شجاع عن حبان بن هلال عن حماد بن سلمة) لا يمكن اتخاذه حجة في كون هذا الخبر مرويا عن حماد بن سلمة بطريق ابن شجاع منفردا به لأن بين الشعراني و بين ابن شجاع نحو مائة سنة فلا يقل الساقط من الرجال من بينهم عن نحو ثلاثة، هكذا يفضح الله من يتطاول على الأئمة. راجع ما علقناه على تبيين كذب المفتري في (ص ٣٦٩) و من اطلع على كتاب (نقض عثمان بن سعيد على الجهمي العنيد) الجاري طبعه يعرف سبب مقت الحشوية لهذا الإمام الجليل، بل يكفي في معرفة حال حماد بن سلمة الاطلاع على كتب الموضوعات المبسوطة، في باب التوحيد منها خاصة فيرى فيها القارئ أخباراً تالفة رويت بطريقه بكثرة بل ما سرده ابن عدي نفسه في الكامل في ترجمة حماد هذا من الأحاديث التالفة المروية بطريقه كاف في معرفة سقوط ما يروى بطريقه في الصفات بل سقوط ابن عدي المتحمس دونه. منها روايته عن قتادة عن عكرمة... أن محمدا رأى ربه في صورة شاب أمرد...) و في لفظ (... جعداً أمرد عليه حلة خضراء...) إلى غير ذالك من الألفاظ الفاضحة، و قد روى ابن عساكر بطريق أبي القاسم السمرقندي عن قتادة (الأعمى): إني ما حفظت عن عكرمة إلا بيت شعر، و هذا دليل على أنه لم يرض روايته الحديث، و أما ما يروى عن أحمد من سماع قتادة عن عكرمة عدة أحاديث فلا يثبت عن أحمد لأنه بطريق رواة من المجسمة القائلين بإقعاد الله ﷺ في جنبه على العرش، تعالى الله عن ذالك، و قد توسع الفخر بن المعلم القرشي في رد ما يروى عن عكرمة في هذا



الترمذى عنه قال: قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: **«كان في عماء ما تحته هواء و ما فوقه هواء و خلق عرشه[١] على الماء»** قال الترمذى قال أحمد يعنى ابن منيع راوى الحديث قال يزيد يعنى ابن هارون شيخ أحمد: العماء أى ليس معه شيء. انتهى كلام الترمذى.

الصدد ثم قال «فمعاذ الله أن يرى ربه على صورة أصلا فكيف على صورة قد ذكر مثلها أو أكثرها عن المسيخ الدجال.» ا.هـ.

فمن التهور البالغ قول ابن صدقة (من لم يؤمن بحديث عكرمة فهو زنديق) بل من يقول به هوالزنديق، و يأسف المرء أن يرى بعض تلك الروايات التالفة مدوناً فى كتاب (أخبار الصفات) للدار قطنى. و ابن المعلم القرشى يؤكد أنه مدسوس فى كتاب الدار قطنى و ليس ببعيد بالنظر إلى أن راويه عنه العشارى و الراوى عنه ابن كادش، و ستعرف قيمتها فى أواخر ما علقناه على هذا الكتاب. و يظهر مما رفعه أبو إسحاق الشيرازى و أصحابه إلى نظام الملك من المحضر... فى فتنة الحشوية ببغداد ضد القشيرى ـ اتخاذ رواية حماد هذه دينا فليراجع المحضر المذكور فى (تبيين كذب المفترى) لابن عساكر (ص ٣١٠) و فيه مانصه «... و أبوا إلا التصريح بأنالمعبود ذو قدم و أضراس و لهوات و أنامل، و أنه ينزل بذاته و يتردد على حمار فى صورة شاب أمرد بشعر قطط و عليه تاج يلمع و فى رجليه نعلان من ذهب...» تعالى الله عما يشركون و فى مرسوم الخليفة العباسى الراضى الذى أصدره فى فتنة البربهارى ما نصه «... و تارة أنكم تزعمون أن صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين و هيئتكم الرذلة على هيئته و تذكرون الكف و الأصابع و الرجل و النعلين المذهبين و الشعر القطط و الصعود إلى السماء و النزول إلى الدنيا، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا...» كما فى الكامل لابن الأثير (٨ ـ ٩٨) إلى غير ذالك من الفضائح المكشوفة، و حديث أم الطفيل أنكره أحمد والنسائى فلا يمكن أن يصح مثل تلك الرواية لا يقظة و لا مناماً، راجع دفع الشبه لابن الجوزى و (نجم المهتدى) و الله ولى الهداية.

١ . قال أبوبكر ابن العربى فى العارضة: و الذى عندى أنه أراد بالعرش الخلق كله و (على الماء) بمعنى يمسكه بقدرته لا بعمد ترافده و لا أساس يعاضده، فإنها كانت تكون مفتقرة إلى أمثالها إلى غير نهاية و ذالك غير محصول فترده أدلة العقول ا. هـ. و هو معنى بديع جدًا لمن ألقى السمع و هو شهيد. و استعمال العرش بمعنى الملك شائع، راجع كتاب أصول الدين لعبد القاهر البغدادى.



و فى رواية (كان فى عما) بالقصر و معناه ليس معه شيء و قيل هو كل أمر لا يدركه عقول بنى آدم و لا يبلغ كنهه الوصف و الفطن، قال ابن الأثير و لابد فى قوله (أين كان ربنا) من مضاف محذوف فيكون التقدير أين كان عرش ربنا و يدل عليه قوله تعالى ﴿وَ كان عَرشُهُ عَلَى المَاءِ﴾ [هود:٧] قال الأزهرى نحن نؤمن به و لا نكيفه بصفة أى نجرى اللفظ على ظاهره من غير تأويل، و قوله من غير أن نكيفه بصفة صريح فى التنزيه و العلماء فى المتشابهات يؤمنون بها إما بأن يتأولوها و إما بأن يسكتوا مع التنزيه و هذا المدبر يصدق بعضها ببعض ليقوي الشبهة و يمكن الريبة من قلوب الناس لعنه الله.[1]

فصل

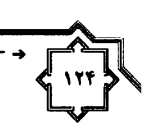
قال: «و خامس عشرها الإجماع من[2] رسل الله، حكى إجماعهم عبد القادر و

---

١ . و لعن كل من اتبع المتشابه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله و أنت قد جربت إن الإمام السبكى رحمه الله لا يستنزل اللعنات على الناظم إلا عند كلماته الخطرة جدًا. عامله الله بعدله.

٢ . **تفنيد زعم الإجماع على الفوقية الحسية**

فيا للعار و الشنار على من يهون إجماع المسلمين فيما يستدلون به عليه من المسائل الفرعية كيف يزعم إجماع رسل الله على محال؟ و تجد فى الكتب المنسوبة إلى الشيخ عبدالقادر كثيرا مما يرده علماء أصول الدين فى الاعتقاد كما تجد فيها كثيرا من الأحاديث الملفقة الموضوعة فلا يعول على مثل تلك الكتب فى مثل هذا المطلب، و قد قال ابن حجر المكى فى فتاويه إن ذكر الجهة و نحوها مدسوس فى كتب الشيخ عبد القادر، و ذكر مثله اليافعى قبله فى نشر المحاسن، و كذالك النجم الإصفهانى قبل اليافعى، و هم لا يعتدون بروايات أمثال الذهبى و الناظم و شيخه و ابن رجب عنه فى هذا الصدد لأنهم أظناء عندهم فيما يتعلق بالجهة، و من المقرر عند أهل السنة أن أهل البدع لا تقبل رواياتهم فيما يؤيدون به بدعهم، فالقائلون بصلاح الشيخ عبد القادر ـ و هم الجمهور ـ يبرئونه من تلك البدع و يعدونها مدسوسة فى كتبه و لا يوجد بين أهل الحق من يعترف له بالصلاح مع فرض ثبوت تلك المخازى عنه، فعلى فرض ثبوتها عنه فلا حب و لا كرامة، و مخارق حفيده عبد السلام المتربى لديه تدعو الباحث إلى غاية من الاحتياط ←



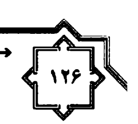
فى حقه و قد أشار الحافظ أبو شامة المقدسى فى ذيل الروضتين إلى ما جرى بينه و بين أبى الفرج ابن الجوزى الحنبلى و الوزير العالم ابن يونس الحنبلى نسأل الله السلامة، و بين المتصوفة من يلهج كثيرا بمرتبة الإطلاق و مراتب التنزل فى المظاهر أخذاً من مذهب السالمية لكن أئمة أصول الدين ليسوا على تصديق التجلى فى الصور الذى يقول به هؤلاء بل يعدون ذالك و الحلول على حد سواء، فمن حاول الجمع بين أقوال المتكلمين و المتصوفة و الحكماء و الحشوية فى ذالك كالبرهان الكورانى فإنها حاول المحال و الانسلاخ من قيد العقل و النقل معاً، نسأل الله العافية، و ليس بقليل بين الأئمة من جاهر بإكفار القائلين بالجهة كما نقلت نص ذالك من شرح مشكاة المصابيح للعلامة ناصر السنة على القارئ فيما علقته على «دفع شبه التشبيه» لابن الجوزى (ص ٥٧) و شأن من يخاف الله سبحانه أن ترتعد فرائصه فى موطن جاهر فيه بعض الأئمة المتبوعين فى أصول الدين: بالإكفار.

بسط الكلام فى رد القول بالجهة

و لم يرد لفظ الجهة فى حديث ما بل قال أبو يعلى الحنبلى فى «المعتمد فى المعتقد» و لايجوز عليه الحد و لا النهاية و لا قبل و لا بعد و لا تحت و لا قدام و لا خلف لأنها صفات لم يرد الشرع بها و هى صفات توجب المكان ا هـ و لعله آخر مؤلفاته بدليل أن امتحانه فى الصفات كان سنة ٤٢٩ قبل وفاته بنحو ثلاثين سنة فمن أثبت له تعالى جهة فقد أثبت له أمثالا و أشباها مع أنه لا مثل له و لا شبيه له تعالى، قال الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١] و قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُ﴾ [النحل: ١٧] فلعائن الله على من ثبّت له تعالى ما لم يثبّت له الكتاب و لا السنة من الجهة و نحوها، و أما ابن رشد الحفيد ففيلسوف ظنين يسعى فى إثارة وجوه من التشكيك حول آراء المتكلمين من أهل السنة لينتقم منهم بسبب ردودهم على الفلاسفة إخوانه و لا سيما من أبى المعالى الجوينى و أبى حامدالغزالى، فمن طالع فصل المقال و مناهج الأدلة لابن رشد و خاصة فى بحث قدم العالم قدما زمانيا و علم الله بالجزئيات و البعث الجسمانى يتيقن ما قلنا فى حقه على أنه يقول فى فصل المقال (ص ١٣): إن ههنا ظاهراً من الشرع لا يجوز تأويله، فإن كان تأويله فى المبادى فهو بدعة، و ههنا أيضا ظاهر يجب على أهل البرهان تأويله و حملهم إياه على ظاهره كفر فى حقهم، و تأويل غير أهل البرهان له و إخراه عن ظاهره كفر فيحقهم، و من هذا الصنف آية الاستواء و حديث النزول ا هـ.

و هذا الكلام يهدم على رأس ابن تيمية و تلميذه ما يريدان أن يبنيا على كلامه و لو علما مغزى كلامه لأبى ا كل الإباء أن يحوما حول كلام فى مثل هذه الأبحاث. فما يكون كفراً فى حق طائفة عند ابن رشد يكون إيمانا فى حق طائفة أخرى عنده و بالعكس و هذا هو الذى يحتج ابن

تيمية فى التأسيس و غيره بقوله فى الجهة من غير أن يعقل مغزى كلامه الطويل فى مناهج الأدلة. و أما ما وقع فى كلام ابن أبى زيد وابن عبد البر مما يوهم ذالك فمؤول عند محققى المالكية و لو كان ابن عبدالبر لم يكتف بالطلمنكى فى أصول الدين و رحل إلى الشرق كالباجى لم يقع فى كلامه ما يوهم و لم يقع ذكر الجهة فى حق الله سبحانه فى كتاب الله و لا فى سنة رسوله ﷺ و لا فى لفظ صحابى أو تابعى و لا فى كلام أحد ممن تكلم فى ذات الله و صفاته من الفرق سوى إقحام المجسمة و أتحدى من يدعى خلاف ذالك أن يسند هذا اللفظ إلى أحد منهم بسند صحيح فلن يجد إلى ذالك سبيلا فضلا عن أن يتمكن من إسناده إلى الجمهور بأسانيد صحيحة، و أول من وقع ذالك فى كلامه ممن يدعى الانتماء إلى أحد الأئمة المتبوعين ـ فيما أعلم ـ هو أبو يعلى الحنبلى المتوفى سنة ٤٥٨ حيث قال عند إثباته الحد له تعالى فى كتابه (إبطال التأويلات لأحاديث الصفات): «إن جهة التحت تحاذى العرش بما قد ثبت من الدليل و العرش محدود فجاز أن يوصف ما حاذاه من الذات أنه حد و جهة له و ليس كذالك فيما عداه لأنه لا يحاذى ما هو محدود بل هو مار فى اليمنة و اليسرة و الفوق و الأمام و الخلف إلى غير غاية فلذالك لم يوصف واحد من ذالك بالحد و الجهة وجهة العرش تحاذى ما قابله من جهة الذات و لم تحاذ جميع الذات لأنه لا نهاية لها ا. هـ» تعالى الله عما يقول المجسمة علوا كبيرا و هو عين ما ينسب إلى المانوية الحرانية من تلاقى النور من جهة الأسفل مع الظلمة و عدم تناهيه من الجهات الخمس ـ سبحأنك ما أحلمك... ثم تابعه أناس من الحنابلة فى نسبة الجهة إلى الله سبحانه منهم أبو الحسن على بن عبيد الله الزاغونى الحنبلى المتوفى سنة ٥٣٧ و وقع بعده فى غنية الشيخ عبد القادر و قد سبق رده، و إثبات ذالك له تعالى ليس بالأمر الهين عند جمهور أهل الحق بل قال جمع من الأئمة إن معتقد الجهة كافر كما صرح به العلم العراقى، و قال إنه قول أبى حنيفة و مالك و الشافعى و الأشعرى و الباقلانى ا.هـ . فانظر قول ابن تيمية فى التسعينية (ص ٣): أما قول القائل، الذى نطلب منه أن ينفى الجهة عن الله و التحيز فليس فى كلامى إثبات لهذا اللفظ لأن إطلاق هذا اللفظ نفيًا و إثباتا بدعة ا هـ، و هذه مغالطة، فإن ما لم يثبته الشرع فى الله فهو منفى قطعا، لأن الشرع لا يسكت عما يجب اعتقاده فى الله و قوله سبحانه ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ﴾ [الشورى: ١١] نص فى نفى الجهة عنه تعالى إذ لو لم تنف عنه الجهة لكانت له أمثال لا تحصى، تعالى الله عن ذالك ـ ثم انظر قوله فى منهاجه (١ـ ٢٦٤): فثبت أنه فى الجهة على التقديرين ا . هـ» لتعلم كيف رماه الله بقلة الدين و قلة الحياء فى آن واحد. و أما ما ينقله الذهبى و غيره من الحشوية من تفسير القرطبى فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ استَوَى عَلَى العَرشِ﴾ [الأعراف:٥٤] من أنه قال: و قد كان السلف الأول ﷺ لا يقولون بنفى الجهة و لا ينطقون بذالك بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه و أخبرت رسله فتساهل منه فى



العبارة، فإنه لم يرد لفظ الجهة فى عبارة السلف و لا فى كتاب الله، و لو أراد ورود هذا اللفظ لكذبه كتاب الله و سنة رسوله ﷺ و الآثار المروية عن السلف لأن الوارد لفظ ﴿وَ هُوَ القَاهِرُ فَوقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] و ﴿ثُمَّ استَوَى عَلَى العَرشِ﴾ [الأعراف:٥٤] و نحو ذالك بدون تعرض للتكييف بالجهة، وهكذا الوارد فى السنة و اثار السلف و يعين قوله «كما نطق به كتابه» أن مراده الفوقية و العلو بلا كيف و ذكر الجهة سبق قلم منه فلا يكون متمسك للحشوية فيما ذكره القرطبى فى تفسيره كيف و هوالقائل فيه:

«متى اختص بجهة يكون فى مكان و حيز فيلزم الحركة و السكون ا.هـ.» و هو القائل أيضا فى (التذكار فى أفضل الأذكار) ص١٣: «يستحيل على الله أن يكون فى السماء أو فى الأرض إذ لو كان فى شىء لكان محصورا أو محدودا و لو كان ذالك لكان محدثا و هذا مذهب أهل الحق و التحقيق ا. هـ.»

تناقض ابن تيمية فى الجهة و كذبه

و فى (ص ٢٠٧) من الكتاب المذكور: «ثم متبعو المتشابه لا يخلو اتباعهم من أن يكون لاعتقاد ظواهر المتشابه كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما فى الكتاب و السنة مما يوهم ظاهره الجسمية حتى اعتقدوا أن البارىء تعالى جسم مجسم و صورة مصورة ذات وجه و غير ذالك من يد وعين وجنب و أصبع، تعالى الله عن ذالك علوا كبيرا، والصحيح القول بتكفيرهم إذ لا فرق بينهم و بين عباد الأصنام و الصور، و يستتابون فإن تابوا و إلا قتلوا كما يفعل بمن ارتد ا.هـ».

فبذالك تبين أن تمسك الحشوية بقول القرطبى السابق من قبيل الاستجارة من الرمضاء بالنار و به يظهر مذهب المالكية فيمن يقول بذالك كما يظهر قول الشافعية فيه من كفاية الأخيار للتقى الحصنى، حيث قال فيها بعد أن أشار إلى كلام الرافعى فى كتاب الشهادات: «جزم النووى فى صفة الصلاة من شرح المهذب بتكفير المجسمة.

قلت: و هو الصواب الذى لا محيد عنه ا هـ.»

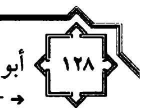
و من حذاق النظار من استدل على بطلان القول بالجهة بقوله تعالى: ﴿وَ مَا كان مَعَهُ مِن إلَـه إذاً لَذَهَبَ كل إلَهِ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١] باعتباره أن فيه استدلالا على بطلان التعدد ببطلان لازمه الذى هو انحياز الإله إلى جهة، راجع شعب الإيمان للحليمى. و فى الإكمال شرح مسلم للقاضى عياض «ثم من صار من دهماء الفقهاء و المحدثين و بعض متكلمى الأشعرية و كافة الكرامية إلى الجهة أول (فى) بـ(على). و من أحال ذالك ـ و هم الأكثر ـ فلهم فيها تأويلات... و قد أجمع أهل السنة على تصويب القول بالوقف من التفكر فى ذاته تعالى لحيرة العقل هنالك، و حرمة التكييف، و الوقف فى ذالك غير شك فى الوجود و لا جهل بالموجد

فلا يقدح في التوحيد بل هو حقيقته. و قد تسامح بعضهم في إثبات جهة تخصه تعالى أو اشار إليه بحيز يحاذيه و هل بين التكييفين [أي التكييف المحرم إجماعاً و التكييف بالجهة] فرق!؟ و بين التحديد في الذات و الجهة فرق؟! و قد أطلق الشرع أنه القاهر فوق عباده و أنه استوى على العرش فالتمسك بالآية الجامعة للتنزيه الكلي الذي لا يصح في العقل غيره و هي قوله تعالى ﴿لَيسَ كمثله شَيءٌ﴾ [الشورى: ١١] «عصمة لمن وفقه الله تعالى» اهـ و قد تعقبه الأبي تعقيباً شديداً، و قال ما نسب من القول بالجهة إلى الدهماء و من بعدهم من الفقهاء و المتكلمين لا يصح و لم يقع إلا لأبي عمر في الاستذكار [و التمهيد] و لابن أبي زيد في الرسالة و هو عنهما متأول. ثم نقل عن الفقهاء التونسيين كابن عبدالسلام و ابن هارون و الفاسيين كالسطي و أبن الصباغ اتفاقهم على أنكار ذالك في مجلس الأمير أبي الحسن ملك المغرب. راجع شرح مسلم (٢ ـ ٢٤١) للأبي.

أقول: إنما ذكر القاضي عياض من صار من الدهماء إلى القول بالجهة و أين في ذالك نسبة ذالك إلى الدهماء على أن لفظ الجهة لم يقع في كلام أبي عمر و لا في كلام ابن أبي زيد و إن كان ظاهر كلامهما يوهم ذالك و قد تأول كلامهما المالكية ليكونا مع الجمهور في هذه المسألة الخطرة و لو ترك كلامهما على الظاهر لهويا في هاوية التجسيم و ذالك عزيز عليهم أيضا، قول القاضي عياض ليس يشمل المشارقة حيث لم يرحل إلى الشرق و إنما قوله بالنظر إلى معنى كلام بعض الفقهاء و المحدثين و المتكلمين من أهل بلاده من أصحاب الطلمنكي و ابن أبي زيد و أبي عمر بل لا إذكر وقوع لفظ الجهة في كلام أحد منهم، و إنما جرى ابن رشد الفيلسوف في المناهج على التساهل بذكر بها لم يجر على لسانهم باعتباره معنى كلامهم كما سبق، و الحاصل أن التكييف غير جائز إجماعاً... و يمكن جمع جزء في الآثار الواردة في المنع من التكييف و التشبيه.. و لا شك أن القول بالجهة تكييف لم يقع إلا في عبارات أناس هلكى، و أما تأويل القائلين بالجهة ما يوهم كونه في السماء بمعنى على السماء، كما ذكر القاضي عياض. فلا ينجيهم من ورطة التجسيم لأن (في) في قوله تعالى: ﴿وَ لَأُصَلِّبَنَّكُم فِي جُذُوعِ النَّخلِ﴾ [طه:٧١] لم تزل تفيد تمكين المصلوب في الجذع كتمكين المظروف في الظرف، و كذالك قوله تعالى: ﴿قُل سيرُوا فِي الأرضِ﴾ [العنكبوت: ٢٠] فحمل لفظ (في) على معنى (على) لا يجدي في الإبعاد عن التمكن و إنما التأويل الصحيح ما أشار إليه الباجي من استعمال العرب لفظ (هو في السماء) يعنون علو شأنه و رفعة منزلته بدون ملاحظة كونه في السماء أصلا كقول الشاعر:

علونا السماء مجدنا وجدودنا   و إنا لنبغي فوق ذالك

و ظاهر أنه لم يرد إلا علو الشأن. و ليس قوله تعالى ﴿ءَأمِنتُم مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] من



أبو الوليد [ابن رشد الفيلسوف] و أبو العباس[١] الحرانى [ابن تيمية] و له اطلاع

هذا القبيل بل الظاهر أن المراد خاسف سدوم و عد (في السماء) بمعنى على السماء ثم جعل على السماء بمعنى (على العرش) باعتبار أن السماء مأخوذة من السمو، غفلة عن شمولها للسقف و السحاب على هذا التقدير غير المتبادر و تخصيصها بالعرش عن هوى مجرد كما لا يخفى. و فيما ذكرناه كفاية لأهل التبصر.

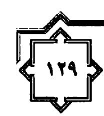
١. مخالفات ابن تيمية

يوجد من يذكره بلقب شيخ الإسلام... و للمبتدعة افتتان بهذا التلقيب لزعمانهم ـ إيهاما للضعفاء في العلم أن ما يدعو إليه هذا الزائغ هو الإسلام الصحيح و يخاف على من يستمر على تلقيبه به بعد أن عرف مخالفاته لشرع الإسلام و من ذكره بهذا اللقب من أهل السنة إنما ذكره قبل أن يجاهر ذالك المبتدع ببدعه المعروفة، و أما من استمر على هذا التلقيب من المتأخرين فإنما استمر جهلا ببدعه التى نقلناها من أوثق المصادر أو ظنا من أنه تاب و أناب و حافظ على عهوده و قد توسعنا في بيان ذالك فيما علقناه على ذيول طبقات الحفاظ. على ترجمة العلاء البخاري فليراجع هناك، و لعل في كتبنا و لا سيما في هذا الكتاب ما يقنع المنصف في أمر هذا الزائغ.

و مما قال المصنف في حقه في فتاويه (٢ ـ ٢١٠) في أثناء رده على فتيا له في الوقف: «و هذا الرجل كنت رددت عليه في حياته في أنكاره السفر لزيارة المصطفى ﷺ و في أنكاره وقوع الطلاق إذا حلف به ثم ظهر لي من حاله ما يقتضي أنه ليس ممن يعتمد عليه في نقل ينفرد به لمسارعته إلى النقل لفهمه ـ كما في هذه المسألة ـ و لا في بحث ينشئه لخلطه المقصود بغيره و خروجه عن الحد جدّا، و هو كان مكثرا من الحفظ و لم يتهذب بشيخ و لم يرتض في العلوم بل يأخذها بذهنه مع جسارة و اتساع خيال و شغب كثير، ثم بلغني من حاله ما يقتضي الإعراض عن النظر في كلامه جملة، و كان الناس في حياته ابتلوا بالكلام معه للرد عليه، و حبس بإجماع العلماء و ولاة الأمور على ذالك و لم يكن لنا غرض في ذكره بعد موته لأن تلك أمة قد خلت و لكن له أتباع ينعقون و لا يعون و نحن نتبرم بالكلام معهم و مع أمثالهم و لكن للناس ضرورات إلى الجواب في بعض المسائل كهذه المسألة...» ا.هـ. و هذا مما يزيدك معرفة بالرجل، و من جملة هذيانات هذا الزائغ قوله في (المحصل) للفخر الرازي:

محصل في أصول الدين حاصله	من بعد تحصيله أصل بلا دين
أصل الضلالات والشك المبين فما	فيه فأكثره وحي الشياطين

←



لم يكن من قبله لسواه من متكلم».

و نحن نقطع أيضا بإجماعهم (على التنزيه) أمَا يستحى من ينقل إجماع الرسل على إثبات الجهة و الفوقية الحسية لله تعالى ؟ و علماء الشريعة ينكرونها؟ أمَا تخاف منهم أن يقولوا له انك كذبت على الرسل؟

فصل

قال: «و سادس عشرها إجماع أهل العلم[١] ابن عباس و مجاهد و مقاتل و

هذا رأى الرجل فى معتقد أهل السنة و لأهل العلم ردود عليه و كنت قلت فى معارضته:

محصل فى أصول الدين حصله	من اهتدى فغدا محصن الدين
أس الهداية و الحق الصراح فمن	يرتاب فيه قفا إثر الشياطين

كما قلت فيما سبق فى معارضة بعضهم:

إن كان تنزيه الإله تجهما	المؤمنون جميعهم جهمي
جل الإله عن الحوادث أن تحلـ	ـل به وعن جهة و عن كم

بخلاف زعم زعيمكم سفها فإن تابعتموه فكلكم تيمـــــي والله سبحانه ولى الهداية.

١ . الرد على الناظم فى دعوى الإجماع على الفوقية المكانية

الناظم يروى عن إمامه أحمد بن حنبل فى أعلام الموقعين أن من ادعى الإجماع فهو كاذب. فكيف ساغ له أن يروى هنا الإجماع على الفوقية على خلاف البراهين العقلية و النقلية القائمة. فابن عباس و مجاهد لم يرو عنهما ما يوهم ذالك إلا أناس هلكى لا تقبل أقوالهم فى حيض النساء فضلا عن المسائل الاعتقادية، و مقاتل بن سليمان المروزى شيخ أهل التجسيم فى عصره و قد أفسد جماعة من المراوزة و الكلبى هالك عند أهل النقد، و أبو العالية رفيع الرياحى فسر الاستواء بالارتفاع، كما ذكره ابن جرير بطريق أبى جعفر الرازى، و هو متكلم فيه حتى عند الناظم. و روى الفريابى عن مجاهد تفسير استوى بقوله: علا بطريق ورقاء عن ابن أبى نجيح عنه. و الكلام فيهما مشهور و لذا ذكر هذا و ذاك البخارى من غير سند، و مع ذالك أين الدلالة فى هذا و ذاك على الفوقية المكانية؟و ابو عبيدة بن معمر بن المثنى الشعولي ماذا تكون قيمة كلامه في مثل هذه الابيات ؟ و الاشعري إن كنتم تعتقدون فيه إنه قائل بالفوقية المكانية فما سبب طعن الحشوية كلهم فيه؟ و إنما له رأيان: أحدهما عدم الخوض فى الصفات مع إثبات ما ثبت

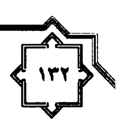


في الكتاب و السنة بدون تشبيه و لا تمثيل و الآخر تأويل ما يجب تأويله بما يوافق التنزيه إذا عن ضرورة، و ليس في هذا و لا في ذاك القول بالفوقية المكانية، و تأليف الإبانة كان في أوائل رجوعه عن الاعتزال لتدريج البربهاري إلى معتقد أهل السنة، و من ظن أنها آخر مؤلفاته فقد ظن باطلا. و قد تلاحقت أقلام الحشوية بالتصرف فيها و لا سيما بعد فتن بغداد فلا تعويل على ما فيها مما يخالف نصوص أئمة المذهب من أصحابه و أصحاب أصحابه، و ابن درباس غير مأمون في روايتها لأنه أفسده شيخه في التصوف مع تأخر طبقاته... و البغوي الشافعي إنما نقل في تفسيره ما يروى عن مثل مقاتل بن سليمان و الكلبي تعويلا على قول أهل النقد فيهما، و دلالة على أن هذا القول قول أهل الزيغ. و مالك قائل بالاتسواء بلا كيف، و كذا الشافعي و أبو حنيفة و أبو يوسف و أحمد و ابن المبارك، و هم براء مما يوجد في روايات عبدالله بن نافع الصائغ و العشاري و الهكاري و ابن أبي مريم ونعيم بن حماد و الأصطخري و أمثالهم. (و اعتقاد الشافعي) المذكور في ثبت الكوراني كذب موضوع مروي بطريق العشاري و ابن كادش، و سيأتيان في أواخر الكتاب، و ابن خزيمة على سعته في الفقه و الحديث جاهل بعلم أصول الدين و قد اعترف بذالك هو نفسه كما في الأسماء و الصفات للبيهقي (ص ٢٠٠) و كتاب التوحيد له يعده الرازي كتابا في الشرك، و يستخف عقله و فهمه في تفسير قوله تعالى ﴿لَيسَ كمثله شَيءٌ﴾ [الشورى: ١١] و ينقل جزءا من سخفه و يرد عليه و ردّا مشبعا فيجب الاطلاع عليه، و من الشافعية من يعد من الشافعية كل من تلقى بعض شيء من بعض الشافعية، و هذا ليس بصواب لأن كل متأخر يأخذ عمن تقدمه على أي مذهب كان المتقدم كما لا يخفى على من درس أحوال الرجال. و ابن خزيمة هذا و إن تلقى بعض شيء من المزني في شبيبته لكن لم يكن شافعيا بل ثبتت مساعدته لمحمد بن عبد الحكم في تأليفه ذالك الرد القاسي على الشافعي. و على فرض أنه شافعي لا محاباة في المعتقد أيا كان مذهب من زاغ عن السبيل. و هذا المسكين ممن إذا أصاب مرة في المعتقد يخطيء فيه مرات، فليسمح لي ساداتنها العلماء أن أعجب غاية العجب من طبع مثل كتاب التوحيد هذا بين ظهرانيهم بدون أن يقوم أحد منهم بالرد عليه كما يجب أيقظ الله أصحاب الشأن لحراسة السنة و ابن خزيمة الذي يروي عنه الطحاوي غير ابن خزيمة صاحب كتاب التوحيد و ليعلم ذالك.

و الإجماع الذي يرويه ابن عبدالبر إنما يصح في العلو والفوقية بمعنى التنزه والقهر و الغلبة لا بمعنى إثبات المكان له تعالى. و أبو بكر محمد بن وهب شارح رسالة ابن أبي زيد مسكين مضطرب بعيد عن مرتبة الحجة، و قد ذكرنا ما يتعلق بابن أبي يد فيما علقناه على تبيين كذب

المفترى و قد أغنانا ذالك عن تكرير الكلام و رأيُ القاضي أبي بكر بن العربي فيه مدون في القواصم، و أبو الحسن محمد بن عبدالملك الكرجي الشافعي صاحب الفصول مجسم صريح كأبي الخير يحيى العمراني، و قد كفانا مؤنة الرد عليهما ما قاله فيهما ابن السبكي و اليافعي الشافعيان. و عثمان الدار السجزي صاحب النقص و هو غير صاحب المسند ـ قد سبق القول فيه، و هو يثبت الحركة لله تعالى كحرب بن إسماعيل السيرجاني و قد نقلت فيما كتبت على شروط الأئمة الخمسة ما قاله الحافظ الرامهرمزي في حرب السيرجاني هذا و خشيش بن أصرم صاحب كتاب الاستقامة يعرف أهل الاستقامة مبلغ انحرافه، و من جملة ما هذى به قوله: فإن زعمت الجهمية فمن يخلفه إذا نزل؟ قيل لهم: فمن خلفه من الأرض حين صعد؟! هـ و لا ينجيه من ورطته كونه من مشايخ أبي داود كما لا ينجي عمران بن حطان كونه من رجال البخاري و عبدالله بن أحمد إذا ثبت عنه كتاب السنة المنسوب إليه فلا حب و لا كرامة. و ابن أبي حاتم أقر على نفسه بأنه يجهل علم الكلام كما في الأسماء و الصفات للبيهقي (ص ١٩٩) و حق مثله أن لا يخوض في أمثال هذه المباحث و أن يهجر قوله إذا خاض، و محمد بن أبي شيبة صاحب كتاب العرش مشبه كذاب، و من جملة تخريفاته في كتابه المذكور: إن الله تعالى أخبرنا أنه صار من الأرض إلى السماء و من السماء إلى العرش فاستوى على العرش ا هـ تعالى الله عن تخريفات المجسمة و ابن أبي داود كفانا مؤنة الرد عليه كلام أبيه فيه. و ابن أسباط لا يحتج به في الرواية فكيف يعول على مثله في الصفات. سامح الله اللالكائي و الطلمنكي و إسماعيل التيمي فإنهم تكلموا في غير علومهم. و الباقون كلهم بخير خلا ما أدخل على ابن سلمة و لن يثبت عن هؤلاء سوى أنهم كانوا يقولون: إنه تعالى استوى على العرش بلا كيف و إنه القاهر فوق عباده بلا كيف و أين هذا مما يدعو إليه الناظم ؟

ـ تنبيه ـ روى الناظم في أعلام الموقعين عن أحمد: أن من ادعى الإجماع فهو كاذب ثم حكى هو نفسه في الكتاب نفسه في (١ ـ ٥٦ و ١١٤، ٢٧٥، ٣٨٩) و في (٢ ـ ٣٢ و ٤٨ و ٥٣ و ٢٤١ و ٢٩٠) و غيرها الإجماع و القول بالإجماع في مسائل عن أحمد و غيره و مثل هذا التناقض لا يصدر إلا من مثل الناظم و ذكر أيضا في عدة من كتبه في صدد الرد على من يقول بإجماع الصحابة على وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد أنه لم يرو ذالك عن عشر الصحابة بل عن عشر عشرهم بل عن عشر عشر عشرهم بل لا تطيقون أن ترووه عن عشرين نفسا منهم و هو يرمي بذالك إلى أن إجماع الصحابة لا ينعقد إلا برواية نص عن مائة ألف صحابي مات عنهم النبي ﷺ... و هذا تخريف لم يقل به أحد قبل الناظم لأن الظاهرية يكتفون باتفاق فقهاء



الكلبى و رفيع و أبو عبيدة و الأشعرى و البغوى و مالك و الشافعى و النعمان و يعقوب و أحمد و ابن المبارك و ابن خزيمة و قال يقتل من ينكره و حكى ابن عبد البر إجماع أهل العلم أن الله فوق العرش و ابن وهب و حرب الكرمانى و حكى الإجماع ابن أبى زيد والكرجى فى التصنيف الذى شرحه و تفسير عبد بن حميد و النسائى و عثمان الدارمى و ابن أصرم و عبدالله بن أحمد و الأثرم (و أبو حاتم و ابنه و محمد ابن أبى شيبة) و ابن أبى داود و ابن أسباط و سفيان و حماد

الصحابة إلا أنهم يكثرون عدد الفقهاء منهم و يبلغون عددهم إلى نحو مائة و خمسين صحابيا على خلاف الواقع... ثم يناقض نفسه فيقول فى أعلام الموقعين (٣ ـ ٣٧٩): «إن لم يخالف الصحابى صحابيا آخر فإما أن يشتهر قوله فى الصحابة أو لا يشتهر، فإن اشتهر فالذى عليه جماهير الطوائف من الفقهاء أنه إجماع و حجة و قالت طائفة منهم هو حجة و ليس بإجماع، و قالت شرذمة من المتكلمين (من أتباع النظام) و بعض الفقهاء المتأخرين لا يكون إجماعا و لا حجة، و إن لم يشتهر قوله أو لم يعلم هل اشتهر أم لا؟ فاختلف الناس هل يكون حجة أم لا فالذى عليه جمهور الأمة أنه حجة، هذا قول جمهور الحنفية، صرح به محمد بن الحسن و ذكر عن أبى حنيفة نصّا و هو مذهب مالك و أصحابه، وتصرفه فى موطئه دليل عليه و هو قول إسحاق بن راهويه و أبى عبيد و هو منصوص الإمام أحمد فى غير موضع عنه و اختيار جمهور أصحابه و هو منصوص الشافعى فى القديم و الجديد أما القديم فأصحابه مقرون به، وأما الجديد فكثير منهم يحكى عنه فيه أنه ليس بحجة و فى هذه الحكاية عنه نظر ظاهر جدّا اهـ» ثم ذكر وجه النظر.

و هذا القول هو الصواب لكن الناظم يناقض هذا حينما يؤول كلام أحمدالمذكور عى خلاف تأويل الجمهور فى (١ ـ ٣٣) من أعلام الموقعين و عند ما يشذ عن الجماعة فى مسائل كالطلاق و نحوه فى كثير من كتبه و يهون أمر الإجماع بل ينكره و يتابعه الجهلة الأغرار من أبناء الزمن و فى ذالك عبرة بالغة نلفت إليها أنظار المنصفين والحق أن الناظم ليس له أصل يبنى عليه و إنما يلبس لكل ساعة لبوسها كما هو شأن أصحاب الأهواء و الله ولى الهداية. و الحق أن تكذيب أحمد لمن يدعى الإجماع على تقدير ثبوته عنه لابد من حمله على ادعاء من لم يتأهل لنقل الإجماع فى مسألة و إلا لتناقض كلامه و عمل.



بن زيد و حماد بن سلمة و البخارى و الطبرى و اللالكائى الشافعى و إسماعيل التيمى و الطبرانى و الطلمنكى و الطحاوى و الباقلانى و ابن كلاب و الطبرى فى التفسير و الدوانى و ابن سريج و أبو الخير العمرانى صاحب البيان، و سواهم و الله قطاع الطريق أئمة تدعو إلى النيران ما فى الذين حكيت عنهم آنفاً من حنبلى واحد بضمان، بل كلهم و الله شيعة أحمد، فأصوله و أصولهم سيان، أتظنهم لفظية جهلية هم أهل العقول فتقذفون أولاء بل أضعافهم من سادة العلماء كل زمان بالجهل و التشبيه و التجسيم و التبديع و التضليل و البهتان، يا قومنا الله فى إسلامكم لا تفسدوه لنخوة الشيطان، يا قومنا اعتبروا بمصارع من مضى فى هذه الأزمان لم يغن عنهم كذبهم و محالهم و قتالهم بالزور و التدليس عند الناس و الحكام والسلطان و بدا لهم أنهم على البطلان ما عندهم شكاية ما يشتكى إلا عاجر، لبستم معنى النصوص و قولنا أسأتم الظن بأئمة الإسلام ما ذنبهم ما الذنب إلا للنصوص لديكم إذا جسَّمتْ.»

انتهى كلام هذا المدبر، و قد تقدم النقل عن مالك ﷺ بخلاف ما قاله و لكنه اغترهنا بما رواه الحسن بن إسماعيل الضراب[1] فى كتابه الذى صنفه فى فضائل مالك رضي الله عنه بأسانيده إلى مالك رضي الله عنه أنه أتاه رجل فقال يا أبا عبدالله، الرحمن على العرش استوى، كيف استوى[2] فامسك عنه مالك حتى علاه

---

١ . هو أبو محمد محدث مصر المتوفى سنة ٣٩٢. راجع إكمال ابن ماكولا، و أنساب ابن السمعانى، و حسن المحاضرة، و الشذرات.

٢ . قال أبو بكر بن العربى فى القواصم و العواصم: المطلوب هنا ثلاثة معان: معنى الرحمن و معنى استوى و معنى العرش، فالرحمن معلوم والعرش فى العربية جاء لمعان و لفظ استوى معه محتمل خمسة عشر معنى فى اللغة، فأيها تريدون أو أيها تدعون ظاهرا منها، و لم قلتم إن العرش ههنا المراد به مخلوق مخصوص فادعيتموه على العربية و الشريعة... فقوله تعالى ﴿الرَّحمَنُ عَلَى العَرشِ استَوَى﴾ [طه: ٥] إن علمنا معناه آمنا قولا و معنى، و إن لم نعلم معناه قلنا كما قال ←



الرحضاء ثم قال: الكيف منه غير معقول و الاستواء فيه غيرمجهول و الإيمان بـه واجب و السؤال عنه بدعة و إنى لأحسبك ضالا، ثم أمر به فأخرج و فى رواية: فإنى أخاف أن يكون شيطانا.

رد المصنف على الناظم في الفوقية

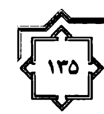
و هذا الكلام صحيح إن صح عن مالـك، فإنـه لـيس فيـه إلا الإيـمان بآيـة استوى على العرش كما نطق به القرآن و أن كيفيته غير معقولة، و الـسائل عنهـا ضال مبتدع شيطان، و فى ذالك قطع بأن الاستواء علـى ظـاهره المعلـوم عنـد الناس من أنه القعود، فإن ذالك معقول و ليس فيه تـصريح بفوقيـة الـذات و لا يلزم من قولنا استوى على العرش أن يكون هو على العرش إلا بعد أن نثبت أن الاستواء هو القعود و الجلوس كـما فـى المخلـوق، و جـل الله عـن ذالـك فهـذا الرجل لم يفهم كلام مالك و لا كلام غيره مـن العلـماء الكثـيرين الـذين حكـى عنهم كلهم. و إنما يؤثر عنهم كلام مقتد بـالكتاب يراد بـه معنـى صـحيح مـع الـتنزيه، و ما لا يوهم التشبيه و لا يقتضيه.

روايات الضراب عن مالك

و قد روى الضراب فى هذا الكتاب قال حدثنا عمر بن الربيع ثنا أبوأسـامة

→

مالك: الاستواء معلوم و الكيف مجهول و السؤال عنه بدعة، فكيف لو رأى من يفسر تعلقه بالله لا يقال إنه بدعة بل أشد من البدعة عنده، فكيف لو سمع من يقول: إن الله فوقـه، فكيـف بمـن يعين فوقية الذات فكيف بمن يقول إنه يحاذيه ويليه تبّا له ا هـ راجع (٢٤ ـ ٢٦) فى الجزء الثانى من الكتاب المذكور. و قد توسع ابن المعلم المحدث فى (نجم المهتدى) فى بيان محـتملات الآيـة الخمسة عشر التى أشار إليها أبوبكر ابن العربى فليراجع هناك.

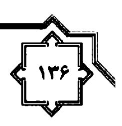


ثنا ابن أبى زيد عن أبيه عن حبيب[١] كاتب مالك قال: سئل مالك بن أنس عن قول النبى ﷺ «ينزل ربنا تبارك و تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة» قال: ينزل أمره كل سحر و أما هو فهو دائم لا يزول و هو بكل[٢] مكان. و روى الضراب أيضا فى هذا الكتاب بإسناده إلى عبد الرحمن بن القاسم قال سئل مالك عمن يحدث الحديث الذى قالوا: إن الله خلق آدم على صورته و ان الله يكشف عن ساقه يوم القيامة، و إنه يدخل يده فى جهنم حتى يخرج من أراد فانكر ذالك

---

١ . و على روايته فى تفسير النزول عن مالك عن القاضى عياض فى المشارق، و قد تكلم فى حبيب هذا أهل النقد إلا أن مالكا رحمه الله كان شديد الانتقاد للرجال و قوله هوالقول الفصل فى رجال المدينة فلا يطمئن القلب إلى أن يكون كاتبه و قارئ موطئه على جمهور المتلقين من مالك غير مرضى عنده.

٢ . و ظاهر هذا الكلام غير مراد قطعا، بل المراد أنه لا يوصف بمكان دون مكان حيث تنزه عن الأمكنة، و من هذا القبيل ما يروى عن بعضهم أن علمه بكل مكان، و حاشا أن يكون المراد بها حلول ذاته أو صفته. فى الأمكنة، تعالى الله عما يظن به الجاهلون. و أما قول الترمذى فى حديث لهبط على الله (و فسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا: إنما هبط على علم الله و قدرته و سلطانه، و قدرته و سلطانه فى كل مكان و هو على العرش كما وصف فى كتابه) فقد تعقبه ابن العربى فى العارضة و قال: إن علم الله لا يحل فى مكان و لا ينتسب إلى جهة، كما أنه سبحانه كذالك لكنه يعلم كل شىء فى كل موضع و على كل حال فما كان فهو بعلم الله لا يشذ عنه شىء و لا يعزب عن علمه موجود و لا معدوم، و المقصود من الخبر أن نسبة البارى من الجهات إلى فوق كنسبته إلى تحت إذ لا ينسب إلى الكون فى واحدة منها بذاته ا هـ . و ما يرويه سريج بن النعمان عن عبدالله بن نافع عن مالك أنه كان يقول: الله فى السماء و علمه فى كل مكان. لا يثبت، قال أحمد: عبدالله بن نافع الصائغ لم يكن صاحب حديث و كان ضعيفاً فيه، قال ابن عدى: يروى غرائب عن مالك، قال ابن فرحون: كان أصم أميّا لايكتب، راجع ترجمة سريج و ابن نافع فى كتب الضعفاء و بمثل هذا السند لا ينسب إلى مثل مالك مثل هذا، و قد تواتر عنه عدم الخوض فى الصفات و فيما ليس تحته عمل كما كان عليه عمل أهل المدينة على ما فى شرح السنة للالكائى و غيره.



انكارا شديدا، و نهى أن يتحدث بها أحد، فقيل له: إن ناسا من أهل العلم يتحدثون بها، فقال: من هم؟ قيل: ابن عجلان عن أبى الزناد، فقال: لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الأشياء و لم يكن عالما و ذكر أبا الزناد فقال لم يزل عاملا لهؤلاء حتى مات و كان صاحب عمل يتبعهم، ورواه الضراب أيضا من طريق ابن وهب عن مالك. و روى أيضا عن طريق الوليد بن مسلم قال سألت مالكا و الأوزاعى و سفيان و ليثا عن هذه الأحاديث التى فيها ذكر الرؤية فقالوا: اروها كما جاءت. فانظر كلام مالك و كلام غيره، لم يصرحوا و لم يبيحوا إلا روايتها لا اعتقاد ظاهرها الموهم للتشبيه و مالك شدد[١] فى روايتها إلا ما يعلم صحته فيروى مع التنزيه كالقرآن، و هذا النحس و أمثاله يروون فى ذالك الجفلاء لأن لهم بدعة لا يبغون عنها حولا، و كل هؤلاء الذين نقل عنهم كلامه إما متأول أراد به قائله معنى صحيحا غير ما أراده هذا المتبدع، و إما مختلق عليه و حقه أن يسر، فمن سمى من المتأخرين لم يكن له بصر بالحقائق فزل كما زل شيوخ[٢] هذا المبتدع و قادته ممن لم يكونوا قدوة.

---

١ . بل قال أبوبكر ابن العربى فى العارضة: روى عن مالك و غيره أنه إذا روى هذه الأحاديث (أحاديث القبض و نحوه) لو أحد مثّل بجارحة قطعت اهـ.

٢ . **قول اليافعى فى الحشوية**

من حشوية الحنابلة قال العفيف اليافعى فى (مرهم العلل المعضلة فى دفع الشبه و الرد على المعتزلة) فى الجزء الثالث منه: «و متأخرو الحنابلة غلوا فى دينهم غلوّا فاحشا و تسفهوا سفها عظيما و جسموا تجسيما قبيحا و شبهوا الله بخلقه تشبيها شنيعا و جعلوا له من عباده أمثالا كثيرة حتى قال أبوبكر بن العربى فى العواصم: أخبرنى من أثق به من مشيختى أن القاضى أبا يعلى الحنبلى كان إذا ذكر الله سبحانه يقول فيما ورد من هذه الظواهر فى صفاته تعالى: «ألزمونى ما شئتم، فإنى ألتزمه إلا اللحية و العورة» . قال بعض أئمة أهل الحق و هذا كفر قبيح و استهزاء بالله تعالى شنيع و قائله جاهل به تعالى لا يقتدى به و لا يلتفت إليه و لا متبع لإمامه الذى

←



فصل

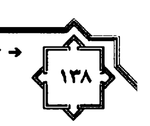
قال: «و سابع عشرها إخباره سبحانه فى القرآن عن موسى، و فرعون انكر التكليم و الفوقية العليا. و لنا مثنا دليل على أنه فوق السماء ﴿فَلا وَ رَبك لَا يُؤمِنونَ حَتَّى ى يُحَكموك﴾ [النساء: ٦٥] ـ بالله ـ هل حدثت كم قط أنفسكم بذا فسلوا أنفسكم عن الإيمان، لكن رب العالمين و جنده و رسوله ﷺ المبعوث بالفرقان هم يشهدون بأنكم أعداء من ذا شأنه أبداً بكل زمان و لأى شيء كان أحمد[1] خصمكم أعنى ابن حنبل الرضى الشيبانى و لأى شىء كان أيضا خصمكم شيخ الوجود العالم الحرانى.[2] و بالغ هذا الخبيث فى الإقذاع و

ينتسب إليه و يتستر به بل هو شريك للمشركين فى عبادة الأصنام، فإنه ما عبد الله و لا عرفه، و إنما صور صنما فى نفسه، فتعالى الله عما يقول الملحدون و الجاحدون علوا كبيرا أهـ.»

و مثل مانقله ابن العربى عن أبى يعلى هذا منقول فى كتب الملل و النحل عن داود الجواربى، تعالى الله عن ذالك. ثم قال اليافعى: «و لقد أحسن ابن الجوز من الحنابلة حيث صنف كتابا فى الرد عليهم، و نقل عنهم أنهم أثبتوا لله صورة كصورة الآدمى فى أبعاضها، و قال فى كتابه هؤلاء قد كسوا هذا المذهب شنيا قبيحا حتى صار لا يقال عن حنبلى إلا مجسم، قال: و هؤلاء متلاعبون و ما عرفوا الله و لا عندهم من الإسلام خبر و لا يحدثون، فإنهم يكابرون العقول و كأنهم يحدثون الصبيان و الأطفال، قال: و كلامهم صريح فى التشبيه و قد تبعهم خلق من العوام و فضحوا التابع و المتبوع... انتهى» . و الكتاب الذى أشار إليه اليافعى هو (دفع شبه التشبيه) و هومطبوع فليراجع.

١ . و إنما خصوم أحمد هم الذين انتموا إليه كذبا و خالفوه فى التنزيه، و قال الحافظ ابن شاهين (رجلا صالحان بُليا بأصحاب سوء: جعفر بن محمد الصادق و أحمد بن حنبل) رواه ابن عساكر بطريق أبى ذر الهروى راوية الجامع الصحيح يريد الروافض و المجسمة.

٢ . و نحن معاشر أهل الحق لا نبالى بعداء مثله من المبطلين و لا تزال تطن فى آذان رواد الحقائق شواذ ابن تيمية السخيفة باطلاعهم عليها فى مؤلفاته نفسه و فيما رواه ثقات أهل العلم عنه و كلمته فيما رد به على الرازى فى المجلد رقم ٢٥ من الكواكب الدرارى بظاهرية دمشق حيث قال: «لو شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته فكيف على عرش عظيم» آية من



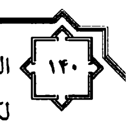
آيات خرقه و حمقه فليصادق من شاء من الخرقى مثله على عدائه لأهل الحق و المراسيم الملكية الصادرة فى حقه بعد محاكمته أمام جماعة كبار العلماء فى عصره مسجلة فى كتب التاريخ و كتب خاصة مثل عيون التواريخ و نجم المهتدى و دفع الشبه و غيرها، و لا بأس أن أسجل هنا صورة منها بالنقل من خط الحافظ شمس الدين بن طولون و هى كما رأيتها بخطه ﵀: «نسخة مثال شريف سلطانى ملكى تاريخه ثامن عشر من رمضان سنة ٧٠٥.

أحد المراسيم الصادرة فى حق ابن تيمية

الحمد لله الذى تنزه عن الشبيه و النظير، و تعالى عند المثال فقال ﴿فِيهِ لَيْسَ كمثله شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] نحمده على أن ألهمنا العمل بالسنة و الكتاب و رفع فى أيامنا أسباب الشك و الارتياب، و نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من يرجو بإخلاصه حسن العقبى و المصير و نزه خالقه عن التحيز فى جهة لقوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كنتمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] و نشهد أن محمدا عبده و رسوله الذى نهج سبيل النجاة بها سلك طريق مرضاته و أمر بالتفكر فى آلائه و نهى عن التفكر فى ذاته ـ و على آله و أصحابه الذين علا بهم منار الإيمان، رفع و شيد بهم قواعد الشرع و ما شرع، و أخمد بهم كلمة من حاد عن الحق و مال إلى البدع. وبعد فإن العقائد الشرعية و قواعد الإسلام المرعية و أركان الإيمان العلية و مذاهب الدين المرضية هى الأساس الذى يبنى عليه و الموئل الذى يرجع كل أحد إليه و الطريق الذى من سلكها فقد فاز فوزا عظيما، و من زاغ عنها فقد استوجب عذابا أليما، فلهذا يجب أن تنفذ أحكامها و يؤكد دوامها و تصان عقائد هذه الملة عن الاختلاف و تزان بالائتلاف و تخمد نوائر البدع و يفرق من فرقها ما اجتمع، و كان التقى ابن تيمية فى هذه المدة قد بسط لسان قلمه و مد عنان كلمه و تحدث فى مسائل الصفات و الذات، و نص فى كلامه على أمور منكرات و تكلم فيما سكت عنه الصحابة و التابعون وفاه بما تجنبه السلف الصالحون و أتى فى ذالك بما أنكره أئمة الإسلام و انعقد على خلافه إجماع العلماء و الحكام، و شهر من فتاويه ما استخف به عقول العباد و خالف فى ذالك فقهاء عصره وعلماء شامه و مصره و بعث برسائل إلى كل مكان و سمى فتاواه بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان فلما اتصل بنا أنه صرح فى حق الله بالحرف و الصوت و التجسيم، قمنا فى الله مشفقين من هذا النبأ العظيم. و أنكرنا هذه البدعة و عز علينا أن يشيع عمن تضم مما لكنا هذه السمعة، و كرهنا ما فاه به المبطلون، و تلونا قوله سبحانه و تعالى عما يصفون، فإنه جل جلاله تنزه فى ذاته و صفاته عن العديل و النظير ﴿لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] و تقدمت



مراسيمنا باستدعاء التقى ابن تيمية إلى أبوابنا عندما سارت فتاواه فى شامنا و مصرنا، و صرح فيها بألفاظ ما سمعها ذو فهم إلا و تلا ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤] و لما وصل إلينا تقدمنا بجمع أولى العقد و الحل و ذوى التحقيق و النقل و حضر قضاة الإسلام و حكام الأنام و علماء الدين، و فقهاء المسلمين و عقدوا له مجلس شرع فى ملأ من الأئمة و جمع، فثبت عند ذالك جميع ما نسب إليه مقتضى خط يده الدال على سوء معتقده، و انفصل ذالك الجمع و هم عليه و على عقيدته منكرون و آخذوه بما شهد به قلمه قائلين ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩] و بلغنا أنه استيب مرارا فيما تقدم و أخره الشرع لما تعرض إليه و أقدم ثم عاد بعد منعه و لم تدخل تلك النواهى فى سمعه و لما ثبت عليه ذالك فى مجلس الحكم العزيز المالكى حكم الشرع الشريف أنه يسجن هذا المذكور و يمنع من التصرف و الظهور، و من يومنا هذا نأمر بأن لا يسلك أحد مسلك المذكور من المسالك و ننهى عن التشبه به فى اعتقاده مثل ذالك، أو يعود له فى هذا القول متبعا أو لهذه الألفاظ مستمعا، و أن يسرى فى التجسيم مسراه، أو يفوه بحد العلو مخصصا كما فاه أو يتحدث أنسان فى صوت أو حرف أو يوسع القول فى ذات أو وصف أو ينطق بتجسيم أو يحيد عن الصراط المستقيم أو يخرج عن رأى الأئمة و ينفرد به عن علماء الأمة أو يحيز الله تعالى فى جهة أو يتعرض إلى حيث و كيف، فليس لمن يعتقد هذا المجموع عندنا إلا السيف، فليقف كل واحد على هذا الحد، و لله الأمر من قبل و من بعد، و ليلزم كل الحنابلة بالرجوع عما أنكره الأئمة من هذه العقيدة و الخروج من هذه التشبهات الشريدة و لزوم ما أمر الله به و التمسك بأهل المذاهب الحميدة، فإنه من خرج عن أمر الله فقد ضل سواء السبيل، و ليس له غير السجن الطويل مستقرا و مقيلا فقد رسمنا أن ينادى فى دمشق المحروسة و البلاد الشامية و تلك الجهات مع النهى الشديد و التخويف و التهديد أن لا يتبع التقى ابن تيمية فى هذا الأمر الذى أوضحناه، و من تابعه منهم تركناه فى مثل مكانه و أحللناه و وضعناه عن عيون الأمة كما وضعناه، و من أعرض عن الامتناع و أبى إلا الدفاع أمرنا بعزلهم من مدارسهم ومناصبهم و اسقاطهم من مراتبهم و أن لا يكون لهم فى بلادنا حكم و لا قضاء و لا إمامة و لا شهادة و لا ولاية و لا إقامة، فإننا أزلنا دعوة هذا المبتدع من البلاد و أبطلنا عقيدته التى ضل بها العباد أو كاد، و لتثبت المحاضر الشرعية على الحنابلة بالرجوع عن ذالك و لتسير إلينا المحاضر بعد إثباتها على قضاة المهالك فقد أعذرنا حيث أنذرنا، و أنصفنا حيث حذرنا، و ليقرأ مرسومنا هذا على المنابر ليكون أبلغ واعظ و زاجر و أجمل ناه و آمر، و الاعتماد على الخط الشريف أعلاه، الحمد لله، و صلى الله على سيدنا محمد و آله و سلم.»



السفاهة بما هو صفته ونسى قول فرعون كما: [حكى القرآن الكريم] «ما علمت لكم من إله غيرى] [القصص: ٣٨] و تجرأ على علماء المسلمين بما لونقلناه لطال و لايحتمل الإبطال.

فصل

قال: «و ثامن عشرها تنزيهه سبحانه عن موجب النقصان، فلأى شىء لم ينزه نفسه عن الفوقية». فنقول قد قال: ﴿لَيْسَ كمثله شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

فصل

قال: «و تاسع عشرها إلزام المعطل لأى شىء لم يصرح النبى ﷺ بنفى هذا».[1] ثم استمر هذا السفيه على سفهه.

انتهى ما رأيته بخط الحافظ ابن طولون فى المجموعة الحسيبية التى كان فيها الدرة المضية و المقالة فى الرد على من ينكر الزيارة المحمدية للتقى الأخنائى و الاعتبار فى بقاء الجنة و النار و دفع شبه من شبه و تمرد و غيرها، و نص المرسوم المقروء على الجمهور على منبر جامع القاهرة بعد صلاة الجمعة و على منبر جامع الفسطاط بعد العصر سلخ رمضان مدون فى نجم المهتدى لابن المعلم القرشى. و ما قرئ على منبر جامع دمشق بعد وصول ابن صصرى القاضى من مصر به فى اليوم السادس عشر من شهر ذى القعدة سنة سبعمائة و خمس مدون فى دفع الشبه للتقى الحصنى و ما نقلناه هنا من المراسيم التى قرئت على منابر البلاد الشامية و ألفاظ تلك المراسيم كلها متقاربة فى المعنى و فى ذالك كله عبر بالغة، فماذا علينا من عداء مثل هذا الفاتن المفتون و من أحاط علما بما نقلناه فى هذا الكتاب و غيره من نصوص عباراته و تأكد من الأصول صدق النقل و استمر على مشايعته و على عده شيخ الإسلام فعليه مقت الله و غضبه، و من اشتبه فى شىء مما نقلناه فنحن على استعداد أن نسهل عليه سبيل الاطلاع على الأصول إن كان لا يكفيه ما يراه بنفسه فى منهاجه و معقوله و نحوهما من كتبه المطبوعة و الله سبحانه هو الهادى إلى سواء السبيل.

١ . ما للنقائص من آخر، فهل تدون مجلدات فى نفى كل نقيصة عنه تعالى بالرواية عن النبى ﷺ و كفى قوله تعالى ﴿لَيْسَ كمثله شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] و المحتاج إلى الإثبات هو المثبت دون

فصل

قال: «و العشرون نصوص الاستواء[1] سبع و الفوق ثلاث و العلو خسمة و النزول أكثر من سبعين نصا، و السماء منفطر به لم يسمح المتأخرون بنقله جبنا[2] و

→

المنفى، و كلمة هذا الرجل هذا تقول إن الله تعالى مثبت له مـن النقـائص ملايـين الملايـين ممـا لم ينص النبي ﷺ على نفيه بلفظ خاص، و هل يقول هذا عاقل فضلا عن فاضل فضلا عـن إمـام يعتقد تابعوه أنه وحيد الأمة فضلا و علما.

١ . ألفت نظر القارئ الكريم إلى أن الاستواء لم يذكر فى تلـك الآيـات إلا بـصيغة الفعـل المقرونـة بأداة التراخى فى بعضها، و ذالك نص على أن الاستواء فعـل مـن أفعـال الله سـبحانه لا صـفة ذات له تعالى، و جل الإله أن تحدث له صفة بعد أن لم تكن و من قال إنه مستو نطق بـها لم يـأذن الله به كائنا من كان و من زاد و قال استوى بذاته بمعنى استقر فهو عابد و ثن خيـالى إن لم يكـن عاميا.

٢ . وروى الحشوية فى تفسيره ألفاظا و هى (ممتلىء به) و (مثقلة به) و (مقلة به موقرة) و (يـنط مـن ثقل الذات) و ركبوا لها أسانيد فمن أثبت لله سبحانه ثقـلا لم يـدع مـا لم يفـه بـه فـى التجـسيم، والناظم استنكر إمساك المتأخرين عن ذالك حتى باح بها فى نفسه، و يحاول شيخه أن يجعل قول كعب الأحبار فى ذالك ما يمكن أن يكون سمعه من الصحابة، فحاشاهم من ذالك، و فى جزء المنبجى تلميذ الناظم فى هذا الصدد مخاز و من علم الحالة العامـة عنـد مبعـث النبـى ﷺ مـن عراقة البيئة فى الوثنية و منازع الأمم المحدقة بها فى التشبيه و التجـسيم كـما أشرت إلـى بعـض ذالك فى مقدمة تبيين كذب المفترى لا يصعب عليه معرفـة وجـه اندسـاس أعـداء الـدين بـين الجمهور من عهد التابعين لبعث ما عندهم من صنوف الزيغ بين أعراب الرواة و بسطاء مواليهم حتى وجدت تلك الأساطير من يذيعها بين الأمة خلفا عن سلف، قاتلهم الله، و لولا قيام علماء أصول الدين فى كل قرن بكشف الستار عن وجوه هؤلاء المخـذولين لا سـتفحل أمـرهم و لـه الحمد فى الآخرة و الأولى، و هذا النـاظم و شـيخه قـد جـددا الكـرة بـسلاح جديـد بتلبـيس معتقدهما الزائغ بلباس النظر و التفلسف تارة على طريقة صاحب المعتبر أبى البركات البغدادى اليهودى و بلباس الرواية و الأثر تارة أخرى و أمرهما كما ترى مكشوف مفـضوح فـى الحـالتين بفضل الله توفقيه و لا عذر للمنخدعين بهما بعد ما سردناه فى هذا الكتاب.



ضعفاً بل قاله المتقدمون هذا الرجل كما قال الله تعالى ﴿فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنـهُ﴾ [آل عمران: ٧]

فصل

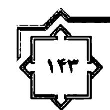
قال: «و الحادى و العشرون إتيان رب العرش و مجيئه[1] من أين يأتى لا يأتى

---

١ . نص أحمد فى المجىء

قال ابن حزم، روينا عن الإمام أحمد فى قوله تعالى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] إنما معناه و جاء أمر ربك كقوله تعالى: ﴿هَل يَنظرونَ إلّا أن تَأتِيَهُمُ الملائِكَة أو يَأتِيَ أمْرُ رَبِّك﴾ [النحل: ٢٣] و القرآن يفسر بعضه بعضا. و هكذا نقله ابن الجوزى فى تفسيره زاد المسير، و قال البيهقى فى مناقب أحمد أنبأنا الحاكم قال: حدثنا أبو عمرو بن السماك قال حدثنا حنبل بن إسحاق قال سمعت عمى أبا عبدالله يعنى أحمد يقول: احتجوا على يومئذ ـ يعنى يوم نوظر فى دار امير المؤمنين ـ فقالوا تجىء سورة البقر يوم القيامة و تجىء سورة تبارك فقلت لهم إنما هو الثواب قال الله تعالى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] إنما تأتى قدرته، و إنما القرآن أمثال و مواعظ. قال البيهقى و فيه دليل على أنه كان لا يعتقد فى المجىء الذى ورد به الكتاب و النزول الذى وردت به السنة انتقالا من مكان إلى مكان كمجىء ذوات الأجسام و نزولها، و إنما هو عبارة عن ظهور آيات قدرته، فإنهم لما زعموا أن القرآن لو كان كلام الله و صفة من صفات ذاته لم يجز عيه المجىء و الإتيان فأجابهم أبو عبدالله بأنه إنما يجىء ثواب قراءته التى يريد إظهارها يومئذ فعبر عن إظهاره أياها بمجيئه اهـ.

و قال اليافعى بعد أن ساق ذالك: قال العلماء و قد يقتضى الحذف من التعظيم و التفخيم ما لا يقتضيه الذكر، و شواهده من الكتاب كثيرة كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٣٣] و ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧] و قد أجمع المسلمون على تقدسه تعالى على التأذى و الضرر، أى يحاربون عباد الله و أولياءه و يوضحه قوله تعالى ﴿فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُم﴾ [النحل: ٢٦] ليس المراد الإتيان بذاته بالاتفاق و إنما هو أمره و يشهد له قوله تعالى ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً﴾ [يونس: ٢٤] اهـ. و الناظم و شيخه يدعيان الانتماء إلى أحمد و لا يتابعانه فى التنزيه كما رأيت نصوص أهل العلم عن أحمد فلا ينخدعن الموفق بثرثرتها المفضوحة و تهويلها المصطنع و إنما ذالك وقاحة منهما قاتلهما الله ما أجرأهما على الله تعالى.



إلا من العلو»

ما كفاه إثبات الفوقية حتى أثبت الحركة فى الإتيان.

فصل

فى الإشارة إلى ذالك من[1] السنة».

قال: لما قضى الله ربنا الخليقة كتبت يداه كتاب ذى إحسان

أين لفظ كتبت يداه؟

قال: و لقد أشار نبينا فى خطبة نحو السماء بأصبع و بنان

تقدم جوابه.

قال: «و لقد أتى فى رقية المرضى نص بأن الله فوق[2] سمائه و خبر رواه

---

١ . **معنى كتب ربكم على نفسه بيده**

قد أجمع أهل الحق على أنه لا يجوز إثبات صفة الله سبحانه بدون دليل يفيد العلم و هم فى ذالك أدلة ناصعة قال أبو سليمان الخطابى فى (الناصحة) لا يجوز أن يعتمد فى الصفات إلا على الأحاديث المشهورة التى قد ثبتت صحة أسانيدها و عدالة ناقليها اهـ. ثم أقام النكير على قوم من أهل الحديث تعلقوا برواية المفاريد و الشواذ فى الصفات، و نكتفى بهذه الإشارة هنا. و لم يقع كتبت يداه فى الصحيح عند ذكر حديث «**سبقت رحمتى غضبى**» و أما ما فى ابن ماجه فبطريق ابن عجلان و قد ضعفه البخارى و لم يكن مالك يرضاه فى الصفات فلا حجة فى رواية مثله على أن لفظه «**كتب ربكم على نفسه بيده قبل أن يخلق الخلق رحمتى سبقت غضبى**» قال الله تعالى: ﴿**كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾ [الأنعام: ٥٤] فكتب إذا تعدى بلفظ على يكون بمعنى أوجب، فيكون معنى الحديث أوجب على نفسه بذاته لا بإيجاب على النفس أحد سواه، واستعمال (بيده) بمعنى بذاته شائع كثير، ولإيجاب على النفس بمعنى الوعد و الوجوب عن الله لا الوجوب على الله، فليس هناك خط و لا مخطوط، و من الدليل على ما قلنا أن الخط حادث مخلوق فكيف يتصور أن يكون قبل الخلق خلق فلا تغفل مع الغافلين.

٢ . و لفظ الحديث «**ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك**» يدور هذا اللفظ بين أن يكون بمعنى أنه

←

 العباس أن الله فوق العرش.[١]

و أذكر حديث حصين[٢] بن المنذر الثقة الرضى أعنى أبا عمران إذ قال: ربى

تقدس اسمه فى السماء لأن أهل السماء كلهم متزهون بخلاف أهل الأرض و بين أن يكون بمعنى أنه فى السماء و استحالة الثانى تعين الأول و الناظم غير اللفظ و ادعى أنه نص تحريفا للكلم على أن فى سنده زيادة بن محمد و هو منكر الحديث و الناظم يستدل بالمنكر فى الصفات مع تغيير نص الرواية و الحديث مخرج فى سنن أبى داود.

١. فى رواية عبد الرزاق (و الله فوق ذالك) و لفظ فوق العرش إنما وقع فى بعض الروايات كما سبق على أن الحديث انفرد به سماك، و شيخه عبد الله بن عميرة لم يدرك الأحنف كما نص عليه البخارى فضلا عن أن يدرك عباسا مع كونه مجهول الصفة، و تحسين الترمذى باعتبار أنه مروى عن سماك بطرق لا بمعنى أنه محتج به حيث قال حسن غريب ثم ذكر وقفه عن شريك عن سماك فتكون فى رفعه علة أيضا و يحيى بن العلاء فى مسند عبد الرزاق متروك، هكذا تكون حجج الناظم فى السنة لا يبالى أن يكون الحديث من المفاريد أو أن يكون فيه منكر أو مجهول أو انقطاع. دعنا من تخريج الضياء و قدعرف الناس مذهبه فى الصفات و قال ابن العربى فى العارضة عن حديث الأوعال هذا: و روى غير ذالك و لم يصح شىء منه و إنما هى أمور تلقفت من أهل الكتاب ليس لها أصل فى الصحة و قد روى أن النبى ﷺ أنشد قول أمية بن أبى الصلت:

رجل و ثور تحت رجل يمينه   و النسر للأخرى و ليث مرصد

و لم يصح اهـ.

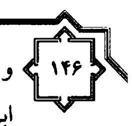
٢. **سخف عثمان بن سعيد فى التمسك بحديث حصين فى الفوقية**

غلط الناظم فى اسم والد حصين كما يظهر من الكتب المؤلفة فى الصحابة، و إسلام حصين صاحب القصة مختلف فيه و وصفه بالثقة الرضى مطلقا مجازفة و أقل ما يقال فيه إنه لم يكن ثقة و لا رضى حين المحادثة على تقدير ثبوب الخبر و لسنا فى صدد استقصاء جهالات الناظم و يريد بحديث حصين ما رواه أحمد بن منيع عن أبى معاوية عن شبيب بن شيبة عن الحسن عن عمران بن حصين قال قال النبى ﷺ لأبى: «كم تعبداليوم إلها؟ فقال ستة فى الأرض و واحدا فى السماء قال: فأيهم تعده لرغبتك و رهبتك؟ قال: الذى فى السماء. قال يا حصين، أما أنك لو أسلمت علمتك كلمتين ينفعأنك، فلما أسلم قال يا رسول الله علمنى الكلمتين، قال: «**قل اللهم**

فى السماء لرغبتى و لرهبتى أدعوه كل أوان، فأقره الهادى البشير و لم يقل
أنت المجسم قائل مكان و أذكر شهادته لمن قال ربى السماء[١] بالإيمان

ألهمنى رشدى و أعذنى من شر نفسى». و أخرجه عثمان بن سعيد السجزى الدارمى عن ابن منيع إلى «الذى فى السماء» فقط فى كتاب النقض محتجا به على إثبات الحد و النهاية و المكان له تعالى حتى قال: فلم ينكر النبى ﷺ على الكافر إذ عرف أن إله العالمين فى السماء فحصين الخزاعى فى كفره يومئذ كان أعلم بالله؟ من المريسى و أصحابه... و قد اتفقت الكلمة من المسلمين و الكافرين أن الله فى السماء و حدوه بذالك... و كل أحد بالله و بمكانه أعلم من الجهمية ا هـ» راجع معقول ابن تيمية فى هامش منهاجه (٢ ـ ٣٠) تجده ينقل ذالك عنه بنصه و فصه بدون استنكار، و الناظم أتبع له من ظله فى كل صغير و كبير ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ﴾ [النور: ٤٠] و عثمان الدارمى هذا مجسم قح كما ترى و هو إمام الناظم و شيخه و إسلام عمران بن حصين أيام خيبر و هذه المحادثة وقعت قبل الهجرة و حصين مشرك و لا يكون من التقرير فى شىء ما يشاهده النبى ﷺ فى المشرك و سكت عليه، و كيف يتصور عاقل أنه أقره على ما يدعيه الناظم ؟ إذ من المحال أن يقره على ستة فى الأرض، على أن عرضه الإسلام يدل على استنكار ما قاله حصين و على أنه كان على شر و ضلال فيما قال، و شبيب بن شيبة ضعفه النسائي و غيره و بمثل هذا السند لا يستدل في الاعمال فضلا عن الاستدلال به فى المعتقد، و أما ما أخرجه ابن خزيمة فى التوحيد فبلفظ آخر زيد فيه كلمة إنقاذا للموقف لكن فى سنده عمران بن خالد و حاله أسوا من أن يقال: إنه ضعيف بل هو مشكوف الأمر و الروايتان مختلفتان فلا تجمعان و لا تلفقان و لا ينقذ هذا الموقف بمثل ذالك الترقيع، فليتق الناظم رب العالم من أن يسوق فى صفات الله صبحانه أمثال تلك الروايات.

١ . و ليس فى رواية يحيى الليثى عن مالك لفظ (فإنها مؤمنة) فى حديث الجارية و قد سبق بيان اضطراب هذا الحديث سندا و متنا و عدم صلاحية مثله للاحتجاج إلا فى الأعمال دون المطالب الاعتقادية و قد حمل الشريف الجرجانى لفظ (أين) فى الحديث على السؤال الاستكشافى، و من أهل العلم من قال إن العامى الذى يعلو عن مدركه التنزيه عن المكان يؤخذ بالرفق و يعذر لهذا الحديث بخلاف من عنده بعض إلمام بالعلم، و جعل ابن رشد الحفيد لصاحب البرهان شأنا غير شأن العامى فى ذالك، و قد سبق بسط ذالك كله.



و شهادة المعطل له بالكفران، و حديث[١] الأطيط و حديث النزول[٢] و حديث[٣] ابن رواحة.

---

١ . قال الذهبي في كتاب العلو: لفظ الأطيط لم يأت به نص ثابت ا هـ و قد ألف الحافظ أبوالقاسم بن عساكر جزءاً سماه (بيان التخليط في حديث الأطيط) بين فيه وجوه التخليط في روايات الأطيط فلا حاجة لتكلف التأويل بعد ثبوت بطلان تلك الروايات.

٢ . و قد سبق بيان ما فيه كفاية في هذا الصدد فلا نعيد الكلام بدون موجب.

٣ . الشعر المنسوب إلى ابن رواحة

يشير به إلى ما ينسب إلى عبدالله بن رواحة رضي الله عنه من أنه أنشد:

شهدت بأن وعد الله حق ... و أن النار مثوى الكافرينا
و أن العرش فوق الماء طاف ... و فوق العرش رب العالمينا

إيهامه لامرأته أنه يتلو القرآن دفعا لما اتهمته به من نيله جارية له حتى قالت زوجته آمنت بالله و كذبت عيني ا هـ و هذه قصة تذكر في كتب المحاضرات و المسامرات دون كتب الحديث المعتمدة و لم ترد في كتب أهل الحديث بسند متصل و لو من وجه واحد و أما ما وقع في الاستيعاب منقول ابن عبد البر (رويناه من وجوه صحاح) فسقط لفظ (غير) فتتابعت النسخ على السهو إذ لم يجد أهل الاستقصاء سندا واحدا يحتج بمثله في هذه القصة بل كل ما عندهم في هذا الصدد أخبار منقطعة و ما يكون في عهد ابن عبد البر مرويا بطرق صحيحة كيف لا يكون مرويا عند من بعده و لو بطريق واحد صحيح؟ و هذا يعين ما قلناه من سقوط لفظ (غير) في الكتاب. و لم يتمكن الذهبي بعد بذل جهده من ذكر سند واحد غير منقطع في القصة و أفعال الصحابة كلها جد، و جل مقدار هذا الصحابي عن أن يوهم صحابية أنه يتلو القرآن بإنشاده الشعر لها. و إيهام كون الشعر من القرآن ليس مما يقر عليه النبي صلى الله عليه وسلم فمتن الخبر نفسه يدل على البطلان. على أنالحافظ ابن الجوزي ذكر في كتاب الأذكياء أنه قال:

و فينا رسول الله يتلو كتابه ... كما انشق مرموق من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

و أين هذا الشعر من ذاك الشعر و الحكاية هي هي. و لا مجال لتعدد القصة لأن المرأة لا تخدع بمثل ذاك مرتين...



و المعراج[١] و قريظة[٢]، و صعود الروح[٣] عند الموت.

و سخط الله[٤] على المرأة التى تهجر زوجها، و حديث جابر فى أهل الجنة إذا بنور[٥] ساطع فإذا هو الرحمن.

---

١ . نحيل الناظم فى حديث المعراج الذى يريد أن يستدل به هنا على ما كتبه هو نفسه فى زاد المعاد فى الأوهام الواقعة فى حديث شريك فى المعراج و قد بسط أهل العلم أغلاطه فيه.

٢ . **حديث قريظة**

يعنى ما يروى عنه ﷺ أنه قال لسعد بن معاذ حين حكم فى بنى قريظة بأن يقتل مقاتلهم و تسبى ذراريهم: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة» و فى سنده النسائى محمد بن صالح التمار ليس بقوى، قال أبوبكر بن العربى فى القواصم: لم يصح اهـ . على أن حكم الله يطلع عليه الملائكة باطلاعهم على اللوح المحفوظ فيكون معنى كون حكمه فى السماء كون حكمه فى اللوح المحفوظ الذى هو فى السماء.

٣ . أخرجه أحمد و ابن خزيمة و فيه لفظ «حتى تنتهى إلى السماء التى فيها الرب» و ليس السند إليهما كالسند إلى الأصول الستة، و قد أعرض عن تخريجه أصحاب الأصول الستة و هذا اللفظ منكر و الظاهر أنه من تغيير بعض الرواة و قد أجمع المسلمون على أن الله سبحانه لا تحويه السماء و لا الأرض و أنه منزه عن المكان، قال الخطيب البغدادى فى الفقيه و المتفقه: إذا روى الثقة المأمون خبراً متصل الإسناد بأمورأحدها أن يخالف موجبات العقول فيعلم بطلانه لأ ن الشرع إنما يرد بمجوزات العقول و أما بخلاف العقول فلا ا هـ و أما هذا فمخالف للكتاب والسنة و المعقول فى آن واحد.

٤ . و لفظ مسلم «كان الذى فى السماء ساخطا عليها» و ليس فى هذا اللفظ التصريح بما يرمى إليه الناظم، و مثل هذا الحديث من أخبار الأحاد يحمل على المحكمات و ليس فى الحديث ذكر الرب سبحانه و حمله عليه تقول و على فرض حمله عليه ليس معنى كونه فى السماء الاستقرار و التمكن فيها باتفاق بل معنى ذالك علو الشأن كما سبق.

٥ . **حديث جابر**

أخرجه بان ماجه بطريق العبادانى و هو منكر الحديث و فضل الرقاشى ممن لا يكتب حديثه و أورده ابن الجوزى فى الموضوعات و أقر الذهبى بكونه ضعيف الإسناد و بمثله يحتج الناظم!



و حديث فضل[1] يوم الجمعة، و أمين[2] من فى السماء، و أذكر حديث أبى رزين[3] و بطوله ساقه ابن إمامنا والطبرانى و أبوبكر بن زهير و أذكر كلام مجاهد

---

١ . غير صالح للاحتجاج بالمرة و لا سيما فى مثل هذا المطلب و لابن عساكر الحافظ جزء سماه، (القول فى جملة الأسانيد الواردة فى حديث يوم المزيد) و بين فيه وجوه الوهى فيها و قال إن لهذا الحديث عن أنس عدة طرق فى جميعها مقال. و فى بعض طرق الحديث ما يخيل إلى الناظم أنه فى احتفاء بأحد رجالات العرب تعالى الله عما اختلقه أعداء الدين و ركبوا له أسانيد ما أنزل الله بها من سلطان.

٢ . و هو أمين من فى الأرض من المؤمنين و أمين سكان السموات كلهم فماذا فى هذا الحديث مما يرمى إليه الناظم.

٣ . سبق الكلام فى حديث أبى رزين، و نود أن نعلم هل كان الناظم يعتقد صحة جميع ما فى كتاب السنة المنسوب إلى عبدالله بن أحمد فإذا ذاك يسقط التابع و المتبوع و جل مقدار أحمد أن يصح عنه جميع ما فى الكتاب المذكور و من طالعه من أهل العلم لا يتردد أنه ليس بكتاب يحتج بجميع ما فيه و من جملة ما فيه: رآه على كرسى من ذهب يحمله أربعة: ملك فى صورة رجل، و ملك فى صورة أسد و ملك فى صورة ثور و ملك فى صورة نسر، فى روضة خضراء دونه فراش من ذهب. و منها: كلمه بصوت يشبه الرعد. و منها: أوحى الله إلى الجبال أنى نازل على جبل منك، و منها أن الرحمن ليثقل على حملة العرش من أول النهار إذا قام المشركون حتى إذا قام المسبحون خفف عن حملة العرش و منها ﴿السَّماءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾[المزمل: ١٨] مثقل و ممتلىء به. و منها أنه ليقعد عليه فما يفضل منه إلا قيد أربع أصابع. و منها فأصبح ربك يطوف فى الأرض... إلى آخر ما تجده فى النسخة المطبوعة من كتاب السنة. و قوله «نازل على جبل منك» يذكرنا ما أخرجه أبوإسماعيل الهروى فى الفاروق عن كعب: إن الله نظر إلى الأرض فقال إنى واطىء على بعضك فاستبقت له الجبال و تضعضعت الصخرة فشكر لها ذالك فوضع عليها قدمه فقال هذا مقامى... اهـ . و هذا الهروى المخرف يروى فى ذم الكلام عن بعض قادته أنه لا تحل ذبائح الأشعرية لأنهم ليسوا بمسلمين و لا بأهل كتاب اهـ و الله ينتقم منه. و أما الطبرانى فمن المعروف عند أهل النقد أنه من الذين يروون الحديث الموضوع و الضعيف بدون بيان كونه موضوعا أو ضعيفا بل ينسب إليه تصحيح حديث عكرمة فى الرؤية على صورة شاب أمرد... فلا حب و لا كرامة.



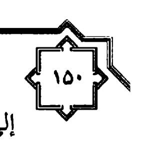
في قوله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ...﴾ في سبحان في ذكر تفسير المقام لأحمد[1] إن كان تجسيما، فإن مجاهدا هو شيخهم بل شيخه الفوقاني و لقد أتى ذكر الجلوس به».

---

١ . مروى عنه بطرق ضعيفة و تفسيره بالشفاعة متواتر معنى عن النبي فأنى يناهضه قول تابعي على تقدير ثبوته عنه؟ و من يقول إن الله سبحانه قد أخلى مكانا للنبي في عرشه فيقعده عليه في جنب ذاته فلان نشك في زيغه و ضلاله و اختلال عقله رغم تقول جماعة البربهارية من الحشوية و كم آذوا ابن جرير حتى أدخل في تفسيره بعض شيء من ذالك مع أنه القائل:

سبحان من ليس له أنيس و لا له في عرشه جليس

و لو ورد مثل ذالك بسند صحيح لرد و عد أن هذا سند مركب فكيف و هو لم يرفع إلى النبي أصلا بل نسب إلى مجاهد بن جبر، نعم لا مانع من أن يكون الله سبحانه يقعده على عرش أعده لرسوله في القيامة إظهارا لمنزلته لا أنه يقعد و يقعده في جنبه تعالى الله عن ذالك. إذ هو محال يرد بمثله خبر الآحاد على تقدير وروده مرفوعا فيكف و لم يرد ذالك في المرفوع حتى قال الذهبي: لم يثبت في قعود نبيا على العرش نص بل في الباب حديث واهـ . و قال أيضا و يروى مرفوعا و هو باطل فما ذكره ابن عطية من التأويل و سايره الآلوسي فليس في محله لأن أصحاب الاستقراء لم يجدوه مرفوعا حتى نحتاج الى محاولة التأويل بمايمجه الذوق و من ظن أنه يوجد في مسند الفردوس ما يصح في ذالك لم يعرف الديلمي و لا مسنده و أرسل الكلام جزافا. جزى الله الواحدي خيرا حيث رد تلك الأخلوقة ردّا مشبعا و كذا ابن المعلم القرشي و أما ما يروى عن أبي داود أنه قال من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم. فبطريق النقاش صاحب شفاء الصدور و هو كذاب عند أهل النقد و قال ابن عبد البر إن لمجاهد قولين مهجورين عند أهل العلم أحدهما تأويل المقام المحمود بهذا الإجلاس و الثاني تأويل ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] بانتظار الثواب. وفتنة أبي محمد البربهاري ببغداد في الإقعاد وصمة عار يأبى أهل الدين أن يميلوا إليها لاستحالة ذالك وتضافر الأدلة على تفسير المقام المحمود بالشفاعة و إنما هذه الأسطورة تسربت إلى معتقد الحشوية من قول بعض النصارى بأن عيسى ﷺ رفع إلى السماء و قعد في جنب أبيه، تعالى الله عن ذالك فحاولوا أن يجعلوا للنبي مثل ما جعله النصارى لعيسى ﷺ كسابقة لهم، تعالى الله عن ذالك، فعليك أن تتهم من يقول إني أتهم من ينفي حديث الإقعاد في جنب الله عز و جل.



هذه الأحاديث كلها قد ذكرها الأئمة و ذكروا تأويلاتها من قديم الزمان و إلى الآن.

فصل: بحث ممتع في التأويل

في جناية التأويل[1] على ماجاء به الرسول». فذكر أن التأويل أصل كل بلية

---

١ . من كلام العرب ما يفهم منه مراد المتكلم بمجرد سماعه بدون احتياج إلى التدبر و منه ما لا يفهم المراد منه إلا بعد التأمل فيما يؤول إليه ذالك الكلام و التأويل تبيين ما يؤول إليه الكلام بعد التدبر فمن نفى التأويل جملة و تفصيلا فقد جهل الكتاب و السنة و مناحى كلام العرب فى التخاطب. و أبو يعلى الحنبلى المسكين ـ من أئمة الناظم ـ ألف كتابا سماه (إبطال التأويلات فى أخبار الصفات) أتى فيه بكل طامة حتى قال عنه أبو محمد رزق الله التميمى الحنبلى: لقد بال أبو يعلى على الحنابلة بولة لا يغسلها ماء البحار. كما ذكره سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان، و لفظ ابن الأثير فى الكامل أفظع و أما لفظ ابن الجوزى فى دفع الشبه فرواية بالمعنى، و قد ذكر أبو الفرج ابن الجوزى الحنبلى فى دفع شبه التشبيه كثيرا من مخازيه فى تأسيس ابن تيمية نقول كثيرة من كتاب (إبطال التأويلات) منها إثبات الحد له تعالى من الجانب الأسفل، تعالى الله عن ذالك و يأسف الإنسان كل الأسف أن يضل مثل أبى يعلى هذا الضلال و ما ذالك إلا من عدوى خلطائه، فلو كان والده الذى كان من أخص أصحاب أبى بكر الرازى الجصاص رأى ما آل إليه أمر ابنه اليتيم عنه لبكى بكاء مرا و تبرأ منه و من عقائده. و مما زاد فى ويلات الكتاب اعتداده بكل خبر غير مميز ممن بين المختلق و غيره و لأبى يعلى هذا كتاب المعتمد فى المعتقد و هو قريب إلى السنة، نرجوا أن يكون هذا آخر مؤلفاته ليكون قضايا على ما سلف منه و إلا فيا للعار و النار من مسايرة الأشرار، فمن أول فى كل موضع فهو قرمطى كافر، و من أبى التأويل فى كل آية و حديث فهو حجرى زائغ كابن الفاعوس الحنبى الذى لقب بالحجرى حيث كان يقول إن الحجر الأسود يمين الله حقيقة قال أبوبكر بن العربى عن الظاهرية:

قالوا الظواهر أصلا لا يجوز لنا	عنها العدول إلى رأى و لا نظر
بينوا عن الخلق لستم منهم أبدا	ما للأنام و معلوف من البقر

و قد قال ابن عقيل الحنبلى «هلك الإسلام بين طائفتين: الباطنية و الظاهرية و الحق بين المنزلتين و هو أن نأخذ بالظاهر ما لم يصرفنا عنه دليل و نرفض كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة

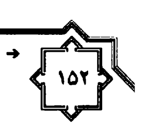
←

الشرع» و للغزالى جزء لطيف سماه قانون التأويل و هو يقول فيه عند البحث فيما إذا كان بين المعقول و المنقول تصادم فى أول النظر و ظاهر الفكر: «و الخائضون فيه تحزبوا إلى مفرط بتجريد النظر إلى المنقول و إلى مفرط بتجريد النظر إلى المعقول و إلى متوسط طمع فى الجمع و التلفيق و المتوسطون انقسموا إلى من جعل المعقول أصلا و المنقول تابعا و إلى من جعل المنقول أصلا و المعقول تابعا و إلى من جعل كل واحد أصلا»: ثم شرح هؤلاء الأصناف الخمسة شرحا جيدا لا يستغنى عنه باحث، حفظنا الله سبحانه من الإفراط و التفريط و سلك بنا سواء السبيل و فى الاطلاع على جزء الغزالى هذا فوائد فى هذا الصدد.

قول ابن حجر فى التأويل

و أما قول ابن حجر فى فتح البارى: إنه لم ينقل عن النبى ﷺ و لا عن أحد من الصحابة بطريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شيء من ذالك ـ يعنى المتشابهات ـ و لا المنع من ذكره و من المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل إليه ربه و ينزل عليه ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبته إليه تعالى و ما لا يجوز مع حثه على التبليغ عنه بقوله ﷺ (ليبلغ الشاهد الغائب) حتى نقلوا أقواله و أفعاله و أحواله و ما فعل بحضرته فدل على أنهم اتفقوا على الإيمان بها على الوجه الذى أراده الله تعالى منها و وجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كمثله شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فمن أوجب خلاف ذالك بعدهم فقد خالف سبيلهم و بالله التوفيق اهـ.»

فليس مما يستطيع الحشوى أن يتخذه سندا فى ترويج مزاعم المشبهة ـ رغم محاولة بعضهم ذالك لأن فى سياق كلامه ما يحتم التفويض مع التنزيه و هو مذهب جمهور السلف و ليس أحد من أهل العلم يمنع من أجراء المتشابه فى الكتاب و السنة المشهورة على اللسان بدون خوض فى المعنى فمن خاض و حمل على ما ينافى التنزيه فهو الذى خالف سبيلهم، بل الصحابة كلهم أجمعوا على تنزيه الله سبحانه عن مشابهة المخلوقات فى ذاته و صفاته و أفعاله و من ضرورة ذالك صرف الألفاظ المستعملة في الخلق عن معانيها المتعارف بينهم الى معان تتسامى عنها عند نسبة تلك الالفاظ إلى الله سبحانه على مقتضى قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ و هو تأويل إجمالى و أما تعيين تلك المعانى المتسامية تفصيلا بقرائن قائمة فمما يختلف مبلغ انتباه أهل العمل إليه على اختلاف ما آتاهم الله من الفهم فمنبان له وجه الكلام كوضح الصبح يسلك طريق التبيين بل يدخل هذا المتشابه فى حقه فى عداد المحكم ـ و ذالك كالنظرى بالنسبة إلى الحدسى و كم من نظرى مستصعب عند أناس يكون حدسيا مكشوفا عند أناس آخرين ـ فأحاديث



النزول مثلا إبعادها عن معان توجيه التشبيه و النقلة موضع اتفاق بين أهل الحق سلفا و خلفا و حملها على المجاز فى الطرف أو على الإسناد المجازى استعمال عربى صحيح و موافق للتنزيه و قد يترجح عند بعضهم الأول و عند بعضهم الثانى، و لكن الذى صح عنده رواية الإنزال أو اطلع على صحة حديث أبى هريرة فى سنن النسائى «**إن الله عزوجل يمهل حتى يمضى شطر الليل ثم يأمر مناديا يقول هل من داع فيستجاب له**» يجزم بإرادة الإسناد المجازى فى باقى الروايات فيخرج حديث النزول فى نظره من عدادالمتشابه و يدخل فى عداد المحكم حيث رده إليه.

تحقيق ابن دقيق العيد

قال الإمام المجتهد ابن دقيق العيد: «إن كان التأويل من المجاز البين الشايع فالحق سلوكه من غير توقف. أو من المجاز البعيد الشاذ فالحق تركه، و إن استوى الأمران فالاختلاف فى جوازه مسألة فقهية اجتهادية و الأمر فيها ليس بالخطر بالنسبة للفريقين اهـ.»

و هذا كلام نفيس جدا ينبيء عن علم جم، و صراحة فى بيان الحق، و توسط حكيم بخلاف كلام الذين يسعون فى إرضاء الطوائف بكلام معقد متشابه يفتح باب التقول لمن يعدهم من الزائغين في المتشابهات، و أين هؤلاء من ابن دقيق العيد فى التروى و الأمانة و الصراحة و التحقيق و الجمع بين الأصلين و الفقه و الحديث؟ ... و عن ابن دقيق العيد هذا يقول ابن المعلم: (كان مبارزاً لأهل البدع من الحشوية و الصوتية و القائلين بالجهة... منكرا عليهم بيده و لسانه و لفظه و جنانه يغرى و يؤلب عليهم و لا يدع لهم رأسا قائمة إلا اقتطعها و لا شجرة يخشى شرها إلا اقتلعها) فتبين من ذالك أن المسلم فى سعة من التفويض و التأويل فالأول فى حينه أسلم و الثانى بشرطه أحكم فلا يتصور أن ينقل التصريح بوجوب التأويل التفصيلى عن الصحابة لأنه لو نقل لوجب التأويل التفصيلى على العالم و الجاهل على حد سواء و هذا مما يبرأ منه الشرع الحنيف.

صنيع الحصابة فى التأويل

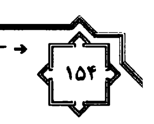
و قد كانت الصحابة رضي الله عنهم لا يخوضون فى المعضلات حرصا منهم على معتقد الذين قرب عهدهم بالجاهلية و تدريبا لهم على الأعمال النافعة دون المماحكات الفارغة، لأن الخوض فيها يضر و لا ينفع فى شخص دون شخص فى وقت دون وقت ـ و عمل الفاروق رضي الله عنه فى صبيغ معروف ـ و لم يتقاعس الصحابة عن الإجابة عند حدوث ضرورة كما فعل ابن عباس رضي الله عنهما مع نافع بن الأزرق فلا يكون المؤول بشرطه مخالفا للصحابة رضي الله عنهم بل مقتديا بهم، و قد سرد

المحديث النظار الفخر بن المعلم القرشي الشافعي في (نجم المهتدى) في باب خاص منه نماذج كثيرة من التأويلات المرورية عن الصحابة و التابعين و قد اكتظت كتب التفسير بالرواية بما روى عنهم في هذا الصدد، و كانت الصحابة يفهمون بسليقتهم كلام الله و كلام رسوله ﷺ و لم يكن يصعب عليهم فهم ما يستعصى فهمه على كثير ممن تأخر زمنه عن زمن الوحى، و لم يقع في كلام أحد منهم شيء ينافي التنزيه أصلا و أماما وقع في بعض الروايات مما يوهم ذالك من تغيير أعراب الرواة و أعاجمهم و الرواية بالمعنى من غير فقهاء الرواة في حاجة للتنقيب و النظر و حيث كان غالب الفاظ الروايات الفاظ الرواة ـ على حسب فهمهم المعاني ـ لا يعول محققو علماء العربية في اللغة على الفاظ الحديث المروي بالمعنى فكيف يتصور أن يتخذ علماء أصولالدين ألفاظ هؤلاء الرواة ـ على حسب أفهامهم ـ حجة في دين الله منغير نظر فيما إذا كان مخالفا للتنزيه و البراهين القائمة؟ . و الحاصل أن التفويض مع التنزيه مذهب جمهور السلف لانتفاء الضرورة في عهدهم و التأويل مع التنزيه مذهب جمهور الخلف حيث عنَّ لهم ضرورة التأويل لكثرة الساعين في الإضلال في زمنهم، و ليس بين الفريقين خلاف حقيقي لأن كليهما منزه و من أهل العلم من توسط بين هؤلاء و هؤلاء كما أشرت إليه.

و أما المشبهة فتراهم يقولون: نحن لا نؤول بل نحمل آيات الصفات و أخبارها على ظاهرها. و هم في قولهم هذا غير منتبهين إلى أن استعمال اللفظ فيالله سبحانه بالمعنى المراد عند استعماله في الخلق تشبيه صريح و حمله على معنى سواه تأويل على أن الأخبار المحتج بها في الصفات إنما هي الصحاح المشاهيد دونالوحدان و المفاريد والمناكير و المنقطعات و الضعاف والموضوعات مع أنهم يسوقون جميعها في مساق واحد في كتب يسمونها التوحيد أو الصفات أوالسنة أوالعلو أو نحوها

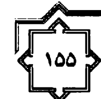
اضطراب الحشوية

و من الأدلة القاطعة على رد مزاعم الحشوية في دعوى التمسك بالظاهر في اعتقاد الجلوس على العرش خاصة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦] و قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦] و قوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق:١٩] و قوله تعالى:﴿أَلاَ إِنَّهُ بِكل شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤] و قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كنتمْ﴾ [الحديد: ٤] إلى غير ذالك مما لا يحصى في الكتاب و السنة المشهورة مما ينافي الجلوس على العرش و أهل السنة يرونها أدلة على تنزه الله سبحانه عن المكان كما هو الحق فلا يبقى للحشوية أن يعملوا شيئا إزاء أمثال تلك النصوص غير محاولة تأويلها مجازفة أو



العدول عن القول بالاستقرار المكانى فأين التمسك بالظاهر فى هايتن الحالتين؟ و هكـذا سـائر مزاعمهم على أن من عرف أقسام النظم باعتبار الوضوح و الخفاء و أقربكون آيات الـصفات و أخبارها من المتشابه كيف يتصور فى هذا المقام ظاهرا يحمل المتشابه عليـه؟ و إنماحقـه أن يحمـل المتشابه فى الصفات على محكم قولـه تعـالى ﴿لَـيْسَ كمثلـه شَيْءٌ﴾ [الـشورى: ١١] بالتأويـل الإجمالى و من الحشوية من يزعم أن الآية المذكورة متشابهة ليتنكب الحمل المذكور، بل منهم من بلغ به الكفر إلى حد أن يقول «**له ساق كساقى هذه و المراد بالآية نفى المماثلة فى الإلهية لا فى كل أمر**» كما تجد ذالك فى ترجمة العبدرى الظاهرى فى تاريخ ابن عساكر. و هذا كفر بـواح، فـتلاوة المشبه الآية المذكورة لا تفيد بمجردها التنزيه بالمعنى الذى يفهمه أهل الحق من الآية فلا تغفـل و لاتنخدع فمن المضحك المبكى تمسكهم مرة فى نفيالعلم بالتأويـل بقولـه تعـالى: ﴿وَمَـا يَعْلَـمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ [آل عمران: ٧] باعتبار الوقف علـى الاسـم الكـريم مـع دعـوى الحمـل علـى الظاهر، و زعمهم أخرى أن التأويل بمعنى التفسير مع الوقف علـى ﴿وَالرَّاسِـخُونَ فِي الْعِلْـمِ﴾ [آل عمران: ٧] مدعين أنهم يعلمون تأويل المتـشابه باعتبـار أنهـم مـن الراسـخين فـى العلـم و مجترئين على النطق بكلمات فى المتشابهات لا ينطق بمثلها من يخاف مقام ربه، و أمـا أهـل الحـق فلا يدعون معرفة جميع التأويل بل يفوضون علمه إلى الله و يردون المتشابه إلى المحكـم جملـة و تفصيلا و لا يحملون لفظ التأويل فى تلك الاية على خلاف معناه المعلوم من السياق بـل يحمـل بعض المحققين منهم النفى فى الآية ـ بالوقف على لفظة «الله» كما هـو المؤيـد درايـة و روايـة... على سلب العموم دون عموم السلب بالنظر إلى أن التأويل مصدر مضاف فيكـون مـن ألفـاظ العموم فبانصباب النفى على العموم يكون المعنى: ما يعلم غيره تعـالى بنفـسه جميـع التأويـل و هذا لا يمانع معرفة الرسول ﷺ جميع التأويل بتعليم الله سبحانه وحيا و لا يمنع أهل العمل من الأمة من السعى فى معرفة ما دون الجميع من التأويل كما هو حكم رفع الإيجاب الكلى، و منهج كثير من السلف الذين اختاروا الوقف على لفظة الله فضلا عن الخلف و بهـذا تعـرف قيمـة مـا اطال به ابن تيمية الكلام في تفسير سورة الاخلاص متظاهرا بالمسايرة مع الخلف مخادعة منه فـى صدد توهين الوقف على لفظة «الله» مع إخراج التأويل عن معناه ليتمكن مـن حمـل المتـشابهات على معتقد الحشوية، فإذا تدبرت كلامه الطويل هناك تحت نـور هـذا البيـان تجـده يـضمحل و يذهب هباء و من الطريف تأويل التأويل ممن ينكر التأويل و يدعى الأخذ بالظاهر.

ثم إنى أوصى الشحيح بدينه ألا يلتفت إلى كلام مثل البرهان الكورانى (و له أمثال) ممن ضـاع صوابه بين نزعات متضاربة من حشوية و تصوف و فلسفة و كلام حيث أطلق عنان الهذيان فـى



ثم قال: «و التأويل الصحيح هو تفسيره و ظهور معناه كقول عائشة يتأول القرآن و حقيقة التأويل معناه الرجوع إلى الحقيقة لا خلف بين أئمة التفسير في هذا، تأويله هو عندهم تفسيره بالظاهر[١] ما قال منهم قط شخص واحد تأويله

التلفيق بينها من غير أن يستبحر فى علم منها و الكلام بعد الاستطراف المجرد موقع فى التخريف و مصداق ذالك فى (الأمم لإيقاظ الهمم) له فى (ص ٢٣ - ٢٦) منه فما يرويه فيه عن كتب تنسب إلى الأشعرى على خلاف ما هو مدون فى كتب أصحابه و أصحاب أصحابه ليس بموضوع تعويل لمنافاته لنقل الكافة و لإبادة الحشوية لكتبه فى فتن بغداد و تصرفهم فى البقية الباقية التى يذيعونها بما يخالف نقل الكافة و لعدم روايتها سماعا بطريق أهل السنة، كما بينت ذالك فى موضوع آخر. و أما ما يرويه عن عبد الغنى المقدسى بسنده عن الشافعى من الاعتقاد فباطل موضوع و فى سنده العشارى و أبوالعز بن كادش و سيأتى حالهما فى أواخر الكتاب و عبدالغنى نفسه ليس ممن يقبل قوله فى الصفات، راجع ذيل الروضتين. فلا يعول على مثل هذا السند إلا مثل الكورانى.

التجلى فى الصور

و قول الكورانى بالتجلى فى الصور مجون فى مجون و جنون ليس فوقه جنون، و قال أبوبكر العربى فى القواصم و العواصم (٢ - ٢٨) فيمن يحمل حديث (... فيأتيهم فى صورة ثم يأتيهم فى صورة أخرى...) على التبدل و الانتقال و التحول: إنه ليس من أهل القبلة بل حكم بخروجه أصلا و فرعا من الملة. و حمل الصورة على ظاهرها فضيحة ليس فوقها فضيحة... و الله هو الهادى.

١. و حمل التأويل على معنى التفسير فى باب المتشابهات تحريف للكلم عن مواضعه و ملاحظة ظاهر للمتشابه جهل يأباه كثير من العامة فضلا عن الخاصة و قد رضى الناظم لنفسه بهذا الجهل و أنى يتصور ظاهر فى متشابه؟ فالظاهر فى اللغة يقابل الخفى فلا يتصور حيث لا يكون المدلول عليه واضح فلا يعقل أن يلاحظ هذا المعنى فى المتشابه الذى هو غاية فى الخفاء، و أما فى أصول الفقه فهو بمعنى الراجح من الاحتمالين بالوضع أو بالدليل و هو من أقسام الوضوح المقابل للخفاء الذى من أقسامه المتشابه فلا يتصور اجتماعهما فى لفظ و يطلق الظاهر أيضا على ما يدل على المراد بإحدى الدلالات المعتبرة عند أهل اللسان فيكون مقابلا للباطن الذى ابتدعه القرامطة، و لا شأن لهذا المعنى فى هذا المبحث، و قد يطلق الظاهر بمعنى المستفيض المشهور و هو مراد من يقول من أهل السنة (بإجراء أخبار الصفات على ظاهرها) حيث يريد إجراء اللفظ

صرف عن الرجحان و لا نفى الحقيقة».

قال الله تعالى في المتشابه ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧] فكيف يكون تأويله تفسيره بالظاهر و المتشابه لا ظاهر له و قوله ما قال منهم أحد أن التأويل صرف عن الرجحان: كذب بل خلق قالوا ذالك و يطلق التأويل أيضا على تدبر القرآن و تفهم معناه.

فصل: فيما يلزم مدعى التأويل

ثم قال: دليل صارف و احتمال اللفظ و تعيين المقصود.»

هذا كثرة كلام فى أمر سهل مفروق منه.

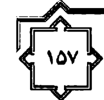
فصل: «فى طريقة ابن سينا و ذويه من الملاحدة فى التأويل».

ذكر ابن سينا[١] و الملاحدة هنا للتنفير و إلا لما جاء بابن سينا و الملاحدة معنا.

المستفيض عن النبى فى صفات الله على اللسان كما ورد مع التفويض أو التأويل على ما سبق، و هذا المعنى هو المراد فى قول الفقهاء (هذا ظاهر الرواية) يعنون أنه المروى عن صاحب المذهب بطريق الاستفاضة و الشهرة. و فيما علقت على الاختلاف فى اللفظ (ص ٤٥): «أما ما يروى عن بعض السلف من إجراء أحاديث الصفات و إمرارها على ظاهرها فليس بمعنى الظاهر المصطلح فى أصول الفقه الذى يبقى حين ترجح الاحتمال الآخر بالدليل كالنجم عند شروق الشمس و لا بمعنى ما يظهر للعامة من اللفظ بل بالمعنى المقابل للغريب الذى ينفرد بلفظه راو فى أحدى الطبقات فيكون بمعنى تجويز إمرار اللفظ على اللسان و إجرائه عليه إذا كان اللفظ مرويا بطريق الظهور و الشهرة فى جميع الطبقات كما وقع إطلاق الظاهر بهذا المعنى فى كلام الإمام مالك ﷺ و غيره و قد يغالط بعضهم فى ذالك فيضل و يضل فلزم التنبيه على ذالك ا هـ.»

١. تبديع الفلاسفة و إكفارهم

ذكر الغزالى مخالفته لما عليه أهل الحق فى نحو عشرين مسألة أكفره بثلاث منها و بدعه فى الباقى فى كتاب التهافت فقدم العالم و أنكار الحشر الجسمانى و مسألة العلم بالجزئيات هى



قال: «و يقول تأويلى كتأويل الفوقية و الصفات والعلو تأويله أشد من تأويل القيامة و حدوث العالم».

ليس مقصود هذا الناظم إلا أن يفظع مقالات خصومه من الفقهاء و أهل العلم و يجعلها فى قلوب العامة أقبح من مقالات الفلاسفة لتشتد نفرتهم عنها و اندفع فى مخارق و سفه و دعاوى لا حقيقة لها.

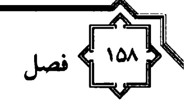
فصل

قال: «هذا و ثمَّ بلية مستورة ورث المحرف من اليهود و أنى إلى حزب الهدى و أعطاهم شبه اليهود قال استوى استولى و ذا من جهله عشرون[١] وجها تبطله أفردت بتصنف تصنيف حبر عالم ربانى و شبه النون التى زادتها اليهود فى حطة بلام تعطيل الجهمية.»

و هذا من الخرافات.

المكفرات عنده لكن الناظم و شيخه قائلان بالقدم النوعى و لا يقولان بإعادة الأجزاء المعدمة بل و لا بجمع الأجزاء المفرقة ـ راجع تفسير سورة الإخلاص لشيخه ـ و قولهما فى العلم بالمتجددات معروف ـ راجع ما سننقله من مفردات ابن تيمية من ذخائر القصر ـ فهما من أوقع الناس فى شبكة التفلسف عن جهل، على أن أقوال ابن رشد فى تهافت التهافت و مناهج الأدلة و قول الرازى فى المطالب العالية و قول الدوانى فى شرح العضدية مما يثير اهتمام الباحث بتلك المسائل. و قد صرح ابن سينا فى بعض كتبه بأن العقل لا يدرك غير الحشر الروحانى و أما البعث الجسمانى فطريق معرفته وحى الرسل و ليس فى هذا أنكار للبعث الجسمانى.

١ . و قد سبق إبطال جميع تلك الوجوه، و المصنف ذكر فيما سبق وجه حسن استعمال استوى مجازا عن استولى بحيث لا يدع لقائل مقالا، على أن الاستعارة التمثيلية فى هذا المقام أقعد و أوقع فيكون المجاز على هذا التقدير فى المركب دون أن يسرى فى مفرداته كما هو مدون فى محله و قد أشرت إلى اختيار ذالك فيما علقته على الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة (ص ٤١).



فصل

قال: «و من العجائب قولهم فرعون مذهبه العلو و فرعون قال إن موسى كاذب إذ ادعى فوقية الرحمن».

أين ادعى موسى فوقية الرحمن؟»

فصل

قال: «تركيب استوى مع حرف الاستعلاء نص في العلو بوضع كل لسان.»

نص في العلو أما في الذات فلا، فقولك: استوى قيسٌ على العراق. لا يستلزم أن يكون إذ ذاك في العراق بل ملكه فيها و عليها.

فصل

كله دعاوى وفقاقيع فارغة.

فصل

فيه انكار المجردات[1].

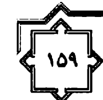
فصل

سوى فيه بينهم و بين المنافين و القرامطه و جعل المجسمه مقابل الجميع، و

---

١. تجردالروح

القول بتجرد الروح مما ذهب إليه إمام الهدى أبومنصور الماتريدى والحليمى والراغب والغزالى والبيضاوى وغيرهم من كبار علماء السنة و به يزول كثير من الإشكالات، وإن خفيت أدلة ذالك على جمهور المتكلمين فضلا عن مكسرى الحشوية.



أن ما ثم إلا التجسيم أو التعطيل و قد تقدم مثله، و أنـما زاد التكريـر و التفظيـع ليزرع الريبة فى القلوب.

فصل

قال: «الاستواء و نحوه و المشيئة و نحوها كلاهما من صفات الأجسام - و طلب الفرق بينهما - و الله لو نشرت شيوخك كلها لم يقدروا أبدا على فرقان».

انظر هذا الجلف الجارى على ما لا يعلم، و كل عاقل يعلم أن الاستواء بمعنى القعود أقرب إلى صفات الأجسام من المشيئة و القدرة.

قال «قال زعيمهم فى الفرق هذه الصفات بالعقل و القرآن فيقال أن نفى العقل التجسيم فانفوها و انسلخوا من القرآن و إن أثبته فلم الفرار؟ و إن نفاه فى وصف وأثبته فى وصف فما الفرق؟.

انظر هل بعد هذا الكلام شىء فى التجسيم[1]؟

---

١ . نص من ابن تيمية فى الحد و الجسم

و شيخه أصرح منه و أجهر صوتا فى ذالك حيث يقول فيما رد به على أساس التقديس: «ومن المعلوم بالاضطرار أن اسم الواحد فى كلام الله لم يقصد بـه سلب الصفات - يريد ما يشمل المجىء و نحوه - و لا سلب إدراكه بالحواس و لا نفى الحد و القدر و نحو ذالك من المعانى التى ابتدع نفيها الجهمية و أتباعهم، و لايوجد نفيها فى كتاب و لا سنة اهـــ». و هذا صريح جدا لعلك لا تحوجنى إلى شرح ذالك، راجع الكواكب الدرارى لابن زكنون الحنبلى المحفوظ بظاهرية دمشق ففى المجلد رقم ٢٤ و ٢٥و ٢٦ منه رده على أساس التقديس و فيه فوق ما تقدم التصريح بأنه يمكنه التزام قدم بعض الأجسام يريد البارى سبحانه فهل يتصور أن ينطق مبتدع مارق بأصرح من هذا فى وسط المسلمين و االناظم متقلد مذهبه بدون تفكير و الله سبحانه ينتقم منهما بما أثارا من الفتن بين العوام.



كله سفاهة.

فصل

حكى مذاهب خصومه بأقبح ما يكون ثم قال: «جربت هذا كله و وقعت في تلك الشباك و كنت ذا طيران حتى أتاح لى الإله بفضله من ليس تجزيه يدى و لسانى حبر أتى من أرض حران فيا أهلا بمن قد جاء من حران[1]».

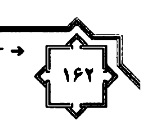
---

١ . و كم أضل من خلطائه و لهم معه موقف يوم القيامة لا يغيط عليه و هو الذى جاهر بقيام الحوادث بذاته تعالى ـ بعزو ذالك إلى أئمة أبرياء من مثل هذا الإحاد ـ و بالقدم النوعى، و بالجهة و الحركة و الثقل و تجويز الجسمية و الاستقرار فى جانب الله سبحانه مع التطاول على كثير من الائمة و الشذوذ عما عليه جمهور أهل العلم فى كثير من المسائل الفرعية، و الرد على كبير العلماء و صغيرهم حتى الصحابة و تلبيس ذالك بمذهب السلف خيانة و كذبا، و مما يجب التنبه إليه أن من وجوه تحيل الناظم و شيخه و من على شاكلتهما من المتشبعين بما لم يعطوا تتبع ما دون ضد الأئمة المتبوعين من مؤاخذات فى المسائل و اتخاذ تلك المواخذات وسيلة للتهجم عليهم كلما شاءوا لأجل أن يظهروا بمظهر أنهم من السعة فى العلم بحيث تضيق علوم الأئمة عن علومهم و يجب هجر آراء هولاء إلى أهوائهم، هذا شأنهم فى أئمة علوم الشرع و هكذا صنيعهم مع علماء باقى العلوم بدون تفرغ للعلم، و لا شك أن كل عالم مهما علت منزلته فى علمه لابد و أن تقع منه هفوات تكون مدونة فى كتاب لأحد نقاد هذا العلم المتفرغين للتمحيص فيه خاصة إذ لا عصمة لغير الأنبياء ﷺ، فمن تعود أن يجمع تلك المواخذات من مظانها كالباب الخاص فى مصنف ابن أبى شيبة فى مخالفات أبى حنيفة لأحاديث صحيحة صريحة فى نظر صاحب المصنف، و كتاب إبراهيم ابن علية فى مالك و كتاب محمد بن عبدالحكم فى حق الشافعى، و كتاب الكياهراسى فى مفردات أحمد و كتاب الأهوازى فى الأشعرى و نحوها، و أخذ يتحامل على الأئمة بتوجيه تلك المواخذات إليهم متظاهرا بأنها من بنات إفكارها داساً فى غضون كلامه ما شاء من الأباطيل يظن به من لا بصر له بالحقائق من العامة أن له من العلم ما يجعله فوق الأئمة فهماً و تحقيقاً و إحاطة مع أنه لابس ثوبى زور، و قد

←

رد على غالب تلك المواخذات في كتب خاصة بحيث لا تقوم لها قائمة لكن الذى يجهل ذالك ينخدع بخزعبلاته و يقع في المهالك إذا تقاعس علماء أهل الحق عن البحث و التنقيب و الرد على الشذاذ بمثل أسلحتهم كما يجب، و الله سبحانه يتولى هدانا بمنه و كرمه و أيقظنا جميعا من رقدتنا و ألهمنا طريق حراسة مذاهب أهل الحق في الأصول و الفروع و أشعرنا عظم المسئولية في الآخرة ووقانا شر التساهل هي ذالك أنه سميع مجيب.

قال الحافظ ابن طولون في «ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر» عند ذكره سبب انتقال الشيخ عبد النافع بن عراق من المذهب الحنبلي إلى المذهب الشافعي بعد أن جعله والده حنبليا: «قال الحافظ صلاح الدين العلائي [وقل من أفضله عليه من متأخرى الشافعية في الجمع بين الفقه و الحديث كما يجب] ذكر المسائل التي خالف فيها ابن تيمية الناس في الأصول و الفروع. فمنها ما خالف فيها الإجماع، و منهاما خالف فيها الراجح في المذاهب: فمن ذلك يمين الطلاق قال بأنه لايقع عند وقوع المحلوف عليه بل عليه فيها كفارة يمين، و لم يقل قبله بالكفارة فيها واحد من فقهاء المسلمين ألبته ودام إفتاوه بذلك زمانا طويلا و عظم الخطب ووقع في تقليده جم غفير من العوام و عم البلاء و أن طلاق الحائض لايقع و كذلك الطلاق في طهر جامع فيه زوجته، و أن الطلاق الثلاث يرد إلى واحدة، و كان قبل ذلك قد نقل إجماع المسلمين في هذه المسألة على خلاف ذلك، و إن من خالفه فقد كفر، ثم إنه أفتى بخلافه وأوقع خلقا كثيرا من الناس فيه، و أن الصلاة إذا تركت عمدا لايشرع قضاؤها، و أن الحائض تطوف في البيت من غير كفارة و هو مباح لها، و إن المكوس حلال لمن أقطعها، و اذا إخذت من التجار أجزاتهم عن الزكاة و ان لم يكن باسم الزكاة و لا على رسمها و ان المايعات لا تنجس بموت الفأرة و نحوها فيها و أن الجنب يصلى تطوعه بالليل بالتيمم و لايوخره إلى أن يغتسل عند الفجر و إن كان بالبلد. و قد رأيت من يفعل ذلك ممن قلده فمنعته منه، و سمعته حين سئل عن رجل قدم فراشا لأمير فيجنب بالليل في السفر و يخاف إن اغتسل عند الفجر أن يتهمه أستاذه فأفتاه بصلاة الصبح بالتيمم وهو قادر على الغسل [و مسالة أبي يوسف غير هذه]، و سئل عن شرط الواقف قال غير معتبر بالكلية بل الوقف على الشافعية يصرف إلى الحنفية و على الفقهاء إلى الصوفية و بالعكس، و كان يفعل هكذا في مدرسته فيعطى منها الجند و العوام و لا يحضر درسا على اصطلاح الفقهاء و شرط الواقف بل يحضر فيها ميعادا يوم الثلاثاء و يحضره العوام و يستغنى بذلك عن الدرس، و سئل عن جواز بيع أمهات الأولاد فرجحه و أفتى به.



و من المسائل المنفرد بها فى الأصول مسالة الحسن و القبح التى يقول بها المعتزلة[بل أربى عليه بتحكيم العقل فى الخلود راجع المعتمد لأبى الحسين البصرى المعتزلى فى المسألة و كلام ابن تيمية فيها حتى تعلم مبلغ مجازفته و تهوره] فقال بها و نصرها و صنف فيها و جعلها دين الله بل ألزم كل ما يبنى عليه كالموازنة فى الأعمال (فيا ليته حينما حكم العقل حكم العقل السليم و لم يحكم عقل نفسه الظاهر اختلاله جدا بما فاه به فى ذات الله و صفاته، تعالى الله عما يقول الجاهلون).

و أما مقالاته فى أصول الدين فمنها أن الله سبحانه محل للحوادث، تعالى الله عما يقول علوا كبيرا، و أنه مركب مفتقر إلى (اليد و العين و الوجه و الساق و نحوها) افتقار الكل إلى الجزء، و أن القرآن محدث فى ذاته تعالى، و أن العالم قديم بالنوع و لم يزل مع الله مخلوق دائما فجعله موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار ـ سبحانه ما أحلمه ـ و منها قوله بالجسمية و الجهة و الانتقال ـ و هو منزه عن ذلك ـ و صرح فى بعض تصانيفه بأن الله بقدر العرش لا أكبر و لا أصغر تعالى الله عن ذلك، و صنف جزءاً فى أن علم الله لا يتعلق بما لا يتناهى كنعيم أهل الجنة و أنه لا يحيط بغير المتناهى و هي التي زلق فيها الامام [يعنى ابن الجوينى فى البرهان] و منها أن الأنبياء غير معصومين و ان نبينا عليه و عليهم الصلاة والسلام ليس له جاه و لا يتوسل به احد الا و ان يكون مخطئا، و صنف في ذالك عدة اوراق، و أن إنشاء السفر لزيارة نبينا ﷺ معصية لا تقصر فيها الصلاة و بالغ فى ذلك، و لم يقل به أحد من المسلمين قبله، و إن عذاب أهل النار ينقطع و لا يتأبد (و جزء التقى السبكى فى الرد عليه مطبوع) و من أفراده أيضا أن التوارة و الإنجيل لم تبدل ألفاظهما بل هى باقية على ما أنزلت و إنما وقع التحريف فى تأويلهما و له فيه مصنف (هذا يخالف كتاب الله و التاريخ الصحيح، و ما فى البخارى عن ابن عباس من الكلام الطويل فى ذلك بين صدره و عجزه كلام مدرج، ما أسنده أحد و فيه الإبهام فلا يصح أن يتمسك به أحد على خلاف كتاب الله و خلاف ما صح عن ابن عباس نفسه فى البخارى نفسه) آخر ما رأيت و أستغفر الله من كتابة مثل هذا فضلا عن اعتقاده انتهى ما نقله ابن طولون عن الصلاح العلائى[٥]. و صاحب هذه الطامات هو الذى يرحب به الناظم و يتخذه قدوة فتبا لهذا التابع و هذا المتبوع. و مما ذكره ابن رجب فى مفرداته ارتفاع الحدث بالمياه المعتصره كماء الورد و نحوه، و حواز المسح على كل ما يحتاج فى نزعه من الرجل إلى معالجه باليد أو بالرجل الأخرى، و عدم توقيت المسح على الخفين مع الحاجة، و جواز التيمم خشية فوت الوقت لغير المعذور و فوت الجمعة و العيدين و أنه لا حد لأقل الحيض و لا لأكثره و لا لسن الإياس، و أن قصر



فصل

قال: «ومن العجائب قولهم حشويه[1] سمى به ابن عبيد» فيه سفه.

فصل

قال: «كم ذا مجسمة، و إذا سببتم بالمحال فسبنا بأدلـة و حجـاج ذى برهـان فحقيقة التجسيم إن يك عندكم وصف الإله بصفاته العليا فتحملوا عنا الشهادة و اشهدوا فى كل مجتمع و كل مكان أنا مجسمة بفضل الله و ليشهد بذالك معكم الثقلان».

الصلاة يجوز فى قصير السفر و طويله، و أن البكر لا تستبرىء و لو كانت كبيرة و أنه لا يشترط الوضوء لسجود التلاوة، و أنه يجوز المسابقة بلا محلل، و استبراء المختلعة بحيضة و كذا الموطوءة بشبهة و المطلقة آخر ثلاث تطليقات و غيرها اهـ فكم له من شواذ نحو ما تقدم. و قد ذكر ابن حجر الهيثمى فى الفتاوى الحديثية كثيرا من شواذ ابن تيمية و قال عنه: «عبد خذله الله و أخزاه و أصمه و أعماه» و قد حاول الشيخ نعمان الآلوسى ـ بإشارة صديق خان الذى كان له به صلة مادية متينة الرد عليه فى (جلاء العينين) متوخيا تبرئة ساحة ابن تيمية من غالب تلك الشواذ لكن سقط فى يده حيث فضحت هذه المرحلة من الدعاية لابن تيمية بطبع كتب له فيما بعد تصرح بها نفى هو عنه بل ربما تطبع له كتب أخرى مثل (التأسيس فى رد أساس التقديس) بالنظر إلى أن بعض صنائع الحشوية نقله حديثا فيخربون بيوتهم بأيديهم و أيدى المسلمين و فيما ذكرتاه كفاية فى لفت النظر إلى نماذج من مفرداته و الشيخ نعمان المذكور ناقض نفسه حيث يناقض كلامه فى الكتاب المذكور ما سطره هو فى (غالية المواعظ) لكن قاتل الله المادة ما دخلت فى شيء إلا أفسدته و هو ليس بأمين على طبع تفسير والده و لو قابله أحدهم بالنسخة المحفوظة اليوم بمكتبة راغب باشا باسطانبول ـ و هى النسخة التى كان المؤلف أهداها إلى السلطان عبد المجيد خان ـ لوجد ما يطمئن إليه ـ نسأل الله السلامه.

١ . فهل تلقيب عمروبن عبيد لابن عمر رضي الله عنه بالحشوى إفكا وزوراً على تقدير ثبوت ذلك عنه يمنع من تلقيب الحسن البصرى لطوائف المجسمة حشوية حقًا و صدقاً، فاضحك ثم اضحك على عقل من يأبى هذا التلقيب وهو متلبس بهذه الوصمة الشنيعة بشهادة نفسه.



نقول له أنت أبديت لنا اعتقادك ووصفت بأمور يمتحن فيها كل عاقل منصف إذا عرضت على خال من الأغراض كلها من امرأة أو صبى أو أعجمى أو عربى عامى و عموم الناس هل يفهمون من الاستواء و القعود و النزول و المجيء و الإتيان و الوجه[1] و اليد و الساق و القدم و الجنب و العين و الانتقال فى الدرجات و غير ذالك مما قد ذكرته معنى التجسيم و يرسم ذالك فى نفسه أولا فإن قال إنه لا يفهم منها إلا معنى الجسم فيكفيك إثماً عند الله إضلال مثل هولاء و حملهم على اعتقاد التجسيم الذى تزعم أنت بلسانك انك لا تقول به فالمحقق منك إضلال أكثر العالم، و أما أنت فى نفسك فإن كذبت فى انكارك التجسيم فقد جمعت إلى فساد الاعتقاد الكذب، و أن صدقت فى زعمك فقد لبست عليك نفسك و خيلت لك فرقا أو كان عندك فرق الله أعلم به، هذا فى الباطن الذى أمره إلى الله فى الآخرة و أما فى الدنيا فإن فى قبول قولك عندنا نظرا فإن قبل إو لم يقبل ـ و إن كان لم نقل بـالتكفير و لا بالقتل ـ فلا أقل من القدر الذى ينكف به ضررك عن المسلمين. و هذه الاشياء التى ذكرناها هى عند أهل اللغة أجزاء لا أوصاف، فهى صريحة فى التركيب و التركيب للأجسام،

---

١ . ليس يخاف على ملم باللغة العربية و بمناحى الكلام فى اللسان العربى المبين أن لكل كلمة مع صاحبتها شأناً ليس لها مع كلمة أخرى، فمن جمع ما فرقه الله سبحانه في كتابه من الصفات العليا او فرق ما جمعه فقد خان الله حيث جعل صفات الله سبحانه عرضة لتقولات المتقولين من أصحاب الأهواء و كذلك ما ورد فى السنة من الصفات و الأفعال، و كم بين المجسمة من ألف فيما يسمونه التوحيد أو السنة أو الصفات أبوابا فى اليد و العين و الساعد و الأصبع و اليمين و الذراع و الكف و الجنب و القدم و الحقوا و الصدر و نحوها. جمعا لما تفرق فى الروايات المختلفة لمختلف الروة لهوى فى نفوسهم، و ليس تفريق المجموع و جمع المفرق فى هذا الباب من شأن من يخافه سبحانه، و أنت علمت معانى تلك الصفات على مذهب أهل الحق.



فذكرك لفظ الأوصاف تلبيس و كل أهل اللغة لا يفهمون من الوجه و العين[١] و الجنب و القدم إلا الأجزاء و لا يفهم من الاستواء بمعنى القعود إلا أنه هيئة

---

١ . قول السلف في العين و اليد

ومن ذكر من السلف أن العين و اليد صفتان تبرأ بهذا اللفظ عن القول بالجارحة بل يكون قائلا بأن المراد بالعين معنى قائم بالله و كذلك اليد لكن لا أعين ذكل المعنى المراد بأن أقول إنه الرؤية أو الحفظ، و القدرة أو النعمة أو العناية الخاصة لكون تعيين المراد من بين المحتملات الموافقة للتنزيه تحكما على مراد الله و تسميته لهما صفتين تدل على أنه جازم بأنهما ليستا من قبيل أجزاء الذات تعالى الله عن ذلك؛ و من قال و له يد بها يبطش وعين بها يرى جعلهما من قبيل الجوارح و خالف السلف الصالح. و قد قال الترمذى عند الكلام على حديث «**يمين الرحمن ملأى سخاء....**» و هذا حديث قد روته الأئمة نومن به كما جاء من غير أن يفسر أو يتوهم، هكذا قال غير واحد من الأئمة منهم الثورى و مالك بن أنس و ابن عيينة و ابن المبارك أنه تروى هذه الأشياء و يؤمن بها فلا يقال كيف اهـ».

خداع الناظم و شيخه

و أين هذا من عمل الناظم و شيخه؟. نعم قد يقع فى كلامه ما ذكر الوجه و العين و اليد و غيرها بأنها صفات لكن السياق و السباق فى كلامه ما يناديان أنهما أرادا بها أجزاء الذات لا المعاني القائمة بالله سبحانه كما يقول السلف، و اصطلحا في الصفة على معنى، يجامع الجزء على خلاف المعروف بين أهل العلم و إلا لما بقى وجه لتشددهما ضد أهل الحق.

و شيخ الناظم يقول فى الأجوبة المصرية «إن الله يقبض السموات و الأرض باليدين اللتين هما اليدان»

فماذا يجدى بعد هذا التصريح أن يسميها صفات؟ والله سبحانه هو الهادى.

معنى القبضه عند الخلف

و أهل العلم من الخلف يحملون القبض على أنه مجاز عن إخراج السموات من الإظلال و الأرض من الإقلال و إيقافهما عن أن تكونا صالحتين لتناسل المتناسلين كما يشير إلى ذلك البيضاوى و هو القابض الباسط أى الموقف عن المسير متى شاء والمجرى للأمور كما يشاء. راجع العارضة فى شرح الأسماء الحسنى. و السلف يفوضون مع التيزيه، و أما حمل القبض الحسى فقول بالتجسيم و الجارحة، تعالى الله عن ذلك.



وضع المتمكن فى المكان و لا من المجىء و الإتيان و النزول إلا الحركة الخاصة بالجسم، و أما المشيئة و العلم و القدر و نحوها فهى صفات ذات وهى فينا ذات أمرين أحدهما عرض قائم بالجسم، و الله تعالى منزه عنه، و الثانى المعانى المتعلقة بالمراد و المعلوم و المقدور و هى الموصوف بها الرب سبحانه و تعالى و ليست مختصة بالأجسام فظهر الفرق.

فصل

قال: «يا وارد القلوط[1]»

فأتى ببضعة عشر بيتا من هذا القبيل فهل سمع أحد بأن هذا كلام أهل العلم، و ما دعانى إلى الوقوف على هذا الوسخ؟. ينبغى أن يأتى له (مجلى) مثله يتكلم معه زيبق المشاعلي غرير المرقد أو أهل جعفر أو عماد فكيف بابن حجاج؟.

فصل

فيه أكثر من تعين بيتا و قال فى أواخره:

من قال بالتعطيل فهو مكذب ... بجميع رسل الله و الفرقان

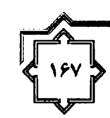
إن المعطل لا إله له ... سوى المنحوت فى الأذهان

و كذا إله المشركين نحتَتْهُ الأيـ ... ـدى هما فى نحتهم سيان

لكن إله المرسلين هو الذى ... فوق السماء مكون الأكون

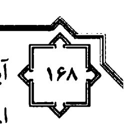
---

١ . لفظه عامية لا ينطق بها من العوام إلا من هو بالغ الوقاحة فضلا عن أهل العلم فنأبى شرح هذه الكلمة القدرة المتنة.



المعطل في الأصل من ينفي الصانع

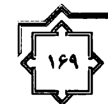
و هذا الرجل يسمى خصومه معطلة لأنهم نفوا الصانع الذى يقول هو به ويصفه بتلك الصفات بزعمه و يجعلهم يعبدون إلها آخر و يكفرهم كالمشركين العابدين للأصنام، فياخيبة المسلمين إن كان يكفر بعضهم بعضا، و لم لا يقول هذا الجاهل إن الكل يقرون بالله ووحدانيته و يغلط بعضهم فى وصفه و لا يخرجهم ذالك الغلط عن الإسلام؟ و إن كان و لابد من الإخراج فمن أولى به؟ و من أولى بعبادة ما نحته ذهنه؟ من ركب أجزاء مقصودة معقولة أو من قال أعبد إلها واحدا أنا عاجز عن معرفته و عن كنه ذاته فهو كما وصف به نفسه، و فوق ما يصف به عباده، و عقلى يقصر عن سبحات وجهه و علمي يضل في علمه و يتضاءل دون عظمته و ملكوت سلطانه و قدرته و قهره لا شريك له سبحانه و تعالى ﴿لَيْسَ كمثله شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]كل ما تصوره الذهن فالله بخلافه لو اجتمعت عقول العالمين كلها لم تبلغ معرفة حقيقة ذاته و لا كنه صفاته، و إنما علموا منها ما دلهم على التوحيد و أمر السيد العبيد و أنعم عليهم بالرسول أرشدهم إلى ما فيه صلاحهم و أنزل عليهم كتابا كلفهم فيه بتكاليف إن عملوا بها وصلوا إلى دار السلام. فلا ينبغى لهم الاشتغال بغيرها ـ فاشتغالهم بغيرها فضول ـ و إن فكروا فكروا فى آلائه لافى ذاته، فإن هناك تضل العقول، و انظر إلى هذه الصفات التى يثبتها هذا المبتدع لم تجئ قط فى الغالب مقصودة و إنما فى ضمن كلام يقصد منه أمر آخر و جاءت لتقرير ذالك الأمر، و قد فهمها الصحابة و لذالك لم يسألوا عنها النبى ﷺ لأنها كانت معقولة عندهم بوضع اللسان و قرائن الأحوال و سياق الكلام و سبب النزول و مضت الأعصار الثلاثه التى هى خيار القرون على ذالك حتى حدثت البدع و الأهواء فيجىء مثل هذا المتخلف يجمع كلمات وقعت فى أثناء



آيات أو آخبار فهم الموفقون معناها بانضمامها مع الكلام المقصود فجعلها هذا المتخلف في أمثاله مقصودة و بالغ فيها فأورث الريب في قلوب المهتدين و انظر الى أكثرها لا تجده مقصودا بالكلام بل المقصود غيره إما بسياق قبله أو بسياق بعده، أو بأن يكون المحدث عنه معنى آخر و المحدث به و يكون ذالك مذكورا على جهة الوصف المقوى لمعنى ما سيق الكلام لأجله، و ما مثل المشغلين بذالك و بالكلام إلا مثل سريه أتاها كتاب السلطان يأمرهم بما يعتمدونه فى الغزاة التى ندبهم لها و يوصيهم بأمور مهمة لما بين أيديهم و ينهاهم عن أمور و ينبههم على مكان لعدوهم و عدوه حتى يحترزوا عن غوائلها فأخذوا يتأملون فى ذالك الكتاب و يفكرون فيمن كتبه و فى حروفه و متى كتب و أين كان السلطان حين كتبه و علم عليه، و هل كان فى القلعة أو فى غيرها و ربما كان فيهم من لم ير السلطان قط فصار يسأل عن صفته و شغلوا الزمان بذالك و بسوال حامل الكتاب عنه و بالفكرة فيه و اشتغلوا به عما هم بصدده من الجهاد الذى أمرهم به و عن تلك الأمور التى وصاهم بها فى الكتاب و أمرهم بها و نهاهم عنها و ما كفاهم ذالك حتى أداهم اختلافهم في صفة السلطان و في أين كان لما كتب و من كتب الكتاب عنه الى أن قال كل فريق منهم عن الآخر الذى وصفه بخلاف ما وصفه به رفيقه إنه انكر السلطان و قال إنه لا سلطان له فهل يكون لهولاء عقل، اللهم إنا نسألك أن لا تضل عقولنا و لا تزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا و تحفظ علينا ديننا يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك.

فصل

أكثر من مائة بيت كلها إغراء بخصومه و الله ينتقم لهم منه ثم إنه يناقض قوله فينكر على خصومه تكفيره فلم ينكر على نفسه تكفيرهم بعين ما كفروه به.



فصل

مختصر فى معناه.

فصل

قريب منه.

فصل

قال:

اسمع سرّا عجيبا كان ... مكتوما منذ زمان[1]

جيم و جيم ثم جيم معها ... مقرونة مع أحرف بوزان

فيها لدى الأقوام طلسم متى ... تحلله تحلل ذروة العرفان

فإذا رأيت الثور فيه تقارن ... الجيمات بالتثليث شر قران

دلت على أن النحوس جميعها ... سهم الذى قد فاز بالخذلان

جبر و إرجاء و جيم تجهم ... فتأمل المجموع فى الميزان

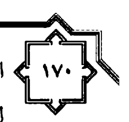
فاحكم لطالعها لمن حصلت له ... بخلاصه من ربقة الإيمان

و أخذ يذكر مفاسد المذاهب االثلاثة «و قياد الجبر[2] إلى الكفر و البهتان و

---

١ . هذا من الدليل على أنه من ورثة علوم الصابئة عبدة الأجرام العلوية كاد أن يبوح بها عنده من عزائم الكواكب كما فعل عبد السلام الجيلى، راجع ترجمته من طبقات ابن رجب و ذيل الروضتين لأبى شامة الحافظ.

٢ . و الجبر الذى يريده الناظم هو قول الأشعرى إن العبد كاسب و الرب سبحانه هو الخالق وحده، و أين الجبر فى ذلك؟ نعم جهم بن صفوان كان يقول بالجبر، لكن ليس له من يتابعه بعده، و أما الإرجاء الذى يريده فهو القول بأن الإيمان هو الاعتقاد الجازم كما نص عليه الحديث الصحيح ←



الإرجاء كذالك بالجد فى العصيان و شتم الرسل و من أتوا من عنده و السحود للصنم، فإذا أضفت إلى الجيمين جيم تجهم أين الصفات و الجم أصلها جميعا و الوارثون له أصحابها لا شيعة الإيمان لكن نجا أهل الحديث المحض أتباع الرسول و تابعوا القرآن».

فصل

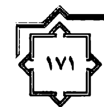
قال: «و سل المعطل ماذا يقول لربه».

و ساق ما يقولونه كله بقبح و أنهم يخاطبون به الله يوم القيامة، و عن طائفته ما يولونه و مخاطبتهم به وهاتان طائفتان من المسلمين يعرفون عظمة الله تعالى، و كل أحد قد بذل جهده و طاقته فيما اعتقده و يخاف و يفرق، و يوم القيامة يكون أشد خوفا يوم لا يتكلم إلا الرسل و يود كل من دونهم أن ينجو كفافا، فتصوير مخاطبة الله تعالى بذالك فى ذالك الموقف العظيم إنما يصدر عن قلب فارغ.

فصل

فى تحميل إهل الإثبات للمعطلين شهادة تودى عند رب العالمين» قال: «يا ايها الباغى على أتباعه قد حملوك شهادة فاشهد بها إن كنت مقبولا لدى الرحمن

→ الصحيح **«الإيمان أن تؤمن بالله...»** و من جعل الأعمال من أركان الإيمان حقيقة فقد تابع الخوارج من حيث يعلم أو لا يعلم ـ راجع (ص٢٨،٢٧) ـ و أما التجهم الذى يذكره فمراده به نفى حلول الحوادث فى الله سبحانه و تنزيهه تعالى عن قيام الحوادث به سبحانه كما هو مذهب أهل الحق فظهر أنه ينبز بتلك الألقاب السيئة جمهور إهل الحق افتراء منه عليهم وإلا فلا وجود للجبرية حقيقة و لا للإرجاء بالمعنى البدعى و لا للجهمية فى عصر الناظم و الله سبحانه ينتقم منه.



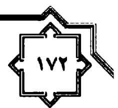
فاشهد عليم إن سئلت بأنهم قالوا إله العرش و الأكوان فوق السموات العلى حقّا على العرش استوى و الأمر ينزل منه و إليه يصعد ما يشاء و إليه صعد الرسول ﷺ و عيسى ابن مريم و الأملاك تصعد دائما من هنا اليه و روح العبد بعد الموت و أنه متلكم بالقرآن سمع الآمين كلامه منه هو قول رب العالمين حقيقة لفظا[١] و معنى و أنهم و صفوا الإله بكل ما جاء فى القرآن و أن قول الرسول ﷺ نص[٢] يفيد علم اليقين».

فمن ينازع فى ذالك؟ و إن أراد الآحاد أو الذى جوزت اللغة احتمال لفظه

---

١ . قد سبق إبطال القول بالفوقية الحسية و النزول الحسى و الجلوس على العرش و نحوها مما هو معتقد المجسمة إبطالا لا مزيد عليه، و قوله هنا فى الكلام إعادة لزعمه الحرف و الصوت فى كلام الله و قد سبق إبطال ذلك أيضا و من الغريب أن يؤلف مثل الموفق بن قدامة (الصراط المستقيم فى إثبات الحرف القديم) و كفى ما سبق فى إبطاله. و ابن بطة صاحب الإبانة فضح نفسه بأن يزيد فى رواية حديث موسى ﷺ «**من ذا العبرانى الذى يكلمنى من الشجرة؟**» ليجعل كلام الله من قبيل كلام الخلق فجمع بين الاختلاق و سوء المعتقد و ابن بطة هذا من أئمة الناظم و لست فى صدد استقصاء أهل الكذب و الزيغ من أئمته و بين هذا المتأخر زمنا و علما كلمات جوفاء فى تزويق مزاعم الحشوية فى تلك المسائل، و من ظن به أنه أتى بشىء جديد غير الجميع بين الحشوية و التصوف السالمى الهاذى بالتجلى فى الصور فقد ولى فهمه و أدبر علمه و كم من مصاب فى عقله و دينه يتكلم فى هذه الأبحاث بدون علم و لا فهم و لا تقى، نسأل الله المعافاه.

٢ . قول الرسول القطعى الثبوت و القطعى الثبوت و القطعى الدلالة نص يفيد علم اليقين من غير خلاف، و أما ما هو ظنى الدلالة منه فلا، كما تقرر فى الأصول و دعوى إفادة خبر الآحاد العلم من هواجس الظاهرية إلا إذا كان محتفاً بقرائن، و قد بينا الحق فى ذلك فى تعليقاتنا المهمة على شروط الأئمة فليراجع هناك. و الحشوية يحشرون فى كتبهم فى المعتقد المنقطعات و الوحدان و روايات المجاهيل و الضعفاء و الوضاعين و يقولون عنها إنها قول الرسول ﷺ مع إنها مما لا يحتج به فى باب الاعتقاد أصل بل لا يتمسك بها فى باب الأعمال أيضا، و توثيق مثل ابن حبان لرجل لا يخرجه من الجهالة عند من يعرف مصطلح ابن حبان فى التوثيق. و أنما الحجة فى باب الاعتقاد هى الكتاب المنزل و الصحاح المشاهير من الحديث.



فحكمه عليه بإفادة علم اليقين جهل منه.

قال: «و إنهم قابلوا التعطيل و التمثيل بالنكران أن المعطل و الممثل ما هما متيقنين عبادة الرحمن ذا عابد المعدوم لا سبحانه إبداً و هذا عابد الأوثان و أنهم يتأولون حقيقة التأويل و أن تأويلاتهم صرف عن المرجوع[1] للرجحان و أنهم حملوا النصوص على الحقيقة لا على المجاز إلا إذا اضطروا للمجاز بحس أو برهان و أنهم لا يكفرونكم بما قلتم من الكفران إذ أنتم أهل الجهالة عندهم لستم أولى كفر ولا إيمان[2]».

فالبالغ المكلف الذى بلغته الدعوة إما كافر و إما مومن فكيف ينتفيان عنه و الجهل ليس عذرا فى ذالك.

قال: «لا تفرقون حقيقة الكفران بل لا تفرقون حقيقة الإيمان إلا إذا عاندتم و رددتم قول الرسول ﷺ لأجل قول فلان فهناك أنتم أكفر الثقلين و أشد عليهم أنهم فاعلون حقيقة و الجبر عندهم محال هكذا نفى القضاء».

قد أشهد على نفسه بالفوقية و باللفظ و الله يعلم ما تصوره قلبه منها و

---

١ . صرف اللفظ عن الاحتمال المرجوح إلى الراجح مما لا معنى له لأن اللفظ منصرف بنفسه إلى الراجح من الاحتمالين، و اللفظ ظاهر بالنسبة إلى الراجح مطلقا سواء كان بالوضع أو بالدليل كما ذكره أبو الخطاب فى التمهيد فى أصول الحنابلة فما يرى مرجوحا بالنظر إلى الوضع فقط قد يكون راجحا بالنظر إلى الدليل فيكون اللفظ حينتذاك ظاهرا فى احتمال قد ترجح بالدليل حيث لا يكون هذا الاحتمال مرجوحا عند قيام الدليل على الرجحان فقولهم بالظهور فى جانب الوضع إنما هو بالنظر إلى حالة عدم قيام دليل مرجح للاحتمال المقابل. والحاصل إن الظاهر بالوضع بالوضع هو ما لا يقارنه دليل يرجح الاحتمال الآخر فلا ظاهر بالوضع عند ترجح الاحتمال الثانى بالدليل، فإطلاق الظاهر على ما بالوضع عند قيام الدليل المرجح للاحتمال الثانى ماهو إلا تسامح فليعرف ذلك.

٢ . وهذا بظاهره قول بالمنزلة بين المنزلتين كما هو معتقد المعتزلة الذين هم من أبغض خلق الله إليه. و إخراج أهل الحق من الإيمان محض هذيان.



بمعنى التأويل و أين هذا من التابعين الذين قيل فيهم ما منهم إلا من يخاف النفاق على نفسه كانوا مع صحة الاعتقاد و الاجتهاد فى العمل يخافون النفاق، و نحن اليوم مع البعد ـ و شتان ما بيننا و بينهم ـ بيننا من يتجاسر هذه الجسارة و يدل هذا الإدلال.

فصل: في عهود المثبتين مع الله رب العالمين

قال: «يا ناصر الإسلام اشرح لدينك صدر كل موحد و انصر به حزب الهدى فوحق نعمتك التى وليتنى وأريتنى البدع المضلة لأجاهد لك عداك ما أبقيتنى و لأجعلن لحومهم و دماءهم فى يوم نصرك أعظم القربان».

هذا يقتضى أنه يعتقد كفرهم و سفك دمائهم، و قد حملهم فى الفصل الذى قبل هذا شهادة أنه لايكفرهم فيناقض كلامه و قال هناك إنهم جهال لا كفار و لا مومنون فلعله يرى أنهم كالبهائم لكنه صرح هنا بأنهم أعداء الله و غير الكافر ليس عدو الله.

فصل: افتراؤهم المثلث على الأشعرية

قال:

إنا تحملنا الشهادة بالذي ... قلتم نؤديها لدى الرحمن

ما عندكم في الأرض[1] قرآن ... كلام الله حقّا يا أولى العدوان

كلا ولا فوق السموات العلى رب[2]

---

١ . تلك الثلاثة هى أقانيم اختلافهم على الأشعرى و أصحابه، لهج بها أبو نصر الوائلى السجزى صاحب الإبانة و ابن مت صاحب ذم الكلام و من تابعهما فى البهت على أئمة الدين. و من قال إن القرآن القائم بالله فى الارض فهو حلولى زائغ هذا الظاهر جدا.

٢ . نعم هم لا يعتقدون صنما متمكنا بمكان و إنما يومنون بإله العالمين الذى ليس كمثله شىء و له ←



مطاع و لا فی القبر[١] عندكم من يرسل فالروح عندكم عرض قائم بجسم الحی، و كذا صفات الحی قائمة به مشروطة بالحياة، فإذا انتفت الحياة انتفی مشروطها و رسالة المبعوث مشروطة بها كصفاته بالعلم و الإيمان فإذا انتفت تلك الحياة فكل مشروط بها عدم».

قوله ما فی الأرض قرآن «شهادة زور و نحن نطلق االقران علی ما فی المصحف و هو إن كان لا يطلقه عليه لزمه ما ألزمنا و إن كان يقول إنه فی المصحف حقيقة فهو قد قال فيما تقدم إن الصوت من العبد مخلوق فالخط بطريق الأولی و عندنا أن القرآن مكتوب فی المصاحف و لهذا يحرم علی المحدث حمل المصحف و متلو بالألسنة و محفوظ فی الصدور.

فصل: في حياة الأنبياء

قال:

ولأجل هذا رام ناصر قولكم ترقيعه يا كثرة الخلقان

الاسماء الحسنی، تعالی الله عما يقول الجاهلون من الجاهلية بعد الإسلام.

١ . و قال إمام الحرمين فيما رد به علی السجزی، السابق ذكره فی مقدمة المصنف: ما كنت أظن أن هذا الجاهل يبلغ حمقه و خرقه هذا المبلغ[و هو زعمه أن من مذهب الأشهرية أن النبوه عرض لا يبقی زمانين و إذا مات النبی زالت نبوته] و هذا الذی حكاه لم يقل به قائل و لم ينقله قبله ناقل و لو سئل هذا الأحمق عن النبوة ليست عرضا ثم قال ـ فبطل المصير إلی أن النبوة عرض و وجب القضاء بأن النبوة هی حكم الله تعالی برسالة رسول و إخباره عن سفارته و أمره إياه بتبليغ الشرائع و شرع الأحكام و قد حكم الله تعالی بنبوة الأنبياء ﷺ فی حياتهم و بعد مماتهم و كونهم مرسلين، و علم ذلك منهم فی السابقة و العاقبة فهذا مذهب أهل الحق و دينهم، فعلی من يصفهم بغير ذلك لعنة الله و لعنة الملائكة و الناس أجمعين. انتهی ما ذكره إمام الحرين و هو نص ما نقله اللبلی عنه.



قال الرسول بقبره حي[١].

١ . الناظم و شيخه ينفيان التوسل بالنبى ﷺ باعتبار تفرقتهما بين حالتيه ﷺ حال حياته و حال وفاته و بإخراجهما للحديث الصحيح فى التوسل عن دلالته الصريحة بالرأى عن هوى و قد أقام قاضى قضاة الشافعية العلامة علاء الدين القونوى الشافعى النكير على ابن تيمية بعنف فى هذه المسالة فى كتابه (شرح التعرف) و هو من محفوظات التيمورية، وعد ذلك مأخوذا من اليهود مع أنه كان من المثنين عليه قبل هذه الحادثة، و فى الاطلاع على شرح التعرف هذا تنوير للمسألة و قد أغنانا عن بسط ذلك هنا ما نقله التقى الحصنى منه فى كتاب (دفع الشبه) و هو مطبوع، وفى كتاب الروح للناظم كثير مما ينافى ما ذكره هنا، و التناقض شأن من أصيب فى عقله أو دينه، نسأل الله السلامة و المعافاة، و أما كلمة ابن حزم فى الفصل فاغترار منه بتقولات الرواة من الحشوية فى حق الأشعرى كما بينت ذلك فيما علقته على تبيين كذب المفترى لابن عساكر.

فتيا الأئمة فى أنكاره شد الرحل لزيارته ﷺ

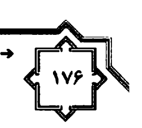
و قد بلغ بالناظم و شيخه الغلو فى هذا الصدد إلى تحريم شد الرحل لزيارة النبى ﷺ وعد السفر لأجل ذلك سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة فأصدر الشاميون فتيا فى ابن تيمية و كتب عليها البرهان ابن الفركاح الفرازى نحو أربعين سطراً بأشياء الى أن قال بتفكيره ووافقه على ذلك الشهاب بن جهبل، و كتب تحت خطه كذلك المالكى، ثم عرضت الفتيا القاضى قضاة الشافعية بمصر البدر بن جماعة فكتب على ظاهر الفتوى: الحمدلله، هذا المنقول باطنها جواب عن السؤال عن قوله إن زيارة الأنبياء و الصالحين بدعة و ما ذكره من نحو ذلك و أنه لا يرخص بالسفر لزيارة الأنبياء باطل مردود عليه، و قد نقل جماعة من العلماء أن زيارة النبى ﷺ فضيلة و سنة مجمع عليها، و هذا المفتى المذكور ـ يعنى ابن تيمية ـ ينبغى أن يزجر عن مثل هذه الفتاوى الغريبة، و يحبس إذا لم يمتنع من ذلك و يشهد أمره ليحتفظ الناس من الاقتداء به.

و كتبه محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعى.

و كذلك يقول محمد بن الحريرى الأنصارى الحنفى لكن يحبس الآن جزما مطلقا.

و كذلك يقول محمد بن أبى بكر المالكى و يبالغ فى زجره حسبما تندفع تلك المفسدة و غيرها من المفاسد. و كذلك يقول أحمد بن عمر المقدسى الحنبلى، راجع دفع الشبه (٤٥ ـ ٤٧) و هولاء الأربعة هم قضاة المذاهب الأربعة بمصر أيام تلك الفتنة فى سنه ٧٢٦ و النهى عن شد الرحل إلى غير المساجد الثلاثة فى الحديث باعتبار أنه لا مضاعفة لثواب المصلى فى غيرها و لا علاقة

←



له أصلا بمثل زيارة القبور، و هذا ظاهر جدّا فمعنى الحديث النهى عن شد الرحل إلى مساجد غير المساجد الثلاثة التى يضاعف فيها الثواب حيث لا داعى إلى تجشم المشاق و الاستثناء المفرغ يقدر فيه المستثنى منه بقدر إدنى ما يصحح الاستثناء لأن التقدير ضرورة فلا يزيد على القدر الضرورى فى تصحيح الكلام ـ و مازاد على ذلك ليس مما يعتبره أهل العلم كما لايخفى على أن شد الرحل لأجل العلم أو الجهاد أو التجارة أو الاعتبارأو استعادة الصحة و نحو هذا لا يتصور أن يتناوله النهى فى الحديث فلا يصح تقدير المستثنى منه من أعم ما يتناول المستثنى و من تصور خلاف ذلك فقد غلط غلطاً فاحشا و استعجم عليه الحديث.

والأحاديث فى زيارته ﷺ فى غاية من الكثرة و قد جمع طرقها الحافظ صلاح الدين العلائى فى جزء كما سبق و على العمل بموجبها استمرت الأمة إلى أن شذ ابن تيمية عن جماعة المسلمين فى ذلك، قال على القارئ فى شرح الشفا: «و قد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبى ﷺ كما إفرط غيره حيث قال كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر و لعل الثانى أقرب إلى الصواب لأن تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفراً لأنه فوق تحريم المباح التفق عليه... ا.هـ».

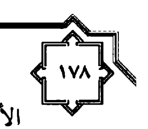
فسعيه فى منع الناس من زيارته ﷺ يدل على ضغينة كامنة فيه نحو الرسول ﷺ و كيف يتصور الإشراك بسبب الزيارة و التوسل فى المسلمين الذين يعتقدون فى حقه ﷺ «أنه عبده و رسوله» و ينطقون بذلك فى صلواتهم نحو عشرين مرة فى كل يوم على أقل تقدير إدامة لذكرى ذلك. و لم يزل أهل العلم ينهون العوام عن البدع فى كل شئونهم و يرشدونهم إلى السنة فى الزيارة و غيرها إذا صدرت منهم بدعة فى شىء و لم يعدوهم فى يوم من الأيام مشركين بسبب الزيارة أو التوسل، كيف وقد أنقذهم الله من الشرك و أدخل فى قلوبهم الإيمان و أول من رماهم بالإشراك بتلك الوسيلة هو ابن تيمية وجرى خلفه من أراد استباحة أموال المسلمين و دماءهم لحاجة فى النفس و لم يخفف ابن تيمية من الله فى رواية عد السفر لزيارة النبى ﷺ سفر معصية لاتقصر فيه الصلاة عن الإمام أبى الوفاء بن عقيل الحنبلى، و حاشاه عن ذلك ـ راجع كتاب التذكرة له تجد فيه مبلغ عنايته بزيارة المصطفى ﷺ و التوسل به كما هو مذهب الحنابلة ـ و إنما قوله بذلك فى السفر إلى المشاهد المعروفة فى العراق لما قارن ذلك من البدع فى عهده و فى نظره.

نص ابن عقيل الحنبلى فى تذكرته

و إليك نص عبارته فى التذكرة المحفوظة بظاهرية دمشق تحت رقم ٨٧ فى الفقه الحنبلى.

«فصل. و يستحب له قدوم مدينة الرسول ﷺ فيأتي مسجده فيقول عند دخوله باسم الله اللهم صل على محمد و آل محمد و افتح لي أبواب رحمتك و كف عني أبواب عذابك، الحمدلله الذي بلغ بنا هذا المشهد و جعلنا لذلك أهلاً، الحمدلله رب العالمين. ثم تأتي حائط القبر فلا تمسه و لا تلصق به صدرك، لأن ذلك عادة اليهود و اجعل القبر تلقاء وجهك و قم مما يلي المنبر و قل السلام عليك أيها النبي و رحمة الله و بركاته اللهم صل على محمد و على آل محمد... إلى آخر ما تقوله في التشهد الأخير، ثم تقول اللهم أعط محمداً الوسيلة و الفضيلة و الدرجة الرفيعة و المقام المحمود الذي وعدته، اللهم صل على روحه في الأرواح و جسده في الأجساد كما بلغ رسالاتك و تلا آياتك و صدع بأمرك حتى أتاه اليقين، اللهم أنك قلت في كتابك لنبيك ﷺ ﴿ومَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ الله ولَو أَنَّهُمْ إذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء:٦٤] وإني قد أتيت نبيك تائباً مستغفراً فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك ﷺ نبي الرحمة، يا رسول الله إني أتوجه بك إلى ربي ليغفر لي ذنوب، اللهم إني أسألك بحقه أن تغفر لي ذنوبي اللهم اجعل محمداً أول الشافعين وأنجح السائلين وأكرم الأولين و الآخرين اللهم كما آمنا به و لم نره و صدقناه و لم نلقه فأدخلنا مدخله و احشرنا في زمرته وأوردنا حوضه و اسقنا بكأسه مشرباً صافياً رويّا سائغاً هنيّا لا نظمأ بعده أبدًا غير خزايا و لا ناكثين و لا مارقين و لا مغضوباً علينا و لا ضالين و اجعلنا من أهل شفاعته. ثم تقدم عن يمينك فقل السلام عليك يا أبا بكر الصديق، السلام عليك يا عمر الفاروق، اللهم اجزهما عن نبيهما و عن الاسلام خيراً، اللهم ﴿والَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ولاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا أنك رَؤُوفٌ رَحِيمٌ...﴾ [حشر:١٠] و تصلي بين القبر و المنبر في الروضة و إن أحببت تمسّح بالمنبر و بالحنانة و هو الجذع الذي كان يخطب عليه ﷺ فلما اعتزل عنه حن إليه كحنين الناقة، و تأتي مسجد قباء فتصلي لأن النبي ﷺ كان يقصده فيصلي فيه، و إن أمكنك فأت قبور الشهداء وزرهم و أكثر من الدعاء في تلك المشاهد حتى كأنك تنظر إلى مواقفهم واصنع عند الخروج ما صنعت عند الدخول».

و يقال عن كتاب الفنون لابن عقيل الحنبلي هذا إنه في ثمانمائة مجلد و يقول الذهبي عنه أنه لم يصنف في الدنيا أكبرمن هذا الكتاب. و من هو نظير ابن عقيل هذا بين الحنابلة في الجمع و التحقيق؟ و أنت رأيت نص عبارته في المسألة على خلاف ما يعزو إليه ابن تيمية.



و ذكر أربعين بيتا فی انكار ذالك و قد صنف البيهقی[1] جزءاً فی حياة الأنبياء و لكن هذا المدبر بعيد عن التوفيق.

فصل

قال: «فإن احتججتم بالشهيد»

وذكر غيره أشياء من حججنا

فصل

قال فی الجواب: «إن الشهيد حياته منصوصة مع النهی عن أن ندعوه ميتا، و نساؤه حل لنا من بعده و ماله مقسوم و هو مع ذالك حی فارح قلتم فالرسل أولی».

فانظر إلی قلب الدليل عليهم ما قلب شيئا قلب الله قلبه.

قال: «ورؤيته موسی مصليا فی قبره فی القلب منه حسيكة هل قاله؟ و لذالك أعرض البخاری عنه عمداً و الدار قطنی أعله ورأی أنه موقوف علی أنس لكن تقلد مسلما، لكن هذا ليس مختصا به روی ابن حبان صلاة العصر في قبر الذي مات موتا فتمثل الشمس التي قد كان يرعاها لأجل الصلاة عند الغروب يخاف فوت صلاته فيقول للملكين تدعانی حتی أصلی العصر قالا ستفعل ذالك بعد الآن، هذا مع الموت المحقق لا الذی حكيت لنا بثبوته القولان.

وثابت البنانی دعا أن لا يزال مصليا فی قبره وحديث ذكر حياتهم بقبورهم لما يصح، و ظاهر النكران و نحن نقول إنهم أحياء عند ربهم كالشهيد» يعنی

---

١ . و جزء البيهقی فی حياة الأنبياء مطبوع فاسغنينا به عن الكلام فی ذلك.



وننكر حياتهم فى قبورهم.

قال: «هذى نهايات لأقدام الورى فى ذا المقام الضنك و الحق فيه ليس تحمله عقول بنى الزمان لغلظه الأذهان و لجهلهم بالروح هل فى عقولهم أن الروح فى أعلى الرفيق مقيمة بجنان، وتردد أوقات السلام عليه وأجواف الطير الخضر مسكنها لدى الجنات، من ليس يحمل عقله هذا فاعذره على النكران للروح شأن غير ذى الأكوان، و هو الذى حار الورى فيه فلم يعرفه غير الفرد فى الأزمان، هذا و أمر فوق ذا لو قلته بادرت بالانكار و العدوان فلذاك امسكت العنان ولو أرى ذاك الرفيق جريت فى الميدان، و قولى إنها مخلوقة و ليست كما قال أهل الإفك لا داخلة فينا و لا خارجة عنا ـ والله ـ لا الرحمن أثبتم ولا أرواحكم، عطلتم الأبدان من أرواحها و العرش عطلتم من الرحمن.

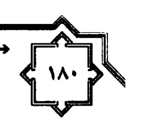
استشكال معرفة الروح صحيح لكنه ما أظنه يفهمه و إنما قاله تقليداً و انكاره حياة الأنبياء ليس له عليه حامل صحيح[1].

---

١ . **حياة الأنبياء**

وعن أنس مرفوعاً «**الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون**» رواه أبو يعلى الموصلى و البزار قال الهيثمى و رجال أبى يعلى ثقات. و الحياة البرزخية الثابتة للأنبياء فوق الحياة الثابتة للشهداء و يغنينا عن الكلام فى حياة الأنبياء جزء البيهقى المطبوع، نعم انقطعت حاجتهم إلى الأكل و الشرب من مآكل هذه الدار و مشاربها، و لذلك صح وصفهم بالموت ﴿**أنك مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾ [الزمر:٣٠] و حامل الناظم على أنكار حياتهم البرزخية هو التذرع بذلك إلى تحريم التوسل بهم عن هوى وفى دفع الشبه للتقى الحصنى ووفاء الوفاء للنور السمهودى و غيرهما أحاديث و آثار كثيرة فى الندب إليه، و ليس هذا موضع سرد لتلك الأحاديث و له موضع آخر و فى المطالب العالية للرازى و فى شرح المقاصد للتفتازانى و فيما علقه الشريف الجرجانى على شرح المطالع ما يسكن إليه صدور المقتدمين بأئمة أصول الدين من البيان فى هذه المسألة، و كنت بسطت المسألة قبل سنين متطاولة فى (إرغام المريد) الذى كنت إلفته سنة ١٣٢٠ و لا بأسفى أن أورد هنا بعض ما كنت نقلته فيه، مما قاله الفخر الرازى و السعد التفتازانى، و

←



الشريف الجرجاني في هذا الصدد فإنهم أئمة في أصول الدين يميزون بين الحق و الباطل و التوحيد و الإشراك حق التمييز، و لا يرميهم أحد من أهل الحق بنزعة تخالف مذهب أهل الحق في هذه المسئلة و من الغريب رمي أهل التجسيم لأهل الحق بالأشراك بوسيلة التوسل و فيما ننقله عن أئمة أصول الدين في هذا الصدد قمع من يرمي أهل الحق بدائه و هم من أبعد الناس عن الإشراك بخلاف من يقول بالجهة و التحيز و سائر لوازم الجسمية تعالى الله عن ذلك.

نصوص من المطالب العاليه للفخر الرازي

قال الإمام فخر الدين الرازي بعد بسط مقدمات في الفصل الثامن عشر من كتابه المطالب العالية وهو من أمتع مولفاته في علم أصول الدين: «و إذا عرفت هذه المقدمات فنقول إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس كامل الجوهر شديد التأثير ووقف هناك ساعة و تأثرت نفسه من تلك التربة حصل لنفس الزائر تعلق بتلك التربة و قد عرفت أن عرفت أن لنفس الميت تعلقا بتلك التربة أيضاً فحينئذ يحصل لنفس هذا الزائر الحي و لنفي ذلك الإنسان الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من واحدة منهما إلى الأخرى فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف البرهانية و العلومم الكسبية و الأخلاق الفاضلة من الخضوع لله تعالى و الرضا بقضاءالله، ينعكس منه نور إلى روح ذلك الإنسان الميت و كل ما حصل في نفس ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرقة و الآثار العلوية الكاملة فأنه ينعكس منه نور إلى روح هذا الزائر الحي، و بهذا الطريق تصير تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى و البهجة العظمى لروح الزائر و لروح المزور، فهذا هو السبب الأصلي في مشروعية الزيارة، ولا يبعد أن يحصل فيها أسرار أخرى أدق و أحق مما ذكرناه، و تمام العلم بالحقائق ليس إلا عند الله ا.هـ».

وأما بقاء النفس مدركة لبعض الجزئيات فقد بينها الرازي في الفصل الخامس عشر من الكتاب المذكور. وقال الرازي أيضا في تفسيره: «إن الأرواح البشرية الخالية عن العلائق الجسمانية، المشتاقة إلى الاتصال بالعالم العلوي، بعد خروجها من ظلمة الأجساد تذهب إلى عالم الملائكة ومنازل القدس، و يظهر منها آثار في أحوال هذا العالم فهي المدبرات أمراً، أليس الإنسان قد يرى أستاذه في المنام و يسأله عن مشكله فيرشده إليها ا.هـ».

و قال العلامة سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد عند إثبات إدراك بعض الجزئيات للميت ردّا عل الفلاسفة: «لما كان إدراك الجزئيات مشروطا عند الفلاسفة بحصول الصورة في الآلات فعند مفارقة النفس و بطلان الآلات لاتبقى مدركة للجزئيات ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء



فصل

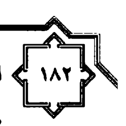
قال: «ما معناه منجنيق المعطلة ما يدعونه من التركيب، وللتركيب ستة معان

أحدها: التركيب من متباين كتركيب الحيوان من هذه الأعضاء و تركيب الأعضاء من الأركان الأربعة، الثاني: تركيب الجوار من اثنين يفترقان، الثالث:

الشرط وعندنا لما لم تكن الآلات شرطاً فى إدراك الجزئيات فى النفس بل الظاهر من قواعد الإسلام أنه يكون للنفس بعد المفارقة إدراكات شرطاً فى إدراك الجزئيات ما لأنه ليس بحصول الصورة لا فى النفس و لا فى الحس وإما لأنه لا يمتنع ارتسام صورة الجزئى فى النفس بل الظاهر من قواعد الإسلام أنه يكون للنفس بعد المفارقة إدراكات متجددة جزئية و اطلاع على بعض جزئيات أحوال الأحياء، ولا سيما الذين بينهم و بين الميت تعارف فى الدنيا، و لهذا ينتفع بزيارة القبور والاستغاثة بنفوس الأخيار من الأموات فى استنزال الخيرات و استدفاع الملمات، فإن للنفس بعد المفارقة تعلقاً بالبدن و بالتربة التى دفنت فيها، فإذا زار الحى تلك التربة و توجهت تلقاء نفس الميت حصل بين النفسين ملاقاة و إفاضات ا.هـ».

و قال العلامة الشريف الجرجانى فى أوائل حاشية شرح المطالع معلقاً على ما ذكره شارح المطالع فى صدد بيان الحكمة فى التوسل و الصلاة على النبى و آله ﷺ «فإن قيل هذا التوسل إنما يتصور إذا كانوا متعلقين بالأبدان و أما إذا تجردوا عنها فلا إذ لا جهة مقتضية للمناسبة، قلنا يكفية أنهم كانوا متعلقين بها متوجهين إلى تكميل النفوس الناقصة بهمة عالية فإن أثر ذلك باق فيهم و لذلك كانت زيارة مراقدهم معدة لفيضان أنوار كثيرة منهم على الزائرين كما يشاهده أصحاب البصائر اهـ». و رأيت بخط الحافظ الضياء المقدسى الحنبلى فى كتابه ـ الحكايات المنثورة ـ المحفوظ تحت رقم ٩٨ من المجاميع بظاهرية دمشق أنه سمع الحافظ عبد الغنى المقدسى الحنبلى يقول إنه خرج فى عضده شيء يشبه الدمل فأعيته مداواته، ثم مسح به قبر أحمد بن حنبل فبرئ و لم يعد إليه، و فى تاريخ الخطيب (١ ـ ١٢٣) بسنده إلى الشافعى رضي الله عنه إنه قال: «إنى لأتبرك بأبى حنيفة و أجى إلى قبره كل يوم ـ يعنى زائراً ـ فإذا عرضت له حاجة صليت ركعتين و جئت إلى قبره و سألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد عنى حتى تقضى اهـ».

فمن الذى يستطيع أن يعد هؤلاء قبوريين يتعبدون الضرائح؟



التركيب من متماثل يدعى الجوهر الفرد، الرابع: الجسم المركب من هيولى و صورة عند الفيلسوف و الجوهر الفرد ليس ممكنا، الخامس: التركيب من ذات و أوصاف سموه تركيبا و ليس بتركيب السادس: التركيب من ماهية و وجودها. واختلفوا هل الذات الوجود أو غيره فيكون تركيبا محالا أو يفرق بين الواجب و الممكن حتى أتى من أرض آمد ثور كبير[1]، بل حقير الشأن قال الصواب الوقف فقصاراه أن شك فى الله».

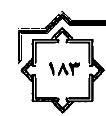
جوابه: أنه لم يشك فى الله فى الوجود هل هو زائد أو لا ولا يجوز أن يقال له ثور ولا أنه حقير الشأن، و قد اعترف فى التركيبين الأخيرين بالامتناع فيسأل من أهل اللغة هل القدم واليد والجنب أعضاء[2] أو صفات.

---

١ . سيف الدين الآمدى المعروف بين الفرق ببالغ الذكاء ذنبه عند الحشوية أنه نشأ حشويّا ثم هداه الله إلى مذهب الأشاعرة و لأجل ذلك يرى متقشفو الحشوية من تمام ورعهم اختلاق حكايات فى حقه و يسعى ابن تيمية جهده فى مناقشته فى معقوله، و يقوم الذهبى بحظه فى الاختلاق عليه فى ميزانه. و تآليفه الخالدة فى أصول الدين و أصول الفقه و الجدل هى آية كونه ثوراً كبيراً فى نظر الناظم فليعتبر.

٢ . فإن اعترف بعد السؤال من أهل اللغة بأنها أعضاء يكون المركب منها من القسم الأول فيكون عابد جسم ذى أعضاء و إن لم يعترف بأنها أعضاء بل قال إنها مجازات عن صفات ثابتة له تعالى فقط ترك مذهبه و كان جهاده فى غير عدو ولكن أنى يعترف بأنها مجازات مع الغلو المشهود فى نحلته؟ و من ألطف النكت الجارية مجرى الإلزامات الظاهرة على المجسمة ما ذكره الفخر الرازى فى تفسيره (٧ ـ ١٤٨) حيث قال: إن من قال إنه مركب من الأعضاء و الأجزاء فإما أن يثبت الأعضاء التى ورد ذكرها فى القرآن و لا يزيد عليها و إما أن يزيد عليها، فإن كان الأول لزمه إثبات صورة لايمكن أن يزاد عليها فى القبح لأنه يلزمه إثبات وجه بحيث لا يوجد منه إلا مجرد رقعة الوجه لقوله تعالى ﴿كل شَىءٍ هَالِكٌ إلاّ وَجهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] ويلزمه أن يثبت فى تلك الرقعة عيونا كثيرة لقوله تعالى: ﴿تَجرِى بِأَعيُنِنَا﴾ [القمر:١٤] و أنى يثبت له جنبا واحداً لقوله تعالى: ﴿يَا حَسرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِى جَنبِ الله﴾ [الزمر:٥٦] و أن يثبت على ذلك الجنب أيدى كثيرة لقوله تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلَت أَيدِينَا﴾ [يس:٧١] و بتقدير أن يكون له يدان

←



فصل

قال: «ودلالة الأسماء مطابقة و تضمن و التزام فالمطابقة يفهم منها ذات الإله و الوصف و التضمن دلالته على أحدهما و اللازم دلالته على الصفة التى اشتق الاسم منها كالرحمن، فالذات و الرحمة مدلولاه تضمنا و دلالته على الحياة بالالتزام».

مقصوده بهذا، المبالغة فى القول بالتركيب فى المعنى[١] و إن انكره باللفظ فيما تقدم، و مدلول الرحمن فى اللغة ذو الرحمة و هو شىء واحد لا مركب و إن كان يقتضي أن له رحمة و كذا ضارب، مدلوله شىء له الضرب و لا نقول بأن الضرب بعض مدلوله و إن كان قاله بعض الأصوليين من جهة تركيب العقل ما دل عليه اللفظ لا من جهة أن الواضع وضعه لهما كما أشعر به كلام هذا الفدم، واستعماله فى الأسماء المقدسة جرأة جرأتها عقيدة سوء ميالة إلى معنى التركيب.

فإنه يجب أن يكون كلاهما على جانب واحد لقوله: «وكلتا يديه يمين» وأن يثبت له ساقاً واحدة لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم:٤٢] فيكون الحاصل من هذه الصورة مجرد رقعة الوجه و يكون عليها عيون كثيرة و جنب واحد و يكون عليه أيد كثيرة و ساق واحد و معلوم أن هذه الصورة أقبح الصور و لو كان هذا عبداً لم يرغب أحد فى شرائه فكيف يقول العاقل إن رب العالمين موصوف بهذه الصورة؟! و إن كان الثانى و هو أن لا يقتصر على الأعضاء المذكورة فى القرآن بل يزيد و ينقص على وفق التأويلات فحينئذ يبطل مذهبه فى الحمل على مجرد الظواهر و لابد له من قبول دلائل العقل اه.

١ . لأن كلام أهل العربية فى الدلالات الثلاث (دلالة اللفظ على تمام ما وضع له مطابقة و على جزئه تضمن و على الخارج اللازم التزام) و الاجتراء على إجراء ذلك فى الأسماء المقدسة مبالغة فى القول بالتركيب فى المعنى بأثبات الجزء فى دلالتها كما قال المصنف على أن ابن حزم قطع على الحشوية سبيل التقول بالمرة بأن قال إن الأسماء الحسنى أسماء أعلام للذات العلية لا تدل على الصفات باعتبار أن الله سماها أسماء فضاقوا ذرعاً من كلامه هذا جدّا و ليس هذا موضع توسع لبيان ما له و ما عليه و كفى للبصير مجرد الإشارة إليه.

فصل

قال: «الملحدون ثلاثة: المشركون و إخوانهم الاتحادية، و الثاني: المعطلة يقولون ما ثم غير الاسم عطل حرف ثم أول وافقها واقذف بتجسيم و بالكفران للمثبتين، فإن احتجوا عليك فقل مجاز فإن غلبتعن المجاز فقل الألفاظ لاتفيد اليقين فإن غلبت عن تقريره فقل العقل مقدم على النقل، و الثالث: منكر الخالق الصانع لا يوحشنك غربة بين الورى قل لى متى سلم الرسول و صحبه و تظن انك وارث لهم و لا جاهدت فى الله حق جهاده».

هذا الرجل قال قبل ذالك إنه لم ينكر أحد الخالق و قد ناقض هنا و جعل القسم الثانى من الملحدة خصمائه و وصفهم بما قال، وهم هداة الأمة.

فصل: في النوع الثاني من توحيد المرسلين المخالف لتوحيد المعطلين والمشركين

قال: «و هو أن لا تعبد غير الله،؛ فالمشركون اتخذوا أنداداً يحبونهم كحب الله، و لقد رأينا من فريق يدعى الإسلام شركا جعلوا له شركاء سووهم به فى الحب بل زادوا لهم حبا ـ والله ـ ما غضبوا إذا انتهكت محارم ربهم حتى إذا ما قيل فى الوثن الذى يدعونه ما فيه من نقصان فأجارك الرحمن من غضب ومن حرب و من شتم و من عدوان و ضرب و تعزير وسب و تسجان، قالوا تنقصت الأكابر و الأمر ـ والله العظيم ـ يزيد فوق الوصف، و إذا ذكرت الله توحيداً رأيت وجوههم مكسوفة الألوان، وإذا ذكرت بمدحة شركاءهم يستبشرون ـ والله ـ ما شموا روائح دينه» انتهى ثناؤه على المسلمين قبحه الله.



فصل: في صفة العسكرين و تقابل الصفين و استدارة رحى الحرب العوان و تصاول الأقران

أبصر كيف يوقع الملعون العداوة بين المسلمين.

فذكر جماعة ثم قال: «و خيار عسكرهم فذاك الأشعرى الفدم» أو القرم «ذاك مقدم الفرسان».

سواء أقام الفدم أو القرم قد جعله من عسكر الملحدين.

قال: «لكنكم ما أنتم على إثباته صفوا الجيوش و عبئوها و أبرزوا للحرب واقتربوا من الفرسان فهم إلى لقياكم بالشوق كى يوفوا بنذرهم من القربان، تبّا لكم لو تستحون لكنتم خلف الخدور كأضعف النسوان، من أين أنتم و الحديث و أهله ما عندكم إلا الدعاوى و الشكاوى و شهادات على البهتان هذا الذى والله نلنا منكم قبح الإله مناصبا و ما كلا قامت على البهتان والعدوان».

أيكون أقبح من هذا الإغراء.

فصل: في الهدنة بين المعطلة و الاتحادية حزب جنكيزخان

قال: «يا قوم صالحتم نفاة الذات و لأجل ذا كنتم مخانيثاً لهم» ينبغى أن يعرض عن كلام هذا المتخلف.

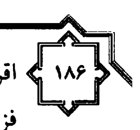
فصل: في مصارع المعطلة بأسنة الموحدين

قال: «و إذا أردت ترى مصارع من خلا من أمة التعطيل و ترى و ترى و ترى فاقرأ تصانيف الإمام حقيقة شيخ الوجود العالم الربانى أعنى أبا العباس[١] و

---

١ . كلمة صاحب الدرة المضيئة فى ابن تيمية

و عن هذا الشيخ الذى يطربه الناظم يقول صاحب الدرة المضيئة: «قد أحدث ابن تيمية ما ←



اقرأ كتاب العقل و النقل، و المنهاج[١] و التأسيس و غيرها و قرأت أكثرها عليه فزادني ـ و الله ـ في علم و في إيمان، هذا ولو حدثت أنه قبلي يموت لكان غير

أحدث في أصول العقائد و نقض من دعائم الإسلام الأركان و المعاقد، بعد أن كان متسترا بتبعية الكتاب و السنة، مظهراً أنه داع إلى الحق هاد إلى الجنة، فخرج عن الاتباع إلى الابتداع، و شذ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، و قال بما يقتضي الجسمية و التراكيب في الذات المقدسة و بان الافتقار إلى الجزء ليس بمحال و قال بحلول الحوادث بذات الله تعالى و أن القرآن محدث تكلم الله به بعد أن لم يكن و أنه يتكلم ويسكت و يحدث في ذاته الإرادات بحسب المخلوقات، و تعدى في ذلك إلى استلزام قدم العالم بالقول بأنه لا أول للمخلوقات، فقال بحوادث لا أول لها فأثبت الصفة القديمية حادثة و المخلوق الحادث قديماً، و لم يجمع إحد هذين القولين في ملة من الملل و لا نحلة من النحل فلم يدخل في فرقة من الفرق الثلاث و السبعين التي افترقت عليها الأمة و كل ذلك و إن كان كفرا شنيعا مما تقل جملته بالنسبة إلى ما أحدث في الفروع فإن متلقي الأصول عنه وفاهم ذلك منه هم الأقلون و الداعي إليه من أصحابه هم الأرذلون، و إذا حوققوا في ذلك أنكروه. و أما ما أحدثه في الفروع فأمر قد عمت به البلوى.. و قد بث دعاته في أقطار الأرض لنشر دعوته الخبيثة و أضل بذلك جماعة من العوام و من العرب و الفلاحين.. و لبسّ عليهم... اهـ».

والدرة المضيئة هذه مطبوعة ضمن المجموعة السبكية و نسخة مخطوطة منها موجودة في مكتبة أيا صوفيا في اسطنبول. و مثل هذا الضال المضل اتخذه الناظم قدوة في فتنه عاملهما الله تعالى بعدله. و لم يكن بغض علماء أهل الحق لهما إلا بغضا في الله شأنهم مع كل زائغ، و من حمل ذلك على الحسد لم يعرف سيرة الرادين عليه و لا مبلغ زيغ الناظم و شيخه فمثل هذا القول ينبئ عن جهل قائله أو زيغه.

١ . مطبوع في هامش منهاجه، وأماالتأسيس فيرد أساسا لتقديس فقد فضح ابن تيمية به نفسه وهو في ضمن الكواكب الدراري لابن زكنون الحنبلي في المجلدات (رقم ٢٤،٢٥،٢٦) بظاهرية دمشق وقد سبق أن وصفت الكواكب فيما علقته على المصعد الأحمد لابن الجزري فلو قام بطبع التأسيس أحدهم لما بقي من أهل البسيطة أحد لم يعلم دخائل ابن تيمية. وقد نقلت منه نصوصا كثيرة فيما علقت على هذا الكتاب كما سبق في مواضع على أن مبلغ زيفه ظاهر من الكتابين المذكورين لمن ألقى السمع وهو شهيد، ويتبجح بهما هذا الزائغ كتبجحه بالتأسيس، هكذا شأن مقلدة الزائغين يثنون على الزيغ ويزدادون غواية. وقد أشرت إلى بعض ما في منهاجه ومعقوله في «الأشفاق على أحكام الطلاق» فليراجع هناك.



الشأن و له المقامات الشهيرة أبدى فضائحهم[١] و بين جهلهم و أصارهم تحت حال أهل الحق، كانت نواصينا بأيديهم فصارت نواصيهم بأيدينا وغدت ملوكهم مماليكاً و الفدم يوحشنا و ليس هناكم فحضوره و مغيبه سيان».

و هذا الفصل تسعون بيتا ماذا تضمن من الكذب الذى يدل على أن قائله خرق جلباب الحياء.

فصل

يزيد على مائة وعشرين بيتا مما يهيج و يوقع العداوة و ليس فيه قط إفادة.

فصل: في كسر الطاغوت الذي نفوا به الصفات

ثمانية وثمانون بيتا كلها تهييج و إشلاء و سفاهة.

من جملتها:

فتعين الإلزام حينئذ على قو ... ل الرسول و محكم القرآن

وجعلتهم أتباعه ماتسترا خو ... فاً من التصريح بالكفران

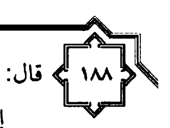
«والله ـ ما قلنا[٢] سوى ما قاله فجعلتمونا جنة والقصد مفهوم فنحن وقاية القرآن».

ما يحسن أن يتخيل أحد فى مسلم أنه يقصد الرد على القرآن والرسول ثم

---

١ . كلا بل فضح نفسه وأذنابه وقادته وأصارهم تحت نعال أهل الحق بجهله وخرقه ولم يزل ينقل من محبس إلى محبس ومن هوان إلى هوان حتى أفضى إلى ماعمل وخلف شواذه وصمة الأبد، لكن قاتل الله الوقاحة تحاول قلب الحقائق.

٢ . اتق الله لا تخلف به كذباً هذا الكذب المكشوف أين قال الله أو قال رسوله ﷺ إن الله متمكن على العرش تمكن استقرار أو إن الحوادث تقوم به؟ أو إن الحوادث لا أول لها و إن من لم يقل ذلك معطل ملحد و إنه فى جهة العلو من رءوس العباد أو إنه تكلم بحرف و صوت إلى آخر تلك المخازى أو أين قال الله أو قال رسوله ﷺ إن المنزهين لله من المادة و الماديات و الجسم و الجسمانيات من حزب جنكيزخان.



قال: «و الله لو نشرت لكم أشياخكم عجزوا
إن كـنـتـم فـحـولا فـابـرزوا
ودعـوا الشـكـاوى حيـلـة النـسـوان
و إذا اشـتـكـيـتـم فـاجـعـلـوا
الشكوى إلى الوحيين[1] لا القاضي ولا السلطان

فصل: في مبدأ العداوة بين الموحدين و المعطلين

قال «يا قوم تدرون العداوة بيننا من أجل ماذا؟ إنا تحيزنا إلى القرآن و النقل الصحيح و العقل الصريح فاشتد ذاك الحرب بين فريقنا و فريقكم وتأصلت تلك العداوة من يوم أمر إبليس بالسجود فأتى التلاميذ الوقاح فانظر إلى ميراثهم ذا الشيخ هذا الذى ألقى العداوة بيننا».

فصل: في أن التعطيل أساس الزندقة

قال: «من قال إن الله ليس بفاعل فعلا يقوم[2] به وليس أمره قائما به و ليس

---

١ . إن كان يريد بها الكتاب و السنة فقد ظهر ظهوراً لا مزيد عليه بما بسطناه في هذاالكتاب من تحاكمنا إليهما أنا على الحق و خصومنا على الزيغ و الضلال المبين، و إن كان يريد بهما وحى شياطين الجن و وحى شياطين الإنس على ما هو الظاهر من تلبيساته فلسنا نتحاكم معه إلى الطواغيت ﴿وَ سَيَعلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعرا:٢٢٧] و لا بأس أن أهمس في أذنه آذان أشياعه أنه لم يبق في غالب البلاد سلطان لأحكام الشرع يخاف الفاتنون جانبه بسبب تلك الفتن الدامية التى كانت الحشوية يثيرونها على طول القرون في أخطر أيام الإسلام حتى تركوا الشرع لا سلطان له إلا على قلوب المسلمين حقّا و أصبح الإسلام بالحالة التى نراها و الله سبحانه و تعالى ينتقم من هؤلاء الفاتنين الدائبين على السعى في تفريق كلمة المسلمين و توهين سلطان الدين و أعاد إلى الدين سلطانه، إنه قريب مجيب.

٢ . كم يكرر الناظم قيام الفعل به تعالى و هو الذى دعاه و شيخه إلى القول بحوادث لا أول لها و

←



فوق عباده، فثلاثة لا تبقى من الإيمان حبة خردل و قد استراح من القرآن والرسول وشريعة الإسلام وتمام ذاك جحوده للصفات وتمامه الإرجاء و تمامه قوله في المعاد»[1].

فصل: في بهت أهل الشرك و التعطيل

قال: «قالوا تنقستم رسول الله. واجبا و نظيره قول النصارى إنا تنقصنا المسيح».

هذه الفصول كلها كما ترى.

فصل

قال: «ولنا الحقيقة من كلام إلهنا و نصيبكم منه المجاز الثاني و خيامنا مضروبة بمشاعر الوحيين وخيامكم»[2]. مضروبة في التية فالمكان كل ملدد

→ هذا من الخطورة بمكان، قال الإمام أبو منصور عبد القاهر في أصول الدين: و أما مجسمية خراسان من الكرامية فتكفيرهم واجب لقولهم بأن الله له حد و نهاية من جهة السفل، و منها يماس عرشه و لقولهم بأن الله محل للحوادث و إنما يرى الشيء برؤية تحدث فيه و يدرك ما يسمعه بإدراك يحدث فيه و لولا حدوث الإدراك فيه لم يكن مدركًا لصوت و لا مدركاً لمرئي و قد أفسدوا بإجازة حلول الحوادث في ذات الله تعالى لأنفسهم دلالة الموحدين على حدوث الأجسام بحلول الحوادث ا.هـ. و أنت عرفت مذهب الناظم في تلك المسائل.

١ . ثم قال: (و تمام هذا قولكم بفناء دار الخلد فالداران فانيتان) مع أن الناظم يقول في كثير من كتبه بنفي الخلود للكفار في النار و بهذا حكم على نفسه بالكفر، انظر كلامه فيمن لا يرى قيام الحوادث بالله و الفوقية المكانية له تعالى. و جعل العمل جزءاً من الإيمان حقيقة مؤد إلى تكفير مرتكبي الكبائر كما هو مذهب الخوارج. و نفي قيام الأفعال الحادثة به تعالى بعده نفي الصفات والله ينتقم منه.

٢ . بل أهل السنة هم الذين جمعوا بين الكتاب و السنة و آثار السلف و البراهين العقلية التي هي من حجج الله سبحانه، من غير إهمال شيء منها، مراعين مراتب الأدلة و وجوه الدلالة و إنما ←



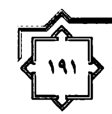
حيران هذه شهادتهم على محصولهم عند المهات والله يشهد أنهم أيضا كـذا و لنـا المسانيد و الصحاح و لكم تصانيف الكلام و نقول: قال الله قال رسوله فى كـل تصنيف و كل مكان لكن تقولون: قال أرسطو و قـال ابـن الخطيـب[١] و قـال ذو العرفان شيخ لكم يدعى ابن سينا، و خيار ماتأتون قال: الأشـعرى وتـشهدون[٢] عليه بالبهتان والكفر عندكم خلاق شيوخكم و وفاقهم فحقيقة الإيمان».

→ مذهب السلف عدم الخوض فى الصفات مع التنزيه العام و هم من أبعد الناس عن حمل ما فـى كتاب الله و ما صح فى السنة على ما يوهم التشبيه فإذا تكلموا إنما يتكلمون بما يوافـق التنزيـه و هم الذين يقولون فيما صح لفظه: «أمروه كما جاء بدون تفسير بل تفسيره قراءتـه بـلا كيـف و لا معنى» كما تواتر ذلك عن السلف و لاسيما عن أحمد و قد ذكرنا بعض نصوص لهم فـى ذلـك، و أما أصحاب الناظم فهـم الـذين جمعـوا بـين الإسرائيليـات و الجاهليـات و أنـواع الخرافـات و الأخبار الموضوعات كما يظهر من كتبهم فى العلو و السنة و التوحيد و النحل أين فى الـصحاح و السنن (ينزل بذاته) و (يستوى على العرش استواء استقرار و جلوس) و (يتحرك) و (يـتكلم بصوت)؟ فلو وقفوا حيث وقف الكتاب و السنة و البرهان العقلى و أبوا الخوض فى الـصفات بعقولهم الضئيلة لكانوا على الهدى لكنهم حادوا و زادوا. قاتلهم الله ما أوقحهم و أشنع إفكهم على أهل الحق.

١ . **عظم شأن الفخر الرازى فى الرد على الحشوية**

هو الإمام فخر الدين الرازى، سيف الله المسلول على المجسمة و هو من أبغض أهل العلم إليهم لأنه تمكن ببيانه الواضح و برهانه الدامغ من إزالة شرور المجسمة من بلاد الشرق كما أجهز على المجسمة الذين أووا إلى الشام بكتابه (أساس التقديس) و هو كتاب يحق أن يكتب بـماء الـذهب و أن يجعل من كتب الدراسة فى بلاد تشيع فيها مخـازى المـشبهة و هـو كـاف فـى قمعهـم، والله سبحانه يكافئه على ذلك، و تفسيره الكبير من أهل الكتب فى الرد على الحشوية و فى ذلك مـا يكون كفارة لما بدر منه من بعض أغلاط، سامحه الله و أعلى منزلته فى الجنة.

٢ . ومذهبه هو مـا فـى كتـب أصحابه وأصـحاب أصـحابه كـأبى منـصور عبـدالقاهر البغـدادى والقشيرى وابن الجوينى ونحوهم وقد أفنى الحشوية مؤلفات الإمام فى فتن بغداد وتصرفوا فيها بالأيدى من كتبه ودسوا ما شاءوا قاتلهم الله.



انتهى، يكفيه أن ينسب القائلين عند موتهم بالعجز عن حقيقة الإدراك إلى الكفر و هى كلمة الصديق الأكبر (إن العجز عن حقيقة الإدراك إدراك).

فصل

انكر فيه على خصومه تكفيرهم إياه و قال «اسمع إذن يا منصفا حكميهما وانظر إذن هل يستوى الحكمان، هم عندنا قسمان أهل جهالة و معاند فالمعاند كافر والجاهل نوعان أحدهما متمكن من العلم فهو فاسق و فى كفره قولان، والوقف عندى فيهم لست الذى بالكفر أنعتهم و لا الإيمان، والله أعلم بالبطانة منهم لكنهم مستوجبون عقابه قطعا لأجل البغى والعدوان، النوع الثانى عاجز عن بلوغ الحق مع قصد و إيمان و هم ضربان أحدهما قوم دهاهم حسن ظنهم بشيوخهم فمعذورون إن لم يظلموا أو يكفروا والآخرون طالبون للحق لكن صدهم عن علمه شيئان أحدهما طلب الحقائق من سوى أبوابها فأولاء بين الذنب و الأجرين فانظر إلى احكامنا فيهم و احكامهم فينا».

انتهى كلامه و هو كلام من يعتقد أن خصومه خارجون بتكفيره وخصومه يقولون لا نكفر أحداً من أهل القبلة.

فصل: في أذان أهل السنة بصريحها جهرا على رؤوس منابر الإسلام

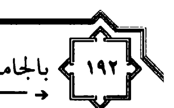
قال «شبهتم الرحمن بالأوثان[1] فى عدم الكلام هم أهل تعطيل وتشبيه معاً

---

١ . ناحت العجل

بل من قال إن كلام معبوده حرف و صوت قائمان به فهو الذى نحت عجلاً، يقول ابن عربي في العارضة: «لا يحل لمسلم أن يعتقد أن كلام الله صوت و حرف لا من طريق العقل و لا من طريق الشرع، فأما طريق العقل فلأن الصوت و الحرف مخلوقان محصوران، و كلام الله يحل عن ذلك

←



بالجامدات تسعون وجها يبطل المعنى الذى قلتم هو النفس[١] للقرآن».

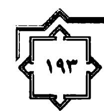
كله و أما من طريق الشرع فلأنه لم يرد فى كلام الله صوت و حرف من طريق صحيحة و لهذا لم نجد طريقاً صحيحة لحديث ابن أنيس وابن مسعود ا.هـ.». و أنت تعلم مبلغ استبحار ابن العربى فى الحديث و جزء الصوت للحافظ أبى الحسن المقدسى لا يدع أى متمسك فى الروايات فى هذا الصدد لهؤلاء الزائغين و من رأى نصوص فتاوى العز بن عبدالسلام وابن الحاجب و الجمال الحصيرى و العلم السخاوى و من قبلهم و من بعدهم من أهل الحق كما هو مدون فى نجم المهتدى و دفع الشبه و غير هما يعلم مبلغ الخطورة فى دعوى أن كلام الله حرف و صوت قائمان به تعالى و قد سبق نقل بعض النصوص منها و لا تصح نسبة الصوت إلى الله إلا نسبة ملك و خلق لكن هؤلاء السخفاء رغم تضافر البراهين ضدهم و دثور الآثار التى يريدون البناء عليها يعاندون الحق و يظنون أن كلام الله من قبيل كلام البشر الذى هو كيفية اهتزازية تحصل للهواء من ضغطه باللهاة و اللسان، تعالى الله عن ذلك، و يدور أمرهم بين التشبيه بالصنم أو التشبيه بابن آدم ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف:١٧٩].

١ . الكلام النفسى

وقد صح عن أحمد فيما جاوب به المتوكل و غيره كما هو مذكور فى كتاب السنة و عيون التواريخ و غير هما أنه كان يقول القرآن من علم الله و علم الله غير مخلوق فالقرآن غير مخلوق و هذا دليل على أنه كان يريد بالقرآن ما هو قائم بالله، و تابعه ابن حزم فى الفصل. فقوله تعالى: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [يوسف:٧٧] فقال إما بدل من أسر أواستئناف بيانى و على التقديرين تدل الآية على أن للنفس كلاماً لقوله فى نفسه (كما حكى القرآن) ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ و كذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم﴾ [الزخرف:٨٠] وفى الحديث السر ما أسره ابن آدم فى نفسه و قوله تعالى: ﴿... يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾[آل عمران:١٥٤] أى يقولون فى أنفسهم بدليل السياق و قوله تعالى ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

كل ذلك من أدلة الكلام النفسى و حديث أم سلمة فى الطبرانى فى رجل سأل النبى ﷺ قائلا: «إنى لأحدث نفسى بالشى - لوتكلمت به لأحبطت أجرى» فقال ﷺ لا يلقى ذالك الكلام إلا مؤمن. و ما في الحديث القدسي «فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي» من أدلة الكلام النفسى أيضاً و قد أقر الذهبى بحجية الأخير فى ذلك فى كتاب العلوّ له، و من الدليل على

←



و لا وجه واحد (و تسعون إلى آخره ساقطة من المطبوع)

قال: «و إليه قد عرج الرسول حقيقة».

جسدا له خوار يحمل أشياعه على تعبده قال أبوبكر ابن العربي في العارضة. أين في القرآن إليه؟

«قال والله أكبر من أشار رسوله حقا إليه بأصبع و بنان»

أين في الحديث إليه؟

«قال والله فوق العرش والكرسي»

أين في القرآن إن الله فوق العرش؟

ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ فِى أَنفُسِهِم﴾ [المجادلة:٨] فقوله ﴿بِأَلْسِنَتِهِم﴾ و ﴿بِأَفْوَاهِهِم﴾ في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِم﴾ [الفتح:١١] و ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِم﴾ [آل عمران:١٦٧] لم يجعل القول باللسان مجازاً حتى يظن المجازية في القول في النفس تمسكا بلفظ ﴿فِى أَنفُسِهِم﴾ كما توهم بعض أهل الأهواء و قول عمر الفاروق (زورت في نفسي كلاما) أشهر من نار على علم، فمن رد أن يكون كلام في النفس رد على تلك الأدلة الصريحة و الحامل لأهل الحق على القول بالكلام النفسي هو إجماع التابعين على القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق فخرجوا إجماعهم هذا على هذا الوجه المعقول و إلا لما صح قولهم. و تسفيه أحلام التابعين جميعاً لا يصدر إلا عن مجازف فالفرق بين ما هو قائم بالخلق و المعنى القائم بالله سبحانه هو المخلص الوحيد في هذه المسألة فاللفظي حديث والنفسي قديم كما أشار إلى هذا و إلى ذاك إمام الأئمة أبو حنيفة و تابعه أهل الحق. و يتضح بهذا البيان الواضح أن قول بعض زهاد الحشوية في هذاالبحث: «نحن نستدل في الحرف و الصوت بقوله تعالى: ﴿كهيعص﴾ [مريم:١] و نحوه و قول النبي ﷺ: «يجمع الله الخلائق يوم القيامة....» و خصومنا يستدلون بقول الأخطل النصراني (إن البيان لفي الفؤاد) بتحريف البيان إلى الكلام» هواء بعيد عن الحقيقة بعدالأرض عن السماء و هراء لايصدر إلا من السفهاء و مثل هذا السفة حمل بعض الشافعية أن يشترط في مدرسة بناها بدمشق أن لا يطأ أرضها يهودي و لا نصراني و لا حشوي حنبلي كما في الدارس في تاريخ المدارس و قانا الله شر الغلو.

فصل: في تلازم التعطيل والشرك

«قال: واعلم بأن الشرك والتعطيل مذ كانا هما لا شك مصطحبان أبدا فكل معطل هو مشرك».

سواء أراد بالتعطيل الانكار للذات أو انكار الصفات أو بعضها هو مباين للشرك.

قال: «والناس فى ذا ثلاث طوائف: إحدى الطوائف مشرك بإلهه فإذا دعاه دعا إلها ثانى، و ثانيها: جاحد يدعو سوى الرحمن، هو جاحد للرب يدعو غيره شركا و تعطيلا له قدمان».

هذا ما يستقيم يا هذا.

قال: «و ثالث هذه الأقسام خيرالخلق فمعطل الأوصاف ذو شرك كذا ذو الشرك فهو معطل الرحمن».

فصل

قال:

لكن أخو التعطيل شر من أخى الإشراك بالمعقول و البرهان

والله لا معقول و لا برهان و أخذ يبينه بما لا يصح و إن كان فيه شيء كثير من الصحيح لا يحصل به مقصوده بل يلبس له.

ثم قال:

لكن أخو التعطيل ليس لديه إلا النفى أين النفى من إيمان

فصل: فى مثل المشرك و المعطل

قال:

أين الذى قد قال في ملك عظيـ ـم لست فينا قط ذا سلطان

فذكر ثمانية أبيات من هذا الخطاب الذى قد خرق حجال الهيبة ثم قال: «هذا وثان قال أنت مليكنا إذ حزت أوصاف الكمال و لقد جلست على سرير الملك متصفا بتدبير عظيم الشأن».

هذا تصريح بالجلوس[١]، (و فى المطبوع و قد استويت).

---

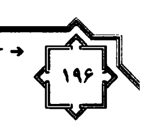
١ . يعجب المصنف كيف يصرح الناظم بالجلوس. ولأحد تلامذته الأخصاء جزء فى إثبات المماسة ردّا على من ينزه الله سبحانه عن ذلك وما ينطوى عليه هؤلاء أفظع بكثير من فلتات لسانهم فلو كانوا بين قوم على معتقدهم لكنت تراهم يصرحون بكل ما تكن صدورهم قال ذلك التلميذ أعنى محمداً المنبجى صاحب الفرج بعد الشدة فى الجزءالمذكور: قال الخلال فى كتاب السنة حدثنا أحمد بن الحسين الرقى حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح حدثنى أبى عن سعيد بن الحارث عن عبيد بن حنين قال بينما أنا جالس فى المسجد إذ جاءنى قتادة بن النعمان يحدث وثاب إليه الناس، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لما فرغ من خلقه استوى على عرشه واستلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال إنها لا تصلح لبشر**». قال الحافظ الذهبى وغيره إسناده على شرط البخارى ومسلما.هـ

ولعلك علمت بذلك قيمة كتاب السنة للخلال، و فى ذلك الجزء من المخازى ما يضاهى ما نقلناه آنفاً، ولابن بدران الدشتى جزء فى إثبات الحد و الجلوس لله سبحانه و يسوق فيه الحديث المذكور بطرق كما ذكرت ذلك فيما علقت على ذيول طبقات الحفاظ، قاتلهم الله، ما أجرأهم على الله، و لعلك علمت بذلك أيضاً قيمة تهويلهم بأنهم يتابعون السنة كما علمت قيمة تصحيحهم للروايات المطابقة لزيغهم.

تنبيه:

الذهبى يبعد عن رشده و يفقد صوابه إذا جاء دور الكلام على أحاديث فى الصفات أو فى فضائل النبى ﷺ أو أهل بيته ﷺ و كذلك حينما يترجم لشافعى من الأشاعرة أو حنفى مطلقاً رغم تظاهره بالإنصاف و البعد عن التعصب فى كثير من المواضع على سعة علمه فى الحديث و رجاله. فهل يتصور من عالم يعقل ما يقول أن يصحح مثل هذا الحديث الذى بطلانه أظهر من الشمس فى ضحوة النهار؟ فطالب الحق لا يعير سمعاً لأقواله فيما ذكرناه. و هو شافعى الفروع

←



إلا أنه مجسم اعتقاداً رغم تبريه منه في كثير من المواضع و عنده نزعة خارجية و إن كان أهون شرّا بكثير من الناظم و شيخه في ذلك كله، و من لا يكون متساهلا في أمر دينه، لا يثق بكلام مثله فيما ذكرناه بعد أن عرف دخائله و التاج ابن السبكي أطراه غاية الإطراء حيثما ترجم له في طبقات الشافعية الكبرى أداء لحق التلمذة عليه لكن لم يمنعه ذلك من الإشارة إلى ما ينطوي عليه من البدع و الأهواء في مواضع من كتابه حيث قال في الكتاب المذكور (١ ـ ١٩٧): و أما تاريخ شيخنا الذهبي فإنه على حسنه و جمعه مشحون بالتعصب المفرط، لا آخذه الله فلقد أكثر الوقيعة في أهل الدين.. أعنى الفقراء الذين هم صفوة الخلق، واستطال بلسانه على كثير من أئمة الشافعيين و الحنفيين و مال فأفرط على الأشاعرة و مدح فزاد في المجسمة ا.هـ حتى عده لا يعول على تراجمه لهؤلاء، و قال أيضاً في حقه (٢ ـ ٢٤٩) من الكتاب المذكور: و تأتي أنت تتسكع في ظلم التجسيم الذي تدعي أنك بريء منه و أنت من أعظم الدعاة إليه و تزعم أنك تعرف هذا الفن (يعني علم أصول الدين) و أنت لا تفهم منه نقيراً و لا قطميراً ا.هـ.

حال الذهبي.. ما له و ما عليه

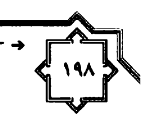
و قال أيضاً في ترجمة ابن جرير ناقلا عن الحافظ صلاح الدين العلائي أنه قال عن الذهبي ما نصه: «لا أشك في دينه و ورعه و تحريه فيما يقوله عن الناس ولكنه غلب عليه مذهب الأثبات و منافرة التأويل و الغفلة عن التنزيه حتى أثر ذلك في طبعه انحرافاً شديداً عن أهل التنزيه و ميلا قويّا إلى أهل الأثبات فإذا ترجم واحداً منهم يطنب في وصفه بجميع ما قيل فيه من المحاسن و يبالغ في وصفه و يتغافل عن غلطاته و يتأول له ما أمكن، و إذا ذكر أحداً من الطرف الأخر كإمام الحرمين و الغزالي و نحوهما لا يبالغ في وصفه و يكثر من قول من طعن فيه و يعيد ذلك و يبديه و يعتقده ديناً و هو لا يشعر و يعرض عن محاسنهم الطافحة فلا يستوعبها و إذا ظفر لأحد منهم بغلطة ذكرها و كذلك يفعل في أهل عصرنا إذا لم يقدر على أحد منهم بتصريح يقول في ترجمته والله يصلحه.. و نحو ذلك و سببه المخالفة في العقائد، انتهى».

قال التاج ابن السبكي عقب ما تقدم ما نصه: «والحال في شيخنا الذهبي أزيد مما وصف و هو شيخنا و معلمنا غير أن الحق أحق أن يتبع و قد وصل من التعصب المفرط إلى حد يسخر منه و أنا أخشى عليه يوم القيامة عند من لعل أدناه عنده أوجه فالله المسئول أن يخفف عنه و أن يلهمهم العفو عنه و أن يشفعهم فيه، والذي أدركنا عليه المشايخ النهي عن النظر في كلامه و عدم اعتبار قوله و لم يكن يستجرئ أن يظهر كتبه التاريخية إلا لمن يغلب على ظنه أنه لاينقل عنه

ما يعال عليه، و أما قول المعلائى عن [دينه و ورعه و تحريه فيما يقوله] فقد كنت أعتقد ذلك و أقول عند هذه الأشياء ربما اعتقدها دينا، و منها أمور أقطع بأنه يعرف بأنها كذب و أقطع بأنه لا يختلقها و أقطع بأنه يجب وضعها فى كتبه لتنتشر و أقطع بأنه يحب أن يعتقد سامعها صحتها بغضا للمتحدث فيه و تنفيراً للناس عنه مع قلة معرفته بمدلولات الألفاظ و مع اعتقاده (أن ذلك) مما يوجب نصر العقيدة التى يعتقدها هو حقًا، و مع عدم ممارسته لعلوم الشريعة غير أنى لما أكثرت بعد موته النظر فى كلامه عند الاحتياج إلى النظر فيه توقفت فى تحريه فيما يقوله و لا أزيد على هذا غير الإحالة على كلامه».. إلى آخر ما قاله فليراجع باقى كلامه من أراد المزيد على ما نقلنا.

و قال التاج أيضاً فى طبقاته و هو يترجم لإمام الحرمين مانصه: «و قد كان الذهبى لا يدرى شرح البرهان، و لاهذه الصناعة، ولكنه يسمع خرافت من طلبة الحنابلة فيعتقدها حقًا ويودعها تصانيفه» هذا قدر عقلية الذهبى و قدر تحريه عند صاحب الطبقات، و لعل القارئ يرى هذه العقلية من أسخف العقليات كيف لا و هى عقلية ترى الخرافات حقًا تودع فى المصنفات و يبنى عليها ما يتخذه عبادالله دينا، و رجل هذا حاله أى قدر يكور قدره عند أولى النهى، الذين عرفوا دخائله.

ولسنا نطيل النقل للقارى فى شأن سقوط كلام هذا الرجل فى علماء الحنفية و المالكية و الشافعية و هم قادة الأمة و أدلاؤها إذا ادلهم ليل المشكلات و كفى القارئ فى هذاالرجل قول ابن السبكى السابق (والذى أدركنا عليه المشايخ النهى عن النظر فى كلامه و عدم اعتبار قوله) فإن هذا معناه القضاء على الرجل و إسقاطه من عداد العلماء الذين يحترم قولهم، ليتأمل القارئ طويلاً فى قول التاج ابن السبكى السابق أيضاً (ولم يكن يستجرئ أن يظهر كتبه التاريخية إلا لمن يغلب على ظنه أن لا ينقل عنه ما يعاب عليه) فإن هذا معناه أن الرجل كان يعلم حق العلم أنه قال فى تلك الكتب ما يوقن أنه ليس بحق، و لذلك كان يحرص على أن لا يطلع الناس عليه لئلا يفتضح بأكاذيبه البعيدة عما عليه العلماء الذين يكتب عنهم، و أرجو و ألح فى الرجاء أن لا يغفل القارئ عن قول صاحب الطبقات السابق فى هذا الرجل من أنه (كان قليل المعرفة بمدلولات الألفاظ) و مَن مِن العقلاء يرضى أن يسقط نفسه فيعد من زمرة العلماء رجلا يصل به الجهل إلى درجة قلة المعرفة بمدلولات الألفاظ؟ كما أرجو القارئ أيضاً و أشدد فى هذا الرجاء أن يلتفت لقول صاحب جمع الجوامع (إن الذهبى لم يمارس علوم الشريعة و من فقد



رشده وضاع صوابه حتى يستطيع أن يعد من العلماء رجلا لم يمارس الشريعة فليعلم حق العلم ليراعي حق الرعاية. و لا ينسى القارئ أن ما تقدم شهادة تلميذ هو إمام فهو أعرف بشيخه و لعل هذا يكفي في دفع ما ربما يقوله بعض المغرورين بالذهبي أو ينقله عن بعض المغرورين.)

و قد أشرت إلى حاله في مواضع مما علقت به على ذيول طبقات الحفاظ و زغل العلم.

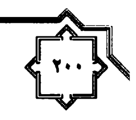
و مما يزيدك بصيرة في هذاالباب اجتراء الذهبي على حذف لفظ (إن صحت الحكاية عنه) من كلام البيهقي في الأسماء و الصفات (ص ٣٠٣) عندما نقل كلامه في كتابه العلو (ص ١٢٦) في صدد نسبة القول بأن الله في السماء، إلى أبي حنيفة ليخيل إلى السامع أن سند هذه الرواية لا مغمز فيه مع أن نوحاً الجامع ربيب مقاتل بين سليمان المجسم، في السند هالك مثل زوج أمه، و كذلك نعيم بين حماد ربيب نوح، وقد ذكره كثير من أئمة أصول الدين في عداد المجسمة فأين التعويل على رواية مجسم فيما يحتج به لمذهبه؟ و ليس بقليل ما ذكره الذهبي في حقهما في ميزان الاعتدال على أنه لو سبق التفاف نحو عشرة آلاف شخص حول بدعة امرأة أتت من ترمذ إلى الكوفة للدعوة إلى مذهب جهم لكان لهذا النبأ شأن عظيم في كتب الأنباء و الرواية و لما انفرد بمثل ذلك الخبر يحيى بن يعلى المجهول عن نعيم بن حماد الهالك عن نوح الجامع لكل شيء غير الصدق و لا كان انفرد أحمد بن جعفر بن نصر عن يحيى المذكور و لا أبو الشيخ بن حيان صاحب كتاب العظمة الذي يحوي كل هائف و قد ضعفه بلديه الحافظ العسال، و قد أشار البيهقي بقوله (إن صحت الحكاية) إلى ما في الرواية من وجوه الخلل و عندما حذف الذهبي هذا اللفظ يظن من لا خبرة عنده بالرجال أن الإله في السماء قول فقيه الملة إمام شطر هذه الأمة بل ثلثيها في جميع القرون مع بطلان رواية ذلك عنه بالمرة و لأبي حنيفة كلمة في الفقه الأبسط رواية أبي مطيع عنه و هي (من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض كفر) و علل الأصحاب ذلك بأن هذا القائل جوز المكان في حقه تعالى و هو كفر؟ و ما طبع في الهند باسم شرح الفقه الأكبر للماتريدي إنما هو شرح أبي الليث على الفقه الأبسط مع سقم النسخة الهندية، و بدار الكتب المصرية نسخة خطية جيدة من شرح أبي الليث. و قد زاد أبو إسماعيل الهروي في الفروق على تلك الكلمة ما شاء من كيسه مما يوافق مذهبه في التجسيم كذباً و زوراً بسند مركب، و نقل الذهبي في كتاب العلو جملة ذلك بدون أن يذكر سند الهروي في روايته تعمية و ترويجاً للباطل، و كذا فعل الناظم في غزوه ـ راجع شرح أبي الليث و شرح البزدوي و إشارات المرام في عبارات الإمام للبياضي، و دفع الشبه للتقي الحصني و شرح الفقه الأكبر لعلي القارئ فيما نقله عن ابن عبدالسلام و لم يراقب الله من زاد على الكلمة السابقة ما أشرنا إليه كما وقع في

بعض نسخ الكتاب المذكور من عهد ذلك الهروى. و قد روى الذهبى فى كتاب العلو أيضاً عن الدار قطنى الأبيات المعروفة عند المجسمة بسند يقول فيه أنبأنا أحمد بن سلامة عن يحيى بن بوش أنبأنا ابن كادش أنشدنا أبوطالب العشارى أنشدنا الدار قطنى: حديث الشفاعة فى أحمد. إلى أحمد المصطفى بسنده الأبيات (و آخرها كما فى بدائع الفوائد لابن القيم ٤ ـ ٣٩).

فــلا تنكــروا أنــه قاعــد و لا تجحــدوا أنــه يقعــد

فأحمد بن سلامة الحنبلى شيخ الذهبى مات سنة ٦٧٨ و الذهبى ابن خمس، و يحيى بن أسعد بن بوش الحنبلى الخباز المتوفى سنة ٥٩٣ و أحمد بن سلامة ابن أربع كان أمياً لا يكتب، و أبو العز بن كادش أحمد بن عبيدالله المتوفى سنة ٥٢٦ من أصحاب العشارى اعترف بالوضع و يقال ثم تاب، راجع الميزان. و حكم مثله عند أهل النقد معروف، و أبو طالب محمد بن على العشارى الحنبلى المتوفى سنة ٤٥٢ مغفل يتقن ما يلقن، و قد راجت عليه العقيدة المنسوبة إلى الشافعى كذباً، و كل ذلك باعتراف الذهبى نفسه فى الميزان و غيره، فهل يصح عزو تلك الأبيات إلى الدار قطنى بمثل هذا السند؟ و قال الذهبى أيضا فى العبر فى ترجمة أبى يعلى الحنبلى: (صاحب التصانيف و فقيه العصر كان إماما لايدرك قراره و لا يشق غباره و جميع الطائفة معترفون بفضله و مغترفون من بحره). و أنت علمت حال أبى يعلى مما ذكره ابن الجوزى فى دفع الشبه، و مما نقلناه عن كتبه فى هذا الكتاب و مما ذكره ابن الأثير فى الكامل فى حوادث سنة ٤٢٩، و ترى الذهبى كثيرا ما يقول فى رد ما أخرجه الحاكم فى المستدرك فى فضائله ﷺ و أهل بيته ﷺ: أظنه باطلاً. بدون ذكر أى حجة، و قد ذكر ابن الوردى فى تاريخه أنه آذى كثيرا من الأحياء بتدوين ما كان يسمعه من أحداث يجتمعون به.

و فيما ذكرنا كفاية فى معرفة حال الذهبى نسأل الله السلامة، وله رسالة إلى ابن تيمية ينصحه فيها و يمنعه من المغالاة، و سبق نشرها مع زغل العلم له. و ترى الذهبى مع ثنائه البالغ فى حق ابن تيمية فى كثير من كتبه يقول عنه: «و قد أوذيت من الفريقين من أصحابه و أضداده و أنا مخالف له فى مسائل أصلية و فرعية اهـ كما فى الدرر الكامنة، و يقول عنه أيضاً: إنه أطلق عبارات أحجم عنها الأولون و الآخرون و هابوا و جسر هو عليها اهـ» نقله ابن رجب عنه فى طبقاته. و يقول عنه أيضا فى زغل العلم (ص١٧).. و قد تعبت فى وزنه و تفتيشه حتى مللت فى سنين متطاولة، فما وجدت الذى أخره بين أهل مصر و الشام و مقتته نفوسهم وازدروا به و كذبوه و كفروه إلا الكبر و العجب و فرط الغرام فى رياسة المشيخة و الازدراء بالكبار، فانظر كيف و بال الدعاوى و محبة الظهور.. و ما دفع الله عنه و عن أتباعه أكثر، و ما جرى عليهم إلا بعض ما يستحقون فلا تكن فى ريب من ذلك اهـ».



قال:

إن المعطل بالعداوة معلن
و المشركون أخف في الكفران
ما لمن يعتقد في المسلمين هذا إلا السيف[1]

ويقول عنه أيضاً فى (ص٢٣) من زغل العلم:«.. و قد رأيت ما آل أمره إليه من الحط عليه و الهجر و التضليل و التكفير و التكذيب بحق و بباطل فقد كان قبل أن يدخل فى هذه الصناعة منوراً مضيئاً على محياه سيما السلف ثم صار مظلماً مكسوفاً عليه قتمة عند خلائق من الناس، و دجالاً أفاكاً كافراً عند أعدائه، و مبتدعاً مضلا محققا بارعاً عند طوائف من عقلاء الفضلاء، و حامل راية الإسلام، و حامى حوزة الدين و محيى السنة عند عموم عوام أصحابه اهـ». و هذه الكلمات نقلها السخاوى عنه أيضاً فى (الإعلان بالتوبيخ) و من الخطأ الفاحش عزوها إلى (قمع المعارض) للسيوطى اغتراراً بوضع رقم التعليق فى (القول الجلى) غلطا عند كلمة (قمع المعارض) مع تصحيف (زغل العلم) إلى (رجل العلم) بعد أسطر فى الطبعتين مع أن أصل التعليق كان على (زغل العلم) المصحف إلى (رجل العلم) كما نبهت على ذلك فيما علقته على الزغل المطبوع و إن لم ينفع تنبهى عند أناس لا يوقظهم من سباتهم العميق غير نفخة الصور و نسبة (زغل العلم) إلى الذهبى ليست بموضع ريبة أصلا، و هو من المخطوطات المحفوظة فى التيمورية بدار الكتب المصرية و سنأتى إن شاء الله تعالى فى آخر الكتاب بصورة رسالة الذهبى التى بعث بها إلى ابن تيمية ينصحه فى شواذه و يكفى ما ذكرناه هنا فى تبيين نظر الذهبى لابن تيمية مع أنه من أهل مذهبه المنخدعين به فنسجل للذهبى هذه الحسنات كتسجيلنا لسيئاته المذكورة مراعاة للعدل فيما له و فيما عليه و إيقاظا للمغترين به، والله ولى الهداية.

١ . لإن ذلك زندقة مكشوفة و مروق ظاهر و إصرار على اعتقاد الإيمان كفراً قبحه الله كيف يعتقد فى المشركين أنهم أخف فى الكفر من المؤمنين المنزهين و الشيخ الإمام المصنف رحمه الله رجل معروف بالورع البالغ و اللسان العفيف و القول النزيه لا تكاد تسمع منه فى مصنفاته كلمة تشم منها رائحة الشدة، و لينظر القارئ حاله هذا مع قوله فى ابن القيم (ما له إلا السيف) إنه إن فكر فى هذا قليلا علم العلم القاطع أن هذا الناظم بلغ فى كفره مبلغاً لا يجوز السكوت عليه و لا يحسن لمؤمن أن يغضى عنه و لا أن يتساهل فيه.



فصل: فى أسبق الناس دخولا إلى الجنة

قال: «وروى ابن ماجة أن أولهم يصافحه[١] إله العرش ذوالإحسان فاروق دين الله».

فصل: في عدد الجنات

قال: سبحان من رست يداه[٢] جنة الفردوس ويداه أيضاً أتقنت لبنائها، هى فى الجنان كآدم لكنما الجهمى ليس لديه من ذا الفضل شىء فهو ذو نكران. إنما ينكر العضو و الجارحة فإن كانت أنت تثبتها فاعرف.

قال: «ولد عقوق والده ولم يثبت بذا فضلاً عن الشيطان».

مايستحيى يكذب على الناس.

قال: «ولقد روى حقّا أبوالدرداء ذاك عويمر أثراً عظيم الشأن يهتز قلب العبد عند سماعه طرباً بقدر حلاوة الإيمان ما مثله أبداً يقال برأيه فيه النزول[٣]

---

١ . قاتله الله، حديث موضوع يستدل به وشأن هذا الخبر فى السقوط فوق أن يقال بين رجاله ضعيف بل بينهم ضعيف ومنكر الحديث وآخر قدرى خلا استحالة المتن وابن كثير أهون شراً من الناظم حيث أنكره جدّا فى جامع المسانيد (قال المنبجى الحنبلى فى إثبات المماسة): قال ابن تيمية والمعروف عند أئمة أهل السنة وعلماء أهل الحديث أنهم لا يمتنعون عن وصف الله أنه يمس ما شاء من خلقه بل يروون فى ذلك الآثار ويردون على من نفاه. انتهى ذكره فى الأجوبة المصرية). قاتله الله، ماأجرأه على الله.

٢ . خلق الله أدم بعناية خاصة و بدون سببية والدٌ وأمٌ هذاالمعنى المجازى يعقله كل من عنده ذوق العربية و أما الخبر الذى يشير إليه الناظم ففى سنده ابن على زيد بن جدعان لا يحتج به.

٣ . هذا الخبر الموقوف ليس بثابت عن أبى الدرداء فضلاً عن ثبوت رفعه إليه ﷺ. و فى سنده زيادة بن محمد الأنصارى، قال البخارى هو منكر الحديث و قال ابن حبان يروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك، نقله ابن الجوزى و لعلك علمت بذلك مبلغ قيمة ما يحتج به هذا البجباج النفاج.



ثلاث ساعات: فإحداهن ينظر في الكتاب، الثاني: يمحو و يثبت ما يشاء بحكمة، و الساعة الأخرى إلى عدن أهله هم صفوة الرحمن و الساعة الأخرى إلى هذه السماء يقول هل من تائب ندمان».

الظاهر أنه ما ساق أبواباً في صفة الجنة إلا ليذكر هذا الحديث و أيضاً ليسكت الناس بسماع صفات الجنة فيقبلون على هذه القصيدة و يعكفون عليها فيفتنهم، أسأل الله العافية و يحق له اسم الحشوي لأن الباطل محشو في هذه القصيدة اللحناء.

قال: «روى ابن ماجة مسنداً عن جابر بينا هم في عيشهم إذا بنور ساطع رفعوا رؤسهم فرأوه نور الواحد و إذا بربهم تعالى فوقهم[1] قد جاء للتسليم و قال السلام عليكم جهراً، و مصداقه ﴿سَلامٌ قَولاً مِّن رَّبٍ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨] من رد ذا فعلى رسول الله رد» الذي يحمله على محمل صحيح لا يرده والذي يحمله على صفات الأجسام هو الذي يرد ما يجب.

فصل: في يوم المزيد[2]

قال: «فيرون ربهم تعالى جهرة و يحاضر الرحمن واحدهم محاضرة الحبيب يقول يا بن فلان، هل تذكر اليوم الذي قد كنت فيه مبارزاً بالذنب قالوا يحق لنا و قد كنا إذاً جلساء رب العرش».

---

١ . قال الذهبي إسناده ضعيف و قال ابن الجوزي موضوع و قال العقيلي: أبو عاصم العباداني ـ في سنده ـ منكر الحديث لايتابع عليه. و أما الفضل الرقاشي في السند فممن لايكتب حديثه و بمثل هذا الخبر يحتج الناظم في تكييف الرؤية.

٢ . جمع طرقه أبوبكر بن أبي داود ذالك الكذاب الزائغ و سبق بيان أن ابن عساكر ألف جزءاً في توهين طرقه فتذكر. و لفظ الجلساء لم يقع إلا في بعض الطرق الواهية لحديث يوم المزيد، راجع جزء ابن عساكر.



فصل

كله فيها للعبد عند ربه فى الآخرة و لو كان مفرداً بالتصنيف كان حسناً، ولكن إدخاله فى قصيدة انتصب فيها للحكم بين الحشوى و خصومه و إسعار الحرب بينهم لأى معنى؟

فصل

رجع فيه إلى ما كان عليه مما فى نفسه و ذكر خصومه و فصول معه ذكر فيها فرق المعادين له.

فصل

ختم به الكتاب فيه شىء يسير ولكن هذا آخر كلامنا فى ذالك والله المستعان.

قال المؤلف شرعت فيه يوم السبت الرابع والعشرين من صفر سنة ٧٤٩
و فرغت منه يوم السبت مستهل ربيع الأول من السنة

والحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

حسبنا الله و نعم الوكيل

«تم السيف الصقيل» [١]

---

١ . خاتمة السيف الصقيل

فيكون تأليف السبكى لهذا الكتاب قبل وفاة ابن القيم بنحو سنتين. هذا و كنا وعدنا عند الكلام على الذهبى أن نأتى فى آخر الكتاب بصورة رسالة بعث بها الذهبى إلى ابن تيمية يحذره فيها عواقب إصراره على الشذوذ عن جمهور العلماء فى مسائل أصلية و فرعية و قد ظفرنا بها بخط التقى ابن قاضى شهبة منقولاً عن خط البرهان ابن جماعة المنقول من خط الحافظ أبى سعيد

←

الصلاح العلائى المنسوخ من خط الشمس الذهبى نفسه، و خط التقى ابن قاضى شهبة معروف و توجد كتب بخطه فى دار الكتب المصرية و الخزانة الظاهرية بدمشق منها قطعة من طبقات الشافعية بدارالكتب المصرية، و منها ما انتقاه من التاريخ الكبير للذهبى مما يتعلق بتراجم الشافعية بالخزانة الظاهرية ففى إمكان الباحث الذى لا يعرف خط ابن قاضى شهبة أن يتأكد من خطه المقارنة، المأخوذ عن الرسالة المذكورة المحفوظة بدار الكتب المصرية و بين خطه المحفوظ فى الدار و الخزانة المذكورتين و إلى تلك الرسالة أشار السخاوى حيث قال فى الإعلان بالتوبيخ: «و رأيت له رسالة كتبها لابن تيمية هى فى دفع نسبته لمزيد تعصبه مفيدة». و ذلك فى صدد الدفاع عن الذهبى ردّا على من ينسبه لفرط التعصب كما ذكرت فى صدر الرسالة عند نشرها مع الزغل قبل سنين.

مقدمة رسالة الذهبى إلى ابن تيمية

و قبل الرسالة لابد من ذكر مقدمة هنا ليكون القارئ على بينة من أمر ابن تيمية و هى أن ابن تيمية هذا ولد بحران ببيت علم من الحنابلة و قد أتى به والده الشيخ عبد الحليم مع ذويه من هناك إلى الشام خوفاً من المغول، و كان أبوه رجلاً هادئاً أكرمه علماء الشام و رجال الحكومة حتى ولوه عدة وظائف عليمة مساعدة له، و بعد أن مات والده ولوا ابن تيمية هذا وظائف والده بل حضروا درسه تشجيعاً له على المضى فى وظائف والده و أثنوا عليه خيراً كما هو شأنهم مع كل ناشئ حقيق بالرعاية و عطفهم هذا كان ناشئًا من مهاجرة ذويه من وجه المغول يصحبهم أحد بنى العباس ـ وهو الذى تولى الخلافة بمصر فيما بعد ـ و من وفاة والده بدون مال و لا تراث بحيث لو عين الآخرون فى وظائفه للقى عياله البؤس و الشقاء، و كان فى جملة المثنين عليه التاج الفزارى المعروف بالفركاح وابنه البرهان و الجلال القزوينى و الكمال الزملكانى و محمد بن الجريرى الأنصارى و العلاء القونوى و غيرهم، لكن ثناء هؤلاء غر ابن تيمية ـ ولم ينتبه إلى الباعث على ثنائهم ـ فبدأ يذيع بدعاً بين حين و آخر و أهل العلم يتسامحون معه فى الأوائل باعتبار أن تلك الكلمات ربما تكون فلتات لا ينطوى هو عليها، لكن خاب ظنهم و علموا أنه فاتن بالمعنى الصحيح فتخلوا عنه واحداً إثر واحد على توالى فتنه، كما سبق و الذهبى كان من أشياعه و متابعيه إلا فى مسائل، لكنه لما وجد أن فتنه تأخذ كل مأخذ و لم يبق معه سوى مقلدة الحشوية و المنخدعين به و هم شباب بدأ يسعى فى تهدئة الفتنة، مرة يكتب إلى أضداده لأجل أن يخففوا لهجتهم معه كما فعل مع السبكى على رواية ابن رجب ولم نطلع على غير صدر الجواب على تقدير صحة ذلك الصدر ـ و مرة يكتب هذه الرسالة إلى ابن تيمية نفسه.

نص الرسالة

إليك الرسالة بالحروف المعتادة مع عنوانها:

رسالة كتب[1] بها الشيخ شمس الدين أبو عبدالله الذهبي إلى الشيخ تقى الدين اين تيمية كتبتها[2] من خط قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة رحمه الله و كتبها هو من خط الشيخ الحافظ أبى سعيد بن العلائى و هو كتبها من خط مرسلها الشيخ شمس الدين.

الحمد الله على ذلتى، يا رب ارحمنى و أقلنى عثرتى. و احفظ علىّ إيمانى. واحزناه على قلة حزنى، وا أسفاه على السنة و ذهاب أهلها. واشوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاونوننى على البكاء. واحزناه على فقد أناس كانوا مصابيح العلم و أهل التقوى و كنوز الخيرات. آه على وجود درهم حلال وأخ مونس، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، و تبًا لمن شغله عيوب الناس عن عيبه. إلى كم ترى القذاة فى عين أخيك و تنسى الجذع فى عينك!. إلى كم تمدح نفسك و شقاشقك وعباراتك و تذم العلماء و تتبع عورات الناس مع علمك بنهى الرسول ﷺ **«لا تذكروا موتاكم إلا بخير، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»** بلى أعرف انك تقول لى لتنصر نفسك: إنما الوقيعة فى هؤلاء الذين ماشموا

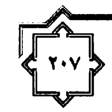
---

١ . بتضمين (بعث).

٢ . و الكاتب هوالتقى ابن قاضى شهبة و قد ذكر فى طبقات الشافعية أنه اطلع على مجاميع و فوائد بخط البرهان ابن جماعة.



رائحة الإسلام و لا عرفوا ما جاء به محمد ﷺ. و هو جهاد. بلى والله عرفوا خيرا كثيرا مما إذا عمل به العبد فقد فاز و جهلوا شيا كثيرا مما لا يعنيهم، و من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعينه. يا رجل بالله عليك كف عنا فانك محجاج عليم اللسان لا تقر و لا تنام. إياكم والغلوطات فى الدين كره نبيك المسائل و عابها و نهى عن كثرة السؤال و قال: «**إن أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان**» و كثرة الكلام بغير زلل تقسى القلوب إذا كان فى الحلال و الحرام، فكيف إذا كان فى عبارات اليونسية والفلاسفة و تلك الكفريات التى تعمى القلوب. والله قد صرنا ضحكة فى الوجود فإلى كم تنبش دقائق الكفريات الفلسفية لنرد بعقولنا، يا رجل قد بلعت (سموم) الفلاسفة و تصنيفاتهم مرات. و كثرة استعمال السموم يدمن عليه الجسم و تكمن والله فى البدن. واشوقاه إلى مجلس فيه تلاوة بتدبر و خشية بتذكر و صمت بتفكر. و آها لمجلس يذكر فيه الأبرار فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة. بلى عند ذكر الصالحين يذكرون بالازدراء و اللعنة. كان سيف الحجاج و لسان ابن حزم شقيقين فواخيتهما بالله خلونا من ذكر بدعة الخميس و أكل الحبوب و جدّوا فى ذكر بدع كنا نعدها من أساس الضلال قد صارت فى محض السنة و أساس التوحيد و من لم يعرفها فهو كافر أو حمار، و من لم يكفر فهو أكفر من فرعون. و تعد النصارى مثلنا، و الله فى القلوب شكرك إن سلم لك إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد. يا خيبة من اتبعك فإنه معرض للزندقة والانحلال و لا سيما إذا كان قليل العلم والدين باطوليّا شهوانيّا. لكنه ينفعك ويجاهد عندك بيده و لسانه و فى الباطن عدو لك بحاله و قلبه فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل أو عامى كذاب بليد الذهن أو غريب واجم قوى المكر أو ناشف صالح عديم الفهم، فإن لم تصدقنى ففتشهم و زنهم بالعدل، يا مسلم أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك. إلى كم تصادقها و تعادى الأخيار. إلى كم تصادقها و

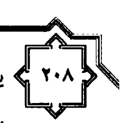


تزدرى الأبرار. إلى كم تعظمها و تصغر العباد. إلى متى تخاللها و تمقت الزهاد. إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح ـ و الله ـ بها أحاديث الصحيحين. يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك بل فى كل وقت تغير عليها بالتضعيف و الإهدار أو بالتأويل و الانكار، أما آن لك أن ترعوى؟ أما حان لك أن تتوب و تنيب؟ أما أنت فى عشر السبعين و قد قرب الرحيل. بلى و الله ما أذكر انك تذكر الموت بل تزدرى بمن يذكر الموت فما أظنك تقبل على قولى و لا تصغى إلى وعظى بل لك همة كبيرة فى نقض هذه الورقة بمجلدات و تقطع لى إذناب الكلام و لا تزال تنتصر حتى أقول: و ألبتة سكت. فإذا كان هذا حالك عندى أنا الشفوق المحب الواد فكيف حالك عند أعدائك وأعداؤك ـ و الله ـ فيهم صلحاء و عقلاء و فضلاء كما أن أولياءك فيهم فجرة و كذبة و جهلة و بطلة وعور و بقر. قد رضيت منك بأن تسبني علانية و تنتفع بمقالتى سرّا «**فرحم الله امرءاً أهدى إلى عيوبى**» فإنى كثير العيوب غزير الذنوب. الويل لى إن أنا لا أتوب. و وافضيحتى من علام الغيوب و دوائى عفو الله و مسامحته و توفيقه و هدايته و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمدخاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

و هنا انتهت رسالة الذهبى إلى ابن تيمية و فيها عبر بالغة. و ليكن هذا آخر تكملة الرد على نونية ابن القيم و بها يكون إن شاء الله تعالى (تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم).

لماذا يقال للناظم ابن القيم

و قد عُرف الناظم بابن القيم حيث كان أبوه قيم المدرسة الجوزية الحنبلية التى أنشأها محيى الدين ابن الحافظ أبى الفرج ابن الجوزى الحنبلى بسوق القمح المعروفة اليوم بالبزورية بدمشق، و الغالب أن يقال له ابن قيم الجوزية لئلا



يلتبس بابن القيم الكبير المصرى الراوى عن الفخر الفارسى فإنه معمر مقدم، و بذالك يعلم أن من يقول عنه: (ابن القيم الجوزى) واهم وهما قبيحا و إنما هو (ابن قيم الجوزية) كما قلنا ـ و يجد القارى الكريم في كتابنا هذا الرد على ابن تيمية كما يجد فيه الرد على ابن القيم باعتبار أن الثانى إنما يردد صدى الأول فى أبحاثه كلها دون أن تكون له شخصية خاصة بل هو ظل الأول فى كل آرائه و جميع أهوائه فانتظمهما الرد و لعل فيما رددنا به عليهما كفاية للمنصف و قطعا لعذر كل متعسف. و أما من تعود أن يقول: (عنزة و إن طارت) فليس خطابي معه ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

خاتمة تكملة الرد

و كان فراغى من إعادة النظر فى الكتاب بمنزلى فى آخر العباسية بمصر القاهرة ـ حرسها الله تعالى ـ صحوة يوم الخميس المصادف لليوم الثالث من رجب سنة ١٣٥٦ وأسأل الله سبحانه أن ينفع به المسلمين وأن يجعله ذخرا لى يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم إنه المجيب البر التواب الرحيم. وأنا الفقير إلى عفو الله و مسامحته «محمدزاهد ابن الحسن بن على الكوثرى» خادم العلم بدار السلطنة العثمانية سابقا عفا الله عن سيئاته ورفع منزلته ومنازل ذويه فى الآخرة وأغدق عليه وعلى قرابته ومشايخه سحب رحمته ورضوانه وغفر لهم ولسائر المسلمين أجمعين..

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصباح الأنام وجلاء الظلام في ردّ شبه البدعي النجدي التي أضلّ بها العوام

تأليف:

العلامة الحبيب علوي بن أحمد بن حسن بن قطب الارشاد الحبيب

عبد الله بن علوي الحداد

ويليه:

رسالة فيما يتعلق بادلة جواز التوسل بالنبي وزيارته

صلى الله عليه وسلم

تأليف: شيخ الاسلام السيد أحمد بن زيني دحلان رحمة الله

تحقيق: علي ملا موسى ميبدي

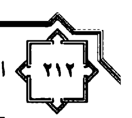


بن علوي الحدّاد

هو علوي بن أحمد بن الحسن بن قطب الإرشاد الحبيب عبد الله بـن علـوي الحداد الحسيني الشافعي، من السادات الحسينيين و أحد الصوفيين المعـروفين في منطقة حضرموت، و كان جدّه من أقطاب الصوفية المشهورين في تلك المنطقـة. و تشير مؤلّفاته إلى أنه كان صوفياً أشعرياً شافعيّ المذهب، و كان يسمّي الوهابية بالحشوية.

ولعلوي بن أحمد كتاب اسمه (مصباح الأنام و جلاء الظـلام) يـضمّ (٩٢) صفحة من القطع الرّحلي، طُبع طبعة حجرية و نشر في سنة (١٣٢٥هـ) في مصر بواسطة مطبعة (العـامرة الـشرفية)، أي بعـد خمـس سـنوات مـن ظهـور مجـدّد الوهابية في منطقة نجد، و وردت في حاشية ذالك الكتاب رسالة بعنوان (رسالة فيما يتعلق بأدلّة جواز التوسّل بـالنبي و زيارتـه ﷺ و أنّهـا مـن القُرُبـات) مـن تأليف الشيخ أحمد زيني دحلان الشافعي المذهب.

ومن المميزات التي يتّصف بها الكتاب المذكور استشهاده بـالكثير مـن آثـار الآخرين مع ذكر كتبهم و أسماء مؤلّفيهـا مـا يـشير إلى إلمـام علـوي و اطّلاعـه بالموضوعات و تبحّره في هـذا المجـال. كما أنّ الكتـاب المـذكور أورد عنـاوين العديد من الكتب و المصادر التي صنّفها علماء أهل السنة في ذالك الزمان في نَقد آراء محمّد بن عبد الوهاب و الردّ على عقائده. هذا، و قد اشتمل كتاب (مصباح



الأنام و جلاء الظلام) على مجموعة كبيرة من كرامات العرفاء و الصوفيين. و جدير بالذكر أنّ المؤلّف قام بنَقد أفكار محمّد بن عبد الوهاب و الردّ على آرائه بأسلوب صوفيّ جميل و يمكن ملاحظة بعض أوجه الشّبه و الاشتراك بين أسلوبه و آرائه و بين أسلوب و آراء الشيعة و الأشاعرة.

يُعرّف المؤلّف نفسه في مقدّمة كتابه باسم علوي بن أحمد بن حسن بن عبد الله بن حداد بن حسيني الشافعي المذهب، و يذكر أنّه علم بظهور فتنة الوهابية أثناء سَفره من حضرموت إلى عُمان، فعمد أوّلاً إلى تأليف كتاب تحت عنوان (السيف الباتر لعنق المنكر على الأكابر) ثمّ صنّف كتابه الآخر المسمّى (مصباح الأنام و جلاء الظلام في ردّ شُبهة البدعي النجدي التي أضلّ بها العوام). و تجدر الإشارة إلى أنّنا لا نملك مزيداً من المعلومات حول حياته و سيرته أكثر ممّا جاء في كتاب (مصباح الأنام).

مجيد فاطمي نژاد

باحث في مؤسسة دار الاعلام

لمدرسة اهل البيت عليهم السلام

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله كاشف الكروب * ومجلي الخطوب * وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا ونبينا وشفيعنا محمد الحبيب المحبوب * وعلى آله وأصحابه وأوليائه الذين من توسل بهم نال كل مطلوب * وأشهد أن لا اله الاّ الله وحده لا شريك له الواحد المنان * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المصطفى من عدنان * صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه ما تعاقب الدهور والازمان.

(و بعد) فأقول وأنا الراجي عفو الله الجواد * علوي ابن السيد العلامة أحمد ابن العارف بالله الحسن ابن القطب الغوث عبد الله بن علوي الحداد باعلوي الحسيني الشافعي النريمي لما سافرنا من حضرموت إلى عمان ورأينا من الثقات من ينقل الينا من البدع العظيمة من النجدي صاحب الدرعية واجبنا عما سئلنا عنه بكتاب سميناه السيف الباتر لعنق المنكر على الاكابر.

ثم انه بحمد الله نفع الله به أمة من الناس ثم اني رأيت وسمعت بأمور عظيمة من البدعي النجدي حدثت في بلدان عمان وذالك لموت العلماء بها وبقي من يسمع لكلامه قليلون وبدا الدين غريبا وسيعود كما بدا كما اتي عن صاحب الدين سيد المرسلين.

ورأيت أربعة فصول لبعض العلماء احببت ان اتبعها بثلاثة عشر فصلا فيكون الجميع سبعة عشر فصلا فكان كتابا حافلا وسميته مصباح الانام وجلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام * أرجو من الله أن ينفع به كافة المسلمين ويجعل ما جمعته من كلام العلماء وتأليفهم خالصا لوجهه



الكريم * ولا لي الا الجمع فقط مع اني لم أقف حال التأليف ولا قبله على كتاب مبسوط في الرد على شبه هذا البدعي النجدي وسمعت بكتب مؤلفة في الرد عليه وعلى شرح رسائل له.

فمن الذين ردوا عليه الشيخ أحمد بن علي القباني صاحب البصرة الذي شرح رائية سيدنا القطب عبد الله بن علوي الحداد * اذا شئت أن تحيا سعيدا مدى العمر الخ والشيخ عطاء المكي الف رسالة سماها الصارم الهندي في عنق النجدي الخ ورأيت رسائل للامام عبد الله بن عيسى المويسي في الرّد والشيخ أحمد المصري الاحسائي شرح رسالة ورد عليه والشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق رد عليه بكتاب سماه تهكم القلدين بمدعي الدين * وأظهر عجزه اما سأله بسؤالات ثم قال له ولا أكلفك الا الاستخراج من الكتب المصنفة مع ان المستنبط له ملكة راسخة في نفسه يدرك بها جميع ذالك من غير مراجعة.

فمن سؤالاته له فأسألك عن قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾[1] إلى آخر السورة التي هي من قصار المفصل كم فيها من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية وكم فيها من مجاز مرسل ومجاز مركب واستعارة حقيقة واستعارة وفاقية واستعارة عنادية واستعارة عامية واستعارة خاصة واستعارة أصلية واستعارة تبعية واستعارة مطلقة واستعارة مجردة واستعارة مرشحة وموضع اجتماع الترشيح والتجريد فيهما وموضع الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية وما فيها من التشبيه الملفوف والمفروق والمفرد والمركب والتشبيه المجمل والمفصل وما فيها من الايجاز والاطناب والمساواة والاسناد الحقيقي والاسناد المجازي المسمي بالمجاز الحكمي وأي موضع فيها وضع المضمر موضع المظهر وبالعكس وموضع ضمير الشأن وموضع الالتفات وموضع

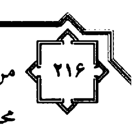
---

١ . العاديات: ١.

الفصل والوصل وكمال الاتصال وكمال الانقطاع والجامع بين جملتين متعاطفتين ومحل تناسب الجمل ووجه التناسب و وجه كماله في الحسن والبالغة وما فيها من ايجاز قصر وما فيها من ايجاز حذف وما فيها من احتراس وتتميم وبين لنا موضع كل ما ذكر وغير ذالك من وجوه الاعجاز ومن طـرق التحـدي التـي اشـتملت عليها هذه السورة القصيرة مما هو منصوص على جميعه ولم يقدر ابن عبد الوهاب على جواب شي مما سأله الامام الشيخ محمـد بـن عبـد الـرحمن بـن عفـالق رحمه الله وجزاه الله خيرا.

ورد على ابن عبد الوهاب الامام المحقق الشيخ عبـد الله بـن عبـد اللطيـف شيخه بكتاب سماه سيف الجهاد لمـدعي الاجتهـاد * وسـئل الـشيخ محمـد بـن سليمان الكردي المدني بمسائل ابتـدعها ابـن عبـد الوهـاب فـرد عـلى ابـن عبـد الوهاب ردا بليغا والجواب جعلناه خاتمة هذا الكتاب بحمد الله تعالى.

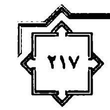
ثم رأيت جوابات للعلماء الاكابر من المذاهب الاربعة لا يحصون بعـد مـن أهل الحرمين الشريفين والاحـساء والبـصرة وبغـداد وحلـب والـيمن وبلـدان الاسلام نثرا ونظما أتي اليّ بمجموع رجل من آل ابن عبد الرزاق الحنابلـة الـذين في الزبارة والبحرين فيه رد علماء كثيرين ونحن على ظهر سفر ما أمكن نقل منـه وطالعته جميعه وتواتر عندي هفواته بنقلهم في كتبهم وبنقل الثقات مـن العلـماء الاخيار وغيرهم من رأى عـين وسـماع اذن مـن النجـدي واتباعـه وفي رسـائله وقوله وعمله وأمره هو واتباعه وقد سمعت الشيخ محمد بـن رومـي الحجـازي نفع الله به يروي عن شيخه المكاشف المحقق العلامة ولي الله بـلا نـزاع عـلي بـن مبارك الاحـسائي كـان تلميـذا لـه اذا دخـل عليـه يقـول لـه أنـت مـن أعـوان المهدي عليه السلام فيتعجب الحاضرون وظنوا ان المهدي عليه السلام يكون هذا التلميذ في وقته ومن عسكره ثم ان هذا التلميذ أمره الشيخ الكبير علي بن مبارك ان يحج في سـنة



من السنين حياة شيخه المذكور فحج فلما وصل مكة المشرفة وجد بعض تلامذة محمد بن عبد الوهاب وصلوا إلى عند حاكم مكة الشريف مسعود مرادهم مناظرة علماء مكة فجمعهم الحاكم بمكة عنده فكان بعض علماء مكة الحاضرين أحضر معه هذا التلميذ الذي يشير الشيخ علي بن مبارك اليه انه من اعوان المهدي فغلب الذين جاؤا بحججهم الداحضة تلامذة محمد بن عبد الوهاب لان أهل الاحساء أعرف بمواد ما يدعون به ولهم خبرة وممارسة بذالك بخلاف علماء مكة.

فلولا حضور ذالك التلميذ لما غلبوا وانقلبوا مغلوبين خاسئين فلما رجع التلميذ إلى عند شيخه علي مات فعرفوا مراد الشيخ بأنه من أعوان المهدي لما أدحض حجج تلامذة محمد بن عبد الوهاب * قلت وهكذا كل عالم ينشر السنة ويميت هذه البدعة وغيرها فهو من أعوان المهدي وكل من يحيي هذه البدعة ويحبها ويحب أهلها فاعلم انه هالك ويحشر مع من أحب.

وقد سمعت بكتاب مبسوط في عشرين كراسا سماه الصواعق والرعود ردا على الشقي عبد العزيز سعود وقد قرظ وكتب عليه أئمة من علماء البصرة وبغداد وحلب والاحساء وغيرهم تأييدا لكلام مؤلفه وثناء منهم عليه وقد أجادوا وبينوا فلما قمنا بتأليفنا هذا حصلت لنا هذه النسخة بحمد الله تعالى و وقفنا عليها جميعها وعلى كلام العلماء عليها فحمدنا الله على ذالك كثيرا ولو وقفنا قبل على هذه النسخة لما ألفنا كتابنا هذا واستغنينا بكتابه لكن كم خلف الاول للتالي ففي كتابنا مع صغر حجمه أشياء لم توجد في ذالك الكتاب وكتابنا سهل المأخذ مبوب أبوابا يحصل الطالب مراده وما كتابه الا شرح رسالة غير مبوبة ما يعرف المطالع ما فيها الا بقراءة جميعها لكنه جمع علوما جمة فيها ويصدق في المؤلف ما أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:



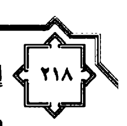
«ما ظهر أهل بدعة الا أظهر الله فيهم حجة على لسان من شاء من خلقه»[١] وهو أعلم بهم وأخبر وقد أقسم بالله بما حكاه عنهم من الافعال والاقوال فيحق فيه قول القائل:

نحن أدري وقد نزلنا بنجد ... أقصير طريقه أم طويل

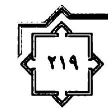
وقد جعلت على هامش النسخة التي وقعت لي مطالب ليعرف الطالب بما يرى في الهامش ما يريده والفضل للسابق ولو لم نكن على ظهر سفر لالحقت منها شيئا كثيرا لكن نلحق من المقدمة أحاديث في علامة هذا النجدي المبتدع وامثاله بيانا ظاهرا فيه أكثر وفي أمثاله مع ما سقته سابقا من الاحاديث فأسرد ذالك وألخص بعض الاحاديث ومن أراد أن تقر عينه فعليه به أي بكتاب الصواعق والرعود للشيخ العلامة البحر الفهامة عفيف الدين عبدالله بن داود الحنبلي فما أظنك تجد مثله حاكيا لك عن خبره ورأى رأي عين أفعالا وأقوالا لهؤلاء الطغام سابقهم ولاحقهم بما تصم عنه الآذان فيسرد لك الآن هنا بعضا منها لتنظر أولا هفواته عن حقيقة ويقين وخبرة فمن ذالك انه يضمر دعوى النبوة وتظهر عليه قرائنها بلسان الحال لا بلسان المقال لئلا تنفر عنه الناس ويشهد بذالك ما ذكره العلماء من ان عبد الوهاب كان في أول أمره مولعا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبا كمسيلمة وسجاح والاسود العنسي وطليحة الاسدي وأضرابهم وان أباه عبد الوهاب كان رجلا صالحا وانه تفرس في ولده هذه الشقاوة من حين صباه وكان يبغضه بغضا شديدا ويقول سيظهر منه فساد عظيم ومن ذالك أنه كان ينتقص النبي ﷺ كثيرا بعبارات مختلفة * منها قوله فيه انه طارش بمعنى ان غاية أمره انه كالطارش الذي يرسل إلى أناس في أمر فيبلغهم إياه ثم ينصرف * ومنها قوله اني نظرت في قصة الحديبية فوجدت فيها كذا وكذا كذبة

---

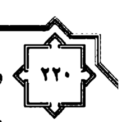
١ . كنز العمّال، ج١، ص٢٢٠.



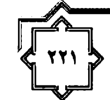
إلى غير ذالك مما يشبه هذا حتى ان اتباعهم يفعلون ذالك أيضا ويعلم بذالك ويظهر عليه الرضا به حتى كان بعضهم يقول عصاي خير من محمد لأنّها ينتفع بها بقتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلا وانما هو طارش ومضي وبهذا يكفر عند المذاهب الاربعة * ومن ذالك انه كان يكره الصلاة على النبي ﷺ ويتأذى من سماعها وينهى عن الجهر بها على المنائر ويؤذي من يفعله ومنع من الاتيان بها على المنائر ليلة الجمعة ولذالك أحرق دلائل الخيرات وغيره من كتب الصلاة على النبي ﷺ ويتستر بدعوى أن ذالك بدعة * ومن ذالك أنه منع من مطالعة كتب الفقه والحديث والتفسير وأحرق كثيرا منها * ومن ذالك أنه أذن لكل من تبعه ان يفسر القرآن بحسب فهمه حتى همج الهمج ولو كانوا لا يعرفونه حتى صار الذي لا يقرأ يقول لمن يقرأ اقرأ لي شيئا من القرآن وأنا أفسره لك فاذا قرأ له شيئا فسره له وأمرهم ان يعملوا بما فهموه منه وجعل ذالك مقدما على ما في كتب العلم ومن ذالك انه يدعي باطنا أنه أتى بدين جديد كما يظهر من قرائن أحواله وأقواله ولذالك لم يقبل من دين نبينا محمد ﷺ شيئا إلا القرآن فانه قبله ظاهرا فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره فينكشفوا عنه بدليل أنه هو واتباعه انما يؤولونه بحسب ما يوافق هواهم لا بحسب ما فسره النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير فانه لا يقول بذالك كما انه لا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبي ﷺ وأقاويل الصحابة رضي الله عنهم وما استنبطه العلماء من القرآن والحديث ولا يأخذ بالاجماع ولا القياس وغير ذالك مما اعتبروه ومما يؤيد ذالك أنه كان يكتب إلى عماله في بلاده الذين هم من الهمج أيضا اجتهدوا بحسب نظركم واحكموا بما ترونه مناسبا لهذا الدين ولا تلتفتوا إلى هذه الكتب فان فيها الحق والباطل ويؤيده أيضا ما زعمه الشقي المطرود عبد العزيز سعود القائم بعده بدينه بمجرد التقليد من أنه خاطب برسالة لاهل المشرق والمغرب



يدعوهم إلى التوحيد وانهم عنده مشركون شركا أكبر ومن ذالك ان ضابط الحق عنده ما وافق هواه وان خالف النصوص الشرعية واجماع الامة وضابط الباطل عنده ما لم يوافق هواه وان كان على نص جلي وأجمعت عليه الامة ومن ذالك وهو أعظمها انه كان يكفر جميع الناس من ستمائة سنة ومن لا يتبعه وان كانوا من اتقى المتقين فيسميهم مشركين ويستحل دماءهم وأموالهم ويثبت الايمان لكل من تبعه وان كان من أفسق الفاسقين وغاية شبهته في نسبة الشرك إلى غير اتباعه وهي التي بنى عليها أساس بدعته وزندقته وجميع قبائحه انه ادعى انهم يعظمون مشاهد الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومشاهد الاولياء نفعنا الله بهم تعظيما بليغا حتى صاروا يطلبون منهم ما لا يقدر عليه الا الله تبارك وتعالى وذالك بزعمه الفاسد والا فان الفاعل هو الله حقيقة اكراما منه لانبيائه وأوليائه اذا توسلوا بهم اليه كما وقع من النبي في الاحاديث الصحيحة عندما توسلوا به حيا وميتا سقاهم الله في حياته بنفسه استسقوا به وبعد مماته أمرتهم سيدتنا عائشة أم المؤمنين يفتحون كوّة حذاء قبره للشمس فسقوا لما فعلوا ذالك كما أتى في الحديث الصحيح عن مالك الدار الآتي وكم لاولياء الله من كرامات أحياء وأمواتا قام بها الاجماع وتواتر بها الخبر كالقطعي من غير نكير وزعم النجدي الفاسد انهم جعلوها شركاء مع الله تعالى عن ذالك علوا كبيرا وهذه الدعوى منه باطلة من وجوه بينها الشارح في مواضع أتم بيان منها أن هذا الاعتقاد الذي نسبه اليهم أمر قلبي لا يطلع عليه الا الله تعالى فمن أين اطلع عليه واعتقده فيهم على سبيل القطع حتى بنى عليه تكفيرهم بل تكفير من لم يكفرهم واستحلال دمائهم وأموالهم مع أن الظاهر من حالهم خلافه ومنها على تسليم ان ذالك شرك فهو من الشرك الاصغر كقول القائل * ضرني اللبن وذالك لا يقتضي الكفر لانه لم يعتقد في اللبن ما يعتقده في جناب الحق تبارك وتعالى من الالوهية



وكذالك هؤلاء مهما عظموا الانبياء والاولياء فانهم لا يعتقدون فيهم ما يعتقدون في جناب الحق تبارك وتعالى من الخلق الحقيقي التام العام وانما يعتقدون الوجاهة لهم عند الله في أمر جزئي وينسبونه لهم مجازا ويعتقدون ان الاصل والفعل لله سبحانه وتعالى ومن ذالك انه اذا أراد رجل ان يدخل في دينه يقول له اشهد على نفسك انك كنت كافرا واشهد على والديك انهما ماتا كافرين واشهد على العالم الفلاني والفلاني انهم كفار وهكذا فان شهد بذالك قبله والا قتله إلى غير ذالك مما ذكره الشارح من فضائحه وقبائحه وزندقته بل مما يدل على كفره وستأتي من هفواته هنا في الفصل الرابع عشر كثيرا نسردها كما هنا وأهم من ذالك كله ما ذكره النبي ﷺ الصادق المصدوق فيه أي النجدي كما بينه في مقدمة الشرح من الاحاديث الكثيرة المبينة لعلامات الخوارج مما يبين ان ابن عبد الوهاب واتباعه منهم كونهم من نجد وكونهم من الشرق ومعلوم ان نجدا شرقي المدينة كما جاء عنه ﷺ لولا الفجر يأتي من المشرق أي مشرق المدينة لما نظرت اليه وكون سيماهم التحليق مع كونهم من المشرق قال السيد العلامة عبد الرحمن ابن العلامة سليمان الاهدل مفتي زبيد في التصنيف والرد على النجدي الحديث الصحيح في البخاري قرن العلامتين سيماهم التحليق وانهم من المشرق واجتمعت الخصلتان فيهم (قلت) وفي غير ذالك من علامات كثيرة ذكرها في المقدمة وأورد في كل واحدة منها أحاديث وأثبت أنها كلها موجودة فيه وفي اتباعه وذالك من أجل هذا الشرح وأعظمها وسنورد لك هذا ملخصا لشي منها نلحقه بما قدمناه في الكتاب لاني رأيت خلقا بعمان وغيرها من الجهات دخل في قلوبهم مما أتى به فوجب البيان فمن العلامات الكثيرة من الاحاديث عن سيد الانام صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه على الدوام فمن ذالك ما أخرجه في المشكاة عن حذيفة رضي الله عنه قال: «**مَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَصْحَابِي أَمْ تَنَاسَوْا؟ وَاللهِ مَا تَرَكَ**



رَسُولُ الله ﷺ مِنْ قَائِدِ فِتْنَةٍ إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ الدُّنْيَا يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثَلَاثَمِائَةٍ فَصَاعِداً إِلَّا قد سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ واسمِ قبيلتِهِ»[1] رواه أبو داود وقد ذكر في حاشية البخاري عند قوله عليه الصلاة والسلام: «من علامات الساعة ان ترى الرعاة أهل البهم والابل يملكون الناس بالقهر ويتطاولون في البيان ومن علامات ابلهم انها سود وهم طوال الوجوه وصغار الاعيان على ابدانهم الكمودة وهم خضر وابدانهم سود انتهى وهذه العلامات في أهل نجد ويكفيك دعاء النبي ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه على أهل نجد انهم لا يزالون في شر وبلية من كذابهم ما بقيت الدنيا إلى ان يعصمهم الله، وسيأتي بعد وفي البخاري عن علي كرم الله وجهه اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْراً لِمَنْ قَتَلَهُمْ»**[2] رواه البخاري، وفي المشكاة في آخر حديثهم: **«شر من تظل السماء يومئذ علماؤهم منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود»**[3]، وقوله عليه الصلاة والسلام: **«منهم خرجت الفتنة»** المراد مسيلمة الكذاب وقولهم: **«فيهم تعود»** المراد ابن عبد الوهاب وأتباعه، وقال عليه الصلاة والسلام: **«يجيء أقوام من الشرق سيماهم التحليق أدق العيون يدّعون بالدين وليسوا من أهله لا يرحمون من بكاء ولا يجيبون من شكاء قلوبهم كزبر الحديد من قتل منهم واحدا فله أجر خمسين شهيدا»**[4] رواه مسلم ومع ذالك

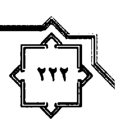
---

١ . مشكاة المصابيح، ج٣، ص١٤٨٤؛ سنن ابي داود، ج٤، ص٩٥.

٢ . صحيح البخاري، ج٩، ص١٦.

٣ . مشكاة المصابيح، ج١، ص٩١.

٤ . لم نعثر عليه.



فأعلمني بعض العلماء بحديث للبخاري في صحيحه الآتي انه لا يرجى للوهابية أهل نجد ومن تبعهم ان يرجعوا إلى الحق لان النبي ﷺ قال: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لاَ يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى فُوقِهِ**»[1] أي موضع وتره والحديث في البخاري قبل آخر حديث منه وفي البخاري عن أبي سعيد الخدري ؓ عن النبي ﷺ قال: «**يَخْرُجُ أَنَاسٌ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لاَ يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى فُوقِهِ**»، قِيلَ مَا سِيمَاهُمْ ؟ قَالَ: «**سِيمَاهُمْ التَّحْلِيقُ**»[2].

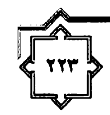
وفي المشكاة عن أنس وأبي سعيد الخدري ؆ عن رسول الله ﷺ قال: «**سَيَكون فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ قَوْمٌ يُحسِنونَ القولَ ويُسيئونَ الفِعلَ يقرؤون الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُروقَ السَّهمِ فِي الرَّمِيَّةِ لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يعود السَّهْمُ إلى فُوقِهِ هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ يَدْعُونَ إِلَى كتاب الله وَلَيْسُوا منَّا فِي شيءٍ مَنْ قاتلَهم كان أَوْلَى بِالله مِنْهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله مَا سِيمَاهُمْ؟ قَالَ: «التَّحْلِيقُ»**[3]، رواه أبو داود فما بعد هذه العلامة من الصادق المصدوق ﷺ أبين منها فيهم أظهر من نار على علم سيماهم التحليق يأمرون به ويعاقبون على من لا يفعله من ابتداء أمرهم إلى الآن فمن رجع إلى الهداية بعد علمه أن فيهم هذه الرواية سبقت له من الله العناية و ﴿**إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كلمَتُ رَبك لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كل آيَةٍ**﴾[4] قال السيد العلامة المنعمي في مطلع قصيدة له في الرد على النجدي لما قتل عدة لم يحلقوا رؤسهم قال:

---

١ و٢ . صحيح البخاري، ج٩، ص١٦٢.

٣ . مشكاة المصابيح، ج٢، ص١٠٥٢.

٤ . يونس: ٩٧ ـ ٩٦.



أفي حلق رأسي بالسكا كين والحد حديث صحيح بالاسانيد عن جدي

وقال ﷺ: «**إِنَّ أُنَاساً مِنْ أُمَّتِي سِيمَاهُمْ التَّحْلِيقُ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حلاقيمهم، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ**»[١] وقال ﷺ: «**يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيم كلما قطع قرن نشأ قرن حيّ يكون آخرهم مع المسيح الدجال**»[٢].

عن ابن عمر وفي البخاري عن النبي ﷺ وأشار إلى نجد: «**هناك تطلع الفتن والزلازل**»[٣].

وفي البخاري ومسلم عنه ﷺ: «**الفتنة هاهنا ـ أي من نجد ـ من حيث يطلع قرن الشيطان**»[٤]، وفي رواية: «**قرنا الشيطان**»[٥]، وبالتثنية أي مسيلمة وابن عبد الوهاب وفي مسلم رأس الكفر نحو المشرق أي مشرق المدينة نجد وفي رواية لمسلم: «**فيها غلظ القلوب والجفاء**»[٦] وفي الحديث الآخر: «**الكفر نحو المشرق**»[٧] أي نجد، وفي البخاري في الحديث في دعائه ﷺ للشام واليمن بالبركة ثلاثا قال ابن عمر رضي الله عنهما فلما قيل له: «**ونجدنا**»، قال: «**هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان**»[٨] رواه البخاري وهو من الاحاديث المتواترة التي يكفر جاحدها وفي البخاري: «**وبها**» الداء العضال وهو هلاك في الدين وكما يأتي في الحديث

---

١ . مسند احمد، ج٣٥، ص٤٢٣.

٢ . المستدرك على الصحيحين، ج٤، ص٥٣٣.

٣ . صحيح البخاري، ج٢، ص٣٣.

٤ . نفس المصدر، ج٤، ص١٨١.

٥ . مسند احمد، ج٣٧، ص٣٢.

٦ . صحيح مسلم، ج١، ص٧٣.

٧ . صحيح البخاري، ج٤، ص١٢٧.

٨ . نفس المصدر، ج٢، ص٣٣.



عنه ﷺ: **«انهم سفهاء الاحلام وانهم قوم رياء وحيل وقتال وحسد وبغي وقطيعة رحم وانهم لم يزالوا في بلية إلى آخر الدهر»**[١] وفي بعض التواريخ بعد ذكره لقتال بني حنيفة قال: «**ويخرج في آخر الزمان في بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام ولا يتعدى من ملكه نجد**» وأظن التاريخ للمسعودي صاحب مروج الذهب * وعنه ﷺ: «**إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ**»[٢] وهم رؤساء القوم ومن يدعوهم إلى فعل أو اعتقاد * وقد استنبط العلماء من مفهوم قول النبي ﷺ: «**يطلع منها**» أي نجد قرن الشيطان من معجزاته لانه أتى بالياء للاستقبال لان مسيلمة لعنه الله في حياته ﷺ طلع وادعى النبوّة وهلك في الاولياء تولاهم ولا ينتصفون لانفسهم ولا ينتصرون لها بل تولاهم الله لانه قال وهو يتولى الصالحين وان أخر عقوبة من آذى الانبياء بل وقتلهم الانبياء بغير حق وهم أشرف من الاولياء الى يوم القيامة ومع ذالك لم يقدح فى مقامهم العالى لانهم انما بلغوا هذا المقام العالى باتباعه ﷺ ولم ينتصف لنفسه قط ولهم فى رسول الله اسوة حسنة ويفرحون بمواضع القضاء وينظرون الفاعل الله فى كل شئ والاسباب آلات وأيضا فهم من أمثل ما يشدد عليه البلاء كما دل على ذالك قوله ﷺ فى الحديث الحسن المروى عن الطبرانى فى الكبير عن اخت حذيفة: «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنبِيَاءُ، ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل**»[٣] قال المناوى نقلا عن الراغب الامثل يعبر به عن الاشبه بالفضل والاقرب الى الخير انتهى * أما ما وقع من قوم يزيد بن معاوية بعد وقعة الحرة وقتل عشرة آلاف من الصحابة واخيار المسلمين بالحرة واباح المدينة الشريفة وراثت الدواب فى

---

١ . لم نعثر عليه.

٢ . سنن الترمذي، ج٤، ص٧٤.

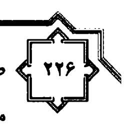
٣ . المعجم الكبير، ج٢٤، ص٢٤٥.



المسجد النبوى وعلى منبره وافتضت الابكار الكثيرة وحملهن والثيبات منهم حتى سموا أولادهم لكثرتهم باولاد الحرة وأما هدم المتوكل قبة السبط الشهيد الحسين بن على وما حواليها من الدور وجعلها مزارع واجتراء القرمطى على الكعبة وأخذ الحجر الاسود منها الى بلده ثم رده الله تعالى بعد امضاء قدره وقوم يزيد بن معاوية لما رمو الكعبة الشريفة بالمنجنيق وحرقها واحترق القرن الذى فى الكعبة من الكبش الذى فدى به نبى الله اسماعيل ابن النبى ابراهيم على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام وأفعال الحجاج القبيحة الشنيعة كقتله ابن الزبير ودسه على قتل ابن عمر بن الخطاب وقتله لاولياء الله تعالى حتى بلغوا آلافا مؤلفة ومنهم العلماء العاملون وكذالك أفعال بعض خلفاء بنى أمية من الجور بل والكفر كالوليد الزنديق الذى رمى المصحف بالسهام وأنشد أبياتا فهؤلاء كلهم أمهلوا وما جرى من التتار والقرامطة والفاطمية ما لا وقع مثله فى الاسلام قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلكن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[1] الآية والدنيا دار عمل والآخرة للجزاء دار عقاب وثواب (ثم قال الامام المناوي) بعد ذكره للامثل تنبيه قال ابن عدي هنا مسئلة يجب بيانها وهو أن الله تعالى يحب أنبياءه وأولياء ه والمحب لا يؤلم محبوبه ولا أحد أشد بلاء ولا ألما منهم فمن أين استحقوا هذا مع كونهم محبوبين قلنا ان الله تعالى يحبهم ويحبونه والبلاء لا يكون أبدا الا مع الدعوى فمن ادعى فعليه الدليل على صدق دعواه فلولا دعوى المحبة ما وقع في البلاء أي شاهده الذي قال للنبي ﷺ اني أحبك قال استعد للبلاء تجفافا قال المناوي ولما أحب الله تعالى من عباده من أحب رزقهم محبته من حيث لا يعلمون فوجدوا في نفوسهم حبه فادعوه فابتلاهم من حيث كونهم محبين وأنعم عليهم من حيث كونهم

---

١ . النحل: ٦١.

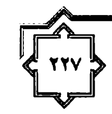


صادقين فانعامه عليهم دليل على صدق محبته فيهم وابتلاؤهم بها ابتلاهم لا أنه من هوانهم عليه كما دل عليه الحديث الذي رواه ابن ماجه وأبويعلى والحاكم عن أبي سعيد الخدري وقال الحاكم انه على شرط مسلم وأقره الذهبي: «**أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون**»[1] الحديث بطوله* قال المناوي لان أعظم البلاء سلب المحبوب وتحمل المكروه والمحبوبات مسكون اليها ومن أحب شيئا شغل به والمكروه مهروب منه ومن هرب من شئ أدبر عنه والامثلون أحباء الله تعالى فيسلبهم محبوبهم في العاجل ليرفع درجتهم في الآجل انتهى * وروى البخاري في التأريخ وهو حديث حسن عن ازواج النبي ﷺ: «**أَشَدُّ النّاسِ بَلاَءً فِي الدُّنيا نَبِيٌّ، أَو صَفيٌّ**»[2] قال القرطبي احب الله أن يبتلي أصفياءه تكملا لفضائلهم ورفعة لدرجاتهم عنده وليس ذالك نقصا في حقهم ولا عذابا بل كمال ورفعة مع رضاهم بجميع ما يجريه الله عليهم انتهى فاذا علمت أن البلاء رفعة لهم وذم ومقت للفاعل بهم الاذى من الخلق وانه قد آذنه الله بحرب منه الذي لا يطيق لمحاربة رب العالمين الانسان الضعيف الذي خلق من ماء مهين ومرده الى الطين وأما الاولياء فمقامهم العالي الرضا يرضون بما يرضى الله به لهم وانه المسلط عليهم للحديث المرفوع عن الله أسلط من أبغض على من أحب ولا أبالي. تحققت أن تأخير العقاب لمن آذاهم لا يقدح في ولايتهم وثبوت فضلهم فمن ظن ان ما يقع عليهم من البلاء والمصائب والاذى هوان لهم فقد ذهب لبه وعمى قلبه ألا ترى الى ذبح نبي الله يحيى وشقه بالمنشار والقاء النمرود نبي الله ابراهيم في النار ووضع السلا على ظهر سيد المرسلين وهو ساجد تحت الكعبة يصلي وكسر رباعيته وشق جبينه في أحد وقتل سيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا

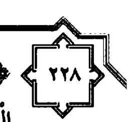
---

١ . المستدرك على الصحيحين، ج١، ص٩٩.

٢ . التاريخ الكبير، ج٨، ص١١٥.



عثمان بن عفان وسيدنا علي بن أبي طالب والحسين بن علي ومن معه من أهل بيته والزبير بن العوام رضي الله عنهم الجميع وكذا سعيد بن جبير رحمه الله وضرب أبي حنيفة رحمه الله وسجنه حتى مات في السجن وتجريد مالك رحمه الله من ثيابه وضرب بالسياط وجذب يده حتى انخلعت من كتفه وضرب أحمد بن حنبل رحمه الله سنينا بضرب حتى يغشى عليه وقطع من لحمه وهو حي والامر بصلب سفيان الثورى فاختفى وموت البويطى رحمه الله مسجونا ونفى البخارى رحمه الله من بلده وأعظم من ذالك كله ما حصل على الاكابر من أهل البيت منهم من مات مسجونا ومنهم من مات مسموما ومنهم من مات غريبا مطرودا ومنهم من قتل مظلوما الى غير ذالك مما يطول ذكره حتى فى وقت بعض الامراء الفجرة أمر ببيع الشرائف كالاماء الارقاء ومع ذالك لم تعجل العقوبة لمن فعل معهم ذالك وأيضا انها لم تحصل منهم نجدة على اهلاك من يؤذيهم لانهم كالانبياء أهل تحمل وتصبر فلا ينتصر أحدهم لنفسه قط وكما أنه ﷺ لم يثبت أنه انتصر لنفسه قط كذالك هم لانهم أجل ورثته وتبعه يقتفون بأثره رضوان الله عليهم أجمعين بل عدم انتقامهم يدل على تمسكهم بالكتاب والسنة فاياك ان تغتر بامهال الله لم فعل معهم ما فعل وتنكر فضلهم وتخوض فيهم مع الخائضين فان الله تعالى ليملى أى ليمهل للظالم حتى آذا أخذه لم يفلته كما ورد ذالك فى الحديث عن النبى ﷺ وورد كل شئ بقضاء وقدر حتى العجز والكيس والامر غير الارادة ففى الحديث لو أراد أن لا يعصى لما خلق ابليس لانه قضى على ما نهى نهى آدم عن أكل الشجرة وقضى عليه بأكلها وحال دون ما أمر أمر ابليس بالسجود وحال بينه وبين السجود ومشيئة الخلق بالله لانه لو كان مشيئتهم مع الله كانوا شركاء معه أو كان مشيئتهم دون الله كان انفرادا منهم بالربوبية وانما قلنا ان الامر غير الارادة لانه



﴿لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾[١] و﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[٢] و﴿لله الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكم أَجْمَعِينَ﴾[٣] وقد جاء في القرآن لما دعا نبيان رسولان على عدوه وعدوهما قال تعالى لهما بعد اجابة الدعوة: ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾[٤] وهي أربعون سنة.

ما وقع من كرامات الاولياء من احياء الموتى باذن الله تعالى كما وقع لسيدنا عيسى بن مريم وما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي حتى ذكر شيئا من ذالك القشيري في رسالته واليافعي في كتبه وغيرهما قال الشيخ ابن حجر في الفتاوى المنثورة من أحيا كرامة فتارة يتيقن موته تيقنا ضروريا بنحو قطع رأسه وابانة جثته فهذا احياء لا يعتد به في رجوع زوجاته ولا مما اقتسمته ورثته من أمواله لما تقرر انه كالاحياء الذي في القبر وتارة لا يتيقن كذالك فيتبين أنه لم يزل شئ عن استحقاقه فتعود له أي الزوجات والاموال انتهى كلامه. وقوله ما تقرر أنه كالاحياء الذي في القبر مراده به قوله سابقا ولا ينافي احياء الميت الواقع كرامة أن الاجل المحتوم لا يزيد ولا ينقص لان من أحيا كرامة مات أولا بأجله وحياته ثانيا وقعت كرامة وكون الميت لا يحيا الا للبعث هذا عند عدم الكرامة اما عند وجودها فهو كاحيائه في القبر للسؤال كما صح به الخبر وقد وقع لعزير وحماره مع ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾[٥] كهيئتهم في حياتهم و﴿يَمْحُو اللهُ

---

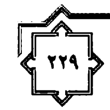
١ . الأعراف: ٢٨.

٢ . الأنبياء: ٢٣.

٣ . الأنعام: ١٤٩.

٤ . يونس: ٨٩.

٥ . البقرة: ٢٤٣.



﴿مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[١] بل رآهم أكابر أى الاموات ينتقلون من قبورهم حيث أراد الله تعالى كما صح نقلا فى كتب عديدة فى تآليف مفيدة عن علماء أهل حقائق وحقيقة وشريعة لكن قال تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿لَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً﴾[٤] وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾[٥] الآية (قلت) وفى الحديث البرّ يزيد فى العمر وصلة الارحام كذالك والزيادة فيها بين عمر الدنيا والبرزخ وقد نص العلماء على المسئلة هذه فانظره فى محلها انتهى ما لخصناه من رسالة الشيخ عبد الرحمن المسماة السيوف المصقلات لانكار المعجزات والكرامات فى الحياة وبعد المماة.

(الفصل التاسع)

اعلم حيث ابتلى الناس فى هذه الازمنة بهذه البدع وظهر الفساد وعم البر والبحر حتى لم تجد ما تقر الى مكان تسلم فيه من كافر أو مبتدع أو ظالم متجرئ على الله تعالى ذى شوكة مسلط معان بشياطين الانس والجن أحببت أن أذكر ما ختم به الامام تاج الدين عبدالوهاب ابن الشيخ تقى الدين السبكى فى كتابه معيد النعم ومبيد النقم* وذكر ذالك تسلية للمبتلى واطلاعا على الفوائد فقال نفع الله به فيه ومنه لخصت ما أنقله هنا فقال فأول ما تعتقده أن الله تعالى هو

---

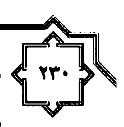
١ . الرعد: ٣٩.

٢ . يونس: ١٠١.

٣ . الأنفال: ٢٣.

٤ . البقرة: ١٠.

٥ . المائدة: ٤١.

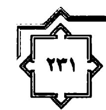


الفاعل بك ذالك وان انت ظننت فى واحد من الخلق أنه الفاعل بك هذا فهذه زلة عظيمة يخشى عليك منها دوام المحنة فاذا اعتقدت أنها من الله تعالى فهذه نعمة تورث عندك الفرح بالمعية والبشرى أى ان الله مع الصابرين وبشر الصابرين وان كنت مؤمنا فاعلم أنها لاقاك به الدهر هو ديدنه وعادته فى حق المؤمنين فان دار الدنيا مملكة أعدائك ومحلة بلائك والانسان لا يكون فى مملكة عدوه مستريحا وانها يكون مصابا معذبا بأنواع الانكار والمتاعب فلا تستغرب ما أصابك لما صح فى صحيح مسلم وغيره قوله ﷺ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكافِرِ**»[1] فاوضح أن الكافر فيها منعم والمؤمن فيها مسجون وهل يكون المسجون الا حزينا مصابا فالمؤمن مع الكافر فى هذه الدار كاهل السجن مع السلطان وتأمل قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا أَنْ يَكون النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكفر بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفاً وَإِنْ كل ذالك لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبك لِلْمُتَّقِينَ**﴾[2] فاذا انشرح صدرك لما يصيبك وعلمت أنه دليل على انك من أهل الايمان المقربين عند الرحمن وكان السلف يخافون تتابع النعم ويخافون ان يكون ذالك استدراجا وكان أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فانظر ترى الكفار أكثر دنيا من المسلمين ثم انظر المسلمين ترى الجهال منهم والفسقة أكثر دنيا من أهل العلم وأهل التقوى وان عددت من جمع له العدل والملك أو العلم والمال أو التقوى والمال لم تر الا آحادا محصورين لمصلحة اقتضتها حكمة الربوبية خرجوا بها عن القاعدة قيل للحسن البصرى رحمه الله أليس قد قال النبى ﷺ لا يزداد الامر الا شدة ولا الدنيا الا ادبارا فما بال عمر بن عبد العزيز وهو سيد زمانه

---

١ . صحيح المسلم، ج٤، ص٢٢٧٢.

٢ . الزخرف: ٣٥ـ٣٣.



ولى بعد الحجاج وهو خبيث هذه الامة فقال لابد للزمان أن يتنفس فاذا علمت أن انكاد المؤمنين طبع الزمان كما قال التهامى

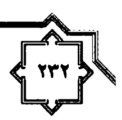
حكم المنية فى البرية جارى — ما هذه الدنيا بدار قرارى
بينا يرى الانسان فيها مخبرا — ألفيته خبرا من الاخبارى
طبعت على كدر وأنت تريدها — صفوا من الاقزار والاكدارى
و مكلف الايام ضد طباعها — متطلب فى الماء جذوة نارى
فاذا رجوت المتسحيل فانما — تبنى الرجاء على شفير هارى
و العيش نوم والمنية يقظة — والمرء بينهما خيال سارى
فاقضوا مآربكم عجالا انّما — اعماركم سفر من الاسفارى
وتراكضوا خيل الشهاب وبادروا — ان سترد فانهن عوارى
ليس الزمان وان حرصت مسالما — ان سترد فانهن الاحرارى

و أطال الى أن قال ولسنا نقول ذالك حثا على حب البلاء وحبا له نعوذ بالله منه ولكن نقول تسلية لمن حلّ به فتعريف ذى المرض لا يوجب حب المرض ولا طلبه نسأل الله العافية فان عافيته أوسع لنا فاذا فهمت هذا وتأملته مع قوله ﷺ: «**كل قضاء الله لمؤمن خير**»[1] الحديث.

فان قلت أين لى هذه الفوائده فعددها ليتم سرورى فحصر الفوائد لا نجد الى حصرها سبيلا لكثرتها ولسلطان العلماء شيخ الاسلام عز الدين محمد ابن عبد السلام رضي الله عنه كلام على فوائد المحن والرزايا أحكيه لك بجملته * قال رضي الله عنه للمصائب والبلايا والمحن والرزايا فوائد تختلف باختلاف رتب الناس *

---

١ . المعجم الكبير، ج٨، ص٤٠، مع تفاوت.



أحدها: معرفة عز الربوبية وقهرها *

الثانى: معرفة ذل العبودية وكسرها واليه الاشارة بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[1] فاعترفوا بأنهم ملكه وعبيده وانهم اليه راجعون أعنى راجعون الى حكمه وتدبيره وتقديره لا مفر لهم منه ولا محيد لهم عنه *

والثالث: الاخلاص لله اذ لا مرجع فى رفع الشدائد الا اليه ولا متعمد فى كشفها الا عليه ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾[2] ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[3] *

الرابع الانابة الى الله تعالى والاقبال عليه ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ﴾[4] *

الخامس: التضرع والدعاء ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾[5] ﴿وَإِذَا مَسَّكُم الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾[6]، ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾[7]، ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكم مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾[8] *

---

١ . البقرة: ١٥٦.

٢ . الأنعام: ١٧.

٣ . العنكبوت: ٦٥.

٤ . الزمر: ٨.

٥ . الزمر: ٤٩.

٦ . الإسراء: ٦٧.

٧ . الأنعام: ٤١.

٨ . الأنعام: ٦٣.



السادسة: عن من صدرت اليه المصيبة ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[١] ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾[٢] ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة وتختلف مراتب الحلم باختلاف المصائب فى صغرها وكبرها فالحلم عند أعظم المصائب أفضل من كل حلم*

السابعة: العفو عن جانيها ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[٣]، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾[٤] والعفو عن أعظمها أفضل من كل عفو*

الثامنة: الصبر عليها وهو موجب حب الله تعالى وكثرة ثوابه ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[٥] ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٦] وما أعطى أحد نفسى بيده ان كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء وقال ابن مسعود ﵁: حبذا المكروه الموت والفقر وانما فرحوا بها اذ لا وقع لشدتها ومرارتها بالنسبة الى ثمرتها وفائدتها كما يفرح من عظم داؤه بشرب الادوية الحاسمة لها مع تجرعه لمرارتها*

العاشرة: الشكر عليها لما تضمنته من فوائدها كما يشكر المريض الطبيب القاطع لاطرافه المانع من شهواته لما يتوقع فى ذالك من البرء والشفاء*

الحادية عشر: تمحيصها للذنوب والخطايا ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُم﴾[٧] ولا يصيب المؤمن من وصب ولا نصب حتى الهم يهمه والشوكة يشاكها الا كفر بها من سيئاته*

---

١ . التوبة: ١١٤.

٢ . الحجر: ٥٣.

٣ . آل عمران: ١٣٤.

٤ . الشورى: ٤٠.

٥ . آل عمران: ١٤٦.

٦ . الزمر: ١٠.

٧ . الشورى: ٣٠.



الثانية عشر: رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم فالناس معافى ومبتلى فارحموا واشكروا الله على العافية* وانما يرحم العشاق من عشقا*

الثالثة عشر: معرفة قدر نعمة العافية والشكر فان النعم لا يعرف بقدرها الا بعد فقدها*

الرابعة عشر: ما أعده الله تعالى على هذه الفوائد من ثواب الآخرة على اختلاف مراتبها*

الخامسة عشر: ما فى طيها من الفوائد الخفية ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾[1]، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكم﴾[2]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكم لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لكم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكم﴾[3] ولما أخذ الجبار سارة من ابراهيم كان فى طى تلك البلية والمصيبة أن أخدمها هاجر فولدت اسماعيل لابراهيم فكان من ذرية اسماعيل سيد المرسلين وخاتم النبيين فأعظم بذالك من خير كان فى طى تلك البلية وقد قيل كم نعمة مطوية لك بين أثناء المصائب*

السادسة عشر: ان المصائب والشدائد تمنع من الاشر والبطر والفخر والخيلاء والتكبر والتجبر فان نمرود لو كان فقيرا سقيما فاقد السمع والبصر لما حاج ابراهيم فى ربه لكن حمله بطر الملك على ذالك وقد علل الله سبحانه وتعالى محاجته باتيانه الملك فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ﴾[4] وابتلاء فرعون بمثل ذالك لما قال: ﴿أَنَا رَبُّكم الْأَعْلَى﴾[5]، ﴿وَمَا

---

١ . النساء: ١٩.

٢ . البقرة: ٢١٦.

٣ . النور: ١١.

٤ . البقرة: ٢٥٨.

٥ . النازعات: ٢٤.



نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[١]، ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[٢]، ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾[٣]، ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾[٤]، ﴿لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً * لِنَفْتِنَهُمْ﴾[٥]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[٦] والفقراء والضعفاء هم الاولياء وأتباع الانبياء ولهذا الفوائد الجليلة كان أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون الامثل فالامثل نسبوا الى الجنون والسحر والكهانة واستهزئ بهم وسخر منهم وصبروا على ما كذبوا وأوذوا* وقيل لنا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُم مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ﴾[٧]، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾[٨]، ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُم وَأَنفسكم وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكتاب مِنْ قَبْلِكُم وَمِنَ الَّذِينَ أَشركُوا أَذًى كَثِيراً﴾[٩]، ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾[١٠] وتغربوا عن أوطانهم وكثر عناؤهم واشتد بلاؤهم وتكاثر أعداؤهم فغلبوا في بعض المواطن وقتل منهم

---

١ . التوبة: ٧٤.

٢ . العلق: ٧ـ٦.

٣ . الشورى: ٢٧.

٤ . هود: ١١٦.

٥ . الجنّ: ١٧ـ١٦.

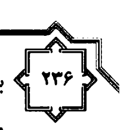
٦ . سبأ: ٣٤.

٧ . البقرة: ٢١٤.

٨ . البقرة: ١٥٥.

٩ . آل عمران: ١٨٦.

١٠ . الحشر: ٨.



بأحد ومعونة وغيرهما من قتل وشج وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وقتل أمراؤه ومثل بهم فشمت أعداؤه واغتم أولياؤه وابتلوا يوم الخندق وزلزلوا زلزالا شديدا وزاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وكانوا في خوف دائم وعراء لازم وفقر مدقع حتى شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع ولم يشبع سيد الاولين والآخرين من خبز بر في يوم مرتين وأوذى بأنواع الاذية حتى قذفوا أحب أهله اليه ثم ابتلى في آخر الامر بمسيلمة والعنسي ولقى هو وأصحابه في جيش العسرة ما لقوه ومات ودرعه ﷺ مرهونة على أصوع من شعير ولم يزل الانبياء والصالحون يتعهدون بالبلاء الوقت بعد الوقت يبتلى الرجل على قدر دينه فان كان صلبا في دينه شدد في بلائه ولقد كان أحدهم يوضع المنشار في مفرقه فلا يصده ذالك عن دينه وقال ﷺ: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ الزَّرْعِ، لَا يَزَالُ الرِّيحُ يُمِيلُهُ، وَلَا يَزَالُ يُصِيبُهُ الْبَلَاءُ»**[1]، وقال ﷺ: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كمثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفِيئُها الرِّيحُ تصرعها مَرَّةً، وتعد لها أُخْرَى حَتَّى يهيج»**[2] فحال شدة البلوى مقبلة بالعبد الى الله عزّ وجلّ وحال العافية والنعماء صارفة للعبد عن الله تعالى: **﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَانْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾**[3] فلأجل ذالك تقللوا في المأكل والمشرب والمناكح والمجالس والمساكن والمراكب وغير ذالك ليكونوا على حالة توجب لهم الرجوع الى الله تعالى والاقبال عليه»

---

١ . مسند احمد، ج١٢، ص١١٨.

٢ . نفس المصدر، ج٢٥، ص٤٨.

٣ . يونس: ١٢.



السابعة عشر: الرضا الموجب لرضوان الله تعالى فان المصائب تنزل بالبار والفاجر فمن سخطها فله السخط وخسر الدنيا والآخرة ومن رضيها فله الرضا والرضا أفضل من الجنة وما فيها لقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أكبر﴾[1] أي من جنات عدن ومساكنها الطيبة هذه نبذة مما حضرنا من فوائد البلوى ونحن نسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة فلسنا من رجال البلوى وفقنا الله للعمل الصالح مما يحب ويرضى وبرأنا الله من المحن والرزايا انتهى من كتاب معيد النعم ومبيد النقم للامام التاج السبكى ولا مزيد على ما ذكرناه فخذه لهذه ولغيرها.

تتمة

فى التوقف عن اكتساب السيئات ووجوب محبة أولياء الله وعقاب من آذاهم ذكر السيد الولى العلامة شيخ ابن العارف بالله محمد بن شيخ الجفرى فى كتابه كنز البراهين اذا لم تكن ملحا تصلح فلا تكن ذبابا تفسد ومن لم يقدر على جمع الفضائل فليكن همه ترك الرذائل بل قيل ان الرجل من كف صاحب الشمال ليس الرجل من استعمل صاحب اليمين ومن قواعد الشرع درء المفاسد أولى من جلب المصالح ولهذا قيل ان لم تطق تعبد الله فلا تعصه وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**من أحب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة**»[2] *

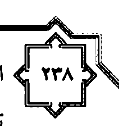
وروى عن سيدنا عمر بن الخطاب وعن ولده عبدالله رضي الله عنهما: «**لو أن عبدا صف قدميه عند الركن والمقام يعبد الله عزّ وجلّ عمره ويصوم نهاره ويقوم ليله حتى لقى الله وليس فى قلبه محبة وموالاة لاولياء الله لما نفعه ذالك شيئا**»[3] قال

---

١ . التوبة: ٧٢.

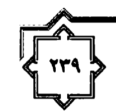
٢ . كشف الخفاء، ج٢، ص٢٣٩.

٣ . لم نعثر عليه.



الامام الشعراوى فى مقدم طبقاته الكبرى: قال الامام عليّ الخواص اياك أن تصغي لقول منكر على أحد من طائفة العلماء والفقراء فتسقط من عين رعاية الله عزّ وجلّ وتستوجب المقت من الله عزّ وجلّ* ومن كتاب الفصول الفتحية للشيخ حسين ابن الامام العلامة عبدالله بلحاج بافضل لا ينكر على الاولياء الا ميت القلب ممقوت ناقص العقل قليل العلم مدع راض عن نفسه أحمق جاهل مغرور غافل ضعيف اليقين يابس جامد حشوى مبتدع أعمى البصيرة مخسوف به مفتون هالك مبغوض عندالله وعند الناس لا يقبل قوله ولا يعبأ به يخرج من الدنيا على غير دين الاسلام ويبتلى بالذل والفقر فى الدنيا والآخرة أشد وأبقى فالمتكلم فيهم لا ورع له ولا تقوى ولا دين ولا اسلام ولا له ايمان بل ان تلبس شيئا منها فى ظاهره فانه خلى عن الجميع لانه لا خلاق له وقال الشيخ أبو تراب النخشبى اذا ألف القلب الاعراض عن الله صحبته الوقيعة فى أهل الله انتهى*

وقد كان السبب فى كتابنا السيف الباتر لعنق المنكر على الاكابر فى نحو مائة ورقة انا سئلنا عن مسائل من شبه النجدى* منها قول السائل ما الدليل على الجهر بذكر الله وغيره فى المساجد*و ما الدليل على السبحة وما مستندهم فيها* وما معنى قول الامام الغزالى تجب مداراة ذى الشر الى آخره* وما قولكم فى شروط الهجرة فى هذا الزمان* وما قولكم فى زيارة النبى ﷺ المطلوبة شرعا* وهل يشتق اسمه من أسماء الله* وهل هى توقيفية أم لا* وما قولكم فى الآيات والاحاديث النبوية التى يقرأها المؤذن قبل الخطبة يوم الجمعة* وما قولكم فى قراء ة الاحاديث النبوية لمن لا يعرف النحو* وما قولكم فى القطب الغوث فى كل وقت* وما قولكم فى استسقاء سيدنا عمر بسيدنا العباس رضي الله عنهما* وما معنى قوله فى حديث الاستسقاء وهل الاموات



ينفعون الاحياء بشئ* وهل محبة آل بيت النبى محمد ﷺ واجبة وزيارتهم للاثر الوارد عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان زيارة بنى هاشم واجبة* وهل الانكار على الاولياء مقت فى الدين والدنيا كما صح عن الشارع* وما قولكم فى الخضر عليه السلام هل هو موجود الآن* وما قولكم سيدى فى الاستغاثة بالانبياء والاولياء بياء النداء كيا شيخ الفلانى* وما قولكم سيدى فى القبة على الولى والعالم هل هى مندوبة وقربة كما ذكره العلماء* وما قولكم فى تقبيل أيادى السادة الاشراف أولاد الحسين والعلماء من غير الاشراف ومن المقدم منهم اذا اجتمعوا وما معنى اطلاق اسم السيد وحصره الآن فى أولاد الحسين* وما قولكم سيدى فى التوسل بسيد المرسلين ﷺ والانبياء والصالحين أحياء وأمواتا وفى زيارة الاموات وقراءة القرآن عند القبور وهل يعلمون بالزائر وهل ينتفع بها الزائر والمزور* وما الدليل على أن الناس يرون النبى محمدا صلّى عليه وسلّم بعد موته يقظة صلوات الله عليه وسلامه وعلى آله وصحبه* وما قولكم فى كفر من يقول عصاى أنفع لى من سيد المرسلين ﷺ ويكفر المسلمين ويستحلّ ما لهم وهل له توبة أم لا وكذالك من يفسر القرآن برأيه هل يكفر أم لا* وما قولكم فى زيارة الاولياء الاموات وهل تستحب الرحلة لهم أم لا* وما قولكم فى مشاهد الاولياء الاكابر وليس فيها قبر بل مشهد يزار ويتبرك به وكذالك فى الموالد تقرأ عند قبورهم وفى زواياهم فى جموع عظيمة* وما قولكم هل يصح النذر للولى الميت وفى اسراج السرج فى قبته لاجل الزائر* وما قولكم بالحلف بالانبياء والاولياء لانى سمعت عن من نقل فى كتابه عن بعض الاكابر أن الكراهة بالحلف بالآباء الكفار لا بالانبياء والصالحين لانهم يعظمونهم لأجل الله لا كتعظيم الله فلا كراهة حينئذ ويشهد لقول هذا الامام قول ابن المقرى فى الروض وفى شرحه الاسنى للامام زكريا ولا تحل ذبيحة مسلم لمحمد ﷺ أو للكعبة أو غيرها مما سوى الله لانه مما أهل به لغير الله بل اذا



ذبح ذالك تعظيما وعبادة كفر كما لو سجد له كذالك صرح به فى الاصل أى الروضة فان ذبح للكعبة أو للرسل تعظيما لكونها بيت الله أو لكونهم رسل الله جاز قال فى الاصل والى هذا يرجع قول القائل أهديت للحرم أو للكعبة انتهى ملخصا فتبين جواز الحلف بالنبى ﷺ والولى لكونهم رسل الله أو أولياء الله بل خطر اليمين الكاذبة شديد بل والصادقة تلحق بالفقر وكفارة اليمين على العوام عسرة فكان حلفهم بالنبى أو الولى تعظيما لانهم رسل الله أو أولياء الله أسلم قال فى تثبيت الفؤاد عن الحبيب عبدالله لان الصلاح خلق لله فانما يحلفون بهم مجازا كما فى الحديث: «**لا تسبوا الدهر فإنما الدهر الله**»[1] أى خلق له وانما يحلفون بالصالح لصلاحه والصلاح من خلق الله لا من خلق العبد وان كان صالحا كنبى وولى انتهى بمعناه منه* وما قولكم فى حل السماع وما وجه الدليل فيه فهذه اشارة الى بعض السؤالات الذى مراده الرد على النجدى واتباعه المضلين وقد بسطنا فى الرد بكلام العلماء الاعلام وبالاحاديث الواردة عن سيد الانام فمن أراد الوقوف عليه فليطلبه من الكتاب المذكور وقد يحمد الله تعالى بلغ النجدى الى بلاده الدرعية ﴿**مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا**﴾[2]، ولولا ان بدعته سرت فى قلوب العوام ولكلامه صبغ فى قلوب الجهال الطغام لدعواه التوحيد ونفى الإشراك بالله ودعواه بأحاديث أولها العلماء فى قواعد الاسلام وأكثر ما يدعيه عقلى لا نقلى وجلّ ما عنده معتمد على أقوال ابن تيمية الحنبلى ومع ذالك اذا رد عليه بكلام ابن تيمية لم يقبله فهو بمعزل عن ابن تيمية وغيره وأحواله تشبه الزنديق الذى لم ينتحل دينا يعتمد عليه.

---

١ . صحيح مسلم، ج٤، ص١٧٦٣.

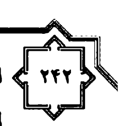
٢ . الإسراء: ١٥.



(الفصل العاشر في كلام العلماء في ابن تيمية مع زهده وورعه)

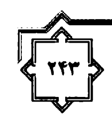
اختلفت فيه العلماء قال الذهبى تلميذه فى رسالته زغل العلم فوالله ما رمقت عينى أوسع علما ولا أقوى ذكاء من ابن تيمية مع الزهد فى المأكل والملبس والنساء ومع القيام فى الحق والجهاد بكل ممكن فما وجدت قد أخره بين أهل مصر والشام ومقتته نفوسهم وازدروا به وكذبوه وكفروه الا الكبر والعجب وفرط الغرام فى رياسة المشيخة والازدارء بالكبار فقد قام عليه أناس ليسوا بأورع منه ولا أعلم منه ولا أزهد منه بل يتجاوزون عن ذنوب أصحابهم وامام أصدقائهم وما سلطهم الله عليه بتقواهم وجلالتهم بل بذنوبه وما دفع الله عنه وعن اتباعه أكثر وما جرى عليهم الا بعض ما يستحقون فلا تكن فى مرية من ذالك وقال فى موضع آخر فان برعت فى الاصول وتوابعها من المنطق والحكمة الفلسفية وآراء الاوائل ومحاورات العقول واعتصمت من ذالك بالكتاب والسنة وأصول السلف ولفقت بين العقل والنقل فما أظنك فى ذالك تبلغ رتبة ابن تيمية ولا والله تقاربها وقد رأيت ما آل أمره اليه من الحط عليه والهجر والتضليل والتكفير والتكذيب بحق وبباطل فقد كان قبل أن يدخل فى هذه الصناعة منوّرا مضيئا على محياه سيما السلف ثم صار مظلما مكسوفا عليه قتمة عند خلائق من الناس ودجالا أفاكا كافرا عند أعدائه ومبتدعا فاضلا محققا عند طوائف من عقلاء الفضلاء وحامل راية الاسلام وحامى حوزة الدين ومحيي السنة عند عوام أصحابه هو ما أقول لك انتهى كلام الذهبى لانه رآه بعينه وعاشره وعلى الخبير وقعت.

قال الامام الشعراوى فى مقدمة طبقاته الكبرى قال الشيخ أبوالحسن الشاذلى ولقد ابتلى الله تعالى هذه الطائفة الشريفة بالخلق خصوصا باهل



الجدال فقلّ أن تجد منهم أحدا شرح الله صدره للتصديق بولى معين بل يقول لك نعم نعلم أن لله تعالى أولياء وأصفياء موجودين ولكن أين هم فلا تذكر له أحدا الا ويأخذ يدفعه ويرد خصوصية الله تعالى له ويطلق اللسان بالاحتجاج على كونه غير ولى لله تعالى وغاب عنه ان الولى لا يعرف صفاته الا الاولياء فمن أين لغير الولى نفى الولاية عن انسان ما ذاك الا محض تعصب كما ترى فى زماننا هذا من انكار ابن تيمية علينا وعلى اخواننا من العارفين فاحذر يا أخى ممن كان هذا وصفه وفر من مجالسته فرارك من السبع الضارى جعلنا الله واياكم من المصدقين لاوليائه المؤمنين بكراماتهم بمنه وكرمه انتهى كلام الامام أبى الحسن الشاذلى.

وقال الامام عبد الرحمن الاشمونى تلميذ الشبراملسى فى حاشيته على الفتاوى الحديثية لابن حجر قال نقلا من فتاوى العراقى وأما الامام تقى الدين ابن تيمية فهو امام واسع العلم كثير الفضائل والمحاسن زاهد فى الدنيا راغب فى الآخرة على طريقة السلف الصالح لكنه كما قيل علمه أكثر من عقله فاداه اجتهاده الى خرق الاجماع فى مسائل كثيرة قيل انها تبلغ ستين مسئلة وأخذته الالسنة بسبب ذالك وتطرق اليه اللوم وامتحن بهذا السبب ومات مسجونا بسبب ذالك والمنتصر له يجعله كغيره من الائمة فانه لا تضره المخالفة فى مسائل الفروع اذا كان عن اجتهاد ولكن المخالف له يقول ليست مسائله كلها فى الفروع بل كثير منها فى الاصول وما كان منها من الفروع فما كان يسوغ له فى مسائل انعقد الاجماع عليها قبله بل لم يقع لاحد منهم الا وهو مسبوق به من بعض السلف كما صرح به غير واحد من الائمة وما ابشع مسألتى ابن تيمية فى الطلاق والزيارة وقد رد عليه فيهما معا الشيخ الامام تقى الدين السبكى وأفرد رحمه الله ذلك بالتصنيف فأجاد وأحسن اهـ. كلام العراقى ورد على



السبكى غير واحد منهم السيوطى ترجم لابن تيمية ترجمة عظيمة فى طبقات الحفاظ قال ألف ثلثمائة مجلدة وامتحن وأوذى مات فى العشرين من ذى العقدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وولد فى ربيع الاول سنة واحد وستين وستمائة انتهى من الحاشية للاشمونى.

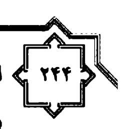
(الفصل الحادي عشر في التمائم)

رد على النجدى انكاره التمائم والرقى أما انكار النجدى تعليق التمائم مطلقا على الانسان وكل ذابة فمن تهوراته اذ عده شركا وقد نقل الشيخ العلامة محمد ابن الشيخ أحمد بن عبد اللطيف من الفتاوى المنثورة لابن حجر* وسئل ﷺ ما حكم كتب العزائم وتعليقها على الصبيان والدواب* فاجاب ﷺ يجوز كتب العزائم التى ليس بها شئ من الاسماء التى لا يعرف معناها وكذالك يجوز تعليقها على الآدميين والدواب والله سبحانه أعلم*.

وفيها أيضا وسأله ﷺ عن كتابة الاسماء التى لا يعرف معناها والتوسل بها هل ذالك مكروه أو حرام وهل هو مكروه فى الكتابة والتوسل بتلك الاسماء التى لا يعرف معناها أو حرام فيها أو حرام فى التوسل دون الكتابة فقد نقل عن الغزالى ﷺ أنه لا يحل لشخص أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه وهل فرق فى ذالك بين ما يوجد فى كتب الصالحين كعبد الله بن أسعد اليافعى وغيره أم لا فأجاب بقوله الذى أفتى به العز بن عبد السلام كما ذكرته فى «شرح العباب» كتب الحروف المجهولة للأمراض لا يجوز الاسترقاء بها ولا الرقى بها لانه ﷺ لما سئل عن الرقى قال: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكم»[1] فأعرضوها فقال لا بأس وانما لم يأمر بذالك لان من الرقى ما يكون كفرا واذا حرم كتابتها حرم

---

١ . صحيح مسلم، ج٤، ص١٧٢٧.



التوسل بها نعم ان وجد منها فى كتاب من يوثق بـه علـما ودينـا فـأمر بكتابتهـا وقراءتها احتمل القول بالجواز حينئذ لان أمره بذالك الظاهر انه لم يصدر منه الا بعد احاطته واطلاعه على معناها وانه لا محذور فى ذالك وان ذكرها على سبيل الحكاية عن الغير الذى ليس هو كذالك أو ذكرها ولم يأمر بقراءتهـا ولا تعـرض لمعناها فالذى يتجه بقاء التحريم بحاله ومجرد ذكر امام لها لا يقتـضى انـه عـرف معناها فكثير من أحوال أرباب هذه التـصانيف يـذكرون مـا وجـدوه مـن غـير فحص عن معناه ولا تجربة لمبناه وكانما يذكرونه على جهة ان مستعمله ربما انتفع به ولذالك تجد فى ورد الامام اليافعى أشياء كثيرة لهـا منـافع وخـواص لا يجـد مستعملها منها شيئا وان تزكت أعماله وصفت سريرته فعلمنا انه لم يضع جميع ما فيه عن تجربة بل ذكر فيه ما قيل فيه شئ من المنافع أو الخواص كما فعل الدميرى فى حياة الحيوان فى ذكره لخواصها ومنافعها ومع ذالك تجد المائة ما يصح منهـا واحد والله أعلم*.

وقال فى الفتاوى المنثورة فى أثناء جواب عن سؤال فى مثل هـذا المقـام مـا نصه ومذهبنا فى ذالك ان كل عزيمة مقـروءة أو مكتوبـة ان كـان فيهـا اسـم لا يعرف معناه فهى محرمة الكتابة والقراءة سواء فـى ذالـك المـصروع وغـيره وان كانت العزيمة أو الرقيا مـشتملة علـى أسـماء الله تعـالى والاقـسام بـه وبأنبيائـه وملائكته جازت قراءتها على المصروع وغيره وكتابتها كذالك ومـا عـدا ذالـك من التبخيرات والتدخينات ونحوهما ممـا اعتـاده الـسحرة الفجـرة مـن الحـرام الصرف بل الكبـيرة بـل الكفـر بتفـصيله المـشهور عنـدنا ومطلقـا عنـد مالـك وغيره*.

وسئل ابن أبى زيد المالكى عن أحراز يكتب فيها اسم الله الذى أضاء به كل ظلمة وكسر به كل قوة وجعله على النار فأوقدت وعلى الجنة فتزينت فأقـام بـه



عرشه وكرسيه وبه يبعث خلقه وما أشبه ذالك مع قرآن تقدمه فهل بهذا بأس فقال لم يأت هذا فى الاحاديث الصحاح وغير هذا من القرآن والسنة الثابتة عن النبى ﷺ أحب الينا ان يدعى به وذكر فى أثناء كلامه أن ذالك لايجوز الا ببعد من التأويل انتهى.

وممن صرح بتحريم الرقيا بالاسم العجمى الذى لا يعرف معناه ابن رشد المالكى والعز بن عبدالسلام الشافعى وجماعة من أئمتنا وغيرهم قيل وعن ابن المسيب ما يقتضى الجواز لقوله ﷺ: **«مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكم أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ»**[1] انتهى ولا دليل فيه فانه لم يقل لهم ذالك الا بعد أن سألوه ان عندهم رقى يرقون بها فقال لهم ﷺ: **«اعرضوا علىّ رقاكم»** فعرضوها عليه فقال ﷺ: **«لا بأس»** ثم قال: **«من استطاع منكم»** الخ فلم يقل ذالك الا بعد ان عرف رقاهم وأنه لا محذور فيها*.

وذكر بعض أئمة المالكية ان من أمر الغير بعمل السحر لا يقتل الآمر بل يؤدب أدبا شديدا كما فى المدونة وذكر فى موضع آخر منها أما الكتابة للحمى والرقى وعمل النشر بالقرآن وبالمعروف من ذكر الله تعالى فلا بأس به وأما معالجة المصروعين بالجنون بالخواتم والعزائم فهو فعل المبطلين فانه من المنكر والباطل الذى لا يفعل ولايشتغل به من فيه خير او دين فان كان هذا الرجل جاهلا بما عليه فى هذا فينبغى أن ينهى عنه ويبصر فيما عليه فيه حتى لا يعود الى الاشتغال به انتهى من الفتاوى المنثورة للشهاب ابن حجر نفع الله به*.

وأما أخذ الاجرة على الرقى والعزائم الجائز كتابتها فيحل الاخذ كما ذكر ذالك النووى فى فتاويه وابن حجر وجملة من العلماء على القراءة وكذا على الكتابة كما وردت الاحاديث الكثيرة وأخذ الاجرة الصحابة وأقرهم صلوات

---

١ . نفس المصدر، ج٤، ص١٧٢٦.



الله وسلامه على ذالك كما أخذوا على اللديغ قطعة من الغنم وقرأ عليه أحدهم بفاتحة الكتاب فشفاه الله تعالى بها وكذا الاجرة لما أخذوا على المجنون فشفاه الله بها أى الفاتحة فرد الله عليه عقله وأحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله وذالك لاجل تعظيمه فى قلوب الناس لانه لو لم يأخذ عليه الاعز عليهم وفى قلوبهم من أموالم لاستهين به عند العوام الذين أعز ما عندهم أموالهم فافهم والله أعلم.

(تتمة)

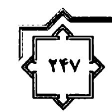
و أما انكار النجدى على الزروع الجماجم ويعده شركا فمن جهله ففى كتاب خلاصة الوفا فى اخبار دار المصطفى ﷺ وعلى آله وصحبه أهل الوفا للعلامة السيد السمهودى الشافعى فى الفصل التاسع من الباب الاول ذكر الحديث الذى رواه الشافعى ﵁ عن النبى ﷺ وفى آخره: «**وعليكم بالزرع وَأكثروا فِيهِ مِنَ الجُمَاجِمِ**»[1] انتهى وفى فتاوى قاضى خان الحنفى يجوز وضع الجماجم على الزروع من العين لما روى أن امرأة أتت الى النبى ﷺ فقالت يا نبى الله انا أهل زرع وانا نخاف العين فأمرها ﷺ ان تضع الجماجم على الزرع انتهى فتبين جهل هذا النجدى وتهوره.

(الفصل الثاني عشر في الرد على النجدي انكاره على الله وعلى فلان)

و أعظم من ذالك وأشد انه يكفر من يقول هذا أمانة الله ورسوله وعلى الله وعليك يا فلان والى الله واليك وما لى الاّ الله وأنت وأشباه ذالك وقد أجاد الشيخ محمد ابن الشيخ أحمد بن عبد اللطيف الاحسائى فى الرد عليه فقال وان ما يعتاده الناس الآن ومن مدد مديدة من كتابتهم الخطوط التى يبعثون بها الى

---

١ . السنن الكبرى للبيهقي، ج٦، ص٢٢٨.



من أرادوا امانة الله ورسوله صحيح ولا تشريك فيه للرسول مع الله تعالى بوجه من الوجوه اذ غاية الامر انها فى ذالك ونحوه كعلى الله وعليك يا فلان والى الله واليك وما لى الاّ الله وأنت الواو للترتيب بمنزلة ثم فلا يكون استعمالها مؤديا الى الشرك الذى قال به ابن عبد الوهاب لجهله ولو كان استعمالها يؤدى الى الشرك لما أتى الله بها فى آيات كثيرة من كتابه العزيز كقوله: ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾[1]، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُم اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾[2]، الآية ﴿فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ﴾[3]، ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُم تُرْحَمُونَ﴾[4]، وغير ذالك من الآيات التى لا تحصى وكحديث: «**أى يوم هذا قالوا الله ورسوله اعلم**»[5] الى آخره فلو كانت الواو مؤدية الى ما ذكر لما أقرهم ﷺ عليها ولقال لهم الله ثم رسوله أعلم لانه ﷺ لا يقر على باطل ومن اعتقد أنه يقر على الباطل كفر والعياذ بالله بل لو كان الاتيان بثم أولى لما عدلت عنها الصحابة الى الواو لانهم لشدة حرصهم على فعل كل ما هو طاعة لله تعالى وشدة اجتنابهم لما يؤدى الى نقص فى الايمان أو الدين لا يقولون أو يفعلون إلا كل ما يقربهم الى الله ويزيد فى ايمانهم وأديانهم قوله ﷺ: «**فَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ**»[6]، انما أعاد لفظها ثانيا تبركا وتلذذا بذكرهما وتعظيما وتشويقا الى السعى فى الهجرة ولان التصريح بذكر اسمهما لفظا أبلغ فى الحث على ذالك وادعى اليه اذ من يسعى لخدمة ملك تعظيما له

---

١ . التوبة: ٦٢.

٢ . المائدة: ٥٥.

٣ . التوبة: ١٠٥.

٤ . آل عمران: ١٣٢.

٥ . راجع: صحيح البخاري، ج٢، ص١٧٦.

٦ . نفس المصدر، ج٣، ص١٤٥.

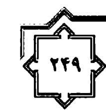


أجزل عطاء ممن يسعى لينال كسرة من مأدبته وفى شرح المحقق السعد التفتازانى على الاربعين النووية ما نصه وذكر الله توطئة لذكر الرسول تخصيصا له بالله وتعظيما للهجرة اليه وانما أتى بلفظهما معدا بعينه كناية عن شرف الهجرة وكونها بمكانة علية أو عن كونها مرضية مقبولة فلم يتحد الشرط والجزاء كما توهم وتكرير لفظة الله ورسول للتنبيه على عظمة الهجرة والمهاجر اليه وانها واقعة موقعها انتهى بتصرف لبعض العبارة. وفى شرح الشيخ أحمد بن محمد بن حجر المكى ما نصه باختصار فمن كانت هجرته الى الله ورسوله نية وقصدا فهجرته الى الله ورسوله حكما وشرعا وانما قدر ما ذكر لان الشرط والجزاء والمبتدأ والخبر لابد من تغايرهما لفظا وانما قال الى الله ورسوله ولم يقل اليهما مع أن الاصل الربط بالضمير لكونه أخصر استلذاذا بذكر الظاهر صريحا ومن ثم لم يأت مثله فى الجملة بعده اعراضا عن تكرير لفظ الدنيا وتحاشيا من الجمع بين اسم الله واسم رسوله فى ضمير لكون ذالك مكروها فى حقهما ومن ثم لما خطب رجل بحضرته ﷺ فقال فى خطبته: **«مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا، فَقَدْ غَوَى»** ذمه ﷺ بقوله: **«بئس خطيب القوم أنت قل: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾[1]»[2]** انتهى ملخصا وساق العلقمى فى حاشيته على الجامع الصغير للسيوطى كلاما طويل الذيل فى هذا المقام حاصله ما تقدم من شرح ابن حجر وساق المناوى فى الشرح الكبير على الجامع المذكور أطول مما ساقه العلقمى فى هذا المبحث بكثير وحاصله يرجع الى ما نقلناه أيضا عن ابن حجر وعبارة الشهاب ابن حجر رحمه الله فى شرح المشكاة أثناه الكلام على هذا الحديث وانما قال ﷺ: **«فهجرته الى الله ورسوله»** ولم يقل اليهما استلذاذا بذكر الاسمين

---

١ . النساء: ١٤.

٢ . صحيح مسلم، ج٤، ص٥٩٤.



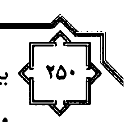
ظاهرا وتكريره لفظا ومن ثم لم يكرر لفظ الدنيا فى ما بعده اعراضا عنها ما أمكن واشارة الى ان ينبغى فى مقام الخطاب لا مطلقا ان لا يجمع اسمها فى ضمير ومن ثم ذم ﷺ الخطيب الذى جمعها فيه وأمره بان يأتى بها بصريح اللفظ ولا ينافيه جمعه ﷺ ضميرهما فى حديث عن أبى داود سيأتى ذكره لان الخطيب لم يكن عنده من العلم بعظمة الله تعالى وجلال كبريائه ومن الوقوف على دقائق الكلام ما كان عند النبى ﷺ فمن ثم منعه لئلا يسرى وهمه الى ما لا يليق انتهى ملخصا. وفى شرح المحقق البيضاوى على المصابيح أثناء الكلام على قوله ﷺ: «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**»[١] الحديث ما نصه

(فان قلت) لم ثنى الضمير هاهنا ورد على الخطيب قوله: «**وَمَنْ يَعْصِهِمَا، فَقَدْ غَوَى**» وأمره بالافراد.

(قلت) انما ثنا هاهنا ايماء الى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة على انفرادها فانها وجدها ضائعة لا غير وانما أمر الخطيب بالافراد اشعارا بان كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية فان قوله: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾ من حيث ان العطف فى تقدير التكرير هو الاصل فى استقلال كل من المعطوف والمعطوف عليه فى الحكم فى قوة قولنا ومن عصى الله فقد غوى انتهى. وفى شرح العلامة التوربشتى على المصابيح أثناء الكلام على الحديث المذكور ما نصه قوله ﷺ مما سواهما مشكل من حيث انه جمع بين اسم الله وبين اسمه تحت حرفى الكناية وقد كره ﷺ مثل هذا القول وعاب قائله وهو الخطيب الذى قال فى خطبته ومن يعصهما فقد غوى وأمره بان يقول ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾ ولقد فتشت كتب أصحاب المعانى عن وجه التوفيق

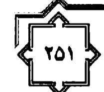
---

١ . صحيح البخاري، ج١، ص١٢.



بين هذين الحديثين فلم أر الا وجها واحدا وهو انه انما كره ﷺ قول الخطيب ومن يعصهما لانه وصله بقوله فقد رشد ووقف وقفة ثم قال فقد غوى فانكر عليه ذالك للوقوف لا لجمعه بين الاسمين تحت حرفى الكناية فرأيت أنه وجه مبنى على التخمين لانه لم يرد فى شئ من الروايات وفيه ذهاب عما يقتضيه ظاهر الحديث الى تأويل لا حجة له ثم انا نقول وبالله التوفيق ان فى قوله ومن يعصهما شيئا آخر غير الجمع بين الاسمين فى لفظ واحد وهو التسوية والتشريك فى أمر الطاعة والعصيان ومن حق الموحد افراد ذكره تعالى فى حق الربوبية واحكام العبادة* ثم يترتب عليه ذكر رسوله ﷺ وأما قوله مما سواهما فانه يشبه قول الخطيب ومن يعصهما فى اللفظ دون المعنى المفضى الى التسوية والتشريك فى حق الربوبية واحكام العبادة ومما يقرب من هذا الحديث فى المعنى حديث أبى هريرة رضي الله عنه فى قصة الانصار يوم الفتح وقد ذكر فيه عن النبى ﷺ أنه قال: «**فَإِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكم وَيَعْذِرَانِكم**»[1] وهو حديث صحيح انتهى بتصرف واختصار. وفى شرح المشكاة للشهاب ابن حجر رحمه الله فى الكلام على قوله ﷺ: «**أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**»[2] ما نصه آثر ﷺ التثنية هنا اشارة الى اختصار اللفظ والى أن المطلوب فى الخطب الايضاح ومن ثم قال ﷺ فى حديث آخر: «**مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا، فَلَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ**»[3] لكونه فى غير خطبة النكاح لان المطلوب فيها الايجاز والاسراع ما أمكن واشارة أيضا الى ان كل واحد من العصيانين مستقل باستلزامه الغواية فهو فى قوّة من عصى الله فقد غوى ومن عصى رسوله فقد غوى ومما يشير

١ . صحيح مسلم، ج٣، ص١٤٠٧.
٢ . صحيح البخاري، ج١، ص١٢.
٣ . السنن الكبرى للبيهقي، ج٧، ص٢٣٦.



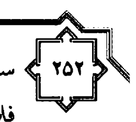
لذالك قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُم﴾[1] فاعاد أطيعوا في الرسول دون أولى الامر اشارة الى انهم لا استقلال لهم في الطاعة كاستقلاله ﷺ وأما ما قيل ان جواز التثنية من خصائصه ﷺ لانه لا يتطرق اليه ايهام بخلاف غيره لو جمع فانه يوهم التسوية والتشريك فيرد وان مال اليه ابن عبد السلام بأن الخصوصية لا تثبت الا بدليل اذ الاصل في أفعاله ﷺ وأقواله التشريع فاذا وجد منها ما ظاهره التعارض ولم يقم دليل على الخصوصية وجب الجمع بنحو ما مر ان التثنية قد تتعين في موضع للاشارة الى اعتبار دلت عليه وقد تمتنع في موضع لان المعتبر هو الافراد دونها كما هنا فاندفع ما قيل خبر المنع أولى لانه عام والآخر يحتمل الخصوصية ومما يدفع به أيضا ان قصة الخطيب ليس فيها صيغة عموم بل هي واقعة عين فيحتمل أن يكون في ذالك المجلس من يخشى عليه توهم التسوية انتهى ملخصا. قال السيد العلامة معين بن صفي في حاشيته على الاربعين الاحاديث التي الفها الامام النووي رحمه الله عند قول النبي في حديث: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ... فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ**»[2] الخ قال وفي تكرار الله ورسوله تعظيم لشأن تلك الهجرة الى أن قال ويمكن أن يقال كرر في الاول احترازا عن الجمع بين الله ورسوله في الضمير كما روى أن رجلا خطب بحضرة النبي ﷺ فقال: «**ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى**» فقال رسول الله ﷺ: «**بئس الخطيب أنت قل ومن يعص الله ورسوله**»[3] قال ابن الحاجب لانه جمع بين الله ورسوله في ضمير وقد يرد عليه حديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما

---

١ . النساء: ٥٩.

٢ . صحيح البخاري، ج١، ص٦.

٣ . صحيح مسلم، ج٤، ص٥٩٤.



سواهما[1] وأجيب بان منع الخطيب لما يظن به قصد التسوية وأما رسول الله ﷺ فلا يصرف به وقيل يشكل الجواب بما رواه البخارى فنادى منادى الرسول ان الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر وبعد كلام تقدم قال رسول الله ﷺ انتهى. ثم ان قوله ﷺ الى الله ورسوله فى حديث: «**انما الاعمال بالنيات**» الخ وتكريره بالواو مرتين وقول الخطيب بمحضر منه ﷺ أيضا فى حديث أبى هريرة فى قضية الانصار: «**ان الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم**» حيث أتى فيه بالواو وقوله ﷺ فى الحديث الآخر: «**من يطع الله ورسوله فقد رشد**» الخ حيث أتى كذالك بالواو وكقوله ﷺ: «**أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما**» حيث أتى بالواو كذالك بالواو فكل واحد من الاحاديث دليل صريح على قولنا يجوز الاتيان بالواو فى نحو قولنا على الله وعلى فلان وأمانة الله ورسوله وأمثال ذالك قمع رأس الطاغية وأتباعه الطغام الذين هم كالانعام بل هم أضل حيث حكم بان ذالك شرك قال العلماء كابن حجر وغيره فى حديث جبريل حيث أتى الى عند النبى ﷺ فى زى اعرابى وسأله عن الاسلام والايمان والاحسان وعن الساعة وأماراتها ولما قال عمر الله ورسوله اعلم فاسناد العلم الى الله تعالى والى رسوله ﷺ فيه من الادب ما لا يخفى عظيم وقعه والمقام يقتضيه ويؤخذ منه أنه ينبغى للتلميذ اذا سأله أستاذه عن شئ لا يعلمه ان يقول ذالك فاذا تبين لك هذه النصوص من حضرة الرسالة فما بقى لمدع كلام (و قد سئل) السيوطى هل يستدل لجواز قول الناس ما لى الآ الله وأنت بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حسبك اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

(الجواب) فقد يتمسك به المتمسك ثم ذكر كلاما وأتى بقول العز بن عبد

---

١. صحيح البخاري، ج١، ص١٢.

٢. الأنفال: ٦٤.



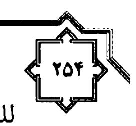
السلام ان التشريك فى التضمير من خصائصه ﷺ وقد رد الامام المناوى عليه وقال الخصوصية ما تثبت بالاحتمال والدليل بالحديث شأن المجتهد المطلق بل ثبت فى بعض الاخبار التصريح بخلافه وان مال السيوطى لكلام العز مستدلا بما ورد أن رجلا قال للنبى ﷺ ما شاء الله وشئت فقال: «**جَعَلْتَني لله عَدْلاً، بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»[١] ومع ذالك كله فالاولى كذا أو الاحسن كذا فله وجه واما قول النجدى كفر لا متأولا بكفر النعمة كمن ترك الصلاة فقد كفر مؤول على المستحل أو كفر النعمة فان ادعى النجدى بعلم العربية فنوضح لك المشكل وترى البراهين والادلة القوية من علوم العربية فتفهم لما نلقى عليك ولا تغتر بمن أضله الله ويحكم بعقله لا بنقله فلنقدم كلام الفراء وهو أحد أئمة العربية ذكر أن ثم بمنزلة الواو كان التعبير بامانة الله ورسوله وامانة الله ثم رسوله واحدا فلا خصوصية لها على الواو عنده لمطلق الجمع مستدلا بقوله تعالى: ﴿**خَلَقَكم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾[٢] الآية أى وجعل لان الجعل كان قبل خلقها والجمهور على ان ثم للترتيب بمهلة وانفصال وبذالك فارقتها الفاء لانها للترتيب بتعقب واتصال واعلم أن للواو خمسة عشر قسما منها ان تكون عاطفة وهو الاصل فيها ومن ثم جعلوا هذه القسم أول أقسامها بل كونها للعطف هو الأكثر ومعناها مطلق الجمع* فاذا قلت جاء فلان وفلان كان معناه ان مجيئهما وقع فى وقت واحد من غير فصل ولا تراخ فان كان بفصل أو تراخ تعين الاتيان بثم لانها للترتيب بمهلة وانفصال. قال ابن مالك وكون الواو للمعية راجح وللترتيب كثير ولعكسه قليل انتهى*

قلت يعنى أن كونها للترتيب وان الراجح كونها للمعية وهو مخالف فى ذالك لكلام سيبويه انتهى*

---

١ . مسند احمد، ج٤، ص٣٤١.

٢ . الزمر: ٦.



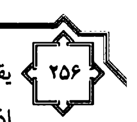
قلت وكلامه هو أن الراجح كونها للترتيب أى فالواو عند كل منهما للترتيب الا أن سيبويه قائل بأن الكثير كونها للمعية وان الراجح كونها للترتيب وابن مالك قائل بعكسه وهى عند هشام للمطلق الجمع فيما يتحد منه الزمان كاختصم فلان وفلان وللترتيب فى غيره كرأيت كذا وكذا اذا سبقت رؤية أحدهما قبل الآخر فأفاد أن مذهبه التفصيل فيها وهو متجه. وعن الفراء أنها للترتيب عند استحالة الجمع كصمت شعبان ورمضان أى ثم رمضان فلا يجوز فيها فى نحو هذا المثال غير ذالك كالمعية ومطلق الجمع لعدم امكان كل منهما فيه وقال الامام الشافعى ﵁ وهو حجة فى العربية بانها للترتيب وكذا قال به قطرب والربعى وثعلب وأبوعمرو وبذالك استدل ائمتنا ﷺ على وجوب الترتيب فى الوضوء مع ما استدلوا به أيضا من انه ﷺ لم يتوضأ الا مرتبا ومن توسط الممسوح بين مغسولين فى الآية كما هو مقرر فى محله من كتب المذهب وما قاله السيرافى والسهيلى من اجماع البصريين والكوفيين واللغويين على أنها لا تفيد الترتيب غير صحيح فلا تغتر به كما قررنا لك ذالك انتهى ملخصا من المغنى لابن هشام والجنى الدانى للمرادى والحفاية شرح الكفاية لخاتمة النحاة الشيخ عبدالله الكردى المتوفى سنة احدى عشر ومائتين وألف رحمهم الله تعالى والمسلمين وحسبنا الله ونعم الوكيل فاذا تبين لك ذالك وما سبق هنا من أصول أهل الله حملة شرعه أن من تكلم من المسلمين بكلمة كفر لا يعرف معناها فليس بكافر باجماع السلف والخلف من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والصوفية وغيرهم من أهل النظر والاجتهاد اهـ. كلام ابن تيمية وغيره قال وأجمع أهل السنة أن الجاهل والمخطئ من هذه الامة ولو عمل من الشرك والكفر ما يكون صاحبه مشركا أو كافرا انه يعذر بالخطأ والجهل الخ كلامه المتقدم هنا فانظره هناك مع غيره ترشد وتعرف ان المجترئين على التكفير افتروا على الله الكذب



وباؤا بالمقت والخسران لاخراجهم المسلمين عن دائرة الاسلام بغير وجه ودليل وان استدلوا بآية وحديث صحيح فليسوا من أهل الاجتهاد المطلق لان الاجتهاد انقطع من مدة مديدة فما بقى الا التقليد والنقل من دواوين الاسلام من المذاهب الاربعة المحفوظة المقررة بآيات وأحاديث وحفظه عن التبديل والتغيير قواعدهم فجاحدها يكفر ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً﴾ اللّهم اهدنا بهداك ولا تولنا أحدا سواك و اجعلنا يا الله ممن توليته وولاك واكفنا شر أعدائنا واعدائك آمين.

(الفصل الثالث عشر في القبة وندبها وانها قربة)

و أما قول النجدى عامله الله بعدله قريب ان ربى سميع مجيب بكفر أهل البلد الذى فيها قبة وانها كالصنم مراده تكفير المتقدمين والمتأخرين من الاكابر والعلماء والصالحين وكافة المسلمين من أحقاب وسنين مخالفا للاجماع السكوتى على الانبياء والصالحين من عصور ودهور صالحة قال تلميذ ابن تيمية الامام ابن مفلح الحنبلى فى الفصول القبة والحظيرة فى التربة ان كان فى ملكه فعل ما يشاء وان كان فى مسبلة كره للتضييق بلا فائدة ويكون استعمالا فى المسبلة فيما لم توضع له انتهى كلام ابن مفلح. قال ابن القيم الحنبلى ما أعلم تحت أديم السماء أعلم فى الفقه من مذهب أحمد من ابن مفلح وقوله فى المسبلة بلا فائدة اشارة الى أن المقبور غير عالم وولى وأما هما فيندب قصدهما للزيارة كالانبياء عليهم السلام وينتفع الزائر بذالك من الحر والبرد والمطر والريح والله أعلم لان للوسائل حكم المقاصد قال ابن حجر فى التحفة فى كتاب الوصايا. ويظهر أخذا مما مر ومما قالوه فى النذر للقبر المعروف بجرجان صحتها كالوقف لضريح الشيخ الفلانى ويصرف فى مصالح قبره والبناء الجائز عليه ومن يخدمونه أو



يقرؤن عليه ويؤيد ذالك ما مر آنفا من صحتها ببناء قبة على قبر ولى وعالم أما اذا قال للشيخ الفلانى ولم ينو ضريحه ونحوه فهى باطلة أى الوصية انتهى تحفة. وقال فى التحفة فى كتاب النذر وبحث صحته للجنس كالوصية له بل أولى لانه وان شاركها فى قبول التعليق والحصر وصحته بالمجهول والمعدوم لكنه يتميز عنها بأنه لا يشترط فيه القبول بل عدم الرد ومن ثم اتجهت صحته للقن كهى والهبة فتأتى فيه احكامها فلا يملك السيد ما بالذمة الا يقبض القن لا للميت الا لقبر الشيخ الفلانى وأراد به قربة ثم كالسراج ينتفع به أو اطرد عرف بحمل النذر له على ذالك كما يأتى انتهى.

ونص أيضا ابن حجر المكى ان القبة فى غير مسبلة على العالم والولى من القرب قال ﷺ فى تحفته فى باب الوصية واذا أوصى لجهة عامة فالشرط أن لا يكون معصية الى أن قال وشمل عدم المعصية القربة كبناء مسجد ولو من كافر ونحو قبة على قبر نحو عالم فى غير مسبلة انتهى من التحفة*

وسئل ابن حجر اذا كانت على غير نحو عالم* فاجاب ان كان المراد بالتحويط البناء حوله كبيت أو قبة أو نحو ذالك فانه مكروه كراهة تنزيه اذا كان البناء فى ملكه انتهى. ومنعه فى المسبلة على العالم ونحوه رد عليه الحلبى المحشى على المنهج وعبارته واستثنى قبور الانبياء عليهم السلام والصحابة رضي الله عنهم والعلماء والاولياء ﷺ فلا تحرم عمارتها أى فى المسبلة لانه يحرم نبشهم والدفن فى محلهم بعد البناء تعظيما لهم واحياء لزيارتهم ولا تغتر بما وقع لابن حجر كغيره فى هذا المحل أى فى المسبلة لا فى المملوكة انتهى حلبى.

قال سيدى العلامة طاهر بن الحبيب محمد بن هاشم باعلوى مفهوم كلام الشيخ ابن حجر فى التحفة فى المسبلة يجوز وضع نحو صندوق على القبر أو فى حريمه عند أمن النبش وعند خوف النبش له يجب ما يمنع منه الى البلى



وبعده من بناء اذ لا تضييق بسببه حالا ومآلا لامتناع النبش مطلقا ولا يجوز الاعتراض على واضعه على قبر نحو عالم وولى والحال ما ذكر فى التحفة وعند الحنفية والمالكية قريبا مما ذكرنا وأما القبة على غير نحو عالم وولى فيحل كما فى الاقناع للحنابلة عن سيدنا عمر لما رآها قال نحوها عنه وخلوا بينه وبين عمله يظله أى لانه لا يقصد للزيارة بخلاف النبى والعالم والولى لانه لم يأمر بتنحيتها عن الخليل ابراهيم وغيره من الانبياء لما فتح الشام وهى عليهم فافهم والله أعلم. قال تعالى فى حق نساء النبى ﷺ: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذالك أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾[1] أخذوا من معنى هذه مسائل كثيرة فى تمييز العالم والصوفى حيا وميتا فلذا جعلها ابن حجر وغيره فى غير المسبلة والموقوفة على الولى قربة وقد علمت أن القبة من عصور وقرون عليهم وعلى الانبياء عليهم السلام قال ابن حجر فى شرح العباب وأما المحرمات فلم يعهد فى زمن من الازمنة اطباق جميع الناس خاصتهم وعامتهم عليها كيف وهذه الامة معصومة من الاجتماع على ضلالة واذا عصمت من ذالك كان اطباقهم جميعا خاصتهم وعامتهم على أمر حجة على جوازه فى أى زمن كان سواء الازمنة الاول أم المتأخرة وسيأتى الاحتجاج لما يبحثونه أو يوردونه بالاجماع الفعلى عليه فلولا انه حجة فى أى زمن كان لم يصح الاحتجاج وكلام الاصوليين صريح فى أن الاجماع الفعلى حجة كالقولى انتهى.

فاذا تقرر لك كلام العلماء عرفت ضلال النجدى وبهتانه العظيم بإفتائه بالكفر وبهدمه لقببهم ونبش قبورهم واهانتهم عامله الله بعدله وقد حج بعض العلماء اتباعه ممن يدعى بعلمه وهم أولاد محمد بن عبد الوهاب ومن نحا نحوهم ما دليل الشيخ بالتكفير لاهل البلد بالكفر لاجل القبة قالوا لانهم لم

---

١ . الاحزاب: ٥٩.



يزيلوها وراضون بها قال لهم ليس بهذا يكفرون على تقدير أنها بدعة فقد يقدر البعض دون البعض ويلزمكم الحكم فى المنكرات كلها لا فى القبة خاصة واحد يقدر على الازالة وقد يمكن أن أحدا رضى ولا رضى غيره لان أفعال الناس من لدن النبى الى اليوم ما نقول بكفر قرية وبلد لحكم عمل به البعض دون البعض نكفر الكل فقالوا لابد للشيخ من دليل وحجة والا لما قال بالتكفير عموما فقال ما هذا بكلام اذ حجوكم بحجة عن الحنفى أو المالكى أو الشافعى أو الحنبلى اظهروا لكم دليلا منهم لذالك ما يقولون لابد للحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى من دليل فقال له بعضهم حجتنا على أقوالنا السيف لا غير فقال له صدقت لا حجة الا البغى والعناد* وأما نص النجدى بمنع النذر مطلقا للاكابر فمن افترائه على كتب الشريعة وجهله المركب كيف وقد نص العلماء كشيخ الاسلام زكريا وتلامذته ابن حجر فى التحفة والرملى فى النهاية وجملة من العلماء بصحة النذر للمشايخ اذا لم يرد التمليك لهم وقالوا يصرف فى اسراج على قبره فى قبته لنفع الزائر بذالك وغير ذالك مما اعتيد من اطعام الزائر ونحوه فانظر ذالك فى كتابنا السيف الباتر وغيره من الكتب مبسوطا محررا مع الزيادة ترشد وتسعد ولا تهلك مع الهالكين* وفى كتب المذاهب الاربعة غنية للموفق ومن زل به القدم حل به الندم قال تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[1].

ولولا ما ورد عن النبى ﷺ بقوله ﷺ: «**اذا ظهرت الفتن ـ أو قال البدع ـ وسب أصحابى فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل ذالك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا**»[2] أى لا فرضا ولا نافلة وقال

---

١ . النساء: ١١٥.

٢ . ميزان الاعتدال، ج٣، ص٦٣٠.

تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكتاب أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[١] وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الكتاب وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكلونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكلمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ * ذالك بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الكتاب بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الكتاب لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[٣] وقد ورد فى الصحيح من الاخبار من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار فلهذه التهديدات العظيمة وخوفا من الوقوع فى الاثم جمعنا هذه الفصول فى هذه الرسالة وحررنا كلام العلماء الاعلام لعل من وقف على ذالك من المسلمين عرف الصواب والحق وظهر له الحجة والمحجة وسلك طريق الهدى ولم يحق عليه الردى ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا. اللّهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت وقنا شر ما قضيت.

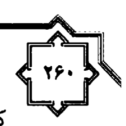
(خاتمة فى زيارة الاولياء استحباب الرحلة اليها وفوائدها وما يقع فى الزيارة مع الاجتماع من المنكرات كاختلاط النساء بالرجال وفى قراءة القرآن واهداء ثوابه لهم وفى الصدقة كذالك وفى انشاد الشعر وفى مشاهد للاولياء وليس فيها قبورهم وهى فائدة عظيمة قسوا رحله).

---

١ . البقرة: ١٥٩.

٢ . النور: ٦٣.

٣ . البقرة: ١٧٦ _ ١٧٤.



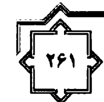
قال الامام الغزالى فى الاحياء فى الكتاب السابع من ربع العبادات وهو كتاب اسرار الحج قال ﷺ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا لِثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى**»[١]، وقد ذهب بعض العلماء الى الاستدلال بهذا الحديث فى المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء وما تبين لى أن الامر كذالك بل الزيارة مأمور بها قال ﷺ: «**كُنْتُ نَهَيْتُكم عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا**»[٢] والحديث انما ورد فى المساجد وليس فى معناه المشاهد لان المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة فلا بلدة الا وفيها مسجد فلا معنى الى الرحلة الى مسجد آخر وأما المشاهد فلا تتساوى فان بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله. نعم لو كان فى موضع مسجد فله الرحلة الى موضع فيه مسجد وينتقل اليه بالكلية ان شاء ثم ليت شعرى هل يمنع هذا القائل من شد الرحال الى قبور الانبياء مثل ابراهيم وموسى ويحيى وغيرهم فالمنع من ذالك فى غاية الاحالة واذا جوز ذالك فقبور العلماء والاولياء والصلحاء فى معناها فلا يبعد أن يكون ذالك من اغراض الرحلة كما فى زيارة العلماء فى الحياة من المقاصد هذا فى الرحلة انتهى*.

وأما ما يقع من المنكرات اذا قدرنا وقوع اختلاط النساء بالرجال فنحتاج الى أن ننكر المنكر من حيث هو ولا نترك الامر الكلى للامر الجزئى قال ابن المقرى فى الارشاد فى باب الجهاد وجاز رمى نساء تترس بهن وقد حضر الحسن البصرى وابن سيرين رحمهما الله فى بعض الجنائز وكان فيها لغط فأراد ابن سيرين أن يرجع فقال الحسن له لو كلما رأينا بدعة تركنا سنة لقد تركنا سننا كثيرة فافهم ذكره الامام زكريا فى شرح رسالة القشيرى وقريبا منه ما ذكره الشيخ محمد بن

---

١ . مسند أحمد، ج١٣، ص١٦٥.

٢ . نفس المصدر، ج٣٨، ص١١٣.



أحمد العدنى فى شرح تراجم البخارى. وسئل الامام العلامة عبد الله بن عمر مخرمه ﷺ لو كان تتبع جنازة بأنواع من المنكرات كخروج النساء واختلاطهن بالرجال هل يكون معذورا فى ترك الخروج اذا لم يمكنه نهى المنكر* فاجاب لا يترك الحق لاجل الباطل فان قدر على انكار شئ من ذالك فى خروجه فعل وان عجز كان مأجورا على كراهة ذالك بقلبه وقد أجاب ابن عبد السلام بجواب طويل موافق لما ذكرنا والله أعلم انتهى من فتاويه العدنية. وقد سئل الشيخ ابن حجر صاحب التحفة عن زيارة قبور الاولياء فى زمن معين مع الرحلة اليها هل يجوز مع انه يجتمع عند ذالك القبر مفاسد كثيرة كاختلاط النساء بالرجال واسراج السرج الكثيرة وغير ذالك فأجاب بقوله زيارة قبور الاولياء قربة مستحبة وكذا الرحلة اليها وقول الشيخ أبى محمد لا تستحب الرحلة الا لزيارة النبى ﷺ رده الغزالى بأنه قاس منع ذالك على منع الرحلة لغير المساجد الثلاثة مع وضوح الفرق فان ما عدا المساجد الثلاثة مستوية فى الفضل فلا فائدة فى الرحلة اليها وأما الاولياء فانهم متفاوتون فى القرب من الله تعالى، ويقع للزائر بزيارته من الامدادات بحسب معارفهم وأسرارهم، فكان للرحلة اليهم فائدة أى فائدة فمن ثم سنّت الرحلة اليهم للرجال فقط بقصد ذالك وانعقد نذرها، وما أشار اليه السائل من تلك البدع والمحرمات فالقربات لا تترك لمثل ذالك بل على الانسان فعلها وانكار البدع وازالتها ان أمكنت. وقد ذكر الفقهاء فى الطواف المندوب فضلا عن الواجب أنه يفعل ولو مع وجود النساء وكذا الرمل لكن أمروه بالبعد عنهن وينهى عما يراه محرما بل ويزيله ان قدر. ومن أطلق المنع من الزيارة خوف ذالك الاختلاط يلزمه أن يقول بمنع الطواف والرمل بل والوقوف بعرفة والمزدلفة والرمى اذا خشى الاختلاط ونحوه ولم يمنع الائمة شيئا من ذالك مع أن فيه اختلاطا أى اختلاط وانما منعوا



نفس الاختلاط لا غير، ولا تغتر بحالة من انكر الزيارة خشية الاختلاط فيتعين حمل كلامه على ما فصلناه وقرناه والا لم يكن له وجه*. وزعم أن زيارة الاولياء بدعة لانها لم تكن فى زمن السلف ممنوع وبتقدير تسليمه فليست بدعة منهيا عنها بل قد تكون البدعة واجبة كما صرحوا به انتهى*. الجواب لابن حجر وعبارة الجواهر وندب زيارة القبور وقراءة ما تيسر ودعاء له ولا بدعة فى الاجتماع فى يوم مخصوص عند قبر عالم أو نحوه بل هو زيارة مندوبة.

(فائدة)

كان ﷺ يزور قباء يوم السبت ولا يسن للنساء زيارة غيره ﷺ قال بعضهم ومثله سائر الانبياء والعلماء والاولياء وارتضاه غير واحد وشرط بروزها كالجماعة ان تذهب فى نحو هودج فيسن ولو لشابة قال النووى ويستحب الاكثار من الزيارة والوقوف عند قبور أهل الخير، قال السمهودى فان لهم فى برازخهم من التصرفات والبركات ما لا يحصى. قال شيخنا على بن محمد بن مطير فلا يستخف بزيارة العلماء وسائر الصالحين من احياء وأموات والتبرك بهم والاهداء الى أرواح المؤمنين من القرآن والاستغفار لهم الا محروم انتهى. فظهر أن الرحلة لاوليائه قربة وأما الحديث فى المساجد الثلاثة فبينه وبين الزيارة فرق واضح والحق أحق ان يتبع*. وذكر فى كتاب معارج الهداية سيدنا الامام على بن أبى بكر عن الامام عمر بن ميمون انه سأل شيخه أبا العباس فضل بن عبد الله صاحب الشحر عن الزيارة مع الجمع وما يقع فى الاختلاط أفضل أم مع الانفراد فزيق أى فأطرق ساعة وأجابه بقوله قال الفقهاء اذا كثر الماء لم يحمل خبثا وقد ورد وقوف ساعة بين يدى ولى أفضل من عبادة سبعين سنة. وذكر الشيخ محمد بن عبد الرحمن باجمال فى كتابه البر الرؤف فى مناقب



الشيخ معروف ما نصه: روى ان الشيخ الكبير محمد بن الحسين البجلي رحمه الله تعالى قال رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت له يا رسول الله أي الاعمال أفضل، فقال: وقوفك بين يدي ولي الله تعالى كحلب شاة أو كشي بيضة خير لك من أن تقطع في العبادة اربا اربا، فقلت: يا رسول الله حيا كان أو ميتا، قال: حيا كان أو ميتا. وذكره لك أيضا سيدنا علي بن أبي بكر علوي في كتاب معارج الهداية وقال سيدنا الحبيب الحسن بن سيدنا الحبيب عبد الله الحداد نفع الله به آمين. قال والدي اذا أردتم ان تفعلوا شيئا من الامور أو نابكم شئ وأنا ميت فاطلعوا الى عند قبري واعلموني بذالك فاني أنفعكم حيا وميتا وقال السيد العارف بالله محمد بن زين بن سميط في كتابه غاية القصد والمراد في خاتمة الباب السادس وقال رضي الله عنه الولي يكون اعتناؤه بقرابته واللائذين به بعد موته أكثر من اعتنائه بهم في حياته لانه في حياته مشغول بالتكليف وبعد موته مطرح عنه الاعباء وتجرد انتهى.

وقال في كتاب تثبيت الفؤاد بذكر كلام الامام القطب الحبيب عبدالله الحداد جمع فقيره الاحسائي قال: قال له رجل أريد زيارتكم، فقال: ان شاء الله ان لحقتمونا والا فقبورنا تنوب منا بنا فان الاخيار اذا ماتوا لم تفقد منهم الا أعيانهم وصورهم وأما حقائقهم فموجودة، فقيل له: الله يمتع ببقائكم، فقال: والى متى يكون ذالك فقد دنت الامور واذا رأى الانسان الضعف وأمارة الكبر ظن انه قرب أمره، ومرادنا عسى ان العيال يكبرون عسى ان يكون منهم نائب عنا، قال تعالى حكاية عن نبيه موسى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي﴾[1] ولو ناب عنا حتى أربعون رجلا وقد أخذنا عن كثير من المشايخ لو عددناهم بلغوا مائة وأربعين وقال رضي الله عنه أهل البرزخ من الاولياء في حضرة الله فمن توجه اليهم

---

١ . طه: ٢٩.



يعنى بالتعظيم وحسن النية والعقيدة توجهوا اليه يعنى بحصول مطلوبه وقال ﷺ فى زيارة القبور نجح لما تعسر من الامور وقال ﷺ من بلغ الينا السلام ولم يجتمع بنا فما فاته منا أكثر مما حصله كما قال الشيخ أبوبكر بن سالم*. ومن فاتنا يكفيه انا نفوته* انتهى وقال نفع الله به:

و لا تنقضى فى البعد آراب طالب   ولكنه يدنو فيدني من القصد

و قال السيد الجليل محمد بن زين بن سميط فى كتابه غاية القصد والمراد فى مناقب السيد الحبيب القطب عبد الله الحداد فى الباب الرابع فى ذكر الحكايات والوقائع من كراماته قال الحكاية الستون أخبرنى السيد عقيل ابن عيدروس باعقيل وكذالك رأيته بخط السيد أحمد بن عيدروس صاحب الوهط قال: أخبرنا الامام الفاضل المدرس بالحرم المكى الزاهد الورع عبدالله بن عبدالرحمن باشيخ قال: لم تتأت لى زيارة النبى ﷺ عشرين سنة وانا بمكة فرأيت النبى ﷺ فى المنام فقال لى يا عبدالله لم لا تزورونه أما علمت ان من زار السيد عبد الله الحداد تقضى له سبعون حاجة فما بالك بزيارتنا، فاعتذرت اليه وشكوت عدم القدرة لقلة ذات اليد فوعدنى بتيسير المسير، فلقينى رجل فأعطانى ثلاثين أحمر، فتجهزت لزيارة النبى ﷺ*.

وذكر فى الحكاية الثمانين بعد المائتين أن رجلا من أهل الخطوة وصل من بلد المغرب فى سبعة أيام الى تريم لزيارة سيدى القطب عبدالله الحداد وأمره شيخه بالمغرب لما استشاره للحج فقال به أخرج لزيارة القطب عبدالله الحداد بالمشرق خير لك من كذا كذا حجة قال فخرجت لزيارة سيدى انتهى ملخصا من كتاب غاية القصد والمراد. ومن خط سيدى الامام العارف بالله عبدالرحمن بن على بن أبى بكر السكران نفع الله بهم قال: ومن زار قبرا من قبور الصالحين كان كمن زار صاحبه حيا فانه ينظر زائره ويراه ويسمع كلامه وقد يكلمه ويرد



عليه الاّ أن الزائر لا يسمعه ولا يراه ولو كشف رين الذنوب عن القلوب لـرأى الزوار من الاحيـاء أهـل القبـور مـن المـوتى وسـمعوا كلامهـم وان الامـوات ليفرحون بزيارة الاحياء ونقابل بوجوهها للزائرين الـذين يقـصدون رضـا رب العالمين هذا فى عموم المسلمين وأما أهل الاحوال العظيمـة فلزائـرهم الكرامـة الجسيمة فان الله تعالى يقول فى حقهم وعزتى وجلالى لاكـرمن مـن أكـرمكم ولاعظمن من عظمكم ولاهينن من أهانكم ولاباعدن من تباعد عنكم وذالـك لاكرامكم انتهى.

قال الشيخ ابن حجر وأما كون الموتى يعرفـون مـن يـزورهم مـن الاحيـاء ويسمع الموتى نداء من يزورهم ولو من بعد ويردون السلام علـى مـن يـسلم/ وروى ابن عبد البر فى التذكره والتمهيد من حديث ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا مِنْ أَحَدٍ مَرَّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كان يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيسَلِّم عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»**[1] صححه أبو محمد عبد الحق وهذا كما قال ابن القيـم نص فى أنه يعرفه بعينه ويرد عليه الـسلام* وروى ابـن أبـى الـدنيا فـى كتـاب القبور بسنده عن زيد بن اسلم عن أبى هريرة ﵁ قال: **«إِذَا مَـرَّ الرَّجُـلُ بِقَـبْرٍ يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»**[2] وأطال ثم قـال والظـاهر مـن الاحاديـث ان الميت يسمع سلام الزائر ونداءه سواء كان واقفا على قبره أو قريبا منـه أو بعيـدا بطرف الجبانة بحيث يسمى زائرا انتهى.

ثم قال بعد كلام طويل: واما كونهم يأنسون بالزائر ويفرحون به كالاحيـاء ويعتبون على من لا يزورهم فنعم، قال ابن القيم: الاحاديث والآثار تدل علـى

---

١ . الاستذكار، ج١، ص١٨٥.

٢ . لم نعثر عليه في القبور لابـن ابـى الـدنيا، نقلـه بهـذا الطريـق البيهقـي في شـعب الإيـمان، ج١١، ص٤٧٣.



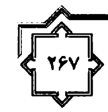
أن الزائر متى علم به المزور وسمع سلامه أنس به ورد عليه وهذا عام في حق الشهداء وغيرهم وان لا توقيت في ذالك وهو أصح من أثر الضحاك الدال على التوقيت قال وقد شرع لأمّته أن يسلموا على أهل القبور سلام من يخاطبونه ممن يسمع*.

وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور من حديث عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم**»[1]، وفى الاربعين الطائية وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «**آنس ما يكون الميت فى قبره اذا زاره من كان يحبه فى الدنيا**»[2] وقد روى فى عتبهم على من لم يزرهم ما جاء عن بعض الثقات فأخرج البيهقى وابن أبى الدنيا عن بشر بن منصور ﵁ قال: كان رجل يختلف الى الجبانة فيشهد الصلاة على الجنائز فاذا مشى وقف على أبواب المقابر فقال: آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز الله عن سيآتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هؤلاء الكلمات قال ذالك الرجل فأمسيت ذات ليلة فانصرفت الى أهلى ولم آت القبور فبينما أنا نائم اذ أنا بخلق كثير قد جاؤنى قلت: من أنتم وما حاجتكم، قالوا: نحن أهل المقابر، قلت: ما جاء بكم، قالوا: انك تدعو لنا، قلت: فانى أعود لذالك قال: فما تركتها بعد ما رأيت ذالك ثم أورد حكايات عجيبة الى أن قال وروى الحافظ بن رجب بسنده عن الاسد بن موسى قال: كان لى صديق فمات فرأيته فى المنام وهو يقول: سبحان الله جئت الى قبر فلان صديقك قرأت عنده وترحمت عليه وأنا ما جئت الى ولا قربتنى قال: وما يدريك قال: لما جئت الى قبر صديقك فلان رأيتك قلت: كيف رأيتنى والتراب عليك قال: أما رأيت الماء اذا كان فى

---

١ . لم نعثر عليه في القبور كذالك.

٢ . الأربعين الطائية، ص١٣٨.



الزجاج وما يتبين قلت: بلى قال: فكذالك نحن نرى من يزورنا انتهى كلام ابن حجر (قال الامام الشعراوى) فى العهود المحمدية نفع الله به.

وأما موالد الاولياء المكملين كالامام الشافعى والامام الليث وذى النوان المصرى وسيدى أحمد البدوى وسيدى ابراهيم الدسوقى وأضرابهم فحضورها مطلوب من حيث الامر بزيارة قبورهم وان حصل فى بعض موالد بعض لهو ولعب فما يحصل ان شاء الله من مددهم وتنفيق سلع الناس يرجح على ما يقع فيها من اللّهو واللعب ونحو ذالك انتهى كلامه من العهود.

وقال سيدنا الكبير نور الدين الشيخ على بن أبى بكر علوى ﷺ ونفع به فى كتاب معارج الهداية الى ذوق جنى شهد ثمرات المعاملات فى النهاية (فصل) اعلم أنه ينبغى لكل مسلم طالب الفضل والخيرات ان يلتمس البركات والنفحات واستجابة الدعوات ونزول الرحمات* فى حضرات الاولياء ومجالسهم وجمعهم أحياء وأمواتا وعند قبورهم وحال ذكرهم وعند كثرة الجموع فى زيارتهم وعند مذاكرات فضلهم ونشر مناقبهم الخ وقال بعضهم ان صف المجتمعين يجمع ويفرق عليهم فيجعل لكل منهم نصيب كما فى صلاة الجماعة يجمع حضور من يحضر فى الصلاة ويفرق فيجعل لكل واحد منهم صلاة كاملة انتهى. وقال سيدنا الامام الشيخ الكبير عبد القادر ابن شيخ العيدروس فى كتابه الزهر الباسم قال فى حكاية ليس من يحمل على المأمول باوجه كمن بوجه واحد وليس رجاء واحد كرجاء الجميع وليس اعتذار واحد كاعتذار الجميع. و

كذالك قال ابن عمر ﷺ ان الله ليعجب من صلاة الجميع ومثل اذا كان فى الطريق المشاعل والانوار بالارواح وكلما ازدادت الانوار فى الطريق انجابت الظلمة فيسهل السلوك انتهى.

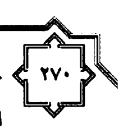


وقال الامام حجة الاسلام الغزالى نفع الله به فى كتاب منهاج العابدين لما ذكر فيه العزلة وكذالك نقول ان من حق المنفرد أن يشارك الناس فى الجموع العامة فى الخير وان يجانبهم فى الصحبة والمزاحمة فى سائر الامور لما فيها من ضروب الآفات الى ان قال وأما الرجل البصير القوى فى أمر الله تعالى اذا رأى زمان الفتنة فالعزلة له أولى وأن لا ينقطع من جموعات الاسلام فى الخيرات العامة فان جموعات الاسلام من الله بمكان وان تغير الناس وفسدوا كذا سمعنا من حال الابدال انهم يحضرون جموع الاسلام أينما كانت انتهى. وجمعيات الناس عند قبور المشايخ فى أوقات مخصوصة وقراءة خير المولد الشريف كثيرا ما يعتاده أهل الحرمين واليمن والشام والعراق عند قبور الاولياء المشهورين رضي الله عنهم ونفع بهم أجمعين حتى ذكر الامام الشيخ عبد الوهاب الشعراوى فى كتابه الطبقات فى ترجمة الامام السيد أحمد البدوى رضي الله عنه ونفع به آمين، قال: أردت التخلف سنة من السنين عن ميعاد حضورى للمولد أى الذى يقرأ عند قبره فرأيت سيدى أحمد رضي الله عنه ومعه جريدة خضراء وهو يدعو الناس من سائر الاقطار والناس خلفه ويمينه وشماله أمما وخلائق لا يحصون فمر على وأنا بمصر فقال: أما تذهب، قلت: انى وجع، فقال: الوجع لا يمنع المحب، ثم أرانى خلقا كثيرا من الاولياء وغيرهم الاحياء والاموات من الشيوخ والزمناء يمشون معه ويزحفون يحضرون المولد، ثم أرانى جماعة من الاسراء جاؤوا من بلاد الافرنج مقيدين مغلولين يزحفون على مقاعدهم، ثم قال: انظر الى هؤلاء فى هذا الحال ولا يخلفون فقوى عزمى على الحضور وقلت له: ان شاء الله تعالى، فقال: لابد من الترسيم، فرسم على سبعين عظيمين أسود بن كأفيال وقال لا تفارقاه حتى تحضرا به وقال لى الشيخ محمد الشناوى رضي الله عنه ونفع به ان سيدى محمدا السروى شيخى تخلف سنة عن الحضور فعاتبه سيدى أحمد رضي الله عنه



وقال: موضع يحضر الله عنهم ما تحضره، فخرج الشيخ محمد ﷺ الى المولد فوجد الناس راجعين وفاته الاجتماع، فكان يلمس ثيابهم ويمر بها على وجهه.

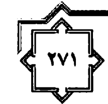
وأخبرني أيضا شيخنا محمد الشناوى أن شخصا انكر حضور مولده فسلب الايمان فلم تكن فيه شعرة تحن الى دين الاسلام فاستغاث بسيدى أحمد ﷺ فقال: بشرط أن لا تعود فقال: نعم، فرد عليه ثوب ايمانه ثم قال له: وماذا تنكر، قال: اختلاط الرجال بالنساء قال له: سيدى ذالك واقع فى الطواف ولم يمنع أحد منه، ثم قال: وعزة الربوبية ما عصى أحد فى مولدى الا وتاب وحسنت توبته واذا كنت أرعى الوحوش والسمك فى البحار أحميها بعضها من بعض أفيعجزنى الله من حماية من يحضر مولدى وقال لى شيخنا أيضا ان سيدى الشيخ أبا الغيث بن كثيلة أحد العلماء بالمحلة الكبرى وأحد الصالحين بها كان بمصر وجاء الى بولاق ووجد الناس مهتمين بأمر المولد والترول فى المراكب فانكر ذالك وقال: هيهات أن يكون اهتمام هؤلاء بزيارة نبيهم مثل اهتمامهم باحمد البدوى فقال له شخص سيدى أحمد ولى عظيم فقال ثم فى هذا المجلس من هو أعلى منه مقاما فعزم عليه شخص فأطعمه سمكا فدخلت شوكة تصلبت فلم يقدروا على نزولها بدهن ولا بحيلة من الحيل وورمت رقبته حتى صارت كخلية النخل تسعة أشهر وهو لا يلتذ بطعام ولا شراب ولا منام وأنساه الله عزّ وجلّ بسبب ذالك فبعد التسعة الاشهر ذكره الله السبب فقال احملونى الى عند قبة سيدى أحمد فأدخلوه فشرع بقراءة يس فعطس عطسة فخرجت الشوكة مغموسة دما فقال: تبت الى الله يا سيدى أحمد وذهب الوجع والورم من الساعة وانكر ابن الشيخ خليفة بناحية انبار بالغربية على حضور أهل بلده الى المولد فوعظه شيخنا الشيخ محمد الشناوى فلم يرجع فشكاه الى سيدى أحمد فقال ستطلع له حبة ترعى فمه ولسانه فطلعت من يومه ذالك وأتلفت وجهه فمات



بها انتهى ملخصا من الكتاب المذكور. فنعوذ بالله من مقته وغضبه بسبب الاعتراض بالايذاء والانكار على أوليائه سلم تسلم ولا تعترض تندم واعتقد تغنم فاعتبر أيها الناظر بهذه الوقائع ولا تغتر بزخارف ضعفاء البصائر انتهى. وأما قراءة القرآن العظيم فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**اذا مر أحدكم على مقبرة فليقرأ آية الكرسي ثلاثا فانها خير من تصدق بافق**» فقيل: «**يا رسول الله ما الافق؟**» قال: «**ملء الدنيا ذهبا وفضة**»[1] * ومن كتاب المعيار للمالكية وأما الخروج لزيارة قبور الصالحين والعلماء فجائز طال السفر أو قصر وممن نص على ذالك الامام أبوبكر بن العربي في القبس شرح الموطأ والامام الغزالي في الاحياء في كتاب الحج وكتاب السفر قال الغزالي ويعتقد أنه ينتفع بالميت وأخرج البيهقي في جامعه في حديث آخر قال ﷺ: «**ما أتت ليلة عيد ولا ليلة جمعة ولا ليلة اثنين الا والقبور مفتوحة عن أهلها ويخرجون بأكفانهم ويقفون عند باب أهاليهم ويقولون السلام عليكم نحن أسراكم وأنتم المطلقون تصدقوا عنا بلقمة أو بركعة أو بخرقة**»[2] كما في الجامع الصغير انتهى. وقولهم بركعة أخذ به الحنفية كما هو مصرح به في كتبهم وفي الوصية من التحفة أثناء كلام فيها ما نصه في فتاوى الاصبحي: لو أوصى بوقف أرض على من يقرأ على قبره حكم العرف في غلة كل سنة بسنتها فمن قرأ بعضها استحق بالقسط أو كلها استحق غلة السنة كلها انتهى.

ما أردت نقله من التحفة وفي فتاوى ابن زياد اليمني الراجح عند الجمهور صحة وقفت بعد موتي على من يقرأ عليّ وله قبل الموت حكم الوصية* وفيها أيضا يصح الوقف على من يقرأ على قبر الشيخ أحمد بن علوان وتتعين القراءة على القبر مراعاة لشرط الواقف الى آخره انتهى*. وأما الصدقة عن الميت فهي

١ و٢ . لم نعثر عليه.



سنة مؤكدة لقوله عليه الصلاة والسلام: «**تصدقوا عن أمواتكم فان الله وكل ملكا يبلغها اليهم ويقول هذه هدية من فلان اليك فيفرح صاحب القبر**»[١] رواه ابن ماجه وابن حبان قال الامام السيوطى فى كتاب بشرى الكئيب بلقاء الحبيب، أخرج البخارى ومسلم من طريق قتادة عن أنس ﷺ قال قال النبى ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، يَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ**»[٢]، وأخرج الترمذى وحسنه والحاكم والبيهقى عن ابن عباس رضى ﷺ قال: «**ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ خِبَاءَهُ عَلَى قَبْرٍ وَهُوَ لاَ يَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ، فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْمُلْكِ حَتَّى خَتَمَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فأخبره، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هِيَ الْمَانِعَةُ، هِيَ الْمُنْجِيَةُ، تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»[٣]، فهذا تصديق من رسول الله ﷺ أن المؤمن يقرأ فى القبر وأخرج الترمذى وابن ماجه وابن أبى الدنيا والبيهقى فى شعب الايمان عن أبى قتادة قال قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا وَلِيَ أَحَدُكم أَخَاهُ، فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ فَإِنَّهُمْ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا**»[٤] وأخرجه ابن عدى فى الكامل وأخرجه الخطيب فى التاريخ من حديث أنس مرفوعا.

قال البيهقى كما قال فى الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وهم اذا تراهم يتشحطون فى الدماء وانما يكون ذالك كذالك فى رؤيتنا ويكونون فى الغيب كما أخبر الله عنهم ولو كانوا فى رؤيتنا كما أخبر الله عنهم لارتفع الايمان بالغيب وأما انشاد الشعر فى المساجد وغيرها وحضرات الذكر فجائز ومباح قال الامام الشيخ محمد الشوبرى ﷺ قال فى الايعاب ما نصه فرع قال فى المجموع انشاد

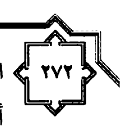
---

١ . لم نعثر عليه.

٢ . صحيح البخاري، ج٢، ص٩٨.

٣ . سنن الترمذي، ج٥، ص١٤.

٤ . شعب الإيمان، ج١١، ص٤٥٨.



الشعر المباح فی المسجد جائز ثم ان كان مدحا للنبوّة أو الاسلام أو كان حكمة أو فی مكارم الاخلاق أو الزهد أو نحوها لم يكن به بأس والا كره ما لم يكن فيه هجو محرم أو صفة خمر أو ذكر نساء أو مرد أو مدح ظالم أو افتخار منهی عنه انتهی.

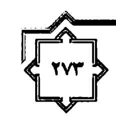
وهو صريح فی تحريم كثير من الاشعار التی فيها ذكر صفات الخمر ولو بالتشبيهات وذكر صفات النساء والمرد لكن ينافيه ما يأتی فی الشهادات من انه لا يحرم التشبب الاّ بامرأة أو غلام معين، ويمكن أن يفرق بأنّ الحرمة هنا جاءت من حيث المسجد فحرم فيه ذالك مطلقا لما فيه من الفحش بخلافه خارجه، وأما ذكر صفات الخمر المقتضية مدحها مما لا يمكن حمله علی وجه جائز فهو حرام فی المسجد وكذا خارجه كما هو ظاهر وعلی الشعر المذموم حملوا قوله ﷺ: «مَنْ رَأَيْتُمُوهُ يَنْشُدُ شِعْراً فِي الْمَسْجِدِ، فَقُولُوا: فَضَّ اللهُ فَاكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»[1] وحمل ابن بطال الحديث علی ما يتشاغل به كل من بالمسجد حتی يغلب عليه كما تأول أبوعبيد حديث لان يمتلی جوف أحدكم قيحا خير له من ان يمتلئ شعرا بانه الذی يغلب علی صاحبه انتهی.

(و قد سئل) عن ذالك الشيخ أحمد بن محمد بن علی بن حجر السعدی الهيثمی رضي الله عنه فی خاتمة الفتاوی ما قولكم نفع الله بكم عما يفعله طوائف اليمن وغيرهم من اجتماعهم وانشاد أشعارهم والمدائح مع ذكر مسجع وهل هو ذكر أو لا وهل يفرق بينه وبين الاشعار والمدائح وهل منعه أحد من العلماء فان كان فما سببه؟

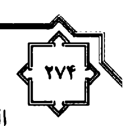
(فأجاب) نفع الله بعلومه بقوله انشاد الاشعار ان كان فيه حث علی خير أو نهی عن شر أو تشويق الی التأسی باحوال الصالحين والخروج عن النفس

---

١ . المعجم الكبير، ج٢، ص١٠٣.



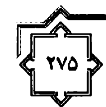
ورعونتها وحظوظها والتأدب والجد فى التحلى بالمراقبة للحق فى كل نفس ثم الانتقال الى شهوة فى كل ذرة من ذرات الوجود والعبادات كما أشار اليه الصادق المصدوق بقوله الاحسان أن تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فكل من الانشاد والاستماع سنة والذى نسمعه عن اليمنية وغيرهم انهم لا ينشدون فى مجالس ذكرهم الا ما فيه شئ مما ذكرناه والمنشدون والسامعون مأجورون مثابون ان صلحت نياتهم وصفت سرائرهم فأما ان كانوا بخلاف ذالك فيفهمون من كلام الصالحين غير المراد به بما يليق باغراضهم الفاسدة وشهواتهم المحرمة فهؤلاء عاصون آثمون فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وقد وقع لبعضهم انه كان ينشد كلام بعض فسقة الشعراء المشتمل على الاجتماع بالمرد والخمور ونحوهما من المعاصى، فينبغى النهى عنه ما أمكن فان انشاده واستماعه حرام كما صرح به النووى فى شرح المهذب، وهو ظاهر لانه يحمل العوام سيما الفسقة منهم على محبة ذالك ويزيد الاسترسال فيهم فتنة من الشر والفساد ما لا تحصى كثرته ولا تستقصى نهايته، وأما الذكر المسجع فإن وقع السجع فيه عن تكلف كان مكروها لانه ينافى الخشوع، وإن وقع لا عن تكلف فلا بأس به أخذا مما ذكروه من مثل هذا التفصيل فى الدعاء. نعم يقع لبعضهم عند السجع أن صغر اسمه تعالى ووصفه كالله على وهذا عند تعمده حرام شديد التحريم وبها يكون كفرا بل أطلق بعضهم انه كفر فليحذر وقول السائل وهل يفرق بين الاشعار الغزلية والمدائح ما فيه حدوث ونحوه فحينئذ جوابه انه لا فرق بينهما فيما سبق من ان ما اشتمل على سخف وهزء أو مدح معصية أو محرم فحرام وان ما خلا عن ذالك فمباح أو مندوب.



(و الحاصل) ان العبرة بالقصود والنيات وما اشتملت عليه القلوب وكنته الضمائر فرب سامع قبيح صرفه الى الحسن وعكسه فيعامل كل أحد بحسب نيته وقصده، وينبغي للانسان حيث أمكنه عدم الانتقاد على السادة الصوفية نفعنا الله بمعارفهم، وأفاض علينا بواسطة محبتنا لهم ما أفاض على خواصهم، ونظمنا فى سلك أتباعهم، ومنّ علينا بسوابغ عوارفهم، وإن يسلم لهم فى أحوالهم ما وجد لهم محملا صحيحا يخرجهم عن ارتكاب المحرم، وقد شاهدنا من بالغ بالانتقاد عليهم مع نوع تعصب فابتلاه الله بالانحطاط عن مرتبته، وأزال عنه عوائد لطفه وأسرار حضرته، ثم أذاقه الهوان والذلة، ورده الى أسفل السافلين، وابتلاه بكل علة ومحنة، فنعوذ بك اللهمّ من هذه القواصم المرهفات والبواتر المهلكات، ونسألك أن تنظمنا فى سلكهم القوى المتين، وأن تمنّ علينا بما مننت عليهم حتى تكون من العارفين والائمة المجتهدين، انك على كل شئ قدير انتهى كلامه نفع الله به وبعلومه آمين*.

ومن خاتمة الفتاوى أيضا سئل نفع الله به عن رقص الصوفية عند تواجدهم هل له أصل* فأجاب بقوله: نعم له أصل، فقد ورد فى الحديث ان جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه رقص بين يدى النبى ﷺ لما قال له أشبهت خلقى وخُلُقى وذالك من لذة هذا الخطاب، ولم ينكر عليه ﷺ وقد صح القيام والرقص فى مجالس الصحابة عن جماعة من كبار الائمة منهم عز الدين شيخ الاسلام بن عبد السلام*.

وما قولكم فى مشاهد الاولياء الاكابر مثل الامام على كرم الله وجهه وسيدنا محيى الدين وعبد القادر الجيلانى الحسنى وسيدنا عمر المحضار والسيد القطب عبد الله الحداد واضرابهم لهم قبور كقبورهم فهل لذالك أصل نعتمد عليه حتى نزور مشاهدهم كزيارة قبورهم أفيدونا مأجورين؟



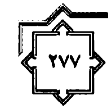
فالجواب عنه انا نقول: الاصل فى ذالك تحقيق عالم المثال المحسوس ومجاله واسع كسيدنا جبرائيل يأتى الى النبى ﷺ فى صورة سيدنا دحية الكلبى مع أنه ﷺ لم ير جبرائيل على صورته الاصلية الا مرتين، وذكر الشيخ ابن حجر أنهم يتصورون فى عالم المثال المحسوس كثيرا أحياء وأمواتا، وكانت لسيدنا القطب عبد الله الحداد فى غالب أيام حياته ثلاث أو أربع نساء فى عصمته كل منهن فى ليلة واحدة تحلف انه يبيت عندها، وكذالك فى الاخبار من التجزؤ والتشكل فى صور شتى للاحياء والاموات له ولغيره من الاولياء ما هو كثير مشهور لا حاجة لنقله، وذكر فى كتاب اليافعى الاولياء المتصرفين بعد موتهم كتصرفهم فى حياتهم، وكذالك المحقق الامام على بن أبى بكر السكران باعلوى قال فى مقبرة تريم ألوف منهم المتصرفون بعد موتهم كحياتهم، وقال فى كتاب المشرع الروى فى مناقب بنى علوى ثلاثة لا تزال خيل حمايتهم مسرجة ملجمة، ونظم بعضهم فقال:

اذا خفت أمرا أو توقعت شدة   فنوه بعلوى الفتى وابنه على
كذا عمر المحضار تحظ بغارة   بها تنج من كل الشدائد يا ولي

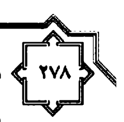
و قال الامام السيد محمد خرد نفع الله به فى كتاب الغرر فى مناقب السادة آل أبى علوى: خيول هممهم لمن تعلق بهم واعتقدهم مسرجة ملجمة محدقة، ونيران سوء الظن بهم والاعتراض عليهم وعدم التأدب لهم محرقة، وهم لمن اعترض عليهم ولم يحتفل بهم سموم مهلكة، ثم قال عن الشيخ على بن أبى بكر السكران: أدركت أكثر الماضين من آل أبى علوى ما أحد منهم يحمم شاربه أى ينبت الا وهو مكاشف انتهى. وان العمدة ما فى الكتب كما ذكر فى كتاب تثبيت الفؤاد ان سيدنا عليا كرم الله وجهه رواه فى البحيرة وأخبرهم فى رؤيا لبعضهم سيد المرسلين فانكر القاضى ذالك وشدد النكير، فرأى النبى ﷺ



وأمر بضربه فأصبح وبه أثر الضرب فخرج الحاكم والقاضي والعلماء الأكابر ونبشوا موضع المشهد فوجدوه فيه وسيفه عنده، فبعد ذالك أكثر العلماء نظما ونثرا في ذالك، ورأوا ابن عطاء الله في البقيع، والاصح انه قبر في الكوفة في مشهده الآن بدلائل أكبر وأكثر مما تقدم، وأخبرني بعض السياحين المكاشفين أنه اتفق يقظة بسيدنا عبد القادر الجيلاني في مشهده ببلاد المغرب قال: وقال لابد ما تجئ الى بغداد الى عند قبري فيها، وأعلمني بعض الاخبار المنشدين أنه اتفق برجل من أهل الكشف بالهند يعظمه الناس ولايته ظاهرة قال: أمرني في مشهد سيدي محيي الدين عبد القادر ان أنشد مديح سيدي القطب عبد الله الحداد في الشيخ عبد القادر فانشدت، فدخل رجل مهاب فقام المكاشف وقبل يديه وجلس بين يديه كالعصفور، فلما اتممت القصيدة قام وخرج، فلما خرج قال لي المكاشف: لم لا قمت لسيدي محيي الدين عبد القادر لما دخل عندنا قلت: له لم أعلم أنه محيي الدين نفع الله به وذكر السيد العلامة السيد يوسف بن عابد الفاسي المغربي الحسني تلميذ الامام الشيخ أبي بكر بن سالم باعلوي نفع الله بهما آمين في رحلته أن بعض أجداده الاكابر في بلاد المغرب كثر في الاعتقاد فيه قبائل المغرب، فلما دفنه أولاده من حيث لا تعلم الناس صار كل يطلب دفنه عنده لاعتقاد كل فيه منهم، ففعل كل منهم قبرا وقبة وادعى كل أنه عنده، فاجتمعوا على التبيين والتحقيق ومن ظهر عنده يسلمون له ذالك، فبحثوا في كل المشاهد فوجدوه في كلها وذالك بمحضر عظيم وخلائق لا يحصى لهم عدد، وأخبرني بعض السادة الثقات أنه زار مشهد سيدنا القطب عمر المحضار بشرمه وطلب منه أمرا عظيما وهو انه قال سرت مخورا الى مسكت وخفت ان الجنابة تقع علي في البحر مع الموج وهدم البحر مع الكشف في مركب لطيف فقلت عند المشهد: ان لم يحصل في البحر جنابة علي وكان ذالك وقت الشتاء



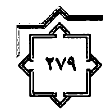
فحين وصلت تلك الليلة مسكت احتلمت ووقعت على جنابة ومثلها ثانية وثالثة ورابعة فرأيت المحضار في الرابعة قال عاد عليك ثلاث وعليك سبع مسكنهن في البحر فان أردتهن هنا والا في البحر يحصلن عليك قال فقلت له: الآن مرادي في البحر لاني أركب في مراكب الزولي مستور فيها والآن غالبه السكون قال فكان كذالك امسكت عن الجنابة فلما ركبت البحر جاءتني ثلاث مرات الجنابة وكم عند مشاهد المحضار من خوارق عادات لا تحصى وأما قبره فهو بتريم مشهور، ورأيت بخط العلامة الولي السيد عبدالله بن عبد الرحمن ابن الشيخ أحمد ابن سيدنا الحسين ابن القطب الغوث الشيخ أبي بكر بن سالم باعلوي قال: رأيت سيدي القطب عبد الله بن علوي الحداد باعلوي خط باصبعه موضع مشهده الآن بالشحر في مقابر السادة آل عديد، وأصبح الخط كما رأيته في المنام، وقد رأى تلميذه الولي العلامة محمد بن يس باقيس شيخه عبد الله الحداد في المنام يقول له: اني في مشهدي هذا ورأى بعض السادة من أهل الشحر سيدنا الامام أحمد بن ناصر المقبور في الشحر يقول: من زارني ولم يزر مشهد السيد الحبيب عبد الله الحداد ما قبلت زيارته. وأعلمني بعض السادة من أهل تريم قال: حصلت على اضاقة فرأيت بعض العلماء من السادة قال لي مددك في محل مشهد سيدي الحداد بالشحر فكان كذالك لما وصلت الشحر زرته أولا فحصل المقصود في الحين وكان لسيدي عبد الله الحداد مشهد آخر في بروم وله انذار وتقرا كمشهده الذي في الشحر رواتب معلومة فيحصل المدد على قدر المعتقد، واذا قرأت في مناقب الاكابر المتصرفين في حياتهم ومماتهم عرفت وعلمت تجزؤ الاموات وتشكلهم في عالم المثال. وقد قيل ان غاية تصورهم في عالم المثال عدد الرسل ثلاثمائة وثلاث عشر، بل قال سيدي أحمد زروق انهم يتشكلون في ألف صورة والاحكام الشرعية على صورة منها



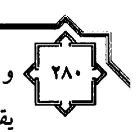
واحدة فقال بعضهم يتجزؤن أكثر من ذالك وفى ذالك وقائع والله على كل شئ قدير. وقد صح تصور الامام الحلاج لما جاء عند القاضى فى أربعين صورة مثل صورته فقال: تحكم الشريعة بقتل أربعين أم بقتل واحد، فسكت القاضى وأبهره حاله.

وقد ذكر السيد الامام محمد شليه باعلوى فى ترجمة الامام الشربينى مؤلف الاقناع وغيرهم انه كان يخطب يوم الجمعة فى أزيد من ثلاثين جامعا يتشكل فى صور شتى، وكذا جاء عن الاكابر مثل هذا الشيخ كثير ولو بسطنا فى ذالك لخرجنا عن الاختصار والقصد الاشارة لمن ألقى السمع وهو شهيد. وقد حكم الفقهاء كما ذكره الامام السيوطى وغيره لو حلف جماعة بالطلاق فى ليلة واحدة وهم متفرقون فيها مثلا أنهم اجتمعوا طول الليل بفلان من الاكابر الاحياء بانه لا يقع طلاق واحد منهم بناء على تحقق المثال المحسوس. ولله در الامام الكبير مصطفى البكرى فى كتابه المطالب التام السوى على حزب الامام القطب النووى قال فيه ﷺ عند ذكره فى فضائل الحزب المذكور: واعلم ان من الرجال من هو كالسيف ذى الحدين فاياك من مخاشنته أو ملامسته ولو كنت ترى لك فى التابوت جدين وبعضهم من قوسه موتور وسيفه مصلت مشهور ورمحه سنانه مقوم وفرس مسرج ملجم كشيخنا الباز الاشهب انتهى يعنى به الشيخ عبد القادر الجيلانى واشباهه كالمحضار عمرو الحبيب الحداد عبد الله وابن علوان أحمد ذى الانفاس وغيرهم لا يحصى من أخيار الناس الاكابر العقلاء الاكياس، ومن يهد الله فهو المهتدى بما جاء من علمهم لانه ما يحمله على التصديق الانور التوفيق لان الامام الجنيد قال الايمان بعلمنا هذا ولاية.

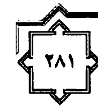
ونختم بالقصيدة الموعود بها وهى للسيد العلامة عبد الرحمن من أكابر علماء الاحساء ولله دره قال جزاه الله خيرا.



بدت فتنة كالليل قد غطت الافقا | وشاعت فكادت تبلغ الغرب والشرقا
فاظلمت الارجاء من شرها الذى | استطار بها أعوى جهارا وما أشقا
تزلزل منها الدين أىّ تزلزل | وكادت تهى من شرها العروة الوثقى
و قامت على ساق الغواية وانبرت | تثير قتام الكفر فى وجه من تلقا
أغارت باوهاد الضلال وانجدت | وعاثت باهل الدين توسعهم رشقا
أضلت فظلت تستميل بغيها | وتسرق ألبابا أبت رشدها سرقا
على فترة فى الدين جاءت فشبهت | كشهد مذقت السم فى بطنه مذقا
سرى سمها فى كل قلب فهالك | ومشف وذو وهن فعم فما أبقا
بدت من غوى خامر الكفر قلبه | واتباعه الجلف السواسية الحمقا
بدا شرها من شر أرض وبقعة | وابشعها مرأ وأكثرها فسقا
و أحمقها أهلا وأضعفها عقلا | وأعظمها جهلا وأجفسها خلقا
بها قرن ابليس كما جاء ظاهر | وهذا هو المعنى أقبح به روقا
نشا عارض الكفر الذى كان حلها | فأمطرها من كفره وابلا ودقا
و شاع بها ليل الضلال فعمها | وطوقها فى نجدها كلها طوقا
و اتباعه فى كل فدم وجاهل | واعراب سوء جانبوا الدين والصدقا
يصدون عن بيت الاله حجيجه | ويدنون بالايواء من يقطع الطرقا
فناذر شيء للرسول وزائر | له عندهم فى دينهم مشرك حقا
كذا من غدا بالمصطفى متوسلا | وزار وليا أو لقبته أبقا
و ابطل دين الله مع كتب أهله | فأحرقها حرقا ومزقها مزقا
و من قال مولانا وسيدنا وقد | عنى المصطفى قالوا هو المشرك الاشقا
كذا من بنفث المصطفى أو بشعره | تبرك أو آثار من أدرك السبقا
و ذاحله أهل المذاهب أجمعت | عليه فسل ذا العلم واستظهر الحقا



و قـد كـذبوا فيـه البخـاري ومسلما ... بـما رويـا فلـيكفهم جهلهـم حمقـا
يقولـون نحـن المسلمون وغيرنـا ... على الشرك احقابا مضت تعبد الخلقا
فست مئين فترة الـدين قـد مـضت ... فلـست تـرى مـن يعبـد الله أو تلقـا
و فـى ذاك دعـوى للنبـوّة ظـاهر ... فيا فريـة حطـت وأوهـت عـن المرقـا
و نحن الاولى بالدين قـاموا ومهـدوا ... ومـا شـعروا ان قـد بـه فتقـوا فتقـا
فيـا ويحهـم مـن أيـن جـاءهم الهـدى ... أو حى أتاهم وهو قـد أحكـم الغلقـا
و قـد ضـللوا مـن قـبلهم فكتـابهم ... تلقـوه عمـن فليجيبـوا اذا صـدقا
علـى انهـم قـد حرفـوه وخـالفوا ... تفاسـيره كـلا وجـاؤ بـها شـقا
يفـسره الجلـف البليـد لـديهم ... وذو عـوج ان قـال لا يحسن النطقـا
يخوضون فيهـا خـوض عميـاء عـاهر ... وقد عدموا الادراك والفهـم والحـذقا
مـشوّهة ألـوانهم ووجـوههم ... عليهـا ردا والبعـد مـن ربهـا ملقـا
و أعيـنهم مـزورّة مـستطيرة ... الـى فـوق كـالمعتوه تحديقـه فرقـا
جفـا أرضـهم قـد ألبسته قلـوبهم ... فلست تـرى عطـف لـديهم ولا رفقـا
فلـيس لهـم فـى رحمـة الله قـسمة ... فكـل غلـيظ الطبـع لا يـرحم الخلقـا
و ما أقدموا فـى معرك عـن شـجاعة ... فكم ولـوا الادبـار واستبشعوا الملقـا
و مـا اخـذوا الا بمكـر وخدعـة ... واخلاف مـا اعطـوا وذاك لهـم خلقـا
لقـد ثـل عـرش الـدين وانهـدّ ركنـه ... ولا خائط فـى النـاس يرفـو لـه فتقـا
و لا قـائم لله فـى الارض ينـبرى ... لاطفـاء نـار تـستطير لـه حرقـا
فكـلا تـراه سـاكنا أو مجمجـما ... وان قـال مـا جـاز المقـال لـه نطقـا
و أكثـرهم قـد خـامر الـسوء قلبـه ... وشـبهته غطـت عليـه بـها ألقـا
و أمـا ولاة الوقـت فـالله حـسبهم ... فقد قعدوا عن واجـب فيـه قـد حقـا
فلـما أتـاهم يبتغـى الملـك ثوبـوا ... اليـه ولكـن بعـد أن وسـع الخرقـا



و انى لارجو هدم ما قد بنى بهم وان يمحقوا آثاره عاجلا محقا
فتأييد دين الله لا شك حاصل فللّه لطف عن خليقته دقا
و مما دهاني والهموم كثيرة شجا شوّش الالباب واعترض الخلقا
و أوجع قلبى اذ أمض ومهجتى وآلم احشائى وأوسعها شقا
دعاة الى دين الضلال تجمعوا توسوس بالاغواء لتجتذب الخلقا
و أذكوا به نارا من الغى تلتظى وتسفع بالاحراق أوجه من تلقا
و لا آمر بالعرف أو رادع لهم فكلهم يمشى لما رامه طلقا
فلما اطمأنوا واستطار ضلالهم تعدوا الى ما كان أرفع فى المرقا
فيا ضيعة الدين الحنيفى لما عرا فقد سيم خسفا واستطالوا له محقا
و قد أولغوا فيه من الشرمدية اذا قطعت عرقا ستتبعه عرقا
و أجر واجياد الغى جهرا وفوقوا الى نحره من بغيهم أسهما زرقا
و كادت قناة الدين بعد اعتدالها تقارب غبار الكفر عن وجهه الانقا
و لا ناصر للدين أو قائم له يزيح غبار الكفر عن وجهه الانقا
فانى الله العلى وراجع اليه ولا حول ولا قوّة القا
اليه مرد الامر لا رب غيره فمن شاء أدناه ومن شاء له اشقا
أفوض أمرى فى شؤونى جميعها اليه وشأن العبد أن يظهر الرقا
سألت كريما لا يخيب سائلا جوادا مجيبا منعما محسنا حقا
اغاثتنا فى كل هول وشدة وتفريح كرب مع هموم لها تلقا
و ان يحسم الداء الذى عم شره واكسب جسم الدين من نفثه دقا
و يسلب نجدا كل خير ونعمة ويجعلها دكا ويصعقها صعقا
و يأخذها أخذا شديدا معاجلا ويحصدها حصدا ويمحقها محقا
و أسأله حسن الختام فانه كريم وكل الخلق فى فضله غرقا

من هفوات النجدى انكار التوسل والاستغاثة والمناداة باسمائهم أى الاموات والتبرك بالاخيار حتى النبى ﷺ.

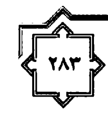
قال الشيخ محمد حياة المدنى والتوسل بالاعمال الحسنة وبدعاء الاخيار جائز كما نص عليه ابن تيمية فى الصراط المستقيم والتوسل بالاموات، زعم ابن تيمية انه ممنوع وقد صح عن بعض الصحابة انه أمر بعض المحتاجين أن يتوسلوا به ﷺ بعد موته فى خلافة عثمان رضي الله عنه فتوسل به فقضيت حاجته كما ذكره الطبرانى والعقل يقتضيه لانه اذا جاز التوسل بالعمل الصالح الذى يرضاه الله العظيم جاهه لديه يجوز برسالة ونبوّة وكرامة النبى ﷺ التى لها شرف وعزّ عنده أولا، فالمؤمن اذا قال اللهم انّى أتوسل اليك بنبيك محمد ﷺ لا يريد التوسل بمجرد ذاته التى يشاركه فيها نوع الانسان وانما يريد نبوّته التى فاقت على سائر الكمالات، فلا فرق بين أن يتوسل بدعائه أو نبوّته. وما ذكره ابن تيمية من الفرق ليس بشئ وجاء توسلوا بجاهى فانه عند الله عظيم*.

وفى كتاب نهج السعادة قال ﷺ: «**توسلوا بى وبأهل بيتى الى الله فانه لا يرد متوسل بنا**»[1] وقد صح توسل أبينا آدم بالنبى فقبل توبته لما توسل به* رواه ابن حبان فى صحيحه والله اعلم انتهى كلام محمد حياة رحمه الله فمن الجوهر المنظم لابن حجر ومن السنة قصة سواد بن قارب المروية للطبرانى فى معجمه الكبير وآخر قصته

فأشهد أن الله لا رب غيره	وانك مأمون على كل غائب
و انك أدنى المرسلين وسيلة	الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب

---

١ . لم نعثر عليه.

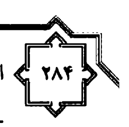


فمرنا بها يأتيك يا خير مرسل — وان كان فيما جاء شيب الذوائب
و كن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة — بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

و منها حديث أنس: سَأَلْتُ رسولُ الله ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: «**أَنَا فَاعِلٌ**»[1] حسنه الترمذى. وحديث ابن عمر: «**مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي**»[2] رواه الطبرانى وغيره والثاني: «**مَنْ جَاءَنِي زَائِراً لَا يعمل حَاجَةً إِلَّا زِيَارَتِي كان حَقّاً عَلَيَّ أَنْ أَكون لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[3]. صححه ابن السكن وأطال ثم قال وأول من تشفع به آدم ﷺ لما خرج من الجنة وقال له جلّ جلاله: «**لو تشفعت الينا بمحمد فى أهل السموات والارض لشفعناك**»[4]. قال القاضى عياض وحديث الشفاعة بلغ التواتر. وفى حديث عمر بن الخطاب عند الحاكم والبيهقى وغيرهما: «**وَإِذَا سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ**»[5] وفى صلاة الحاجة: «**اللهم انّى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد ﷺ نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى**»[6] رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه والحاكم فى المستدرك، وحديث الاعمى وأمره أن يدعو بهذا الدعاء: «**اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد ﷺ نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى لتقضى اللهم شفّعه فيَّ**»، صححه البيهقى وزاد: «**فقام وقد أبصر**»[7]. وهذا المعنى حاصل فى حياته وبعد مماته ومن ثم استعمل السلف هذا

---

١ . سنن الترمذي، ج٤، ص١٩٩.
٢ . سنن الدارقطني، ج٣، ص٣٣٤.
٣ . المعجم الكبير، ج١٢، ص٢٩١.
٤ . فتوح الشام، ج٢، ص٧٤.
٥ . دلائل النبوة، ج٥، ص٤٨٨.
٦ . سنن الترمذي، ج٥، ص٤٦١
٧ . دلائل النبوة، ج٦، ص١٦٦.



الدعاء فی حاجاتهم بعد موته ﷺ وقد علمه رواية عثمان بن حنيف زمان خلافة عثمان رجلا ففعل فقضاها، رواه الطبرانی والبيهقی وذكر الطبرانی بسند جيد أن النبی ﷺ ذكر فی دعائه: «**بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي**»[1] انتهی. وأطال ابن حجر فی الجوهر المنظم أنظره فيه وأما انكار النجدی نداءك فی المهمات للانبياء والاولياء وقال انه دعاء والدعاء مخ العبادة فهذا من قلة معرفته. قال شيخ الاسلام زكريا وكذالك زين الدين العراقی الشافعی والامام ابن رشد المالكی كما تقدم أول الكتاب هنا انك اذا ناديت مخلوقا حيا أو ميتا يسمی نداء واذا ناديت ربك يسمی دعاء ففرق بين يا الله وبين يا ولی الله أو يا فلان من المخلوقين وقد صرح بذالك العلماء وورد فی السنة بـ «**يا عباد الله أعينونی**»[2] وفی رواية: «**أغيثونی**»[3]، وقد بسطنا فی كتابنا السيف الباتر فی هذه المسئلة انظره فيه وفی غيره وقد ألف فی هذه المسئلة تأليفا عجيبا الامام العلامة العارف بالله عبد الله بن ابراهيم ميرغنی ساكن الطائف سماه تحريض الاغبياء علی الاستغاثة بالانبياء والاولياء وقال فيه:

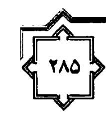
وبعد فهذه كلمات وضعتها فی لزوم التوسل بالانبياء والاولياء ووجوب الاستغاثة بالاتقياء والاصفياء كما جری عليه عامة السلف والخلف ومشی اليه أولو العلم والفضل والشرف وأصول منهجهم ثلاث آيات بينات وكثير اشارات أحاديث صينات وكثير اخبار وآثار زينات ثم بسط بالاحاديث والاخبار فلينظره فی مؤلفه من أراده ويكفيك ما صح أن عمته ﷺ صفية رثته بأبيات منها:

---

١ . المعجم الكبير، ج٢٤، ص٣٥١.

٢ . مسند البزّار، ج١١، ص١٨١.

٣ . المعجم الكبير، ج١٧ ص١١٨.



ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا برا ولم تك جافيا

و قد صح فى حديث مالك الدار أن بلال بن الحارث الصحابى كما يأتى فى آخر الباب هنا أنه جاء الى قبره الشريف فقال: **«يا رسول الله استسقى لأمتك فانهم هلكوا فأتاه فى النوم فاخبره انهم يسقون»**[١] وفى المواهب اللدنية: **«ان عمر لما استسقى بالعباس قال: «أيها الناس ان رسول الله كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به فى عمه العباس واتخذو وسيلة الى الله»**[٢].

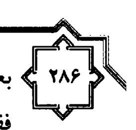
وفيها أيضا فقال مالك ﷺ: **«لم تصرف وجهك عن قبره صلّى عليه وسلّم وهو وسيلتك ووسيلة آدم ﷺ»**[٣] وفى حديث أنس وكلام الاعرابى يستشفع به الى ربه والنبى يسمع الى أن قال فى قصيدته بحضرته ﷺ

و ليس لنا الّا اليك فرارنا وأين فرار الناس الا الى الرسل[٤]

كما يأتى هنا مع معناه فيما بعد.

وفى سنن أبى داود وغيره ان اعرابيا قال للنبى ﷺ: **«جُهِدَتِ الْأَنفُسُ، وجاع الْعِيَالُ، وَهلك الْمَالُ، فادعو الله فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بك إلى الله»**[٥] الى آخر الحديث*. ومن ذالك ما روى النسائى والترمذى وصححه عن الصحابى عثمان بن حنيف عن النبى وفيه الدعاء الذى علمه النبى الضرير فأبصر: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلك وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يا محمد إِنِّي أتوجه بك إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ»**[٦]. وصححه البيهقى وسيأتى هنا

١ . المصنّف في الأحاديث والآثار، ج٦، ص٣٥٦.
٢ . المواهب اللدنيّة بالمنح المحمديّة، ج٣، ص٣٧٥.
٣ . نفس المصدر، ج٣، ص٥٩٤.
٤ . نفس المصدر، ج٣، ص٣٦٩.
٥ . سنن أبي داود، ج٤، ص٢٣٢.
٦ . سنن الترمذي، ج٥، ص٤٦١.



بعد وقد علمه الصحابى راويه من عسرت حاجته فى خلافة عثمان ففعله فقضيت حاجته ويكفيك فهم العلماء كافة من الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[1] وانها للعموم فى الحالين الحياة والمات لاستحباب الاتيان بها لزائره ﷺ وقد قام الاجماع السكوتى أيضا بذالك وهو حجة وقد توسل العدنى القطب أبوبكر بن عبد الله العيدروس بقصيدته لما قال

ببسم الله مولانا ابتدينا ... ونحمده على نعماه فينا

توسلنا به فى كل أمر ... غياث الخلق رب العالمينا

و بالاسماء ما وردت بنص ... وما فى الغيب مخزونا مصونا

بكل كتاب أنزله تعالى ... وقرآن شفا للمؤمنينا

و بالهادى توسلنا ولذنا ... وكل الانبيا والمرسلينا

و آلهم مع الاصحاب جمعا ... توسلنا بكل التابعينا

بكل طوائف الأملاك ندعوا ... بما فى غيب ربى أجمعينا

و بالعلما بامر الله طرا ... بكل الاوليا والصالحينا

أخص به الامام القطب حقا ... وجيه الدين تاج العارفينا

رقا فى رتبة التمكين مرقا ... وقد جمع الشريعة واليقينا

وذكر العيدروس القطب أجلا ... عن القلب الصدا للصادقينا

عفيف الدين محيى الدين حقا ... له تحكيمنا وبه اقتدينا

و لا تنس كمال الدين سعدا ... عظيم الحال تاج العابدينا

بهم ندعو الى المولى تعالى ... بغفران يعم الحاضرينا

---

١ . النساء: ٦٤.



و لطف شامل ودوام ستر وغفران لكل المذنبينا
و نختمها بتحصين عظيم بحول الله لا يقدر علينا
و ستر الله مسبول علينا وعين الله ناظرة الينا
و نختم بالصلاة على محمد امام الكل خير الشافعينا

و قد شرحها العلامة محمد بن عمر بحرق الحضرمى سمى شرحه مواهب القدوس فى مناقب ابن العيدروس.

(و قال الامام الملاذ المفزع عبدالله بن على صاحب الوهط)

سألتك يا رب بخير البرية محمد الهادى الشفيع وسيلتى

ثم عدّ اجداده كلهم الى أن قال فى آخرها:

هم آل بيت المصطفى محمد في الخير اقرب ثم اسمع وصيتي
وقد قال خير الخلق أفضل مرسل عليكم بحبل الله ثم يعترتى
و عترته هم أهل بيته فسل بهم وقل فيهم يا رب صحح عقيدتى

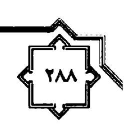
إلى أن قال:

أيا صاحبى أوصيك ان كنت راغبا فى الخير اقرب ثم اسمع وصيتى
اذا ما اعتلاك الهم والكرب والاذى توسل بمن سميتهم فى وسيلتى
هم الفضلاء الاخيار آل محمد يغاث بهم عند الامور المهيلتى
ألا فاستمع ما قلته لك اننى نصحتك فاقبل يا أخىء نصيحتى

(و قال القطب الغوث الحبيب عبد الله الحداد فى قصيدته)

مرحبا بالشادن الغزلى*، الى قوله بعد ان عدّ من أكابر أسلافه الاموات من أهل البيت النبوى منهم جملة ثم قال:

لذ بهم فى كل نائبة وادع ذا العرش بهم وسل
و قال فى أخرى فى الامر بالمناداة للاموات من أسلافه



نادى المهاجر صفى الله | ذاك ابن عيسى أبو السادات
ثم المقدم ولى الله | قطب الورى قدوة القادات
ثم الوجيه لدين الله | سقافنا خارق العادات
و السيد الكامل الاواب | العيدروس مظهر القطرات

و قال فى العينية فى وصف سيدنا القطب عمر المحضار قوله فيها والمحضار يسرع ان دعى* وقوله فى الامام عبدالله بن محمد بلفقيه نزيل مكة.

مولى الشبيكة سل به وتضرع* وقوله فى جميع الاكابر من أهل بيت النبوّة والفتوة قال نفع الله به فيها بعد ان عدهم ووصفهم.

قوم يغاث بهم اذا حل البلا | ولدى المساغب كالغيوث الهمع

وانظر فى ديوانه العظيم فى استغاثته بالنبى مثل:

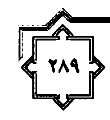
بنفسى أفدى خير من وطئ الثرى الخ (و قوله فى سيدنا الفقيه المقدم)

محمد بن على شيخ مشيخة | لنا واصل فروع ثمر هادان
يا سيدى يا جمال الدين يا سندى | ادرك صريخا أخا غم واحزان
يدعو بك الله فى تفريح كربته | وما عناه دعاء الخائف الجان
فقم به واغثه وارحم جانبه | مما يحاذر فى سر واعلان
أنت الغياث لنا فى كل نائبة | بعد الاله وطه خير عدنان
فغارة يا شريف الجد عاجلة | تحل عقدة هذا الخطب فى الآن
لا زلت يا ابن رسول الله منتجعا | للراغبين وملجا كل لهفان

(فقال فى قصيدته فى العيدروس عبد الله بن أبى بكر)

هيا يا عيدروس هيا بغوث | غارة منكم تحل عقال

(و قال فى قصيدته التى مدح بها الشيخ محيى الدين الشيخ عبد القادر الجيلانى)



يا شيخ محيى الدين يـا أسـتاذنا ومـلاذنا أدرك بغوث حاضرى

(قلت) وقد وقعت واقعة عظيمة سنة ١٢١٥ سنة حجينـا ثالـث حجـة لنـا وزرنا ثالث زيارة لسيد المرسلين ﷺ كان رجل مصرى مقعد بمكة يدحى على الارض ولم يقدر يقوم الا بعـصاتين واحـدة بيمينـه والثانيـة بيـساره ويـستغيث بسيدنا القطب عبدالقادر الجيلانـى فـى أن يفـرج الله عليـه فاسـتهزأ بـه بعـض المنكرين لكرامة الاموات فرأى سيدنا عبد القادر فى المنام يقول للمقعد سر الى زوايتى بمكة بكذا وكذا وبت بها يعافيك الله فسار وفعل ما أمره به فرأى الـشيخ عبد القادر أتاه وأقامه وسمع لقعقعة عظامه حين قيامه لهـا صـوتا وقـام يمـشى كان لم يكن به شيء، بل أزيد لم يتعظ المنكرون بهـذه الواقعـة العظيمـة كالـشمس وخسر هنالك المنكرون وذكر ابـن حجـر فـى الـصواعق المحرقـة ان الـشافعى توسل باهل البيت فقال:

آل النبـــى ذريعتـــى وهـــم اليـــه وسـيلتى

أرجو بهم أعطـى غـدا بيدى اليمين صحيفتى

و قد قال سيدنا عبد القادر العيدروس فى الزهر الباسم شرح رسالة الـسيد حاتم ان الامام الشافعى ؓ لما سمع أن أهـل المغـرب يستـسقون اذا جـدبوا بقلنسوة الامام مالك بن أنس فيسقون ببركة قلنسوة مالك فعـل مذهبـه الجديـد ولم ينكر على أهل المغرب فى فعلهم. وقال ابن حجر فى الخيرات الحـسان فـى مناقب أبى حنيفة النعمان فى الفصل الخامس والعشرين ان الامام الشافعى أيـام هو ببغداد يتوسل بالامام أبى حنيفة يجـئ الـى قبتـه فيركـع ركعتـين ثـم يقـصد ضريح النعمان يتوسل به فى قضاء حاجته وقد ثبت توسل الامـام أحمـد مناقـب الشافعى وانه كالشمس للناس وكالعافية للبدن قال الامام أبو الحـسن الـشاذلى من كانت له الى الله حاجة وأراد قضاءها فليتوسل اليه بالامـام الغزالـى وكـان



الامام أحمد بن موسى بن عجيل يتوسل كثيرا بالامام اسمعيل الحضرمى فقال له بعض الملازمين للحضرمى: أراك أكثر عبادة منه، قال: ما رأيته أنت يفعل فى الليل، قال: يصلى ثلاثة عشر ركعة عليها ورد عن النبى ﷺ فى قيامه وأسمعه فى فراشه كل ليلة يقول: أنا أنا أنا، فقال له: انا مع عبادتى أرجو أن أسمع المنادى فى الليل هل من داع فأستجيب له هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه فهو يسمع ويجيب المنادى أنا أنا فتوسل به حيا وميتا.

(قلت) وانما قال أرجو أن أسمع تواضعا والا فهو من كبار الصديقين فكيف وقد استشفى نبى مرسل بثوب نبى مرسل يعقوب استشفى بثوب ابنه يوسف كما أخبر به عزّ وجلّ فى كتابه العزيز: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكم أَجْمَعِينَ * وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ * قَالُوا تَاللهِ انك لَفِي ضَلَالك الْقَدِيمِ * فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً﴾[1]. وقد قال سيدنا القطب عبدالله بن أبى بكر العيدروس ثياب الاولياء ملامسة لبدنهم وبدنهم ملامس لروحهم وروحهم عند مليك مقتدر فيتبرك بثيابهم ولما مات ابنه العدنى أبوبكر بن عبدالله رأوا صندوقا عنده كبيرا ظنوا فيه دراهم ففتحوه فوجدوا فيه صندوقا آخر حتى فتحوا آخرهن فوجدوا فيه فرد نعال ممسكة بمسك وطيب مكتوب عليه هذه نعال شيخنا الولى سعد بن على بامدحج المشهور بالسوينى من اعتقاده فى ملبوس شيخه وتعظيمه أنظر فعله هذا وقد كان السبكى مع سعة علمه وجلالة قدره يمرّغ خده فى دار الحديث لعل أن يمس خده موضع قدم الامام النووى حتى قال:

لعلى ان أمس بحر وجهى ... مكانا مسه قدم النواوى

---

١. يوسف: ٩٦ ـ ٩٣.

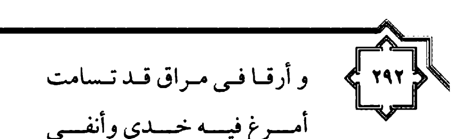
و كان العلماء وغيرهم من أهل تريم يقبلون الدرج التى يخرج منها كافة من خرج من جوابى آل أبى علوى لكثرة من مشى بها من الاكابر نفع الله بهم*.

ولله در العلامة السيد شيخ بن محمد الجفرى لما وقع له قطعة من مصلى القطب عبدالله الحداد فجعلها فى موضع سجوده فى مصلاة وخيط عليها، فلما انكر عليه بعض المنكرين انشأ قصيدة قوله فيها:

لكوني صرفت عمري في فسادي ... نحوت نحو منهاج رشادى
ففزت بقطعة لى من مصلى ... عظيم الشان فى سر وبادى
وتلك وضعتها موضع سجودي ... وأضمرت بصدق فى فؤادى
لعلى أن أمس بحر وجهى ... موضع مس قدم الحدادى
فأرجو ان حظيت بذاك فضلا ... أفوز به فى يوم التنادى
و ذاك فى غد غفران ذنبى ... وبالدنيا يبلغنى مرادى

و ذكر الامام السمهودى فى خلاصة الوفا عند ذكره لوادى العقيق قال: قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو مر علينا رجل من وادى العقيق لتبركنا به، وقال سيدنا العلامة عبدالله بن حسين بن عبدالله الحداد فى مصلى الحاوى بتريم:

وفي حاوي الحبيب لطيف معنى ... يشمه كل أواه منيب
يراه السر فى قبض وبسط ... سواء للبعيد وللقريب
يحن العارفون اليه شوقا ... باجنحة الهيام بغير ريب
فان منّ الاله علىّ يوما ... برؤيته فما أوفى نصيبى
عقدت للاله علىّ نذرا ... اذا حاذيت جارود الجنوب
أجرد نيتى عن كل لبس ... ولبى باسم علام الغيوب



و أرقا في مراق قد تسامت   مصلى القطب حداد القلوب

أمرغ فيه خدى وأنفى   وانسان العيون وكل شيب

لعلى أن أمس بحر وجهى   مكانا مسه قدم الحبيب

و قال سيدنا الكبير على بن أبى بكر السكران فى كتابه معارج الهداية: اذا تبركت بمواضع الصالحين فتذكر هذه الابيات:

خليليّ هذا ربع عزة فاعقلا   قلوصيكما ثم احللا حيث حلتى

و مسا ترابا طال ما مس جلدها   وبيتا وظلا حيث باتت وظلتى

و لا تيأسا أن يقبل الله منكما   اذا أنتما صليتما حيث صلتى

و قد ذكر ابن حجر فى شرح الحديث الثالث عشر من الاربعين للامام النووى أن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ أوصى ثابت البنانى أن يجعل تحت لسانه شعرة كانت عنده من شعر رسول الله ﷺ ففعل وقال السيد العلامة عبد الله بن جعفر مدهر باعلوى المتوفى بمكة المشرقه:

اذا ما حرت من حر الحروب   لباغى نفسك المخطى المصيب

و نابتك النوائب واستطالت   مخاطبة بأهوال الخطوب

و جاد لك الزمان بحادثات   وجلا الامر بالامر الكئيب

و قد صرف الهنا صرف الليالى   وكر عليك تكرير الكروب

و أضحى الامر فى نكر نكير   وأمسى القلب فى مس اللغوب

و أغرب بالغرائب كل وقت   وجاء اليك بالعجب العجيب

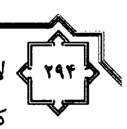
توسل واستغث بالغوث قل يا   عفيف الدين حداد القلوب

و الآن فى الدرعية أعلمنى من حضر فى صلاتهم يوم الجمعة شهرا يصلى معهم كل جمعة والخطيب ابن محمد بن عبد الوهاب حسين الاعمى يقول فى



خطبته الثانية: ومن توسل بالنبى فقد كفر. وسمعت بعض العلماء قال ان أخى محمد بن عبد الوهاب سليمان لم يتبع أخاه وقال له يوما: كم أركان الاسلام يا محمد بن عبد الوهاب فقال له: خمسة، فقال له: بل أنت جعلتها ستة، السادس من لم يتبعك ليس بمسلم هذا ركن سادس عندك للاسلام، ثم ألف رسالة فى الرد على أخيه محمد، وقرظ على رسالته علماء المدينة منهم الشيخ العلامة محمد بن سليمان الكردى، وجعلنا تقريظه هذا مع جواب سؤالات فى النجدى الشرقى ابن عبدالوهاب أجاب الشيخ محمد بن سليمان الكردى عنها فجعلناها خاتمة الكتاب هذا، فانظرها هناك ترشد. وقال لابن عبد الوهاب رجل: آخركم يعتق الله كل ليلة فى رمضان فقال له: مائة ألف فى كل ليلة وفى آخر ليلة مثل ما فى الشهر جميعاً قلما أعلمه بذالك، قال له: لم يبلغ من تبعك عشر عشير ما ذكرت من هؤلاء المسلمين الذين يعتقهم الله، وقد حصرت المسلمين فيك ومن تبعك وقال له آخر: لم جعلت من نادى وليا فى قبره مشركا قل مجنون كانه نادى جدارا لا ينفعه، فإنّ المشرك الذى يجعل لله ندا، وهذا انما نادى من لا ينفعه فى عقيدتك، وفى اعتقاد المنادى أنه نافع له. وقد جاء لو اعتقد أحدكم فى حجر لنفعه، وقال له رئيس قبيلة آخر: ما تقول اذا أخبرك رجل دين صادق تعرفه بالصدق بان قوما عظيمة قاصدتك وراء الجبل الفلانى فأرسلت ألف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل ولم يجدوا للقوم أثرا ولا واحدا، ولا جاؤا تلك الارض أصلا، أتصدق الالف أم الواحد الصادق عندك، قال: أصدق الالف قال له: اذا جميع المسلمين من العلماء الاحياء كلهم والاموات فى كتبهم يكذبون ما أتيت به ويزيغونه فنصدقهم ونكذبك.

وقال له رجل آخر: الدين الذى جئت به متصل أو منفصل، فقال له: حتى مشايخى ومشايخهم الى ستمائة سنة كلهم مشركون فقال له الرجل دينك منفصل



لا متصل فعن من أخذته؟ قال: وحى الهام كالخضر، قال له: ليس محصورا فيك كل يدعى وحى الالهام ثم قال له: ان التوسل مجمع عليه عند أهل السنة بالنبى محمد ﷺ حتى ابن تيمية ذكر فيه وجهين وذكر كلام محمد بن عبد السلام الشافعي وحتى الارفاض والخوارج والمبتدعة قائلون بصحة التوسل به صلّى الله عليه وسلّم ولا حجة لك بالتكفير أصلا فقال له: عمر استسقى بالعباس لم لا استسقى بالنبى ﷺ، فقال له: حجة عليك استسقاؤه بالعباس بأنه يصح التوسل بغيره وحجتك بحديث عمر فعمر روى حديث توسل آدم بمحمد لما أكل من الشجرة وعصى ربه فتاب عليه بتوسله بمحمد ﷺ فسكت ولم يرد له جوابا، وبقى على عمايته لما صح فيه وفى أتباعه كما جاء فى الحديث الذى فى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**يَخْرُجُ نَاسٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لاَ يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى فُوقِهِ**»، قِيلَ مَا سِيمَاهُمْ؟ قَالَ: «**سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ**» أَوْ قَالَ: «**التَّسْبِيدُ**»[1] انتهى. وهذه العلامات فيهم التسبيد والتحليق والتسبيد معناه التحليق وهو من أسمائه، وهو بالتاء المثناة فوق والسين المهملة والباء الموحدة التحتية والمثناة التحتية ثم الدال، حتى ان امرأة حجته لما أمرها بحلق رأسها قالت له: لم تأمر بحلق الرأس للرجل فاذا أمرتهم بحلق اللحى يحلق النساء رؤسهن لان شعر الرؤس للنساء كاللحية للرجل*.

وينبغي اليوم فى هذا الوقت من الحوادث التى حدثت فى الثلم فى الدين باعتقاد العامة قول البدعى ان الاستغاثة شرك فالعالم والمقتدى به ينبغى له ان يظهر الاستغاثة ليقتدى به فقد نقل عن الامام محمد بن ادريس الشافعى عالم قريش رضي الله عنه أنه قال: انى أخالف حفصا القرد حتى فى قول لا اله الاّ الله أو كما

١ . صحيح البخاري، ج٩، ص١٦٢.



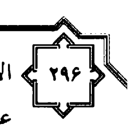
قال من نحو هذا وهو مشهور وحفص هذا مبتدع معروف جرى له مع الشافعی مناظرات والمقصود مخالفة أهل نجد جماعة البدعی ابن عبد الوهاب واتباعه الذين أجمعت العلماء من أهل المذاهب الاربعة بانهم زنادقة ولم ينتحلوا دينا يعتمد وما معهم من الحق كمن معه زباد فخلطه بعذرة*.

ولله در الشيخ محمد بن عبدالله بن فيروز الحنبلی لما قام مجتهدا ابتغاء مرضاة الله فی اطفاء بدعة هذا الخبيث كلما رأى وجها لبعض أهل المذاهب الاربعة تبع ذالك الوجه، اذا كان مخالفا لما يعمله أو يقوله ابن عبد الوهاب البدعی وأتباعه وذالك لاجل اظهار المخالفة كما قال الامام الشافعی فی حفص البدعی المتقدم ذكره وسنزيدك بيانا فی التوسل والاستغاثة بالانبياء والصالحين والاولياء قال الامام الرملی فی شرحه على ايضاح الامام النووی:

واعلم أن مما يدل لطلب التوسل به ﷺ وأن ذالك هو سيرة السلف الصالح من الانبياء والاولياء وغيرهم ما أخرجه الحاكم وصححه انه ﷺ قال: «**لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ ؈ الْخَطِيئَةَ قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلك بِحَقِّ مُحَمَّدٍ ﷺ لَمَا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللهُ: يَا آدَمُ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّداً وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، انك لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَىَ قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوباً لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله فَعَلِمْتُ انك لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللهُ تعالى: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لَأُحِبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ واذ سألتنى بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لك وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ**»[1] وأطال ثم قال: «ولا فرق بين ذكر التوسل والاستغاثة أو التشفع أو التوجه به ﷺ أو بغيره من الانبياء وكذا الاولياء وفاقا للسبكی، وان منعه ابن عبد السلام فی الولی لانه صح جواز التوسل بالاعمال مع كونها اعراضا، فالذوات الفاضلة أولى ولأنّ عمر توسل بالعباس ؓ فی

---

١ . المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٦٧٢.



الاستسقاء ولم ينكر عليه انتهى، من شرح ايضاح النووى وقوله وان منعه ابن عبد السلام، أى فى حق الاولياء، وأما النبى ﷺ فقال ابن عبد السلام له ان يقسم على الله به لانه سيد ولد آدم وجعله من خصوصياته، قال الامام المناوى: ولا اتجاه لما ذكر اذ الخصوصية لا تثبت بالاحتمال بل فى بعض الاخبار التصريح بخلافه فأفهم كلام المناوى فى بعض الاخبار التصريح بأنه يجوز التوسل بالانبياء والاولياء انتهى*.

وروى الترمذى والنسائى وغيرهما أن النبى ﷺ علم بعض أصحابه أن يدعو فيقول: «**اللهم انى أسألك وأتوسل اليك بنبيك نبى الرحمة يا محمد يا رسول الله انى أتوسل بك الى ربك فى حاجتى ليقضيها لى اللهم فشفعه**»[1] فان فى هذا الحديث جواز الاتيان بياء النداء وفيه الدليل على جواز التوسل برسول الله ﷺ حيا وميتا وكذا على جوازه بغير من نبى وولى وصالح حيث لم يقل لا تتوسلوا بغيرى وعلى جواز الاتيان بالياء فى التوسل والاستغاثة بمن ذكر قياسا عليه ﷺ بل ذكر الامام الغزالى فى كتابه منهاج العابدين أن قارون لما استغاث بموسى ﷺ عاتبه. وفى الحديث المتقدم عن النسائى والترمذى دليل على جواز النداء للحى والميت والحاضر والغائب لانه ﷺ علّم الصحابة ﷺ هذا الدعاء الآتى ليدعوا به ويتوسلوا فيه بالنبى ﷺ عند الحاجة فى حياته ﷺ وبعد موته ولم يقل لهم عليه الصلاة والسلام لا تدعوا به الا فى حياتى، والسكوت فى مقام البيان من أدل دليل على الجواز كما هو مقرر فى الاصول والدعاء المشار اليه: «**اللهم انى أتوسل بنبيك نبى الرحمة**» وبعده «**يا محمد يا رسول الله انى أتوسل بك الى ربك فى حاجتى ليقضيها لى**» فافهم النداء بيا محمد يا رسول الله انى أتوسل بك الخ جواز الاتيان بياء النداء للمتوسل به حيا

---

١ . سنن الترمذي، ج٥، ص٤٦١.



كان أو ميتا، وفيه الرد لدليل النجدى الذى استدل به وهو حديث عمر: «**اللهم انا كنا نتوسل برسولك فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبيك**»[١] ويرد ما استدل به أيضا من حديث: «**اللهم انا نتوسل بخيارنا**»[٢] حديث معاوية انهم أمروا بالاستسقاء بخيار الاحياء وقد أمروا ان يستسقوا فى الصحراء لا عند القبور ويخرجوا حتى بالبهائم والكفار لكن لا يخالطوا المسلمين الى غير ذالك مما ذكروه فى الاستسقاء. وفى حديث عمر دليل على الاستسقاء بالمفضول مع الفاضل لان عمر وعثمان وعليا أفضل من العباس وفيه دليل على جواز الاستسقاء باهل البيت وليس فيه دليل على ان الميت لا يتوسل به، والمفهوم يرده الاحاديث والاجماع فى المرتبة الثانية فهو أقوى من الاحاديث فكيف وقد أجمعوا بالتوسل به ﷺ، وأيضا فى الحديث يا محمد يا رسول الله انى أتوسل بك الى ربك وتوسل المتقدمين والمتأخرين به ﷺ مما انعقد الاجماع عليه فكيف يكون ذالك خرقا عظيما وبهتانا كبيرا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين. وكذالك التوسل بالانبياء والصحابة والتابعين والعلماء والصالحين والاستغاثة بهم أحياء وأمواتا لانهم يعرفون الله أكثر منا لان مراتب اليقين ثلاث علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين. وقد ذكر فى شرح العقيدة السنوسية ان الامام الكبير الحنفى ومعه تلميذه سارا يمشيان على لجة البحر فقال الشيخ: بسم الله الرّحمن الرّحيم، وقال لتلميذه قل يا شيخى الحنفى ومشيا على الماء، فلما وصلا القبة قال تلميذه: لم لا اقول ما قاله شيخى بسم الله الرّحمن الرّحيم فقالها فغرق، فامسك بيده الشيخ فقال له: ما سببك، فأعلمه فقال له الشيخ: أنت تعرفنى وأنا أعرف الله وأنت عارف لاسمى وأنا عارف

---

١ . صحيح البخاري، ج٢، ص٢٧.

٢ . الطبقات الكبرى، ج٧، ص٤٤٤.



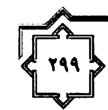
لاسمه وأنت توسلت بى لانك تعرفنى وأنا أتوسل باسم الله لانى أعرف اسمه فانظر قوله قل يا شيخى الحنفى قولا أنه جائز شرعا لما أمره أن يقوله لان جلالة قدره ومعرفته بالله تعالى تأبى أن يرتكب ما لا يجوز. قال تعالى وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر لانه ورد عنه ﷺ لمن أراد عونا أن يقول ثلاثا: «**يا عباد الله أعينونى**» ذكره فى كتاب عدة الحصن الحصين[١] وغيره، وفى شرح حزب البحتر للامام أحمد المعروف بزرّوق قال: اللهم انا نتوسل اليك بهم فانهم أحبوك وما أحبوك حتى أحببتهم فبحبك اياهم وصلوا الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فيك الا لحظنا منك فتمم لنا ذالك مع العافية الكاملة الشاملة التامة حتى نلقاك يا أرحم الراحمين انتهى كلام زروق نفع الله به آمين.

وقد ذكر فى كتاب مجمع الاحباب فى ترجمة الامام أبى عيسى الترمذى أنه رأى فى المنام رب العزة تسعة وتسعين مرة قال ان رأيته تمام لاسألنه بم يحفظ على الاسلام ويتوفانى عليه قال: فرأيته قال: فاقرأ بعد ركعتى الفجر قبل صلاة الصبح الهى بحرمة الحسن وأخيه وجده وبنيه وأمه وأبيه نجنى من الغم الذى أنا فيه يا حى يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام أسألك ان تحيى قلبى بنور معرفتك يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين.

قال الشيخ العلامة سليمان الجمل فى شرح الدلائل قوله رب محمد رب الانبياء رب الملائكة رب البيت رب الركن والمقام رب المشعر الحرام رب الحرم والصفا والمروة وجبريل ﷺ ذكر هذه المخلوقات العظام القدر عند الله تعالى ثناء على الله بربوبيته لها وتوسلا اليه بها وباحترامها فى تيسير المطلوب انتهى من شرح الدلائل*.

---

١ . الحصن الحصين من كلام سيّد المرسلين، ص٨٢.



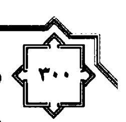
وقد ورد عن النبي ﷺ كما في الاذكار تقول بعد ركعتي الفجر ثلاثا اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل ومحمد ﷺ أجرني من النار ثلاثا فخص هؤلاء لقبول الدعاء والتوسل بهم والا فهو سبحانه وتعالى رب الكل كما قال تعالى حكاية عن السحرة: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾[1] وهو رب الكل عزّ وجلّ فاذا كان الشرع واردا بالتوسل بالانبياء والملائكة أحياء وأمواتا فهل تتوسل بالظلمة بأن تقول اللهم رب الكعبة وبانيها وفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها نور بصري وبصيرتي وسري وسريرتي، وقد جرب أن هذا الدعاء ينور البصر عند الاكتحال.

وقد انكر النووي في الاذكار على من قال لا تقل اللهمّ ارزقنا شفاعة النبي ﷺ فانما يشفع لمن استوجب النار قال النووي (قلت) هذا خطأ فاحش وجهالة بينة ولولا خوف الاغترار بهذا اللفظ الغلط وكونه قد ذكر في كتب مصنفة لما تجاسرت على حكايته فكم من حديث في الصحيح جاء في ترغيب المؤمنين الكاملين بوعدهم شفاعة النبي ﷺ كقوله ﷺ: «**مَنْ قالَ مِثْلَ ما يَقُولُ المُؤَذِّنُ حَلَّتْ لَهُ شَفاعَتي**»[2]. وقد احسن الامام الحافظ الفقيه أبو الفضل عياض رحمه الله في قوله قد عرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح رضي الله عنهم شفاعة نبيهم محمد ﷺ ورغبتهم فيها قال: وعلى هذا لا يلتفت الى كراهة من كره ذالك لكونها لا تكون الا للمذنبين لانه ثبت في الاحاديث الصحيحة في صحيح مسلم وغيره اثبات الشفاعة لاقوام في دخولهم الجنة بغير حساب ولقوم في زيادة درجاتهم في الجنة، ثم قال: كل عاقل معترف بالتقصير محتاج الى العفو مشفق من كونه من الهالكين ويلزم هذا القائل أن لا يدعو بالمغفرة

---

١ . طه: ٧٠.

٢ . الأذكار للنووي، ص٣٨٤.



والرحمة لانها لاصحاب الذنوب وكل هذا خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف انتهى من الاذكار. وقد ثبت فى حزب الامام الكبير شعيب أبى مدين وغيره من الاكابر كالشيخ عبد القادر الجيلانى التوسل بالسور والانبياء والصحابة والاولياء والاستغاثة بهم خصوصا أهل بدر نظما ونثرا ألفوا فى الاستغاثة بهم نبذا صالحة وآخرها للعلامة السيد جعفر بن حسن البرزنجى مصدر كل اسم بياء النداء فى الجميع وكذالك فى أهل أحد على حروف المعجم وظهرت بركة ذالك فى حكايات أثبتها السيد فى مؤلفه وغيره. فالعجب من النجدى كيف ساغ له أن ينكر على الاكابر بل يسميهم مشركين لما استغاثوا بالاموات وتوجهوا بهم مستشفعين بهم الى باريهم مع تظافر النصوص المتقدمة على جواز التوسل والاستغاثة ومع ذالك انكر الاحاديث وخرق الاجماع وأظهر الابتداع عاجله الله بعقوبة تقطع دابره ودابر أتباعه المضلين آمين». وقد روى فى سنن ابن ماجه عن النبى ﷺ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلك بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ»**[1] الى آخر الدعاء وقد ورد اللهم انى أسألك بحقى وحق النبيين من قبلى الى آخره كما ذكره فى خلاصة الوفاء للسمهودى وقد صح فى حديث البخارى ومسلم دعاء الانسان وتوسله بصالح عمله كما فى حديث أهل الغار الثلاثة الذين انطبق عليهم الصخرة فتوسلوا بأفضل أعمالهم ففرج الله عنهم وقد روياه فى صحيحيهما وقد قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾**[2] وقال تعالى: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكم اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا... فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾**[3] وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكم مِنْ ذكر وَأُنْثَى**

---

١ . سنن ابن ماجه، ج١، ص٢٥٦.

٢ . المائدة: ٣٥.

٣ . المائدة: ٥٦ ـ ٥٥.

وَجَعَلْنَاكم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكم عِنْدَ الله أَتْقَاكم﴾[١] فأعلمنا ان التقى باب الوسيلة لكرامته عنده كما في الحديث القدسي: «وَلَئِنِ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»[٢]، وقال تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[٣] فكيف بباب الله سيد المرسلين ﷺ قال فيه بعض العارفين

و أنت باب الله أيّ امرى ... أتاه من غيرك لا يدخل

و قال فيه القطب الحبيب عبد الله بن علوى الحداد:

أنت باب الله نال المرتجى ... والامانى من عليه وقفا

فكيف وقد ورد عنه ﷺ: **«توسلوا بى وبأهل بيتى الى الله فانه لا يرد متوسل بنا»**[٤] وقد ورد عنه ﷺ سلمان منّا اهل البيت فمن كان من الأتقياء الأولياء فقد طهرهم الله كأهل بيت رسول الله ﷺ أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، ولكرامتهم عند الله نأتى اليه من بابهم اذ أمرنا بقوله سبحانه ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[٥] وأمرنا نبيه بقوله: **«توسلوا بى وباهل بيتى الى الله فانه لا يرد متوسل بنا»**.

قال الشيخ عيسى بن مطلق المالكى فى الرد فى رسالته على انكار النجدى على البوصيرى وأتى باحاديث كثيرة باستغاثة الصحابة والتوسل به ﷺ ولم ينكر عليهم ثم أتى بحديث الاعرابى الذى أتى النبى ﷺ يستسقى به ويقول منشدا لابياته التى أولها:

---

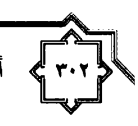
١ . الحجرات: ١٣.

٢ . صحيح البخاري، ج٨، ص١٠٥.

٣ . البقرة: ١٨٩.

٤ . لم نعثر عليه.

٥ . المائدة: ٣٥.



أتينـاك والعـذراء يـدمى لبانهـا وقد شغلت أم الصبى عن الطفل

الى أن قال:

و لـيس لنـا الا اليـك فرارنـا وأين فرار الخلق الا الى الرسل

قال ما معناه فى هذا البيت الاخير: أبلغ رد على انكار النجدى قول البوصيرى يا أكرم الخلق الى آخر البيت لان الاعرابى أتى فى بيته باداة الحصر التى هى قوله الا اليك فرارنا وقوله الا الى الرسل فهو أعظم وأبلغ من قول البوصيرى لافادة الحصر وليست ياء النداء كذالك ومع ذالك لم ينكره عليه ﷺ بل لما أنشده الابيات قام يجر رداءه حتى رقى المنبر، فخطب ودعا لهم، فلم يزل يدعو لهم حتى أمطرت السماء وهو على المنبر انتهى كلامه بمعناه ملخصا. والحديث رواه الامام البيهقى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أعمى النجدى عما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال: «**أَوْحَى اللهُ تعالى إِلَى عِيسَى عليه السلام يَا عِيسَى آمِنْ بِمُحَمَّدٍ وَأْمُرْ مَنْ أَدْرَكَهُ مِنْ أُمَّتِكَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ فَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَلَقَدْ خَلَقْتُ الْعَرْشَ عَلَى الْمَاءِ فَاضْطَرَبَ فَكتب عَلَيْهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ فَسَكَنَ**»[1] ذكره ابن حجر فى كتابه الدر المنظوم ثم قال فاذا كان هذا الفضل والخصوصية له عليه السلام أفلا يتوسل به ﷺ قال الامام السخاوى فى فتاويه:

أمـا التوسـل بالسـادات جـاز بـلا شـك كـما قـد أتـى فـى مـسند الخـبر

و فيـه ان بعـم المـصطفى ابتهـل الـ ـفاروق أى عمر الممدوح فـى الـسور

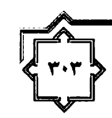
و مثـل عـم رسـول الله جـاز لنـا توسـل بأهيـل العلـم فـى العـصر

و الاوليـاء جميعـا هكـذا ذكـروا أى مطلقا فاجتنب من قـام فـى قـسر

بـأن للقـبر شـأن حـين حـل بـه جسم الولى فاتبع ما فى العلوم قرى

---

١ . المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٦٧١.



نظم ابن مسك السخاوي الشافعي أخـو ذنب ويرجو الرضا من خـالق البـشر
مـصليا حامـدا الله شـاكره مـستغفرا مـن ذنـوب عـدة المطـر

و قوله اجتنب من قام فی قسر أشار به لابن تيمية. وقـال بعـض المحققـين يظهر لى أن حكمة توسله بالعباس دون النبى ﷺ هى مشروعية جواز التوسل بغيره ﷺ، وذالك لان التوسل به أمر معلـوم محقـق عنـدهم كيـف وعمـر هـو رضى الله روى حديث توسل آدم به ﷺ، فلو توسل بالنبى ﷺ لاخذ منه عدم جواز التوسل بغيره وكونه مخصوصا به ﷺ فلما توسل بالعباس رضي الله عنه علم منه جواز التوسل بغيره واظهار تواضـع عمـر لنفـسه والرفعـة لقرابتـه ﷺ. ففـى التوسـل بـه توسـل بـالنبى ﷺ وزيـادة، واذا توسـل بالعبـاس فهـو اقتـداء بالنبى ﷺ.

ذكر ابن الجوزى فى دلائل الاحكـام أن رسـول الله عليـه وسـلّم استـسقى بالعباس وذكر القـسطلانى فـى شرح البخـارى عـن كعـب الاحبـار: «**أن بنـى اسرائيل كانوا اذا قحطوا استسقوا بأهل بيت نبيهم**»[1] وفى كتاب خلاصـة الوفـا فى أخبار دار المصطفى صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم وفـى العـادة ان من توسل بمن له قدر عند شخص أجاب اكراما له وقد يتوجه بمن له جاه الـى من هو أعلى منه واذا جاز التوسل بالاعمال كـما صـح فـى حـديث النـار وهـى مخلوقة فالسؤال به ﷺ أى حيا أو ميتا أولى، ولا فـرق فـى ذالـك بـين التعبـير بالتوسل أو الاستغاثة أو التشفع أو التوجه به فى الحاجـة أى وبغـيره، ومنـه مـا رواه البيهقى وابن أبى شيبة بسند صحيح عن مالك الدار وكان خازن عمر قـال أصاب الناس قحط فى زمـن عمـر بـن الخطـاب رضي الله عنه فجـاء رجـل الـى قـبر

---

١ . ارشاد الساري شرح صحيح البخاري، ج٢، ص٢٣٨.



النبى ﷺ فقال: «يا رسول الله استسق لامتك فانهم قد هلكوا فأتاه رسول الله ﷺ فى المنام فقال أئت عمر فاقرئه السلام وأخبره انهم مسقون، وقل له عليك الكيس، عليك الكيس[١] أى العقل فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر ثم قال يا رب ما آلوا الا ما عجزت عنه.

وبيّن سيف فى الفتوح أن الذى رأى هذا المنام بلال بن الحارث أحد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين قال الشيخ العلامة أحمد بن عبدالكريم فى كتابه تثبيت الفؤاد فى نقل كلام القطب عبد الله الحداد رضي الله عنه قال له رجل: هل الاموات ينفعون الاحياء بشئ، فقال: نعم انهم يشفعون لهم ويدعون لهم فان أعمال الاحياء تعرض عليهم فان رأوه حسنا دعوا لهم بالثبات عليه والزيادة أو سيئا دعوا لهم بالتوبة والمغفرة كما ورد والاموات أكثر نفعا للاحياء منهم لهم لان الاحياء مشغولون عنهم بهمّ الرزق والاموات قد تجردوا عنه وليس لهم هم الا فى الذكر وفيما قدموه من الاعمال الصالحة، لا تعلّق له إلا بذالك كالملائكة وما يعملون من العمل الصالح فى قبورهم كالذى رأوه فى قبر يقرأ فى مصحف وغير ذالك مما يحكى عن الاموات. فالظاهر أنهم لا يثابون عليه لانقطاعهم من دار التكليف وانما ذالك ليتلذذوا به كالملائكة غذاؤهم الذكر وما ورد اذا مات ابن آدم انقطع عمله الخ أى عمله لنفسه قال ذالك الرجل لسيدنا: فهل يتعارف الاموات ويتزاورون كما هو حال الاحياء قال: يكونون على حسب ما كانوا قبل الموت انتهى من كتاب تثبيت الفؤاد، وبانتهائه نكف القلم عن نشر هذا المادة لأنها تستدعى بسطا ولها أصول ومادة موجودة سهلة لمن أراد جمعها لان علماءنا من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة حرروا

---

١ . المصنّف في الأحاديث والآثار، ج٦، ص٣٥٦.



فى كتبهم ونشروا ذالك وبسطوه بنقل أحاديث وحكايات وقواعد مقررة فى الكتب الاصولية والحديثية والسير والمناقب، وقد رأيت امام مقام ابراهيم بمكة الآن العلامة الشيخ محمد صالح الزمزمى الشافعى جمع كتابا فى نحو عشرين كراسا، ورأيت لما وصلنا الطائف لزيارة حبر الامة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما الشيخ طاهر العلامة الحنفى ابن الامام محمد سعيد سنبل الشافعى ألف كتابا فى ذالك سماه الانتصار للاولياء الابرار، وقال لى: لعل الله يوقف عليه من لم تدخل بدعة النجدى فى قلبه، وأما من دخلت فى قلبه فلا يرجى فلاحه، الحديث البخارى يمرقون من الدين ثم لا يعودون فيه وساقه، وقد قدمناه أول الكتاب وفى هذا الباب وألف فى ذالك فى مكة الشيخ العلامة حسن المصرى وكذالك بمكة الشيخ العلامة عثمان بن خضر قرأ ما جمعناه وقرره وأمر بنسخة له منه وكذالك السيد العلامة المحقق أحمد بن علوى جمل الليل باعلوى فى المدينة والشيخ المحدث صالح الفلانى رأوها وقرروها. وأفادنى السيد أحمد جمل الليل بأن للشيخ العلامة شيخه محمد بن سليمان الكردى ردا بليغا على مسائل للوهابى ثم أتى لى بها فجعلتها خاتمة هذا الكتاب. والشيخ صالح هو الذى أفادنى بأنه حجهم بتكفيرهم للناس للقبة فى البلد جميعا وقد قدمنا عند ذكرنا للقبة كلامه لهم ولا رأينا بمكة والمدينة وعلماء اليمن وعمان والشيخ العلامة محمد كمال صاحب الجزيرة الطويلة وغيره أحدا منهم قرر كلام هذا النجدى المبتدع بل واحد يرد بلسانه وواحد يرد بقلمه وبنانه فمن علماء اليمن مفتى زبيد العلامة عبدالرحمن ابن السيد سليمان بن مقبول الاهدل قال لى يكفى فى الرد على النجدى الحديث الصحيح كونه من المشرق أى مشرق المدينة وكون سيماهم التحليق ولا أحد تقدمه بالحلق وكل من تبعه يحلق رأسه عند مبايعته له



فاجتمع فى النجدى ما فى الحديث الصحيح وهو كاف عن التأليف. وكذالك قاضى زبيد محمد ابن القاضى اسماعيل الربعى يفتى بكفر النجدى لما تحقق عنده من أفعال النجدى وأقواله والذم له من علماء اليمن كافة مشهور*.

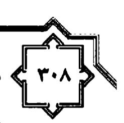
وأما ما نقل لنا عن العلامة الحفظى ساكن الحجاز تصويبه لبعض أفعال النجدى من جمعه البدو على الصلاة وترك النهب وازالة بعض الفواحش الظاهرة من زنا ولواط وأمان الطرق والسبل ودعواه التوحيد فحسن للناس فعله ولم يطلع على ما سقنا من منكراته فى تآليفه وتكفيره للامة من ستمائة سنة وتعريضه لغوغائه الطغام فى خرافاته التى هى من زيف الكلام بدعوى النبوّة لنفسه عامله الله بعدله وخلافه للمذاهب الاربعة. قال السبكى وما خالف المذاهب الاربعة كالمخالف للاجماع واحراقه الكتب الكثيرة واظهاره التجسيم للبارى وعقده الدروس فى ذالك وقتله العلماء وتنقيصه للرسل والاولياء وهدم قبهم بل ونبش قبورهم وفعلها فى الاحساء سناديس يتغوطون فيها واحراقه لدلائل الخيرات وتبطيله للرواتب والاذكار بالجهر فى المساجد ومنعه من قراءة خبر مولد النبى ﷺ ومن حضرات الذكر المسجع وضرب رقاب من يناجى فى المنارة بالصلاة على النبى ﷺ وتسميته جماعته بالمهاجرين والانصار واحلاقه لشعر رؤس من تبعه ويقول له وان حج حجة الاسلام حجتك الاولى ما تقبل لانك مشرك حج ثانيا وان العمامة أمر بها هامان المحرمة على الرأس يعنى الدسمال أحسن وتركه للدعاء بعد وتفريقه تفريق فرعون وكل منهم يفسر القرآن برأيه ولا ينتحلون مذهبا يعتمدون عليه كالزنادقة وينكر بعض الاحاديث المتواترة ويعتقد فى نفسه ان الاسلام محصور فيه وفى جماعته وان الخلق كافة غيرهم مشركون ويتستر بأن الاربعة أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد على حق وان أتباعهم ضلوا فأضلوا ويصرح فى مقاعده وخطبه بكفر



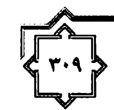
المتوسل بالانبياء والملائكة والاولياء وينكر الرحلة لزيارة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وأنه لا نفع فيها وانه ﷺ وكافة الموات من نبى وولى لا ينفعون الاحياء بشئ وان من ناداه باسمه ﷺ كفر وصار مشركا وبكل نبى وولى يكفر من نادى واحدا منهم وأن الخضر ليس موجودا وان لا قطب تدور عليه الدوائر ولا أوتاد ولا أبدال وأنه لا يستغاث بهم وينكر النحو واللغة والفقه والتدريس فيهن يقول بدعة وقد أمر بعض الشافعية بترك القنوت فى الصبح.

(و الحاصل) أن المحقق عندنا من أفعاله وأقواله ما يوجب خروجه عن القواعد الاسلامية لاستحالته أمرا مجمعا عليه معلوما من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ وأقواله الموجبة لتنقيص المرسلين والملائكة وتنقيصهم تعمدا كفر بالاجماع عند الاربعة وقال الشيخ ابن حجر فى كتابه الاعلام بقواطع الاسلام وكذالك فى مختصره لشيخ الاسلام أحمد بن عبدالرزاق الرشيدى المقرى الشافعى نقلا من المذاهب الاربعة بكفر من سب نبيا من الانبياء المتفق على نبوتهم أو ملكا كذالك أو عابه أو ألحق به نقصا فى نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو شبهه بشئ على طريق السب والازدراء والتصغير لشأنه أو الغض منه أو العيب له أو لعنه أو ادعى أو تمنى له مضرة أو نسب له ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم أو كذبه ولو فى دنيوى أو عيب فى جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجو ومنكر من القول وتزور أو غيره بشئ مما جرى من البلاء والمحنة عليه أو غضه ببعض العوارض البشرية الجائزة عليه.

وعن فقهاء الاندلس أنهم أفتوا بقتل من سماه ﷺ يتيما وخاين حيدرة أو زعم ان زهده ﷺ لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات أكل ولا شك فى كفر من أظهر نسبة النقص اليه ﷺ ونقل فى موضع آخر ان من سخر به ﷺ أو شرع شرعا آخر غير شرعه ﷺ كفر ذكره ابن حجر عن المذاهب الاربعة فاذا تحقق



ذالك منه وثبت عنه التنقيص فيقتل الا ان تاب عند الثلاثة ومطلقا عند مالك وجماعة اذا علمت ذالك فيقتل الساب للنبى أو المنتقص له ﷺ ويقتله الحاكم وان لم يقتله فقد خالف الاربعة المذاهب وقد خرج الامام زيد بن على وبايعه الامام أبوحنيفة على الخليفة هشام لما سمع السب بحضرته ولم ينكر على الساب فاذا ثبت عند ولى الامر مثل هذا التنقيص له ﷺ فيقتلهم اذا اجتمعوا على التنقيص ولو ألوفا والله تعالى أعلم الا ان تابوا وأسلموا بعد الردة بالنطق بالشهادتين هذا حكم الله ورسوله ﷺ أو انكر وجوب واجب وتحليل حلال مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة ومن انكار الضرورى كما قال المتولى ان يعتقد فى شئ من المكوس أنه حق وكذالك من استحل أموال المسلمين ولو قليلا من المال بالنهب فذالك كفر مجمع عليه عند كافة العلماء متونا وشروحا وقرر الشهاب الرملى أنه لو قال لا تضربنى فانى مسلم فقال عليك اللعنة وعلى اسلامك أو على اسلامى كفر أو قال لمسلم يا يهودى أو يا كافر أو يا عدو الله تعالى أو يا عديم العقل أو الدين أو نحو ذالك فيكفر لانه يسمى الاسلام يهودية أو كفرا أو نحوهما ان قصد هذا المعنى بخلاف ما اذا أول الكفر بكفران النعمة وعدم الدين بعدمه فى المعاملات ونحوها أو نحو ذالك فلا يكفر وكذالك بكفران النعمة وعدم الدين بعدمه فى المعاملات ونحوها أو نحو ذالك فلا يكفر وكذالك ان أطلق على ما استوجهه فى الاصل لكن الذى فى الروضة فى بعض المذكورات واقتضاء افتاء الشمس الرملى انه يكفر فى صورة الاطلاق انتهى من ملخص كتاب الاعلام المسمى الالمام بمسائل الاعلام لشيخ الاسلام أحمد بن عبد الرزاق وقد رأيت فى فتاوى الامام القاضى حسين الذى جمعها تلميذه البغوى رحمه الله (مسئلة) ما الحكم فيمن ازدرى بالشريعة وأهلها بجهل محض؟



(الجواب) اذا ظهر استهزاؤهم بهم فأخشى ان يحكم بكفرهم وقد اشتهرت قصة الشافعى رضي الله عنه حيث أفتى بقتل الرجل الذى سمع قارئا يقرأ ان لدينا انكالا وجحيما فقال هذه موائد الكرام واستدلوا بقوله تعالى: ﴿أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قد كفرتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكم﴾[1] على انّ قوما تركهم الله هم ومعقولاتهم ولم يقرنهم بتوفيقه فضلوا وأضلوا فاستقم كما أمرت ولا تطلق لسانك ولا تغتر بما يطلقون به ألسنتهم واهرب منهم جهدك نسأل الله تعالى أن يحفظنا من الزيغ ومن يأمن البلاء بعد خليل الله وقد أراه ملكوت السموات والارض حيث يقول: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[2] فان الله تعالى لا يكرم المستهزئين بالشريعة ويقل أعدادهم من البرية انتهى من فتاوى القاضى حسين رضي الله عنه وبه أنتهى الكلام وغالب ما نقلناه هنا لخصناه من كتابنا السيف الباتر لعنق المنكر على الاكابر فان أردت البسط فعليك به ترشد.

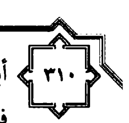
(الفصل الخامس عشر)

اعلم انى رأيت كلاما لابن عبد الوهاب ما يحسن كتابته وقد رد عليه علماء فى هذه الكلمة من الحنابلة وغيرهم وخصوصا فى كتاب الصواعق والرعود فى الرد على الشقى النجدى عبدالعزيز سعود تكلم عليه فى ذالك كما أخبرنى من لخص هذا الكتاب محمد بن بشير قاضى رأس الخيمة بالصير بعمان ثم رأيته فى الكتاب المذكور وهو قوله ان الربابة فى بيت الخاطئة أقل اثما ممن يناجى ويذكر بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم على المنائر وينهى عن الدعاء بعد الصلوات المفروضات وعن قولك سيدنا ومولانا لمخلوق ولو لنبى ورسول قاتله الله ما

---

١ . التوبة: ٦٦ ـ ٦٥.

٢ . إبراهيم: ٣٥.



أبعده من الله ورسوله وقد أجاد بعض علماء المحققين من الحنابلة فى الرد عليه فقال لما قتل من ناجى فى منارة بعض العميان من له صوت حسن وكان صاحب سلوك ومؤذن قديم بقى على عادته يناجى بالصلاة على النبى ﷺ حين خروجه من المنارة فقال فى الرد عليه (أقول والله الموفق لاصابة الصواب) ومن هفواتهم المضلة انكارهم الصلاة على النبى ﷺ ليلة الجمعة ويومها ففيما صح عنه ﷺ أحاديث ثابتة بالكتاب والسنة واجماع الامة وانها من العبادات المرغب فيها وفى فضلها عدة أحاديث تزيد على خمسين حديثا ما بين صحيح وحسن نقلها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن فاذا علمت ذالك فالصلوات على النبى ﷺ بعد الاذان فى المنارات ليست ببدعة لانهم لما ذكروا النبى ﷺ أعقبوا ذكره فلا بدعة هنا وعلى فرض كون تخصيص هذا الوقت فى هذا المكان بالصلوات على ولد عدنان ﷺ كما زعمه هذا الجاهل السفيه فليت شعرى أما علم أن البدعة من حيث هى تعتريها الاحكام الخمس كتأليف الكتب وتدوين الحديث وترتيب مسائل الفقه والتواريخ والجرح والتعديل وتدوين اللغة والتفسير وغير ذالك فهل يسوغ لعاقل أن يقول هذه الكتب المدونة بدعة فمن تمادى على ذالك فقد أخطأ وغلط وضل وأضل فأما الجهر بذالك فى المآذن فمن التنويه بذكره ﷺ واظهار شعائر الاسلام وتذكير الجاهل وتعظيم الجمعة التى هى من أفضل الايام وهو من مستحسنات الامور التى لا مفسدة فيها بل مشتملة على اظهار شعائر المسلمين وقد اجتمعت الامة عليه فى أعصر صالحة فى سائر الامصار والقرى والامة ان شاء الله معصومة عن الاجتماع على الضلالة فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن أخرجه الموفق فى الروضة ابن قدامة الحنبلى فقوله ﷺ: «**أكثروا عليّ من الصلاة ليلة الجمعة**»[١] الخاصة الثانية استحباب كثرة الصلاة فيه على النبى ﷺ فى يومها وفى ليلتها

١ . لم نعثر فيه.

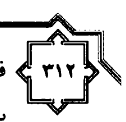


لقوله ﷺ: «**أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة**»[1] ورسول الله ﷺ سيد الانام فللصلوات عليه في هذا اليوم والليلة مزية ليست لغيره مع حكمة أخرى وهي ان كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة فانما نالته على يده فجمع الله لامته بين خيري الدنيا والآخرة وأعظم كرامة تحصل لهم فانما تحصل يوم الجمعة فان فيه بعثهم الى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم اذا دخلوا الجنة وعيد لهم في الدنيا والآخرة ويشفعهم الله فيه بطلباتهم وحوائجهم ولا يرد سائلهم وهذا كله انما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده فمن شكره وحمده واداء القليل من حقه ﷺ ان يكثروا الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته انتهى كلام ابن القيم. ومنها أن تعرف الجمعة فيتنبه الناس ويعرفون ليلتها فيكثروا من الصلاة عليه ﷺ ومنها أن المسافر ربما يترك السفر لحضور الجمعة ومنها يتأهب بعض الصالحين بعد صلاة الصبح لزيارة المقابر فان ذكره ﷺ جهرا في المنارة غاية رفع شأنه ومنها مخالفة هؤلاء المارقين وهي مطلوبة وكان حدوث التذكير بهذه الصيغة قرب سبعمائة سنة في أيام الناصر محمد بن قلاون الذى نصر الله به الدين وبدد به جمع التتار المارقين ولشيخ الاسلام ابن تيمية مع الملك الناصر أخبار سارة وكان له عضدا على ازالة التتار واهانة الرافضة فقد ورد في الحديث في فضل الصلاة على النبي ﷺ ما اشتهر وانتشر ليلة الجمعة ويومها ففي الحديث من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة فأما الصلوات عليه صلّى عليه وسلّم فقد أمرنا الله بها في كتابه بقوله: **﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾**[2] فأطلق ولم يقيد وفي الحديث في فضلها ما لا يحصى فهي من البدع الحسنة المرضية التي لا يجوز انكارها بعد ان ورد الامر بالصلاة والسلام عليه

---

١ . شعب الايمان، ج٤، ص٤٣٤.

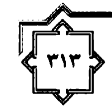
٢ . الأحزاب: ٥٦.



في الكتاب والسنة من غير تقييد بوقت ولا حال ولا زمان وانـما خـص الجمعـة بمزيد الثواب وجزالة الاجر فجعل النجدى ذالك من البدع المضلة ويـزعم أنـه المجدد لهذا الدين وأنه ناصر للسنة قامع للبدعة ولم يدر هذا الجاهل المركـب أنـه مجدد لدين ابليس فأهواه الـى ذالـك التلبـيس وهـو قولـه لاتباعـه هـاجروا إليّ ويسمّيهم المهاجرين وأهل بلده يسمّيهم الانصار وفى التفسير فى قولـه تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قد جَاءَتْكم مَوْعِظَةٌ مِـنْ رَبِّكـم وَشِـفَاءٌ لِمَـا فِي الـصُّدُورِ﴾[1] . قـال الخليل هو التذكير مما يرق له القلب ومعلوم أن التذكير مما يرق له القلب الا عند من خالف من أهل الرفض والخوارج والبدع سبحانك هـذا بهتـان عظـيم وأمـا انكاره الدعاء بعد الـصلوات المفروضـات يقـول تريـد أجـرة اذا دعوتـه علـى صلاتك وهذا من غباوته لان الدعاء مخ العبادة وأيـضا يـستغفر لتقـصيره فـيما يجب عليه من الحضور والادب فى صلاته لانه ما يكتب له لا ما عقل منهـا ولـما منع الحسن الحجاج بن يوسف لما أراد القيام بعد صلاة الفرض بعد سلامه أمـره بالدعاء والاستغفار فى محله لعله يقبل صلاته ويعفو عن تقصيره لم يزل يـذكرها للحسن البصرى وواظب عليها الحجاج فانظر مع ظلـم الحجـاج عـرف فـضل الجلوس لو لم يرد به دليل فكيف والادلة واضحة والدعاء فـى ادبـار الـصلوات فدائر بين المسنون والمباح ولكن نقول لهؤلاء الفجرة أهل نجد فتنكم طـاغوتكم بالدعوة الى السنة وهو قد نبـذها وراء ظهـره وصـدقتموه فـى ذالـك ان كنـتم تقولون ما نرجع عما يقول سقط الكلام معكم ولا شك أنـه سـاقط فـاعلموا أن رسول الله ﷺ خاتم الرسل وشريعته نسخت جميع الشرائع فهل نحاكمكم الى كتاب الله وسنة رسوله فان أبيتم كنتم ممن يريدون أن يتحاكموا الـى الطـاغوت وقد أمروا أن يكفروا به وان طاوعتم فنقـول قـال الله تعـالى فـى كتابـه المنـزل:

---

١ . يونس: ٥٧.

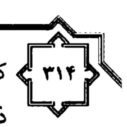


﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبك فَارْغَبْ﴾[1] قال فى تفسيره قال ابن عباس والضحاك ومقاتل والكلبى اذا فرغت من الصلوات المكتوبة فانصب الى ربك فى الدعاء وارغب اليه فى المسئلة يعطيك وروى عبدالوهاب بن مجاهد عن أبيه اذا صليت فاجتهد فى الدعاء والمسألة وذكر أبوعبد الحسن الواحدى فى تفسيره مثله وقال أبوعبدالله القرطبى فى تفسيره قال ابن عباس وقتادة فاذا فرغت من صلاتك فانصب أى بالغ فى الدعاء واسأله حاجتك انتهى. وفى رواية عن ابن مسعود ﴿وَإِلَى رَبك فَارْغَبْ﴾ بعد فراغك من الصلوات وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ يعنى فى الدعاء فهذا الدعاء الخاص بدعاء ادبار الصلوات ثم ذكر اثنين وعشرين حديثا واردة عن النبى ﷺ فى أدعية أدبار الصلوات بعد السلام كحديث المغيرة بن شعبة وعبدالله بن الزبير وحديث التسبيح والاذكار وغير ذالك انما يدل على ما بعد السلام مع ان شيخ الاسلام ابن تيمية يستحب الدعاء بعد السلام لعارض ذكره عنه تلميذه صاحب الفروع مثل الاستسقاء والاستنصار وقد يستدل له بحديث صهيب: «اللهُمَّ بك أُحَاوِلُ»[2] فصح استعماله فى غير وقت الاستنصار وقد يستدل له بحديث صهيب «اللهُمَّ بك أُحَاوِلُ» فصح استعماله فى غير وقت الاستنصار ولا مانع من ذالك لان الاحوال تقتضى السؤال، ثم قال فكيف وقد ورد عنه ﷺ فى ذالك ما تضمنه صحيح البخارى ومسلم وسنن ابن ماجه وسنن النسائى وهذه هى أصول كتب الاسلام فضلا عن المسانيد والمعاجم والصحاح المستخرجة والمستدركة كصحيح ابن حبان وصحيح أبى عوانة وصحيح الحاكم وغير ذالك مما هو مذكور فى الاحاديث الاثنين والعشرين المتقدمة ثم قال فأحاديث الدعاء متواترة التواتر المعنوى لان التواتر قسمان لفظى

---

١ . الشرح: ٨ـ٧.

٢ . مسند احمد، ج٣١، ص٢٦٣.



كحديث: «مَنْ كذب عَلَيَّ مُتَعَمِّداً، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[١] فانه تواتر لفظه فقد ذكر أبوبكر البزار الحافظ الجليل فى مسنده أنه رواه عن النبى ﷺ نحو من أربعين وأما المعنوى فهو ما تعددت متون أحاديثه بألفاظ متعددة تدل على معنى واحد كاحاديث الشفاعة والصراط والميزان والرؤية وفضائل الصحابة فان هذه وان لم تتواتر لفظا فهى متواترة معنى كما هو معروف عند أهل هذا الشأن، ثم التواتر منه ما هو متواتر عند العامة ومنه ما هو متواتر عند الخاصة وهم أهل الحديث والله تعالى أعلم. وأما انكار الشيخ النجدى قول الخطيب سيدنا ومولانا لغير الله فمن قلّة معرفته وجهالته وبين البرزلى وغيره كالامام النووى فى شرح مسلم والاذكار وغيرهما انه لا مشاحة فى هذه الالفاظ فان الله سمى يحيى بن زكريا عليه السلام سيدا وسمى الزوج سيدا فى قوله: ﴿وَسَيِّداً وَحَصُوراً﴾[٢] وفى قوله: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾[٣] وقول النبى ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ»[٤] وقوله فى الحسن: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ»[٥] وفيه مع الحسين: «سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ»[٦] ولابى بكر وعمر: «سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الجَنَّةِ»[٧] ولعلى بن أبى طالب: «سيّد العرب وأنا سيّد ولد آدم»[٨] ولسعد بن معاذ: «قوموا الى سيدكم»[٩]، ولسعد بن عبادة: «اسْمَعُوا مَا يَقُولُ سَيِّدُكم»[١٠]، وقوله: «مَنْ سَيِّدُكم

١ . صحيح البخاري، ج٢، ص٨٠.
٢ . آل عمران: ٣٩.
٣ . يوسف: ٢٥.
٤ . صحيح مسلم، ج٤، ص١٧٨٢.
٥ . صحيح البخاري، ج٣، ص١٨٦.
٦ . سنن الترمذي، ج٦، ص١١٧.
٧ . نفس المصدر، ج٦، ص٥١.
٨ . السيرة الحلبية، ج٣، ص٥٤.
٩ . صحيح البخاري، ج٣، ص١٤٩.
١٠ . سنن ابن ماجه، ج٢، ص٨٦٨.

يَا بَنِي سَلِمَةَ؟»[١] ثم قوله: «بَلْ سَيِّدُكم الجَعْدُ الابيض عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ»[٢]، وقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً﴾[٣] وقوله: ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾[٤]، وقول النبي ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ»[٥] حديث صحيح والاصل ان لفظ المولى من الالفاظ المشتركة وقد نافت على العشرة كالمتق والمعتق وابن العم والناصر والشريك والحليف وغير ذالك مما هو مذكور فى كتب الاسلام فلا يحل الاعتراض على من أطلق ذالك على غير الله لما قدمناه والله تعالى أعلم.

(الفصل السادس عشر)

قول النجدى الخبيث فى المذهب المحرر مذهب الامام الاعظم أبى حنيفة رضي الله عنه انه ليس بشئ فهو كفر صريح فان مذهب الامام أبى حنيفة رضي الله عنه مشتمل على قواعد الاسلام أصولا وفروعا، محتوٍعلى كمالات الدين برهانا، الامام أبى حنيفة فى بعض الادلة والاحكام كغيره من المجتهدين لا تضره ولا ينقص بها قدره لانه قدس الله روحه مجتهد نقاد واسع العلم راسخ القدم له انظار وأسرار يكاد يعجز عنها معدودة فى معجزات النبى ﷺ فلا يجوز التجرى عليه ونسبة التنقيص والازدراء بهذه العبارة الركيكة اليه وقد بسط عليه فى الرد لهذه الكلمة فى كتاب الصواعق والرعود فى الرد على الشقى عبد العزيز سعود فعليك به بل بلغنا ان النجدى يقول ان الشريعة واحدة فما لهؤلاء

---

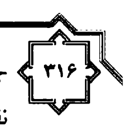
١ . المعجم الكبير، ج١٩، ص٨١.

٢ . المعجم الصغير، ج١، ص١٩٩.

٣ . الدخان: ٤١.

٤ . الحج: ١٣.

٥ . سنن الترمذي، ج٦، ص٧٤.



جعلوها أربعة مذاهب هذا كتاب الله وسنة رسول الله لا نعمل الا بهما ولا نقتدى بقول مصرى وشامى وهندى وغير ذالك يعنى بذالك علماء أكابر من الحنابلة لهم تآليف رد عليه الحنابلة من كتبهم فأجابهم بما تقدم ثم عم جميع علماء المذاهب الاربعة ورد ما فى كتبهم كلهم (فرد عليه العلامة عبد الوهاب بن أحمد بركات الشافعي الاحمدى بمكة المشرفة) فنلخص منه ما هنا فقال الاحكام الشرعية منها ما هو منصوص عليه فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ نصا لا يحتمل التأويل فهذا لا يعدل عنه أحد من المسلمين مثل ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[1]، و﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكم الْمَيْتَةُ﴾[2]، و﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكم أُمَّهَاتُكم﴾[3]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾[4]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[5]، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[6] ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكم الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[7]، ﴿وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[8]، ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾[9]، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[10]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكلونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً﴾[11]، ﴿وَلَا تَأْكلوا أَمْوَالَكم

---

١ . البقرة: ٢٧٥.

٢ . المائدة: ٣.

٣ . النساء: ٢٣.

٤ . الإسراء: ٣٢.

٥ . الإسراء: ٣٣.

٦ . البقرة: ٤٣.

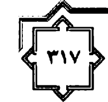
٧ . البقرة: ١٨٥.

٨ . آل عمران: ٩٧.

٩ . النساء: ٢.

١٠ . البقرة: ٨٣.

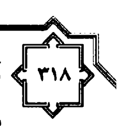
١١ . النساء: ١٠.



بَيْنكم بِالْبَاطِلِ﴾[١]، ونحو ذالك مما لا يسعنا فى هذه الورقة ذكرها جميعا، ومنها ما هو ظاهر فى معناه وهو كثير أيضا، ومنها ما قد استأثر الله بعلمه كفواتح السور المفتتحة بالاحرف نحو الم وحم وطه ويس ون وص وق ونحو ذالك فيجب الايمان بانه كلام الله وأنه من القرآن العظيم وأما معناه فمفوض الى منزله وقد يطلع عليه بعض خواصه هذا غاية كلام أهل السنة فى ذالك وأولاه بالاتباع فهو مثل الروح فى ذالك المعنى ومنها ما يحتمل التأويل وهذا هو محل كلام العلماء الراسخين والائمة المجتهدين ومرجعهم فى جميع تأويلهم الى الادلة الراجحة والمرجحات ليست خفية على علماء أهل السنة ومن وقف على كلام الائمة ولا يصلح ذالك التأويل الا لعالم راسخ محيط بعلوم القرآن والسنة ومنها معرفة المحكم والمتشابه والظاهر والمؤول والمطلق والمقيد والخاص والعام والناسخ والمنسوخ، ولابد من معرفة أقوال المجتهدين من الصحابة فمن بعدهم ولابد من الاحاطة بذالك خوفا من الوقوع فى خرق اجماع الائمة وهؤلاء الائمة الاربعة المجتهدون كل من كان على طريقتهم وبلغ درجتهم فى العلوم والاقتداء بالمصطفى ﷺ وأصحابه هم الذين استنبطوا الاحكام الشرعية الاجتهادية المدونة فى تصانيفهم ونقلها عنهم أتباعهم جيلا بعد جيل وطبقة بعد طبقة فى كل عصر وزمان من أتباع كل امام منهم ما يبلغ مبلغ التواتر المفيد للعلم القطعي وفى وقتنا هذا فلا يجوز لاحد مخالفتهم ولا رد أقوالهم فكيف يجوز لهذا الجاهل الغبى النجدى أن يتجاوز قول علماء السنة وأئمة الدين فكل من وافق النجدى على هذا الابتداع فهو ضال مثله لانه أى محمد بن عبد الوهاب رأس البدعة لم يحط علما باقوال الشريعة المطهرة التى من جهلتها أنه سبحانه وسع على هذه الامة المحمدية وخفف عنها ما لم يوسعه ولم يخففه على

---

١ . البقرة: ١٨٨.



أحد من الامم الماضية كما يشهد لذالك قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكم فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[١] وقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾[٢] الآيات، وقوله ﷺ: «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»[٣]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «تَرَكْتُكم عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا»[٤]، فكل مجتهد من الائمة المذكورين قد فتح الله له أبواب العلوم الشرعية الاجتهادية فما عليه أئمة الاسلام هو الشريعة المطهرة لانها معصومة من الاجتماع على الضلالة فاجماعهم هو السنة المحمدية بلا شك ولا ريب واختلاف الائمة فى الفروع رحمة كما أنهم فى الاصول والعقائد مجتمعون انتهى ما لخصناه. فاذا تبين لنا أن اتباعهم على حق وأنهم هم السواد الاعظم والأكثر من الناس من وقتهم المنتشر الى وقتنا فواجب علينا أن نترك أهل البدع قال ﷺ: «مَا أَحْدَثَ قَوْمٌ بِدْعَةً إِلَّا رُفِعَ مِثْلُهَا مِنَ السُّنَّةِ»[٥]، أخرجه الامام أحمد عن عفيف بن الحارث رضي الله عنه وقال ﷺ: «مَنْ وَقَّرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ»[٦]، أخرجه الطبرانى فى الكبير عن بشر بن الحارث رضي الله عنه وقال ﷺ: «أَبَى اللهُ أَنْ يَقْبَلَ عَمَلَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ»[٧] أخرجه ابن ماجه وابن عاصم فى السنة عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال ﷺ: «لا يقبل الله لصاحب بدعة صلاة ولا صوما ولا صدقة ولا حجة

---

١ . الحجّ: ٧٨.

٢ . الأعراف: ١٥٧.

٣ . المعجم الكبير، ج٨، ص١٧٠.

٤ . مسند أحمد، ج٢٨، ص٣٦٧.

٥ . نفس المصدر، ج٢٨، ص١٧٣.

٦ . المعجم الأوسط، ج٧، ص٣٥.

٧ . سنن ابن ماجه، ج١، ص١٩.



ولا عمرة ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الاسلام كما تخرج الشعرة من العجين»[١] أخرجه الديلمى عن أنس ﷺ وقال ﷺ: «**اياكم والبدع فان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار**»[٢] أخرجه ابن عساكر فى تاريخه عن رجل من الصحابة ﷺ وقال ﷺ: «**أصحاب البدع كلاب النار**»[٣]، أخرجه أبوحاتم الخزاعى فى حزبه عن أبى أمامة ﷺ، وقال ﷺ: «**عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة**»[٤] أخرجه الرافعى عن أبى هريرة ﷺ والديلمى فى مسند الفردوس أخرجه عن ابن عباس ﷺ، وقال ﷺ: «**اذا مات صاحب بدعة فقد فتح فى الاسلام فتح**»[٥]، رواه الخطيب فى التاريخ والديلمى فى مسند الفردوس عن أنس ﷺ، وقال ﷺ: «**مَا مِنْ دَاعٍ دَعَا رجلا إِلَى شَيْءٍ إلاَّ كان معه مَوْقُوفاً يَوْمَ القِيَامَةِ لاَزِماً به لاَ يُفَارِقُهُ**»[٦] أخرجه البخارى فى تاريخه والترمذى والدارمى والحاكم عن أنس ﷺ وابن ماجه عن أبى هريرة ﷺ وقال ﷺ: «**من غش أمّتى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**» قالوا: «يا رسول الله ما الغش ؟» قال ﷺ: «**أن يبتدع لهم بدعة فيعمل بها**»[٧] رواه الدارقطنى فى الافراد عن أنس ﷺ والحديث فى هذا المعنى أكثر من أن يظفر بجمعها البشر. وفى ما تقدم كفاية وافهم ما أمليناه عليك اذا رأيتهم واجتمعت بهم أن تحكم عليهم بحكم الائمة الاربعة ولا تقبل منه ما يخالف

---

١ . كنز العمّال في السنن والأقوال، ج١، ص٢٢٠.

٢ . تاريخ دمشق، ج٣٤، ص١٧٤.

٣ . كنز العمّال في السنن والأقوال، ج١، ص٢١٨.

٤ . الفردوس بمأثور الخطاب، ج٣، ص٤١.

٥ . نفس المصدر، ج١، ص٢٨٥.

٦ . سنن الترمذي، ج٥، ص٢١٧.

٧ . الفردوس بمأثور الخطاب، ج٣، ص٥٣٣.

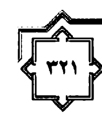


كلامهم وان استدل بحديث وغيره لان داود الظاهرى يأخذ بظاهر الحديث مع أنه مجتهد لم يعد واخلافه بخرق الاجماع لانهم لا يعدون خلافه خلافا معتبرا كما ذكره فى الاذكار الامام النووى.

قال الشيخ محمد بن سليمان الكردى المدنى وحكم من لم يبلغ رتبة الاجتهاد اذا رأى حديثا صحيحا ولم تسمح نفسه بمخالفته أن يفتش من أخذ به من المجتهدين فيقلده فيه كما نبه عليه النووى فى الروضة والا فلا يجوز الاستنباط من الكتاب والسنة الا لمن بلغ رتبة الاجتهاد المستقل قال الامام المناوى الحكم بالدليل شأن المجتهد المطلق انتهى وقد تغلق الى الآن من بعد الاربعة وجود امام له مذهب معروف بقواعد وأصول وهو مطلق فى الاجتهاد اجتمعت فيه شروطه التى قرروها فيه وان وجد امام مطلق فيما تقدم الى وقتنا سنة خمسة عشر بعد المائتين والالف من الهجرة النبوية على مشرفها أفضل الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه، فمع صحة وجوده لم يكن له مذهب كالاربعة نعرفه بقواعد وأصول وأتباع له عدول أوصلوه الينا بطريق القطع والتواتر فهيهات لم يوجد أصلا ذالك أبدا وفى المثل:

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا　　　أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فاقطع دعوى التطلع والعقل وارجع الى التقليد والنقل وكم من حديث صحيح وقول صريح لا يعمل به لمانع يقتضيه من تأويل أو ناسخ أو منسوخ أو واقعة حال يتطرق اليها الاحتمال وتحقق أن الخوض فى ذالك على وجه الاستدلال والاستشهاد شأن أهل الاجتهاد المطلق المستقل وأنى لك بذالك وقد بان لك الحق من هذا المقال وماذا بعد الحق الاّ الضلال وقد بسطنا ذالك فى أول كتابنا السيف الباتر عن السيد الحبيب العلامة عبد الرحمن بن عبدالله بلفقيه وفى كتاب كاشف اللثام التحقيق التام والتدقيق العام فى مراتب الاجتهاد الثلاث

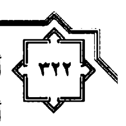


للعلامة المدنى محمد بن سليمان الكردى فانظره فيه تسعد وترشد:

و خل مقالات الذين تخبطوا ولا تك الآ مع كتاب وسنة

فثم الهدى والنور والامن من ردا ومن بدعة تخشى وزيغ وفتنة

الى آخر الابيات من تائية سيدنا القطب الغوث عبد الله بن علوى الحداد المجدد للقرن الحادى عشر ومن كلام المجدد للقرن الثانى عشر ابن ابنه حفيده أحمد بن حسن بن عبدالله الحداد والدنا فى كتبه كالسفينة يظهر لك الحق وما قلت انه المجدد من قبل نفسى بل قال الحبيب العارف عمر بن زين بن سميط باعلوى ساكن شبام بمحضر موت والقاضى العارف بالله سقاف بن محمد بن طه السقاف باعلوى ساكن سيون بحضر موت وامام مسجد باعلوى بتريم العارف بالله حامد بن عمر حامد بن عمر حامد المنفر باعلوى بحضرموت وغيرهم سمعنا منهم بانه المجدد للقرن الثانى عشر والحمد لله رب العالمين وانظر فى رد ما ادعى محمد بن عبدالوهاب النجدى الاجتهاد حيث رد عليه شيخه الامام ابن حجر الصغير الشيخ عبدالله ابن الشيخ العلامة عبد اللطيف فى كتابه تجريد سيف الجهاد لمدعى الاجتهاد وكذالك العلامة الكبير محمد بن عبدالرحمن بن عفالق صاحب الشبكة رد عليه فى كتاب عظيم سماه تهكم المقلدين لمدعى تجديد الدين وسأله عن علوم عددها له من شرط المجتهد المطلق المستقل أن يعرفها كلها فلم يقدر النجدى محمد بن عبدالوهاب أن يرد عليه بشئ مما سأله وأكثر فى الرد عليه علماء الحنابلة ردا بليغا فى كتب ورسائل كثيرة اظهارا للحق وتبريا ان يدعى من لا معرفة له بمذهب الامام أحمد بن حنبل ان النجدى محمد بن عبد الوهاب حيث كان أولا حنبليا ثم انه ضل وابتدع فى الدين وشق على الناس أنه من تلقاء نفسه فانه فى الصحيح عن رسول الله ﷺ



أنه كان يقول في دعائه: «**اللهم من شق على أمتي فاشق اللهم عليه**»[١]، ولا أحد أشق على الامة منه أي محمد بن عبد الوهاب يحجر عليهم ويحكم ببطلان عباداتهم ومعاملاتهم وتطليق نسائهم وسفك دمائهم ويحكم بكفرهم بأمور ولدها بعقله الفاسد ورأيه المضل ولم يأت بها صريحا كتاب ولا سنة، فقد دخل في دعائه ﷺ بأن الله يشق عليه نسأل الله العافية قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾[٢]، نسأل الله العافية وكان ﷺ يقول: «**مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قيد شِبْرٍ، فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ منْ عُنُقِهِ**»[٣] وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «**من كان مستنا فليستن بمن قد مات ـ أي من الصحابة ـ فان الحي لا يؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد رسول الله ﷺ كانوا أفضل هذه الامة أنزهها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا اختارهم الله لصحبة نبيه محمد ﷺ واقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوا على أثرهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسندهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم**»[٤] رضي الله عنهم أجمعين وكان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يقول سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عزّ وجلّ وكان رضي الله عنه يقول يهدم الاسلام ثلاث زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب وحكم الائمة المضلين وكان ينهى عن تعلم التوراة والانجيل ويقول آمنوا بكتب الله والزموا ما أنزل على نبيكم محمد ﷺ فانه هدى جميع الانبياء صلى الله عليهم أجمعين وكان ﷺ يقول:

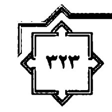
---

١ . مسند إسحاق بن راهويه، ج٢، ص٥٣٦.

٢ . النساء: ١١٥.

٣ . مسند أحمد، ج٣٥، ص٤٤٥.

٤ . شرح العقيدة الطحاوية، ص٤٣٢.



«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»[١] وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه يقول اقضوا كما كنتم تقضون فانى أكره الخلاف حتى يكون الناس جماعة أو أمواتا كما مات أصحابى وكان ﷺ يقول: «**كُفُّوا عَنْ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَا تُكفروهُمْ بِذَنْبٍ، فَمَنْ كفر أَهْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَهُوَ إِلَى الكفر أَقْرَبُ**»[٢] ومن باب المجاز كان ﷺ يقول: «**الإِيمَانُ يَمَانٍ والحكمة يمانية أَلاَ إِنَّ القَسْوَةَ وَغِلَظَ القُلُوبِ فِي الفَدَّادِينَ، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ**»[٣] الحديث الى آخره وما تقدمه هنا من قوله: «**من فارق الجماعة قيد شبر**» الى هنا من كتاب كشف الغمة لجميع الامة للامام الشعراوى نفع الله به آمين

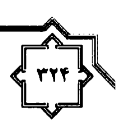
(الفصل السابع عشر وبه نختم الكتاب)

اعلم أن من هفوات النجدى منعه الرحلة لزيارة سيد المرسلين وخاتم النبيين وحبيب رب العالمين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين وسلم عليهم أجمعين بل زار ناس من الاحساء فلما وصلوا اليه الى الدرعية حلق لحاهم واركبهم مقلوبين من الدرعية الى الاحساء حتى انه فى هذه السنة الذى عبروا عليه الى الدرعية من الآفاق وقصدهم الزيارة للنبى والحج سمعه بعضهم يقول المشركين خلوهم يسيرون طريق المدينة والمسلمين يعنى جماعته يخلفون معنا مع ان ابن تيمية شيخ الاسلام ما يمنع الزيارة وان قال بعدم استحباب الرحلة وأبا محمد قال لا تستحب الرحلة الا لزيارته ﷺ لما قدمناه فى خاتمة الفصل الثالث عشر وقد رد عليه الامام الغزالى فى الاحياء وعلى الذى لم يقل باستحباب

١ . صحيح البخاري، ج٣، ص١٨٤.

٢ . المعجم الكبير، ج١٢، ص٢٧٢.

٣ . صحيح البخاري، ج٤، ص١٢٨.



الرحلة للاولياء فانظر الفرق هذا يعاقب الزائر للنبى وابن تيمية لم يقل ان الزائر مخطئ بل يقول بالزيارة واستحبابها ويقصد بالرحلة الى المسجد النبوى ما أبعده من كلام ابن تيمية فهو بمعزل عنه ولله در العلامة المحقق راشد بن حنين الحنفى حيث رد على النجدى بقوله:

و كن قاصدا بالسير منك زيارة ... لمن حلها رغما لانف المماذق

فمن قال لا تشدد رحالك نحوه ... على القصد بل في ضمن شيء مطابق

فقد خالف الاجماع منه ضلالة ... فسحقا لمن يتبع ضلالة مارق

فزر قبره ان الزيارة سنة ... على كل مشتاق اليه وشائق

و نافس بها أيام عمرك كلها ... تفقها وفاقا عند أهل التوافق

توجه الى وجه الوجيه مقابلا ... وشاهد لانوار الحبيب البوارق

و قف من بعيد مطرقا متأدبا ... ولا تتفكر فى نقوش السرادق

و سلم بلا صوت رفيع على الذى ... تلوذ به من كل خطب مضايق

محمد الجالى عن القلب رينه ... ومن فاق حقا فى العلى كل فائق

و من ديوان سيدنا العارف بالله الولى المقرب عند الله الامام المحقق عمر بن عبدالرحمن البار تلميذ سيدنا القطب الغوث عبدالله الحداد علوى

من لا يزور المختار* ولا الى يثرب سار* هذا كبير الفجار* ماذا من اصحاب الله كلا ولا من الامه* هذا ولا له عصمه* ألا تقع له نقمه* من الولى الرب الله أحمد تبرأ منه* والسادة أهل السنة* مع عظيم المنة* الخالق الرب الله الكل منهم جحدوه* من جنة الخلد اخرجوه* وكلهم قد عادوه* وهو عدو الله هذا شقى مبعود* من الاله المعبود* عن باب ربه مردود* هذا محقق والله الا ان يكن شئ عاذر* أو كان زاده قاصر* فان الاله القادر* يعفو لخلقه والله لكن يقع به مشغول* بل طول ليله مزغول* متشوقا للمرسول* إلى ما خلق الله.



ومما كفرت به العلماء الحجاج قوله اذا رأى الناس يطوفون بقبر رسول الله ﷺ انما يطوفون بأعواد ورمة ذكره بعض العلماء فى من زعم ان الحجاج كان كافرا وبسط فى ذالك حتى ذكر ما تقدم فنلخص لك من كتاب خلاصة الوفا فى أخبار دار المصطفى ﷺ للسيد الشريف الامام المحقق على السمهودى نفع الله به وجزاه خيرا حيث شرع الصدور بكلامه وقرت لكتابه هذا أئمة المذاهب الاربعة وتلقوه بالقبول وبحمد الله هذه الهفوة لم تقبلها حتى الخوارج والارفاض منه فضلا عن أهل السنة والجماعة فلنتبرك بذكره ﷺ ليقبل كتابنا وأعمالنا ويختم لنا بالحسنى فى عافية لنا ولاحبابنا ولمن نقل هذا الكتاب وأشاعه قال: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[1] الآية من الكتاب العزيز قال الامام السيد السمهودى فى الباب الثانى فى فضل الزيارة والمسجد النبوى وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الاول فى فضل الزيارة وتأكدها وشد الرحال لها وصحة نذرها وحكم الاستئجار عليها عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي»[2] ذكر هذا الحديث عبد الحق فى الاحكام الوسطى والصغرى وسكت عليه مع قوله فى الصغرى انه تخيرها صحيحة الاسناد معروفة عند النقاد قد نقلها الاثبات وتداولها الثقات وذكر نحوه فى الوسطى وسبقه ابن السكن الى تصحيح الثالث ومعنى وجبت أنها ثابتة لابد منها بالوعد الصادق وقوله وجبت له أى يخص بشفاعة تشريفا له يشفع لغيره وبشرى له بالموت على الاسلام وللبزار عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا: «مَنْ زَارَ قَبْرِي حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي»[3] فى الاول: «وجبت» وفى هذا: «حلّت»، وعن نافع

---

١ . الإسراء: ٨١.

٢ . سنن الدارقطني، ج٣، ص٣٣٤.

٣ . كشف الأستار عن زوائد البزّار، ج٢، ص٥٧.



عن سالم عن ابن عمر ﷺ مرفوعا: «**مَنْ جَاءَنِي زَائِراً لَا تَعْلَمُهُ حَاجَةً إِلَّا زِيَارَتِي كان حَقّاً عَلَيَّ أَنْ أكون لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1]، رواه الحافظ ابن السكن في كتابه المسمى بالسنن الصحاح المأثورة عن النبي ﷺ وللدارقطني والطبراني وغيرهما عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر ﷺ مرفوعا: «**مَنْ حَجَّ فَزَارَ قَبْرِي بَعْدَ وَفَاتِي كان كمن زَارَنِي فِي حَيَاتِي**»[2] وفي رواية لابن منده: «**فزارني في مسجدي بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي**»[3] ولابن الجوزي في مثير العزم الساكن بلفظ: «**من حج البيت فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبني**»[4] ورواه الكامل بن عدي في كامله.

(قلت) وذالك لا يقتضي التشبيه بمن صحبه من كل وجه حتى يعارض «**لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكم مِثْلَ أُحُدٍ**»[5] الحديث كما زعمه بعضهم ولابن عدي في الكامل والدارقطني عن مالك عن نافع عن ابن عمر ﷺ مرفوعا: «**من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني**»[6] وللدارقطني باسناده عن نافع عن ابن عمر ﷺ مرفوعا: «**مَنْ زَارَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً أَوْ شَهِيداً**»[7] ولابي جعفر العقيلي عن رجل من آل الخطاب مرفوعا: «**مَنْ زَارَنِي مُتَعَمِّداً كان فِي جِوَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَاتَ فِي أَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بَعَثَهُ اللهُ عزّ وجلّ فِي الْآمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[8]

---

١ . المعجم الكبير، ج١٢، ص٢٩١.

٢ . سنن الدارقطني، ج٣، ص٣٣٣.

٣ . الصارم المنكي في الرد على السبكي، ص٧٠.

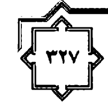
٤ . مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن، ج٢، ص٢٩٥.

٥ . سنن أبي داود، ج٤، ص٢١٤.

٦ . الكامل في ضعفاء الرجال، ج٨، ص٢٤٨.

٧ . نقله السمهودي عن الدارقطني في وفاء الوفاء، ج٤ ص١٧٢.

٨ . الضعفاء الكبير، ج٤، ص٣٦١.



وفى رواية زاد عقب جوارى يوم القيامة: «وَمَنْ سَكَنَ الْمَدِينَةِ وَصَبَرَ عَلَى بَلَائِهَا كُنْتُ لَهُ شَهِيداً وَشَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١] وللدارقطنى مسندا وغيره عن رجل من آل حاطب عن حاطب مرفوعا: «مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي، وَمَنْ مَاتَ بِأَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بُعِثَ مِنَ الْآمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢]، وعن علقمة عن عبدالله مرفوعا: «من حج حجة الاسلام وزار قبرى وغزا غزوة وصلّى فى بيت المقدس لم يسأله الله فيما افترض عليه»[٣] وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ: «من زارنى بعد موتى فكانما زارنى وأنا حى ومن زارنى كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة»[٤] وعن أنس بن مالك مرفوعا: «مَنْ زَارَنِي بِالْمَدِينَةِ كُنْتُ لَهُ شَهِيداً وَشَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٥] ولفظ البيهقى عن سليمان بن يزيد الكعبى عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «مَنْ زَارَنِي مُحْتَسِباً إِلَى الْمَدِينَةِ كان فِي جِوَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٦] وسليمان ذكره ابن حبان فى الثقات ولابن النجار عن سمعان بن المهدى عن أنس رضي الله عنه مرفوعا: «من زارنى ميتا فكانما زارنى حيا ومن زار قبرى وجبت له شفاعتى يوم القيامة وما من أحد من أمتى له سعة ولم يزرنى فليس له عذر»[٧] وعن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا: «مَنْ زَارَنِي فِي مَمَاتِي كان كمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي، وَمَنْ زَارَنِي حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى قَبْرِي كُنْتُ لَهُ شَهِيداً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ قَالَ:

---

١ . شعب الإيمان، ج٦، ص٤٧.

٢ . سنن الدارقطني، ج٣، ص٣٣٣.

٣ . رواه الحافظ أبو الفتح الأزدي في الجزء الثاني من (فوائده)، راجع: شفاء السقام في زيارة خير الأنام، ص١٠٧.

٤ . أخرجه السمهودي في كتابه وفاء الوفاء، ج٤، ص١٧٤.

٥ . شعب الإيمان، ج٦، ص٥٠.

٦ . نفس المصدر.

٧ . الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ص١٥٥.



شَفِيعاً»[١] وعن ابن عباس ﷺ مرفوعا أيضا: «**من حج الى مكة ثم قصدنى فى مسجدى كتب له حجتان مبرورتان**»[٢] وليحيى بن الحسين من طريق النعمان بن شبل قال حدثنا محمد بن الفضل مدينى سنة ست وتسعين عن جابر عن محمد بن على عن على مرفوعا: «**من زار قبرى بعد موتى فكانما زارنى فى حياتى ومن لم يزرنى فقد جفانى**»[٣] ورواه ابن عساكر من غير رفع بغير هذه الطريق ولفظه عن على قال: «**من سأل لرسول الله ﷺ الدرجة والوسيلة حلت له شفاعتى ومن زار قبر رسول الله ﷺ كان في جوار رسول الله ﷺ** »[٤] ومحمد بن على ان كان ابن الحنفية فقد أدرك أباه عليا كرم الله وجهه ولطاهر بن يحيى ذكر حديث عى المتقدم ما لفظه حدثنى أبى قال حدثنا أبو يحيى محمد بن الفضل بن نباتة النميرى قال حدثنا الحامى قال حدثنا الثورى عن عبدالله بن السايب عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ مثله وليحيى أيضا من طريق عبد الله بن وهب وهو ثقة عن رجل عن بكر بن عبدالله مرفوعا: «**من أتى المدينة زائرا لى وجبت له شفاعتى يوم القيامة ومن مات فى أحد الحرمين بعث آمنا**»[5] وبكر بن عبدالله ان كان الانصارى فهو صحابى وان كان المزنى فهو تابعى جليل فيكون مرسلا ولأبي داود بسند صحيح عن أبى هريرة ﷺ مرفوعا: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ**»[٦] صدر به البيهقى فى باب الزيارة واعتمد على ذالك جماعة منهم الامام أحمد بن حنبل ﷺ لتضمنه فضيلة

---

١ . الضعفاء الكبير، ج٣، ص٤٥٧.

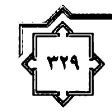
٢ . رواه السمهودي عن بعض الحفاظ في زمن ابن منده في كتابه وفاء الوفاء، ج٤، ص١٧٥.

٣ . شرف المصطفى، ج٣، ص١٧٢.

٤ . مختصر تاريخ دمشق، ج٢، ص٤٠٦.

٥ . وفاء الوفاء، ج٤، ص١٧٧.

٦ . سنن أبي داود، ج٢، ص٢١٨.



رده ﷺ وهى عظيمة ورد روحه نطقه ﷺ وذكر ابن قدامة هذا الحديث من رواية أحمد بلفظ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ عند قبرى»[١] ولذا قال الامام الجليل عبد الرحمن بن عبدالله المقبرى أحد أكابر شيوخ البخارى هذا الحديث فى الزيارة اذا زارنى فسلم على رد الله على روحى حتى أرد عليه، ويؤيده ان أصل السلام عرفا ما يواجه به المسلم عليه من قرب ويكنى به عن الزيارة وهو سلام التحية المستدعى للرد على المسلم بنفسه أو برسوله بخلاف السلام الذى قصد به الدعاء منا بالتسليم عليه من الله تعالى سواء كان بلفظ الغيبة أو الحضور وهو الذى قيل باختصاصه به عن الامة كالصلوات فلا يقال فلان ﷺ وعن أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا: «من صلى عليّ عند قبرى سمعته ومن صلى عليّ من بعيد بلغته»[٢] وفى رواية بسند جيد: «من بعيد أعلمته» ورواه جماعة من طريق أبى عبد الرحمن وفى رواية عن أبى هريرة رضي الله عنه أيضا: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي إِلَّا وَكل اللهُ بِهَا مَلكا يُبَلِّغُنِي، وَكَفَى أَمْرَ آخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ وَكُنْتُ لَهُ شَهِيداً أو شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٣] وذكر فى الاحياء[٤] حديث «ان الله وكل بقبره ﷺ ملكا يبلغه سلام من يسلم عليه من أمته» ثم قال هذا فى حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادى شوقا اليه. وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا: «ما من عبد يمر على قبر أخيه المؤمن»[٥] وفى رواية: «بِقَبْرِ الرَّجُلِ كان يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا عرفه وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»[٦] وقد ذكر ابن تيمية فى

١ . المغني لابن قدامة، ج٣، ص٤٧٨.

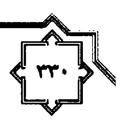
٢ . كنز العمّال، ج١، ص٤٩٢.

٣ . شعب الايمان، ج٦، ص٥٠.

٤ . إحياء علوم الدين، ج١، ص٢٧١.

٥ . الاستذكار، ج١، ص١٨٥.

٦ . تاريخ دمشق، ج١٠، ص٣٨٠.



اقتضائه الصراط المستقيم كما نقله ابن عبد الهادى ان الشهيد بل كل المؤمنين اذا زارهم المسلم وسلم عليهم عرفوه وردوا ﷺ فاذا كان هذا فى آحاد المسلمين فكيف بسيد المرسلين ﷺ فهو ﷺ حى كما سيأتى يسمع من يسلم عليه قبره ويرد عليه عالما بحضوره عند قبره وكفى بهذا فضلا حقيقيا بان ينفق فيه ملك الدنيا حتى يصل اليه ولابن النجار عن ابراهيم بن بشار حججت فى بعض السنين فجئت المدينة فسلمت عليه ﷺ فسمعت من داخل الحجرة وعليك السلام ونقل مثله عن جماعة من الاولياء والصالحين ولا شك فى حياته ﷺ بعد الموت وكذا سائر الانبياء عليهم السلام حياتهم أكمل من حياه الشهداء التى أخبر الله بها فى كتابه العزيز وهو ﷺ سيد الشهداء وأعمال الشهداء فى ميزانه ﷺ وقد قال ﷺ كما رواه الحافظ المنذرى: «**علمى بعد وفاتى كعلمى فى حياتى**»[1] ولابن عدى فى كامله وأبى يعلى برجال ثقات عن أنس مرفوعا: «**الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ**»[2] وصححه البيهقى قال ولحياة الانبياء بعد موتهم شواهد من الاحاديث الصحيحة وذكر حديث: «**مررت بموسى وهو قائم يصلى فى قبره**»[3] وغيره من أحاديث لقاء النبى ﷺ لهم وحديث أوس بن أوس مرفوعا: «**أَفْضَلُ أَيَّامِكم يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأكثروا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكم مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**». قَالُوا: «**وَكَيْفَ صَلَاتُنَا تُعْرَضُ عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ؟**» يقولون بليت فقَالَ: «**إِنَّ اللهَ تعالى حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكل أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام**»[4] أخرجه ابن حبان فى صحيحه

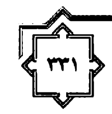
---

١ . وفاء الوفاء، ج٤، ص١٧٩.

٢ . مسند ابي يعلى، ج٦، ص١٤٧.

٣ . صحيح مسلم، ج٤، ص١٧٤٥.

٤ . المستدرك على الصحيحين، ج١، ص٤١٣.



والحاكم وصححه وذكر البيهقى له شواهد ولابن ماجه باسناد جيد عن أبى الدرداء ﷺ مرفوعا: «أكثروا من الصَّلَاةِ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَإِنَّ أَحَداً لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ، إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا» قَالَ: قُلْتُ: «وَبَعْدَ الْمَوْتِ؟»، قَالَ: «وَبَعْدَ الْمَوْتِ، إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكل أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ، فَنَبِيُّ اللهِ حَيٌّ يُرْزَقُ»[1] هذا لفظ ابن ماجه وللبزار برجال الصحيح عن ابن مسعود ﷺ مرفوعا: «إِنَّ لله مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»[2] قال: وقال رسول الله ﷺ: «حَيَاتِي خَيْرٌ لكم تُحَدِّثُونَ وَأُحَدِّثُ لَكم، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لكم تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكم، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ لَكم»[3] وعن صاحب الدر النظيم أنه ﷺ لما مات ترك فى أمّته رحمة لهم فانه سأل الله عزّ وجلّ أن يكون بين أمته الى يوم القيامة وحديث: «أَنا أَكْرم عَلَى رَبِّي من أَن يتركني فِي قَبْرِي بعد ثَلَاث»[4] لا أصل له وسبق فى الفصل التاسع ما أخبر به سعيد بن المسيب من سماعه الاذان والاقامة من القبر الشريف أيام الحرة وروى ابن عساكر بسند جيد عن أبى الدرداء ﷺ قصة نزول بلال بن رباح ﷺ بداريا بعد فتح عمر ﷺ لبيت المقدس قال ثم ان بلالا رأى النبى ﷺ وهو يقول له: «ما هذه الجفوة يا بلال أما آن تزورنى» فانتبه حزينا خائفا فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبى ﷺ فجعل يبكى عنده ويمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما فقالا: «نشتهى نسمع أذانك الذى كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ فى

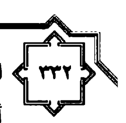
---

١ . سنن ابن ماجه، ج١، ص٥٢٤.

٢ . مسند البزار، ج٥، ص٣٠٨.

٣ . نفس المصدر، ج٥، ص٣٠٨.

٤ . البدر المنير، ج٥، ص٢٨٣.



المسجد» فعلا سطح المسجد ووقف موقفه الذى كان يقف فيه فلما أن قال الله أكبر ارتجت المدينة فلما قال أشهد أن لا اله الاّ الله ازدادت رجتها فلما قال أشهد أن محمدا رسول الله خرجت العواتق من خدورهن وقالوا بعث رسول الله ﷺ فما رؤى يوما أكثر باكيا ولا باكية من ذالك بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذالك اليوم»[1] وقد استفاض عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان يرسل البريد من الشام يقول: «سلم لى على رسول الله ﷺ»[2] وفى فتوح الشام أن عمر رضي الله عنه قال لكعب الاحبار بعد فتح المقدس: «هل لك أن تسير معى الى المدينة أول ما بدأ بالمسجد وسلم على رسول الله ﷺ»[3] وصح أن ابن عمر رضي الله عنهما اذا قدم من سفر أتى قبر النبى ﷺ فقال: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا بكرٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَتَاهُ**»[4] وعن ابن عوف سأل رجل نافعا: «هل كان ابن عمر يسلم على القبر» قال: «نعم لقد رأيته مائة مرة أو أكثر من مائة مرة كان يأتى القبر فيقوم عنده فيقول: «السلام على النبى السلام على أبى بكر السلام على أبى»[5] ثم ذكر زيارة بعض الصحابة عند القبر الشريف كمعاذ بن جبل قائم يبكى عند قبر رسول الله ﷺ فقال له عمر بن الخطاب: «مَا يُبكيكَ يَا مُعَاذُ»[6] الحديث وذكر زيارة سيدنا زين العابدين لجده ﷺ ثم ذكر الحديث عن جعفر الصادق جاء فسلم على رسول الله ﷺ ثم انثنى فسلم على أبى بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الراوى فرآنى كانى

---

١ . تاريخ مدينة دمشق، ج٧، ص١٣٧.

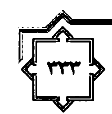
٢ . شعب الإيمان، ج٦، ص٥٤.

٣ . فتوح الشام، ج١، ص٢٣٥.

٤ . السنن الكبرى للبيهقي، ج٥، ص٤٠٢.

٥ . شفاء السقام في زيارة خير الأنام، ص١٦٧.

٦ . المعجم الكبير، ج٢٠، ص١٥٣.

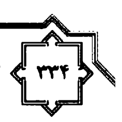


تعجبت فقال لی: «**والله ان هذا الذی أدین الله به**»[1] وأخرج الدارقطنی فی الفضائل عن عبدالله بن جعفر أن علی بن أبی طالب کرم الله وجهه ورضی عنه دخل المسجد فبکی حین نظر الی بیت فاطمة ﷺ فأطال البکاء ثم انصرف الی قبر النبی ﷺ فأطال البکاء عنده ثم قال یعنی لابی بکر وعمر: «وعلیکما السلام ورحمة الله وبرکاته قد کنتما هادیین مهدیین خرجتما من الدنیا خمیصین»[2]، ثم ذکر عن ابن عبدالبر والبلاذری وغیرهما حدیث أبی بکرة ﷺ لما أراد زیاد بن أمیة الحج ولم یمکنه الزیارة للنبی ان حج فأمره بترک الحج تلک السنة لاجل زیارة النبی ﷺ*.

وأوضح السبکی أمر الاجماع علی الزیارة قولا وفعلا وسرد کلام الائمة الاربعة فی ذالک وأتباعهم فلیراجعه من أراده وبین انها قربة بالسنة وقد سبق من السنة الخاصة ما فیه مقنع وجاء فی السنة الصحیحة المتفق علیها الامر بزیارة القبور وقبره سید القبور فهو داخل فی ذالک وبالقیاس علی ما ثبت من زیارته لاهل البقیع وشهداء أحد فقبره أولی لما له من الحق ووجوب التعظیم ولتنالنا الرحمة فصلاتنا وسلامنا علیه عند قبره بحضرة الملائکة الحافین به وفیه التبرک بذالک وتأدیة الحق له وتذکرة الآخرة کما فی زیارة غیره وبالاجماع لما سبق ولاجماع العلماء علی زیارة القبور للرجال کما حکاه النووی ﷺ بل قال الظاهریة بوجوبها واختلفوا فی النساء وامتاز القبر النبوی بالادلة الخاصة به فیستثنی من محل الخلاف بالنسبة الی النساء کما أشار الیه السبکی والریمی وهو مقتضی اطلاق الائمة وبالکتاب لقوله تعالی: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ**﴾[3] الآیة لحثه علی المجیء الیه والاستغفار عنده واستغفاره للجانین وهذه رتبة لا

١و٢ . خلاصة الوفاء، ج١، ص٣٦٤.

٣ . النساء: ٦٤.



تنقطع بموته وقد فهم العلماء من الآية العموم فاستحبوا لمن أتى القبر الشريف أن يتلوها ونستغفر الله تعالى وأوردوا حكاية العتبى فى كتبهم مستحسنين لها وروى أبو سعيد السمعانى عن على كرم الله وجهه ورضي عنه قال قدم علينا إعرابي بعدما دفنّا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبره ﷺ وحثا من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله سبحانه وما وعينا عنك وكان فيما أنزل عليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ﴾ الآية وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى فنودى من القبر قد غفر لك[1]. بل يستدل بالآية وكذا بما سبق من مشروعية السفر للزيارة وشد الرحل لشموله للمجئ ولعموم قوله: «**من زار قبرى**» وفى الحديث الذى صححه ابن السكن: «**من جاءنى زائرا**» واذا ثبت أن الزيارة قربة فالسفر اليها كذالك وقد ثبت خروجه ﷺ من المدينة لزيارة الشهداء وقد أطبق السلف والخلف ثم فسر حديث الا ثلاثه مساجد معناه لا تشهد الرحال الى مسجد لفضيلة الصلاة لما فى رواية أحمد وابن أبى شبية بسند حسن عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه مرفوعا: «**لاينبغى للمطى ان تشد رحالها الى مسجد تبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى**»[2] وللاجماع لشد الرحال لعرفة لقضاء النسك وكذا الجهاد والهجرة من دار الكفر وللتجارة ومصالح الدنيا واختلفوا فى شد الرحال لبقية المساجد غير الثلاثة فقيل يحرم وقيل لا وانما أبان رسول الله ﷺ أن القربة المقصودة فيها دون غيرها ونقل عياض ان منع أعمال المطى فى غير الثلاثة انما هو للناذرعلى أن السفر بقصد الزيارة غايته مسجد المدينة لمجاورته القبر الشريف وقصد الزائر الحلول فيه لتعظيم من حل بتلك البقعة كما لو كان

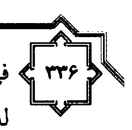
---

١ . وفاء الوفاء، ج٤، ص١٨٦.

٢ . مسند احمد، ج١٨، ص١٥٢.



حيا وليس القصد تعظيم بقعة القبر بل من حل فيها ﷺ وقوله: من زار قبرى» أى زارنى فى قبرى وقال عياض رحمه الله فى الشفاء زيارة قبره ﷺ سنة بين المسلمين مجتمع عليها وفضيلة مرغب فيها والقصد الى الصلاة فى مسجد الرسول ﷺ والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذى يستند اليه ومنزل جبريل بالوحى فيه عليه ومن عمره وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين والاعتبار بذالك كله نقله عن الامام اسحق بن ابراهيم الفقيه وتقدم فى الفصل الثامن أى فى كتابه خلاصة الوفاء من اختلاف السلف فى أن الافضل للحاج البداءة بالمدينة أو بمكة وأن من اختار البداءة بالمدينة علقمة والاسود وعمرو بن ميمون من التابعين ولعل سببه ايثار الزيارة أولى ونقل السمرقندى عن الامام أبى حنيفة رحمه الله قال الاحسن للحاج أن يبدأ بمكة فاذا قضى نسكه مر بالمدينة الشريفة وان بدأ بها جاز فيأتى قريبا من قبر رسول الله ﷺ فيقوم بين القبر والقبلة وقال الحنفية زيارته ﷺ من أفضل المندوبات والمستحبات بل تقرب من درجة الواجبات وقد سرد السبكى النقول فى ذالك من كتب المذاهب الاربعة فلا نطول به وقال القاضى ابن كج الشافعى رحمه الله اذا نذر أن يزور قبر النبى ﷺ فعندى أنه يلزمه الوفاء وجها واحدا لانه قربة مقصودة للادلة الخاصة فيه وقال العبدى من المالكية فى شرح الرسالة وأما الناذر للمشى الى المسجد الحرام والى المدينة لزيارة قبر النبى ﷺ أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس والمشى له أصل فى الشرع والشافعية عندهم يصح الاستئجار على الدعاء عند القبر الشريف والجهل بالدعاء لا يبطلها قاله الماوردى ولا شكّ أيضا فى جواز الاجارة والجعالة لابلاغ السلام عليه ﷺ والزيارة وابلاغ السلام قربة مقصودة والحق صحة الاستئجار للسلام عليه ﷺ وللدعاء عنده انتهى ما لخصناه من الفصل المذكور



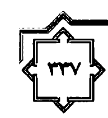
فى خلاصة الوفا فى اخبار دار المصطفى بتقديم وتأخير وقد تبين أن الزيارة له ﷺ والرحلة اليه من أفضل القربات وأنجح المساعى وقد بسطناه فيما تقدم فى خاتمة الفصل الثالث عشر فاستحضره هنا وقد بسطه أيضا ابن حجر المكى فى كتابه الجوهر المنظم فى زيارة القبر المعظم وكذالك غيره من العلماء بسطوا فى ذالك بتآليف مستقلة فى ذالك فيها فوائد عظيمة فعليك بالنظر فيها لتعلم ضلال النجدى المانع للزيارة له ﷺ فما أعظمها من خطيئة فسبحان القائل ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ * إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ * إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً * وَأَكِيدُ كَيْداً * فَمَهِّلِ الكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾[1] ولما طلب ابليس أن يكون من المنظرين أعطاه ولما قال بعض الكافرين لاوتين مالا وولدا قال فى حقه سيرثه ما يقول ويأتينا فردا اللهم انى أعوذ بك من المكر والاستدراج فضل العوام بما أعطاه الله من هذا الحطام وتتابع النعم والغيث والامطار فهلكت بذالك الفجار وعلم الابرار أن هذا دليل على المكر والاستدراج لانه قال أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون لان فرعون طغى لما مضى له أربعمائة سنة من عمره ولم يضرب له عرق فأخذه نكال الآخرة والاولى وكم غيره من هذه الامة ملكوا البلاد والعباد وطغوا وبغوا فكان لم يكونوا وان طال عليهم الامد وقست قلوبهم فاضحوا عبرة وخبرا بلا أثر قال فى رسالة المعاونة ومن بقيت عليه نعمة مع عصيانه لله بها فهو مستدرج قال الله تعالى ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً﴾[3] وفى الحديث: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ

---

١ . الطارق: ١٧ ـ ١١.

٢ . الأعراف: ١٨٢.

٣ . آل عمران: ١٧٨.



حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»[١].

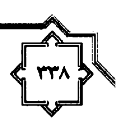
(قلت) ولحق النجدى الطاغية قلوبا فارغة فتمكن فيها بذهاب الصالحين والعلماء قال الامام النووى فى كتابه تهذيب الاسماء واللغات وفى البخارى عن أنس عن النبى ﷺ: «**مَا مِنْ عَامٍ إِلاَّ وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ**»[٢] وفى البخارى أيضا عن مرداس الاسلمى عن النبى ﷺ: «**يذهب الصَّالِحُونَ، الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَتَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ، لاَ يبالي بِهِمْ اللهُ بالة**»[٣] يقال لا أبالى زيدا بالا أى لا أكترث به ولا اهتم له انتهى. فلنرجع للفائدة فى الزيارة لرسول الله ﷺ * قال فى كتاب حسن التوسل لزيارة أفضل الرسل للامام عبد القادر الفاكهى تلميذ ابن حجر المكى فائدة استطرادية لا تخلو عن بشارة استلزامية قيل ما من أحد يمنح الزيارة لنبوية الا بعد أن يدعى بلسان صاحب الحضرة المحمدية فان دعى مرة زار مرة أو مرتين فمرتين وهكذا فليس ببعيد أخذا مما ورد فى الحج والبشارة العظمى أن من زار قبره الشريف ﷺ مبشر أنه يموت على الاسلام على ما فهم من الاحاديث السابقة بعض الائمة الاعلام وفى كتاب مفاخر الاسلام حديث ان زائر قبره الشريف اذا كان على أميال من المدينة تبادرت الملائكة الموكلة بتبليغ صلاة المصطفى اليه ﷺ فيقولون يا رسول الله هذا فلان وفلان الذين بلغناك صلاتهم عليك فقد جاؤك زائرين فيقول ﷺ تلقوهم بالترحيب وصافحوا عنى لركبان وعانقوا عنى المشاة واقضوا حوائجهم فلولا حجاب المدينة لتلقيتهم ماشيا ولكن فأقضى حقوقهم يوم لا يجدون وسيلة الا محبتى انتهى من كتاب حسن التوسل (و لنختم) هذا الفصل بشئ مما ذكره

---

١ . صحيح البخاري، ج٦، ص٧٤.

٢ . صحيح البخاري، ج٩، ص٤٩.

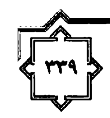
٣ . نفس المصدر، ج٥، ص١٢٣.



الامام السمهودى فى كتاب خلاصة الوفاء فى توسل الزائر بـه ﷺ وان تقـدم فى هذا الكتاب فى الباب الرابع عشر بعض ذالك فان بالتكرير يحـصل التقريـر وبالتقرير يحصل التأثير والى الله تعالى المصير قـال والتوسـل والتـشفع بـه ﷺ وبجاهه وبركته من سنن المرسـلين وسـير الـسلف الـصالحين وصـحح الحـاكم حديث لما اقترف آدم الخطيئة قال: «**يا رب أسألك بحق محمد الا مـا غفـرت لـى فقال يا آدم فكيف عرفـت محمـدا ولم أخلقـه**» قـال: «**يـا رب لمـا خلقتنـى بيـدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الاّ الله محمد رسول الله ﷺ فعرفت انك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك**» فقال الله: «**صدقت يا آدم انه لاحب الخلق إليّ اذا سألتنى بحقه فقد غفـرت لـك ولولا محمد ما خلقتك**»[1] وللنسائى والترمذى وقال حسن صحيح عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلا ضرير البصر أتى النبى ﷺ فقال ادع الله لى أن يعـافينى فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهـو خـير لـك قـال فادعـه فـأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهم انـى أسـألك وأتوجـه اليـك بنبينا محمد ﷺ نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربك فى حـاجتى لتقـضى لى اللهم فشفعه فى**»[2] وصححه البيهقى وزاد: «**وقام وقـد أبـصر**»[3] وللطبرانـى والبيهقى: «**أن رجلا كان يختلف الى أمير المـؤمنين عـثمان بـن عفـان رضي الله عنه فـى حاجة فكان لا يلتفت اليه فأمره عثمان بن حنيف رضي الله عنه بـما تقـدم مـن الوضـوء وركعتين ويدعو بالدعاء ففعل ذالك ثم أتى باب عثمان فجاء البواب حتى أخذه بيده وأدخله على عثمان فأجلسه معه وقال ما حاجتك فذكر حاجته وقضاها له**»[4]

---

١ . المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٦٧٢.
٢ . سنن الترمذي، ج٥، ص٤٦١.
٣ . دلائل النبوة، ج٦، ص١٦٦.
٤ . المعجم الكبير، ج٩، ص٣٠.



قال وسيأتى فى قبر فاطمة بنت أسد أم على كرم الله وجهه قوله ﷺ فى دعائه لها: «بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي»[1] الحديث الخ وسنده جيد واذا جاز التوسل بالاعمال كما صح فى حديث الغار كما فى الصحيحين وهى مخلوقة فالسؤال به ﷺ أولى ولا فرق فى ذالك بين التعبير بالتوسل أو الاستغاثة أو التشفع أو التوجه أى التوجه به ﷺ فى الحاجة ومنه ما رواه البيهقى وابن أبى شبية بسند صحيح عن مالك الدار وكان خادم عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أصاب الناس قحط فى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاء رجل الى قبر النبى ﷺ فقال: «يا رسول الله استسق لامتك فانهم قد هلكوا فأتاه رسول الله عليه وسلّم فى المنام فقال: **«ائت عمر وأقرئه السلام وأخبرهم أنهم يسقون»**[2] الحديث وبين فى الفتوح أن الذى رأى هذا المنام بلال بن الحارث أحد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين قال وسيأتى أمر عائشة رضي الله عنها بالاستسقاء عند الجدب بقبره ﷺ أى بفتح كوة الى السماء مقابل القبر الشريف ففعلوها فسقوا فى الحال رواه الدارمى فى صحيحه عن أبى الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت: **«فانظروا قبر النبى ﷺ فاجعلوا اليه كوة من السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف»** ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق»[3] قال الزين المراغى وفتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة حتى الآن بل يجوز كما قال السبكى التوسل بسائر الصالحين ففى الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد

---

١ . نفس المصدر، ج٢٤، ص٣٥١.

٢ . المصنّف في الأحاديث والآثار، ج٦، ص٣٥٦.

٣ . سنن الدارمي، ج١، ص٢٢٧.



المطلب ﷺ[1] وفى الشفاء بسند جيد أن أميرالمؤمنين أبا جعفر المنصور قال للامام مالك يا أبا عبد الله وكان بالمسجد النبوى أأستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ فقال مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله تعالى قال الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ الآية[2] ثم بسط من كتب الائمة الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة من التوسل به ﷺ بما فيه مقنع واجماع من جميع الامة حتى الفرق المبتدعة فضلا عن أهل السنة كافة قائلون بصحة التوسل به ﷺ وقد بسطناه فى الباب الرابع عشر فاستحضره مع غيره من كلام أئمة المسلمين أما كل هؤلاء على حق والنجدى على باطل أليس النجدى من باطله يكفر المتوسلين به ﷺ فاختر مع أى الفريقين تحشر فالمرء مع من أحب ويحشر معه وقد نصحتك يا أخى رفقا عليك أن تخرج من ربقة الاسلام اذا ادعيت كذب هؤلاء الاكابر وتضليلهم فى نثرهم ونظمهم قد اجتهدت فى النصح والله الهادى عباده قال تعالى لنبيه: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلكِن اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[3]، وقال لنبيه ﴿انك لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[4]، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكم أَجْمَعِينَ﴾[5]، وقال لرسوله ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾[6]، ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا انك أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[7]، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِالله عَلَيْهِ تَوَكلتُ وَإِلَيْهِ

---

١ . صحيح البخاري، ج٢، ص٢٧.

٢ . الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج٢، ص٩٢.

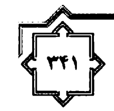
٣ . البقرة: ٢٧٢.

٤ . القصص: ٥٦.

٥ . الأنعام: ١٤٩.

٦ . الشورى: ٤٨.

٧ . البقرة: ٣٢.



أُنِيبُ﴾[١]، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وأستغفره عن عثرة القلم بل ومن عثرة القدم ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢]، ﴿سُبْحَانَ رَبك رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣]،* وقد تم هذا الكتاب الذى سميناه مصباح الانام وجلاء الظَلام وليعذر الناظر للمؤلف ولا ينساه من صالح دعواته فانى مع السفر فى البر وفى البحر أكتب فيه وأجمع وقد رأيت من معونة الله لى فى تأليفه بما أعرف أنه دليل أنه مقبول لديه وذالك لما حصل معى من الهم العظيم من ناس ما نظن هذه البدعة تدخل عليهم ويردوها ببديهة العقل فضلا عن العلم والدليل لكن قال سبحانه لنبيه ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾[٤] وقال فى حق نبيه ابراهيم وقد كسر أصنام قومه لم يأمن الفتنة على نفسه وبنيه من الاصنام لاختلاطه بهم وبنيه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[٥] فاذا كان حبيبه محمد ﷺ وخليله ابراهيم وهما أفضل أولى العزم ما أمنا من مجالسة ومخالطة قومها يحصل مع ثباتها وعصمتهما من باب الفرض والتقدير قوله لقد كدت لانهما معصومان وخافا ولم يأمنا مكر الله ولو قد أسرى نبيه محمدا ﷺ الى قاب قوسين أو أدنى وأرى ابراهيم ملكوت السموات والارض فلم يزالا يسألان ربهما الثبات وألحقنى بالصالحين ولما قعدا يبكيان سيد المرسلين والامين جبريل عليهما أفضل الصلاة والسلام أوحى الله اليهما

---

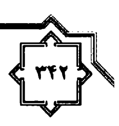
١ . هود: ٨٨.

٢ . يوسف: ٥٣.

٣ . الصافّات: ١٨٢ ـ ١٨٠.

٤ . الإسراء: ٧٤.

٥ . إبراهيم: ٣٥.



مايبكيكما قالا خوفا من مكر الله فقال لهما هكذا فكونا وفى الحديث القدسى: «يَا عِبَادِي كلكم ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكم»[١] وقال ﷺ رأيت ربى فى المنام فساق الحديث الى أن قال قال: «يَا مُحَمَّدُ»، قلت: «لبيك»، قال: «إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلك فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المنكراتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، فَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ»[٢] وبه الختم للكتاب سنة ١٢١٥ وجاء التاريخ لزيارتنا لسيد المرسلين (زيارتك متقبلة) فعسى أن يكون الفال فى ختم الكتاب هذا بالقبول وكما أتى تاريخ حجنا (حجك مبرور وسعيك مشكور) وذالك فى السنة المذكورة والسنة التى بعدها تاريخها (جاءت بخير) فعسى يهدى بهذا الكتاب من وقف عليه من اخواننا المسلمين لان فى الحديث القدسى: «اذا هدى الله بك واحدا كتبك عنده جهبذا»[٣] وقال النبى ﷺ: «لَأَنْ يهْدِى بك رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لك مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[٤] والدال على الخير كفاعله ومع ذالك يجب علينا اتباع طريقة سلفنا قال سيدنا القطب الغوث عبدالله ابن علوى الحداد فى كتابه رسالة المعاونة وعليك بتحصين معتقدك واصلاحه وتقويمه على منهاج الفرقة الناجية وهى المعروفة من بين سائر الفرق الاسلامية بأهل السنة و الجماعة وهم المتمسكون بما كان عليه رسول الله عليه وسلّم وأصحابه الى أن قال وهى عقيدتنا وعقيدة اخواننا من السادة الحسينيين المعروفين بال أبى علوى وعقيدة أسلافنا من لدن رسول الله عليه وسلّم الى يومنا هذا انتهى كلامه نفع الله به اللهم أحينا عليها وتوفنا عليها فى عافية

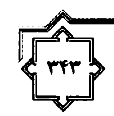
---

١ . صحيح مسلم، ج٤، ص١٩٩٤.

٢ . سنن الترمذي، ج٥، ص٢٢٠.

٣ . لم نعثر عليه.

٤ . صحيح البخاري، ج٤، ص٤٧.

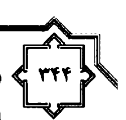


وسلامة برحمتك يا أرحم الراحمين وأولادنا واخواننا ومحبينا وأشياعنا من الموحدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصل وسلم على سيد الشفعاء صاحب المقام المحمود عبدك ورسولك محمد وعلى آله الاكرمين الطيبين الطاهرين وأصحابه أجمعين وعلى التابعين له باحسان الى يوم الدين انتهى التأليف ونحن بالحرمين الشريفين وطفنا بهذا الكتاب البيت العتيق وزرنا به عند المواجهة لما زرنا سيد المرسلين وصاحبيه والزهراء فى مسجده صلى الله عليه وعليهم وسلم لتعود البركة على هذا الكتاب ومؤلفه وقارئه وسامعه ومكتتبه وكاتبه والاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى أصلح الله النيات والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى (قال) العبد الراجى عفو الله المؤلف السيد علوى بن أحمد بن حسن ابن القطب الغوث شيخ الاسلام عبد الله الحداد باعلوى عفى الله عنه ولطف به آمين آمين آمين

(خاتمة هذا الكتاب فى سؤالات وجوابات وتقريظ من الشيخ المحقق العمدة محمد بن سليمان الكردى الذى نفع الله به) التقريظ على رسالة الموفق السعيد العلامة الشيخ سليمان بن عبد الوهاب يرد على أخيه الشقى محمد بن عبد الوهاب فى رسالة وقرظ عليها العلماء فلنثبت هنا تقريظ الشيخ محمد بن سليمان الكردى المدنى لانه عمدة الشافعية فى الحرمين بل وغيرهم من المذاهب الاربعة ويصدق فيه قول القائل

اذا اجتمع الناس فى واحد وخالفهم فى الثناء واحد
فدل منطوق أجمعهم على عقله أنه فاسد

فاذا كان العمدة فتقريظه نثبته ثم بسؤالات من علماء كذالك سألوه عن افتراه وابتداعه محمد بن عبد الوهاب* فاجابهم فنثبته لان كلام الشيخ محمد بن سليمان الكردى ليس مثل كلام غيره من المتأخرين فحققه لانه ملخص جدا



وأفرده اذا شئت كغيره مما رأيته في هذا الكتاب لان القصد النفع العام لكافة الانام من أهل الاسلام وقد رأيت الشيخ الامام البحر المطلع على العلوم القدوة أحمد بن على القبانى صاحب البصرة وشارح رائية سيدنا قطب الارشاد الحبيب عبدالله بن علوى الحداد نفع الله به

اذا شئت أن تحيا سعيدا مدى العمر وتجعل بعد الموت فى روضة القبر

ألف تأليفا فى نحو عشرة كراريس فى رد رسالة محمد بن عبد الوهاب شرحها وأظهر تزييفها وسؤالات رد عليه فيه وفى بدعته فالحق جوابه عليها بها ففيها علوم كثيرة لانه شافعى زمانه وشيخ عصره فى مصره وقد ذكرها صاحب الصواعق والرعود واستفاد منها فى نقله وقد بحمد الله طالعناها فى زيارتنا الرابعة لسيد المرسلين محمد ﷺ ونقلنا ما فى المدينة النوّرة بحمد الله وأتى الينا الشيخ المحدث صالح الفلانى بكتاب ضخم فيه رسالات وجوابات كلها من العلماء أهل المذاهب الاربعة الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة يردون على محمد بن عبد الوهاب بالعجب العجاب وقد أمرنا بنقل هذا المجلد من ينسخه لنا ليقف على كلامهم كل أحد وذالك القصد منا النفع المتعدى ذبا عن الشريعة ونفعا للامة وعسى يوفق من له قوّة وشوكة فى اطفاء نار بدعته ليحظى بالجهاد الأكبر الذى هو أعظم من جهاد الكفار لان ضرر الكفار يصغر عن ضرر هذا المبتدع وأعوانه وأنصاره فلنحرر تقريظ الشيخ محمد بن سليمان الكردى المدنى فقال

(بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين) وبعد فيقول أقل الخليقة محمد بن سليمان قد اطلعت على رسالة الشيخ سليمان بن عبد الوهاب فى الرد على أخيه محمد بن عبد الوهاب فرأيته قد أجاد فيها وأصاب وأتى فيها من الايات القرآنيه



والاحاديث النبوية ونصوص الائمة القاطعة ما فيه كفاية لاولى الالباب ووفقنا الله واياه لما يحب ويرضى بمنه وكرمه والبناء على القبور مكروه عند المذاهب الاربعة وقصاراه أنه فى بعض صوره يكون حراما فى بعض المذاهب وأما الكفر فلا يقول به غير محمد بن عبد الوهاب ومن قهره على اعتقاده والاجتهاد قد انقطع منذ أزمنة متطاولة كما صرحوا به وهم أجل من ابن عبد الوهاب ولما ادعى الجلال السيوطى الاجتهاد النسبى انكروه عليه ولم يسلموه له مع أنه لم يدع الاستقلال كما نبه عليه هو نفسه وناهيك بتصانيفه فى غالب العلوم واحاطته بالسنة فما بالك برجل أشبه بالعوام فى بلدة حيث يطلع قرن الشيطان يدعى الاجتهاد بل وفوقه وأما مس المشاهد فغايته الكراهة لا الحرمة فضلا عن التكفير ولما قال النووى يكره مس القبر ومسحه اعترضه العز بن جماعة بقول أحمد لا بأس به وبقول المحب الطبرى وابن أبى الصيف يجوز تقبيل القبر ومسه وعليه عمل العلماء الصالحين وبقول السبكى ان عدم التمسح بالقبر ليس مما قام الاجماع عليه ثم ذكر حديث اقبال مروان فاذا برجل ملتزم القبر وفيه ذالك الرجل هو أبو أيوب الانصارى ﷺ والحديث أخرجه أحمد والطبرانى والنسائى بسند فيه كثير بن زيد وثقه جماعة وضعفه النسائى ونقلت رواية عن أحمد أنه لا يعرف التمسح بالقبر وفى مغنى الحنابلة لا يستحب التمسح بحائط القبر ولا تقبيله وقال أحمد ما أعرف هذا وقال الاثرم من أصحاب أحمد رأيت أهل العلم بالمدينة لا يمسحون القبر قال أحمد وكذا كان يقول ابن عمر انتهى وعلى القول بالكراهة قال الجمال الرملى فى شرح الايضاح علة الكراهة نفى الادب قال فيعلم منه أنه لو قصد به التبرك فلا بأس به قال فقد نص الشافعى على أن أى جزء قبله من أجزاء البيت فحسن قال ويكره الانحناء للقبر الشريف وتقبيل الاعتاب ما لم يقصد به التبرك انتهى ما أردت نقله من كلام الجمال



الرملي وأما التوسل والاستغاثة أو التشفع أو التوجه به ﷺ وبغيره من الانبياء وكذالك الاولياء وفاقا للسبكي وخلافا لابن عبد السلام فامر مطلوب معروف في كتب الحديث فضلا عن كونه مباحا فضلا عن كونه مكروها فضلا عن كونه حراما فضلا عن كونه كبيرة فضلا عن كونه كفرا فقد قال آدم لما اقترف الخطيئة يا رب أسألك بحق محمد ﷺ الا ما غفرت لي فغفر له صححه الحاكم والحديث طويل وهذا كان قبل ولادته ﷺ بأزمنه متطاولة وأخرج ابن عساكر أن قريشا قالت لابي طالب وقد اقحطوا يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال فخرج أبو طالب معه غلام يعني النبي ﷺ كانه شمس دجن تجلت عنه سحابة وحوله أغيلمة فأخذه أبوطالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام وما في السماء قزعة وأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا وأغدق واغدودق وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي وفي ذالك يقول أبو طالب

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل[1]

فهذا كان بعد ميلاده الشريف وقبل نبؤته

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن دينار قال سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب* وأبيض يستسقى الغمام بوجهه[2] * الخ

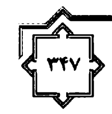
وأخرج البيهقي في الدلائل جاء أعرابي الى النبي ﷺ فشكا اليه فقام ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر فقال: «**اللهُمَّ اسْقِنَا**»[3] الحديث وفيه قال ﷺ لو كان أبوطالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقام علي كرم الله وجهه ورضي عنه فقال يا رسول الله كانك أردت قوله* وأبيض يستسقى الغمام بوجهه* الخ وفي

---

١. تاريخ دمشق، ج٦٦، ص٣١٤.

٢. صحيح البخاري، ج٢، ص٢٧.

٣. دلائل النبوة، ج٦، ص١٤٠.



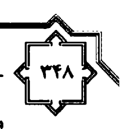
الصحيحين وغيرهما ان رجلا دخل المسجد يوم الجمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائما فقال يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله يغثنا قال فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال اللهم اسقنا[1] الحديث وفيه ثم دخل رجل من ذالك الباب فى الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائما فقال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها قال فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا[2] واستغاث به ﷺ جابر ابن عبد الله فى الدين الذى كان على أبيه فصار ما هو مشهور من قضاء الدين من تمر بستانه وبقاء التمر بعد الدين بعد ان كان لا يقع موقعا من دينه والحديث مشهور فى الصحاح وأخرج النسائى والترمذى وصححه أن رجلا ضريرا أتى النبى ﷺ فقال ادع الله أن يعافينى الحديث وفيه فأمره ﷺ أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد ﷺ نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى لتقضى لى اللهم شفعه فىّ[3] وصححه البيهقى وزاد: «فقام وقد أبصر»[4] وأمثال هذا فى كتب الحديث أكثر من أن تحصر وهذا وقع بعد البعثة وقد ذكر فى كتاب مصباح الظلام فى المستغيث بسيد الانام فى اليقظة والمنام كثيرا ممن استغاث بالنبى ﷺ بعد وفاته فأغيث فى الحين ونقل عبد الحميد السندى فى تاريخ جملة من ذالك وذكر السمهودى فى تاريخ المدينة شيئا منه وقد أمرت عائشة رضي الله عنها فى بعض توسلات أهل المدينة به ﷺ أن لا يدعوا حائلا بين

---

١ و٢ . صحيح البخارى، ج٢، ص٢٨.

٣ . سنن الترمذي، ج٥، ص٤٦١.

٤ . دلائل النبوة، ج٦، ص١٦٦.



حائلا بين قبره ﷺ والسماء كما فى تاريخ السمهودى وغيره فهذا وقع بعد وفاته ﷺ وسيقع الى يوم القيامة بل ولا ينقطع يوم القيامة ففى الاحاديث الصحيحة أن الناس اذا جمعوا يوم القيامة يذهبون الى المشهورين من الرسل يتوسلون بهم فى طلب الشفاعة لهم فى فصل القضاء وكل رسول يرسلهم الى من بعده ليتوسلوا به فى ذالك حتى يرسلهم عيسى لنبينا محمد ﷺ فيشفع له فى ذالك فقد ثبتت الاستغاثة به ﷺ قبل ولادته وبعدها قبل النبوّة وبعدها وبعد وفاته وفى يوم القيامة فكيف يكون ذالك كفرا سبحانك هذا بهتان عظيم وفى صحيح البخارى عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب وقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا ﷺ فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون[1] انتهى وقد ثبت فى الاحاديث الصحيحة التوسل بالاعمال الصالحة وهى أعراض فما بالك بالذوات الفاضلة وقد طلب منا ﷺ أن نسأل الله له الوسيلة كما فى صحيح مسلم وغيره فكيف لا نسأله أن يسأل الله لنا فى جميع مقاصدنا

(و يا ابن عبد الوهاب سلام على من اتبع الهدى) فانى أنصحك لله تعالى أن تكف لسانك عن المسلمين فان سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذالك المستغاث به من دون الله فعرفه الصواب وأبن له الادلة على أنه لا تأثير لغير الله فان أبى القبول كفره حينئذ بخصوصه فان من قال هلك الناس فقد أهلكهم وروى مسلم: «إِذَا كفر المسلم أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»[2] وفى رواية له: «أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: كافر، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كان كما قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ»[3]

---

١ . صحيح البخاري، ج٢، ص٢٧.

٢و٣ . صحيح مسلم، ج١، ص٧٩.



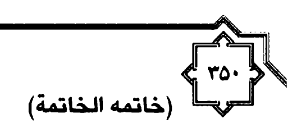
وحينئذ فنسبة الكفر الى من شذ عن السواد الاعظم أقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[1]، «وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية»[2]، ومن شذ فهو فى النار وفى صحيح مسلم كونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب أمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وروى أحمد لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم فان من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عزّ وجلّ عورته حتى يفضحه فى بيته والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمأب وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم ﴿سُبْحَانَ رَبك رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3] آمين كتبناه بالمدينة المنورة لسيدنا ومولانا وشيخنا وحبيبنا الحبيب علوى ابن الحبيب أحمد الحداد حشرنا الله فى زمرتهم ورزقنا شفاعة جدهم آمين ميمون الابتداء مبارك الانتهاء فرغ من كتابتها يوم الاثنين دخول عشر فى شهر جمادى الثانية سنة ١٢١٦ على يد أقل الناس حسن بن عبد الرحمن باراس غفر الله له ولوالديه آمين قال ذالك الفقير الى عفو ربه القدير محمد بن سليمان الكردى ثم المدنى عفى الله عنه آمين وعن من دعا له بالغفران ولجميع المسلمين والمسلمات ولمن كتبها آمين

---

١ . النساء: ١١٥.

٢ . المستدرك على الصحيحين، ج١، ص٣٣٠.

٣ . الصافّات: ١٨٢ ـ ١٨٠.



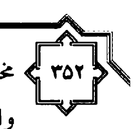
(خاتمه الخاتمة)

الحمد لله ومما سئل عند الشيخ الامام محمد بن سليمان الكردى ثم المدنى نفع الله به

(بسم الله الرّحمن الرّحيم) الحمد لله ربّ العالمين اياك نعبد واياك نستعين اللهمّ صلّ على سيدنا محمد سيد الاولين والآخرين ما يقول السادة العلماء الاعلام مصابيح سنة سيد الانام وكاشفوا ما انبهم وأشكل من أمر الدين على الاسلام حتى حلوا بالنقادة ما اعتكر على العباد من كتاب الظلام من محمد بن عبد الوهاب النجدى (فنسألكم عن أفعاله وأقواله فيها اذا كان ثم طالب علم أطال المطالعة فى مؤلفات أهل العلم من الفقه والحديث والتفسير وهو ذو فهم فتوغل فى نفسه واستحكم فى رأيه أن جملة هذه الامة ضلوا وأضلوا عن أصل الدين وعن طريقة سيد المرسلين ﷺ فاطرح جملة مؤلفات أهل العلم ولم يلتزم لمذهب من المذاهب الاربعة بل اطرحها وعدل نفسه الى الاجتهاد وادعى الاستنباط من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ بزعمه وليس فيه من شروط الاجتهاد المعتبرة عند أهل العلم شئ هل يسوغ له ذالك أم يلزمه الرجوع عن دعواه ومتابعة أهل العلم ومع ذالك ينسب نفسه للامامة ويوجب على الامة الاخذ بقوله ولزوم مذهبه ويجبرهم على ذالك بالسيف قهرا ويعتقد كفر من خالفه ويستحل دمه وماله ولو استكملت فيه أركان الاسلام فهل يكون مخطئا فى ذالك أم لا وهل لو قدرنا أن انسانا اجتمعت فيه شروط الاجتهاد وبنى له مذهبا هل يحل له أو يجوز أن يلزمه الامة بالتزام مذهبه أم الامر واسع فى تقليد أهل العلم وهل اذا كان انسان مستكملة فيه أوصاف الاسلام الذى ذكر الله ورسوله أتى الى قبر رجل صالح أو صحابى ونذر له أو ذبح عنده أو



دعاه أو تمسح بقبره أو أخذ من ترابه أو دعا غائبا أو رسول الله أو صحابيا ولم يعلم ما معنى حقيقة نيته يكون ذالك الانسان كافرا مشركا شركا يخرجه عن الاسلام ويحل دمه وماله أم ينهى عن ذالك ويعلم ويرشد وهو مع ذالك مسلم كامل الاسلام ومع ذالك يخبر عن نفسه أنه لم يرد بذالك عبادة صاحب القبر أو الغائب ولا قدرته على شئ من دون الله ولكن بصلاحيته عند الله أتوسل به الى الله هل لاحد أن يجوز له الحكم على ذالك الشخص بالردة ويجرى عليه احكامها ويحكم بكفره أم لا وهل من حلف بغير الله يكون مشركا شركا يخرجه عن الاسلام أم لا وهل اذا بعض أهل العلم قال فى عبارة من عباراته من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم كفر فما معنى الوسائط المكفرة عند أهل العلم وما معنى دعائه لها وما معنى سؤاله لها وما معنى توكله عليها بينوا لنا ذالك بيانا واضحا أوضح الله لكم طريق الهدى وهل لو قدرنا أن انسانا تجتمع فيه مادتان كفر واسلام أو شرك وايمان هل يكفر كفرا ينقله عن الملة ويحل دمه وماله أم لا وعن قوله ﷺ لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم الى يوم القيامة فهل بين رسول الله ﷺ موضع الطائفة أم لا وهل من قال ان الطائفة موجودة ولكن خفيت وجهلت الا أن يكون مخالفا لحديث النبى ﷺ بالظهور أم لا وعن قوله ﷺ ان الشيطان آيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب فهل يكون من أثبت الكفر والشرك فى جزيرة العرب وجعلها دار حرب يكون مخالفا أيضا للحديث أم لا وقوله ﷺ فى حجة الوداع ألا ان الشيطان آيس أن يعبد فى بلدكم هذه وما ورد عنه ﷺ فى حماية المدينة عن الشرك والكفر فهل من أثبت الشرك والكفر فيها ولم يحكم باسلام أهلها يكون مخالفا لحديث الرسول ﷺ أم لا وهل اذا أجمع المسلمون على أمر يكون اجماعهم حجة لا يجوز مخالفته ومن خالفه كان

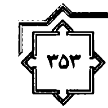


مخطئا أم لا وهل اذا كن واردا فى الكتاب والسنة مثل الصلاة على النبى ﷺ والدعاء وأطلق ذالك الوارد فهل يكون ذالك أمرا دينيا مطلق يجوز على الاطلاق ولم يكون بدعيا كما زعمه بعض طلبة العلم أفتونا مأجورين أثابكم الله نعم الجنان* ونظر اليكم باللطف والاحسان* وحفكم بالامن والامان* وأعاذكم من نوازغ الشيطان* آمين والحمد الله رب العالمين

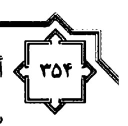
(قال الشيخ محمد بن سليمان الكردى ثم المدنى* الجواب)

(بسم الله الرّحمن الرّحيم)

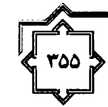
الحمد لله وحده* لا شبهة فى أن العلم انما يدرك بالاخذ عن المشايخ فمن كان شيخه الكتاب كان خطؤه أكثر من الصواب* ودعوى الاجتهاد اليوم فى غاية من البعد وقد قال الامام الرافعى والنووى وسبقهما اليه الفخر الرازى الناس كالمجمعين اليوم على أنه لا مجتهد قال الشيخ ابن حجر فى فتاويه بل قال بعض الاصوليين منا لم يوجد بعد عصر الشافعى مجتهد مستقل أى من كل الوجوده انتهى وقال ابن الصلاح ومن دهر طويل يزيد على ثلاثمائة سنة عدم المجتهد المستقل انتهى وهذا الامام السيوطى مع سعة اطلاعه وباعه فى العلوم وابتكاره عدة من العلوم لم يسبق اليها ادعى الاجتهاد النسبى لا الاستقلال كما صرح به السيوطى نفسه فى بعض تآليفه ومع ذالك انكروه عليه ولم يسلموه له مع أن تاليفه نافت على خمسمائة مؤلف وقد ادعى الاجتهاد جماعة من الائمة غير السيوطى كالسبكى والبلقينى وابن دقيق العيد وغيرهم لكن قال الشيخ ابن حجر التحقيق أنهم انما ثبت لهم نوع اجتهاد لا الاستقلال فدعوى الاجتهاد لمن لم يقرب منهم باطلة* واذا اطرح مولفات أهل الشرع فبماذا يتمسك ذالك الرجل فانه لم يدرك النبى ﷺ ولا أحدا من أصحابه فان كان عنده شئ من العلم فهو من مؤلفات أهل الشرع* وحيث كانت على ضلال فعمن أخذ



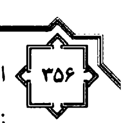
فليبين لنا فان كتب الائمة الاربعة ومقلديهم جلّ مأخذها من الكتاب والسنة فكيف أخذ هو ما يخالفها وهو كما علمت لم يبلغ رتبة الاجتهاد وحكم من لم يبلغها اذا رأى حديثا صحيحا ولم تسمح نفسه بمخالفته أن يفتش من أخذ به من المجتهدين فيقلده فيه كما نبه عليه النووى فى الروضة والا فلا يجوز الاستنباط من الكتاب والسنة الا لمن بلغ رتبة الاجتهاد المستقل فيجب على هذا الرجل الرجوع الى الحق ورفض الدعاوى الباطلة* وأما تكفيره للمسلمين فقد صح أنه ﷺ قال اذا قال الرجل لاخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما فاذا كان الذى رماه به مسلم فيكون هو كافر وفى الشرح الكبير للرافعى نقلا عن التتمة اذا قال لمسلم يا كافر بلا تأويل كفر لانه سمى الاسلام كفرا وتبعه على ذالك النووى فى الروضة واعتمد ذالك المتأخرون كابن الرفعة والقمولى والنسائى والاسنوى والاذرعى وأبى زرعة بل قضية كلام الاستاذ أبى اسحق الاسفراينى والحليمى والشيخ نصر المقدسى والغزالى وابن دقيق العيد وغيرهم أنه لا فرق بين أن يؤول أولا* وقول السائل يستحل دمه وماله صح أنه ﷺ قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الاّ الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذالك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله تعالى فكيف ساغ لهذا الرجل استحلال ما لم يحل له ﷺ هذا الحديث هو مفاد قوله تعالى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وفى أية أخرى فاخوانكم فى الدين وقال ﷺ نحن نحكم بالظواهر والله يتولى السرائر وقال ما أمرت أن أشق على قلوب الناس ولا سرائرهم وقال لاسامة حين قتل من قال لا اله الاّ الله هلا شققت عن قلبه ولا يجوز للمجتهد المستقل أن يحمل الناس على مذهبه نعم إن كان قاضيا ورفعت اليه قضية فانه انما يحكم فيها بما يظهر له من الادلة* والنذر للاولياء فيه تفصيل عند



أئمتنا الشافعية قال فى الهبة من التحفة لو نذر لولى ميت بمال فان قصد أنه يملكه لغاو ان أطلق فان كان على قبره ما يحتاج للصرف فى مصالحه صرف لها والا فان كان عنده قوم عتيد قصدهم بالنظر للولى صرف لهم انتهى وفى النذر من التحفة يصح نذر التصدق على ميت أو قبره ان لم يرد تمليكه واطرد العرف بأن ما يحصل له يقسم على نحو فقراء هناك فان لم يكن عرف بطل الى آخر ما أطال به وفى كتاب ترغيب المشتاق فى احكام مسائل الطلاق للشيخ العلامة عبد المعطى الشبلى السملاوى ما نصه* سئل الرملى فيمن نذر ان سلم زرعه من الحر والعاهة للولى الى أن قال بعد ذكر السؤال (فأجاب) ان انتفع بذالك حى أو ميت وكان الصرف له من مصالح الولى صح نذره وصرفه فى مصالحه ولا يتقيد ذالك بورثته وأقاربه والا لم يصح (و سئل أيضا) عن محل معتقد فيه جماعة قاطنون به ينذر له الناس بزيت وشمع ودراهم وغير ذالك ويتصدقون على من به كذالك لكن يدفع ذالك دافعه وهو ساكت فينبههم الامر ولا تعلم نيته فهل والحالة هذه يجوز لاحدهم الاختصاص به أو لا لان الظاهر عدمه وهل نذر المشايخ والاضرحة والمحال المعتقدة بقصد التعظيم باطل وفى شخص نذر ان شفى الله مريضه أتى للولى الفلانى بشاة والحال أن ذالك الشيخ فى تربة لا يوجد فيها الا الخادم (فى القواعد أن العادة محكمة) والا قسم بين الموجودين بالسوية ونذر المشايخ والاضرحة والامكنة المذكورة بشئ صحيح منعقد ان عادت منفعته على الاحياء والا فلا وتعتبر مصالح الموضع أولا* وأما الثانية فان أنتفع به أحد صح نذره والا فلا اهـ. ومن المعلوم أن الناذرين للمشايخ والاولياء بشئ لا يقصدون تمليكهم بعلمهم بوفاتهم وانما يتصدقون به عنهم أو يعطونه لخدامهم وحينئذ فهى قربة لان النذر لا ينعقد عند الشافعية فى المباحات ولا فى المكروهات والمحرمات وانما ينعقد فى القرب والمسنونات التى ليست



بواجبة شرعا* وأما التمسح بالقبور وبترابها واختلف أئمتنا فى ذالك فمنهم من أباح ذالك بل استحبه ومنهم من منع منه والمانع منه قائل بكراهته لا بحرمته فضلا عن القول بكفره قال الامام النووى فى كتابه ايضاح المناسك الكبير ويكره الصاق الظهر والبطن بجدار القبر قاله الحليمى وغيره قال ويكره مسحه باليد وتقبيله بل الادب أن يبعد عنه الى آخر ما قاله وفى حاشية الايضاح للشيخ ابن حجر ما نصه اعترض النووى العز بن جماعة وغيره فى تقبيل القبر ومسه بقول أحمد لا بأس به وقول المحب الطبرى وابن أبى الصيف يجوز تقبيل القبر ومسه وعليه عمل العلماء الصالحين وقول السبكى ان عدم التمسح بالقبر ليس مما قام الاجماع عليه ثم ذكر حديث اقبال مروان فاذا برجل ملتزم القبر الحديث وفيه وذالك الرجل أبو أيوب الانصارى رضي الله عنه وهذا الحديث أخرجه أحمد والطبرانى والنسائى بسند فيه كثير بن زيد وثقه جماعة وضعفه النسائى وقد يجاب بأن قول أحمد لا بأس به يحتمل نفى الحرمة ونفى الكراهة وان كان أظهر وقول المحب الطبرى وغيره وعليه عمل العلماء الصالحين يحتمل رجوع الضمير فيه الى الجواز المأخوذ من يجوز والى نفس التقبيل والمس والاول أقرب ويؤيده تعبيره بيجوز دون يستحب اذ لو كان مراده الاستحباب لعبر به ثم استدل بعمل العلماء فلما عدل عنه الى الجواز كان ظاهرا فيما ذكرناه وشمول الجواز للاستحباب والوجوب اصطلاح للاصوليين لا الفقهاء الى أن قال ابن حجر ويؤيد ما ذكرته فى مغنى الحنابلة من أنه لا يستحب التمسح بحائط القبر ولا تقبيله وقال أحمد ما أعرف هذا فتعارضت الروايتان عن أحمد الى أن قال فى حاشية الايضاح وعلم مما تقرر كراهة مس مشاهد الاولياء وتقبيلها نعم ان غلبه أدب أو حال فلا كراهة الى آخر ما أطال به فى حاشية الايضاح وذكره أيضا ناقلا له عن الحاشية فى الجوهر المنظم وكذالك الجمال الرملى فى شرح

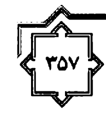


ايضاح المناسك الكبير وقال عقبه اعلم أن عبارة المصنف تفيد ان علة الكراهة نفى الادب فيعلم منه أنه لو قصد به التبرك فلا بأس به فقد نص الشافعى على أن أى جزء قبله من البيت فحسن ويكره الانحناء للقبر الشريف وتقبيل الاعتاب ما لم يقصد به التبرك والتعظيم انتهى كلام الجمال الرملى بحروفه وفى الجنائز من حواشى الحلبى على شرح المنهج لشيخ الاسلام زكريا ما نصه أفتى والد شيخنا بعدم كراهة تقبيل نحو قبور الصالحين بقصد التبرك كاعتاب محلهم انتهى وفى كتاب حسن التوسل للفاكهى ما نصه تمريغ الوجه والخد واللحية بتراب الحضرة الشريفة واعتابها فى زمن الخلوة المأمون فيها توهم عامى محذورا شرعيا بسببه أمر محبوب حسن لطلابه وأمر لا بأس به فيما يظهر لكن لمن كان له فى ذالك قصد صالح وحمله عليه فرص الشوق والحب الطافح الى أن قال علي انى أتحفك هنا بأمر يلوح لك منه المعنى بأن الشيخ الامام السبكى وضع حر وجهه على بساط دار الحديث التى مسها قدم النووى لينال بركة قدمه كما أشار الى ذالك بقوله

وفي دار الحديث لطيف معنى … الى بسط لها أصبو وآوى

لعلى ان أنال بحر وجهى … مكانا مسه قدم النواوى

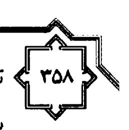
و كان شيخنا تاج العارفين أبو الحسن البكرى امام السنة خاتمة المجتهدين يمرغ وجهه ولحيته على عتبة البيت الحرام وحجر اسمعيل ونحو ذالك الى آخر ما قاله وفى الجوهر المنظم للشيخ ابن حجر ما نصه جاء بسند جيد أن بلالا رضي الله عنه لما زار النبى ﷺ من الشام جعل يبكى ويمرغ وجهه على القبر الشريف وجاء عن فاطمة رضي الله عنها أنه ﷺ لما قبر أخذت قبضة من تراب قبره فجعلته على عينها وبكت وأنشدت تقول:



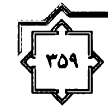
ما ذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت عليّ مصائب لو أنها صبت على الايام عدن لياليا

الى آخر ما قاله والتوسل بالانبياء والصلحاء أمر محبوب ثابت فى الاحاديث الصحيحة وغيرها وقد أطبقوا على طلبه واستدلوا له بأمور يطول شرحها وقد ذكرت جملة منها فى غير هذا الموضع فلا حاجة الى اعادته هنا بل ثبت فى الاحاديث الصحيحة التوسل بالاعمال الصالحة وهى أعراض فبالذوات من باب أولى* ومن حديث الحاكم من حلف بغير الله فقد كفر وفى رواية فقد أشرك وحيث لم يقصد تعظيمه كذالك لا يكفر بذالك وهل يأثم بذالك أو لا اختلفوا فيه فقيل نعم ونقل عن أكثر العلماء لكن الذى نقله النووى فى شرح مسلم عن أكثر العلماء الكراهة قال الشيخ ابن حجر فى التحفة وهو المعتمد وان كان الدليل ظاهرا فى الاثم الى آخر ما قاله* وجعل الوسائط بين العبد وبين الله ان صار يدعوهم كما يدعى الاله فى الامور أو يعتقد تأثيرهم فى شئ دون الله فهو كفر وان كان المراد من جعلهم وسائط أنه يتوسل به الى الله فى قضاء مهماته مع اعتقاد أن الله هو النافع الضار المؤثر فى الامور دون غيره فالذى يظهر عدم كفره وان كان هذا اللفظ يتبادر منه الكفر ومن ثم أطلق صاحب الفروع من الحنابلة القول بكفره قال قالوا اجماعا ونقله عنه الشيخ ابن حجر فى كتاب الاعلام بقواطع الاسلام قال العلامة مفتى الحرمين الشريفين الشيخ عبد الوهاب المصرى المراد من هذه العبارة أنه يجعل بينه وبين الله وسائط على انهم آلهة دون الله تعالى يتوكل عليهم يعنى يفوض أمره اليهم ويجعل معتمده عليهم ويدعوهم وخاصة يعتقد ذالك انتهى قال الامام الحنبلى محمد بن عفالق فى تهكم المقلدين ومن العجب أنه يستدل يعنى محمد بن عبد الوهاب بقوله فى الاقناع ومن جعل بينه وبين الله وسائط الخ المسئلة والاقناع نقله عن الشيخ ابن



تيمية وفى خطبة الاقناع وربما عزوت قولا لقائله خروجا من تبعته فكيف يستدل بكلام عزاه فى الاقناع الى الشيخ وقدم فى الخطبة ان العز وللخروج من تبعته فقد تبرأ من تبعته لعزوه الى الشيخ لانها من المسائل التى انفرد بها ابن تيمية وامتحن لاجلها وحبس وقامت عليه القيامة من علماء عصره ومن بعدهم الى أن قال فانظر كيف ترك المجمع عليه عند الاربعة واتباعهم واستدل بما هو معزوّ لمن شذ به وانفرد ولم يعرف لاصطلاح صاحب الاقناع وقول السائل تجتمع فيه مادتان الخ هذه العبارة غير مألوفة فى كلام أئمتنا وبالجملة فمن استجمع شروط الاسلام ووجد منه مكفراً واحداً حكم بكفره وخروجه عن الاسلام. نعم أطلق الشارع الكفر فى بعض المواضع وقيده الائمة أو حملوه على كفر النعمة لا على حقيقة الكفر كحديث الصحيحين القدسى أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذالك مؤمن بى كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا أى ولم يقل بل بالنجم الفلانى فذالك كافر بى مؤمن بالكوكب قال العلماء من قال ذالك مريدا أن النوء هو المحدث والموجد فهو كافر او أنه علامة على نزول المطر ومنزله هو الله وحده لا يكفر ويكره له ذالك القول لانه من ألفاظ الكفرة وغير ذالك من الاحاديث التى بنحو هذا* ولم يحضرنى الآن حديث فيه موضع الطائفة المذكورة وأظن انى رأيت فى كلام بعضهم أنهم بالشام والمراد بيوم القيامة فى الحديث قيامتهم وذالك بموتهم اذ بقاؤهم انما هو الى أن يبعث الله بعد موت عيسى عليه الصلاة والسلام ريحا طيبة فتدخل تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم وما يبقى الا شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيأمرهم بعبادة الاوثان وأخرج أبو داود والحاكم عن عمران بن حصين رفعه لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون ظاهرين



على من ناواهم حتى يقاتل آخرهم الدجال وأخرج الحاكم من رواية بعد الرحمن بن شماسة أن عبدالله بن عمرو قال لا تقوم الساعة الا على شرار الخلق هم شر من أهل الجاهلية فقال عقبة بن عامر عبد الله اعلم ما تقول وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول لا تزال عصابة من أمتى يقاتلون على أمر الله ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذالك فقال عبد الله أجل ويبعث الله ريحا ريحها ريح المسك ومسها مس الحرير فلا تترك أحدا فى قلبه مثقال حبة من ايمان الا قبضته ثم تبقى شرار الناس فعليهم تقوم الساعة انتهى ولا يلزم من خفاء تلك الطائفة على بعض الناس مخالفة الحديث اذ ما كل ظاهر يعلمه كل أحد نعم من كان متمسكا بالوصف الذى وصفهم به النبى ﷺ يستدل به على أنهم هم المرادون بالحديث* ومن أثبت الشرك والكفر فيما ذكره السائل وجعلها دار حرب فهو أقبح ما يكون بل يخشى عليه الكفر كما قدمنا ما يفيد ذالك فى هذه الاجوبة فيمن كفر مسلما واذا أجمع المسلمون على حكم يكون حجة قال تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا فعليك بالجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية ومن شذ فهو فى النار* وما ورد فى الكتاب والسنة مطلقا من الادعية والاذكار وغيرهما يحمل على اطلاقه الا ما قيده الائمة فيتقيد اذ من المعلوم أن الصلاة على النبى ﷺ لا تطلب فى نحو قيام الصلاة وركوعها وسجودها وقس على ذالك (و هذا اخر ما أردت ايراده فى هذه الاجوبة) ونسأل الله أن يلهمنا الصواب فيها وفى غيرها قاله وكتبه الفقير محمد بن سليمان الشافعى عفى الله عنه وعمن دعا له بالغفران آمين آمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وبانتهائه انتهى كتاب مصباح الانام* وجلاء الظلام* فى رد شبه البدعى الشيخ النجدى التى أضل بها العوام



والطغام ﴿سُبْحَانَ رَبك رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

و لما كنا فى طريق المدينة راجعين الى جده مرادنا وطننا تريم ولم يتمكن لنا الجلوس الى الرجبية لزيارة النبى ﷺ ووقفة سيدنا حمزة وهى لدخول اثنى عشر فى رجب وقد جاء تاريخ الزيارة قولك (جاءت بخير) وقولك (رزق وخير اسبل) وهى الرابعة من الزيارات للنبى ﷺ لنا فقلت هذه الابيات شوقا اليهم فنقدم البسملة العظمة فنقول

(بسم الله الرّحمن الرّحيم) الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه والتابعين قال الراجى عفو الله الجواد السيد علوى ابن الجليل العالم العلامة البحر الفهامة العارف بالله الحبيب أحمد بن القطب الحبيب الحسن ابن الحبيب القطب الغوث عبد الله الحداد نفع الله به قالها وهو بالوقر مع مرجعه من المدينة الشريفة سلخ جهاد آخر سنة ١٢١٦

هوى اى بسكان النقا ما له حد ... وشوقى لهم يزداد ينمو ويمتد

و حالى ضنا والوجد زاد ضرامه ... ولا حصر يحصيه ولا عد يعتد

اذا ما ذكرت السلع والمنحنى فقد ... تزافرت الانفاس لا زال تشتد

و أين النظر للرقمتين وحاجر ... وخمس منارات بها ذالك الاسد

و أين أشاهد الكثيب وما به ... وكل المشاهد لى لها دائما نعدوا

و أين البقيع اليوم مع كل أهله ... ولا له فى الدنيا شبيه ولا ند

فأين أحد منى وأين عريضه ... وأين العتيق اليوم والغور والنجد

و أين قبا منى مع بير رومة ... مع القبلتين اليوم قد حازها بعد

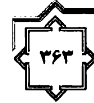
---

١. الصافّات: ١٨٢ ـ ١٨٠.



و أين مسيرى فيك بطحان قد بعد ... وأين العوالى والبساتين لى تبدو
و أين المدرج عنبريه ورامة ... ومسجدهم فيه القباب لها نغدوا
و أين المناخة والمصلى وسورهم ... وأين قضاعة والمحبون لى عدوا
وأين دخولي باب مصرى لسوحهم ... يسير بذاك الدرب والدمع يمتد
يزيد من الاشواق حتى بدا له ... بباب السلام السول طاب له ورد
الى روضة المختار ثم لقبره ... سلام سلام ليس يحصى له عد
و ألف صلاة ثم ألف تحية ... على المصطفى المختار ربي لك الحمد
على ما وصلت العبد عند حبيبه ... عسى توصله فى حضرة العند يا فرد
و خصصتنا لما سعدنا بزورة ... له وأبى بكر مع عمر بعد
فيها وقفة عند النبى وصحبه ... سعدنا بها لما دعينا له وفد
ضيوف ووفاد وانا قرابة ... وابن مع جد له يد تمتد
بفاطمة الزهراء وقفنا ببابها ... وهى أمنا والفخر من عندها يبدو
كذا بعلى كرم الله وجهه ... مع الحسين نسبة عقدها عقد
مباهلة تنبى عن عظم فضلهم ... وأهل الكسا ذخرى اذ الحال يشتد
فانى بابراهيم ابن نبيه ... توسلت للمختار أن يحصل القصد
فيا خالنا يا ابن النبى وصفوته ... ذمامك هذا العبد ابذل له جهد
رقية وزينب وأم كلثوم خالتى ... وقاسم وعبد الله الخال لى عضد
و دنى عنيت بالنبى ونسله ... محمد وأولاده عمادى هم العمد
كذالك حمزة سيد الناس عمدتى ... وعباس مع ابنه سقانى له اليد
كذا جعفر الطيار والبحر ابنه ... ومن عنده سفياننا صادق الوعد
و فى قرب حمرا زرت صنوه حبيبنا ... فزرناك توديعا مع ذالك الورد

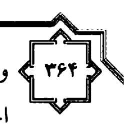
و آل عقيــــل ســــادة وقرابــــة ... بهـم يـا الهـى ارحـم الفـرد يـا فـرد
كـذاك صـفية عظـم الله قـدرها ... وزرنـا لهـا والاخـت عاتكـة بعـد
و أم علـى فاطمـة نـسل هاشـم ... فلـما لهـا زرنـا شـهدنا لهـا شـهد
و عائــشة والمؤمنــات جمــيعهم ... هم أزواج خير الرسل زرنا لهم سعد
و عثمان ذا النورين مع كل من حوى ... بقيـع النـدى كـلا الهـى لـك الحمـد
خصوصا عليا والـذى يـدعى بـاقرا ... وصـادقهم فـى قبـة البيـت يعتـد
و ابـن لهـم ذاك العريـضى أتيتـه ... مـضينا بـزورات طـاب لـى قـصد
و زرنـا لاسـماعيل صـنو علينـا ... وطـاب لنـا قـصد اوطـاب لنـا ورد
و أهل أحـد يـوم الخمـيس قـصدتهم ... وفى السبت يا نعم قبـاكم لـه نغـدوا
و فـى طيبـة زرنـا أبـا سـيد الـورى ... حبيـبى عبـد الله ذخـرى اذا عـد
فجـد لنـا الـصديق قـد قـال صـادق ... وصـهر لنـا النـوران والعمـر الفـرد
و لا تـنس أم المـؤمنين خديجـة ... بمكـة زرنـا جـدة وكـذا جـد
بطيبـة زرنـاه وهـى بـه سـمت ... ويسمو به الاولاد والصحب والعبد
الـى بهـم يـا ذا الجـلال تخـصنا ... بـسر عظـيم نـوره عـم يمتـد
و تمـم بـسؤلى يـا كـريم واخـوة ... وأولادنـا كـلا وأحبابنـا بعـد
و تجمعنـا فـى عافيـة وتقيمنـا ... بحـاوى تـريم حوطـة قـد لهـا حـد
مع الخير والالطـاف والعلـم والتقـى ... ونشر طريـق الحـد والعلـم والرشـد
و اقـبض عنـانى أن بقلبـى جمـرة ... من البعد عن طيبـة فـان بعـدها صـد
و اغـبط مـن يـأتى اليهـا يـزورهم ... واحـسدهم لمـا لهـا كلهـم شـدوا
ودنـى فارقـت الحـما لا بطوعنـا ... فـؤادى مقـيما بـالحما دائـما يحـدو
و ذكـرهم لا زال نـصب عيوننـا ... وأرواحنـا تجمـع وينتفـى البعـد



و ان بعــــدت أجـــسامنا وبلادنـــا فانــا بحــضرتهم أنــا ذالــك العبــد
فعيــد يــدمن طيبــة وبــاشر مثلــه والــشبل كالآســاد فــافهم لمــا نبــدوا
فنــور أصــول عــم انبــا وغــيرهم تــريم فمــن طيبــة تعــد اذا عــدوا
عــسى الله يجمعنــا بهــم فــى جنانــه وكل أصولى والفــروع ومــن ولــدوا
و أحبابنـــا والمـــسلمين جمـــيعهم بفضلك يا من لــيس فــضلك لــه نــد
و نختــم بالحــسنى مــع اللطــف ربنــا برنبـــل وبـــشار يطيـــب لنـــا لحـــد
و تمــت وصــلى الله وازكــى ســلامه يعمهـــم والآل والـــصحب والوفـــد
و قـــد انتهـــت والحمـــد الله دائـــما وانـــى مـــشتاق فهــل رجعـــة بعـــد
عـــسى رجعـــة للمـــستهام وعـــودة علـى خـيره فـى خـير عظـيم ويمتـد
و حــدثتنى يــا ســعد عــنهم فزدتنــى شجونا فزدنى من حــديثك يــا ســعد
و ان كثــرت أبياتهـــا مـــع ركاكـــة فمــستمح المحبــوب قــد ســبق الــود

تمت وبانتهائها تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه والحمد لله علـى ذالـك وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خير خلقه وعلى اله وأصحابه والتابعين آمين اللهم اغفر لمؤلفه وكاتبه ولقارئه ولمستكتبه ولمن نظر فيه آمين

و هاك تقريظه لعلامة اليمن* وفريد الـزمن* الاسـتاذ الفاضـل الـشهير* والجهبذ القدوة الكبير وتاج رؤس أقرانه* وانسان عين زمانه* شيخ طائفة أهل اليمن بالازهر الشريف* والمعبد الانور المنيف* لا زال مؤيدا منصورا* وبطـلا به آهلا معمورا* حضرة الشيخ محسن بن ناصر بن صالح أبـى حربـة اليمنـى* قال حفظه الله (الحمد لله الذى) أظهر الحـق رغـما عـن أنـوف الملحـدين وأبـاد الشرك واخفاه بسيد الاولين والآخرين والصلاة والسلام على من أخبر بتظاهر الامة الطاغية الباغية الخاسرة الفاجرة المعاندة التى ليس لها اذن واعيه وعلى آلـه



وأصحابه السيوف الماضية فيمن يخالف هذا الدين الذين نصبوا أنفسهم لاقامة الحجج والبراهين

(أما بعد) فان البلاء قد عم وطم وقد ملئت القلوب بالاحقاد والورم وذالك من الاعتراضات على هذا الدين الشريف المعتدل الحق الحنيف وذالك من أمة لا تعرف من الدين الا اسمه ولا تدرك منه الا رسمه فمنهم من لا يعرف الصلاة والصيام ولا يعرف الفرق بين الانسان والانعام ان عاشوا عاشوا على محاربة الدين وان ماتوا ماتوا فى زمرة المنافقين وهذه الطائفة تنمو فى الديار المصرية خصوصا من بعد ما كثرت الاسفار الى البلاد الاورباوية اذا وجدوا حكما شرعيا فى كتاب عالم من علماء الاسلام رفضوه وعابوه وقالوا من أين أتى بهذا الكلام واذا وجدوا أمرا فى كتاب من كتب لوندره أو باريس قالوا لله درّه ما أعظمه وأتقنه من تأسيس فنسبوا الى أهل الاسلام الخيانة والى أهل الكفر الامانة ومنهم من يسب الاولياء والصالحين بعبارات يأباها هذا الدين فلا يردهم زجر زاجر ولا يردعهم سحر ساحر الا ان تنزل عليهم من السماء صواعق محرقة أو تبلعهم فى الارض بحور مغرقة هذا وقد ظهر خليفة مسيلمة الكذاب المسمى فى بلاد نجد بعبد الوهاب وقد تباهى بكثرة عشيرته فبئست العشيرة عشيرته فالكثره محققة فى أولاد الشيطان كما يشهد ذالك جميع الانس والجان فقد أكثر من الخرافات النجدية والافتراء على رسول الله ونبيه ويرشح نفسه لدعوى النبوة لما يظنه فى نفسه من الكمال والفتوة وقد حاربته سيوف يمنية وحضرمية وأظهرت من باطنه من بلية ورزية وقام فى وجهه العلماء الاعلام القائمون بدين الله ببلد الله الحرام فمن أعمالهم المرضية وآرائهم السليمة الاسلامية ان أرسلوا الى هذين الكتابين اللذين يفرح بهما كل مسلم وتقر بهما العين لاجل مباشرة طبعهما باحدى المطابع المصرية (و قد اخترت لهما المطبعة



الباهية الشرقية لمدير ادارتها الافندى حسين شرف ذى السجايا المرضية لكل من بمعاملته انصف)* أحدهما يسمى بمصباح الانام وجلاء الظلام فى رد شبه البدعى النجدى التى أضل بها العوام تأليف علامة زمانه بحر وقته وأوانه نخل حفيد غوث البلاد والعباد الحبيب علوى بن أحمد بن حسن ابن الحبيب عبد الله بن علوى الحداد باعلوى فوالله لقد أتى فى هذا الكتاب بالبراهين الساطعة والسيوف القاطعة التى تستأصل من البدعى النجدى اللسان وتهوى به من أعلا نجده فى كل هون وهوان* وثانيهما هو الموضوع بهامش هذا الكتاب فبحره يروى كل صديان مرتاب وهى فى أدلة جواز التوسل والزيارة لصاحب البشاره والنذارة سيدنا محمد رسول الامة الكاشف لما نزل بنا من الغمة تأليف شيخ الاسلام ومفتى الانام من تآليفه واضحة الحجة والبرهان سيدنا ومولانا السيد أحمد بن زينى دحلان أنزل الله عليهما صبيب الرضوان والرحمة وجزاهما خيرا عن جميع هذا الامة

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أبلغها آلاف آمينا*

قاله بلسانه ورقمه ببنانه الفقير الى ربه

محسن بن ناصر بن صالح أبى

حربه بالازهر الشريف

عفى الله عنه



المصادر

إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (م ٥٠٥)، دار المعرفة، بيروت.

الأذكار: يحيى بن شرف النووي(م ٦٧٦)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ.

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: احمد بن محمّد القسطلاني (م ٩٢٣)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣هـ.

الاستذكار: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله(م ٤٦٣)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (السيرة الحلبية): الحلبي، علي بن ابراهيم (م ١٠٤٤)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ.

البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير: أبو حفص عمر بن علي بن الملقن (م ٨٠٤)، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ.

التاريخ الكبير: محمّد بن اسماعيل البخاري(م ٢٥٦)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، بلاتاريخ.

تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن حسن بن عساكر، (م ٥٧١)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.

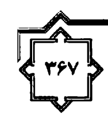
الحصن الحصين من كلام سيّد المرسلين: محمّد بن محمّد الجزري، المكتبة العصريّة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.

خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى: علي بن عبد الله السمهودي (م ٩١١)، تحقيق: د/ محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكيني.

الدرة الثمينة في أخبار المدينة: ابن النجار، محمّد بن محمود (م ٦٤٣)، تحقيق: حسين محمد علي شكري، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.

دلائل النبوة: أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي (م ٤٥٨)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

الروض الداني (المعجم الصغير): سليمان بن أحمد الطبراني(م ٣٦٠)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمار، عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.



سنن ابن ماجه: محمّد بن يزيد ابن ماجه القزويني، (م ٢٧٣)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بلا تاريخ.

سنن أبي داود: أبوداود سليمان بن اشعث السجستاني(م ٢٧٥)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، بلا تاريخ.

سنن الترمذي: الترمذي، محمّد بن عيسي (م ٢٧٩)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

سنن الدارقطني: الدارقطني، علي بن عمر(م ٣٨٥)، تحقيق: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

سنن الدارمي: الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن (م ٢٥٥)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

السنن الكبرى: أحمد بن حسين البيهقي(م ٤٥٨)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ.

شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي(م ٧٩٢)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ.

شرف المصطفى: عبد الملك بن محمّد الخركوشي(م ٤٠٧)، دار البشائر الإسلامية، مكة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

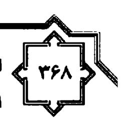
شعب الإيمان: البيهقي، أحمد بن الحسين(م ٤٥٨)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية، بومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى: أبو الفضل عياض بن موسى (م ٥٤٤)، دار الفيحاء، عمان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ.

شفاء السقام في زيارة خير الأنام ﷺ: علي بن عبد الكافي السبكي (م ٧٥٦)، تحقيق: سيّد محمّد رضا حسيني جلالي، الطبعة: الرابعة، ١٤١٩هـ.

الصارم المنكي في الردّ على السبكي: محمّد بن أحمد بن عبد الهادي(م ٧٤٤)، تحقيق: عقيل بن محمد المقطري اليماني، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

صحيح البخاري: البخاري، محمّد بن إسماعيل (م ٢٥٦)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.



الضعفاء الكبير: محمّد بن عمرو العقيلي (م ٣٢٢)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

الطبقات الكبرى: محمّد بن سعد البغدادي(م٢٣٠)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م.

فتوح الشام: الواقدي، محمد بن عمر (م ٢٠٧)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

الفردوس بمأثور الخطاب: أَبُو شُجَاع شيرويه بن شهردار الديلمي (٥٠٩)، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

الكامل في ضعفاء الرجال:، أحمد بن عدي الجرجاني(م ٣٦٥)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

كتاب الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين أو الأربعين الطائية: محمّد بن محمّد الهمذاني(م ٥٥٥)، تحقيق: عبد الستار أبوغدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.

كشف الأستار عن زوائد البزّار: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (م ٨٠٧)،، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ.

كشف الخفاء ومزيل الإلباس: العجلوني، إسماعيل بن محمد (م ١١٦٢)، المكتبة العصرية، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد هنداوي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علي بن حسام المتقي الهندي، (م ٩٧٥)، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١هـ.

مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي(م ٥٩٧)، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الراية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: محمّد بن مكرم بن منظور، (م ٧١١)، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ.

المستدرك على الصحيحين: النيسابوري، محمّد بن عبدالله(م ٤٠٥)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دارالكتب العلمية، الطبعة: الأولى، بيروت، ١٤١١هـ.

مسند أبي يعلى: أبو يعلي، أحمد بن علي (م ٣٠٧)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

مسند أحمد بن حنبل: ابن حنبل الشيباني، أحمد بن محمّد(م ٢٤١)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.



مسند إسحاق بن راهويه: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم المعروف بـ ابن راهويه (م ٢٣٨)، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

مسند البزار: أبوبكر أحمد بن عمرو البزار (م ٢٩٢)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٨م.

مشكاة المصابيح: محمّد بن عبد الله التبريزي(م ٧٤١)، تحقيق: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م.

المصنّف في الأحاديث والآثار: عبدالله بن محمّد ابن أبي شيبه(م ٢٣٥)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الطبعة: الأولى، الرياض، ١٤٠٩هـ.

المعجم الأوسط: الطبراني، سليمان بن أحمد(م ٣٦٠)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمّد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، بلا تاريخ.

المعجم الكبير: الطبراني، سليمان بن أحمد(م ٣٦٠)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية، بلا تاريخ.

المغني: عبد الله بن أحمد بن قدامة (م ٦٢٠)، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ.

المواهب اللدنيّة بالمنح المحمديّة: احمد بن محمّد القسطلاني(م ٩٢٣)، المكتبة التوفيقية، القاهرة، بلا تاريخ.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال: محمّد بن احمد الذهبي(م ٧٤٦)، تحقيق: بجاوي علي محمّد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولي، ١٣٨٢هـ.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى: السمهودي، علي بن عبد الله(م ٩١١)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.



الزيارة النبوية
بين
البدعية و الشرعية

تأليف

سماحة العلامة السيد

محمد بن علوي بن عباس المالكي الحسني

خادم العلم بالحرمين الشريفين

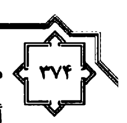


محمد بن علوي المالكي

نسبه و دراسته

هو السيد محمّد حسن بن علوي بن عباس بن عبد العزيز المالكي الحسني الإدريسي. وُلد في مكّة المكرمة لأسرة مشهورة بالعلم و كان أبوه و جدّه عالميْن و مُحدّثيْن بل و كان العديد من أبناء أسرته يعشقون العلم و يمارسونه، و روى محمّد الكثير من كتب الحديث عن والده و جدّه. نشأ محمّد بن علوي في مكّة المكرمة و ترعرع فيها و كان لا يُفوّت حلقات الدّرس النى كانت تُقام في المسجد الحرام أو في مدرسة (الفلاح) و (مدرسة تحفيظ القرآن الكريم) فأخذ منها دروسه. و قد سافر محمّد بن علوي إلى كل من مصر و المغرب و الهند و باكستان و زار بعض المدن كذالك في بلاد الشام طلباً للعلم و المعرفة، و خلال رحلته هذه تعرّف على الكثير من الشخصيّات و تشرّف بزيارة العديد من الأماكن المقدّسة و الأضرحة الشريفة التي كانت موجودة في تلك الديار.

وقبل أن يبلغ سنّ الرّشد نزل عند طلب والده السيد علوي المالكيّ و بدأ يُدرّس كل الدروس التي أخذها عنه و ألمّ بالأسانيد عن المحدّثين و الفقهاء في البلدان الإسلامية الذين فاق عددهم المائتيْ شيخ، بينما تعلّم القراءات السّبع عند شيخ القرّاء في مدينة حمص آنذاك و هو الشيخ عبد العزيز السود و حصل



منه على الإجازة في تلك القراءات. ثمّ انتُخِبَ محمّد بن علوي و بشكل رسميّ أستاذاً و مدرّساً في كليّة الشريعة في مكّة المكرمة و ذالك عام (١٣٩٠هـ)، و بعد مرور ثلاث سنوات على وفاة أبيه اجتمع العلماء في داره و أوكلوا إليه التدريس في المسجد الحرام مكان والده.

وفي تلك الأيام بدأ محمّد بن علوي بإلقاء بعض البحوث الدينية في مؤسسة الإذاعة و التلفزيون في المملكة العربية السعودية و التي تناول قسم منها موضوع السيرة النبويّة، لكنه ما برح بعد مرور وقت قصير أن ترك الكليّة و اشتغل بالتأليف و التبليغ و شارك في العديد من المؤتمرات العالمية طارحاً فيها مختلف البحوث في مختلف المواضيع.

مؤلفات محمّد بن علوي المالكي

ومن الآثار و الكتب التي ألّفها محمّد بن علوي و التي ما زالت باقية إلى يومنا هذا ما يلي:

١. دراسات حول الموطأ؛
٢. فضل الموطأ و عناية الأمة الإسلامية به؛
٣. دراسة مقارنة عن روايات موطأ الإمام مالك؛
٤. شبهات حول الموطأ و ردّها؛
٥. إمام دار الهجرة مالك بن أنس؛
٦. أسماء الرجال؛
٧. التصوّف؛
٨. علم الأسانيد؛
٩. الإثبات؛



١٠. القواعد الأساسية في علم مصطلح الحديث؛

١١. القواعد الأساسية في علوم القرآن؛

١٢. القواعد الأساسية في أصول الفقه؛

١٣. زبدة الإتقان في علوم القرآن؛

١٤. العقود اللؤلؤية في الأسانيد العلوية؛

١٥. إتحاف ذوي الهمم العليّة برفع أسانيد والدي السنيّة؛

١٦. الطالع السعيد المنتخب من المسلسلات و الأسانيد؛

١٧. في رحاب البيت الحرام؛

١٨. الإنسان الكامل؛

١٩. تاريخ الحوادث النبوية؛

٢٠. مفاهيم يجب أن تُصَحَّح؛

٢١. الزيارة النبوية؛

٢٢. التحذير من المجازفة بالتكفير؛

٢٣. هو الله؛

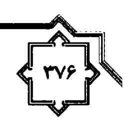
٢٤. منهج السلف في فهم النصوص.

وكتب أخرى غير تلك ربّما وصل عددها المئة كتاب و منها ما طُبِعَ و منها ما بقي مخطوطاً.

مشايخه و أساتذته

نقل محمّد بن علوي عن العديد من المشايخ الروايات بالأسانيد المختلفة، و من هؤلاء المشايخ ما يلي:

١. السيد علوي بن عباس المالكي الحسني (المتوفّى سنة ١٣٩١هـ)؛



٢. الشيخ محمّد يحيي بن الشيخ أمان (المتوفّى سنة ١٣٨٧هـ)؛

٣. الشيخ محمّد العربي التباني (المتوفّى سنة ١٣٩٠هـ)؛

٤. الشيخ حسن بن سعيد اليماني (المتوفّى سنة ١٣٩١هـ)؛

٥. الشيخ محمّد الحافظ التيجاني، أستاد الحديث في مصر (المتوفّى سنة ١٣٩٨هـ)؛

٦. الشيخ حسن بن محمّد المشاط (المتوفّى سنة ١٣٩٩هـ)؛

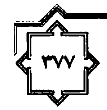
٧. الشيخ محمّد نور سيف بن هلال المكي (المتوفّى سنة ١٣٠٣هـ)؛

٨. الشيخ الفقيه حسنين بن محمّد المخلوف، مفتي مصر (المتوفّى سنة ١٤١١هـ)؛

٩. الشيخ معمر محمّد بن عبد الله العربي المصري، المعروف بالعقوري، تلميذ الباجوري؛ و غيرهم.

حكم الوهابيين بتكفير المالكي

بعد أن انتشرت آراء محمّد بن علوي و أفكاره في المجتمع السعوديّ و التي تضمّن قسم كبير منها مخالفته للفرقة الوهابية أصدرت هيئة علماء الإفتاء السعودية و الوهابية بياناً ضدّه برقم (٨٦) و بتاريخ (١١/ ١١/ ١٤٠١هـ) صرّحت فيه بضلال بن علوي و انحرافه، و توصّلت الهيئة المذكورة إلى ضرورة إصلاحه و هدايته من خلال حلّ يتضمّن توبته و رجوعه عن أقواله و بالغت في نصحه ليذعن إليها بعد أن بيّنت له الحق ـ بزعمها ـ فقرّرت إحالته إلى الشيخ عبد الله بن محمّد بن حميد رئيس المجلس الأعلى للإدلاء بالحكم بشأنه. و حضر تلك الجلسة أيضاً كل من الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرئيس العامّ لإدارات البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد، و الشيخ سليمان بن عبيد الرئيس العامّ لشؤون الحرمين الشريفين ليجيبا على الأقوال الإلحادية و



الصوفية ـ على حدّ زعمهم ـ التي صدرت عن بن علوي. فلمّا أحسّ الوهـابيون باليأس و القنوط بعد كل ذالك التهديد و الوعيد الذي مارسوه ضد بن علـوي، قرّروا ممارسـة الـضغط و التعقيـد عليـه في كـل المجـالات فمنـع مـن الـسّفر و التدريس و التبليغ، لكن الحكومة السعودية لم توافق على طلـب سـجنه أو منعـه من السّفر و فضّلت أن يكون مثل هذا العالِم الكبير و العارف الجليل حرّاً طليقـاً في مكّة و جميع المدن في المملكة.

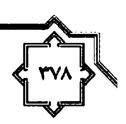
أهمّ مؤلّفات بن علوي في الردّ على الوهابية

أوّل تلك الكتب كتابه المسمّى (مفاهيم يجب أن تُصَحَّح) حيث تنـاول فيـه تحذير الناس من بعض الخرافات المُغالية التي تـدعو إليهـا الفرقـة الوهابيـة فـيما يتعلّق بالتكفير و المجاز العقليّ، و الواسطة بين الخلق و الخالق و البدعة و حقيقة التوسّل و الشفاعة و الاستعانة بأرواح الأولياء و بعض الموضـوعات الأخـرى، ثمّ أجابَ في كل موضوع عن ادّعـاءات الوهـابيين و آرائهـم بـشكل مفـصّل و استدلاليّ حتى أيّده في ذالك كثير من العلماء المسلمين.

مجيد فاطمي نژاد

باحث في مؤسسة دار الاعلام

لمدرسة اهل البيت عليهم السلام



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمدلله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

أما بعد: فإن منهج السلف في فهم النصوص يتسم بالاعتدال دون إفراط أو تفريط و يؤكد على جمع شمل الأمة من خلال دعوة القرآن الكريم و الحديث الشريف.

و لم يكن منهج السلف ـ يوما ـ يعرف الجمود و لا التشدد لأن الرسول صلوات الله و سلامه عليه قرر أن الدين يسر و لن يشاد الدين أحد إلا غلبه.

وقام منهج السلف على فهم النصوص من كتاب الله أولاً فما أجمل في موطن فصّل في آخر، ثم من حديث رسول الله ﷺ سنّته المشرفة المفصلة و المفسّرة لكتاب الله تعالى، ثم بما أثر عن الصحابة و التابعين.

و كان منهج السلف بعيدا كل البعد عن العصبية العمياء، بعيدا عن الجمود، بعيدا عن العنف و التشدد لا يتعصب لرأى دون رأى، و لا يصم الآذان عن كل ما فيه صلاح الأمة.

و لم تكن الآراء الاجتهادية أو اختلاف وجهات النظر فى فهم النصوص ـ عند سلفنا ـ مدعاة ليكفر بعضهم بعضا أو يحكم البعض على الآخر بالفسق أو البدعة أو غير ذالك مما يشاهد اليوم!!!!



بل كان سلفنا يرون أن الآراء الاجتهادية ما دامت لا تتصادم مع كتاب الله تعالى و لا مع السنة النبوية الصحيحة لا يردّونها بل يأخذ منها أهل كل عصر و مصر ما يلائم الزمان و المكان، كما قرر إمام دار الهجرة الإمام مالك رضي الله عنه حين قال: (إن اختلاف العلماء رحمة لله بهذه الأمة كل يرى ما صح عنده، و كل على هدى، و كل يريد وجه الله).

و من هذا المنطق جاء هذا الكتاب النفيس يحمل بين دفتيه موازين البحث العلمى النزيه، و يؤصل القواعد الثابتة للحقائق العلمية والدينية، متسما بوسطية الإسلام دون غلو أو تقصير.

و يأتى هذا الكتاب فى وقت غدت أمتنا الإسلامية فى أمسّ الحاجة إلى هذا الصوت العاقل المستنير، و إلى الدعوة السمحة البعيدة عن الجمود أو الشطط.

يأتى هذا الكتاب لينافح عن حقائق الدين التى فسرها كل ذى هوى حسب هواه، و جنح المغالون إلى تفسير النصوص بما يؤيد مذاهبهم و أهواءهم حسب فهمهم ـ هم ـ دون سواهم.

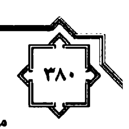
و كانهم ـ للأسف ـ أوصياء على هذا الدين الذى لخص الله تعالى رسالة رسوله ﷺ فى آية واحدة حين قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1].

إن التعصب للرأى و رمى آراء الغير بالخطأ أمر خطير يضر بالأمة و يقضى على الروابط الإنسانية فيها، و يوقف روح الفهم و الاجتهاد، و يغلق أبواب الأمل و العمل، و يفرز أعداء جددا للأمة، نحن فى حل من هذا كله!!

إن الجمود و العصبية، نوع من الجهل و الصلف الذى يمقته سلفنا لتنافيه مع روح الإسلام، و هو ما لم يفعله سلفنا و لم يرضوه، فقد قال قائلهم، رأيى صواب يحتمل الخطأ، و رأى غيرى خطأ يحتمل الصواب.

---

١ . الانبياء:١٠٧

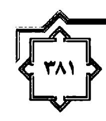


يأتى هذا الكتاب على مفترق الطرق، ليلوح للأمة فى مشارق الأرض و مغاربها إلى صراط الله المستقيم ﴿وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَتَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكم عَن سَبِيلِهِ﴾[1]. و لقد تناول منهج السلف من خلال تأملات دقيقة و أمثلة تطبيقية للعقيدة، و فقه الكتاب و السنة و النبوة و البدعة.

أما مؤلف الكتاب؛ فهو سليل بيت النبوة، نشأ فى بيت العلم و الورع، و التقوى و الصلاح، ورث العلم و العمل كابرا عن كابر، و عالما عن عالم. إنه واحد من أئمة عصرنا المجتهدين، و دعاته المجددين، واحد من الذين لهم قدم صدق عند ربهم الحسيب النسيب سماحة السيد محمد بن علوى المالكى الحسنى، لقد عرفته منذ أكثر من ربع قرن حيث كنت أعمل أستاذا بكلية الشريعة بمكة المكرمة، و كنا عندما نؤم المسجد الحرام ندخل من باب السلام فتطالعنا أكبر حلقة علمية، يتزاحم عليها العلماء و طلاب العلم، و يتسابق عليها الحجاج و العمار و الزوار، لينهلوا من العلم، و من عالم أشرق وجهه الذى نضره الله بشرحه و نشره لحديث رسول الله ﷺ، لقد أحبه كل من عرفه، و تعلق به كل من رآه لصلاحه و علمه، فلقد كنت من أحد الإخوة العلماء، نجلس فى المسجد الحرام بالقرب من مجلسه، و كان الشيخ خارجا؛ فنهض الزميل و هو الأستاذ الدكتور محمد أبو النور الحميدى ليسلم على الشيخ سلام المحبين المشتاقين، فقلت له: هل تعرفه قبل ذالك؟. قال: لا. قلت: فلم كان لقاؤك معه لقاء العارفين له من قبل؟ فقال: لأننى رأيت سيدنا رسول الله ﷺ على هذه الصورة. و لا شك أن العلماء العالمين هم ورثة الأنبياء، و أن الصالحين المقربين لهم عند الله و عند رسوله ﷺ مكانتهم و منزلتهم.

---

١ . الانعام: ١٥٣



و بعد: فإني حين أقدم للقراء هذا الكتاب أقدم منهجا يرسم طريق الإصلاح لمن يريدون الله و رسوله و الدار الآخرة. لمن يبنون فلا يهدمون، و يجمعون و لا يفرقون، و يقومون بالإصلاح بالقدوة و السلوك قبل القول و التوجيه.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب كل قارىء، و أن يكون دعوة حق و نداء صدق، يستجيب لدعوته الذين ندوا عن المنهج و غرهم بالله الغرور، و أن يثوبوا إلى رشدهم، و أن يجمعوا كلمة الأمة، و أن لا يزيدوا من أعدائها، فنحن في مرحلة أحوج ما نكون إلى جمع الكلمة و رأب الصدع و توحيد الصف.

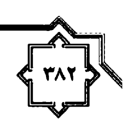
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[1] و بالله التوفيق، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه. آمين.

د. أحمد عمر هاشم

رئيس جامعة الأزهر الشريف

---

١ . آل عمران: ١٠٣



بسم الله الرحمن الرحيم

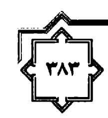
الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

أما بعد: فهذا بحث مختصر عن مسألة مهمة كثر فيها الخلاف بين طلبة العلم و هى مسألة شد الرحال إلى زيارة النبى صلى الله عليه و على آله و صحبه و سلم.

و قد كنت كتبت قبله كتابا جامعا لمباحث الزيارة و ما جاء فيها من نصوص و آثار و احكام و أشعار و أذواق و معارف مع التوسع فى دراسة أسانيد أحاديثها و تخريجها و سميته: (شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد)، و طبع أكثر من مرة فى أبو ظبى، و فى دبى، و فى القاهرة، و فى بيروت، و فى المغرب، و فى سنغافورة، و نفدت نسخه فى مدة وجيزة.

ثم إنه قد ظهر فى موسم الحج هذا العام(١٤١٩هـ) كتاب أساء إلى المسلمين و كدر عليهم صفوهم و هم فى زيارة رسول الله ﷺ؛ فكان أكبر إيذاء لهم و جرح لشعورهم و هم حجاج زوار قاصدون وجه الله سبحانه و تعالى.

إذ يقول هذا المعتدى: إن زيارة رسول الله ﷺ بعد موته مفسدة راجحة لا خير فيها!!. فأزعجنا هذا الافتراء و التعدى وسوء الأدب على مقام رسول الله ﷺ، لذالك أحببت أن أشارك بهذه الرسالة فى الدفاع عن مقام رسول



الله ﷺ، و الذب عنه، و هو أقل ما يقدمه الحبيب لحبيبه، و المؤمن لنبيه، و هو ليس غلوا ممقوتا، و لا إطراء مذموما، و إنما هو واجب إيماني على رقبة كل مسلم موحد غيور على من يحب، انطلاقا من قوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده و والده و الناس أجمعين**»[1].

و أنا مؤمن موحد أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله، و قد رضيت بالله ربا، و بالاسلام دينا، و بمحمد ﷺ نبيا و رسولا، آمنت بالله و بأسمائه و صفاته، و برئت من كل شرك و ضلال، لا أعبد إلا الله وحده، و لا أشرك به شيئا، فماذا ينقص من إيماني هذا لو سافرت قاصدا زيارة نبي الله و حبيب الله محمد رسول الله معتقدا أنه عبد الله و رسوله الذى أرسله لهداية البشر، و أنه أدى الرسالة، و بلغ الأمانة، و جاهد فى سبيل الله حتى أتاه اليقين، فانتقل إلى الرفيق الأعلى بعد ما تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

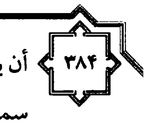
نحن و الحمد لله على هذه العقيدة الصافية السليمة، و عليها السواد الأعظم من علماء الأمة المحمدية القائلين بمشروعية زيارة رسول الله ﷺ، وشد الرحل إليه و التوسل به إلى الله سبحانه و تعالى، داعين الله معتقدين أنه النافع الضار، و أنه لا معبود بحق سواه، و أن أحدا لا ينفع و لا يضر و لا يشفع إلا بإذنه جل جلاله و عظم شأنه، كما قال تعالى: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾[2].

نسأل الله سبحانه و تعالى أن ينفع به، و أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، و

---

١ . صحيح البخارى، ج١، ص٩

٢ . البقره: ٢٥٥



أن يرينا الحق حقا و يرزقنا اتباعه، و أن يرينا الباطل باطلا و يرزقنا اجتنابه إنه سميع قدير، و بالإجابة جدير. و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

و كتبه:

الفقير إلى عفوه و به الغني

محمد بن السيد علوي المالكي الحسني

مقدمات أولية مهمة

أولا: حقيقة مسألة شد الرحال للزيارة:

مسألة الزيارة مسألة فقيهية تتعلق بها الاحكام الشرعية من حلال و حرام و مكروه و مندوب، و لا صلة لها بحديث: «**لا تشد الرحال**»[1] و ليست من القضايا العقدية.

و قد جعلها بعض المتنطعين ـ هداهم الله إلى الصراط المستقيم ـ قضية اعتقادية مثل ما فعلوا تماما بقضية التوسل بالنبى ﷺ حيث جعلوها قضية اعتقادية توحيدية، و بنوا عليها الحكم بالشرك و الكفر و الإخراج عن الملة، مع أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقرر فى رسائله أنها ـ يعنى قضية التوسل ـ قضية فقهية.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: فكون البعض يرخص التوسل بالصالحين، و بعضهم يخصه بالنبى ﷺ، و أكثر العلماء ينهى عن ذالك و يكرهه، فهذه المسألة من مسائل الفقه، و إن كان الصواب عندنا قول الجمهور من أنه مكروه فلا ننكر على من فعله و لا انكار فى مسائل الاجتهاد[2].

---

١ . صحيح البخارى، ج٢، ص٥٦

٢ . فتاوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى مجموعة المؤلفات، القسم الثالث ص٦٨ التى نشرتها جامعة الإمام محمد بن سعود الأسلامية فى أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

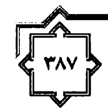


و هذا يدل على جواز التوسل عنده، غاية ما يرى أنه مكروه في رأيه عند الجمهور، و المكروه ليس بحرام فضلا عن أن يكون بدعة أو شركا.

قلت: و قد جاء هؤلاء المتسبون إلى السلفية فجعلوا قضية الزيارة وشد الرحل إلى زيارة نبينا محمد ﷺ قضية إيمان و كفر و توحيد و شرك، وراحوا يخلعون ألقاب الضلال و الكفر و الشرك على كل من يخالفهم في هذه المسألة ـ فلا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم ـ مع أنهم متفقون جميعا على مشروعية شد الرحل إلى ذالك البناء المسمى بالمسجد النبوي بلا خلاف.

فإذا قال القائل: شددت الرحل إلى زيارة النبي ﷺ للصلاة و السلام عليه في مسجده و زيارة صاحبيه و من في تلك البقاع الطاهرة، و رؤية المآثر و المشاهد التي هي معاهد الوحي و التنزيل و مواطن الإيمان و الجهاد، إذ قال قائل: أنا مسافر لهذا القصد المبارك، قامت القيامة، و نزلت المصائب، و زلزلت الأرض زلزالها، و أخرجت الأرض أثقالها، و حكموا عليه بالضلال أو الشرك، و إن خففوا الحكم حكموا عليه بالبدعة و مخالفة السنة النبوية على أضعف الأحوال الإيمانية، و يقول المنكر: إن القصد الشرعي الصحيح بالزيارة إنما هو للمسجد، فلا تقل أنا مسافر لزيارة الرسول ﷺ، و إنما قل: أنا مسافر للصلاة في المسجد النبوي. و إني لأعجب كيف استحق هذا المسجد هذا الفضل و أصبح من المساجد التي تشد إليها الرحال!! أليس لأنه مسجده عليه الصلاة و السلام، و إلا فأي فرق بينه و بين بقية المساجد؟ و إذا كان شرف المسجد و فضله لأجله ﷺ فكيف تسن زيارة المسجد و تحرم زيارة من شرف المسجد لأجله ﷺ ؟.

و الحاصل أن الخلاف في مسألة الزيارة و التوسل هو خلاف في الفروع، و مثله لا يصح أن يشنّع أخ به على أخيه أو يعيبه به، و أن من قال به متمسك بأدلة



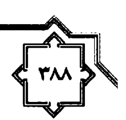
ثابتة ثبوت الجبال الرواسي، وردها لا يجيء إلا من متعنت أو مكابر، فإن لم تقنع فاسكت و سلم و لا تشنّع؛ فالخلاف في الفروع لا يحتمل هذا الإفراط، سلك الله بنا سواء السبيل.

ثانيا: عدم الأمانة في عرض القضية:

عندما يتحدث بعضهم عن مسألة الزيارة فإنه يعرض فكره و رأيه متحكما في النصوص، مستحوذا على الأدلة بفهمه من حيثية ما يراه هو صحيحا، و كانه ليس في الباب إلا ما يراه، و كان قوله في انكار الزيارة و تحريم قصد السفر إليها هو الحق المتفق و المجمع عليه بين أئمة الأمة دون اعتبار لأي قول أو الإشارة إليه، و هذا و لا شك جريمة في حق النصوص، و جناية على الاحكام الشرعية، و الواجب عليه أن يعرض المسألة بكل أقوالها و أدلتها، ثم هو يرجح بعد ذالك ما يشاء مما يظهر له، وبهذا يكون قد أدى الأمانة و حفظ العلم كما هو شأن أئمة السلف ممن تقدم في مسائل الخلاف التي تعرض الاحكام و أدلتها و مناقشتها.

ثالثا: الزيارة ليست من المناسك:

يظن بعضهم أننا نعتبر الزيارة النبوية من مناسك الحج، و لا أدري من أين تسرب هذا الفهم السيىء، و هذه كتب المناسك في جميع المذاهب الفقهية الإسلامية المتبعة المعروفة و هي مشتملة على الواجبات و الآداب و المندوبات و السنن المطلوبة المتعلقة بالحج، و ليس فيها ذكر الزيارة على أنها من المناسك (سواء الحج و العمرة)، و لعل هذا التصور حصل عندهم لأنهم يرون مباحث الزيارة بعد أبواب المناسك.



أما كونها تذكر فى كتب الفقه بعد أبواب المناسك فهذا لمجرد الترتيب من حيث إن الحاج قد قطع المسافات البعيدة و أنفق الأموال الطائلة حتى وصل إلى الحج فيناسب أن يغتنم فرصة الزيارة و هو بقرب الحبيب و ليس بينه و بينه سوى أميال، لذالك تذكر احكامها و آدابها و ما جاء فيها بعد أبواب المناسك، و هذا كترتيبهم لأبواب الصلاة قبل الصيام، ثم الصيام قبل الزكاة، ثم الزكاة، ثم حج بيت الله، و قد يختلف بعض هذا الترتيب فى بعض الكتب. و الحق أن الزيارة مشروعة و مطلوبة بذاتها استقلالا، و فيها كتب خاصة بها كما أن المناسك لها كتب خاصة بها و باحكامها.

رابعا: الخطأ في الجور بالحكم على أحاديث الزيارة:

شاع بين كثير من الناس أن أحاديث الزيارة كلها ضعيفة، بل موضوعة و هو خطأ بلا ريب، و مصادمة لقواعد الحديث بلا مين، و لا يصدر عن محقق ممارس للحديث، خبير بقواعد الجرح و التعديل، بصير بالنقد و التخريج.

و يكفى اللبيب قول الذهبى الحافظ الناقد عن أحاديث الزيارة: طرقه كلها لينة لكن يتقوى بعضها ببعض لأن ما فى روايتها متهم بالكذب. (كذا فى المقاصد الحسنة للسخاوى ٤١٢).

و نقله أيضا المناوى (فى فيض القدير ٦/ ١٤٠). كما أن بعض العلماء صححها، أو نقل تصحيحها كالسبكى، و ابن السكن، و العراقى، و القاضى عياض فى (الشفا)، و الملا على قارى شارحة، الخفاجى كذالك فى: (نسيم الرياض ٣/ ٥١١).

و كلهم من حفاظ الحديث و أئمة المعتمدين، و يكفى أن الأئمة الأربعة رضي الله عنهم و غيرهم من فحول العلماء و أركان الدين قالوا بمشروعية زيارة



النبی ﷺ کما نقله عنهم أصحابهم فی کتب فقههم المعتمدة، و هذا کاف منهم فی تصحیح أحادیث الزیارة و قبولها، لأن الحدیث الضعیف یتأید بالعمل و الفتوی کما هو معروف من قواعد الأصولیین و المحدثین.

و الحاصل: أن الأحادیث الدالة علی زیارة قبره ﷺ بخصوصه، منها ما هو حسن بل صححه أو حسنه بعض الأئمة کابن السکن و السبکی و السیوطی، و إلی الحسن تکاد تصرح عبارة الذهبی، و من أحسنها ما روی من طریق موسی بن هلال العبدی عن عبد الله بن عمر العمری، و عبید الله بن عمر العمری عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من زار قبری وجبت له شفاعتی»**[١].

و الصواب: إثبات روایة العبدی للحدیث عن العمری المکبر و المصغر، و المکبر و إن کان فیه کلام لکنه حسن الحدیث. و قال ابن معین فی حدیثه عن نافع: صالح ثقة.

و الحجة فی قول یحیی بن معین إمام الجرح و التعدیل و غیره من الأئمة الدین قبلوا حدیث العمری.

و موسی بن هلال العبدی روی عنه أئمة حفاظ، و هو من شیوخ أحمد، و قد قال عنه الذهبی فی المیزان (٤/ ٢٢٦): صالح الحدیث. و قال ابن عدی: أرجو أنه لا بأس به.

و من أحادیث الزیارة ما هو صالح للاحتجاج علی طریقة أبی داود السجستانی فی سننه.

و صفوة القول: أن أحادیث زیارة القبر الشریف تصلح لإقامة صلب الدعوی، و من الجرأة الحکم علیها بالوضع کما زعم بعضهم.

---

١ . سنن الدارقطنی، ج٢، ص٢٤٤

الزيارة النبوية في القرآن

قال الله تبارك و تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[١].

و معناه: أن الناس عند ظلمهم أنفسهم وسيلتهم إلى قبولهم و العفو عنهم وفوزهم برحمة الله إياهم و قبول توبتهم، أن يأتوك تائبين مستغفرين، فإن جاؤوك مستغفرين و تكرمت عليهم بالاستغفار لهم، فإنهم يجدون من الله ما أملوا، و يظفرون منه عز وجل بها قصدوا.

فالله سبحانه و تعالى علق قوله: ﴿لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ على مجيئهم إليه، و استغفارهم، و استغفاره لهم، و لم يكتف منهم بمجرد استغفارهم، ليظهر كمال فضل زيارته ﷺ و المجيء إليه و الانتقال لأجله.

يظهر سبحانه كمال فضل زيارته دون فرق بين قريب الدار و بعيدها، و لا بين زيارته صلوات الله و سلامه عليه فى حياته و بعد وفاته، فإن من زاره بعد وفاته فهو كمن زاره فى حياته، فالآية الكريمة مرغبة أكمل ترغيب فى زيارته ﷺ و المجيء نحوه و السفر إليه.

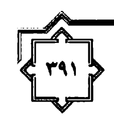
ففوز كل زائر له ﷺ بغفران الله تعالى له و رحمته إياه، عام متى تحققت علته، و هى الزيارة و الاستغفار من أى مكان كانت الزيارة، و فى أى وقت حصلت.

و قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾[٢]. إن لم يكن نصا للزيارة فلا شك أن زيارته ﷺ لا

---

١. النساء:٦٤

٢. النساء:١٠٠



سيما من الأمكنة البعيدة من الهجرة إلى الله و رسوله، فمن زاره عليه الصلاة و السلام، فهو ممن يدخل فى هذه الآية و نحوها، فإن لم تكنها فى معناها كما لا يخفى على منصف.

عموم الآية لجميع الأحوال:

و هذه الآية الكريمة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[1] تشمل حالتى الحياة و بعد الانتقال، و من أراد تخصيصها بحال الحياة، فما أصاب لأن الفعل فى سياق الشرط يفيد العموم، و أعلى صيغ العموم ما وقع فى سياق الشرط كما فى إرشاد الفحول (ص: ١٢٢). و تخصيصها بأحدهما يحتاج إلى دليل و هو مفقود هنا، فإن قيل: من أين أتى العموم حتى يكون تخصيصها بحال الحياة دعوى تحتاج إلى دليل؟.. قلنا: من وقوع الفعل فى سياق الشرط، و القاعدة المقررة فى الأصول أن الفعل إذا وقع فى سياق الشرط كان عاما لأن الفعل فى معنى النكرة لتضمنه مصدرا منكرا، و النكرة الواقعة فى سياق النفى أو الشرط تكون للعموم وضعا. انتهى ملخصا من الرد المحكم المتين(ص ٤٤) و رفع المنارة(ص: ٥٧).

توضيح مفتي مكة المكرمة:

قال العلامة الفقيه الشيخ جمال بن عبد الله شيخ عمر مفتى بلد الله الحرام موضحا معنى الاستدلال بالآية على المطلوب:

---

١ . النساء: ٦٤



و لذالك فهم العلماء منها العموم للجائين، و استحبوا لمن أتى قبره ﷺ أن يقرأها مستغفرا الله تعالى مع حكاية العتبى التى ذكرها المصنفون فى المناسك، و المؤرخون، و كلهم استحبوها للزائر، ورأوها من آدابه التى يسن له فعلها، و يستفاد من وقوع «جاؤوك». فى حيز الشرط الدال على العموم أن الآية الكريمة طالبة للمجىء إليه من بعد و من قرب بسفر و بغير سفر[1].

موقف كبار المفسرين من معنى الآية:

و قد فهم المفسرون من آية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ عموم المجىء إليه ﷺ فى حياته و بعد وفاته، و لذالك تراهم يذكرون فى تفسيرها حكاية العتبى أو الأعرابى الذى جاء زائرا قاصدا فزار و توسل بالنبى ﷺ. و ممن ذكرها القرطبى و ابن كثير.

رواية القرطبي:

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى فى تفسيره، الجامع لاحكام القرآن) فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[2] روى أبو صادق عن على قال: قدم علينا أعرابى بعد ما دفنا رسول الله ﷺ وحثا على رأسه من ترابه فقال: قلت يا رسول الله فسمعنا قولك، و وعيت عن الله فوعينا عنك، و كان فيما أنزل الله عليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا﴾ الآية، و قد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى؛ فنودى من القبر: أنه قد غفر لك. (تفسير القرطبى ٥/ ٢٦٥).

---

١ . الرضا و القبول فى فضائل المدينة و زيارة سيدنا الرسول ﷺ (أحمد بن محمد الحضراوى ص٦).

٢ . النساء: ٦٤



رواية الحافظ ابن كثير

قال الإمام الحافظ الشيخ عماد الدين ابن كثير: ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه (الشامل) الحكاية المشهورة، عن العتبي قال: كنت جالسا عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ و قد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك إلى ربي، ثم أنشد يقول:

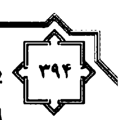
يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع و الأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف و فيه الجود و الكرم

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني؛ فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: «**الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له**».

فهذه القصة رواها الإمام النووي في كتابه المعروف بالإيضاح في الباب السادس ص٤٩٨، و رواها أيضا الحافظ عماد الدين ابن كثير في تفسيره الشهير عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ الآية.

ورواها أيضا الشيخ أبو محمد بن قدامة في كتابه «المغني» (ج ٣ ص٥٥٦)، و نقلها أيضا الشيخ أبو الفرج بن قدامة في كتابه «الشرح الكبير» (ج ٣ ص٤٩٥)، و نقلها أيضا الشيخ منصور بن يونس البهوتي في كتابه المعروف بكشاف القناع من أشهر كتب «المذهب الحنبلي» (ج ٥ ص٣٠).

و قد زعم بعض المخالفين: أن التعبير بكلمة (رواه) لا تقال إلا في الحديث الذي يسنده الراوي عن مشايخه إلى منتهاه. و لا ندري من أين جاء بهذه القاعدة التي لا أصل لها، و لا قائل بها، و من المعروف عند أهل العلم أن الأصول ليست بالاجتهاد و لا بالاختراع. ثم إن العلماء يروون أخبارا و آثارا كثيرة، و



يذكرونها فی مؤلفاتهم بلا سند كمعلقات البخاری، و منقطعات و بلاغات الموطا، فمنها ما حذف أول سنده، و منها ما لا سند له، و يقولون فيها: رواه البخاری، ورواه مالك، و مثل هذا يصنعه النووی فی كتابه «الأذكار».

فلفظ (روی) يستعمل فی كل ما ينقله العلماء من الأحاديث و الأخبار و الآثار المرفوعة و الموقوفة و المقطوعة، و هو ظاهر من صنيع العلماء، و لكن لا يعرفه إلا أهله.

إبيات العتبی علی شباك النبي ﷺ

تقدم ذكر البيتين اللذين أنشدهما الأعرابی عند زيارته للنبی ﷺ ورواهما العتبی و هما:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع و الأكم

نفسی الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف و فيه الجود و الكرم

و هذه الأبيات حازت الشرف العظيم و المجد الفخيم إذ تميزت عن غيرها بأن كتبت علی عامودين ظاهرين بين شباك الحجرة النبوية يراها القاصی و الدانی منذ مئات السنين، واستمر ذالك فی عهد المرحوم الملك عبد العزيز، فالملك سعود، فالملك فيصل، فالملك خالد ﷺ، فالملك فهد خادم الحرمين الشريفين حفظه الله، و ستبقی بإذن الله بناء علی توجيهات خادم الحرمين الشريفين و حكومته بالمحافظة علی كل ما فی المسجد النبوی الشريف، و المدينة المنورة، و مكة المكرمة، و عدم إزالة أی أثر تاريخی تراثی قديم.

التحكم في معنى الآية بلا دليل:

و قد يعترض البعض بأن لفظ (جاءوك) فی الآية خاص بحياته لأن العرب لا تقول: جاؤوك إلا فی حال الحياة، و أيضا بأن المجیء إليه ﷺ فی حياته من



أجل الاستغفار لهم، فكيف يستغفر لهم بعد موته ﷺ ؟

و الجواب عن هذين الاعتراضين:

١ ـ أن الأنبياء صلوات الله عليهم قد ثبتت حياتهم فی قبورهم لأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، والنبی ﷺ يقول: **«رأيت موسى قائما يصلی فی قبره»**[١].

فعلی هذا فالآية تشمل المجیء إليه ﷺ حيا و ميتا، و من ادعی خصوصيتها بحياته فعليه البيان.

أن النبی ﷺ تعرض عليه أعمال الأمة فيستغفر لها و هو فی برزخه ﷺ، وقد وردت بذالك أحاديث:

منها: ما رواه البزار مرفوعا، و الحافظ إسماعيل القاضی فی (فضل الصلاة على النبی ﷺ) وابن سعد فی (طبقاته)، عن بكر بن عبد الله المزنی مرسلا: **«حياتی خير لكم تحدثون و يحدث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتی خيرا لكم تعرض علی أعمالكم، فإن رأيت خيرا حمدت الله و إن رأيت شرا استغفرت لكم»**.[٢]

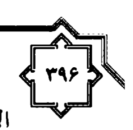
فهذا الحديث يؤيد الاستدلال بهذه الآية فی الحث علی زيارته ﷺ بعد وفاته.

و قد ذكرنا فی (المفاهيم) تخريج هذا الحديث ص٢٥٧، و خلاصة القول فيه أنه صحيح، و قد صنف العلامة المحدث الشيخ أبو الفضل عبد الله الغماری رسالة خاصة فی هذا الموضوع سماها: (نهاية الآمال فی صحة و شرح حديث عرض الأعمال).

---

١ . فتح الباری، ج٣، ص٣٢٩

٢ . الطبقات الكبری، ج٢، ص١٩٤



على أن الاختلاف فى الحديث لا يؤثر فى أصل المسألة، و هى عرض الأعمال على النبى ﷺ و حياته فى البرزخ، بل حياة الأنبياء جميعا، و قد صنف فى ذالك الحافظ البيهقى و السيوطى رسالة خاصة.

اعتراض آخر (لغوي):

و قد اعترض بعضهم على الاستدلال بالآية المذكورة فقال فى فتاويه ما نصه:

(إذ) هذه ظرف لما مضى و ليست ظرفا للمستقبل، لم يقل الله: و لو أنهم إذا ظلموا، بل قال: (إذ ظلموا). فالآية تتحدث عن أمر وقع فى حياة الرسول ﷺ، و استغفار الرسول ﷺ بعد مماته أمر متعذر لأنه إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث كما قال الرسول ﷺ: **«صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»**[1] فلا يمكن للإنسان بعد موته أن يستغفر لأحد بل و لا يستغفر لنفسه أيضا لأن العمل انقطع. انتهى.

و الجواب:

أن هذا إقدام جرىء من القائل نسأل الله العافية.

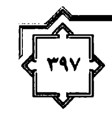
و إليك تفنيده بالآتى:

أما قصره (إذ) على الزمن الماضى فقط ففيه نظر لأن (إذ) كما تستعمل فى الماضى فتستعمل أيضا فى المستقبل، و لها معان أخرى ذكرها ابن هشام فى «مغنى اللبيب» (١/ ٨٠ ـ ٨٣).

و قد نص على أن (إذ) تستعمل للمستقبل (الأزهرى) فقال فى «تهذيب اللغة» (١٥/ ٤٧).

---

١ . صحيح مسلم، ج٥، ص٧٤



العرب تضع (إذ) للمستقبل و (إذا) للماضي. قال الله عز وجل: ﴿وَلو تَرى إذ فَزعُوا﴾[1].

قلت: و من استعمال إذ للمستقبل قوله تعالى: ﴿وَلَو تَرى إذ وقفوا عَلَى النّارِ﴾[2].

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾[3].

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾[4].

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[5].

و قوله: و استغفار الرسول ﷺ أمر متعذر لأنه إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث اهـ.

قلت: استغفار سيدنا رسول الله ﷺ غير متعذر لأمور:

الأول: قد صح أن النبي ﷺ قال: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**» أخرجه البيهقي في «حياة الأنبياء» (ص ١٥) و أبو يعلى في «مسنده» (٦/ ١٤٧) و أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٤٤) و ابن عدي في الكامل (٢/ ٧٣٩).

و قال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢١١): و رجال أبي يعلى ثقات اهـ. و الحديث له طرق.

و قال رسول الله ﷺ: «**مررت على موسى و هو قائم يصلي في قبره**»

---

١ . السبأ: ٥١.

٢ . الأنعام: ٢٧.

٣ . الأنعام: ٣٠.

٤ . الأنعام: ٩٣.

٥ . السجدة: ١٢.



أخرجه مسلم (٤/ ١٨٤٥) و أحمد (٣/ ١٢٠) و البغوى فى شرح السنة (١٣/ ٣٥١) و غيرهم.

و قال ابن القيم فى نونيته عند الكلام على حياة الرسل بعد مماتهم (النونية مع شرح ابن عيسى ٢/ ١٦٠):

و الرسل أكمل حالة منه[1] بلا ... شك و هذا ظاهر التبيان

فلذالك كانوا بالحياة أحق من ... شهدائنا بالعقل و البرهان

و بأن عقد نكاحه لم ينفسخ ... فنساؤه فى عصمة و عصيان

و لأجل هذا لم يحل لغيره ... منهن واحدة مدى الأزمان

أفليس فى هذا دليل أنه ... حى لمن كانت له أذنان

الثانى: ثبت أن النبى ﷺ قد صلى إماما بالأنبياء عليهم السلام فى الإسراء و هذا متواتر، و كانوا قد ماتوا جميعا، وراجعه موسى عليه السلام فى الصلوات ورأى غيره فى السموات.

فمن كان هذا حاله فكيف يعتذر عليه الاستغفار؟

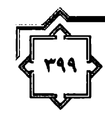
و الصلاة دعاء و استغفار و تضرع.

الثالث: قد صح أن النبى ﷺ قال: **«حياتى خير لكم تحدثون و يحدث لكم، و وفاتى خير لكم تعرض على أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه، و ما رأيت من شر استغفرت لكم»**.

و هو حديث صحيح، و قال عنه الحافظ العراقى فى طرح التثريب (٣/ ٢٩٧). إسناده جيد. و قال الهيثمى (المجمع ٩/ ٢٤): رواه البزار و رجاله رجال الصحيح، و صححه السيوطى فى الخصائص (٢/ ٢٨١).

---

١. أى الشهيد.



و كلام العراقى و الهيثمى بالنسبة لإسناد البزار فقط، و إلا فالحديث صحيح كما قال الحافظ السيوطى و غيره، و سيأتى الكلام على الحديث بتوسع إن شاء الله.

الرابع: استغفار الرسول ﷺ حاصل لجميع المؤمنين سواء من أدرك حياته أو من لم يدركها، قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبك وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[1] و هذه منة من الله تعالى، و خصوصية من خصوصيات سيدنا رسول الله ﷺ.

و قد علم مما سبق أن الأمور الثلاثة المذكورة فى الآية و هى:

المجيء إليه ﷺ.

و الاستغفار.

و استغفار الرسول ﷺ للمؤمنين.

هذه ثلاثة حاصلة فى حياته و بعد انتقاله.

و لا يقال: إن الآية وردت فى أقوام معينين، لا يقال ذالك لأنه كما هو معروف «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

و لذالك فهم المفسرون و غيرهم من الآية العموم، و استحبوا لمن جاء إلى القبر الشريف أن يقرأ هذه الآية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[2] و يستغفر الله تعالى.

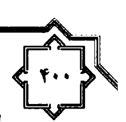
و هذه التفاسير بين أيدينا، و المناسك التى صنفها علماء المذاهب كذالك، و كلها تظهر صدق دعوى الاستدلال بالآية.

بقى الكلام على قول هذا المعترض: (لأنه إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث... إلخ).

---

١ . محمد: ١٩.

٢ . النساء: ٦٤



قلت: سيدنا رسول الله ﷺ له من الكمالات و الخصوصيات ما لم يصح لأحد، و هذا قرره ابن تيمية فى كتابه (الصارم المسلول على شاتم الرسول) و هو أحسن كتبه، و هو ﷺ فى ترق و ارتفاع إلى يوم الدين، و هذا أمر معلوم من الدين بالضرورة و مقرر فى كتب الخصائص، و دلائل النبوة، و الشفا و شروحه.

فقد قال ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذالك من أجورهم شيئا**»[1] أخرجه مسلم و غيره.

فجميع الأعمال الصالحة التى تصدر عن الأمة المحمدية راجعة لدعوة رسول الله ﷺ و سلم لها فثوابها راجع إليه و هو ينتفع به قطعا من غير أن ينقص ذالك من أجورهم شيئا.

و فى هذا الصواب، قال ابن تيمية فى الفتاوى (١/ ١٩١): ثبت عنه ﷺ فى الصحيح أنه قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء**».

و محمد ﷺ هو الداعى إلى ما تفعله أمته من الخيرات، فما يفعلونه له فيه من الأجر مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء. انتهى كلام ابن تيمية.

و الحاصل أن هذا المعترض زل فيما قال.

نعوذ بالله من الكلام فى كتاب الله بغير علم، والتعدى على مقام سيدنا رسول الله ﷺ.

---

١ . صحيح مسلم، ج ٨، ص٦٢



من زار قبري وجبت له شفاعتي

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زار قبرى وجبت له شفاعتى**».

هذا الحديث رواه الدار قطنى فى «سننه» (٢/ ٢٧٨)، و من طريقه القاضى عياض فى «الشفاء» (٢/ ٨٣)، و الحكيم الترمذى فى «النوادر» (١٤٨) والعقيلى فى «الضعفاء» (٤/ ١٧٠) و الدولابى فى «الكنى» (٢/ ٦٤).

و أقل ما يقال فى هذا الحديث أنه حسن، و قد قال الحافظ السيوطى فى «المناهل» (٢٠٨): له طرق و شواهد حسّنه لأجلها الذهبى، و قال العلامة المناوى فى «فيض القدر شرح الجامع الصغير» (٦/ ١٤٠)، قال الذهبى: طرقه لينة، لكن يقوى بعضها بعضا.

قال الملا على القارى: حديث ابن عمر له طرق و شواهد حسّنه الذهبى لأجلها، و صححه جماعة من أئمة الحديث (شرحه على الشفا ٣/ ٨٤٢). و نقل الخفاجى أن الذهبى حسّنه، كذا فى «شرح الشفا» (٣/ ٥١١) و مما يدل على هذا ذكر الأئمة له فى الفضائل و عدم إدخاله فى الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة.

و ممن ذكره فى الفضائل و المناسك الحافظ الضياء المقدسى فى «فضائل الأعمال» فى فضل زيارة قبر المصطفى ﷺ (٤١٣ ـ ٤١٤)، و الحافظ أبو عبد الله الحليمى فى «الشعب» (٢/ ١٣)، و الإمام الرافعى فى «المناسك» (٢/ ٢٦٧ التخليص الحبير)، و الإمام النووى فى المناسك فى كتاب «الإيضاح» (٤٨٩)، و ابن الملقن فى «تحفة المحتاج» (٢/ ١٨٩).

قال الإمام السبكى بعد ذكر طرق الحديث: و بذالك يتبين أن أقل درجات هذا الحديث أن يكون حسنا إن نوزع فى دعوى صحته. (كذا فى شفاء السقام).



و قال الشيخ محمود سعيد ممدوح فى تخريج هذا الحديث بعد تحقيق علمى مفيد: إنه حديث حسن و لا بد، و هذا ما تقتضيه قواعد الحديث[١].. إلخ.

و قد فصلنا فى كتابنا شفاء الفؤاد ما يتعلق بتخريج هذا الحديث.

من جاءني زائرا..

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من جاءنى زائرا لا يهمه إلا زيارتى كان حقا على أن أكون له شفيعا**».

رواه الحافظ ابن عساكر فى «تاريخه» (٢/ ٤٠٦)، و الطبرانى فى «الكبير» (١٢/ ٢٩١) رقم (١٦١٤٩)، و الدارقطنى فى «سننه» على ما حكاه الحافظ الذهبى فرواه من طريقه فى «الميزان» (٤/ ١٠٤).

قال الحافظ الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٤/ ٢) فيه مسلم بن سالم الجهنى و هو ضعيف.

هذا الحديث أقل أحواله أنه حسن، بل قد صححه الحافظ البوصيرى فيما حكاه الإمام المحدث حبيب الرحمن فى حاشيته على «المطالب» (١/ ٣٧١) عند الكلام على الحديث: «**من زار قبرى كنت له شهيدا**» الحديث، قال: قال الحافظ البوصيرى: رواه الطيالسى بسند ضعيف لجهالة التابعى، لكن له شاهد عند أبى يعلى، و الطبرانى بسند صحيح اهـ. و المقصود به هذا الحديث. والله أعلم.

مشروعية شد الرحل للزيارة

لا ينكر أحد من أهل السنة و الجماعة مشروعية زيارة رسول الله ﷺ، بقيت مسألة شد الرحل لأجل الزيارة خاصة، و هذه المسألة سنذكر فيها كلام جملة

---

١ . رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل و الزيارة للعلامة الشيخ محمود سعيد ممدوح ص٢٤١.



كبيرة من الائمة الأعلام و مشايخ الإسلام ﭬ، و في الحقيقة هذه المسألة لا تستحق من المخالف كل هذه الهجمة النكراء و الحملة الشديدة الشعواء، و كان القضية فيها انكار الألوهية أو الربوبية أو الأسماء و الصفات، أو انكار النبوة و جحد الكرامات، سبحانك هذا بهتان عظيم فلا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم.

و لا أدرى ما هو الذى يترتب على القول بشد الرحل لزيارة قبر نبينا و سيدنا محمد ﷺ من المفاسد و الشرور و عظائم الأمور؟ و ما هى صلة هذه المسألة بالشرك و الكفر و الإخراج عن دائرة الإيمان؟ فقد كنا نسمع من المخالف قبل سنوات عديدة القول: بأن شد الرحل لزيارة الرسول ﷺ شرك، ثم هان الأمر و خف الخطب و صار شد الرحل بدعة، ثم خف أكثر و صارت العبارة أهون و ألين و أرق و أشفق فصاروا يقولون إن شد الرحل ليس بمشروع، فالحمد لله الذى فتح البصائر قليلا قليلا لإدراك الحقائق و ملاحظة المذاهب.

شد الرحل إليه ﷺ

الزيارة تستدعى سفرا، و تستلزم رحيلا، إذ إنها عبارة عن انتقال من الزائر للمزور، و ذالك الانتقال يقتضى سفرا و يتطلب مجيئا، و لا يتصور انتقال بدون سفر، و لا يتحقق مجيء بغيره، كما لا يمكن أن تكون هجرة بدون انتقال، و لا تتأتى رحلة بدون ارتحال. و هى خير ما يتقرب به المحبون و يسعى المخلصون الصادقون لأنها من أعظم ما يتقرب به الإنسان إلى الله و رسوله، فكل ما يترتب عليه قربة، و جميع ما تستدعيه مستلزماتها قربة كذالك ﴿يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن



يَشَاءُ﴾[1] و من لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

و قد صح خروجه ﷺ لأصحابه بالبقيع و أحد تقديرا و وفاء منه لأصحابه الكرام، و من أوفى منه ﷺ؟ فمن قيامه بهذه الزيارة تتحدث مشروعيتها و ينطق استحبابها، و إذا كان التقدير لها واضحا و ثابتا، و الاستحباب قائما، فمشروعيتها له ﷺ أروع تحققا، و أعظم ثبوتا، و أجل تقديرا من مشروعيتها لغيره للفارق العظيم بين المقامات، و البعد البالغ بين الدرجات، و القاعدة المتفق عليها بين العلماء أن وسيلة القربة المتفق عليها قربة، كذالك أي من جهة إيصالها لها.

و قد احتج الإمام النووى أيضا، و البيهقى على مشروعية السفر للزيارة النبوية بحديث: «**ما من أحد يسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام**»[2] رواه أبو داود بإسناد صحيح.

قال الإمام الشيخ محمد الفقى المصرى: و وجه الاستدلال بهذا الحديث: أن الأمة يسوقها شوقها، و يدفعها حبها لزيارة رسولها و مصدر سعادتها فى الحياتين، إذا ما علمت أنه ﷺ يشهدها إذا تشرفت بزيارته، و يراها إذا وقفت بين يديه، تحملت فى سبيل ذالك كل ما يعترضها من عقبات، و يصادفها من صعوبات، و تلاقيه من مشاق فى السفر، و وعثاء الانتقال طلبا للحظوة به ﷺ، و التماسا للرضى، وبلوغ المنى، و قضاء الحوائج، و غفران الذنوب، و فضلا عن هذا و ذالك فإن فى رد السلام على أمته بلا واسطة شرفا أي شرف و نعمة كبرى إنما يسعى فى تحصيلها المسلمون و يتبارى المحبون، و يهرع للفوز بها الزائرون﴿وَفِي ذٰلك فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[3].

---

١ . النور: ٣٥

٢ . سنن ابى داود، ج٣، ص٤٥٣

٣ . المطففين: ٢٦

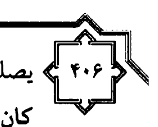


و تحقيق معنى قوله ﷺ :«ردّ الله عليّ روحي» أنه لا يسلم عليه أحد من قاصديه إلا فى حال كون روحه الطاهرة مردودة إليه، و هى لا تفارقه أبدا لأن أرواح الأنبياء لا تفارقهم بعد موتهم فهى مردودة إليهم، و لا تخرج عن أجسادهم التى لا تبلى، و يستحيل أن يتطرق إليها البلى لأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، أما عدم مفارقة الروح للجسد فثابت و لكن على غير الصورة التى يعهدها الناس يألفونها فى هذه الحياة فهم أحياء عند ربهم، و قد أثبت القرآن هذه الحياة لمن هم دونهم و أقل شأنا منهم بدرجات لا تحصى من الصديقين و الشهداء، ففى نص التنزيل عن حياة الشهداء قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1] و إذا ثبت حياة الشهداء بذالك فثبوت حياة الأنبياء و المرسلين من باب أولى و ذالك مسلّم به منطقا و عقلا و إن شوهدت أجسادهم فى قبورهم خالية منها عارية عنها، مثلهم فى ذالك مثل النائم يغط فى نومه و هو يشاهد عجائب فى الملكوت، و يكتسب أسرارا ينتفع بها و يحدثك عنها بعد يقظته من نومه، و كذالك نرى اثنين فى فراش واحد فبينما نجد أحدهما يقضى وقت نومه فى نعمة و لذة و سرور، نجد الآخر يقضى ذالك الوقت فى ألوان من القلق و الضيق و شدة الفزع و الألم، و يتمنى أن لو فارق هذه المضايقات يخبران بذالك و يحدث كل منهما بما كان فى همتى استيقظا من نومهما و انتبها من منامهما.

و معلوم أنه لا يخلو وقت من الأوقات و لا تمر لحظة من اللحظات إلا و كثير من أمته ﷺ يصلون و يسلمون عليه فى صلواتهم و غيرها، و يصله علم ذالك بواسطة الملك الذى يبلغه صلاة أمته و سلامها عليه ﷺ، فيدعو لمن

---

١ . آل عمران: ١٦٩



يصلى عليه، و يرد السلام على من يسلم عليه منهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1].[2]

شد الرحل إلى مسجده ﷺ:

و كذالك يشرع شد الرحل إلى مسجده ﷺ الذى ما شرف و عظم إلا بإضافته إليه و لكون قبر سيد المرسلين فيه... و لهذا يقول ﷺ كما جاء فى الحديث الصحيح: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، و مسجدى هذا، و المسجد الأقصى**»[3] و تدبر قوله: «مسجدى» و لم يقل: مسجد المدينة ليظهر لك جليا أن المسجد إنما شرف بنسبته إلى رسول الله ﷺ، و الحديث صريح فى فضل السفر إلى مسجد الرسول ﷺ و الصلاة فيه، و التبرك بروضته المطهرة بالصلاة فيها و الدعاء، و قراءة القرآن، و الذكر لله سبحانه و تعالى، و ليس فى الحديث صلة بالنهى عن شد الرحال لزيارة القبر كما قد يتبادر إلى بعض العقول القاصرة عن الخوض فى المعانى.

سفر بلال للزيارة النبوية و أذانه بالمدينة المنورة

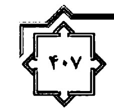
روى ابن عساكر بسند جيد عن أبى الدرداء رضي الله عنه قصة نزول بلال بن رباح بداريا بعد فتح عمر رضي الله عنه بيت المقدس قال: ثم إن بلالا رأى النبى ﷺ و هو يقول له: «**ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورنى؟**» فانتبه حزينا خائفا، فركب راحلته و قصد المدينة فأتى قبر رسول الله ﷺ فجعل يبكى عنده

---

١ . ق: ٣٧

٢ . انتهى من كتاب التوسل و الزيارة للشيخ محمد الفقى مختصرا مهذبا.

٣ . صحيح مسلم، ج٤، ص١٢٦



و مرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن و الحسين فجعل يضمهما و يقبلهما، فقالا: نشتهى نسمع أذانك الذى كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ فى المسجد، فعلا سطح المسجد، و وقف موقفه الذى كان يقف فيه؛ فلما أن قال: «الله أكبر» ارتجت المدينة فلما قال: «أشهد أن لا إله إلا الله» ازدادت رجتها، فلما قال: «أشهد أن محمدا رسول الله»، خرجت العواتق من خدورهن و قالوا: بعث رسول الله فما رؤى يوم أكثر باكيا و لا باكية بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذالك يوم.[1]

قال الحافظ تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى فى كتابه «شفاء السقام فى زيارة خير الأنام» ص٥٢:

الباب الثالث: فيما ورد فى السفر إلى زيارته ﷺ، و ممن روى ذالك عنه من الصحابة بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ سافر من الشام إلى المدينة لزيارة قبره ﷺ. روينا ذالك بإسناد جيد إليه، و هو نص فى الباب، و ممن ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر ؒ بالإسناد الذى سنذكره، و ذكره الحافظ أبو محمد عبد الغنى المقدسى ؒ فى «الكمال» فى ترجمة بلال فقال: و لم يؤذن لأحد بعد النبى ﷺ فيما روى إلا مرة واحدة فى قدمة قدمها المدينة لزيارة قبر النبى ﷺ، طلب إليه الصحابة ذالك، فأذن و لم يتم الأذان، و قيل: إنه أذن لأبى بكر الصديق ؓ فى خلافته، و ممن ذكر ذالك أيضا الحافظ أبو الحجاج المزى، ثم قال السبكى: و ليس اعتمادنا فى الاستدلال بهذا الخبر على رؤيا المنام فقط بل على فعل بلال و هو صحابى لا سيما فى خلافة عمر ؓ و الصحابة متوافرون، و لا يخفى عنهم هذه القصة، و منام بلال و رؤياه للنبى ﷺ الذى لا يتمثل به الشيطان ليس فيه ما يخالف ما ثبت فى اليقظة فيتأكد به فعل الصحابى.

---

١ . تاريخ مدينه دمشق، ج٧، ص١٣٧



التحذير من ترك زيارته ﷺ مع استطاعة ذالك

قال العلامة ابن حجر فى ذالك: و اعلم أنه ﷺ حذرك من ترك زيارته أتم التحذير، و أرشدك إليها بأبلغ بيان و أوضح تقرير، و بين لك من آفاتها ما إن تأملته خشيت على نفسك القطيعة و العواقب حيث ورد: **«من حج و لم يزرني فقد جفاني»**[١] فبين لك أن فى ترك زيارته ﷺ جفاء، و فى البدر المنير: **«من لم يزرني فقد جفاني»** رواه بمعناه ابن السنى، و مر أن معناه: ترك البر والصلة أو غلظ الطبع و البعد عن السخاء، و لابن عدى فى الكامل، و الدارقطني فى غرائب ملاك عن ابن عمر مرفوعا: **«من حج البيت و لم يزرني فقد جفاني»**[٢] قال ابن عدى: لا أعلم من رواه عن ملاك غير النعمان بن شبل و لم أر فى أحاديثه حديثا غريبا قد جاوز الحد فأذكره.

و ليحيى بن الحسين من طريق النعمان بن شبل قال: حدثنا محمد بن الفضل المديني عن جابر عن محمد بن علي عن علي كرم الله وجهه و رضي عنه مرفوعا: **«من زار قبري بعد موتي فكانما زارني في حياتي و من لم يزرني فقد جفاني»**[٣] قوله: المديني يقتضى أنه غير محمد بن الفضل بن عطية الذى كذبوه، لأن ذاك كوفي نزل بخارى، و جابر يحتمل أنه الجعفى و غيره، و محمد بن علي إن كان ابن الحنفية فقد أدرك أباه عليا و إن كان الباقر فهو منقطع، و رواه ابن عساكر من غير هذا الطريق من غير تصريح بالرفع عن علي، ومر أن ذكر حج ليس قيدا فلا مفهوم له و يؤيد ذالك أنه ﷺ جعل فى عدم الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره الجفاء أيضا، فقد صح عن قتادة مرسلا أنه ﷺ قال: **«من الجفاء**

---

١ . شفاء السقام، ص٢٦٢

٢ . الكامل في ضعفاء الرجال، ج٨، ص٢٤٨

٣ . شفاء السقام، ص١١٤



أن أذكر عند رجل فلا يصلى على»[1] و به يعلم أن بين ترك الزيارة مع القدرة عليها و ترك الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره الشريف استواء في الجفاء بمعناه الأول، بل والثاني؛ فيخشى حينئذ على تارك زيارته أن يحصل له من العقوبات و القبائح نظير ما ورد في ترك الصلاة عليه ﷺ، عند سماع ذكره أو مطلقا يكون موصوفا بأوصاف قبيحة شنيعة ككونه شقيا، و كونه راغم الأنف، و كونه مستحقا دخول النار، و كونه بعيدا من الله و رسوله، و كونه مدعوا عليه من جبريل، و من نبينا ﷺ بجميع هذه العقوبات، و بالسحق، و كونه قد أخطأ طريق الجنة و كونه موصوفا بأنه البخيل، كل البخل و كونه لا دين له، و كونه لا يرى وجه نبيه ﷺ، و ذالك لما صح عنه ﷺ أنه قال: **«أحضروا المنبر فحضروا فلما ارتقى ﷺ درجة قال: آمين، ثم ارتقى الثانية قال: آمين، ثم ارتقى الثالثة قال: آمين، فلما نزل ﷺ قلنا: يا رسول الله! قد سمعنا منك اليوم شيئا ما كنا نسمعه فقال ﷺ: إن جبريل عرض لى فقال بعد عن الخير ـ أى هلك ـ من أدرك رمضان فلم يغفر له قلت: آمين، فلما رقيت الثانية قال: بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك قلت: آمين فلما رقيت الثالثة قال: بعد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة قلت: آمين»**[2] و في رواية صححها ابن حبان: **«و من ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله قل آمين فقلت: آمين»**[3] و في أخرى سندهاى حسن **«و رغم أنف من ذكرت عنده فلم يصل عليك قلت: آمين»**[4] و في أخرى **«و أرغم الله أنف رجل إلخ»**[5].

---

١ . المصنف لابن عبد الرزاق، ج٢، ص٢١٧

٢ . مجمع الزوائد، ج١٠، ص١٦٦

٣ . صحيح ابن حبان، ج٢، ص١٤٠

٤ . الجامع لاحكام القران (للقرطبى)، ج١٠، ص٢٤٢

٥ . لم نجده



قوله (بعد) بالضم و حكى الكسر أى هلك، و قوله: (رغم) بكسر ثانية المعجم، و فتحه أى أرغم الله أنفه، أى ألصقه بالرغام و هو التراب، هذا هو الأصل، ثم استعمل فى الذل و العجز، و فى رواية سندها حسن: «**شقى عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت: آمين**»[١]، و فى أخرى عند البيهقى: «**فلما صعدت العتبة الثالثة أى و كان المنبر إذ ذاك ثلاث درج قال يعنى جبريل ﷺ: يا محمد! قلت: لبيك و سعديك قال: من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات و لم يغفر له فدخل النار فأبعده الله، قل آمين فقلت: آمين**»[٢] و فى أخرى فقال: «**إن من ذكرت عنده فلم يصل عليك دخل النار فأبعده الله و أسحقه فقلت: آمين**»[٣]، و فى أخرى: «**من ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله ثم أبعده فقلت: آمين**».[٤]

و روى الديلمى «**أنه من ذكرت عنده فلم يصل عليّ دخل النار**»[٥]، وجاء عنه ﷺ بسند حسن متصل أنه ﷺ قال: «**من ذكرت عنده فنسى الصلاة على أخطأ الجنة**»[٦]. و نسى إما بمعنى ترك عمدا على حد ﴿**كَذٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا**﴾[٧]، أو على بابها، و يحمل على أنه لما سمع بذكره ﷺ تشاغل حتى

---

١ . الادب المفرد للبخارى، ص١٤٠

٢ . شعب الايمان، ج٥، ص٢٣٢

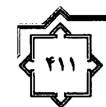
٣ . مجمع الزوائد، ج١٠، ص١٦٥

٤ . مجمع الزوائد، ج١٠، ص١٦٥

٥ . الفردوس بمأثور الخطاب للديلمى، ج٣، ص٦٣٤، بلفظ: «**من ذكرت عِنْده فَلم يصل عَليّ تخطي بِهِ عَن الْجنَّة إِلَى النَّار**».

٦ . المصنف لابن ابى شيبه، ج٧، ص٤٤٣، بلفظ: «**من ذكرت عنده فنسي الصلاة علي خطئ طريق الجنة**»

٧ . طه: ١٢٦



نسي. و محل عدم تكليف الناسى ما لم ينشأ النسيان من تلاهيه و تقصيره و إلا أثم كالعامد، كما قالوه فيمن لعب الشطرنج فنسى الصلاة حتى أخرجها عن وقتها، و جاء عنه ﷺ بسند حسن أو صحيح. أنه قال: «**البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ**»[١] و روى أبو نعيم فى الحلية فى قصة الغزالة المشهورة أنها قالت للنبى ﷺ: مر هذا أن يخليني، حتى أرضع أولادى و أعود قال: إن لم تعودى؟ قالت: إن لم أعد فلعننى الله كمن تذكر بين يديه فلا يصلى عليك»[٢]. و أخرج أبو سعيد من جملة حديث: «**ألئم الناس من إذا ذكرت عنده فلم يصل عليّ**». و جاء عنه ﷺ بسند فيه من لم يسم: «**من لم يصل عليّ فلا دين له**»[٣]. وروى مرفوعا: «**لا يرى وجهى ثلاثة أنفس: العاق لوالديه، و التارك لسنتى، و من لم يصل عليّ إذا ذكرت بين يديه**»[٤] فصلى الله عليه و سلم صلاة و تسليما يليقان بجنابه و عظيم قدره و آله و صحبه.

فقد علم مما مر أن بين ترك الصلاة و ترك الزيارة ﷺ مع القدرة عليها تساويا فى أن كلا منهما جفاء له ﷺ كما نص عليه، و أن جميع هذه الأوصاف القبيحة الشنيعة ثبتت لتارك الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره المبارك يخشى أن يثبت نظيرها لتارك الزيارة كما تقدم فاستحضر ذالك واحفظه و أخبر به من تهاون فى ترك الزيارة مع قدرته عليها لعله يكون حاملا له على التنصل من هذه القبائح، و الرجوع إلى الله سبحانه و تعالى بتركه جفاء نبيه الذى هو وسيلته و وسيلة سائر الخلق إلى ربهم.

---

١ . كنزالعمال، ج١، ص٤٩٠

٢ . لم اعثر به

٣ . امتاع الاسماع، ج١١، ص٧٨، عن ابن مسعود

٤ . لم اعثر به



قال العلامة الشيخ أحمد الحضراوى فى «**نفحات الرضا و القبول لزيارة الرسول** ﷺ»: قال شيخنا المفتى جمال المكى ؒ: و لقد شاهدنا كثيرين تركوا الزيارة مع القدرة عليها فأورثهم الله عز وجل بذالك ظلمة محسوسة ظهرت على وجوههم، و فترة على الخيرات قطعتهم عن عبادة الله سبحانه و تعالى، و شغلتهم بالدنيا إلى أن ماتوا على ذالك، و كثيرين غلبت عليهم مظالم الناس إلى أن منعوا منها قهرا.

تنبيه:

مر أن ذكر الحج فى خبر: «**من حج و لم يزرنى فقد جفانى**»[١] إنما هو لبيان الأولى لأن ترك الزيارة ممن حج و قد قرب من المدينة الشريفة أقبح من تركها ممن لم يحج، و يسن لكل حاج إذا انصرف من حجه مكيا أو غيره أن يزور عقب كل حج، و إن الزيارة تتأكد له حينئذ، و لا ينافى هذا ما تقدم أولا بل يحمل هذا على الأفضل و تركه لا جفاء فيه، بخلاف ترك السنة التى هى الزيارة مثلا من أصلها فإنه جفاء، و الحاصل أن تكرار الزيارة بتكرار الحج هو الأفضل، و أن من لم يكررها بتكريره بأن وجدت منه و لو مرة لا يطلق عليه أنه وجد منه جفاء إلا إن قيل إنه يطلق على ترك الأفضل تجوزا لما مر فى معناه. أما من ترك تكررها لمعارضة ما هو أهم منها كإفادة علم و استفادته، أو جرى على عيال لا يجدون من يقوم عليهم غيره مثلا فلا جفاء هنا بترك تكررها بتكرر الحج لا حقيقة و لا مجازا، فتأمل ذالك فإنه مهم انتهى كلامه.

قال الفاضل ابن حجر ؒ: و لقد رأيت أكثر العوام إذا عاد حاجا و لم يزر النبى ﷺ يعدون أن ذالك نقص و أى نقص، و عار وأى عار و يسلخون عنه

---

١ . شفاءالسقام، ص٢٦٢



اسم الحاج الذى هو أشرف الأوصاف عندهم، و يصير ذالك مثلة فيهم إلى أن يموت، بل و فى أولاده بعد موته، و لقد اشتد من تعبيرهم و تنقيصهم لمن رجع من غير زيارة ما ألجأه إلى الانقطاع فى بيته و عدم الاجتماع بأحد إلى أن خرج مع الحجاج فى العام الثانى فحج وزار و رجع إلى بلده فرحا مسرورا بزوال تلك الوصمة الشنيعة عنه، فتأمل ذالك من العوام تجد أن عظمته ﷺ و عظمة زيارته وقرت فى قلوبهم، و استحكمت فى طباعهم، و كذا تجدهم غير مستقيمين فى معاملتهم ثم يكثرون الزيارة و يؤثرون لأجلها الخروج عن أراضيهم، و دورهم، و معايش أموالهم، و أمتعتهم، حتى إنهم يتداينون الديون البليغة مع حسن ظنهم و يوفى الله سبحانه و تعالى عنهم. و إذا رأيت القوافل حين تخرج من مكة بالزوار أو الركوب فى أوائل كل رجب تجد الأنوار النبوية على وجوههم و لهم بهاء و لهم حنين إلى زيارته ﷺ حتى إن الإنسان يسخى بنفسه وبأهله فى مفارقتهم و زيارة نبيه ﷺ فالرجاء من الله الكريم غافر الذنب و قابل التوب أن يمحص بوائقنا، و بواثقهم ويمحو فرطاتنا و فرطاتهم، و يغفر زلاتنا و زلاتهم، و من نبيّه الرؤوف الرحيم الذى عمت رأفته للحاضر و الباد أن يشفع لنا و لهم إلى ربنا فى تطهير الجميع من المخالفات، و يوفقنا إلى إصلاح الأعمال مع إرسال العبرات أسفا على ما فات إلى الممات، يسّر الله تعالى لنا ذالك، و وفقنا لأفضل المساعى و أشرف المسالك إنه أكرم كريم و أرحم رحيم، و صلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون و غفل عن ذكره الغافلون آمين.

الزيارة النبوية و التوحيد الخالص

الزيارة النبوية فى الحقيقة توحيد خالص، و إيمان صادق لا يشوبه شرك، و لا شبهة شرك، و لا ذرة من شرك، و ذالك لأنها إقرار لصاحب الرسالة محمد بن



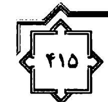
عبد الله بعظيم الفضل، و كمال الإحسان، و تمام المنة و المعروف، و غاية الرتبة في الشرف و العبودية المحضة الصادقة، و هذا هو عين التوحيد، و أما تخيل بعض المحرومين أن منع الزيارة أو السفر إليها من باب المحافظة على التوحيد، و أن ذالك مما يؤدى إلى الشرك فهو تخيل باطل دل على غباوة متخيله و خبالته لأن المؤدى لذالك هو اتخاذ القبور مساجد، و العكوف عليها، و تصوير الصور فيها، كما ورد في الأحاديث الصحيحة، بخلاف الزيارة والسلام و الدعاء و التبرك، و كل عاقل يعلم الفرق بينهما، و يتحقق أن النوع الإنساني إذا فعل ذالك مع المحافظة على آداب الشريعة الغراء لا يؤدى إلى محذور البتة، و أن القائل بمنع ذالك جملة سدا للذريعة متقوّل على الله سبحانه و تعالى، و على رسوله ﷺ. و هنا أمران لا بد منهما، أحدهما: وجوب تعظيم النبي ﷺ و رفع رتبته عن سائر الخلق. الثاني: إفراد الربوبية و اعتقاد أن الرب تبارك و تعالى منفرد بذاته و صفاته و أفعاله عن جميع خلقه، فمن اعتقد في مخلوق مشاركة الباري سبحانه و تعالى في شيء من ذالك فقد أشرك، و من قصر بالرسول ﷺ عن شيء من مرتبته فقد عصى أو كفر، و من بالغ في تعظيمه ﷺ بأنواع التعظيم و لم يبلغ به ما يختص بالباري سبحانه و تعالى فقد أصاب الحق و حافظ على جانب الربوبية و الرسالة جميعا، و ذالك هو القول الذي لا إفراط فيه و لا تفريط، قال الفاضل البوصيري في البردة:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له ... حد فيعرف عنه ناطق بفم

و المعنى يخاطب كل من قصد مدح تلك الحضرة المصطفوية و السدة المحمدية بالرخصة له في سلوك أي أسلوب أراده من أساليب المدح النبوي غير



ما ادعته النصارى فى عيسى عليه السلام؛ فإنه لا يجوز الإقدام عليه لاستلزامه الشرك، بل قل عبد الله و رسوله، واحكم بها شئت مدحا فيه من صفات الكمال، و نعوت الجلال، و سمات الجمال، فانك ذو رخصة فيه ليس عليك من حرج، بل لو بذلت فى ذالك جل طاقتك و جهدك، وجدت فى تحصيله بنفسك لم تحط إلا بالقليل من معانى كماله و نعوت جماله، فإن عظمته ﷺ عظمة قد طاعت لها أعناق الجبابرة، و علو شأن مرتبة قد خضعت لها جباه القياصرة، واركب فى طريق الإطراء عليه جادة الأنصار لا النصارى، واسلك فى الثناء عليه مسلك المهتدين لا الحيارى، و عنه ﷺ: «**لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى و قولوا عبد الله و رسوله**»[1] كيف و قد مدحه الله فى كتابه المجيد، و أثنى عليه فى آيات الذكر و الفرقان العظيم، و أمر عباده بالآداب الظاهرة و الباطنة فى حضرة نبيه المكرم و جعله هاديا مهديا، و قرن اسمه باسمه، و طاعته بطاعته، فقال: ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ**﴾[2] قال ابن الفارض رحمه الله لما قيل له: لم لم تمدح النبى ﷺ:

أرى كل مدح في النبي مقصرا   وإن بالغ المثنى عليه وأكثر
إذ الله أثنى بالذي هو أهله   عليه فما مقدار ما تمدح الورى

قال القاضى عياض فى الشفاء:

فصل:

إذا كانت خصال الكمال و الجلال ما ذكرناه، و وجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت له فى كل عصر إما من نسب، أو جمال، أو قوة،

---

١ . صحيح البخارى، ج٤، ص١٤٢

٢ . النساء: ٨٠



أو علم، أو حلم، أو شجاعة، أو سماحة، حتى يعظم قدره و تضرب باسمه الأمثال، و يتقرر له بالوصف بذالك فى القلوب أثرة و عظمة، و هو منذ عصور خوال رمم بوال، فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد، و لا يعبر عنه مقال، و لا ينال بكسب و لا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة، و الرسالة، و الخلة، و المحبة، و الاصطفاء، و الإسراء، و الرؤية، و القرب، و الدنو، و الوحى، و الشفاعة، و الوسيلة، و الفضيلة، و الدرجة الرفيعة، و المقام المحمود، و البراق، و المعراج و البعث إلى الأحمر و الأسود، و الصلاة بالأنبياء، و الشهادة بين الأنبياء، و الأمم و سيادة ولد آدم، و لواء الحمد، و البشارة و النذارة، و المكانة عند ذى العرش، و الطاعة ثم، و الأمانة و الهداية، و الرحمة للعالمين، و إعطاء الرضاء و السول، و الكوثر، و سماع القول، و إتمام النعمة، و العفو عما تقدم و ما تأخر، و شرح الصدر، و وضع الوزر، و رفع الذكر، و عزة النصر، و نزول السكينة، و التأييد بالملائكة، و إيتاء الكتاب و الحكمة، و السبع المثانى، و القرآن العظيم، و تزكية الأمة، و الدعاء إلى الله تعالى، و صلاة الله و الملائكة، و الحكم بين الناس بما أراه الله، و وضع الإصر و الأغلال عنهم، و القسم باسمه، و إجابة دعوته، و تكليم الجمادات، و العجم، و إحياء الموتى، و إسماع الصم، و نبع الماء من الأصابع، و تكثير القليل، و انشقاق القمر، و رد الشمس، و قلب الأعيان، و النصر بالرعب، و الاطلاع على الغيب، و تظليل الغمام، و تسبيح الحصى، و إبراء الآلام، و العصمة من الناس، إلى ما لا يحويه محتفل، و لا يحيط بعلمه إلا مانحه ذالك و مفضله به لا إله غيره، إلى ما أعد الله تعالى له فى الدار الآخرة من منازل الكرامة، و درجات القدس، و مراتب السعادة و الحسنى و الزيادة التى تقف دونها العقول، و يحار دون أدانيها الوهم انتهى.



نسأل الله الكريم أن يمن علينا بدرة من إقباله، و بسطة من إفضاله، و يبلغنا الآمال بجاه النبى ﷺ و الصحب و الآل.

نصوص أئمة الفقه في استحباب زيارة القبر الشريف

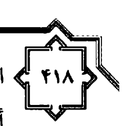
رغب أئمة السلف الصالح فى مشروعية زيارة النبى ﷺ و شد الرحل إلى ذالك ـ و هم أعرف منا بالحقيقة و أقرب إلى صاحب الشريعة و الذين يقتدى بهم و يهتدى بكلامهم فى معرفة أسرار الشريعة و بيان النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية، و إذا كنا لا نثق بهم و لا بفهمهم الصحيح السليم فبمن نقتدى؟ و عمن نأخذ؟ و هم أئمة الدين و ورثة النبى الأمين ﷺ!

و لنستعرض باختصار شديد ما قاله أولئك العلماء الأعلام رضي الله عنهم، و به يظهر للمنصف أن فقهاء الأمة من السلف الصالح اتفقوا على استحباب أو وجوب زيارة المصطفى ﷺ بشد الرحل أو بدونه، و أن من قال بتحريم الزيارة المستوجبة لشد الرحل قد ابتدع و خالف النصوص الصريحة و إطباق فقهاء مذهبه فضلا عن المذاهب الأخرى.

فأولى بأولى النهى ترك الشاذ من القول، و التسليم بالمعروف المشهور الذى أطبقت الأمة على العمل به، و الله المستعان.

عالم المدينة مالك بن أنس:

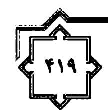
و نبدأ بإمام أهل السنة فى عصره عالم المدينة مالك بن أنس الذى ملأ أطباق الأرض علما، و شدت إليه الرحال، و ضربت إليه أكباد الإبل، و لم يجد الناس عالما أعلم منه، فمواقفه فى التوقير و التعظيم و الاحترام لمآثر النبى ﷺ و مشاهده و مدينته المنورة بما فيها من المسجد النبوى الشريف و سائر الأمكنة



الشريفة، بل و ترابها، فأخباره في ذالك طفحت بها كتب التراجم، فقد اشتهر أنه كان لا يركب بالمدينة و يقول: أستحيي من الله أن أركب في مدينة فيها جثمان رسول الله ﷺ، و كان إذا ذكر النبي ﷺ عنده تغير لونه و انحنى حتى يعصب ذالك على جلسائه، إلى غير ذالك من مواقفه المشهورة في ذالك، بل إن الذي ميزه الله تعالى به من هيبته العظيمة في قلوب جلسائه إنما هو لما كان عليه مالك من عظيم التوقير و التقدير للنبي ﷺ، و قصة مناظرته أبا جعفر المنصور في رفع الصوت في المسجد النبوي، و أمره له باستقبال رسول الله ﷺ عند الدعاء أمام قبره الشريف، و قوله له: إنه وسيلتك و وسيلة أبيك آدم، هذه القصة أشهر من نار على علم.

فمن تحصيل الحاصل إثبات القول بأن مالكا يرى استحباب الزيارة لقبر النبي ﷺ، و هو من هو في ربط قلوب الناس بالنبي ﷺ، و في الحث على التأدب معه، فكيف يعقل أنه يرى عدم زيارته ﷺ الذي هو عين الجفاء و مخالفة ما عليه المسلمون منذ عهد الصحابة الكرام، و خيار التابعين من الحرص على الزيارة لأجل السلام عليه، و التبرك بروضته، و ملامس يديه، و مواطىء قدميه ﷺ.

و قد نسب بعضهم إلى الإمام مالك القول بكراهة الزيارة أو شد الرحال إليها، و هذا جهل و سوء فهم و افتراء على مالك و كذب عليه و تقول عليه بما لم يقله، و الحق الذي لا شك فيه هو أن مالكا لم يقل ذالك و لم يقصد ما يقصده من يكره الزيارة، بل الذي قاله مالك هو كما جاء في النص الذي نقله أبو الوليد محمد بن رشد في (البيان و التحصيل)، قال مالك: أكره أن يقال (الزيارة) لزيارة البيت الحرام، و أكره ما يقول الناس: زرت النبي، و أعظم ذالك أن كون النبي ﷺ يزار.



قال محمد بن رشد: ما كره مالك هذا ـ والله أعلم ـ إلا من وجه أن كلمة أعلى من كلمة، فلما كانت الزيارة تستعمل فى الموتى، و قد وقع فيها من الكراهة ما وقع، كره أن يذكر مثل هذه العبارة فى النبى ﷺ كما كره أن يقال: أيام التشريق، و استحب أن يقال: الأيام المعدودات كما قال الله تعالى، و كما كره أن يقال: العتمة، و يقال: العشاء الأخيرة و نحو هذا، و كذالك طواف الزيارة، استحب أن يسمى بالإفاضة، كما قال تعالى فى كتابه: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ فاستحب أن يشتق له الاسم من هذا[1].

و قيل: إنه كره لفظ الزيارة فى الطواف بالبيت، و المضى إلى قبر النبى ﷺ، لأن المضى إلى قبره عليه الصلاة و السلام ليس ليصله بذالك و لا ينفعه به، و كذالك الطواف بالبيت و إنما يفعل باديه لما يلزمه من فعله، و رغبته فى الثواب على ذالك من عند الله عز وجل، و بالله التوفيق. انتهى كلام ابن رشد.

و جاء فى كتاب «تهذيب المطالب» لعبد الحق الصقلى عن أبى عمران المالكى أنه قال: إنما كره مالك أن يقال: زرنا قبر النبى ﷺ لأن الزيارة من شاء فعلها، و من شاء تركها، و زيارة قبر النبى ﷺ واجبة.

قال عبد الحق: يعنى من السنن الواجبة، ينبغى أن لا تذكر الزيارة فيه كما تذكر فى زيارة الأحياء الذين من شاء زارهم و من شاء ترك، و النبى ﷺ أشرف و أعلى من أن يسمى أنه يزار. اهـ.

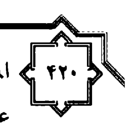
كلام فقهاء المالكية

القاضى عياض:

و قال الإمام الحافظ القاضى أبو الفضل عياض بن موسى ـ و هو من أئمة

---

۱ . البيان و التحصيل لابن رشد ج ۱۸ ص۱۱۹.



المالكية ـ فی کتابه «الشفاء»: و زيارة قبره ﷺ سنة من سنن المسلمين مجمع عليها، و فضيلة مرغب فيها[١] اهـ.

و قال فی شرح حديث: «**إن الإيمان ليأرز إلى المدينة**»:

(فكان كل ثابت الإيمان منشرح الصدر به يرحل إليها، ثم بعد ذالك فی كل وقت إلى زماننا لزيارة قبر النبی ﷺ و التبرك بمشاهده و آثاره و آثار اصحابه الكرام فلا يأتيها إلا مؤمن). هذا كلام القاضی عياض، والله أعلم بالصواب[٢].

أقوال بقية أئمة المالكية:

جاء فی كتاب تهذيب المطالب لعبد الحق الصقلی عن الشيخ أبی عمران المالكی: أن زيارة قبر النبی ﷺ واجبة، قال عبد الحق: يعنی من السنن الواجبة.

و فی كتاب النوادر لابن أبی زيد بعد أن حكی فی زيارة القبور من كلام ابن حبيب و عن المجموعة عن مالك قال؛ يأتی قبور الشهداء بأحد و يسلم عليهم كما يسلم على قبره ﷺ و على ضجيعيه.

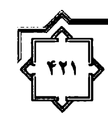
و قال القاضی عياض: قال ابن حبيب: و يقول إذا دخل مسجد الرسول: (بسم الله و سلام على رسول الله، السلام علينا من ربنا، و صلى الله و ملائكته على محمد، اللهم اغفر لی ذنوبی، وافتح لی أبواب رحمتك و جنتك، و احفظنی من الشيطان الرجيم).

قال ابن القاسم: و رأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا، قال: و ذالك رأی، قال الباجی: ففرق بين أهل المدينة و الغرباء، لأن الغرباء قصدوا لذالك، و أهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر و التسليم. انتهى ما حكاه القاضی عياض.

---

١ . الشفا فی التعريف بحقوق المصطفی للقاضی عياض (٢/ ٨٣).

٢ . شرح صحيح مسلم للنووی ٢/ ١٧٧.



وانظر قول الباجى: إن الغرباء قصدوا لذالك، و دلالته على أن الغرباء قصدوا المدينة من أجل القبر و التسليم.

و قال أبو محمد عبد الكريم بن عطاء الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عيسى بن الحسن المالكى فى مناسكه التى التزم فيها مشهور مذهب مالك:

فصل: إذا كمل لك حجك و عمرتك على الوجه المشروع لم يبق بعد ذالك إلا إتيان مسجد رسول الله ﷺ للسلام على النبى ﷺ و الدعاء عنده، و السلام على صاحبيه، و الوصول إلى البقيع، و زيارة ما فيه من قبول الصحابة و التابعين، و الصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ، فلا ينبغى للقادر على ذالك تركه.

و انظر إلى قوله: (إتيان مسجد رسول الله ﷺ للسلام على النبى ﷺ و الدعاء عنده) فهو صريح فى الموضوع.

الإمام أبو حنيفة و أئمة الحنفية

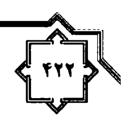
قال فى شرح اللباب: و قد روى الحسن عن أبى حنيفة أنه إذا كان الحج فرضا، فالأحسن للحاج أن يبدأ بالحج ثم يثنى بالزيارة و إن بدأ بالزيارة جاز. اهـ[1].

و قال الإمام المحقق الكمال بن الهمام الحنفى فى شرح «فتح القدير»[2]: المقصد الثالث فى زيارة قبر النبى ﷺ قال مشايخنا رحمهم الله: من أفضل المندوبات، و فى «مناسك الفارسى» و «شرح المختار»: أنها قريبة من الوجوب لمن له سعة.

---

١ . رد المحتار إلى الدر المختار ٢/ ٢٥٧.

٢ . شرح فتح القدير للكمال بن الهمام ٢/ ٣٣٦.



ثم قال بعد كلام ما نصه:

و الأولى فيما يقع عند العبد الضعيف تجريد النية لزيارة قبر النبى ﷺ، ثم إذا حصل له إذا قدم زيارة المسجد، أو يستفتح فضل الله سبحانه فى مرة أخرى ينويهما فيها، لأن فى ذالك زيادة تعظيمه ﷺ و إجلاله. اهـ.

و علق عليه العلامة الكشميرى فقال:

«و هو الحق عندى، فإن آلاف الألوف من السلف كانوا يشدون رحالهم لزيارة النبى ﷺ و يزعمونها من أعظم القربات، و تجريد نياتهم أنها كانت للمسجد دون الروضة المباركة باطل، بل كانوا ينوون زيارة قبر النبى ﷺ قطعا» اهـ[1].

و فى «رد المحتار على الدر المختار» «قوله: مندوبة» أى بإجماع المسلمين كما فى «اللباب»، قوله: «بل قيل واجبة» ذكره فى «شرح اللباب»، و قال: كما بينته فى «الدرة النبوية فى الزيارة المصطفوية» و ذكره الخير الرملى فى حاشية «المنح» عن ابن حجر، قال: وانتصر له[2].

و جاء فى «فتح القدير» أيضا: و لما زار الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه المدينة وقف أمام قبره الشريف ﷺ و قال:

يا أكرم الثقلين يا كنز الورى جُد لي بجودك وارضني برضاكا
أنا طامع في الجود منك ولم يكن لأبي حنيفة في الأنام سواكا

و قد اقتدى فى ذالك بالصحابى الجليل سواد بن قارب حيث قال:

فكن لي شفيعا يوم لا ذو قرابة بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

---

١ . فيض البارى على صحيح البخارى للكشميرى ٢١/ ٤٣٣.

٢ . رد المحتار إلى الدر المختار ٢/ ٢٥٧.



أقوال أئمة الشافعية

الإمام أبو إسحاق الشيرازى:

قال الإمام أبو إسحاق الشيرازى فى كتابه «المهذب»[١]: و يستحب زيارة قبر رسول الله ﷺ لما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: **«من زار قبرى وجبت له شفاعتى»**[٢]، و يستحب أن يصلى فى مسجد رسول الله ﷺ لقوله ﷺ: **«صلاة فى مسجدى هذا تعدل ألف صلاة فيما سواه من المساجد»**[٣]

الإمام النووي:

قال الإمام أبو زكريا محيى الدين بن شرف النووى فى كتابه «المجموع على المهذب»: و اعلم أن زيارة قبر رسول الله ﷺ من أهم القربات و أنجح المساعى، فإذا انصرف الحجاج و المعترفون من مكة استحب لهم استحبابا متأكدا أن يتوجهوا إلى المدينة لزيارته ﷺ، و ينوى الزائر مع الزيارة التقرب و شد الرحل إلى المسجد و الصلاة فيه[٤].

و قال أيضا فى كتابه «المنهاج»: و يسن شرب ماء زمزم، و زيارة قبر رسول الله ﷺ بعد فراغ الحج[٥].

و قال فى الإيضاح مثل ذالك، وزاد: «يستحب إذا توجه إلى زيارته ﷺ أن يكثر من الصلاة و التسليم عليه فى طريقه، فإذا وقع بصره على أشجار

---

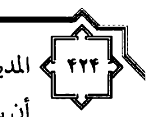
١ . انظر المهذب ضمن المجموع ج ٨ ص٢٧٢.

٢ . سنن الدارقطنى، ج٢، ص٢٤٤، عن ابن عمر

٣ . صحيح البخارى، ج٢، ص٥٧، بلفظ: «خير من الف...»

٤ . المجموع ج ٨ ص٢٧٢.

٥ . المنهاج ضمن شرح المحلى عليه ٢/ ١٢٥، و انظر كتابه الإيضاح فى المناسك ص٤٨٧.



المدينة و حرمها و ما يعرف بها زاد من الصلاة و التسليم عليه ﷺ، و يسأل الله أن ينفعه بزيارته و أن يتقبلها منه»[١].

الإمام المحلي:

و كذالك الإمام جلال الدين محمد بن أحمد المحلى فى شرحه على «المنهاج» أقر على ما كتبه الإمام النووى و قرره و قال: ففى الحديث: «**من حج و لم يزرنى فقد جفانى**» رواه ابن عدى فى «الكامل» و غيره، و روى الدارقطنى[٢] و غيره: «**من زار قبرى وجبت له شفاعتى**»[٣].

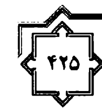
الإمام زكريا الأنصارى، و ابن حجر الهيتمى، و الرملى، و الخطيب الشربينى:

كذالك الإمام شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا الأنصارى فى كتابه «فتح الوهاب على منهج الطلاب»[٤].

و كذالك الإمام الفقيه المحدث شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى فى شرحه على «المنهاج» و قال: و يسن، بل قيل: يجب ـ و انتصر له، و المنازع فى طلبها[٥] ضال مضل ـ زيارة قبر رسول الله ﷺ لكل أحد كما بينت ذالك مع أدلتها و آدابها و جميع ما يتعلق بها فى كتاب حافل لم أسبق إلى مثله سميته: «الجوهر المنظم فى زيارة القبر الشريف النبوى المكرم» و قد صح خبر «**من زارنى و جبت له شفاعتى**» إلخ[٦].

---

١ . الإيضاح فى المناسك للنوى ص٤٨٩.
٢ . سنن الدارقطنى، ج٢، ص٢٤٤
٣ . شرح المحلى على المنهاج ٢/ ١٢٥.
٤ . فتح الوهاب على منهج الطلاب للشيخ زكريا ج ١ ص١٤٩.
٥ . إى زيارة.
٦ . تحفة المحتاج ٤/ ١٤٤.



و كذالك الإمام شمس الدين محمد أبو العباس الرملي في شرحه على «المنهاج نهاية المحتاج»[1].

و كذالك الإمام محمد بن أحمد الخطيب الشربيني في شرحه على المنهاج«مغني المحتاج»[2]، بل قال: فزيارة قبر ﷺ من أفضل القربات و لو لغير حاج و معتمر.

قال الإمام ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي في كتابه «الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم»: اعلم وفقني الله و إياك لطاعته و فهم خصوصيات نبيه ﷺ، و المسارعة إلى مرضاته، أن زيارته ﷺ مشروعة مطلوبة بالكتاب، و السنة، و إجماع الأمة، و بالقياس.

ثم سرد الأدلة من الكتاب و السنة ثم قال:

و أما إجماع المسلمين فقد نقل جماعة من الأئمة حملة الشرع الشريف الذين عليهم المدار و المعول في نقل الخلاف الإجماع عليها، و إنما الخلاف بينهم في أنها واجبة أو مندوبة، و أكثر العلماء من السلف و الخلف على ندبها دون وجوبها.

و على كل من القولين فهي مع مقدماتها من نحو السفر إليها و لو بقصدها فقط دون أن يضم لها قصد اعتكاف أو صلاة بسمجده ﷺ من أهم القربات و أنجح المساعي.

و من ثم قال الحنفية: إنها تقرب من درجة الواجبات.

و قال بعض أئمة المالكية: إنها واجبة، يعني من السنن الواجبة، و يدل لذالك أحاديث صحيحة صريحة لا يشك فيها إلا من انطمس نور بصيرته، و منها قوله ﷺ: **«من زار قبري وجبت له شفاعتي»** و في رواية: «حلت له

---

١ . شرح المنهاج للرملي ج ٣ ص٣١٩.

٢ . مغني المحتاج شرح المنهاج للخطيب الشربيني ج ١ ص٥١٢.



شفاعتی»[1] صححه جماعة من أئمة الحديث.

ثم قال الإمام ابن حجر رحمه الله: ثم هذه الأحاديث كلها إما صريحة و هی الأكثر، أو ظاهرة فی الندب، بل تأكد زيارته ﷺ حيا و ميتا للذكر و الأنثى الآتين من قرب أو بعد، فيستدل بها على فضيلة شد الرحال لذالك، و ندب السفر للزيارة حتى للنساء. اهـ.

تفصيل كلام الإمام النووي الشافعي رضي الله عنه

قال الإمام النووی المتوفی سنة ٦٧٦هـ فی المناسك: الباب السادس فی زيارة قبر مولانا و سيدنا رسول الله ﷺ و شرف و كرم و إلخ.

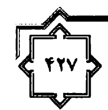
اعلم أن لمدينة رسول الله ﷺ أسماء جمة، و عددها، و ذكر سبب تسميتها، ثم قال: و فی الباب مسائل، الأولى: إذا انصرف الحجاج و المعتمرون من مكة فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله ﷺ لزيارة تربته فإنها من أعظم القربات و أنجح المساعی.

و قد روی البزار، و الدارقطنی بإسنادهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«من زار قبری وجبت له شفاعتی»**[2]، إلى أن قال: ثم يأتی القبر الشريف فيستدبر القبلة، و يستقبل جدار القبر، و يبعد من رأس القبر نحو أربعة إذرع، و يقف ناظرا إلى أسفل ما يستقبله، غاض الطرف فی مقام الهيبة والإجلال، فارغ القلب من علائق الدنيا مستحضرا فی قلبه جلال موقفه و منزلة من هو بحضرته ﷺ؛ ثم يسلم على رسول الله و لا يرفع صوته، و ليقتصر فيقول: السلام عليك يا رسول الله، ثم إن كان أحد قد أوصاه بالسلام

---

١ . شفاء السقام، ص٨١

٢ . سنن الدارقطنی، ج٢، ص٢٤٤



على رسول الله فليقل: السلام عليك من فلان، ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ، و يتوسل به في حق نفسه، و يتشفع به إلى ربه، و من أحسن ما يقوله ما حكاه أصحابنا عن العتبي قال: كنت جالسا عند قبر النبي ﷺ فجاءه أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾[1] الآية، و قد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه — فطاب من طيبهن القاع و الأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه — فيه العفاف و فيه الجود و الكرم

أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته — على الصراط إذا ما زلت القدم

و صاحباك فلا أنساهما أبدا — مني السلام عليكم ما جرى القلم

قال: ثم انصرف فغلبتني عيناي، فرأيت رسول الله ﷺ في النوم فقال: «**يا عتبي! الحق الأعرابي و بشره بأن الله تعالى قد غفر له**».

ثم قال: و يستحب أن يزور قبور الشهداء بأحد، إلى أن قال: و إذا أراد السفر من المدينة استحب أن يودع المسجد بركعتين، و يدعو بما أحب، و يأتي القبر، و يعيد نحو السلام و الدعاء إلخ.

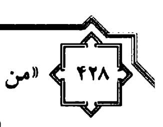
نصوص أئمة الحنابلة في مسألة الزيارة

أبو محمد بن قدامة:

قال الشيخ أبو محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة: و يستحب زيارة قبر النبي ﷺ، لما روى الدارقطني بإسناده عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:

---

١ . النساء:٦٤



«من حج فزار قبری بعد وفاتی فكانما زارنی فی حیاتی»[١].

و فی رواية: «من زار قبری وجبت له شفاعتی»[٢].

رواه باللفظ الأول سعيد حدثنا حفص بن سليمان عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر، و قال أحمد فی رواية عبد الله عن يزيد بن قسيط عن أبی هريرة أن النبی ﷺ قال: «ما من أحد يسلم عليّ عند قبري إلا رد الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام»[٣].

و إذا حج الذی لم يحج قط يعنی من غير طريق الشام لا يأخذ على طريق المدينة لأنی لا أخاف أن يحدث به حدث، فينبغی أن يقصد مكة من أقصر الطرق، و لا يتشاغل بغيره.

و يروی عن العتبی قال: كنت جالسا عند قبر النبی ﷺ فجاء أعرابی فقال: «السلام عليك يا رسول الله! سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[٤] و قد جئتك مستغفرا لذنبی مستشفعا بك إلی ربی ثم أنشد يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه　　فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسی الفداء لقبر أنت ساكنه　　فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابی، فحملتنی عيني فنمت، فرأيت النبی ﷺ فی النوم فقال: يا عتبی! الحق الأعرابی فبشره أن الله قد غفر له. (المغنی لابن قدامة ج ٣ ص٥٥٦).

١و٢ . سنن الدارقطنی، ج٢، ص٢٤٤

٣ . مسند احمد، ج٢، ص٥٢٧، بدون: «عند قبری»

٤ . النساء: ٦٤



أبو الفرج بن قدامة:

قال الشيخ شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن قدامة الحنبلى فى كتابه الشرح الكبير:

(مسألة): فإذا فرغ من الحج استحب زيارة قبر النبى ﷺ، و قبر صاحبيه رضي الله عنهما، اهـ. (الشرح الكبير ج ٣ ص٤٩٥).

ثم ذكر الشيخ ابن قدامة صيغة تقال عند السلام على النبى ﷺ و فيها أن يقول: اللهم انك قلت و قولك الحق: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً**﴾[1] و قد أتيتك مستغفرا من ذنوبى، مستشفعا بك إلى ربى، فأسألك يا رب أن توجب لى المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه فى حياته، اللهم اجعله أول الشافعين، و أنجح السائلين، و أكرم الأولين و الآخرين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

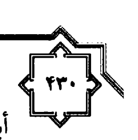
ثم قال: و لا يستحب التمسح بحائط قبر النبى ﷺ و لا تقبيله، قال أحمد رحمه الله: ما أعرف هذا، قال الأثرم: رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون قبر النبى ﷺ، يقومون من ناحية فيسلمون، قال أبو عبد الله: و هكذا كان ابن عمر رضي الله عنهما يفعل، قال: أما المنبر فقد جاء فيه ما رواه إبراهيم بن عبد الله بن عبد القارى أنه نظر إلى ابن عمر فكان يضع يده على مقعد النبى ﷺ من المنبر ثم يضعها على وجهه، اهـ (الشرح الكبير ج ٣ ص٤٩٥).

منصور البهوتي:

قال الشيخ منصور بن يونس البهوتى فى كتابه «**كشاف القناع عن متن الإقناع**»:

---

١. النساء: ٦٤



فصل: و إذا فرغ من الحج استحب له زيارة قبر النبی ﷺ و قبری صاحبيه أبی بكر و عمر رضي الله عنهما لحديث الدارقطنی عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حج فزار قبری بعد وفاتی فكانما زارنی فی حياتی**»[1].

و فی رواية: «**من زار قبری وجبت له شفاعتی**»[2] رواه باللفظ الأول سعيد.

تنبيه: قال ابن نصر الله: لازم استحباب زيارة قبره ﷺ استحباب شد الرحال إليها، لأن زيارته للحاج بعد حجه لا تمكن بدون شد الرحال، فهذا كالتصريح باستحباب شد الرحل لزيارته ﷺ. (كشاف القناع ج ٢ ص٥٩٨).

شيخ الإسلام محمد تقي الدين الفتوحي الحنبلي:

قال الشيخ الفتوحی: و سن زيارة قبر النبی ﷺ و قبر صاحبيه رضي الله عنهما؛ فيسلم عليه مستقبلا له، ثم يستقبل القبلة و يجعل الحجرة عن يساره، و يدعو، و يحرم الطواف بها، و يكره التمسح و رفع الصوت عندها.

الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي:

قال الشيخ مرعی بن يوسف فی كتابه «دليل الطالب»: و سن زيارة قبر النبی ﷺ و قبر صاحبيه رضوان الله عليهما، و تستحب الصلاة فی مسجده ﷺ و هی بألف صلاة، و فی المسجد الحرام بمائة ألف، و فی المسجد الأقصى بخمسمائة. (دليل الطالب ص٨٨).

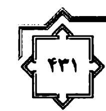
ابن مفلح:

و قال العلامة الفقيه شمس الدين المقدسی محمد بن مفلح فی الفروع: و

---

١ . سنن الدارقطنی، ج٢، ص٢٤٤

٢ . المصدر نفسه



تستحب الصلاة على النبي ﷺ، و زيارة قبره، و قبر صاحبيه، فيسلم عليه مستقبلا له لا للقبلة. (الفروع ج ٣ ص٥٢٣).

زيارة سيدنا عيسى لقبر المصطفى ﷺ

أخرج الحاكم في «المستدرك» من حديث محمد بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن عطاء مولى أم حبيبة قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: **«ليهبطن عيسى ابن مريم حكما عدلا و إماما مقسطا وليسلكن فجا حاجا أو معتمرا، أو بنيتهما، و ليأتين قبري حتى يسلم علي و لأردن عليه»** يقول أبو هريرة: أي بني أخي! إن رأيتموه فقولوا: أبو هريرة يقرئك السلام.[1]

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه بهذه السياقة.

و قال الذهبي في «التلخيص»: صحيح.

قلت: فيقال فيه: هو حديث صححه الحاكم، و سلمه الذهبي[2].

و قد كتب في هذا الحديث أخونا العلامة المحدث الشيخ محمود سيد ممدوح بحثا مفيدا ذكر فيه ما يتعلق بعلة عنعنة ابن إسحاق فقال:

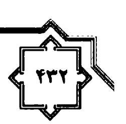
و قد ذكرت في «رفع المنارة» (حديث رقم ٣٣، ص٢٩٢) أن عدم تصريح محمد بن إسحاق بالسماع لا يضر، و لم أزد على ما تقدم.

و ذالك لأن تصحيح الحاكم ثم الذهبي للحديث معناه خلوه مما يقدح في صحته في نظرهما، و هما إماما حافظان، و الحاكم و إن وصف ببعض تساهل، فإن تصحيح الذهبي مما يجبر هذا التساهل.

---

١ . المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٦٥١

٢ . المستدرك للحاكم كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء و المرسلين ـ باب ذكر نبي الله عيسى ٢/ ٦٥١.



و الحاكم و الذهبي ربما اطلعا على ما يجبر عدم تصريح ابن إسحاق بالسماع من متابعات أو شواهد، خاصة و أن لهذا الحديث طرقا كثيرة، و ألفاظا متعددة، بيد أن جماعة من أعيان الحفاظ المتقدمين و المتأخرين يقبلون حديث ابن إسحاق و إن لم يصرح بالسماع، منهم الترمذي و هذا مذهبه. و أيده وانتصر له الحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس في مقدمة «سيرته» المشهورة، و في شرحه على سنن الترمذي.

متابعتان صحيحتان:

المتابعة الأولى:

أخرجها أبو يعلى الموصلي في «مسنده» بإسناد أصح من إسناد الحاكم، و ذالك من حديث حميد بن زياد الخراط أبي صخر، أن سعيد المقبري أخبره أنه سمع أبا هريرة ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**و الذي نفس أبي القاسم بيده لينزلن عيسى ابن مريم...**»[1] فذكره.

و فيه: «**ثم لئن قام على قبري فقال: يا محمد! لأجيبنه**»[2].

قال الشيخ محمود: وحميد بن زياد صدوق من رجال مسلم في «صحيحه»، فهو متابع قوي.

يقول مؤلفه محمد بن علوي: و قد ذكرناه في «المفاهيم» في باب بيان مشروعية الزيارة، و في أنه أخرجه الحافظ ابن حجر في «المطالب العاليه ٤: ٢٣»[3].

---

١ . مسند ابى يعلى، ج١١، ص٤٦٢

٢ . مسند أبي يعلى الموصلي حديث رقم ٦٥٨٦ ج ١١ ص٤٦٢.

٣ . مفاهيم يجب أن تصحح للمؤلف ص٢٦٠.



المتابعة الثانية:

أخرجها ابن النجار فى «الدرة الثمينة» من حديث محمد بن زيد بن المهاجر عن المقبرى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن عيسى ابن مريم...» الحديث. و فيه: «**ولئن سلم عليّ لأردنّ عليه**»[1].

و محمد بن زيد بن المهاجر هو ابن قنفذ، مدنى، ثقة، من رجال مسلم.

فهاتان متابعتان لمحمد بن إسحاق.

و ما وقع من زيادة راو بين سعيد و أبى هريرة فى «المستدرك»، هو من باب المزيد فى متصل الأسانيد، و شرطه التصريح بالسماع من التلميذ، و قد صرح سعيد المقبرى بالسماع من أبى هريرة، كما تقدم فى «مسند أبى يعلى»، و عليه فالحديث صحيح كما قال الحاكم و الذهبى فلله درهما، و الحديث صريح فى شد عيسى ابن مريم الرحل، و السفر لزيارة سيد الأنام عليهما الصلاة و السلام؛ ثم يرد المصطفى عليه السلام، و هذا من كمال أدب الأنبياء مع سيد الأنبياء عليه و عليهم الصلاة والسلام.

الرد على من ضعف الحديث:

و قد تكلم بعضهم فى هذا الحديث و ضعفه بعلل واهية، منها:

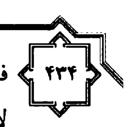
- جهالة عطاء مولى أم حبيبة، و يقال: مولى جهينة.
- عنعنة ابن إسحاق.
- الاختلاف على ابن إسحاق فى إسناده.

قال الشيخ محمود:

و هذه علل واهية بحق، لأن المنتقد لما لم يطلع إلا على طريق ابن إسحاق

---

١ . «الدرة الثمينة فى تاريخ المدينة» لابن النجار بتحقيق الأستاذ حسين شكرى الباب السادس عشر فى ذكر فضل الزيارة النبى ﷺ ص٢١٨.



فقط، علله بهذه العلل، وهی فی الحقيقة ليست بعلل لا فی طريق ابن إسحاق و لا فی طريق غيره.

ـ فعطاء مولی أم حبيبة أو جهينة احتج به النسائی فی «السنن» رقم (۲۲۱۷)، و ما احتج به النسائی فی «سننه» فهو ثقة، كما صرح بذالك الذهبی فی «الموقظة» و هو تابعی. وروی عنه إمام حافظ ثقة هو سعيد المقبری، فيكون عطاء من مستوری التابعين. و حديث المستور من التابعين مقبول كما جاء التنبيه عليه من حفاظ كبار كابن الصلاح فی «مقدمة علوم الحديث»؛ علی أن عطاء هذا لم يقع فی روايتی أبی يعلی و «الدرة الثمينة» كما تقدم، و الأصل فی الحديث سعيد عن أبی هريرة ﵁.

و إدخال شيخ بين التلميذ و شيخه لا يضر، لأنه من المزيد فی متصل الأسانيد.

ـ عنعنة ابن إسحاق، تقدم الجواب عليها.

ـ الاختلاف علی ابن إسحاق فی إسناده.

هذا خاص بطريق ابن إسحاق فقط، و قد رجح أبو زرعة فی «العلل» (۲/ ۴۱۳) طريق الحاكم.

ثم ليس كل اختلاف يعلل به الحديث، فالاختلاف الذی يقدح فی الحديث هو الذی لا يمكن ترجيح أحد وجوهه، أو كان اختلافا بين ثقة و ضعيف.

أما إذا كان اختلافا فی تعيين ثقة من ثقات ـ كهذا الحديث كما يعلم من مراجعة «علل الحديث» لابن أبی حاتم ـ فلا يضر البتة.

و أيضا إذا أمكن ترجيح أحد الوجوه، فلا يضر الاختلاف أيضا، و قد تقدم ترجيح الوجه الذی أخرجه الحاكم، بيد أن هذا الاختلاف علی ابن إسحاق فقط، و قد تقدم أن له متابعين.



فالحديث صحيح، و كلام المعترض لا يقدح فى الحديث لأنه لم يجمع طرق الحديث، و انصب كلامه على طريق واحد فقط، مع وجود طرق أخرى للحديث خالية تماما من أى علل، كما تقدم.

إعتنى السلف بالسلام على النبي ﷺ عند قبره الشريف أصالة و نيابة

قد استفاض عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يبرد البريد من الشام يقول: سلم لى على رسول الله ﷺ.[1]

و صحح أن ابن عمر كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبى ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر الصديق، السلام عليك يا أبتاه.

و فى الموطأ أن ابن عمر رضي الله عنه كان يقف على قبر النبى ﷺ، فيصلى على النبى ﷺ، و على أبى بكر و عمر - رضي الله عنهما -.

و عن ابن القاسم و المقعنبى: و يدعو لأبى بكر و عمر رضي الله عنهما.

و عن ابن عون: سأل رجل نافعا هل كان ابن عمر يسلم على القبر؟ قال: نعم لقد رأيته مائة مرة أو أكثر من مائة مرة، كان يأتى على القبر فيقوم عنده فيقول: السلام على النبى، السلام على أبى بكر، السلام على أبى.

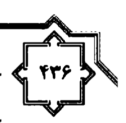
و فى فتوح الشام أن عمر رضي الله عنه قال لكعب الأحبار بعد فتح بيت المقدس: هل لك أن تسير معى إلى المدينة و تزور قبر النبى ﷺ؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، و لما قدم عمر المدينة أول ما بدأ بالمسجد و سلم على رسول الله ﷺ.

جابر بن عبد الله يبكى عند قبر رسول الله ﷺ:

قال البيهقى: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى، أخبرنا حامد بن محمد بن

---

١ . شعب الايمان، ج٦، ص٥٤، بلفظ: «إِذَا أَتَيْتَ الْمَدِينَةَ سَتَرَى قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ»



عبدالله الهروى، حدثنا محمد بن يونس القرشى، حدثنا عبد الله بن يونس بن عبيد، حدثنا أبى عن محمد بن المنكدر أنه قال: رأيت جابرا و هو يبكى عند قبر رسول الله ﷺ و هو يقول: ههنا تسكب العبرات، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما بين قبرى و منبرى روضة من رياض الجنة»** رواه البيهقى فى شعب الإيمان ٨/ ٩٩.

قال المعلق الندوى: إسناده ضعيف، و الحديث أخرجه أحمد فى المسند ٣/ ٣٨٩، و أبو يعلى فى مسنده ٣/ ٣١٩ ـ ٣٢٠ رقم ١٧٨٤، و البزار فى مسنده: (٢/ ٥٧ كشف الأستار) من طريق على بن زيد بن جدعان عن محمد بن المنكدر عن جابر به.

روى أبو حنيفة رحمه الله عن ابن عمر أنه قال: من السنة أن يأتى قبر النبى ﷺ من قبل القبلة و يدخل فى هذا ما رواه أحمد و غيره من وجدان مروان أبا أيوب الأنصارى واضعا وجهه على القبر.

و فى الشفا قال بعضهم: رأيت أنس بن مالك أتى إلى قبر النبى ﷺ فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة، فسلم على النبى ﷺ ثم انصرف.

و للبزار: خرج عمر إلى منبر رسول الله ﷺ، فإذا معاذ بن جبل قائم يبكى عند قبر رسول الله ﷺ فقال: ما يبكيك يا معاذ؟.... الحديث.

و أخرج الحافظ أبو ذر الهروى فى أواخر كتاب السنة له من طريق محمد بن يوسف بن الطباخ، قال: حدثنا مصعب قال: قال الدراوردى: رأيت جعفر بن محمد أى الصادق بن الباقر، جاء فسلم على رسول الله ﷺ ثم انثنى، فسلم على أبى بكر و عمر، فرآنى كانى تعجبت، أو قال: فسرنى أى لإكذابه بذالك ما تزعمه الشيعة من بغضه للشيخين قال: فقال لى: و الله إن هذا الذين أدين الله به، و إنه ما يسرنى أن أقول لمعاوية: أخزاه الله، أو فعل الله به، و أن لى الدنيا!!!.



و أخرج الدارقطنى فى الفضائل عن عبد الله بن جعفر: أن على بن أبى طالب دخل المسجد فبكى حيث نظر إلى بيت فاطمة، فأطال البكاء، ثم انصرف إلى قبر النبى ﷺ، فبكى فأطال البكاء عنده، ثم قال: و عليكما السلام يا أخوى و رحمة الله، قد كنتما هاديين مهديين، خرجتما من الدنيا خميصين، يعنى: أبابكر و عمر.

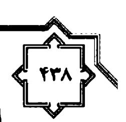
و ذكر ابن عبد البر، و البلاذرى و غيرهما: أن زياد بن أبيه أراد الحج، فأتاه أبوبكرة و هو لا يكلمه، فأخذ ابنه ليخاطبه و يسمع زيادا، فقال: إن أباك فعل وفعل، و إنه يريد الحج و أم حبيبة هناك، فإن أذنت له فأعظم بها مصيبة و خيانة لرسول الله ﷺ، و إن هى حجبته فأعظم بها حجة عليه.

قال البلاذرى: فترك الحج تلك السنة، و قيل: غير ذالك، فلولا أن إتيان المدينة و الزيارة للحاج عندهم مما لا يترك، ما قال أبوبكرة ذالك مع تمكن زياد من الحج على غير طريق المدينة، فإنه كان بالعراق و مكة أقرب إليه.

و فى «الشفاء» قال: إسحاق بن إبراهيم الفقيه: و مما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة، و القصد إلى الصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ، و التبرك برؤية روضته، و منبره و قبره، و مجلسه، و ملامس يديه، و مواطىء قدميه، و العمود الذى يستند إليه، و ينزل جبريل بالوحى فيه عليه، و بمن عمره و قصده من الصحابة و أئمة المسلمين، و الاعتبار بذالك كله.

إرسال السلام بالبريد:

روى البيهقى فى الشعب قال: حدثنا عبد الله بن يوسف الأصفهانى أخبرنى إبراهيم بن فراس بمكة، حدثنى محمد بن صالح الرازى، حدثنا زياد بن يحيى عن حاتم بن وردان أنه قال: كان عمر بن عبد العزيز يوجه بالبريد قاصدا إلى المدينة ليقرىء عنه النبى ﷺ السلام.



أخبرنا أبو سعيد بن أبى عمرو، و أخبرنا أبو عبد الله الصفار، حدثنا ابن أبى الدنيا، حدثنى إسحاق بن حاتم المداينى، حدثنا ابن أبى فديك عن رباح بن بشير عن يزيد بن أبى سعيد المهرى أنه قال: قدمت على عمر بن عبد العزيز إذ كان خليفة بالشام فلما ودعته قال: إن لى إليك حاجة إذا أتيت المدينة سترى قبر النبى ﷺ فأقرئه منى السلام.

قال محمد بن إسماعيل بن أبى فديك فحدثت به عبد الله بن جعفر فقال أخبرنى فلان أن عمر كان يبرد إليه بالبريد من الشام (كذا فى الجامع لشعب الإيمان ج ٨ ص١٠٠ ـ ١٠١).

و ذكر الخفاجي، والملا على قارى فى شرح «الشفا» أنه رواه ابن أبى الدنيا و البيهقى فى «الشعب»، و قال الخفاجى: كان من دأب السلف أنهم يرسلون السلام إلى رسول الله ﷺ، و كان ابن عمر رضي الله عنهما يفعله، و يرسل له عليه الصلاة والسلام، و لأبى بكر، و عمر رضي الله عنهما، و رسول الله ﷺ و إن كان يبلغه سلام من سلم عليه و إن كان بعيدا عنه، لكن فى هذا فضيلة خطابه عنده، ورده ﷺ بنفسه (انظر «نسيم الرياض» للخفاجى ج ٣ ص٥٦. و ذكره الفيروزآبادى فى «الصلات و البشر» ص١٥٣).

و قال الإمام أبوبكر بن عمر بن أبى عاصم التنيل ـ من المتقدمين ـ فى مناسك له التزام فيها الثبوت: و كان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصدا من الشام إلى المدينة ليقرىء النبى ﷺ السلام ثم يرجع.

قلت: و هذا مما استفاض عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

صوت و سلام و أذان يسمع من القبر النبوي

روى الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله الدارمى فى كتابه «السنن» الذى يعتبر من كتب الأصول الحديثية الستة، قال: أخبرنا مروان بن محمد عن سعيد بن عبد



العزيز قال: لما كان أيام الحرة لم يؤذن في مسجد النبي ﷺ ثلاثا و لم يقم، و لم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد و كان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبي ﷺ فذكر معناه، اهـ من سنن الدارمي (ج ١ ص٤٤) و نقله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في احكام تمني الموت من مجموعة مؤلفاته (ج ٣ ص٤٧).

و نقل هذه الرواية الإمام مجد الدين الفيروزآبادي صاحب القاموس في «الصلات و البشر» ص١٥٤، و قال إبراهيم بن شيبان: حججت فجئت المدينة فتقدمت إلى قبر النبي ﷺ فسلمت عليه فسمعت من داخل الحجرة: و عليك السلام.

قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، و أبو سعيد بن أبي عمرو قالا: حدثنا أبو عبد الله الصفار، حدثنا أبوبكر بن أبي الدنيا، حدثني سويد بن سعيد، حدثني ابن أبي الرجال عن سليمان بن سحيم قال: رأيت النبي ﷺ في النوم، قلت: يا رسول الله! هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال: نعم و أرد عليهم. قال المعلق الندوي: إسناده حسن (الجامع لشعب الإيمان ٨/ ١٠٠).

تأييد ابن تيمية لهذه الوقائع

ذكر الشيخ ابن تيمية هذه الوقائع في معرض كلامه عن اتخاذ القبر مسجدا أو وثنا يعبد، ثم قال: و لا يدخل في هذا الباب ما يروى من أن قوما سمعوا رد السلام من قبر النبي ﷺ أو قبور غيره من الصالحين، و أن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرة، و نحو ذالك، اهـ. (اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٧٣).



ثم قال فی موضع آخر: و كذالك ما يذكر من الكرامات و خوارق العادات التی توجد عند قبور الأنبياء و الصالحين مثل نزول الأنوار و الملائكة عندها، و توقی الشياطين و البهائم لها، و اندفاع النار عنها، و عمن جاورها، و شفاعة بعضهم فی جيرانه من الموتی، و استحباب الإندفان عند بعضهم، و حصول الأنس و السكينة عندها، و نزول العذاب بمن استهان بها، فجنس هذا حق ليس مما نحن فيه، و ما فی قبور الأنبياء و الصالحين من كرامة الله و رحمته، و ما لها عند الله من الحرمة و الكرامة فوق ما يتوهمه أكثر الخلق، لكن ليس هذا موضع تفصيل ذالك انتهی من: (اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٧٤).

رأي الإمام الحافظ الحليمی

قال الإمام الحافظ أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمی فی الباب الخامس عشر من «شعب الإيمان»، و هو باب فی تعظيم النبی ﷺ و إجلاله و توقيره، و بعد أن ذكر ما جاء فی التنزيل من وجوب إجلاله، و ما روی عن الصحابة من تعظيمهم و توقيرهم له.

قال: فهذا كان من الذين ورثوا مشاهدته و صحبته، فأما اليوم فمن تعظيمه زيارته ﷺ، فقد جاء عنه ﷺ أنه قال: «**من زارنی بعد وفاتی فكانما زارنی فی حياتی**»[1].

رأي الحافظ بن عساكر

قال الإمام الحافظ أبو اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب المعروف بأبی اليمن ابن عساكر.

---

١ . شعب الإيمان للحافظ الحليمی ١/ ٣٢٠.



و بعد... فهذا مختصر فى زيارة سيدنا سيد البشر رسول الله ﷺ و شرف و عظم و كرم، ألفته تحفة للزائر، و جعلته نحلة من المقيم يتزودها المسافر، إذ كانت زيارة تربته المقدسة المكرمة من أهم القربات، و المثول فى حضرته المعظمة من أنجح المساعى و أكمل الطلبات، و القصد إلى مسجده الشريف من العباد من أوصل الصلات، فإليه تشد الرحال، ولديه تحط الأوزار و تعقد الآمال[١].

رأي الإمام شيخ الإسلام الفيروزآبادي

قال الإمام شيخ الإسلام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى:

و أما حديث: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**»[٢] فلا دلالة فيه على النهى عن الزيارة، بل هو حجة فى ذالك، و من جعله دليلا على حرمة الزيارة فقد أعظم الجرأة على الله و رسوله، و فيه برهان قاطع على غباوة قائله، و قصوره على نيل درجة كيفية الاستنباط و الاستدلال، و الحديث فيه دليل على استحباب الزيارة من وجهين:

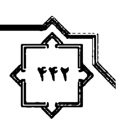
الوجه الأول: أن موضع قبره ﷺ أفضل بقاع الأرض، و هو ﷺ أفضل الخلق و أكرمهم على الله، لأنه لا يقسم بحياة أحد غيره، و أخذ الميثاق من الأنبياء بالإيمان به وبنصره كما فى قوله تعالى: ﴿**وإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكم مِنْ كتاب وحِكمةٍ ثُمَّ جَاءَكم رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكم لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ولَتَنْصُرُنَّهُ**﴾[٣] الآية، و شرفه بفضله على سائر المرسلين، و كرمه بأن ختم به النبيين، و رفع درجته فى عليين، فإذا تقرر أنه أفضل المخلوقين و أن تربته أفضل بقاع الأرض استحب شد الرحال إليه و إلى تربته بطريق الأولى.

---

١. إتحاف الزائر للحافظ أبى اليمن ابن عساكر (مخطوط) ص٣.

٢. صحيح البخارى، ج٢، ص٥٦

٣. آل عمران: ٨١.



الوجه الثانی: أنه يستحب شد الرحال إلى مسجد المدينة و لا يتصور من المؤمنين الخالصين انفكاك قصده عنه ﷺ، و كيف يتصور أن المؤمن المعظم قدر النبی ﷺ، يدخل مسجده، و يشاهد حجرته، و يتحقق أنه يسمع كلامه، ثم بعد ذالك يسعه أن لا يقصد الحجرة و القبر و يسلم على رسول الله ﷺ؟! هذا ما لا خفاء به عند أحد، و كذالك لو قصد زيارة قبر لم ينفك قصده عن المسجد.

و من الدليل: الأحاديث الكثيرة الصحيحة فی فضل زيارة الإخوان فی الله، فزيارة النبی ﷺ أولى و أولى.

و منها: أن حرمته ﷺ واجبة حيا و ميتا، و لا شك أن الهجرة إليه كانت فی حياته من أهم الأشياء، فكذالك بعد موته.

و منها: الأحاديث الدالة على استحباب زيارة القبور، و هذا فی حق الرجال مجمع عليه، و فی حق النساء فيه خلاف، و قد بسطناه فی كتاب «إثارة الشجون لزيارة الحجون»، هذا فی غير قبر النبی ﷺ، و أما زيارة قبره ﷺ فالإجماع على استحبابها للرجال و النساء.

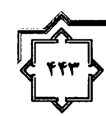
و منها: إن الإجماع على جواز شد الرحال للتجارة و تحصيل المنافع الدنيوية، فهذا أولى لأنه من أعظم المصالح الأخروية.

و منها: إجماع الناس العملی على زيارته ﷺ، و شد الرحال إليه بعد الحج من بعد وفاته إلى زماننا هذا.

و منها: الإجماع القولی، قال أبو الفضل القاضی: زيارة قبره ﷺ سنة من سنن المسلمين مجمع عليها، و أما الآثار فی الباب فكثيره جدا[1].

---

١ . الصلات و البشر فی الصلاة على خير البشر ١٢٧ ـ ١٢٨.



زيارة القبر هي زيارة المسجد في اعتبار الشيخ ابن تيمية

للشيخ ابن تيمية رأى نفيس جاء ضمن كلامه عن الزيارة، فبعد أن تكلم عن بدعية شد الرحل للقبر النبوى المحمدى وحده دون المسجد رجع فقال:

و هذا المعترض و أمثاله جعلوا السفر إلى قبور الأنبياء نوعا من القربة ثم لما رأوا ما ذكره العلماء من استحباب زيارة قبر نبينا ظنوا أن سائر القبور يسافر إليها كما يسافر إليه، فضلوا من وجوه:

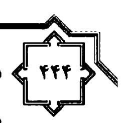
أحدها: أن السفر إليه إنما هو سفر إلى مسجده و هو مستحب بالنص و الإجماع.

الثانى: أن هذا السفر هو للمسجد فى حياة الرسول، و بعد دفنه، و قبل دخول الحجرة، و بعد دخول الحجرة فيه فهو سفر إلى المسجد سواء كان القبر هناك أو لم يكن، فلا يجوز أن يشبه به السفر إلى قبر مجرد.

ثم قال: السادس: أن السفر إلى مسجده ـ الذى يسمى السفر لزيارة قبره ـ هو ما أجمع عليه المسلمون جيلا بعد جيل، و أما السفر إلى سائر القبور فلا يعرف عن أحد من الصحابة و التابعين لهم بإحسان، بل و لا عن أتباع التابعين.

ثم قال: و المقصود أن المسلمين ما زالوا يسافرون إلى مسجده و لا يسافرون إلى قبور الأنبياء كقبر موسى، و قبر الخليل عليهما السلام، و لم يعرف عن أحد من الصحابة أنه سافر إلى قبر الخليل مع كثرة مجيئهم إلى الشام و بيت المقدس، فكيف يجعل السفر إلى مسجد الرسول الذى يسميه بعض الناس زيارة لقبره مثل السفر إلى قبور الأنبياء.

فيستفاد من كلام الشيخ ابن تيمية فائدة مهمة جدا و هى: أنه لا يتصور أبدا أن يشد الزائر رحله قاصدا زيارة القبر وحده، ثم لا يدخل إلى المسجد و يصلى



فيه ليستفيد من بركاته و مضاعفة صلاته و روضة الجنة التى فيه، و يقابله أنـه لا يعقل أبدا أن يشد الزائر رحله قاصدا زيـارة المـسجد وحـده ثـم لا يتوجـه إلـى الزيارة و لا يقف بالقبر الشريف للسلام على النبى ﷺ و صاحبيه رضي الله عنهما.

و لذالك ترى الشيخ يشير فى عبارته إلى هذا المعنى بقوله مثلا:

فكيف يجعل السفر إلى مسجد الرسول الذى يسميه بعض الناس زيارة؟

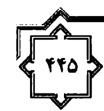
و بقوله: إن السفر إليه إنما هو سفر إلى مسجده.

و بقوله: إن السفر إلى مسجده الذى يسمى السفر لزيارة قبره هو مـا أجمـع عليه المسلمون.

فهذا الرأى الجيد النفيس يحل مشكلة كبرى فرقت بيننا معـشر المـسلمين، و بسببها كفر بعضنا بعضا، و أخرجه عن دائرة الإسلام، و لو سلك من ادعى أنـه متبع للسلف مسلك ابن تيمية إمام السلف فى عصره، و التمس للنـاس العـذر فى مقاصدهم و حسن الظن بهم لسلم جم غفير من دخول النار، و فازوا بالجنة دار القرار.

و هذا هو الحق الذى ندين الله به، و نعتقده بكل صدق، سواء صرحنا به أو لم نصرح، فلو قال الواحد منا: أنا مسافر لزيارة النبى ﷺ أو قـبره؛ فهـو قاصـد فى الجملة مسجده الشريف، و لو قال: أنا مسافر لزيارة المسجد فهو قاصـد فـى الجملة القبر، غاية ما فى الأمر أنه فاته التصريح بكل ما يقصده و ينويه للارتباط الوثيق بين المسجد و القبر الذى هو فـى الحقيقـة عبـارة عـن قـصد النبـى ﷺ ذاته ﷺ، لأن المسافر لزيارة القبر هو مسافر فى الحقيقة إلى النبى ﷺ.

أما القبر حقيقة فلا يقـصده و لا يتوجـه إليـه مـسافر، و نحـن إنـما نتوجـه إليه ﷺ، و نشد رحالنا لزيارته هو، و نتقرب إلى الله بتلـك الزيـارة، و لـذالك فالواجب على المسلمين الزائرين أن يصححوا ألفاظهم ابتعـادا عـن الـشبهة، و



يقولوا: نحن نزور رسول الله ﷺ، و نشد الرحل إلى رسول الله ﷺ، و من هنا قال مالك: أكره للرجل أن يقول: زرت قبر الرسول ﷺ.

و فسره العلماء من أئمة المالكية بأن ذالك من الأرب فى التعبير اللفظى، و لو كان المسافر لزيارة القبر لا يقصد إلا زيارة القبر فقط لما رأيت هذا الازدحام الشديد على الروضة المشرفة، و لما رأيت الناس يتسابقون و يتدافعون عند فتح أبواب المسجد النبوى حتى ليكاد يقتل بعضهم بعضا، و هؤلاء الذين يحرصون على الصلاة فى المسجد و المسابقة إلى الروضة هم الذين جاؤوا لزيارة محمد بن عبد الله ﷺ و شدوا رحالهم إليها.

تحقيق مفيد

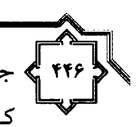
تحقيق العلامة الشيخ عطية محمد سالم صاحب تكملة أضواء البيان

و قد ذكر هذه المسألة العلامة الشيخ عطية محمد سالم القاضى بالمدينة المنورة فى كتابه الذى تم به التفسير المشهور المسمى بأضواء البيان للعلامة المفسر الشيخ محمد الأمين الشنقيطى فقال:

و أعتقد أن هذه المسألة لولا نزاع معاصرى شيخ الإسلام معه فى غيرها لما كان لها محل و لا مجال.

ولكنهم وجدوها حساسة، و لها مساس بالعاطفة و محبة رسول الله ﷺ، فأثاروها و حكموا عليه بالالتزام أى بلازم كلامه حينما قال:

لا يكون شد الرحال لمجرد الزيارة، بل تكون للمسجد من أجل الزيارة عملا بنص الحديث، فتقولوا عليه ما لم يقله صراحة، و لو حمل كلامه على النفى بدلا من النهى لكان موافقا أى لا يتأتى ذالك لأنه رحمه الله لم يمنع زيارته ﷺ و لا السلام عليه، بل يجعلها من الفضائل و القربات، و إنما يلتزم بنص الحديث فى



جعل شد الرحال إلى المسجد و لكل شيء، و منه السلام على رسول الله ﷺ كما صرح بذالك فى كتبه. اهـ. (كلام الشيخ عطية فى أضواء البيان ٨/ ٥٨٦).

ثم نقل من نصوص كلام ابن تيمية ما نقلناه عنه، ثم قال: فدل كلامه رحمه الله أن زيارة القبر و الصلاة فى المسجد مرتبطان، و من ادعى انفكاكهما عمليا فقد خالف الواقع، و إذا ثبت الرابطة بينهما انتفى الخلاف، وزال موجب النزاع و الحمد لله رب العالمين.

و صرح فى موضع آخر (ص ٣٥٦) فى قصر الصلاة فى السفر لزيارة قبور الصالحين عن أصحاب أحمد أربعة أقوال: الثالث منها: تقصر إلى قبر نبينا عليه الصلاة والسلام. (أضواء البيان ٨/ ٥٩٠).

ثم قال الشيخ عطية: و هذا غاية فى التصريح منه رحمه الله أنه لا انفكاك من حيث الواقع بين الزيارة و الصلاة فى المسجد عند عامة العلماء.

ثم قال فى حق الجاهل: و أما من لم يعرف هذا فقد لا يقصد إلا السفر إلى القبر، ثم إنه لا بد أن يصلى فى مسجده فيثاب على ذالك، و ما فعله و هو منهى عنه، و لم يعلم أنه منهى عنه لا يعاقب فيحصل أجر و لا يكون عليه وزر. (انظر أضواء البيان ج ٨ ص ٥٩٠).

و به يظهر لك أن قاصد القبر على كل حال ليس بمحروم من الأجر و الثواب، فهل يقال فى حقه: إنه مبتدع أو ضال أو مشرك؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

زيارة النبي ﷺ من أفضل الأعمال في رأي الإمام ابن القيم

قال الشيخ ابن القيم فى قصيدته المشهورة بالنونية

فإذا أتينا المسجد النبوى صلينا التحية أولا ثنتان



بـتمام أركـان لهـا و خـشوعها وحضور قلب فعل ذي الإحسان
ثـم انثنينـا للزيـارة نقـصد القبر الشريف و لو على الأجفان
فنقـوم دون القبر وقفـة خاضـع متـذلل فـى الـسر و الإعـلان
فكانـه فـى القـبر حـى نـاطق فـالواقفون نـواكس الأذقـان
ملكـتهم تلـك المهابـة فـاعترت تلـك القـوائم كثـرة الرجفـان
و تفجـرت تلـك العيـون بمائهـا و لطالما غاضـت علـى الأزمـان
و أتـى المـسلم بالـسلام بهيبـة و وقـار ذى علـم و ذى إيـمان
لم يرفع الأصوات حـول ضريحـه كـلا و لم يـسجد علـى الأذقـان
كـلا و لم يـر طائفـا بـالقبر أسـبوعا كـان القـبر بـين ثـان
ثـم انثنـى بدعائـه متوجهـا لله نحـو البيـت ذى الأركـان
هـذى زيـارة مـن غـدا متمـسكا بـشريعة الإسـلام و الإيـمان
من أفضل الأعمال هاتيـك الزيـا رة و هى يوم الحشر فـى الميـزان

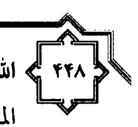
(القصيدة النونية لابن القيم ص١٨١).

كلام الشيخ الإمام ابن حجر المكي في الزيارة

قال الإمام ابن حجر المكى الشافعى فى كتابه «الجوهر المنظم فى زيارة القبر الشريف النبوى المكرم»:

اعلم وفقنى الله و إياك لطاعته و فهم خصوصيات نبيه ﷺ و المسارعة إلى مرضاته، أن زيارته ﷺ مشروعة مطلوبة بالكتاب، و السنة، و إجماع الأمة، و بالقياس.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا



الله وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[1] دلت على حث الأمة على المجيء إليه ﷺ، و الاستغفار عنده، و استغفاره لهم، و هذا لا ينقطع بموته.

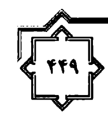
و دلت أيضا على تعليق وجدانهم الله توابا رحيما بمجيئهم و استغفارهم، و استغفار الرسول لهم.

فأما استغفاره ﷺ فهو حاصل لجميع المؤمنين بنص قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبك وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[2]، و صح في مسلم عن بعض الصحابة أنهم فهموا من الآية ذالك، فإذا وجد مجيئهم و استغفارهم فقد تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى و رحمته، و ليس في الآية ما يعين تأخر استغفار الرسول ﷺ عن استغفارهم، بل هي محتملة، و المعنى يؤيد أنه لا فرق بين تقدمه و تأخره، فإن القصد إدخالهم لمجيئهم و استغفارهم تحت ما يشمله استغفار النبي ﷺ، هذا إن جعلنا ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ عطفا على ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ﴾ أما إن جعلناه عطفا على (جاءوك) فلا يحتاج لذالك، كما أنا إذا قلنا: إن استغفاره ﷺ لأمته لا يتقيد بحال حياته، كما دلت عليه الأحاديث الآتية، فلا يضره عطفه على ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ﴾ إذا أمكن استغفاره لأمته بعد موته، و قد علم كمال شفقته و رحمته عليهم، فمعلوم أنه لا يترك ذالك لمن جاءه مستغفرا ربه سبحانه و تعالى، و حينئذ ثبت على كل تقدير أن الأمور الثلاثة المذكورة في الآية حاصلة لمن يجيء إليه ﷺ مستغفرا في حياته و بعد وفاته، و الآية الكريمة و إن وردت في قوم معينين في حال الحياة، تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذالك الوصف في الحياة و بعد الممات، و لذالك فهم العلماء منها العموم للجائين، و استحبوا لمن أتى قبره ﷺ أن يقرأها مستغفرا لله تعالى كما

---

١ . النساء: ٦٤

٢ . محمد: ١٩



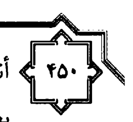
يأتى ذالك مع حكاية العتبى التى ذكرها المصنفون فى المناسك من جميع المذاهب و المؤرخون، و كلهم استحبوها للزائر، و رأوها من آدابه التى يسن له فعلها، و يستفاد من وقوع جاؤوك فى حيز الشرط الدال على العموم أن الآية الكريمة طالبة للمجيء إليه من بعد و من قرب، بسفر و بغير سفر، و قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[1] و لا شك عند من له أدنى مسكة من ذوق العلم أن من خرج لزيارة رسول الله ﷺ يصدق عليه أن خرج مهاجرا إلى الله و رسوله لما يأتى أن زيارته ﷺ بعد وفاته كزيارته فى حياته، و زيارته فى حياته داخلة فى الآية الكريمة قطعا، فكذا بعد وفاته بنص الأحاديث الشريفة الآتية، و أما السنة فما يأتى من الأحاديث.

و أما القياس: فقد جاء أيضا فى السنة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور، فقبر نبينا محمد ﷺ منها أولى و أحرى و أحق و أعلى، بل لا نسبة بينه و بين غيره، و أيضا فقد ثبت أنه ﷺ زار أهل البقيع، و شهداء أحد، فقبره الشريف أولى لما له من الحق و وجوب التعظيم، و ليست زيارته ﷺ إلا لتعظيمه و التبرك به، ولينالنا عظيم الرحمة و البركة بصلاتنا و سلامنا عليه ﷺ عند قبره الشريف بحضرة الملائكة الحافين به ﷺ.

و أما إجماع المسلمين؛ فقد نقل جماعة من الأئمة حملة الشرع الشريف الذين عليهم المدار و المعول فى نقل الخلاف الإجماع عليها، و إنما الخلاف بينهم فى أنها واجبة أو مندوبة، و أكثر العلماء من السلف و الخلف على ندبها دون وجوبها، و على كل من القولين فهي مع مقدماتها من نحو السفر إليها و لو بقصدها فقط دون أن يضم لها قصد اعتكاف أو صلاة بمسجده ﷺ من أهم القربات و

---

۱ . النساء:۱۰۰



أنجح المساعى، و من ثم قال الحنفية: إنها تقرب من درجة الواجبات، و قال بعض أئمة المالكية: إنها واجبة، قال غيره منهم: يعنى من السنن الواجبة، و يدل لذالك أحاديث صحيحة صريحة و لا يشك فيها إلا من انطمس نور بصيرته، منها قوله ﷺ:«**من زار قبرى وجبت له شفاعتى**»[1]. و فى رواية: «**حلت له شفاعتى**» صححه جماعة من أئمة الحديث.

ثم قال الإمام ابن حجر رحمه الله: ثم هذه الأحاديث كلها إما صريحة و هى الأكثر، أو ظاهرة فى ندب، بل تأكد زيارته ﷺ حيا و ميتا للذكر و الأنثى الآتيين من قرب أو بعد، فيستدل بها على فضيلة شد الرحال لذالك، و ندب السفر للزيارة حتى للنساء.

رأي الإمام الحافظ الذهبي في شد الرحل لزيارة النبي ﷺ

عن حسن بن حسن بن على أنه رأى رجلا وقف على البيت الذى فيه قبر النبى ﷺ يدعو له و يصلى عليه، فقال للرجل: لا تفعل فإن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا بيتى[2] عيدا، و لا تجعلوا بيوتكم قبورا، و صلوا عليّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغنى**»[3].

هذا مرسل، و ما استدل حسن فى فتواه بطائل من الدلالة، فمن وقف عند الحجرة المقدسة ذليلا مسلما مصليا على نبيه، فيا طوبى له فقد أحسن الزيارة، و أجمل فى التذلل و الحب، و قد أتى بعبادة زائدة على من صلى عليه فى أرضه أو فى صلاته، إذ الزائر له أجر الزيارة و أجر الصلاة عليه، و المصلى عليه فى سائر

---

١ . سنن الدارقطنى، ج٢، ص٢٤٤

٢ . هذا لفظ الذهبى و المشهور «**لا تجعلوا قبرى عيدا**».

٣ . مسند البزار، ج٢، ص١٤٧



البلاد له أجر الصلاة فقط، فمن صلى عليه واحدة صلى الله عليه عشرا، و لكن من زاره ـ صلوات الله عليه ـ و أساء أدب الزيارة، أو سجد للقبر، أو فعل ما لا يشرع، فهذا فعل حسنا و سيئا فيُعلَّم برفق والله غفور رحيم، فوالله ما يحصل الانزعاج لمسلم، و الصياح و تقبيل الجدران و كثرة البكاء إلا و هو محب لله و لرسوله، فحبه المعيار، و الفارق بين أهل الجنة و أهل النار، فزيارة قبره من أفضل القرب، و شد الرحال إلى قبور الأنبياء و الأولياء لئن سلمنا أنه غير مأذون فيه لعموم قوله صلوات الله عليه: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**»[1] فشد الرحال إلى نبينا ﷺ مستلزم لشد الرحل إلى مسجده، و ذالك مشروع بلا نزاع، إذ لا وصول إلى حجرته إلا بعد الدخول إلى مسجده، فليبدأ بتحية المسجد ثم بتحية صاحب المسجد رزقنا الله و إياكم ذالك آمين. (سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨٣ ـ ٤٨٥).

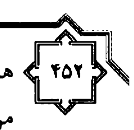
كلام الكرماني في الزيارة

قال الشيخ الإمام محمد بن يوسف الكرماني فى بيان قوله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا**».... و الاستثناء مفرغ، فإن قلت: فتقدير الكلام لا تشد الرحال إلى موضع أو مكان فيلزم أن لا يجوز السفر إلى مكان غير المستثنى حتى لا يجوز السفر لزيارة إبراهيم الخليل ﷺ و نحوه لأن المستثنى منه فى المفرغ لا بد أن يقدر أعم العام.

قلت: المراد بأعم العام ما يناسب المستثنى نوعا و وصفا كما إذا قلت: ما رأيت إلا زيدا، كان تقديره: ما رأيت رجلا أو أحدا إلا زيدا لا ما رأيت شيئا أو حيوانا إلا زيدا، فههنا تقديره: «**لا تشد إلى مسجد إلا إلى ثلاثة**» و قد وقع فى

---

١ . صحيح البخارى، ج٢، ص٥٦



هذه المسألة فى عصرنا مناظرات كثيرة فى البلاد الشامية، و صنف فيها رسائل من الطرفين لسنا الآن لبيانها.

قوله: «المسجد الحرام» بدل من ثلاثة، و فى بعضها بالرفع خبر مبتدأ محذوف، و اللام فى (الرسول) للعهد عن سيدنا محمد ﷺ، و فى العدول عن (مسجدى) إلى مسجد الرسول تعظيم مع الإشعار بعلة التعظيم كقول الخليفة: أمير المؤمنين يرسم لك بكذا مكان أنا أرسم لك بكذا.

قوله: «المسجد الأقصى» وصف به لبعد ما بينه و بين المسجد الحرام، و قيل: لأنه أقصى موضع من الأرض ارتفاعا و قربا إلى السماء.

الزمخشرى: (المسجد الأقصى) بيت المقدس، لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد، و اعلم أن المسجد الحرام يطلق و يراد به إما الكعبة، قال تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[1]، و إما مكة، قال تعالى: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾[2]، و إما الحرم كله، قال تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[3]، و إما نفس المسجد، و هو المراد فى الحديث.

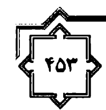
الخطابى: «لا تشد» لفظه خبر و معناه الإيجاب فيما نذر الإنسان من الصلاة فى البقاع التى يتبرك بها أى لا يلزم الوفاء بشىء من ذالك حتى يشد الرحل له، و يقطع المسافة إليه، غير هذه الثلاثة التى هى مساجد الأنبياء صلوات الله عليهم، فأما إذا نذر الصلاة فى غيرها من البقاع فإن له الخيار فى أن يأتيها أو يصليها فى موضعها لا يرحل إليها، قال: و الشد إلى المسجد الحرام فرض للحج و العمرة، و كان يشد إلى مسجد رسول الله ﷺ فى حياته للهجرة، و

---

١. البقره: ١٤٤

٢. الاسراء: ١

٣. التوبه: ٢٨



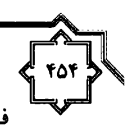
كانت واجبة على الكفاية، و أما إلى بيت المقدس فإنما هو فضيلة و استحباب، و قد يؤول معنى الحديث على وجه آخر، و هو أنه لا يرحل فى الاعتكاف إلا إلى هذه الثلاثة، و قد ذهب بعض السلف إلى أن الاعتكاف لا يصح إلا فيها دون سائر المساجد.

النووى: فى الحديث فضيلة هذه المساجد، و قال الشيخ أبو محمد الجوينى: يحرم شد الرحال إلى غيرها كالذهاب إلى قبور الصالحين و نحوه، و الصحيح أنه لا يحرم و لا يكره، قالوا: و المراد أن الفضيلة التامة إنما هى فى شد الرحال إلى الثلاثة خاصة. اهـ (صحيح البخارى بشرح الكرمانى ج ٧ ص١٢).

الحافظ ابن حجر العسقلاني و الزيارة

قال الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى فى شرحه لحديث: «**لا تشد الرحال**»:

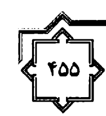
قال الكرمانى: وقع فى هذه المسألة فى عصرنا فى البلاد الشامية مناظرات كثيرة، وصنف فيها رسائل من الطرفين، قلت: يشير إلى ما رد به الشيخ تقى الدين السبكى و غيره على الشيخ تقى الدين بن تيمية، و ما انتصر به الحافظ شمس الدين بن عبد الهادى و غيره لابن تيمية، و هى مشهورة فى بلادنا، و الحاصل: أنهم ألزموا ابن تيمية بتحريم شد الرحل إلى زيارة قبر سيدنا رسول الله ﷺ و انكرنا صورة ذالك، و فى شرح ذالك من الطرفين طول، و هى من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية، و من جملة ما استدل به على دفع ما ادعاه غيره من الإجماع على مشروعية زيارة قبر النبى ﷺ ما نقل عن مالك أنه كره أن يقال: زرت قبر النبى ﷺ.



و قد أجاب عنه المحققون من أصحابه: بأنه كره اللفظ أدبا لا أصل الزيارة فإنها من أفضل الأعمال و أجل القربات الموصلة إلى ذى الجلال، و إن مشروعيتها محل إجماع بلا نزاع، و الله الهادى إلى الصواب.

قال بعض المحققين قوله: **«إلا إلى ثلاثة مساجد»** المستثنى منه محذوف، فإما أن يقدر عاما فيصير: لا تشد الرحال إلى مكان فى أى أمر كان إلا إلى الثلاثة، أو أخص من ذالك، لا سبيل إلى الأول لإفضائه إلى سد باب السفر للتجارة، و صلة الرحم، و طلب العلم، و غيرها، فتعين الثانى، و الأولى أن يقدر ما هو أكثر مناسبة و هو: لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه إلا إلى الثلاثة، فيبطل بذالك قول من منع شد الرحال إلى زيارة القبر الشريف و غيره من قبور الصالحين و الله أعلم.

و قال السبكى الكبير: ليس فى الأرض بقعة لها فضل لذاتها حتى تشد الرحال إليها غير البلاد الثلاثة، و مرادى بالفضل ما شهد الشرع باعتباره، و رتب عليه حكما شرعيا، و أما غيرها من البلاد فلا تشد إليها لذاتها بل لزيارة أو جهاد أو علم أو نحو ذالك من المندوبات أو المباحات، قال: و قد التبس ذالك على بعضهم، فزعم أن شد الرحال إلى الزيارة لمن فى غير الثلاثة داخل فى المنع ـ و هو خطأ ـ لأن الاستثناء إنما يكون من جنس المستثنى منه، فمعنى الحديث: لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد أو إلى مكان من الأمكنة لأجل ذالك المكان إلا إلى الثلاثة المذكورة، و شد الرحال إلى زيارة أو طلب علم ليس إلى المكان، بل إلى من فى ذالك المكان، و الله أعلم. اهـ. (فتح البارى كتاب فضل الصلاة فى مكة و المدينة ص٦٦ ج ٣).



كلام الإمام العيني في الزيارة

قال الإمام العلامة بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العينى فى شرحه على البخارى المسمى بعمدة القارى، عند الكلام على حديث «**لا تشد الرحال**» و حكى الرافعى عن القاضى ابن كج أنه قال: إذا نذر أن يزور قبر النبى ﷺ فعندى أنه يلزمه الوفاء وجها واحدا، قال: و لو نذر أن يزور قبر غيره ففيه و جهان عندى، و قال القاضى عياض، و أبو محمد الجوينى من الشافعيه: إنه يحرم شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة لمقتضى النهى، و قال النووى و هو غلط، و الصحيح عند أصحابنا و هو الذى اختاره إمام الحرمين، و المحققون أنه لا يحرم و لا يكره، و قال الخطابى: (لا تشد) لفظه خبر و معناه الإيجاب فيما نذره الإنسان من الصلاة فى البقاع التى يتبرك بها، أى لا يلزم الوفاء بشىء من ذالك حتى يشد الرحل له، و يقطع المسافة إليه غير هذه الثلاثة التى هى مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فأما إذا نذر الصلاة فى غيرها من البقاع فإن له الخيار فى أن يأتيها أو يصليها فى موضعه لا يرحل إليها، قال: و الشد إلى المسجد الحرام فرض للحج و العمرة، و كانت تشد الرحال إلى مسجد رسول الله ﷺ فى حياته للهجرة، و كانت واجبة على الكفاية، و أما إلى بيت المقدس فإنما هو فضيلة و استحباب، و أوّل بعضهم معنى الحديث على وجه آخر و هو: أن لا يرحل فى الاعتكاف إلا إلى هذه الثلاثة، فقد ذهب بعض السلف إلى أن الاعتكاف لا يصح إلا فيها دون سائر المساجد، و قال شيخنا زين الدين: من أحسن محامل هذا الحديث أن المراد منه حكم المساجد فقط، و أنه لا يشد الرحل إلى مسجد من المساجد غير هذه الثلاثة فأما قصد غير المساجد من الرحلة فى طلب العلم، و فى التجارة، و التنزه، و زيارة الصالحين، و المشاهد، و زيارة



الإخوان و نحو ذالك، فليس داخلا فى النهى، و قد ورد ذالك مصرحا بـه فـى بعض طرق الحديث فى مسند أحمد: حدثنا هاشم حدثنا عبـد الحميـد، حـدثنى شهر سمعت أبا سعيد الخدرى ﷺ، و ذكر عنده صلاة فى الطـور فقـال قـال رسول الله ﷺ: «**لا ينبغي للمطي أن يشد رحاله إلى مسجد يبتغى فيـه الـصلاة غير المسجد الحرام و المسجد الأقصى و مسجدى هذا**»[1] و إسناده حسن، و شـهر بن حوشب و ثقه جماعة من الأئمة. اهـ (عمدة القارى ص٢٥٤ ج ٧).

الإمام الشوكاني و الزيارة النبوية

قال الإمام العلامة الشيخ محمد بن على الشوكانى فى كتابه «نيل الأوطار»: و قد اختلفت فيها أقوال أهل العلم، فذهب الجمهور إلى أنها مندوبـة، و ذهـب بعض المالكية و بعض الظاهرية إلى أنها واجبة، و قالت الحنفيـة إنهـا قريبـة مـن الواجبات، و ذهب ابن تيمية الحنبلى المعـروف بـشيخ الإسـلام إلـى أنهـا غـير مشروعة، و تبعه على ذالك بعض الحنابلة، وروى ذالك عن مالك، و الجوينى، و القاضى عياض.

أدلة القائلين بالندب:

١ ـ احتج القائلون بأنها مندوبة بقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُـوا أَنْفُـسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ**﴾[2] الآية.

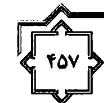
و وجه الاستدلال بها أنه ﷺ حى فـى قـبره بعـد موتـه كـما فـى حـديث: «**الأنبياء أحياء فى قبورهم**»[3] و قد صححه البيهقى، و ألف فى ذالك جزءا.

---

١ . مسند احمد، ج٣، ص٦٤

٢ . النساء: ٦٤

٣ . حياة الأنبياء صلوات الله عليهم بعد وفاتهم، ص٦٩



قال الأستاذ أبو منصور البغدادی: قال المتكلمون المحققون من أصحابنا: إن نبينا ﷺ حی بعد وفاته. اهـ.

و يؤيد ذالك ما ثبت أن الشهداء أحياء يرزقون فی قبورهم، و النبی ﷺ منهم، و إذا ثبت أنه حی فی قبره كان المجیء إليه بعد الموت كالمجیء إليه قبله، و لكنه قد ورد أن الأنبياء لا يتركون فی قبورهم فوق ثلاث، و روی فوق أربعين، فإن صح ذالك قدح فی الاستدلال بالآية، و يعارض القول بدوام حياتهم فی قبورهم ما سيأتی من أنه ﷺ ترد إليه روحه عند التسليم عليه، نعم حديث «**من زارنی بعد موتی فكانما زارنی فی حياتی**»[1] الذی سيأتی إن شاء الله تعالی إن صح فهو الحجة فی المقام.

٢ ـ و استدلوا ثانيا بقوله تعالی: ﴿**وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾[2] الآية. و الهجرة إليه فی حياته الوصول إلی حضرته، كذالك الوصول بعد موته و لكنه لا يخفی أن الوصول إلی حضرته فی حياته فيه فوائد لا توجد فی الوصول إلی حضرته بعد موته، منها: النظر إلی ذاته الشريفة، و تعلم احكام الشريعة منه، و الجهاد بين يديه، و غير ذالك.

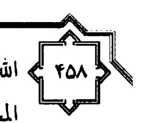
و استدلوا ثالثا بالأحاديث الواردة فی ذالك، منها الأحاديث الواردة فی مشروعية زيارة القبور علی العموم، و النبی ﷺ داخل فی ذالك دخولا أوليا، و قد تقدم ذكرها فی الجنائز، و كذالك الأحاديث الثابتة من فعله ﷺ فی زيارتها، و منها أحاديث خاصة بزيارة قبره الشريف.

أخرج الدارقطنی عن رجل من آل حاطب عن حاطب قال: قال رسول

---

١ . سنن الدارقطنی، ج٢، ص٢٤٤

٢ . النساء: ١٠٠



الله ﷺ: «**من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي**»[1]، و في إسناده الرجل المجهول.

و عن ابن عمر عند الدارقطني أيضا قال: قال فذكر نحوه، ورواه أبو يعلى في مسنده، و ابن عدي في كامله، و في إسناده حفص بن أبي داود و هو ضعيف الحديث، و قال أحمد فيه: إنه صالح.

و عن عائشة عند الطبراني في الأوسط عن النبي ﷺ مثله.

قال الحافظ: و في طريقه من لا يعرف، و عن ابن عباس عند العقيلي مثله، و في إسناده فضالة بن سعد المازني و هو ضعيف.

و عن ابن عمر حديث آخر عند الدارقطني بلفظ: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**»[2]، و في إسناده موسى بن هلال العبدي، قال أبو حاتم: مجهول أي العدالة، ورواه ابن خزيمة في صحيحه من طريقه و قال: إن صح الخبر فإن في القلب من إسناده شيئا، و أخرجه البيهقي، و قال العقيلي: لا يصح حديث موسى، و لا يتابع عليه، و لا يصح في هذا الباب شيء، و قال أحمد لا بأس به، و أيضا قد تابعه عليه مسلمة بن سالم، كما رواه الطبراني من طريقه، و موسى بن هلال المذكور رواه عن عبيد الله بن عمر عن نافع و هو ثقة من رجال الصحيح، و جزم الضياء المقدسي و البيهقي و ابن عدي و ابن عساكر بأن موسى رواه عن عبد الله بن عمر المكبر و هو ضعيف، و لكنه قد وثقه ابن عدي، و قال ابن معين: لا بأس به، وروى له مسلم مقرونا بآخر، و قد صحح هذا الحديث ابن السكن، و عبد الحق، و تقي الدين السبكي، و عن ابن عمر عند ابن عدي و الدارقطني، وابن حبان في ترجمة النعمان بلفظ:«**من حج ولم يزرني فقد جفاني**»[3]

۱و۲ . سنن الدارقطني، ج۲، ص۲٤٤

۳ . الكامل في ضعفاء الرجال، ج۸، ص۲٤۸



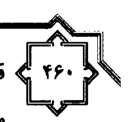
و في إسناده النعمان بن شبل و هو ضعيف جدا، و وثقه عمران بن موسى، و قال الدارقطني: الطعن في هذا الحديث على ابن النعمان لا عليه، ورواه أيضا البزار، و في إسناده إبراهيم الغفاري و هو ضعيف، ورواه البيهقي عن عمر قال: و في إسناده مجهول.

و عن أنس عند ابن أبي الدنيا بلفظ: «**من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا و شهيدا يوم القيامة**»[1] و في إسناده سليمان بن زيد الكعبي ضعفه ابن حبان و الدارقطني، و ذكره ابن حبان في الثقات، و عن عمر عند أبي داود الطيالسي بنحوه، و في إسناده مجهول، و عن عبد الله بن مسعود عن أبي الفتح الأزدي بلفظ: «**من حج حجة الإسلام و زار قبري وغزا غزوة و صلى في بيت المقدس لم يسأله الله فيما افترض عليه**»[2] و عن أبي هريرة بنحو حديث حاطب المتقدم، و عن ابن عباس عند العقيلي بنحوه، و عنه في مسند الفردوس بلفظ: «**من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت له حجتان مبرورتان**»[3] و عن علي بن أبي طالب عليه السلام عند ابن عساكر: «**من زار قبر رسول الله صلى الله عليه وآله كان في جواره**».[4]

و في إسناده عبد الملك بن هارون بن عنبرة و فيه مقال، قال الحافظ: و أصح ما ورد في ذالك ما رواه أحمد و أبو داود عن أبي هريرة مرفوعا: «**ما من أحد يسلّم عليّ إلا رد الله على روحي حتى أردّ عليه السلام**»[5]، و بهذا الحديث صدر البيهقي الباب، و لكن ليس فيه ما يدل على اعتبار كون المسلم عليه على

---

۱ . شعب الايمان، ج٦، ص٥٠
۲ . لسان الميزان، ج٢، ص٤
۳ . كنز العمال، ج٥، ص١٣٥، عن الديلمي
٤ . لم اعثر به
٥ . سنن ابى داود، ج٣، ص٤٥٣



قبره بل ظاهره أعم من ذالك، و قال الحافظ أيضا: أكثر متون هذه الأحاديث موضوعة، و قد رويت زيارته ﷺ عن جماعة من الصحابة منهم بلال عند ابن عساكر بسند جيد، و ابن عمر عند مالك فى الموطا، و أبو أيوب عند أحمد، و أنس ذكره عياض فى الشفا، و عمر عند البزار، و على ﷺ عند الدارقطنى، و غير هؤلاء، و لكنه لم ينقل عن أحد منهم أنه شد الرحل لذالك إلا عن بلال، لأنه روى عنه أنه رأى النبى ﷺ و هو بداريا يقول له: ما هذه الجفوة يا بلال، أما آن لك أن تزورنى؟ روى ذالك ابن عساكر.

أدلة القول بالوجوب:

و استدل القائلون بالوجوب بحديث: «**من حج و لم يزرنى فقد جفانى**»[1] و قد تقدم، قالوا: و الجفاء للنبى ﷺ محرم. فتجب الزيارة لئلا يقع فى المحرم، و أجاب عن ذالك الجمهور بأن الجفاء يقال على ترك المندوب كما فى ترك البر و الصلة، و على غلظ الطبع، كما فى حديث: «**من بدا فقد جفا**»[2] و أيضا الحديث على انفراده مما لا تقوم به الحجة لما سلف.

القول بأنها غير مشروعة:

و احتج من قال بأنها غير مشروعة بحديث: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**»[3] و هو فى الصحيح و قد تقدم، و حديث: «**لا تتخذوا قبرى عيدا**»[4] رواه عبد الرزاق. (نيل الأوطار ٥/ ٩٤ ـ ٩٥).

---

١ . الكامل في ضعفاء الرجال، ج٨، ص٢٤٨

٢ . مسند احمد، ج٢، ص٣٧١

٣ . صحيح البخارى، ج٢، ص٥٦

٤ . مسند البزار، ج٢، ص١٤٧

المحدث الشيخ حسن العدوي المالكي و الزيارة

قال الشيخ حسن العدوى المتوفى سنة ١٣٠٣هـ فى كتابه «مشارق الأنوار»: اعلم أن زيارة قبره الشريف ﷺ من أعظم القربات و أرجى الطاعات، و السبيل إلى أعلى الدرجات، ثم قال: و ينبغى للزائر أن يستحضر من الخشوع ما أمكنه، وليكن مقتصدا فى سلامه بين الجهر و الإسرار، و ينبغى للزائر أن يتقدم إلى القبر الشريف من جهة القبلة، و إن جاء من جهة رجلى الصاحبين فهو أبلغ فى الأدب، و يستدبر القبلة و يقف قبالة وجهه الشريف ﷺ.

و قد روى أن أبا جعفر المنصور الخليفة العباسى سأل مالكا: يا أبا عبد الله! أأستقبل رسول الله ﷺ و أدعو أم أستقبل القبلة و أدعو؟ فقال له مالك رضي الله عنه: و لم تصرف وجهك عنه ﷺ و هو وسيلتك و وسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله عز وجل يوم القيامة، ثم يقول: السلام عليك إلخ.

و يلازم الأدب و الخشوع و التواضع، غاضّ البصر فى مقام الهيبة كما كان يفعل بين يديه فى حياته، و يستحضر علمه بوقوفه بين يديه و سماعه لسلامه كما هو فى حال حياته ﷺ، إذ لا فرق بين موته و حياته فى مشاهدته لأمته، و معرفة أحوالهم و نياتهم و عزائمهم و خواطرهم و ذالك عندى جلى لا خفاء فيه.

و قد روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب: ليس من يوم إلا و يعرض على النبى ﷺ أعمال أمته غدوة و عشية فيعرفهم بسيماهم و أعمالهم؛ فلذالك يشهد عليهم.

و يتمثل الزائر وجهه الكريم فى ذهنه، و يحضر قلبه جلال رتبته و علو منزلته، ثم يقول الزائر بحضور قلب، و غض طرف، و صوت، و سكون

جوارح: السلام عليك يا رسول الله.

و عن الحسن البصرى قال: وقف حاتم الأصم على قبره ﷺ فقال: يا رب! إنا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين، فنودى: يا هذا! ما أذنا لك فى زيارة حبيبنا إلا و قد قبلناك، فارجع أنت و من معك من الزوار مغفورا لهم.

و بعد السلام على صاحبيه يرجع قبالة وجهه الشريف، و يجدد التوبة، و يسأل الله تعالى بجاهه ﷺ أن يجعلها توبة نصوحا.

أفبعد هذه الأحاديث الناطقة، و الآيات الساطعة، و آراء أئمة المذاهب الأربعة التى تحدثت أدلتها و تكلمت آياتها أروع بيان و أجلى حجة عن سنية الزيارة و تقرير استحبابها، و بالغ الترغيب فى شد الرحال و السفر إليها بما لا يدع مجالا للتأويل، و لا يترك بابا للتحريف و التبديل، يتوكأ و يقف الابتداع عليه. ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾[1] يصلح لكم قلوبكم و يشف صدوركم.

الإمام عبد القادر الجيلاني الحنبلي رضي الله عنه

قال الإمام عبد القادر الجيلانى الحنبلى المتوفى سنة ٥٦١هـ فى كتابه «الغنية» و إليه يرجع سند ابن تيمية فى الفقه الحنبلى:

ثم يأتى القبر الشريف و ليكن بحذائه بينه و بين القبلة، و يجعل جدار القبلة خلف ظهره، و القبر أمامه تلقاء وجهه، و المنبر عن يساره، وليقل: السلام عليك أيها النبى و رحمة الله و بركاته، ثم يقول: اللهم إنى أتوجه إليك بنبيك عليه سلامك نبى الرحمة، يا رسول الله! إنى أتوجه إلى ربى ليغفر لى ذنوبى، اللهم إنى أسألك بحقه أن تغفر لى و ترحمنى...

---

١. الاحقاف: ٣١



لا تشدّ الرحال

يخطىء كثير من الناس فى فهم حديث: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، و مسجدى هذا، و المسجد الأقصى**».[١]

فيستدلون به على تحريم شد الرحل لزيارة النبى ﷺ، و يعتبرون أن السفر بذالك سفر معصية، و هذا الاستدلال مردود، لأنه مبنى على فهم باطل ـ كما سيأتى ـ.

قال شيخ الإسلام الفيروزآبادى: أما الحديث: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**» فلا دلالة فيه على النهى عن الزيارة، بل هو حجة فى ذالك، و من جعله دليلا على حرمة الزيارة فقد أعظم الجرأة على الله و رسوله، و فيه برهان قاطع على غباوة قائلة، و قصوره عن نيل درجة كيفية الاستنباط و الاستدلال[٢].

قلت: فالحديث ـ كما سترى ـ فى باب، و الاستدلال فى باب آخر.

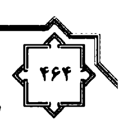
و بيان ذالك هو أن قوله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**» جاء على الأسلوب المعروف عند اللغويين بأسلوب الاستثناء، و هذا يقتضى وجود مستثنى و مستثنى منه، فالمستثنى هو ما كان بعد إلا، و المستثنى منه هو ما كان قبلها، و هو لا بد منه إما مذكورا أو محذوفا، و هذا مقرر و معروف فى أبسط كتب النحو.

و إذا نظرنا إلى هذا الحديث وجدنا أنه قد جاء فيه التصريح بذكر المستثنى و هو قوله: «ثلاثة مساجد» و هو ما بعد «إلا»، و لم يأته ذكر المستثنى منه و هو ما قبل «إلا»، فلا بد إذاً من تقديره.

---

١ . صحيح البخارى، ج٢، ص٥٦

٢ . الصلات و البشر، ص١٢٧.



فإن فرضنا أن المستثنى منه «قبر» كان اللفظ المقدر المنسوب لرسول الله ﷺ لا تشد الرحال إلى قبر إلا إلى ثلاثة مساجد و هذا السياق ظاهر فى عدم الانتظام و غير لائق بالبلاغة النبوية. فالمستثنى غير داخل ضمن المستثنى منه، و الأصل أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، و لا يطمئن قلب عالم ـ يتحرج من نسبة كلام للمصطفى ﷺ لم يقله ـ إلى نسبة هذه اللفظة «قبر»، و هى لا تتفق مع الأصل فى الاستثناء إلى رسول الله ﷺ فلا تصلح أن تكون هى المستثنى منه.

فلنفرض أنه لفظ «مكان» فيكون السياق المقدر المنسوب لرسول الله ﷺ على هذا الفرض: لا تشد الرحال إلى مكان إلا إلى ثلاثة مساجد، و معنى هذا: أن لا نسافر إلى تجارة أو علم أو خير، و هذا ضرب من الهوس ظاهر البطلان.

فالحديث اشتمل على ذكر المستثنى و ليس فيه ذكر المستثنى منه، و لذالك لا بد من تقديره باتفاق أهل اللغة.

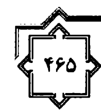
و تقديره لا يحتمل إلا ثلاثة وجوه لا رابع لها:

الوجه الأول: أن يكون التقدير بلفظ «قبر» فيكون اللفظ المقدر: لا تشد الرحال إلى قبر إلا إلى ثلاثة مساجد.

و هذا التقدير مبنى على رأى من يستدل بالحديث على منع السفر للزيارة، و أنت ترى أنه تقدير بارد ممجوج لا يستسيغه من عنده أدنى إلمام بالعربية، و لا تليق نسبته إلى أفصح من نطق بالضاد صلوات الله و سلامه عليه، فحاشا أن يرضى بمثل هذا الأسلوب الساقط.

الوجه الثانى: أن يكون تقدير المستثنى منه فى الحديث بلفظ عام، و هو لفظ «مكان» و هذا باطل كما تقدم بلا خلاف و لا قائل به.

الوجه الثالث: أن يكون تقدير المستثنى منه فى الحديث بلفظ «مسجد» فيكون سياق الحديث: لا تشد الرحال إلى مسجد إلا إلى ثلاثة مساجد.



فنرى أن أسلوب الكلام قد انتظم و جرى على الأسلوب اللغوى الفصيح، و اختفى التهافت الواضح فى الصورتين المتقدمتين و أشرقت فيه روح النبوة، و بهذا يطمئن القلب التقى إلى نسبته لرسول الله ﷺ.

هذا بفرض أنه لا توجد رواية أخرى مصرحة بالمستثنى منه، فإذا وجدت هذه الرواية، فلا يحل لمن له دين أن يعدل عنها إلى محض فرض لا يستند إلى فصيح اللغة.

و قد وجدنا بحمد الله فى السنة النبوية من الروايات المعتبرة ما فيه التصريح بالمستثنى منه.

فمنها: ما أخرجه الإمام أحمد من طريق شهر بن حوشب قال: سمعت أبا سعيد و ذكرت عنده الصلاة فى الطور فقال: قال رسول الله ﷺ: **«لا ينبغى للمصلى أن يشد رحاله إلى مسجد تبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام، و المسجد الأقصى، و مسجدى»**[1].

قال الحافظ ابن حجر: و شهر حسن الحديث و إن كان فيه بعض ضعف.

و فى لفظ آخر: **«لا ينبغى للمطى أن تُشد رحاله إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام، و المسجد الأقصى، و مسجدى هذا»**[2].

و منها: ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«أنا خاتم الأنبياء، و مسجدى خاتم مساجد الأنبياء، أحق المساجد أن يزار و تشد إليه الرواحل المسجد الحرام و مسجدى، صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا المسجد الحرام»**[3] رواه البزار.

---

١ . انظر فتح البارى، فضل الصلاة فى مسجد مكة و المدينة ٣:٨٤.

٢ . مسند الإمام أحمد ٣/ ٦٤.

٣ . لم اعثر به



فكلامه ﷺ فى المساجد ليبين للأمة أن ما عدا هذه المساجد الثلاثة متساو فى الفضل، فلا فائدة فى التعب بالسفر إلى غيرها، أما هى فلها مزيد الفضل، و لا دخل للمقابر فى هذا الحديث؛ فإقحامها فى هذا الحديث يعتبر ضربا من الكذب على رسول الله ﷺ على من يتحمله إثم الكذب عليه ﷺ.

تأييد المعنى الذي ذكرناه بأقوال أئمة الحديث و حفاظه

و قد شرح الحفاظ و المحدثون الكبار الأجلاء حديث: «**لا تشد الرحال**» إلخ و بينوا معناه على الوجه الذى ذكرناه من قبل، و هو أنه لا صلة له بمسألة شد الرحل لزيارة النبى ﷺ، و منهم من ذهب إلى أن الحديث يتعلق بالنذر لصلاة فى مسجد مخصوص.

و من أولئك:

الإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى حيث قال[1]: «قال بعض المحققين: قوله: «لا إلى ثلاثة مساجد» المستثنى منه محذوف، فإما أن يقدر عاما فيصير: لا تشد الرحال إلى مكان فى أى أمر كان إلا إلى الثلاثة، أو أخص من ذالك، و لا سبيل إلى الأول لإفضائه إلى سد باب السفر للتجارة، وصلة الرحم، و طلب العلم و غيرها، فتعين الثانى، و الأولى أن يقدر ما هو أكثر مناسبة و هو: لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة إلا إلى الثلاثة. فيبطل بذالك قول من منع شد الرحال إلى زيارة القبر الشريف و غيره من قبور الصالحين، والله أعلم». انتهى.

و هذا المعنى ذكره الإمام محمد بن يوسف الكرمانى فى «شرح صحيح

---

١ . فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٣ ص٦٦.



البخاری» و نقل كلام غيره من الفحول المؤيدين لهذا المعنى مثل الخطابی و النووی[1].

و ممن أيد ذالك أيضا الإمام بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العينی فی شرحه على البخاری المسمی بـ «عمدة القاری»[2].

و على تقدير عموم الحديث أی: لا تشد الرحال إلى مكان إلا إلى المساجد الثلاثة.

قال العلامة السبكی فی «شفاء السقام» ما ملخصه[3]:

السفر فيه أمران: أحدهما: غرض باعث عليه كطلب العلم و زيارة الوالدين، و ما أشبه ذالك، و هو مشروع بالاتفاق.

الثانی: المكان الذی هو نهاية السفر كالسفر إلى مكة أو المدينة أو بيت المقدس و يشمله الحديث، و المسافر لزيارة النبی ﷺ لم يدخل فی الحديث قطعا و إنما يدخل فی النوع الأول المشروع، فالنهی عن السفر مشروط بأمرين:

أحدهما: أن يكون غايته غير المساجد الثلاثة.

و الثانی: أن يكون علته تعظيم البقعة.

و السفر لزيارة النبی ﷺ غايته أحد المساجد الثلاثة، و علته تعظيم ساكن البقعة لا البقعة، فكيف يقال بالنهی عنه؟

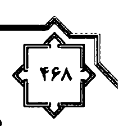
بل أقول: إن للسفر المطلوب سببين: أحدهما: ما يكون غايته أحد المساجد الثلاثة، و الثانی: ما يكون لعبادة و إن كان إلى غيرها.

---

١ . شرح الكرمانی على البخاری ج ٧ ص١٢.

٢ . ج ٧ ص٢٥٤.

٣ . شفاء السقام ص١١٩ ـ ١٢١.



و السفر لزيارة المصطفى ﷺ اجتمع فيه الأمران، فهو في الدرجة العليا من الطلب، و دونه ما وجد فيه أحد الأمرين، و إن كان السفر الذي غايته أحد الأماكن الثلاثة فلا بد في كونه قربة من قصد صالح.

و أما السفر لمكان غير الأماكن الثلاثة لتعظيم ذالك المكان، فهو الذي ورد فيه الحديث، و لهذا جاء عن بعض التابعين أنه قال: قلت لابن عمر: إني أريد. أن آتي الطور قال: إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، و مسجد رسول الله ﷺ، و مسجد الأقصى، ودع الطور فلا تأته. اهـ بتصرف[1].

و من العلماء من رأى أن الحديث يتعلق بنذر الصلاة في مسجد مخصوص.

قال ابن بطال: هذا الحديث إنما هو عند العلماء فيمن نذر على نفسه الصلاة في مسجد من سائر المساجد غير الثلاثة. اهـ.

و قال الإمام أبو سليمان الخطابي في «معالم السنن»: هذا الحديث في النذر، ينذر الإنسان أن يصلي في بعض المساجد، فإن شاء وفي به، و إن شاء صلى في غيره، إلا أن يكون نذر الصلاة في واحد من هذه المساجد الثلاثة، فإن الوفاء به يلزمه بما نذره فيها، و إنما خص هذه المساجد بذالك لأنها مساجد الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، و قد أمرنا بالاقتداء بهم[2]. اهـ.

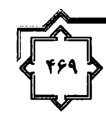
و من المقرر أن النذر لا يجب إلا في طاعة، فمعنى الحديث: يجب الوفاء لمن نذر إتيان أحد المساجد الثلاثة للصلاة فيها، فمن نذر إتيان غير هذه المساجد لا يجب عليه الوفاء بالنذر.

و قال النووي: (فرع) إذا نذر المشي إلى مسجد غير المساجد الثلاثة، و هي الحرام، و المدينة، و الأقصى، لم يلزمه و لا ينعقد نذره عندنا، و به قال مالك و

---

١ . شفاء السقام ص١١٩ ـ ١٢١.

٢ . معالم السنن ٢/ ٤٤٢.



أبو حنيفة و أحمد و جماهير العلماء. لكن قال أحمد: يلزمه كفارة يمين، و قال محمد بن مسلمة المالكى: إذا نذر قصد مسجد قباء لزمه للحديث المشهور فى الصحيحين «**أن النبى ﷺ كان يأتى قباء كل سبت راكبا و ماشيا**»[١].

و قال ابن بطال: و أما من أراد الصلاة فى مساجد الصالحين و التبرك بها متطوعا بذالك، فمباح إن قصدها بإعمال المطى و غيره، و لا يتوجه إليه الذى فى هذا الحديث. اهـ.

و قال النووى رحمه الله فى «شرح صحيح مسلم»[٢]: و الصحيح عند أصحابنا و هو الذى اختاره إمام الحرمين و المحققون أنه لا يحرم و لا يكره، قالوا: و المراد الفضيلة التامة إنما هى فى شد الرحال إلى هذه الثلاثة خاصة، و الله أعلم.

و قال فى موضع آخر (٩/ ١٦٨): و فى هذا الحديث فضيلة هذه المساجد الثلاثة، و فضيلة شد الرحال إليها، لأن معناه عند جمهور العلماء لا فضيلة فى شد الرحال إلى مسجد غيرها، و قال الشيخ محمد الجوينى: من أصحابنا من يحرم شد الرحال إلى غيرها و هو غلط[٣]. اهـ.

و قال الشيخ الإمام أبو محمد بن قدامة المقدسى: فإن سافر لزيارة القبور و المشاهد، قال ابن عقيل: لا يباح له الترخص لأنه منهى عن السفر إليها، قال النبى ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**». و الصحيح إباحته وجواز القصر فيه، لأن النبى ﷺ كان يأتى قباء راكبا و ماشيا، و كان يزور القبور، و قال: «**زوروها تذكركم الآخرة**».[٤]

---

١ . المجموع شرح المهذب ٨/ ٤٧١.

٢ . شرح صحيح مسلم ٩:١٠٦.

٣ . شرح صحيح مسلم للنووى ٩:١٦٨.

٤ . سنن ابن ماجه، ج١، ص٥٠١



و أما قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**» فيحمل على نفى التفضيل لا على التحريم، و ليست الفضيلة شرطا فى إباحة القصر، فلا يضر انتفاؤها.

و مما يؤيد أن الحديث خاص بالنذر:

١ ـ ما صح بإسناد رجاله رجال مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**إن خير ما ركبت إليه الرواحل مسجدى هذا و البيت العتيق**»[١] و هو يصرح بأنه يجوز ركوب الرواحل إلى غيرهما من البقاع.

٢ ـ فهم الصحابة، فقد روى عمر بن شبة فى «تاريخ المدينة» من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا صخر بن جويرية، عن عائشة بنت سعد بن أبى وقاص قالت: «**سمعت أبى يقول: لأن أصلى فى مسجد قباء ركعتين أحب إلى من أن آتى بيت المقدس مرتين، لو يعلمون ما فى قباء لضربوا إليه أكباد الإبل**».

قال الحافظ ابن حجر: و إسناده صحيح (الفتح ٣/ ٦٩).

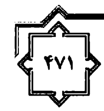
وروى ابن أبى شيبة نحوه فى «المسند» (٢/ ٣٧٣).

وروى عبد الرزاق فى «المصنف» (٥/ ١٣٣) عن عمر بن الخطاب أنه قال: «لو كان مسجد قباء فى أفق من الآفاق لضربنا إليه أكباد المطى» و عمر رضي الله عنه من رواة حديث: «**لا تشد الرحال**» فلو علم أن النهى فى الحديث للتحريم لما قال مقولته فى مسجد قباء.

وروى أحمد فى «المسند» (٦/ ٣٩٧)، و الطبرانى فى «المعجم الكبير» (٢/ ٣١٠) من حديث مرثد بن عبد الله اليزنى، عن أبى بصرة الغفارى قال: لقيت أبا هريرة و هو يسير إلى مسجد الطور ليصلى فيه قال: فقلت له: لو

---

١ . مسند احمد، ج٣، ص٣٥٠



أدركتك قبل أن ترتحل ما ارتحلت، قال: فقال: و لم؟ قال: فقلت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، و المسجد الأقصى، و مسجدى**» و مع ذالك لم يرجع أبو هريرة ﵁، و لو كان قد فهم من الحديث التحريم لرجع فلما لم يفعل، دل ذالك على أن النهى الذى فى الحديث لا يفيد التحريم عند أبى هريرة ﵁»[1].

فتوى كبار علماء الحديث في الهند في شد الرحال:

سئل جماعة كبار علماء الحديث من أهل السنة و الجماعة فى الهند عن مسألة شد الرحال لزيارة خير الأنام سيدنا محمد ﷺ، فأجابوا بجواب سديد مفيد، و هذا نص السؤال و الجواب كما جاء فى كتاب «المفند على المهند» و فى آخره ذكر أسماء العلماء.

نص السؤال:

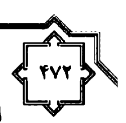
ما قولكم فى شد الرحال إلى زيارة سيد الكائنات عليه أفضل الصلوات و التحيات و على آله و صحبه؟ أى الأمرين أحب إليكم و أفضل لدى أكابركم للزائر؟ هل ينوى وقت الارتحال للزيارة زيارته عليه الصلاة والسلام أم ينوى المسجد أيضا؟ و قد قال بعضهم: إن المسافر إلى المدينة لا ينوى إلا المسجد النبوى.

نص الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم. و منه نستمد العون و التوفيق و بيده أزمة التحقيق حامدا و مصليا و مسلما.

---

١ . انظر: شفاء الفؤاد للمؤلف، و رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل و الزيارة: لأخينا الشيخ محمود سعيد ممدوح.



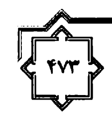
عندنا و عند مشايخنا زيارة قبر سيد المرسلين ـ روحى فداه ـ من أعظم القربات، و أهم المثوبات، و أنجح لنيل الدرجات، بل قريبة من الواجبات، و إن كان حصوله بشد الرحال و بذل المهج و الأموال، و ينوى وقت الارتحال زيارته عليه ألف ألف تحية و سلام، و ينوى معها زيارة مسجده ﷺ و غيره من البقاع و المشاهد الشريفة، بل الأولى ما قال العلامة الهمام ابن الهمام أن يجرد النية لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام ثم يحصل له إذا قدم لزيارة المسجد لأن فى ذالك زيادة تعظيمه و إجلاله ﷺ و يوافقه قوله ﷺ: **«من جاءنى زائرا لا تحمله حاجة إلا زيارتى كان حقا على أن أكون شفيعا له يوم القيامة»**.[1]

و كذا نقل عن العارف السامى الملا جامى أنه أفرد الزيارة عن الحج، و هو أقرب إلى مذهب المحبين.

و أما ما قاله المعارضون من أن المسافر إلى المدينة المنورة على ساكنها ألف ألف تحية لا ينوى إلا المسجد الشريف استدلالا بقوله عليه الصلاة والسلام: **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»** فمردود لأن الحديث لا يدل على المنع أصلا، بل لو تأمله ذو فهم ثاقب لعلم أنه بدلالة النص يدل على الجواز؛ فإن العلة التى استثنى بها المساجد الثلاثة من عموم المساجد أو البقاع هو فضلها المختص بها، و هو مع الزيارة موجود فى البقعة الشريفة، فإن البقعة الشريفة و الرحبة المنيفة التى ضمت أعضاءه ﷺ أفضل مطلقا حتى من الكعبة و من العرش و من الكرسى كما صرح به فقهاؤنا ﷸ، و لما استثنى المساجد لذالك الفضل الخاص فأولى ثم أولى أن يستثني البقعة المباركة لذالك الفضل العام، و قد صرح بالمسألة كما ذكرناه، بل بأبسط منها شيخنا العلامة شمس العلماء العالمين مولانا رشيد أحمد الكنكوهى قدس الله سره العزيز فى رسالته «زبدة

---

١ . المعجم الكبير، ج١٢، ص٢٢٥



المناسك» في فضل زيارة المدينة المنورة، و قد طبعت مرارا، و أيضا في هذا المبحث الشريف رسالة شيخ مشايخنا مولانا المفتى صدر الدين الدهلوى قدس الله سره العزيز، أقام فيها الطامة الكبرى على من يدعى السلفية و من وافقهم، و أتى ببراهين قاطعة و حجج ساطعة سماها «أحسن المقال في حديث لا تشد الرحال» طبعت و اشتهرت فليرجع إليها، والله تعالى أعلم.

أصحاب الفتوى و المؤيدون:

١ ـ العلامة المحدث رشيد أحمد الكنكوهي.

٢ ـ العلامة الشيخ المحدث خليل أحمد السهارنفوري.

٣ ـ العلامة المحدث الشيخ محمود الحسن الديوبندي.

٤ ـ العلامة الشيخ مير أحمد حسن الحسيني.

٥ ـ العلامة المحدث الشيخ عزيز الرحمن الديوبندي.

٦ ـ العلامة المرشد الشيخ أشرف على التهانوي.

٧ ـ العلامة الشيخ الشاه عبد الرحيم الرانفوري.

٨ ـ الشيخ الحاج الحكيم محمد حسن الديوبندي.

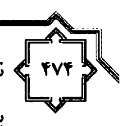
٩ ـ المولوي قدرة الله.

١٠ ـ المولوي المفتي كفاية الله

١١ ـ العلامة الشيخ محمد يحيى السهارنفوي.

١٢ ـ تأييد علماء مكة المكرمة لفتوى علماء الهند.

و قد أيد هذه الفتوى جملة من كبار الفقهاء و العلماء بمكة المكرمة منهم العلامة الشيخ محمد سعيد بن محمد بابصيل مفتي الشافعية، و رئيس العلماء بمكة المكرمة، و الإمام و الخطيب بالمسجد الحرام، و الشيخ أحمد رشيد خان



نواب، و الشيخ العلامة الفقيه المفتى محمد عابد بن حسين المالكى مفتى المالكية بمكة المحمية، و الشيخ العلامة المحقق محمد على بن حسين المالكى الإمام و المدرس بالمسجد الحرام.

تأييد علماء المدينة المنورة:

وقرظ هذه الفتوى و أيدها علماء المدينة منهم: العلامة الفقيه السيد أحمد بن إسماعيل البرزنجى، و شيخ المالكية بالحرم النبوى الشيخ أحمد الجزائرى، و السيد محمد زكى البرزنجى، و الشيخ عمر حمدان المحرسى المحدث المشهور، و الشريف أحمد بن المأمون البلغيثى، و الشيخ موسى كاظم، و الشيخ ملا محمد خان، و الشيخ خليل بن إبراهيم، و الشيخ محمد العزيز الوزير التونسى، و الشيخ محمد السوسى الخيارى، و الحاج أحمد بن محمد خير الشنقيطى، و الشيخ محمد بن عمر الفلانى، و الشيخ أحمد بن أحمد أسعد، و الشيخ محمد منصور بن نعمان، و الشيخ أحمد بساطى، و الشيخ محمد حسن السندى، و الشيخ محمود عبد الجواد.

تأييد علماء الأزهر:

و أيد ذالك شيخ الأزهر الشيخ سليم البشرى، و الشيخ محمد إبراهيم القاياتى.

تأييد علماء الشام:

الشيخ الفقيه المحدث محمد أبو الخير الشهير بابن عابدين الحسينى حفيد ابن عابدين صاحب الفتاوى، و الشيخ مصطفى بن أحمد الشطى الحنبلى، و الشيخ محمود رشيد العطار الدمشقى تلميذ الشيخ بدر الدين محدث الشام، و



الشيخ محمد البوشى الحموى، و الشيخ محمد سعيد الحموى، و الشيخ على بن محمد الدلال الحموى، و الشيخ محمد أديب الحورانى المدرس بجامع السلطان بحماه، و الشيخ عبد القادر اللبابيدى، و الشيخ محمد سعيد لطفى الحنفى، و الشيخ فارس بن أحمد الشقفة، و الشيخ مصطفى الحداد الحموى[١].

فتوى الشيخ سعد بن عتيق الحنبلي النجدي

يقول الشيخ سعد بن عتيق فى الزيارة فى كتابه المجموع المفيد:

أما مسألة شد الرحل لزيارة قبر النبى ﷺ، فقد جوز طائفة من متأخرى العلماء شد الرحل إلى قبر النبى ﷺ، و كذالك قبور الصالحين، و خالفهم طوائف من المحققين، و الذى نعتقد هو ما دل عليه الحديث الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، و مسجدى هذا، و المسجد الأقصى. و بهذا الحديث الصحيح تعرف بطلان قول المجوزين فإن كل قول يخالف قول سيد المرسلين مردود على قائله مضروب به فى وجهه لا يلتفت إليه، و لا يعول عليه. (اهـ من المجموع المفيد من فتاوى الشيخ سعد بن عتيق).

قلت: لقد أنصف هذا العالم الجليل إذ بيّن قول الجانب الآخر من العلماء و إن كان يخالف رأيه، ثم بيّن ما يعتقده هو بقوله: (و الذى نعتقده إلخ) فهذا منه غاية الإنصاف. وانظر الفرق بين موقفه هذا العادل المنصف و بين موقف ما ابتلينا بهم فى هذا العصر من جماعة المكفرين الذين يكفرون كل من يقول بشد الرحل أو الزيارة أو التوسل بالنبى ﷺ.

---

١ . المفند على المهند (طبعة الهند).

لا تجعلوا قبري عيداً

هذا الحديث من النصوص التى يحرفها الغالون، و يؤولها المبطلون؛ فيحملونه على هواهم، ويوردونه فى غير مورده، و يستدلون به على تحريم شد الرحل للزيارة النبوية أو بدعية ذالك على خلاف و اختلاف بينهم فقد كنا نسمعهم يقولون:

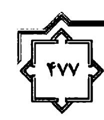
- إن ذالك شرك.
- ثم صاروا يقولون: إنه حرام.
- ثم صاروا يقولون: إنه بدعة.
- ثم لعله يصير خلاف السنة.
- ثم لعله يصير مباحا.

كما حصل مثل هذا التغير فى الاجتهاد، أو قل: التطور فى التصور فى مسألة التوسل بالنبى ﷺ، إذ كنا نسمع من يقول:

- إنه شرك.
- ثم تغير الحكم إلى حرام.
- ثم تغير الحكم إلى أنه بدعة.
- ثم تغير الحكم إلى أنه خلاف السنة.

فلا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم، و مع ذالك فإننا نحمد الله تعالى الهادى إلى الصراط المستقيم، و نسأله أن يفتح البصائر وينور السرائر، و يأخذ بنواصينا إلى الخير، فهو ما يتمناه المسلم الغيور.

و الحاصل: أن الحديث لا صلة له بقضية الزيارة البتة ـ كحديث لا تنشد ـ فإنه فى باب، و قضية الزيارة فى باب آخر. و سأبين ذالك من فهم الأئمة الثقات بعد بيان درجته.



فأقول و بالله التوفيق:

هذا الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبی صلى الله عليه وسلم و لفظه: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورا، و لا تجعلوا قبری عيدا، و صلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغنی حيثما كنتم**»[1] رواه أبو داود.

و اختلف فی راويه عبد الله بن نافع الصائغ، فقال أحمد: كان ضعيفا، و كذالك أبو حاتم الرازی، و وثقه يحيی بن معين، و قال أبو زرعة: لا بأس به، كذا «مختصر أبی داود»[2] للمنذری.

و فی «مجمع الزوائد»[3]: رواه أبو يعلی، و فيه أبو حفص بن إبراهيم الجعفری ذكره ابن أبی حاتم و لم يذكر فيه جرحا، و بقية رجاله ثقات.

قال الحافظ زكی الدين المنذری: يحتمل أن يكون المراد به الحث علی كثرة زيارة قبره صلى الله عليه وسلم و أن لا يهمل حتی لا يزار إلا فی بعض الأوقات، كالعيد الذی لا يأتی فی العام إلا مرتين.

و منهم من فهم منه النهی عن أن يجعل للزيارة يوم خاص لا تكون إلا فيه كما أن العيد كذالك، و إنما الذی ينبغی هو أن يزار عليه الصلاة والسلام كلما تيسر ذالك من غير تخصيص بيوم، ذكر هذا التأويل التقی السبكی.

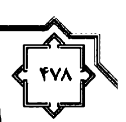
و منهم من فهم أن معناه: النهی عن سوء الأدب عند زيارته عليه الصلاة والسلام باللهو و اللعب كما يفعل فی الأعياد، و إنما يزار للسلام عليه و الدعاء عنده، و رجاء بركة نظره و دعائه ورد سلامه، مع المحافظة علی الأدب اللائق بهذه الحضرة الشريفة النبوية.

---

١ . سنن ابی داود، ج١، ص٤٥٣

٢ . ٢/ ٤٤٧.

٣ . ٣/ ٣.



و لعل هذا هو الأقرب إن شاء الله، فإن من عادة أهل الكتاب الإغـراق فـی اللهو و الزينة و اللعب عنـد زيـارة أنبيـائهم و صـالحيهم، فنهـی عليـه الـصلاة والسلام الأمة أن يتشبهوا بهم فی هذا اللهو و اللعب عند زيارتـه عليـه الـصلاة والسلام، بل عليهم أن يأتوا لزيارته مـستغفرين تـائبين، و أن يكونـوا إذا زاروه بعد وفاته كما يكونون بين يديه فی حياته.

و اعلم أن زيارته عليه الصلاة والسلام خير، و أن الإكثار من الخير خـير، و على الزائر أن يلتزم الأدب، و يجتنب اللهو و اللعب.

و عل الزجر عن سوء الأدب يحمل الأثر رواه عبـد الـرزاق فـی «منـصفة» بسنده أن الحسن بن الحسن رأى قوما عند القبر النبـوی، فنهـاهم، و سـاق لهـم قول جده عليه الصلاة والسلام: «**لاتجعلوا قبری عيدا**»[1] الحديث.

و هو يؤيد أن معناه: النهی عن سوء الأدب عنـد الزيـارة، و عـن التـسامح عندها بما يكون من اللهو عند الأعياد و ليس نهيا عن الزيارة.

قال شيخ الإسلام التقی ﷺ: و كيف يتخيل فی أحد مـن الـسلف منعـه من زيارة المصطفى ﷺ و هم مجمعون على زيارة سائر الموتی. اهـ.

اللهم لا تجعل قبري و ثناً يعبد[2]

هذا الحديث أيضا من النصوص التی يتلاعب فی الاستدلال بها المحرفـون الغالون الذين يعجبهم تحريف النصوص و تأويلها على هـواهم فيـستدلون بـه على تحريم أو بدعية أو كراهية شد الرحل لزيارة خير البرية على أفضل الـصلاة و أتم التسليم، و هو فهم باطل، و عن حلية الحق عاطل، و سأبين معناه بعد ذكر من رواه.

---

١ . المصنف لعبد الرزاق، ج٣، ص٥٧٦

٢ .التمهيدل ما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج٥، ص٤١



فقد رواه أحمد بلفظ: «**اللهم لا تجعل قبری وثنا لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[1]. كذا في «مسند أحمد»، رواه مالك في «الموطأ»[2] مرسلا، و كذالك رواه أبو يعلى[3] و فيه إسحاق بن أبي إسرائيل، و فيه كلام و بقية رجاله ثقات، كذا في «مجمع الزوائد»[4]

قال الزرقاني: فالحديث صحيح عند من يحتج بمراسيل الثقات، و عند من قال بالمسند لإسناد عمر بن محمد له بلفظ «الموطأ»، و هو ممن تقبل زيادته و له شاهد عند العقيلي، كذا في «شرح الزرقاني للموطأ» (ج ١ ص٣٥١).

و اعلم أن كون قبره ﷺ في موضعه هذا الذي هو في داخل حجرته التي هي في داخل مسجده من الأمور التي اتفق عليها العلماء الأعلام و أئمة الإسلام من السلف الصالح منذ عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

و قد جاء في الحديث الصحيح ما يدل على أن قبره ﷺ محفوظ من وقوع الشرك و الوثنية، لأنه طلب و دعا أن لا يكون قبره وثناً يعبد، و دعاؤه ﷺ مستجاب، قال ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[5].

و معنى الحديث الشريف على ما تعطيه رواياته من جميع طرقه: النهي عن أن يقصد القبر بالصلاة عليه أو إليه تعظيما لصاحب القبر أو للقبر، فإن ذالك كان ذريعة لمن سبق من الأمم إلى الشرك و عبادة القبور و أهلها.

---

١ . مسند احمد، ج٢، ص٢٤٦

٢ . الموطأ، ج١، ص١٧٢

٣ . مسند ابی يعلی، ج١٢، ص٣٤

٤ . مجمع الزوائد، ج٤، ص٢

٥ . المصنف لعبد الرزاق، ج١، ص٤٠٦



و قد اعتبر الشارع بهذا النهى هذه الذريعة فسدّها على أمته لئلا يقعوا فيما وقع فيه الأمم قبلهم، و قد حقق الله رجاءه، و استجاب دعاءه، فليس في المسلمين من يعظم قبره ﷺ بالصلاة عليه أو إليه.

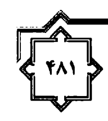
و قد ثبت عنه عليه الصلاة و السلام الإشارة إلى دفنه فى هذا الموضع، فقد روى البزار بسند صحيح، و الطبرانى مرفوعا: «**ما بين قبرى و منبرى روضة من رياض الجنة**»[١]، بلفظ (القبر) بدل (البيت) فقد علم أن مسجده الشريف يكون بجوار قبره، و حكم له بهذا الفضل و رغّب الأمة فى أتيانه، و لم يأمرهم بهجر مسجده لأجل القبر و لا بهدمه، بل صرح بأن الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، و خص ما يلى القبر الشريف إلى المنبر بأنه «**روضة من رياض الجنة**».

الزيارة و المناسك

تذكر أكثر كتب المناسك أنه ينبغى للحاج أن لا يفوت فرصة زيارة المصطفى عليه الصلاة والسلام خصوصا و قد وصل إلى هذه الأماكن. و لذالك جرت عادة المصنفين أن يذكروا مباحث الزيارة بعد مباحث المناسك فى أغلب كتب الحديث و الفقه و المناسك و ارتباط المناسك بالزيارة النبوية هو ارتباط مكانى، لا زمانى و لا حكمى، فلا صلة بين المناسك و بين الزيارة النبوية من حيث الزمان بحيث يقال: إن الزيارة مشروعة فى أشهر الحج، و لا صلة بين المناسك و بين الزيارة من حيث الحكم الشرعى بحيث يقال: إنها من سنن الحج أو واجباته أو احكامه. و إنما الارتباط ارتباط مكانى فحسب.

---

١ . مسند البزار، ج١٤، ص١٢٣



و معنى هذا: أن الزيارة النبوية عمل صالح مأمور به قائم بذاته، له فضله و ثوابه يستحق أن يسافر له الزائر سفرا خاصا به يثاب عليه، لأنه داخل فى المأمور به المرغب فيه، كما جاءت بذالك الأحاديث و الآثار.

لكن لما كان الحاج القادم من شرق الدنيا و غربها قد قطع المسافات الهائلة، و أنفق الأموال الطائلة، و صار قريبا من حبيب رب العالمين و إمام الأنبياء و المرسلين و مشاهده المعمورة و معاهده المأثورة منازل الوحى و التنزيل... و مهبط الأمين جبريل. لما صار قريبا من هذه الديار الكريمة ناسب أن يغتنم فرصة هذا القرب بالزيارة لها، و السفر إلى صاحبها، و الوقوف على قبره الشريف الرفيع... والسلام عليه و على أصحابه و أهل البقيع. و الصلاة فى روضته.. و الوقوف عند منبره.. و النزول فى منازل جهاده... و غزواته.. و مقيله.. و عباداته.. و صلواته.. و زيارته..

فهل يحسن بالعاقل أن يصل إلى قرب هذه المنازل ثم يرجع محروما مقطوعا ممنوعا.

كالعيس في البيداء يقتلها الظما   و الماء فوق ظهورها محمول

لذالك ناسب أن تذكر الزيارة و احكامها و فضائلها و ما يتعلق بها بعد أبواب الحج و المناسك.

و جرى على هذا المنوال أيضا الشعراء فى قصائدهم التى يذكرون فيها رحلة الحج، فإنهم يختمونها برحلة الزيارة، و يذكرون فيها فضائل المدينة المنورة، و يتذكرون فيها تلك المواقف العظيمة، و المشاهد الكريمة، و النفحات الربانية، و البركات المحمدية، و المعالم الرضوانية فى الرحاب النبوية.

منهج أكثر أهل الحديث في مصنفاتهم:

و هذا ليس خاصا بكتب المناسك، بل إن كثيرا من المحدثين جروا في مصنفاتهم على ذكر المدينة و فضائلها و فضائل مسجدها و ما جاء فيها من الآثار بعد أحاديث المناسك، فهذا صحيح الإمام الحافظ البخارى يذكر كتاب فضائل المدينة المنورة بعد كتاب حج النساء، و من نذر المشى إلى الكعبة من كتاب الحج.

و هذا صحيح الإمام الحافظ مسلم يذكر أبواب فضائل المدينة و دعاء النبى فيها بالبركة و الترغيب فى سكناها، و الصبر على لأواها، و شد الرحال إليها، و فضل الصلاة فى مسجدها، و بيان المسجد الذى أسس على التقوى، كل هذا بعد كتاب الحج.

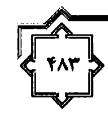
و هذا الإمام الحافظ أبو داود يذكر فى سننه بعد أحاديث الحج بابا فى إتيان المدينة، و بابا فى تحريم المدينة.

و هذا الإمام الحافظ ابن ماجه يذكر فى سننه المدينة فى أثناء باب فضل كتاب المناسك.

و هذا الإمام الحافظ النسائى يذكر فى سننه أبواب فضائل المدينة و ما يتعلق بها فى كتاب الحج أيضا.

و هذا الحافظ أبوبكر البيهقى يذكر فى سننه الكبرى فى كتاب الحج بابا فى زيارة قبر النبى ﷺ، و فى فضل الصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ، و بابا فى منبر الرسول، و فى مسجد قباء، و فى زيارة قبور الشهداء.

و هذا الحافظ نور الدين الهيثمى فى كتابه «مجمع الزوائد و منبع الفوائد» يذكر فى كتاب الحج أبواب زيارة المدينة، و أبواب الدعاء لها و الصبر على



بلائها و فضل من يموت بها، و إكرام أهلهـا، و يعقـد بابـا بعنـوان بـاب زيـارة رسول الله ﷺ، و باب وضع الوجه على قبر رسول الله ﷺ.

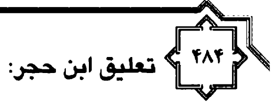
و هذا الإمام الحافظ المنذرى يذكر فى كتاب «الترغيب و الترهيب» أبـواب الترغيب فى الصلاة فى المسجد النبـوى، و الترغيـب فـى سـكنى المدينـة إلـى المات، و ما جاء فى فضلها، و فضل أهلها، و الترهيب من إخافتهم أو إرادتهـم بسوء، كل ذالك بعد أبواب المناسك مباشرة.

منهج أهل الفقه:

و على هذا المنهج الحميد سلك أهـل الفقـه فـى كتـبهم؛ فهـذه كتـب فقـه المذاهب الإسلامية كالحنفية، و المالكية، و الشافعية، و الحنابلـة، و الجعفريـة، و الزيدية، و الإباضية و غيرها من المذاهب الفقهية المشهورة و غير المـشهورة كـل هؤلاء يعتنون فى كتب المذهب بمباحث الزيارة و مسائلها بعد مباحث الحج، و لا يحتاج هذا إلى دليل فهو ظاهر كالشمس فى رابعة النهار، أما كتـب المناسـك فهى أشد عناية و أعظم حرصا على هذا الموضـوع و أشـهرها كتـاب الإيـضاح للإمام النووى.

قال الإمام النووى: إذا انصرف الحجاج و المعتمرون من مكـة، فليتوجهـوا إلى مدينة رسول الله ﷺ لزيارة تربته ﷺ، فإنهـا مـن أهـم القربـات و أنجـح المساعى.

ثم ذكر الشيخ النووى بعد ذالك آداب الزيارة و السلام على النبـى ﷺ و ذكر ما ينبغى من الآداب المطلوبة من الزائر أثناء إقامته فى المدينة المنورة، و كـل ذالك مفصل فى كتابـه الجـامع للمناسـك المـسمى بــ (الإيـضاح) فـى البـاب السادس.



تعليق ابن حجر:

قال العلامة الفقيه الشيخ ابن حجر الهيتمى فى حاشية معلقا على قول النووى (إذا انصرف الحجاج) قال: حكمة تقييده كالأصحاب سن الزيارة بفراغ النسك. مع أنها مطلوبة فى كل وقت إجماعا بل قيل بوجوبها، إذ غالب الحجاج ليست المدينة الشريفة على طريقهم و إنما يتوجهون إلى مكة أولا للحج، و أيضا فهى فى حق الحاج آكد لخبر **«من حج و لم يزرنى فقد جفانى»**[1] و إن كان فى سنده مقال.

و لأنه إذا جاء من الآفاق البعيدة و قرب من المدينة. يقبح منه ترك الزيارة لدلالته على عدم اهتمامه بما هو من أهم القربات و أنجح المساعى.

و هل البداءة بالمدينة قبل مكة أفضل أو عكسه؟ فيه خلاف بين السلف، و ظاهر كلام الأصحاب يوحى إلى ترجيح البداءة، بمكة و الذى يتجه أن يقال إن اتسع الزمن للزيارة مع اتساعه بعدها للحج فالأولى تقديمها مبادرة لتحصيل هذه القربة العظيمة، فإنه ربما يعوقه عائق عن التوجه إليها بعد الحج، و إن لم يتسع لذالك قدم الحج. (كذا فى الحاشية ص٤٨٨).

و ذكر ابن عبد البر و البلاذرى و غيرهما: أن زياد ابن أبيه أراد الحج، فأتاه أبوبكرة و هو لا يكلمه، فأخذ ابنه ليخاطبه و يسمع زيادا. فقال: إن أباك فعل وفعل، و إنه يريد الحج، و أم حبيبة هناك، فإن أذنت له فأعظم بها مصيبة و خيانة لرسول الله ﷺ، و إن هى حجبته فأعظم بها حجة عليه. قال البلاذرى: فترك الحج تلك السنة، و قيل غير ذالك، فلولا أن إتيان المدينة و الزيارة للحج عندهم مما لا يترك ما قال أبوبكرة ذالك مع تمكن زياد من الحج على غير طريق المدينة، فإنه كان بالعراق و مكة أقرب إليه.

---

١ . شفاءالسقام، ص٢٦٢



و فى الشفاء: قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه: و مما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة، و القصد إلى الصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ و التبرك برؤية روضته، و منبره، و قبره، و مجلسه، و ملامس يديه، و مواطىء قدميه، و العمود الذى يستند إليه، و ينزل جبريل بالوحى فيه عليه، و ممن عمده و قصده من الصحابة و أئمة المسلمين، و الاعتبار بذالك كله.

واختلف السلف فى أن الأفضل للحاج البداءة بالمدينة أو بمكة، و إن ممن اختار البداءة بالمدينة: علقمة، و الأسود، و عمرو بن ميمون من التابعين، و لعل سببه إيثار الزيارة أولا.

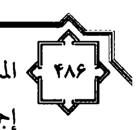
و فى فتاوى أبى الليث السمرقندى، روى الحسن بن زياد عن أبى حنيفة أنه قال: الأحسن للحاج أن يبدأ بمكة، فإذا قضى نسكه مر بالمدينة و إن بدأ بها جاز[١].

مناسك الشيخ عابد:

هذا من أشهر كتب المناسك عند المالكية، و هو «هداية الناسك على توضيح المناسك» لمفتى المالكية بمكة العلامة الإمام الشيخ محمد عابد ابن مفتى المالكية بمكة العلامة الإمام الشيخ محمد عابد ابن مفتى المالكية بمكة الشيخ حسين بن إبراهيم المالكى، و توضيح المناسك هو لأبيه المفتى الشيخ حسين المالكى، و هو فى هذا الكتاب جرى على ما جرى عليه عامة الفقهاء فى كتبهم، فذكر فى آخر أبواب الحج مباحث الزيارة بعنوان: باب فى طلب زيارته ﷺ و الدليل على طلبها، ثم قال: هى سنة مجمع عليها، و فضيلة مرغب فيها. و قال فى الحاشية: اعلم وفقنى الله و إياك لطاعته و فهم خصوصيات نبيه ﷺ و

---

١ . خلاصة الوفا (ص ١٠٠).



المسارعة إلى مرضاته أن زيارته ﷺ مشروعة مطلوبة بالكتاب، و السنة، و إجماع الأمة، و القياس. ثم شرع يبين بقية الاحكام و الآداب و الفضائل[1].

مناسك القاري:

و من أشهر كتب المناسك المعتمدة: كتاب العلامة الفقيه المحدث الشيخ ملا على القارى المسمى (بالمسلك المتقسط في المنسك المتوسط) على لباب المناسك للإمام السندى، و هو من المراجع و المصادر المعتمدة الموثقة فى المذهب الحنفى.

و قد عقد بابا بعد مباحث الحج بعنوان: (باب زيارة سيد المرسلين ﷺ). قال فى أوله: اعلم أن زيارة سيد المرسلين ﷺ بإجماع المسلمين من أعظم القربات، و أفضل الطاعات، و أنجح المساعى لنيل الدرجات قريبة من درجة الواجبات لمن له سعة، و تركها غفلة عظيمة، و جفوة كبيرة. و إذا عزم على الزيارة فعليه أن يخلص نيته، و يجرد عزمه، فيبدأ بالحج، ثم بالزيارة إن لم يمر بالمدينة فى طريقه. و إن كان الحج نفلا فهو بالخيار بين البداءة بالمختار ﷺ بالآصال و الأبكار، و بين أن يحج أولا ليطهر من الأوزار، فيزور الطاهر طاهرا. (كذا فى إرشاد السارى)[2].

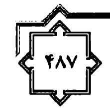
مناسك الجاسر:

هذا من أشهر كتب مناسك الحنابلة: كتاب (مفيد الأنام و نور الظلام فى تحرير الاحكام لحج بيت الله الحرام) للعلامة الفقيه الشيخ عبد الله ابن عبد الرحمن بن جاسر النجدى التميمى.

---

١ . هداية الناسك على توضيح المناسك للشيخ محمد عابد المالكى المطبوع بمطبعة الترقى الماجدية بمكة المحمية ص: ١٧٠.

٢ . مناسك الملا على القارى مطبعة مصطفى محمد بمصر (ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥).



و قد عقد فصلا فى كتابه هذا عن الزيارة و ما جاء فيها. قال فى أوله: (فصل) قال شيخ الإسلام رحمه الله: و إذا دخل المدينة قبل الحج أو بعده؛ فإنه يأتى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم و يصلى فيه، و الصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام. إلى آخر ما جاء فى الفصل. و هو و إن كان له رأيه فى شد الرحل و أحاديث الزيارة، لكن اضطر إلى الربط بين الموضوعين: موضوع المناسك و موضوع الزيارة، لما رأى من قوة المناسبة بينهما بشد الرحل لقصد المسجد أو قصد صاحبه.

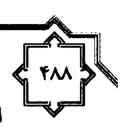
و قد ذكر جملة من أحاديث الزيارة و نقل أقوال العلماء. و ذالك أمانة علمية مشكورة و مبرورة. ثم ذكر ما يرجحه من الأقوال، أو يستظهره، و هذا رأيه و هو له و من حقه أن يقول ما يرى. و بذالك يكون قد أنصف فى البحث، و لم يجر مع من جرى فى هذا الموضوع من التحكم فى النقل بالهوى و الغرض، فينقل من الأقوال ما يوافق رأيه و يترك ما يعارضه و هو خيانة فى العرض و النقل.

إدخال الحجرة النبوية في المسجد الشريف و توجيه المراد من حديث «لعن الله اليهود و النصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد»[1]

لما كثر المسلمون، و ضاق المسجد النبوى عن المصلين؛ فلم يعد يستوعبهم بعد الزيادة التى زادها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه، أمر الوليد بن عبد الملك عامله على المدينة المنورة عمر بن عبد العزيز يهدم بيوت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن و إدخالها فى المسجد توسعة له، فقد كانت محيطة بالمسجد النبوى الشريف من الجنوب الشرقى إلى الشمال الغربى، و أبوابها شارعة فيه.

---

١ . صحيح البخارى، ج ٢، ص ٩١



فبكى الناس يومئذ على هدم البيوت لا على إدخال القبور المشرفة إلى المسجد، و الذى قام بذالك و نفذه عمر بن عبد العزيز ـ المعروف بصلاحه و تقواه ـ فى عهد التابعين، و قد كان فيهم بقايا من أصحاب رسول الله ﷺ.

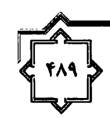
قال ابن أبى أنس: قد رأيتنى فى مسجد رسول الله ﷺ و فيه نفر من أصحابه: أبو سلمة بن عبد الرحمن، و أبو أمامة بن سهل، و خارجة بن زيد ـ يعنى لما نُقضت حجر أزواجه عليه الصلاة والسلام ـ و هم يبكون حتى اخضلت لحاهم من الدمع، و قال يومئذ أبو أمامة: ليتها تركت حتى يقصر الناس فى البنيان، و يروا ما رضى الله سبحانه لنبيه ﷺ و مفاتيح الدنيا بيده[١].

فلم ير هؤلاء و لا غيرهم أن إدخال القبور المشرفة فى المسجد مخالف للدين، أو ذريعة إلى شرك الأمة و ضلالها و كفرها، و أنها بذالك تكون قد اتخذت قبور نبيها ﷺ و صاحبيه رضي الله عنهما مسجدا، و أنها قد فعلت كما فعل اليهود و النصارى فاستوجبت بذالك اللعنة ـ حاشاهم من ذالك ـ و كل ما فعلوه أنهم أداروا حيطانا مرتفعة على القبور الشريفة لكيلا تظهر فى المسجد فيصلى إليها العوام، ثم بنوا جدارين من ركنى القبر الشماليين و حرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من جهة الشمال حتى لا يمكن استقبال القبر الشريف فى الصلاة.

أما ما يفهمه كثير من الناس ـ اليوم ـ من معنى قوله ﷺ: «**لعن الله اليهود النصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» إلخ. من أن المراد من ذالك هو بناء المساجد على قبور الأنبياء و الصالحين، و أن ذالك يؤدى إلى عبادتها و تعظيمها، فهو فهم سيء يؤدى إلى لعن الأمة و ضلالها و خروجها عن المنهج القويم، اتباعا لما كان عليه اليهود و النصارى من التبديل و التغيير، فيكونون بذالك من شرار الخلق عند الله.

---

١ . الدرة الثمنية فى أخبار المدينة للحافظ محمد بن محمود بن النجار ص٣٥٩،٣٥٨.



فكيف يتفق هذا الفهم مع ما قد ثبت في حق هذه الأمة بالكتاب و السنة المتواترة من أنها خير أمة أخرجت للناس، و أنها لا ترتد إلى الشرك مرة أخرى، و لا تجتمع على ضلالة.. إلى غير ذالك مما جاء في وصفها و نعتها؟

و كيف يفعل هذا في عهد التابعين و فيهم بقايا الصحابة، ثم تجتمع الأمة منذ هذا العهد و إلى الآن على بناء المسجد على قبر نبيها ﷺ، أو إدخال القبور الشريفة إلى المسجد؟ فالنتيجة واحدة.

لا شك أن هذا الفهم الخاطىء يؤدي إلى ما ذكرنا و إلى انحراف البعض و غلوهم في تكفير الأمة و تضليل خيارها ـ سلفا و خلفا ـ حتى جاهر بعضهم بتغيير وضع الحجرة النبوية ـ بإخراج القبر الشريف المكرم من المسجد ـ، و كان ذالك في عهد الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله فلما سمع ذالك غضب غضبا شديدا، و ثارت فيه الحمية الدينية و تكلم كلاما رادعا لصاحب ذالك الاقتراح الأثيم سمعه من كان حاضرا في مجلسه[1].

و لا نزال نسمع مثل هذه المقولة من بعض المتشددين أو المفتونين المنتسبين إلى العلم، و لا حول و لا قوة إلا بالله.

إن معنى اتخاذ القبور مساجد هو السجود لها على وجه تعظيمها و عبادتها، كما يسجد المشركون للأصنام و الأوثان، فلفظة اتخاذ القبر مسجدا معناه جعل القبر نفسه محلا للسجود عليه أو إليه تعظيما يشعر بعبادة صاحب القبر.

و قول السيدة عائشة رضي الله عنها في بعض روايات الحديث: **«فلولا ذالك لأبرزوا قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا»**[2].

---

١ . انظر مفاهيم يجب أن تصحح للمؤلف ص٣١٠.

٢ . صحيح البخاري، انظر «الفتح» ج ٣ ص١٥٦.



أي يسجد له، فلو كان القبر الشريف ظاهرا في المسجد لأدى ذالك إلى فتنة العوام و وقعهم في المحظور، و لذالك قال البيضاوى: «**لما كانت اليهود و النصارى يسجدو لقبور أنبيائهم تعظيما لشأنهم و يجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها و اتخذوها أوثانا، لعنهم و منع المسلمين عن مثل ذالك، فأما من اتخذ مسجدا في جوار صالح و قصد التبرك بالقرب منه لا للتعظيم له و لا التوجه نحوه، فلا يدخل في هذا الوعيد**»[1]. اهـ.

و أيضا فإن الإشارة في بعض روايات الحديث: «**أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا و صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**».[2]

قال الأبى في «شرح صحيح مسلم»: «الأظهر في الإشارة أنها لمن نحت وعبد، و إن كانت لمن نحت فقط فيحتمل كونهم شرارا بتصويرهم لحديث وعيد المصورين، فذم أولئك ليس لبنائهم المسجد على القبر، و لكن لنحتهم هذه الصور و التماثيل التي يعبدونها من دون الله»[3].

و لو كان إدخال القبور الشريفة إلى المسجد النبوى داخلا في حديث: «**لعن الله اليهود و النصارى..**» إلخ و ممنوعا ملعونا فاعله لحمى الله جانب نبيه ﷺ منه، و لصرف العباد عنه كما صرفهم عن غيره، فقد عصم الله الأمة أن تفعل بنبيها ﷺ كما فعل النصارى بالمسيح ابن مريم ؑ، مع أننا نجل نبينا ﷺ غاية الإجلال و التعظيم، و ليس هناك قبر أعظم من قبره ﷺ، و لكننا لم نفعل عنده كما فعل اليهود و النصارى؛ فقد أمن ﷺ هذه الأمة من الوقوع في الشرك

---

١ . نقله عنه ابن حجر في «الفتح» و اعتمده، انظر ج ١ ص٤١٧.

٢ . صحيح البخاري، ج١، ص١١١

٣ . شرح صحيح مسلم المسمى إكمال إكمال المعلم للأبى المالكى ج ٣ ص٩٦٧.



و الكفر مرة أخرى بقوله: «**إني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدی**»[1] متفق عليه.

فهذا الحديث صريح فی أن أمته ﷺ لا تشرك بالله شيئا بعد إيمانها، و أنه ﷺ لا يخاف عليها ذالك، فالأمة الإسلامية و الحمد لله بعيدة عن الشرك بعد الشمس من اللمس.

و السر فی ذالك يرجع إلی حفظ القرآن الكريم فی صدور هذه الأمة، و الذی هو مرجع قضايا التوحيد و العقيدة، بخلاف اليهود و النصاری الذين حرفوا التوراة و الإنجيل و لم يبق لهم شیء يرجعون إليه، فضلوا و أضلوا، أما دعوی الشرك علی هذه الأمة، و أن بناء المساجد علی قبور الأنبياء و الصالحين ذريعة إليها فهی محض كذب لا دليل عليها و ظاهر حديث: «**إني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدی**» أعظم برهان فی تكذيبها.

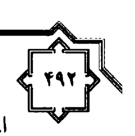
و أخيرا نقول:

إن إدخال القبر النبوی الشريف فی المسجد من أعلام نبوته ﷺ، فالنبی ﷺ أخبر بأن قبره الشريف سيكون داخل مسجده، بل زاد فأخبر بأن ما بين القبر و المنبر روضة من رياض الجنة، فهذا ترغيب فی بيان فضيلة الصلاة بين القبر و المنبر، و إذا لم يكن القبر الشريف داخل المسجد لا تتصور الصلاة بين القبر و المنبر، و لا يتأتی التعبير بقوله ﷺ: «**ما بين قبری و منبری روضة من رياض الجنة**».[2]

---

١ . صحيح البخاری، ج٢، ص٩٤

٢ . مسند البزار، ج١٤، ص١٢٣



لأنه إذا كان المنبر وسط المسجد و البيت الذى فيه قبره الشريف ﷺ خارج المسجد، لم يصح التعبير بالبينية خصوصا عند إرادة الصلاة، فإن البيت و سوره حاجز بين القبر و المنبر مانع من الصلاة فى موضعه[1].

قال ابن حزم فى «المحلى»: و قد أنذر عليه الصلاة والسلام بموضع قبره بقوله: **«ما بين قبرى و منبرى روضة من رياض الجنة»** و أعلم أنه فى بيته بذالك، و لم ينكر عليه الصلاة والسلام كون القبر فى البيت و لا نهى عن بناء قائم، و إنما نهى عن بناء على القبر قبة فقط[2] اهـ.

أى على نفس القبر ملتصقا به على هيئة القبة، كما جرت به عادة أكثر الناس.

أما الذين يتعللون بأن لفظ الحديث فى أكثر طرقه إنما هو **«ما بين بيتى و منبرى»** فالجواب عن ذالك أن هذا بالنسبة لرواية البخارى فقط لا بالنسبة لسائر طرق الحديث كما صرح الحافظ ابن حجر فى «الفتح» من كونه ورد بلفظ (القبر) من حديث سعد بن أبى وقاص بسند رجاله ثقات، و قد نص الطحاوى فى «مشكل الآثار» على أن أكثر الروايات لهذا الحديث إنما هى بلفظ «قبرى»[3].

و على فرض أنه ﷺ أراد نفس البيت لا القبر فقد علم ﷺ بإعلام الله إياه أن بيته سيدخل فى المسجد، و أن قبره سيكون فيه، فيكون القبر داخل المسجد، و به صار ما بين البيت و المنبر روضة من رياض الجنة.

فكيفما دار الحديث دل على المطلوب، و هو إذن النبى ﷺ بإدخال قبره الشريف فى المسجد.

---

١ . إحياء المقبور فى جواز بناء المسجد على القبور للسيد أحمد بن الصديق الغمارى ص٣٤.

٢ . المحلى لابن حزم ج ٥ ص١٩٨.

٣ . مشكل الآثار ج ٤ ص٧٢.



و قد تم ذالك فی عهد التابعين و فيهم بقايا أصحاب رسول الله كما ذكرنا، و بينهم كبار أئمتهم و علمائهم، مثل عمر بن عبد العزيز، و الحسن، و ابن سيرين، و فقهاء المدينة، و الكوفة، و البصرة، و الشام، و غيرها من أقطار الإسلام، ثم أجمعت الأمة بعدهم على ذالك و إجماعهم حجة.

و لو كان منهيا عنه لاستحال أن تتفق الأمة فی عصر التابعين ـ فی نهاية القرن الأول الذی هو خير القرون الثلاثة ـ على المنكر و الضلالة، و لا يقال إنهم سكتوا من أجل ضرورة توسعة المسجد فإنه كان فی الإمكان توسعته من جهة القبلة و الجهة المقابلة لها، و الجهة الجنوبية لها دون الجهة الشمالية الواقع فيها قبره ﷺ.

فلما تم هذا بمرأی من التابعين و لم ينه أحدهم عن ذالك، و لم ينقل إلينا اعتراض، دل ذالك على أن وضع الحجرة المشرفة بهذه الكيفية فی مسجده ﷺ لا علاقة له بما جاء فی حديث: لعن الله اليهود و النصاری..» إلخ، والله أعلم.

من آداب الزيارة النبوية

ينبغی لمن وفقه الله تعالى و وصل إلى المدينة المنورة أن يتمسك بالآداب الشرعية فی تلك الرحاب الطاهرة و المنازل المباركة، فيستشعر شرف المكان بالفضل الثابت بالعيان. فإذا دخل المسجد النبوی يدخل بسكينة و احترام و هدوء تام، و لا يرفع صوته لأن رفع الصوت فی المسجد منهی عنه، و هو فی مسجد النبی ﷺ أشد.

فقد ثبت أن المنصور أمير المؤمنين ناظر مالكا فيه، فقال له: «**يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك فی هذا المسجد النبوی، فإن الله تعالى أدب قوما فقال تعالى:**



﴿لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكم فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾[1] الآية، و مدح قوما فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللهِ﴾[2] الآية، و ذم قوما فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾[3] الآية. و إن حرمته ميتا كحرمته حيا» فاستكان لذالك المنصور[4]. فانظر يا أخى هذا الأدب العظيم من الإمام مالك و المنصور رحمهما الله.

و فى «البخارى» أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرجلين من أهل الطائف: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ضربا، ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله.

و فى «وفاء الوفا» للسمهودى روى عن أبى بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: لا ينبغى رفع الصوت على النبى صلى الله عليه و آله لا حيا و لا ميتا.

و أن عائشة رضي الله عنها كانت إذا وتد الوتد، أو ضرب المسمار فى بعض الدور المطيفة بالمسجد النبوى الشريف، ترسل إليهم: أن لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه و آله.

قلت: و إنما فعلت عائشة رضي الله عنها ذالك طلبا للاقتصار على قدر الحاجة فى ذالك، لأن فعل ما زاد عليه فى تلك الحضرة الشريفة ليس من الأدب، و هو صلى الله عليه و آله يتأذى ممن لا يراعى كمال الأدب معه لأنه حى فى الدارين.

---

١ . الحجرات: ٢

٢ . الحجرات: ٣

٣ . الحجرات: ٤

٤ . رواها القاضى عياض فى (الشفاء ٢:٤١) بسنده، و قال الخفاجى فى شرحه (٣:٣٩٨) بعد ذكره لقول من أنكرها: «ولله دره حيث أوردها بسند صحيح، و ذكر أنه تلقاها عند عدة من ثقات شيوخه» انتهى منه.

و ذكرها القسطلانى فى (المواهب ٤:٥٨٠)، و قال شارحه الزرقانى (٨:٣٠٤) بعد ذكر تكذيب بعضهم لها: «هذا تهور عجيب، فإن الحكاية رواها أبو الحسن على بن فهر فى كتابه «فضائل مالك» بأسناد حسن، و أخرجها القاضى عياض فى «الشفاء» من طريقه عن شيوخ عدة من ثقات مشايخه. فمن أين أنها كذب، و ليس فى إسنادها وضاع و لا كذاب». انتهى منه.



و ليست هناك صيغة مخصوصة للزيارة يسن التزامها أو التقيد بها، بل لو صلى و سلم على النبى ﷺ بأى صيغة أو أسلوب كفى، و يكفيه أن يقتصر على قوله: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر الصديق، السلام عليك يا أبا حفص عمر، كلما دخل المسجد. فقد كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا دخل المسجد يقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت، ثم ينصرف.

قال الشيخ ابن تيمية إذا قال فى سلامه: السلام عليك يا رسول الله، يا خيرة الله من خلقه، يا أكرم الخلق على ربه، يا إمام المتقين، فهذا كله من صفاته بأبى هو و أمى ﷺ.

و ينبغى أن يحترس مما يفعله بعض الناس أمام الحجرة من تمسح و نحوه، فلا يستلم الحجرة و لا يقبلها و لا يطوف بها، و لا يتصنع وجدا أو حالا أو شوقا كاذبا، فإن المتشبع بما ليس عنده كلابس ثوبى زور.

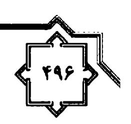
و قد حفظ الله تلك الرحاب الطاهرة من كل ما ينافى التوحيد، و لا يوجد بين الأمة المسلمة بحمد الله من يعتقد فيه ﷺ، أو فى قبره ﷺ اعتقادا باطلا، استجابةً لدعائه ﷺ حين قال: «**اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد**»[1]، و تحقيقا لما أخبر به أنه لا يجتمع دينان بجزيرة العرب، و أن الشيطان قد أيس أن يعبد بالجزيرة.

آداب الزيارة في نونية ابن القيم التوحيدية

و لا تظنن ما يفعله بعض الناس مما ظاهره ينافى التوحيد إلا صادرا عن جهل يحتاج إلى تعليم و تنبيه.

---

١ . الموطأ، ج١، ص١٧٢



قال الشيخ ابن القيم:

و لقد نهانا أن نصيّر قبره عيدا حذار الشرك بالرحمن
و دعا بأن لا يجعل القبر الذى قد ضمه وثنا من الأوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه و أحاطه بثلاثة جدران
حتى غدت أرجاؤه بدعائه فى عزة و حماية وصيان

و ينبغى للمسلم أن يتأدب فى تلك الحضرة، ملاحظا أنه ﷺ يشعر به و يعرفه و يرد ﷺ و يعلم موقفه، و أن حرمته ميتا كحرمته حيا.

قال الشيخ ابن القيم:

فإذا أتينا المسجد النبوى صـ ـلينا التحية أولاً ثنتان
ثم انثنينا للزيارة نقصد الـ ـقبر الشريف و لو على الأجفان
فنقوم دون القبر وقفة خاضع متذلل فى السر و الإعلان
فكانه فى القبر حى ناطق فالواقفون نواكس الأذقان
ملكتهم تلك المهابة فاعترت تلك القوائم كثرة الرجفان
و تفجرت تلك العيون بمائها و لطالما غاضت على الأزمان
و أتى المسلم بالسلام بهيبة و وقار ذى علم و ذى إيمان
لم يرفع الأصوات حول ضريحه كلا و لم يسجد على الأذقان

تحليل القصيدة:

و لو تأمل الناظر هذه القصيدة بتبصر و تفكر و إنصاف لوجد أنها تعبير صادق عما يعتقده المحبون و الزائرون لرسول الله ﷺ و المتعلقون به و المادحون و المعظمون له تعظيم المحب الصادق الموحد المؤمن المتبع للسلف الصالح القائم بأقل مما أوجبه عليه ربه سبحانه و تعالى فى حق نبيه ﷺ كما جاء عنه.



أقول: لو تأمل الناظر ما جاء فى هذه القصيدة من وصف الحال الذى ينبغى أن يكون عليه الزائر الواقف أمام المواجهة الشريفة للسلام عليه ﷺ لوجد أن كثيرا من الناس مقصرون فى هذا الأدب، و بعيدون بعدا كبيرا عن مراعاة ما ينبغى نحو هذا المقام النبوى العظيم، و أن حالهم الذى نراهم عليه ينقص كثيرا عن الحال العالى الرفيع المطلوب الذى وصفه الشيخ ابن القيم، هذا الحال الذى لا يحصل عن كثير من هؤلاء الواقفين القائمين للسلام على سيدنا رسول الله ﷺ.

هل يحس المتوجه إلى القبر الشريف بأنه يمشى على عينيه لا على قدميه كما يقول الشيخ ابن القيم فى هذه النونية:

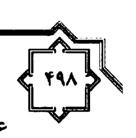
ثم انثنينا للزيارة نقصد الـ ... ـقبر الشريف ولو على الأجفان

و يتفق شيخنا السيد محمد أمين كتبى مع الشيخ ابن القيم فى هذا الأدب حيث يقول:

هذى المدينة قد بدت أعلامها ... و العنبرية بابها المأهول
فاملأ عيونك من بلاد قد ثوى ... فيها النبى و قد مشى جبريل
ثم ائت روضته وصلّ بها و قل ... ما تشتهى منها فأنت نزيل
و إذا دنوت من النبى فقف على ... عينيك و استحضره حيث تقول
و قل السلام عليك يا من ظله ... أبدا على هذا الوجود ظليل

و هل يقف المسلّم عليه ﷺ أمام القبر الشريف وقفة خاضع متذلل فى السر و الإعلان و الظاهر و الباطن كما يفعل ذالك أئمة السلف الصالح أهل الأدب و الفضل و الذوق، و منهم الشيخ ابن القيم الذى يقول مخبرا عن نفسه و مرشدا لغيره بقوله:

فنقوم دون القبر وقفة خاضع ... متذلل في السر و الإعلان



و هل يحس الواقف أمام تلك الحضرة بالهيبة و الجلال الذى خلعه الله تعالى على سيدنا محمد ﷺ فتوج جماله الرفيع بالجلال..

و زيّن حسنه البديع بالهيبة و الكمال..

و حلى تواضعه الكريم بالخشية و الوقار..

و هذا هو الذى يحصل عند كبار أئمة السلف، و منهم الشيخ الإمام ابن القيم إذ يقول فى النونية:

ملكتهم تلك المهابة فاعترت ... تلك القوائم كثرة الرجفان

و تفجرت تلك العيون بمائها ... و لطالما غاضت على الأزمان

و أتى المسلّم بالسلام بهيبة ... و وقار ذى علم و ذى إيمان

و هل يشعر الواقف أمام المواجهة الشريفة للسلام على المصطفى ﷺ بأنه بين يدى من يسمع الكلام و يرد السلام، بين يدى من قال عن نفسه بأنه لا تأكل الأرض جسده، و أن روحه حاضرة شاهدة، و أنه يرد الجواب، و هذا لا يكون إلا من الحى الناطق الذى يحس و يعقل و يشعر، فهو حى حياة برزخية كاملة صادقة ناطقة، و هذا الحال هو الذى يحصل لكبار أئمة السلف عند زيارته ﷺ و الوقوف أمام قبره، و منهم الشيخ ابن القيم إذ يقول فى النونية:

فكانه في القبر حي ناطق ... فالواقفون نواكس الأذقان

و مثله الإمام عبد الله الحداد إذ يقول:

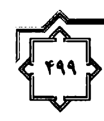
وقفنا و سلمنا على خير مرسل ... و خير نبى ما له من مناظر

فرد علينا و هو حى و حاضر ... فشرف من حى كريم وحاضر

و فى هذا المعنى العظيم يقول الإمام الفقيه الشيخ ابن حجر الهيتمى:

تواترت الأدلة و النقول ... فما يحصى المصنف ما يقول

بأن المصطفى حى طرى ... هلال ليس يطرقه أفول



و أن الجسم منه بقاع لحد كورد لا يدنسه الذبول
و أن الهاشمى بكل وصف جميل لا يغيره الحلول
و أن الدود لا يأتى إليه كذا الآفات ليس لها وصول
و لم تأكل له الغبراء لحما و لا عظما، و أثبت ما أقول

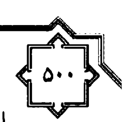
إلى آخر القصيدة الغراء.

و فى هذا المعنى يقول العلامة أبو عبد الله محمد بن أبى بكر المشهور بابن الرشيد البغدادى:

وقفنا و سلمنا عليه و إنه ليسمعنا من غير شك فديناه
ورد علينا بالسلام سلامنا وقد زادنا فوق الذي قد بدأناه
كذا كان خلق المصطفى و صفاته بذالك فى الكتب الصحاح

و يلتقى شيخنا السيد محمد أمين كتبى مع الشيخ ابن القيم فى هذا الأدب حين يقول:

يا سعد من زار الحبيب وقام في أعتابه بتأدب و توقر
و رأى مشاهده الكريمة كلها بين العريض وبين باب العنبر
و أقام أيام الزيارة يغتدى ويروح في ظل النخيل المثمر
و يرى أحبته و يملأ عينه منهم و يخفق قلبه في المحضر
زرنا البقيع وسيد الشهدا ومن في ذالك الوادي الفسيح الأزهر
وقبا وسلعا والعريض ومن به و القبلتين ولم ندع من مأثر
أيامنا كانت بها مشهودة أيام أفراح و عيد أكبر
لم أنس أيام المدينة إنها تهدي إلى نسيم مسك أذفر
نور على نور و حسبك أنها في خير دار للحبيب و مهجر

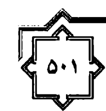


و يلتقى الشيخ شمس الدين النواجى مع الشيخ ابن القيم فى هذه المعانى الجليلة التى تصور حال الزائر الصادق عند الوقوف للسلام على النبى ﷺ أمام قبره الشريف و ما ينبغى أن يكون عليه من الأدب و الخشوع و البكاء و الهيبة فيقول:

قم و زر قبره و يمّم حماه | بخضوع و حسرة و ندامه
عفّر الخد فى التراب و طهر | ه بماء الدموع تمح أثامه
أفضل الأرض تربة شُرّفت بالـ | ـهاشمى المصطفى وضمت عظامه
و هو فى قبره المعظم حى | من يسلّم عليه ردّ سلامه

و يلتقى الشهاب محمود مع الشيخ ابن القيم أيضا فى هذا المعنى القيم:

هذى الديار بلغتها فلك الهنا | بُشراك أدركت المآرب و المنى
عفر بها خديك و الثم تربها | و استجل ما ملأ الوجود من السنا
واحطط رحال الشوق في أرجائها | و اترك تذكر من نأى أو من دنا
و إذا حصرت عن الكلام فلا ترع | فالحب ما منع الكلام الألسنا
هذا المقام الهاشمى و منزل | الروح الأمين بدا ضياؤهما لنا
هذا هو الحرم الذى حسدت على | إدراك بهجته القلوب الأعينا
لو لم يفق كل البقاع لما غدا | للمصطفى دون المواطن موطنا
هاتيك روضته التى من زارها | فقد اجتلى نور القبول المجتنى
هذاك منبره الذى كم قد علا | ركنيه يرشد من هناك و من هنا
فاثبت على قدميك و اشهده و لا | تحفل بمرء عن أوامره عنا
هذا إذا اسطعت الوقوف أمامه | أولا فأولى أن تراع و تجبنا
سلم و قل بتأدب يا خير من | زان اسمه الأسماءَ فينا و الكنى



بقية الآداب

و ينبغى لمن وصل إلى المدينة المنورة أن يجتهد فى المحافظة على الصلاة فى المسجد النبوى المشرف، فقد ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**»[١].

قال النووى: و هذا التفضيل يعم الفرض و النفل.

و هذا التفضيل يعم المسجد القديم و ما أضيف إليه من جديد الآن و قبل الآن. و ينبغى أيضا أن لا ينسى روضة الجنة فى الدنيا، ففى الحديث الصحيح مرفوعا: «**ما بين قبرى و منبرى روضة من رياض الجنة**».[٢]

و فى لفظ: «**ما بين بيتى و منبرى روضة من رياض الجنة**»[٣] و أن يجتهد فى الصلاة فيها، لكن بشرط أن لا يؤذى أحد بالمزاحمة و المدافعة، و لا يتأخر فى الحضور إلى المسجد، ثم يتوجه إلى الروضة للصلاة فيها فيؤذى المصلين، و يتخطى الرقاب، و يقطع الصفوف، و يشوش على الذاكرين، و يسبب المخاصمة و المجادلة التى قد تخرج إلى المشاتمة و القول القبيح، فهو بهذا قد ارتكب الحرام للوصول إلى السنة، فوقع فى الشر من حيث أراد الخير.

الزيارة و الدعاء

ذكر العلماء رحمهم الله: أنه يستحب لمن زار النبى ﷺ أن يقف للدعاء مستقبلا للقبر الشريف، فيسأل الله تعالى ما يشاء من الخير و الفضل، و لا يلزمه أن

---

١ . صحيح مسلم، ج٤، ص١٢٤

٢ . مسند البزار، ج١٤، ص١٢٣

٣ . صحيح البخارى، ج٢، ص٥٧



يتوجه إلى القبلة، و لا يكون بوقوفه ذالك مبتدعا أو ضالا أو مشركا، و قد نص العلماء على هذا الأمر، بل قد ذهب بعضهم إلى القول بالاستحباب.

و الأصل في هذا الباب هو ما جاء عن الإمام مالك بن أنس لما ناظره أبو جعفر المنصور في المسجد النبوي، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوما فقال: ﴿لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُم فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾[١] الآية، و قد مدح قوما فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللهِ﴾[٢] الآية، و ذم قوما فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾[٣] الآية. و إن حرمته ميتا كحرمته حيا، فاستكان لها أبو جعفر فقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة و أدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: و لم تصرف وجهك عنه و هو وسيلتك و وسيلة أبيك آدم ﵇ إلى الله تعالى يوم القيامة، بل استقبله، و استشفع به، فيشفعه الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾[٤] الآية.

و هذه القصة رواها القاضي عياض بسنده في كتابه المعروف بـ «الشفا في التعريف بحقوق المصطفى» في باب من أبواب الزيارة[٥] و قد صرح كثير من العلماء بهذا.

قال الشيخ ابن تيمية: قال ابن وهب فيما يرويه عن مالك: إذا سلم على النبي ﷺ يقف و وجهه إلى القبر لا إلى القبلة، و يدنو، و يسلم، و يدعو، و لا يمس القبر بيده. اهـ(من اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٩٦).

---

١ . الحجرات: ٢

٢ . الحجرات: ٣

٣ . الحجرات: ٤

٤ . النساء: ٦٤

٥ . و قوله: «**هو وسيلتك و وسيلة أبيك آدم**» يشير به إلى حديث توسل آدم بالنبي ﷺ، و هو حديث مشهور أخرجه الحاكم في المستدرك و صححه، و كذا البيهقي في دلائل النبوة، و في المفاهيم (ص ١١٩) بحث واسع عنه، و ألف فيه العلماء رسائل خاصة مشهورة.



و صرح النووى رحمه الله بذالك فى كتابه المعروف بـ «الأذكار» فى أبواب الزيارة، و كذالك فى «الإيضاح» فى باب الزيارة، و كذالك فى «المجموع» له.

قال الخفاجى شارح «الشفا»: قال السبكى: صرح أصحابنا بأنه يستحب أن يأتى القبر و يستقبله و يستدبر القبلة، ثم يسلم على النبى ﷺ ثم على الشيخين، ثم يرجع إلى موقفه الأول و يقف فيدعو[1]. اهـ.

فتوى كبار علماء الحديث في الهند عن حكم استقبال القبر حالة الدعاء

سئل جماعة كبار علماء الحديث من أهل السنة و الجماعة فى الهند عن حكم استقبال القبر النبوى حالة الدعاء بعد الزيارة النبى ﷺ، و هذا نص السؤال و الجواب كما جاء فى كتاب «المفند»:

السؤال: هل للداعى فى المسجد النبوى أن يجعل وجهه إلى القبر المنيف و يسأل من المولى الجليل متوسلا بنبيه الفخيم النبيل ﷺ؟

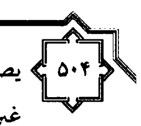
الجواب: اختلف الفقهاء فى ذالك كما ذكره الملا على القارى رحمه الله فى «المسلك المتقسط» فقال: ثم اعلم أنه ذكر بعض مشايخنا كأبى الليث و من تبعه كالكرمانى و السروجى أنه يقف الزائر مستقبل القبلة، كذا رواه الحسن عن أبى حنيفة رضي الله عنه.

ثم نقل عن ابن الهمام بأن ما نقل عن أبى الليث مردود بما روى أبو حنيفة عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: من السنة أن تأتى قبر رسول الله ﷺ فتستقبل القبر بوجهك ثم تقول: السلام عليك أيها النبى و رحمة الله و بركاته.

ثم أيده برواية أخرى أخرجها مجد الدين اللغوى عن ابن المبارك قال: سمعت أبا حنيفة يقول: قدم أيوب السختيانى و أنا بالمدينة فقلت: لأنظرن ما

---

١ . شرح الشفا للخفاجى ج ٣ ص٣٩٨.



يصنع! فجعل ظهره مما يلى القبلة، و وجهه مما يلى وجه رسول الله ﷺ و بكى غير متباك، فقام مقام فقيه.

ثم قال العلامة القارى بعد نقله: و فيه تنبيه على أن هذا هو مختار الإمام بعد ما كان مترددا فى مقام المرام.

ثم قال: الجمع بين الروايتين ممكن.

فظهر بهذا أنه يجوز كلا الأمرين، لكن المختار أن يستقبل وقت الزيارة مما يلى وجهه الشريف، و هو المأخوذ به عندنا و عليه عملنا و عمل مشايخنا، و هكذا الحكم فى الدعاء كما روى عن مالك لما سأله بعض الخلفاء، و قد صرح به مولانا الكنكوهى فى رسالته «زبدة المناسك».

و عليه توقيع كبار علماء الحديث من أهل السنة و الجماعة، و تأييد علماء الحرمين، و الأزهر، و الشام الذين تقدمت أسماؤهم فى الفتوى السابقة فى مسألة شد الرحال لزيارة القبر النبوى[١].

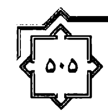
التوسل بقبر النبي ﷺ بإرشاد السيدة عائشة رضي الله عنها

قال الإمام الحافظ الدارمى فى كتابه السنن «باب ما أكرم الله تعالى به نبيه ﷺ بعد موته»: حدثنا أبو النعمان، حدثنا سعيد بن زيد، حدثنا عمرو بن مالك النكرى، حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال: قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت: انظروا قبر رسول الله ﷺ فاجعلوا منه كواً إلى السماء حتى لا يكون بينه و بين السماء سقف، قال: ففعلوا، فمطرنا مطرا حتى نبت العشب، و سمنت الإبل و تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق.[٢] و معنى (كوا) أى: نافذة. اهـ. (سنن الدارمى)

---

١ . ص١١٣ من هذا الكتاب.

٢ . سنن الدارمى، ج١، ص٤٤



فهذا توسل بقبره ﷺ لا من حيث كونه قبرا، بل من حيث كونه ضم جسد أشرف المخلوقين، و حبيب رب العالمين، فتشرف بهذه المجاورة العظيمة، و استحق بذالك المنقبة الكريمة.

تخريج الحديث: أما أبو النعمان فهو محمد بن الفضل الملقب بعارم، شيخ البخارى، قال الحافظ فى «التقريب» عنه: ـ ثقة ثبت ـ تغير فى آخر عمره.

قلت: و هذا لا يضره، و لا يقدح فى روايته، لأن البخارى روى له فى «صحيحه» أكثر من مائة حديث، و بعد اختلاطه لم تحمل عنه رواية، قاله الدارقطنى، و لا ينبئك مثل خبير.

و قد رد الذهبى على ابن حبان قوله: بأن وقع له أحاديث منكرة فقال: و لم يقدر ابن حبان أن يسوق له حديثا منكرا، فأين ما زعم؟ (كذا فى ميزان الاعتدال ج ٤ ص٨).

و أما سعيد بن زيد: فهو صدوق له أوهام، و كذالك حال عمرو بن مالك النكرى كما قال الحافظ ابن حجر عنهما فى «التقريب».

و قد قرر العلماء بأن هذه الصيغة و هى: «صدوق يهم» من صيغ التوثيق لا من صيغ التضعيف، كذا فى «تدريب الراوى».

و أما أبو الجوزاء: فهو أوس بن عبد الله الربعى و هو ثقة من رجال الصحيحين، فهذا سند لا بأس به، بل هو جيد عندى، فقد قبله العلماء و استشهدوا بكثير من أمثاله و بمن هم أقل حالا من رجاله.

السيدة عائشة و موقفها من قبر النبي ﷺ

أما قول بعضهم: بأن هذا الأثر[1] موقوف على عائشة ؓ و هى صحابية، و عمل الصحابة ليس بحجة.

---

١ . الذى تقدم قبل صفحتين تحت عنوان التوسل بقبر النبى ﷺ.



فالجواب هو: أنه و إن كان رأيا لعائشة إلا أنها ﵂ معروفة بغزارة العلم، و فعلت ذالك في المدينة بين علماء الصحابة، و يكفينا من هذه القصة أنه دليل على أن عائشة أم المؤمنين تعلم أن رسول الله ﷺ لا زال بعد وفاته رحيما و شافعا لأمته، و أن من زاره و استشفع به شفع له، كما فعلت أم المؤمنين، و ليس هو من قبيل الشرك أو من وسائل الشرك كما يلغط به هؤلاء المكفرون المضللون، فإن عائشة ﵂ و من شهدها لم يكونوا ممن يجهلون الشرك و لا ما يمت إليه بصلة.

فالقصة تدمغ هؤلاء و تثبت أن النبي ﷺ يهتم بأمته في قبره حتى بعد وفاته، و قد ثبت أن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله ﷺ و أضع ثيابي، و أقول: إنما هو زوجي و أبي، فلما دفن عمر معهما فوالله ما دخلت إلا و أنا مشدودة حياء من عمر. رواه أحمد.

قال الحافظ الهيثمي: رجاله رجال الصحيح[1]، و وراه الحاكم في «المستدرك»، و قال صحيح على شرط الشيخين، و لم يعترضه الذهبي بشيء[2].

و لم تعمل عائشة ﵂ عملا باطلا، بل هي تعلم أن النبي ﷺ و صاحبيه يعلمان من هو عند قبورهم.

و قد قال النبي ﷺ لمعاذ حين أرسله لليمن: «فلعلك تمر بقبري و مسجدي»[3]. رواه أحمد و الطبراني، و رجالهما ثقات إلا يزيد لم يسمع من معاذ[4]، فتوفي رسول الله ﷺ و جاء معاذ إلى قبر النبي ﷺ باكيا، و شاهده عمر بن

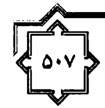
---

١ . مجمع الزوائد ٨/ ٢٦.

٢ . المستدرك ٤/ ٧.

٣ . مسند احمد، ج٥، ص٢٣٥

٤ . مجمع الزوائد ١/ ١٥٥.



الخطاب ﷺ على هذا الحال، و جرت بينهما هذه المحادثة ما رواها زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرج عمر إلى المسجد فوجد معاذ بن جبل عند قبر النبي ﷺ يبكي قال: ما يبكيك؟ قال: حديث سمعته عن رسول الله ﷺ: **«اليسير من الرياء شرك»**.[1]

قال الحاكم: صحيح و لا يعرف له علة، و وافقه الذهبي فقال: صحيح لا علة له[2].

و قال المنذري في «الترغيب و الترهيب»: رواه ابن ماجه و البيهقي و الحاكم قال: صحيح لا علة له.

قلت: و أقره المنذري[3].

التوسل بقبر النبي ﷺ في خلافة عمر ﷺ

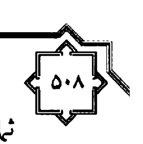
و قال الحافظ أبوبكر البيهقي: أخبرنا أبو نصر بن قتادة و أبوبكر الفارسي قالا: حدثنا أبو عمر بن مطر، حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي، حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن مالك قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: **«ائت عمر فأقرئه مني السلام و أخبرهم أنهم مسقون، و قل له: عليك بالكيس الكيس»**، فأتى الرجل فأخبر عمر فقال: يا رب! ما آلو إلا ما عجزت عنه.

---

١ . المستدرك على الصحيحين، ج١، ص٤٤

٢ . المستدرك ج ١ ص٤ .

٣ . الترغيب و الترهيب ج ١ ص٨٢.



هذا إسناد صحيح، كذا قال الحافظ ابن كثير فى «البداية» فى حوادث عام ثمانية عشر[١].

و روى ابن أبى شيبة بإسناد صحيح من رواية أبى صالح السمان عن مالك الدار ـ و كان خازن عمر ـ قال: أصاب الناس قحط فى زمن عمر ﷺ، فجاء رجل إلى قبر النبى ﷺ فقال: يا رسول الله! استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتى الرجل فى المنام فقال له: ائت عمر... الحديث.[٢]

و قد روى سيف فى «الفتوح»: أن الذى رأى فى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزنى أحد الصحابة، قال ابن حجر: إسناده صحيح. اهـ[٣].

و لم يقل أحد من الأئمة الذين رووا الحديث و لا من بعدهم ممن مر بتصانيفهم من الأئمة إنه كفر و ضلال، و لا طعن أحد فى متن الحديث به، و قد أورد هذا الحديث ابن حجر العسقلانى فى «الفتح»، و صحح سنده كما تقدم، و هو من هو فى علمه و فضله و مقامه بين حفاظ الحديث مما لا يحتاج إلى بيان و تفصيل.

هل يجوز التبرك بالقبر النبوي

التبرك بقبره الشريف في مذهب عمر بن الخطاب:

لما حضرت الوفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قال لابنه عبد الله: انطلق إلى أم المؤمنين عائشة ﷺ فقل: يقرأ عليك عمر السلام، و لا تقل أمير

---

١ . البداية و النهاية لابن كثير ١/ ٩١.

٢ . المصنف لابن ابى شيبه، ج٧، ص٤٨٢

٣ . فتح البارى ج ٢ ص٤١٥.



المؤمنين، فإني لست اليوم بأمير المؤمنين، و قل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، قال: فاستأذن و سلم، ثم دخل عليها و هي تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر السلام و يستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي، و لأوثرنه اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، فقال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت، فقال: الحمد لله، ما كان شيء أهم إلي من ذالك، فإذا أنا قبضت فاحملوني، ثم سلم، و قل: يستأذن عمر، فإن أذنت لي فأدخلوني، و إن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين.[1]

أخرجه بطوله البخاري في كتاب الجنائز، باب «ما جاء في قبر النبي ﷺ»، و في كتاب فضائل الصحابة باب: «قصة البيعة».

التبرك بالقبر النبوي في مذهب حافظ الإسلام و إمام أئمة الإسلام الذهبي

قال الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي: أخبرنا أحمد بن عبد المنعم، غير مرة، أنا أبو جعفر الصيدلاني ـ كتابة ـ أنا أبو على الحداد حضورا ـ أنا أبو نعيم الحافظ، نا عبد الله بن جعفر، ثنا محمد بن عاصم، نا أبو أسامة، عن عبيد الله بن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أنه كان يكره مس قبر النبي ﷺ».

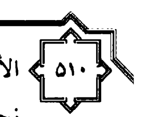
قلت[2]: كره ذالك لأنه رآه إساءة أدب. و قد سئل أحمد بن حنبل عن مس القبر النبوي و تقبيله فلم ير بأسا، رواه عنه ولده عبد الله بن أحمد.

فإن قيل: فهلا فعل ذالك الصحابة؟ قيل: لأنهم عاينوه حيا، و تملوا به وقبلوا يده، و كادوا يقتتلون على وضوئه، و اقتسموا شعره المطهر يوم الحج

---

١ . صحيح البخاري، ج٤، ص٢٠٥

٢ . القائل هو الحافظ الذهبي.



الأكبر، و كان إذا تنخم لا تكاد نخامته تقع إلا فی يد رجل، فيدلك بها وجهه، و نحن فلما لم يصح لنا مثل هذا النصيب الأوفر، ترامينا على قبره بالالتزام و التبجيل و الاستلام و التقبيل، ألا ترى كيف فعل ثابت البنانی؟ كان يقبل يد أنس بن مالك و يضعها علی وجهه و يقول: يد مست يد رسول الله ﷺ. و هذه الأمور لا يحركها من المسلم إلا فرط حبه للنبی ﷺ، إذ هو مأمور بأن يحب الله و رسوله أشد من حبه لنفسه و ولده و الناس أجمعين، و من أمواله و من الجنة و حورها، بل خلق من المؤمنين يحبون أبا بكر و عمر و أكثر من حب أنفسهم.

حكى لنا جندار أنه كان بجبل البقاع فسمع رجلا سبّ أبا بكر، فسل سيفه و ضرب عنقه، و لو كان سمعه يسبه أو يسب أباه لما استباح دمه. ألا ترى الصحابة فی فرط حبهم للنبی ﷺ قالوا: ألا نسجد لك؟ فقال: لا، فلو أذن لهم لسجدوا له سجود إجلال و توقير لا سجود عبادة، كما قد سجد إخوة يوسف عليه السلام ليوسف. و كذالك القول فی سجود المسلم لقبر النبی ﷺ علی سبيل التعظيم و التبجيل لا يكفر به أصلا، بل يكون عاصيا، فليعرف أن هذا منهی عنه. و كذالك الصلاة إلی القبر[1].

النبي ﷺ يجيب من ناداه

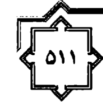
النبی ﷺ يجيب من ناداه قائلا: يا محمد!

فی حديث أبی هريرة رضي الله عنه عند أبی يعلی فی ذكر عيسی عليه السلام: **«و لئن قام علی قبری فقال: يا محمد! لأجيبنه»**.[2]

---

١ . معجم الشيوخ للذهبی ج ١ ص٧٣ ـ ٧٤.

٢ . مجمع الزوائد، ج٨، ص٢١١



ذكره الحافظ ابن حجر فى: «المطالب العالية» ٤:٢٣ بعنوان: حياته ﷺ فى قبره.

الزيارة النبوية و التوسل

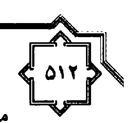
من أعظم القربات و الطاعات التى يفرح بها الزائر التوسل برسول الله ﷺ، إن التوسل بالنبى ﷺ و غيره من الأنبياء و الأولياء جائز، بل مندوب، و قد عدّ من آداب الدعاء على ما فى «الحصن» و هو بمعنى الدعاء و السؤال من الله تعالى بجاههم لديه و التوجه إليه بحرمتهم عنده، و قد ألف كثير من أجلاء علماء السنة و الجماعة فى جواز ذالك كتبا مستقلة و بسطوا فيها أدلة منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ﴾[1] و ذالك أن ابتغاء الوسيلة إليه هو التوسل إليه بما يقربه إليه، سواء فى ذالك الأعمال و الأشخاص أولو المكانة و الجاه عنده إبقاءً للمطلق على إطلاقه، و تخصيصه بالتوسل بالأعمال تحكم لا داعى له، كيف و إن الذوات الفاضلة أفضل من الأعمال الصادرة عنها، و يبعد التخصيص المذكور أن الله تعالى أمر بالتقوى و هى فعل المأمور به و ترك المنهى عنه، فإذا حمل ابتغاء الوسيلة على التوسل بالأعمال كان ذالك تأكيدا للأمر بالتقوى، و حمل الكلام على التأسيس خير من حمله على التأكيد.

الزيارة و المناسك

و تذكر أكثر كتب المناسك أنه ينبغى للحاج أن لا يفوت فرصة زيارة المصطفى عليه الصلاة والسلام خصوصا و قد وصل إلى هذه الأماكن.

---

١ . المائدة: ٣٥.



قال النووى: إذا انصرف الحجاج و المعتمرون من مكة، فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله ﷺ لزيارة تربته ﷺ، فإنها من أهم القربات و أنجح المساعى.

ثم ذكر الشيخ النووى بعد ذالك آداب الزيارة و السلام على النبى ﷺ و ذكر ما ينبغى من الآداب المطلوبة من الزائر أثناء إقامته فى المدينة المنورة، و كل ذالك مفصل فى كتابه الجامع للمناسك المسمى بـ «الإيضاح» فى الباب السادس[1].

تعليق ابن حجر:

قال العلامة الشيخ ابن حجر الهيتمى فى حاشيته معلقا على قول النووى: «إذا انصرف الحجاج» قال: حكمة تقييده كالأصحاب سنّ الزيارة بفراغ النسك، مع أنها مطلوبة فى كل وقت إجماعا، بل قيل بوجوبها، إذ غالب الحجاج ليست المدينة الشريفة على طريقهم، و إنما يتوجهون إلى مكة أولا للحج، و أيضا فهى فى حق الحاج آكد لخبر: «**من حج و لم يزرنى فقد جفانى**» و إن كان فى سنده مقال.

و لأنه إذا جاء من الآفاق البعيدة و قرب من المدينة، يقبح منه ترك الزيارة لدلالته على عدم اهتمامه بما هو من أهم القربات و أنجح المساعى، و هل البداءة بالمدينة قبل مكة أفضل أو عكسه؟ فيه خلاف بين السلف، و ظاهر كلام الأصحاب يوحى إلى ترجيح البداءة بمكة، و الذى يتجه أن يقال إن اتسع الزمن للزيارة مع اتساعه بعدها للحج فالأولى تقديمها مبادرة لتحصيل هذه القربة العظيمة، فإنه ربما يعوقه عائق عن التوجه إليها بعد الحج، و إن لم يتسع لذالك قدم الحج (كذا فى الحاشية ص٤٨٨).

---

١ . الإيضاح للنووى ص٤٨٧.



و ذكر ابن عبد البر، و البلاذرى و غيرهما: أن زياد بن أبيه أراد الحج، فأتاه أبوبكرة و هو لا يكلمه، فأخذ ابنه ليخاطبه و يسمع زيادا، فقال: إن أباك فعل وفعل، و إنه يريد الحج، و أم حبيبة هناك، فإن أذنت له فأعظم بها مصيبة و خيانة لرسول الله ﷺ، و إن هى حجبته فأعظم بها حجة عليه.

قال البلاذرى: فترك الحج تلك السنة، و قيل غير ذالك، فلولا أن إتيان المدينة و الزيارة للحج عندهم مما لا يترك ما قال أبوبكرة ذالك مع تمكن زياد من الحج على غير طريق المدينة، فإنه كان بالعراق و مكة أقرب إليه.

و فى «الشفاء» قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه: و مما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة و القصد إلى الصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ، و التبرك برؤية روضته، و منبره و قبره، و مجلسه، و ملامس يديه، و مواطىء قدميه، و العمود الذى يستند إليه و ينزل جبريل بالوحى فيه عليه و من عمره و قصده من الصحابة و أئمة المسلمين، و الاعتبار بذالك كله.

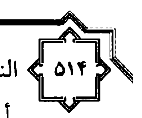
و اختلف السلف فى أن الأفضل للحاج البداءة بالمدينة أو بمكة، و إن ممن اختار البداءة بالمدينة: علقمة، و الأسود، و عمرو بن ميمون من التابعين، و لعل سببه إيثار الزيارة أولا.

و فى فتاوى أبى الليث السمرقندى، روى الحسن بن زياد عن أبى حنيفة أنه قال: الأحسن للحاج أن يبدأ بمكة، فإذا قضى نسكه مر بالمدينة و إن بدأ بها جاز[1].

نصوص الأئمة الحنابلة في استحسان الزيارة مع المناسك

قال الشيخ أبو محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة: و يستحب زيارة قبر

١ . خلاصة الوفا ص١٠٠.



النبى ﷺ. ثم قال: و إذا حج الذى لم يحج قط ـ يعنى من غير طريق الشام ـ لا يأخذ على طريق المدينة، لأنى أخاف أن يحدث به حدث فينبغى أن يقصد مكة من أقصر الطرق و لا يتشاغل بغيره.

قال الشيخ شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن قدامة الحنبلى فى كتابه «الشرح الكبير».

مسألة: فإذا فرغ من الحج استحب زيارة قبر النبى ﷺ و قبر صاحبيه رضي الله عنهما. اهـ (الشرح الكبير ج ٣ ص٤٩٥).

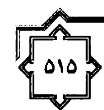
و قال الشيخ منصور بن يونس البهوتى فى كتابه «كشف القناع عن متن الإقناع»:

فصل: و إذا فرغ من الحج استحب له زيارة قبر النبى ﷺ و قبرى صاحبيه أبى بكر و عمر رضي الله عنهما.

تنبيه: قال ابن نصر الله: لازم استحباب زيارة قبره ﷺ استحباب شد الرحال إليها، لأن زيارته للحاج بعد حجه لا تمكن بدون شد الرحال، فهذا كالتصريح باستحباب شد الرحل لزيارته ﷺ. اهـ (كشاف القناع ج ٣ ص٥٩٨).

فوائد الزيارة النبوية

عقد لذالك الإمام الشيخ أحمد بن حجر الهيتمى فصلا فى كتابه الجليل «الجواهر المنظم» فقال:



الفصل الثاني

في فضائل الزيارة و فوائدها

و فيها دلائل واضحة و تأييدات ظاهرة لائحة على ما برهنا عليه في الفصل الأول من أنها مشروعة مطلوبة، و أنها من أنجح المساعي، و أهم القربات، و أفضل الأعمال، و أزكى العبادات، إذ هي إنما تتمايز بتمايز ثمراتها، و تفاوت ثوابها و تباين درجاتها، و من تأمل ما يأتي علم أن في زيارته ﷺ من عظيم الفوائد ما يبلغ به المخلص فيها إلى أعلى المقاصد، و يرد به أعذب الموارد و أوسع العوائد.

اعلم أنه مرت أحاديث كثيرة منها ما حكم عليه بعض الحفاظ بالصحة، و منها ما هو جيد الإسناد، و منها ما يتقوى بغيره، متضمنة لفضائل عظيمة تحصل للزائر، فلا بأس بسردها هنا لتستحضر فوائدها و ترجى عوائدها و هي:

قوله ﷺ: **«من زار قبري وجبت له شفاعتي»**.[1]

و معنى **«وجبت له شفاعتي»**: أنها ثابتة له بالوعد الصادق لا بد منها، و أفاد قوله ﷺ مع عموم شفاعته له و لغيره أنه يختص بشفاعة تناسب عظيم عمله، إما بزيادة النعيم، و إما بتخفيف الأهوال عنه في ذالك اليوم، و إما بكونه من الذين يحشرون بلا حساب، و إما برفع درجات في الجنة، و إما بزيادة شهود الحق و النظر إليه، و إما بغير ذالك مما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر.

هذا كله إن أريد أنه يُخصّ بشفاعة لا تحصل لغيره، و يحتمل أن يراد أنه يفرد بشفاعة مما يحصل لغيره، و الإفراد للتشريف و التقوية بسبب الزيادة، و أن يراد

---

١ . سنن الدارقطني، ج٢، ص٢٤٤



أنه ببركتها يجب دخوله فيمن تناله الشفاعة فهو بشرى بموته مسلما، فيجرى على عمومه و لا يضمر فيه شرط الوفاة على الإسلام، و إلا لم يكن لذكر الزيارة معنى، لأن الإسلام وحده كاف فى نيل هذه الشفاعة بخلافه عن الأولين.

و أفادت إضافة الشفاعة له ﷺ أنها شفاعة عظيمة جليلة إذ هى تعظم بعظم الشافع، و لا أعظم منه ﷺ، فلا أعظم من شفاعته.

و قوله ﷺ: **«من زارنى بعد موتى فكانما زارنى فى حياتى»**.[1]

و قوله ﷺ: **«من جاءنى زائرا لا تعمله حاجة إلا زيارتى كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة»**.[2]

و قوله ﷺ: **«من جاءنى زائرا كان له حقا على الله عز وجل أن أكون له شفيعا يوم القيامة»**[3].

و الحاصل: أن هذا الثواب العظيم و هو الفوز بتلك الشفاعة العظيمة منه ﷺ، لا يحصل إلا لمن أخلص وجهته فيها بأن لا يقصد بها أو معها أمرا آخر ينافيها.

و من أعظم فوائد الزيارة: أن زائره ﷺ إذ صلى و سلم عليه ﷺ عند قبره سمعه سماعا حقيقيا، ورد عليه من غير واسطة و ناهيك بذالك، بخلاف من يصلى أو يسلم عليه ﷺ من بعد، فإن ذالك لا يبلغه ﷺ و لا يسمعه إلا بواسطة، و الدليل على ذالك أحاديث كثيرة.

منها: ما جاء عنه ﷺ بسند جيد ـ و إن قيل: أنه غريب ـ: **«من صلى عليّ عند قبري سمعته و من صلى عليّ من بعيد أعلمته»**.[4]

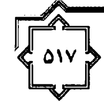
---

١ . شفاء السقام، ص١١٤

٢ . المعجم الكبير، ج١٢، ص٢٢٥

٣ . لم اعثر به

٤ . كنز العمال، ج١، ص٤٩٨



و فى رواية فى سندها متروك: «**من صلى عليّ عند قبري سمعته و من صلى عليّ نائيا ـ أي: بعيدا ـ وكل الله به ملكا يبلغني وكفى أمر دنياه و آخرته و كنت له يوم القيامة شهيدا أو شفيعا**»[١].

و فى رواية: «**ما من عبد يسلم عليّ عند قبري إلا وكل الله به ملكا يبلغني**».[٢]

و فى أخرى فى سندها ضعف لكن له شواهد تقوية: «**أكثروا الصلاة عليّ فإن الله وكل بي ملكا عند قبري فإذا صلى عليّ رجل من أمتي قال ذالك الملك: يا محمد إن فلان ابن فلان صلى عليك الساعة**».[٣]

و فى أخرى سندها حسن، بل صحيح كما قاله النووى و غيره و نوزع بما لا يقدح: «**ما من أحد يسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام**»[٤].

وروى ابن بشكوال: «**ما من أحد يسلّم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه**».

و فى رواية: «**ما من مسلم يسلم عليّ فى شرق و لا غرب إلا أنا و ملائكة ربي نردّ عليه السلام**»[٥] و سندها غريب بل فيه من اتهمه الذهبى بوضعه.

و فى أخرى سندها ضعيف: «**إن أقربكم مني يوم القيامة فى كل موطن أكثركم عليّ صلاة فى الدنيا**».[٦]

و فى رواية: «**من صلى عليّ فى يوم الجمعة و ليلة الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة، سبعين من حوائج الآخرة، و ثلاثين من حوائج الدنيا، ثم يوكل**

---

١ . المصدر نفسه

٢ . شعب الايمان، ج٦، ص٥٠

٣ . سبل الهدى و الرشاد، ج١٢، ص٤١٦

٤ . سنن ابى داود، ج١، ص٤٥٣

٥ . امتاع الاسماع، ج١١، ص٥٩

٦ . تاريخ مدينه دمشق، ج٥٤، ص٣٠١



الله بذالك ملكا يدخله في قبري كما تدخل عليكم الهدايا يخبرني بمن صلى عليّ باسمه و نسبه إلى عشيرته فأثبته عندي فى صحيفة بيضاء».[١]

و فى رواية زيادة: **«إن علمي بعد الموت كعلمي فى الحياة».**[٢]

و فى رواية أخرى رجالها ثقات إلا واحدا لم يعرف: **«من صلى عليّ بلغتني صلاته، و صليت عليه، و كتب له سوى ذالك عشر حسنات».**[٣]

و فى رواية أخرى صحيحة خلافا لمن طعن فيها؛ فقد أخرجها ابن خزيمة و ابن حبان فى «صحيحهما»، و الحاكم فى «مستدركه» و قال: هذا حديث حسن صحيح على شرط البخارى و لم يخرجاه.

و ممن صححه أيضا النووى فى «أذكاره»، و حسنه عبد الغنى، و المنذرى، و قال ابن دحية: إنه صحيح محفوظ بنقل العدل عن العدل، و من قال إنه منكر أو غريب لعلة خفية فقد استروح لأن الدارقطنى ردها: **«من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، و فيه قبض، و فيه النفخة، و فيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ»** فقالوا: يا رسول الله و كيف تعرض عليك صلاتنا و قد أرمت ـ يعنى: و قد بليت؟

قال: **«إن الله عز وجل حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»** صلوات الله عليهم[٤].

قال الخطابى: و (أرمت) بفتح أوليه و سكون ثالثه و فتح آخره، أصله أرممت أى: صرت رميما حذفت إحدى الميمين تخفيفا كأظلّت أى: أظللت، و الرميم و الرمة العظام البالية.

---

١ . المصدر نفسه

٢ . السيره الحلبيه، ج٢، ص٤٣٢

٣ . المعجم الكبير، ج٢، ص١٧٨

٤ . الحديث رواه أحمد فى مسند أوس بن أبى أوس الثقفى ٤/ ٨.



و قال غيره: الميم مشددة و التاء آخره ساكنة أى: أرمت العظام، و قيل: يروى بضم أوله و كسر ثانيه.

و فى أخرى رجالها ثقات إلا أنها منقطعة: **«أكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة و إن أحدا لن يصلي عليّ إلا عرضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها»**[١].

قال راويه أبو الدرداء ﷺ: و بعد الموت؟ فقال: **«و بعد الموت، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبي الله ﷺ حي يرزق»**.[٢]

أى من المعارف الربانية و المراتب الرحمانية ما يليق بعليّ مقامه، و يتلذذ فى قبره الشريف ﷺ كما كان يتلذذ به قبل وفاته فيكون غذاء لروحه الشريفة ﷺ عبر عنه بالرزق إشارة إلى أنه يشمل النعم الباطنة كالظاهرة فى الحياة و بعد الموت[٣].

عرض الصلاة عليه ﷺ

و فى الأحاديث ما يدل على عرضها عليه ﷺ وقت قولها، و يوم الجمعة، و يوم القيامة و لا تنافى بينها. فقد يكون العرض عليه ﷺ أى التبليغ له مرات متعددة كما ورد فى أحاديث ما يدل على أن الأعمال تعرض على الله سبحانه و تعالى كل يوم و ليلة، ثم كل من يوم اثنين و يوم خميس، ثم فى كل ليلة نصف شعبان.

و فى أخرى للطبرانى: **«ليس من عبد يصلى عليّ إلا بلغني صوته»**، قلنا: يا رسول الله و بعد وفاتك؟! قال: **«و بعد وفاتي، إن الله حرم على الأرض أن تأكل**

١و٢ . سنن ابن ماجه، ج١، ص٥٢٤

٣ . انتهى ملخصا من الجوهر المنظم لابن حجر الهيتمى ص٥٠.

أجساد الأنبياء».[١]

أى فسمعهم الحسى كبقية حواسهم الظاهرة و الباطنة باقية بحالها كما كانت عليه قبل وفاتهم على نبينا و عليهم الصلاة والسلام، لكن الله تعالى أغناهم عن الاحتياج إلى الغذاء الحسى كرامة لهم كالملائكة و أولى.

و في أخرى: قلنا: يا رسول الله! كيف تبلغك صلاتنا إذا تضمنتك الأرض؟! قال: **«إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»**.

و أخرج جمع أنه ﷺ قال: **«إن لله تبارك و تعالى ملكا أعطاه أسماع الخلائق فهو قائم على قبرى إذا مت، فليس أحد يصلي عليّ صلاة إلا قال: يا محمد! صلى عليك فلان ابن فلان، فيصلي الرب تبارك و تعالى على ذالك الرجل بكل واحدة عشرا»**.[٢]

و في أخرى: **«فهو قائم على قبري حتى تقوم الساعة فليس أحد من أمتي يصلي عليّ صلاة إلا قال: يا أحمد! فلان ابن فلان ـ باسمه و اسم أبيه ـ يصلي عليك كذا و كذا، و ضمن لي الرب أن من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه عشرا و إن زاد زاده الله»**[٣].

و في أخرى: **«إن الله وكل بقبري ملكا أعطاه أسماع الخلائق لا يصلي عليّ أحد إلى يوم القيامة إلا بلغني باسمه و اسم أبيه هذا فلان ابن فلان قد صلى عليك»**[٤].

و في أخرى زيادة: **«إني سألت ربي عز وجل أن لا يصلي عليّ واحد منهم صلاة إلا صلى عليه عشر أمثالها، و إن الله عز وجل أعطاني ذالك»**.[٥]

---

١ . امتاع الاسماع، ج١١، ص٦٥، عن الطبرانى
٢ . مجمع الزوائد، ج١٠، ص١٦٢
٣ . سبل الهدى و الرشاد، ج١٢، ص٤٢٧
٤ . مجمع الزوائد، ج١٠، ص١٦٢
٥ . سبل الهدى و الرشاد، ج١٢، ص٤٢٨



و فى سند الجميع راوٍ لينه البخارى، و وثقه ابن حبان، و آخر ضعفه بعضهم. انظرها فى «الترغيب و الترهيب» للمنذرى.

إبلاغ السلام في الحضور و الغيبة

تنبيه: يجمع بين هذه الأحاديث الظاهرة التعارض بادى الرأى و أحاديث أخرى كثيرة وردت بمعناها أو قريب منها، بأنه ﷺ يبلغ الصلاة والسلام إذا صدرا من بُعد، و يسمعهما إذا كانا عند قبره الشريف بلا واسطة، و إن ورد أن يبلغهما هنا أيضا كما مر، إذ لا مانع أنه من عند قبره يُخص بأن الملك يبلغ صلاته و سلامه مع سماعه لهما، إشعارا بمزيد خصوصيته، و الاعتناء بشأنه، و الاستمداد له بذالك سواء فى ذالك كله ليلة الجمعة و غيرها، إذ المقيد يقضى به على المطلق، و الجمع بين الأدلة التى ظاهرها التعارض واجب حيث أمكن.

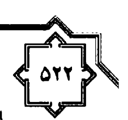
و أفتى النووى رحمه الله فيمن حلف بالطلاق الثلاث أن رسول الله ﷺ يسمع الصلاة عليه، هل يحنث؟ بأنه لا يحكم عليه بالحنث للشك فى ذالك، و الورع أن يلتزم الحنث.

و علم من بعضها أنه ﷺ يرد على من سلم و صلى عليه سواء زائره و غيره، و دعوى اختصاص ذالك بزائره يحتاج إلى دليل، بل يردها الخبر الصحيح: «**ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام**».[1]

فلو اختص رده ﷺ بزائره لم يكن له خصوصية به، لما علمت أن غيره يشاركه فى ذالك.

---

١ . الاستذكار لابن عبد البر، ج١، ص١٨٥



قال أبو اليمن بن عساكر: و إذا جاز رده ﷺ على من يسلم عليه من الزائرين لقبره الشريف ﷺ، جاز رده على من يسلم من جميع الآفاق من أمته على بُعد شقته.

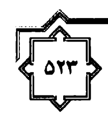
إذا علمت ذالك علمت أن رده ﷺ سلام الزائر عليه بنفسه الكريمة ﷺ أمر واقع لا شك فيه، و إنما الخلاف فى رده على المسلم عليه من غير الزائرين، فهذه فضيلة أخرى عظيمة ينالها الزائرون لقبره ﷺ فيجمع لهم بين سماع رسول الله ﷺ لأصواتهم من غير واسطة، و بين رده عليهم سلامهم بنفسه، فأنى لمن سمع بهذين، بل بأحدهما أن يتأخر عن زيارته ﷺ أو يتوانى عن المبادرة إلى المثول فى حضرته ﷺ!!

تالله ما يتأخر عن ذالك مع القدرة عليه إلا من حق عليه البعد عن الخيرات، و الطرد عن مواسم أعظم القربات، أعاذنا الله سبحانه و تعالى من ذالك بمنه و كرمه. آمين.

النبي ﷺ حي حياة لائقة بمقامه

و علم من تلك الأحاديث أيضا أنه ﷺ حى على الدوام، إذ المحال العادى أن يخلو الوجود كله عن واحد يسلم عليه فى ليل أو نهار، فنحن نؤمن و نصدق بأنه ﷺ حى يرزق، و أن جسده الشريف لا تأكله الأرض و كذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، و الإجماع على هذا.

قيل: و كذا العلماء و المؤذنون و الشهداء، صح أنه كشف عن غير واحد من العلماء و الأولياء فوجدوا لم تتغير أجسادهم، كما صح أن عبد الله أبا جابر، و عمرو بن الجموح، و هما ممن استشهد يوم أحد حفر السيل قبرهما بعد ست و أربعين سنة فوجدوا لم يتغيرا، و كان أحدهما جرح فوضع يده على جرحه فدفن



و هو كذالك فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت، و لما حفر سيدنا معاوية رضي الله عنه العين التى استنبطها بالمدينة و ذالك بعد أحد بنحو خمسين سنة و نقل الموتى، أصابت المسحاة قدم سيدنا حمزة عم رسول الله ﷺ فسال منها الدم.

نعم الظاهر من الأدلة أن حياة الشهداء أقوى من حياة الأولياء للنص عليها فى القرآن الكريم دون حياة الأنبياء، لأنهم بها أولى و أحرى، و التفاوت فيها بمعنى التفاوت فى ثمراتها غير بعيد، فتأمله.

و قد نظر بعض أئمتنا إلى أن حياته ﷺ امتازت بأنها تقتضى إثباتها حتى فى بعض احكام الدنيا، فعد من خصائصه ﷺ أن ما خلفه باق على ما كان فى حياته، فكان ينفق منه سيدنا أبوبكر رضي الله عنه على أهله و خدمه، و الموت الواقع له غير مستمر لعود الحياة الكاملة له و استمرارها.

و قد جمع البيهقى رحمه الله جزءا فى حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى قبورهم، و استدل بكثير من الأحاديث السابقة، و بالحديث الصحيح: «**الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون**»[1]، و يشهد له خبر مسلم: «**مررت بموسى ليلة أسرى بى عند الكثيب الأحمر و هو قائم يصلى فى قبره**».[2]

و دعوى أن هذا خاص به يبطلها خبر مسلم أيضا: «**فقد رأيتنى فى الحجر و قريش تسألنى عن مسراى...**»[3] الحديث.

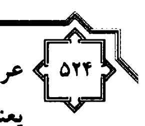
و فيه: و قد رأيتنى فى جملة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلى فإذا رجل ضرب جعد...» و فيه: «**إذ عيسى ابن مريم قائم يصلى أقرب الناس به شبها**

---

١ . مسند ابى يعلى، ج٦، ص١٤٧

٢ . صحيح مسلم، ج٧، ص١٠٢

٣ . صحيح مسلم، ج١، ص١٠٨



عروة بن مسعود، و إذا إبراهيم قائم يصلى أقرب الناس به شبها صاحبكم ـ أى: يعنى نفسه ـ فحانت الصلاة فأممتهم».

و فى حديث آخر: أنه لقيهم بيت المقدس، و فى أخرى: أنه لقيهم فى جماعة من الأنبياء بالسموات فكلمهم فكلموه.

قال البيهقى: و كل ذالك صحيح لا يخالف بعضه، فقد يرى موسى ﷺ قائما يصلى فى قبره، ثم يسرى بموسى ﷺ و غيره إلى بيت المقدس كما أسرى بنبينا ﷺ فيراهم فيه، ثم يعرج بهم إلى السموات كما عرج بنبينا ﷺ فيراهم فيها كما أخبر، و حلولهم فى أوقات بمواضع مختلفات جائز فى العقل كما ورد به الخبر الصادق، و فى كل ذالك دلالة على حياتهم. انتهى[1].

و فى قوله: «رأيتنى» مع أن الإسراء كان يقظة على الصواب الرد على من زعم أن ذالك كان مناما على أن رؤيا الأنبياء وحى.

و قد ثبتت حياة الشهداء فى البرزخ بنص القرآن الكريم، و صرح ابن عباس و ابن مسعود ؓ بأنه ﷺ مات شهيدا.

و يؤيد قوله ﷺ فى مرض موته: **«ما زالت أكلة خيبر ـ بالضم لأنه لم يأكل إلا لقمة واحدة ـ تعاودنى حتى كان الآن قطع أبهرى»**[2] أى أكله من الشاة التى سمت له بخيبر بسم قاتل من ساعته، و إنما لم يؤثر فيه حالا معجزة له ﷺ، ثم أثر فيه بعد.

قال العلماء: ليجمع الله تعالى له بين درجتى النبوة و الشهادة. اهـ.

و وجه الشهادة أنه قتل من كافر، و إن لم يكن فى معركة، و اشتراط كونها بها إنما هو لإجراء الاحكام الدنيوية، وفى حصول هذه الحياة لشهيد الآخرة

---

١ . حياة الأنبياء للبيهقى ص٨٤ ـ ٨٥.

٢ . شفاء السقام، ص٣٣٢، وفى كتب آخر مع اختلاف



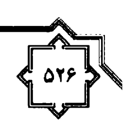
فقط كالغريق و المبطون توقف، و جمهور العلماء على أن حياة الشهداء حقيقية، ثم إنه في قول أنه للروح فقط، و في قول و للجسد أيضا، أي بمعنى أنه لا يبلى و أنه تستمر فيه أمارة الحياة من الدم و طراوة البدن، و هذا هو المشاهد في أبدانهم كما مر.

و القول بعود أرواحهم إلى أجسادهم و بقائها فيها إلى يوم القيامة، ردوه بأنه مخالف للأحاديث الصحيحة.

و المراد بالروح في الأحاديث السابقة النطق، كما صرح به جماعة؛ فهو ﷺ حي على الدوام، لكن لا يلزمه ـ لما يأتي عند السبكي ـ من حياته دوام نطقه، و إنما يرد عليه عند سلام كل مسلم أو صلاة كل مصل عليه ﷺ، أي: و عند صلاته و نحوها لما مر أنهم أحياء في قبورهم يصلون، و الظاهر أنها صلاة كصلاة الأحياء في الدنيا، و علاقة التجوز بالروح عن النطق لما بينهما من التلازم غالبا.

و أجاب البيهقي بأن معنى رد الروح إليه: أنه ردت إليه عقب دفنه ﷺ لأجل سلام من يسلم عليه، و استمرت في جسده الشريف ﷺ، لا أنها تعاد لرد السلام ثم تنزع، ثم ترد لرد السلام و هكذا، أي يلزم عليه من تعدد حياته و وفاته ﷺ في الساعة القصيرة جدا مرات كثيرة، و أجيب: بأنه لا محظور فيه إذ لا نزع و لا مشقة في ذالك الرد و إن تكرر.

و أجاب السبكي: بأنه محتمل أن يكون ردا معنويا، و أن تكون روحه الشريفة ﷺ مشتغلة بشهود الحضرة الإلهية و الملأ الأعلى عن هذا العالم، فإذا سلم عليه ﷺ أقبلت روحه الشريفة على هذا العالم لتدرك سلام من يسلم عليه و ترد عليه، و لا يلزم عليه استغراق الزمان كله في ذالك نظرا لاتصال الصلاة عليه في أقطار الأرض، لأن أمور الآخرة لا تدرك بالعقل، و أحوال البرزخ أشبه بأحوال الآخرة.



و قال بعضهم: المراد بالروح الملك الموكل به ﷺ.

و قال ابن العماد: يحتمل أن يراد به هنا السرور مجازا، فإنه قد يطلق و يراد به ذالك.

قيل: و إذا تقرر أنه ﷺ حي فلا يقال: عليه السلام، و لا عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الموتى، و قد امتلأت كتب كثير من امصنفين بذالك... فليجتنب هذا اللفظ.

و روى ابن أبي شيبة أن رجلا قال: أتيت رسول الله ﷺ قلت: عليك السلام يا رسول الله، فقال: **«لا تقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الموتى»**[1].

و روى الترمذي بسند حسن أن رجلا قال للنبي ﷺ: عليك السلام يا رسول الله ثلاث مرات فقال له: **«إن عليك السلام تحية الموتى»** ثم قال ﷺ: **«إذ لقي الرجل أخاه المسلم فليقل: السلام عليك و رحمة الله»** ثم رد ﷺ على الرجل سلامه فقال: **«و عليك السلام و رحمة الله»** ثلاثا. انتهى.[2]

لكن رده ﷺ على المسلم به يدل على أن لفظ (عليك السلام) سلام صحيح معتد به، و الفصل بين الابتداء و الرد بكلام يسير لغرض صحيح لا يضر.

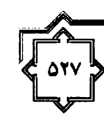
و أيضا فقد صح أنه ﷺ قال للموتى: **«السلام عليكم دار قوم مؤمنين»**[3] فدل على أن معنى كون (عليكم السلام) تحية الموتى أي موتى القلوب، أو أنها عادة جاهلية.

---

١. المصنف لابن ابى شيبه، ج٦، ص١٣٦

٢. سنن الترمذى، ج٤، ص١٧٠

٣. صحيح مسلم، ج١، ص١٥٠



و على كل فالسلام أفضل فى حق الحى و الميت.

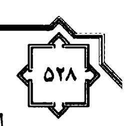
و لا ينافي ما تقرر من حياة الأنبياء في قبورهم ما في «صحيح ابن حبان» في قصة عجوز بني إسرائيل: أنها دلت نبي الله موسى على الصندوق الذي فيه عظام يوسف على نبينا و عليهما و على سائر الأنبياء و المرسلين أفضل الصلاة والسلام، فاستخرجه و حمله معهم عند قصدهم الذهاب من مصر إلى بيت المقدس، إما لأنها أرادت بالعظام كل البدن، أو لأن الجسد لما لم يشاهد فيه روح عبر عنه بالعظم الذي من شأنه عدم الإحساس، أو أن ذالك باعتبار ظنها أن أبدان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كأبدان غيرهم في البلى.

و لا ينافي ذالك بالنسبة لنبينا محمد ﷺ قوله: «**أنا أكرم على ربي من أن يتركني في قبري بعد ثلاث**»[1] لقول البيهقي: إن صحّ هذا الحديث، فالمراد أنهم لا يتركون لا يصلون إلا بهذا القدر، ثم يكونون مصلين بين يدي الله تعالى، و إن كانوا في قبورهم لما مر أنهم أحياء يصلون في قبورهم.

و في خبر غير ثابت أيضا: أن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة، و لكن يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصور[2]، و كان هذا هو سند ما رواه عبد الرزاق عن ابن المسيب أنه رأى قوما يسلمون على النبي ﷺ فقال: ما مكث نبي في الأرض أكثر من أربعين يوما[3]، و سند هذه المقالة لا أصل له، فمن ثم لم يعول العلماء عليها بل أجمعوا على خلافها، و أن الأنبياء أحياء في قبورهم، و أنه يسن السلام عليهم عند قبورهم، و مع البعد عنها.

١و٢ . فتح الباري، ج٦، ص٣٥٢

٣ . المصنف لعبد الرزاق، ج٣، ص٥٧٦



على أنه جاء عن ابن المسيب نفسه ما يرد ذالك، و هو أن: يزيد ابن معاوية لما حاصر المدينة المشرفة ـ على ساكنها أفضل الصلاة و السلام ـ و قتل من أهلها من قتل حتى خلا المسجد الشريف عن إقامة الصلاة فيه مدة، قال ابن المسيب: كنت فيه، و ما كنت أعلم دخول الأوقات إلا بسماع الأذان و الإقامة من داخل القبر المكرم.

و مما يرد أيضا قوله ﷺ: **«مررت بموسى ليلة أسرى بى و هو قائم يصلى فى قبره»**[1].

و قول عثمان رضي الله عنه لما قال له الصحابة رضي الله عنهم و قد حوصر: الحق بالشام، قال: لم أفارق دار هجرتى و مجاورة رسول الله ﷺ فيها.

و إنما أطلت الكلام فى هذا المبحث لأن فيه إتحافا عظيما للزائر الذى يقف بين يدى رسول الله ﷺ و هو يعلم أنه حى حياة برزخية كاملة لائقة بمقامه، فهو يسمع صوته و توسله و شغفه به، و سؤاله منه أن يشفع له إلى ربه حتى يرضى عنه و يعطيه ما يحبه من خيرى الدنيا و الآخرة، فأى فائدة أجل من هذه الفائدة؟ و أى تحفة أعظم من هذه العائدة؟ فاشدد حينئذ بزيارته ﷺ يديك، واسع فى تحصيلها ما أمكنك لتساق هذه الخيرات و الفوائد عليك، و تحظى بالمثول فى ذالك الموقف المتكفل بحصول المأمول و إجابة السؤال، و بصلاح الأحوال و السعى فى التحلى بحلى أهل الكمال، و بمحق ما فرط من الزلات، وطهارة ما تدنس من الأخلاق و الصفات، حقق الله لنا ذالك، و خرق لنا العوائد لنكون من أهل تلك المسالك بمنه و كرمه. آمين.

---

١ . صحيح مسلم، ج٧، ص١٠٢



الخاتمة

في ذكر بعض الكتب و المصادر العلمية

اعتنى العلماء عناية عظيمة بقضية الزيارة النبوية فتحدثت عنها كتب الفقه و المناسك و المناقب و الخصائص، و ألفت فيها الكتب الخاصة المفردة في رسائل و بحوث صغيرة و كبيرة، و قد ذكرنا نصوص الفقهاء و المحدثين في هذا الموضوع من مصادرها المختلفة، و يمكن تصنيفها على أربعة أقسام:

القسم الأول: كتب المناقب و الخصائص.

القسم الثاني: كتب فقه المذاهب.

القسم الثالث: الكتب الخاصة بالزيارة.

القسم الرابع: كتب المناسك.

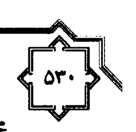
القسم الأول: كتب الخصائص و المناقب[1]

الشفا بتعريف حقوق المصطفى للعلامة القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، و قد طبع بمصر مرات متعددة و عليه شروح و تعليقات، و طبع بدمشق بتحقيق و تصحيح جملة من علماء الشام و هم: الشيخ محمد أمين قره على و الشيخ أسامة الرفاعي و الشيخ جمال السيروان و الشيخ نو الدين قره على بعناية مؤسسة علوم القرآن في مجلدين.

و من أشهر شروحه شرح الشيخ على بن سلطان بن محمد القاري المشهور بالملا على قاري، و قد طبع على هامش شرح الخفاجي في أربعة مجلدات سنة ١٣٢٧ بالمطبعة الأزهرية بمصر.

---

١ . يوجد في هذال القسم مباحث عن الزيارة.



و طبع مستقلا فى خمسة مجلدات طبعة جديدة بتعليق الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى مصر سابقا، بعناية مطبعة المدنى سنة ١٣٩٨هـ.

و من أشهر شروح الشفا شرح العلامة الشيخ شهاب الدين الخفاجى المصرى، و قد طبع مع شرح الملا على قارى فى أربعة مجلدات فى المطبعة الأزهرية سنة ١٣٢٧هـ، نشرته مرة أخرى مصورا المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

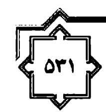
و قد قام الحافظ جلال الدين السيوطى بتخريج أحاديثه فى جزء لطيف سماه «مناهل الصفا بتخريج أحاديث الشفا» طبع طبعة حجرية قديمة.

و للعلامة الشيخ أحمد بن محمد بن محمد الشمنى حاشية لطيفة عليه سماها «مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء». طبعت معه بمصر، و انتشرت بتصوير دار الكتب العلمية بيروت.

الدر المنضود فى الصلاة و السلام على صاحب المقام المحمود ﷺ. لشيخ الإسلام الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر الهيتمى فى ص١٢٨ تحقيق الشيخ حسنين محمد مخلوف، طبع بمصر.

القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر السخاوى الشافعى فى ص٢٢١ طبعة بيروت لبنان.

الصلات و البشر للإمام شيخ الإسلام محمد بن محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، صاحب القاموس فى فصل، و قد طبع بدمشق سنة ١٣٨٥هـ بتحقيق الأستاذ محمد مطيع الحافظ، و الأستاذ محمد نور الدين الجزائرى و عبد القادرى الخيارى.



المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة الشيخ أحمد بن محمد القسطلاني فى الجزء الرابع المقصد العاشر الفصل الثانى ص٥٧٠ بتحقيق صالح أحمد الشامي. طبعة المكتب الإسلامي بيروت

شرح المواهب اللدنية للإمام العلامة الشيخ محمد بن عبد الباقى الزرقانى المالكى. و قد طبع بمصر فى ثمانية مجلدات، و بهامشه زاد المعاد.

الجامع لشعب الإيمان، للإمام الحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى ج ٨ ص٧٧. بتحقيق و تخريج مختار أحمد الندوى، طبعة الدار السلفية، بومباى ـ الهند.

المنهاج فى شعب الإيمان، للحافظ أبى عبد الله الحسين بن الحسن الحليمى، دار الفكر للطباعة و النشر.

كتاب فضائل الأعمال، للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسى، مطبعة دار العربى بمصر، نشر النمنكانى بالمدينة المنورة.

القسم الثاني: كتب فقه المذاهب

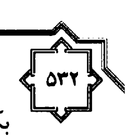
الذخيرة للإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافى.

المجلد الثالث، الباب الحادى عشر فى القدوم على ضريحه ﷺ، طبعة دار الغرب الإسلامى.

تهذيب المطالب لعبد الحق الصقلى المالكى.

الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، للعلامة أبى البركات أحمد بن محمد بن أحمد الدردير ج ٢ ص٣٨١.

قوانين الاحكام الشرعية و مسائل الفروع الفقهية، للعلامة محمد بن أحمد بن جزى الغرناطى المالكى، ص١٣٦، تحقيق و مراجعة الشيخ عبد الرحمن حسن محمود، طبع بمصر.



أسهل المدارك شرح إرشاد السالك فى فقه إمام الأئمة مالك، للشيخ أبى بكر بن حسن الكشناوى، ج ١ ص٥٢١، طبع بمطبعة عيسى الحلبى.

فتح القدير للشيخ كمال الدين بن الهمام الحنفى فى المقصد الثالث فى الزيارة، ج ٣ ص١٧٩.

رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين ج ٢ ص٢٥٧.

المحلى لابن حزم ج ٥ ص١٩٨.

المجموع للشيخ محيى الدين بن شرف النووى على المهذب للشيخ أبى إسحاق الشيرازى ج ٨ ص٢٧٢.

شرح الشيخ جلال الدين محمد بن أحمد المحلى على المنهاج للنووى ج ٢ ص١٢٥.

فتح الوهاب للشيخ أبى يحيى زكريا الأنصارى على منهج الطلاب له ج ١ ص١٤٩.

تحفة المحتاج للشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى ج ٤ ص١٤٤.

نهاية المحتاج للشيخ شمس الدين محمد بن أحمد أبى العباس الرملى ج ٣ ص٣١٩.

مغنى المحتاج للشيخ محمد بن أحمد الخطيب الشربينى ج ١ ص٥١٢.

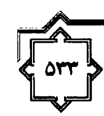
المغنى للشيخ موفق الدين عبد الله بن قدامة ج ٣ ص٥٥٦.

الشرح الكبير للشيخ شمس الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن قدامة ج ٣ ص٤٩٥.

كشاف القناع للشيخ منصور بن يونس البهوتى ج ٢ ص٥٩٨.

دليل الطالب للشيخ مرعى بن يوسف ص٨٨.

الفروع للشيخ العلامة الفقيه شمس الدين المقدسى محمد بن مفلح ج ٣ ص٥٢٣.



القسم الثالث: الكتب الخاصة بالزيارة

شفاء السقام فى زيارة خير الأنام للإمام العلامة الفقيه المحدث تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى المتوفى سنة ٧٥٦، و هو أول و أجمع الكتب المتخصصة المستقلة فى الكلام على مسألة الزيارة النبوية و شد الرحل إليها، و قد قال الحافظ الذهبى فى مدح مؤلفه التقى السبكى:

ليهن المنبر الأموى لما ... علاه الحاكم البحر التقى
شيوخ العصر أحفظهم جميعا ... و أخطبهم و أقضاهم علي

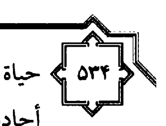
فكتابه أنفس كتاب صنف فى هذا الباب جمع فيه بين النقل و العقل، و عظم الجناب النبوى الشريف ﷺ و بارك عليه، و كان عف اللسان قوى الحجة ناصع البرهان، و قد حقق الأقوال فى مسألة الزيارة و غيرها من مباحث الكتاب تحقيقا ما عليه مزيد.

و قال شيخنا العلامة شيخ المادحين بمكة المكرمة السيد محمد أمين كتبى فى قصيدة له ذكر فى آخرها «شفاء السقام»:

ويح من قصر فى حق الحبيب ... فاته من حبه أوفى نصيب
فله حق على كل قريب ... وبعيد بأياديه الجسام
و خذ التفصيل من لو أنهم ... قدموا إذا ظلموا أنفسهم
و أحاديث رويناها لهم ... ساقها السبكى في شافي السقام

و قد طبع بمصر عدة مرات.

و قد جعله على عشرة أبواب ذكر فيها أحاديث الزيارة النبوية و فضلها و الحث على السفر إليها و تخريجها و الرد على المنكرين، و دفع شبه الخصوم، و نصوص العلماء فى هذه المسألة، ثم ذكر ما يتبع ذالك من الكلام على التوسل و



حياة الأنبياء فى برازخهم و الشفاعة، و ضمن كتابه هذا الرد على من زعم أن أحاديث الزيارة كلها موضوعة و أن السفر إليها بدعة غير مشروعة.

إتحاف الزائر و إطراف المقيم للسائر فى زيارة النبى ﷺ للشيخ الإمام العالم الحافظ الضابط أبى اليمن عبد الصمد ابن الشيخ الأجل أبى الحسن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله القرشى الدمشقى المعروف بابن عساكر.

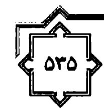
و هو جزء مخطوط يقع فى ١٢٥ صفحة جاء فى أخره:

(وتم استنساخها على يد الفقير محمد حسن بن محمد شمسية فى الخامس عشر من جمادى من عام ألف و ثلاثمائة و خمس و سبعين من الهجرة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة و أتم التسليم).

قال فى أوله: أخبرنا الإمام العالم الحافظ أبو اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن عساكر الدمشقى بقراءة الإمام أبى عمرو عثمان التوزرى و أنا حاضر بحرم سيدنا رسول الله ﷺ تجاه حجرته الشريفة فى ربيع الآخر سنة ثمان و سبعين و ستمائة، قال الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا محمد المصطفى الأمين، و على جميع الأنبياء و المرسلين و على آله و آلهم أجمعين، و رضى الله عن الصحابة و التابعين و سائر عباد الله الصالحين و سلم عليه و عليهم آمين.. آمين..

رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل و الزيارة، لأخينا الفاضل المحدث المسند الشيخ محمود سعيد ممدوح.

و هو كتاب عظيم يقع فى ثلاثمائة صفحة استوعب فيه المؤلف ما يتعلق بأحاديث التوسل و الزيارة، و قال فى المقدمة:



و أما المقصود فى مسألة الزيارة فهو إثبات إطباق فقهاء الأمة على استحباب أو وجوب زيارة المصطفى ﷺ بشد رحل أو بدونه، و أن من قال بتحريم الزيارة المستوجبة لشد الرحل قد ابتدع و خالف النصوص الصريحة و إطباق فقهاء مذهبه فضلا عن المذاهب الأخرى.

ثم قال: شاع بين كثير من الناس أن أحاديث الزيارة كلها ضعيفة بل موضوعة و هو خطأ بلا ريب، و مصادمة لقواعد الأحاديث بلا مين، و يكفي اللبيب قول الذهبى الحافظ الناقد عن أحاديث الزيارة؛ طرقه كلها لينة، لكن يتقوى بعضها ببعض، لأن ما فى روايتها متهم بالكذب. نقله عنه السخاوى، و أقره فى «المقاصد الحسنة» (ص ٤١٢) و منشأ هذا الخطأ هو الاعتماد على كتاب «الصارم المنكى فى الرد على السبكى» للحافظ أبى عبيد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادى رحمه الله.

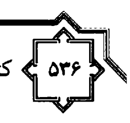
و لشيخنا المحدث السيد عبد العزيز الغمارى كلمة جامعة عن «الصارم المنكى» ذكرها فى كتابه «التهانى فى التعقيب على موضوعات الصغانى» فقال:

و ابن عبد الهادى سلك فى ذالك الكتاب مسلك الإفراط الخارج عن قواعد أهل الحديث، فيجب الحذر منه زيادة على سوء الأدب فى التعبير مع التقى السبكى الحافظ الثقة، و أتيانه فى حقه بما لا يليق بأهل العلم سلوكه.

الجوهر المنظم فى زيارة القبر النبوى الشريف المكرم، للعلامة الفقيه المحدث الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر الهيتمى المتوفى سنة ٩٧٣هـ و قد طبع بمصر قديما.

قال فى مقدمته أنه رتبه على مقدمة و ثمانية أبواب فصول و خاتمة.

تحفة الزوار إلى قبر النبى المختار للشيخ ابن حجر أيضا قال فى مقدمته: أنه رتبه على مقدمة و أربعة أبواب، قال ناشره المعلق عليه السيد أبو عمه: فإن يكن



كتابنا هذا هو لابن حجر الهيتمى فهذا يعنى أحد احتمالين:

الأول: أن يكون له كتابان فى موضوع الزيارة.

الثانى: أن يكون قد كتب كتابه المسمى بالجوهر المنظم أولا، و كتبه فى ثمانية أبواب و مقدمة، ثم اختصره و سماه بتحفة الزوار إلى قبر النبى المختار، و كتبه فى مقدمة و أربعة أبواب طلبا للاختصار... والله أعلم.

و قد طبع الكتاب بمصر سنة ١٤١٢هـ، و نشرته دار الصحابة للتراث بطنطا بتعليق و تحقيق السيد أبو عمه فى ٢٠٠ صفحة.

الدرة الثمينة فيما لزائر النبى ﷺ إلى المدينة.

تأليف العلامة العارف بالله عزوجل الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ محمد بن عبد رب النبى المدنى الدجانى الأنصارى الملقب بالقشاشى.

و هو كتاب يقع فى ١٥٠ صفحة، و قد طبع بمطبعة التقدم العلمية بمصر سنة ١٣٢٦هـ، قال فى أولها: و قد رتبت الرسالة على أربعة فصول و خاتمة بإذن الله...

الفصل الأول: فى سر المدينة المشرفة و أسمائها.

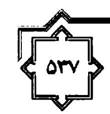
الفصل الثانى: فى بعض آداب السائرين و سيرهم و بعض شأنهم فى ذالك.

الفصل الثالث: فى مراتب الداخلين و تقاسيم دخولهم بحسب نزولهم و بحسب أحوالهم.

الفصل الرابع: فى تبديل مراتب الداخلين بالشفاعة بعد الدخول.

الخاتمة: فى جمل متفرقة ملحقة بذالك.

نفحات الرضا و القبول فى فضائل المدينة و زيارة سيدنا الرسول ﷺ للعلامة المحدث المؤرخ الشيخ أحمد بن محمد الحضراوى المكى. و قد طبع فى أول القرن الرابع عشر.



الذخائر القدسية فى زيارة خير البرية. للعلامة الفقيه شيخ مشايخنا الشيخ عبد الحميد بن محمد على قدس المكى. و طبع بمصر.

التوسل و الزيارة.. للشيخ محمد الفقى، و قد طبع بمصر فى مجلد فى ٢٠٠ صفحه.

مشارق الأنوار فى زيارة النبى المختار للإمام المحدث الشيخ حسن العدوى المالكى.

القسم الرابع: كتب المناسك

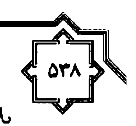
هداية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك، للإمام عز الدين بن جماعة الكنانى، المجلد الثالث، الباب السادس عشر فى زيارة سيدنا رسول الله ﷺ.

الإيضاح لمناسك الحج و العمرة للإمام العلامة الشيخ محيى الدين النووى، ص٤٨٩.

الحج و احكامه، تأليف وهبى سليمان غاوجى، طبع مؤسسة الرسالة ص١٩٧. و قال فى مسألة الزيارة: إن زيارة قبر رسول الله ﷺ بعد انتقاله سنة، ثبت ذالك بكتاب الله تعالى و سنة رسوله ﷺ و فعل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم و بالإجماع و عمل الناس و القياس.

يقول الفقير إلى الله كاتب هذه الرسالة: هذا ما تيسر لنا كتابته عن هذه المسألة. فإن كان صوابا فالحمد لله، و إن كان غير ذالك فإننى بشر أصيب و أخطىء، و كل منا يؤخذ منه و يرد عليه إلا السيد المعصوم ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى.

وأعوذ بالله من المراء و الجدال و الخصام، أعوذ بالله من علم لا ينفع و دعاء لا يسمع و قلب لا يخشع، و أعوذ بالله من كل سوء و شر و بلاء و شرك و بدعة، وأبرأ إلى الله مما تبرأ منه رسول الله ﷺ، و أقرّ بما أقرّ به ﷺ.



و أسأل الله أن يثبتنى عليه حتى أموت عليه مسلما موحدا مؤمنا بالله في بلاد الله وبين المؤمنين الموحدين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله محمد رسول الله منذ جاء بهم سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ و سار على ذالك أصحابه و أتباعهم من أئمة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه أجمعين. و كتب ذالك بقلمه و قال بفمه محمد بن علوى بن عباس المالكى مذهبا، السلفى عقيدة، المكى موطنا، الحسنى نسبا، عفا الله عنه، خادم العلم بالحرمين الشريفين.



المصادر

تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير.

الجامع لاحكام القرآن للإمام أبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى.

الموطأ للإمام مالك بن أنس.

شرح الرزقانى على الموطأ للإمام محمد بن عبد الباقى بن يوسف الزرقانى.

مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى.

فتح البارى على صحيح البخارى للحافظ أحمد بن حجر العسقلانى.

الكواكب الدرارى فى شرح صحيح البخارى للشيخ محمد بن يوسف الكرمانى.

فيض البارى شرح صحيح البخارى للشيخ محمد أنور الكشميرى.

شرح صحيح مسلم للإمام محيى الدين يحيى بن شرف النووى.

إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للشيخ محمد بن خليفة الوشتانى الأبى.

معالم السنن للإمام أبى سليمان حمد بن محمد الخطابى البستى.

مختصر أبى داود للحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى.

السنن للحافظ أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى.

المستدرك على الصحيحين للحافظ أبى عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى.

السنن للحافظ على بن عمر الدارقطنى.

المصنف للحافظ أبى بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى.

المصنف للحافظ عبد الله بن محمد بن أبى شيبة.

المعجم الكبير للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى.

دلائل النبوة للحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى.

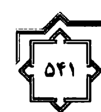
مجمع الزوائد و منبع الفوائد للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى.

فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوى.

الأذكار النووية للإمام محيى الدين يحيى بن شرف النووى.

مشكل الآثار للإمام أبى جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى.

الترغيب و الترهيب للحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى.
المنهاج فى شعب الإيمان للحافظ أبى عبد الله الحسين بن الحسن الحليمى.
حياة الأنبياء للحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى.
البيان و التحصيل للإمام أبى الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبى.
المجموع شرح المهذب لمحيى الدين يحيى بن شرف النووى.
الإيضاح فى مناسك الحج للنووى.
منهاج الطالبين و عمدة المفتين فى الفقه للنووى.
شرح المحلى على منهاج النووى للإمام جلال الدين بن أحمد المحلى.
مغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج للشيخ محمد بن أحمد الخطيب الشربينى.
نهاية المحتاج شرح المنهاج للشيخ شمس الدين محمد بن أحمد الرملى.
فتح الوهاب على منهج الطلاب لأبى يحيى زكريا الأنصارى.
كشاف القناع عن متن الإقناع للشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتى.
المغنى للشيخ موفق الدين أبى محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة.
الشرح الكبير على متن المقنع للشيخ شمس الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن قدامة المقدسى.
الفروع للشيخ شمس الدين محمد بن مفلح المقدسى.
دليل الطالب للشيخ مرعى بن يوسف الكرمى.
رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين.
المحلى للإمام أبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم.
مجموعة فتاوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
التقريب و التيسير فى معرفة سنن البشير النذير للنووى.
تدريب الراوى فى شرح تقريب النووى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى.
سير أعلام النبلاء للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى.
ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للحافظ الذهبى.
تاريخ دمشق الكبير للحافظ أبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر.
البداية و النهاية للحافظ إسماعيل بن كثير.



مصادر تخريج احاديث

الأدب المفرد، محمد بن اسماعيل البخاري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبع هالأولى، ١٤٠٦ق

الاستذكار، أبوعمريوسف بن عبدالله بن عبدالبر، تحقيق: سالم محمدعطا، محمدعلي معوض، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ق

إمتاع الأسماع، أحمد بن علي بن عبدالقادرالمقريزي، تحقيق: محمد عبدالحميد النميسي، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبع هالأولى، ١٤٢٠ق

تاريخ مدينة دمشق، أبي القاسم علي بن الحسن، ابن عساكر، تحقيق: علي شيري، دارالفكر، بيروت، ١٤١٥ق

التمهيد لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد، أبوعمريوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمدعبد الكبيرالبكري، وزارة عموم الأوقاف و الشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧ق

الجامع لاحكام القرآن، أبوعبد الله محمد بن أحمد القرطبي، المحقق: هشام سميرالبخاري، دارعالم الكتب، الرياض، الطبعة: ١٤٢٣ق

حياة الأنبياء صلوات الله عليهم بعد وفاتهم، أحمد بن الحسين بن علي أبوبكرالبيهقي، المحقق: الدكتورأحمد بن عطية الغامدي، مكتبة العلوم و الحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١١ق

سبل الهدى و الرشاد في سيرة خيرالعباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ علي محمد معوض، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤ق

سنن ابن ماجة، محمد بن يزيدالقزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دارالفكر، بيروت

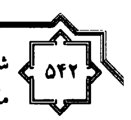
سنن أبي داود، أبوداود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

سنن الترمذي، أبوعبدالله، محمد بن علي بن الحسن بن بشرالترمذي، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، دارالفكر، بيروت، الطبعه: الثانية،١٤٠٣ق

سنن الدارقطني، الدارقطني، تحقيق: مجدي بن منصورسيد الشوري، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعه الاولى، ١٤١٧ق

سنن الدارمي، عبدالله بن بهرام الدارمي، مطبعة الاعتدال، دمشق، ١٣٤٩ق

السيرة الحلبية، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دارالمعرفه، بيروت، ١٤٠٠ق.



شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبوبكر البيهقي، تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعه الاولى، ١٤٢٣ق

شفاء السقام في زيارة خير الأنام، تقى الدين سبكى، الطبعه الرابعه، ١٤١٩ ق.

صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد الدارمى، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، موسسه الرساله، بيروت، الطبعه الثانية، ١٤١٤ق

صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، دارالفكر، بيروت، ١٤٠١ق

صحيح مسلم، مسلم بن حجاج النيسابوري، دارالفكر، بيروت

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تعليق: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دارالمعرفة، بيروت، ١٣٧٩ق

الكامل في ضعفاء الرجال، أبوأحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود ـ علي محمد معوض، الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ق

كتاب الموطأ، الإمام انس بن مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دارإحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦ق

كنزالعمال في سنن الأقوال والأفعال، علاءالدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني و صفوة السقا، مؤسسةالرسالة، الطبعةالخامسة،١٤٠١ق

لسان الميزان، احمد بن علي بن حجر العسقلانى، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعه الثانية، ١٣٩٠ق

مجمع الزوائد، نورالدين الهيثمي، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ق

مسند أبي يعلى، أبويعلى أحمد بن علي بن المثُنى، تحقيق: حسين سليم أسد، دارالمأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ق

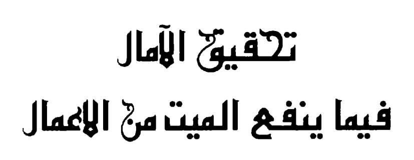
مسند احمد، الإمام احمد بن حنبل، دارصادر، بيروت

مسند البزار (البحرالزخار)، أبوبكرأحمد بن عمرو بن عبدالخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وغيره، مكتبة العلوم و الحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م

المصنف في الأحاديث و الآثار، أبوبكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ق

المصنف، أبوبكرعبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ق

المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبوالقاسم الطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، دارإحياء التراث العربي



بقلم

السيد محمد بن علوي المالكي الحسيني



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

أما بعد، فهذه رسالة تحتوى على بحوث علمية مهمة فى وصول ثواب القراءة للأموات و غيرها من الأعمال الصالحات و ما يتعلق بذالك من التلقين و الجلوس للعزاء، و سميتها: «تحقيق الآمال فيما ينفع الميت من الأعمال».

نسأل الله سبحانه و تعالى أن ينفع بها و أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، و أن يرينا الحق حقا و يرزقنا اتباعه و أن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه إنه سميع قدير و بالإجابة جدير وهو حسبنا و نعيم الوكيل. و ما توفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب.

سبحانك اللهم و بحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك، عملت سوءاً و ظلمت نفسى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

اللهم إنا نسألك العفو و العافية فى الدين و الدنيا و الآخرة و المال و الأهل و البدن.

اللهم إنا نسألك الرضا و العفو عما مضى، و اللطف فيما جرى به القضا.

و صلى الله و سلم على خاتم رسله سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

و كتبه الفقير إلى الله تعالى

السيد/ محمد بن السيد علوى المالكى الحسنى

خادم العلم الشريف بالبلد الحرام.



﴿و أن لَيسَ لِلإنسانِ إلّا مَا سَعى﴾

قال الله تعالى: ﴿وَأَنّ لَيسَ للإنسان إلّا ما سَعى﴾.

هذه الآية الكريمة من النصوص المهمة التى يتمسك بها كثير ممن يجرون وراء ظواهر الألفاظ و عمومات النصوص المطلقة دون مراعاة للأصول و القرائن الأخرى التى تفيد تخصيصا أو تقييدا للنص، و التى يجب أن لا تفهم النصوص العلمية إلا بها لتدور جميعا فى فلك واحد و تأتى متناسبة مترابطة فى نسق واحد يليق بصاحب الشريعة المحفوظ من التناقض و التعارض إذ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى.

فظاهر هذه الآية يفيد نفى انتفاع الميت بأى شىء بعد موته لأنه ما أثبت له إلا ما سعى فيه، و محل سعيه هو الدنيا، لكن هناك نصوص أخرى تثبت انتفاعه بغير سعيه كما سيأتى فى هذا البحث، و لذالك فإن المحققين من علماء السنة و خصوصا المنصفين من أئمة السلفية مثل الشيخ ابن تيمية و ابن القيم الذين فهموا الآية هذا الفهم الصحيح أثبتوا انتفاع الميت بعمله و عمل غيره و بينوا معنى الآية و التوفيق بينها و بين النصوص الأخرى الواردة فى هذا الموضوع.

قال العلامة الشيخ فخر الدين عثمان بن على الزيلعى فى شرحه على كنز الدقائق فى باب الحج عن الغير: و أما قوله تعالى: «و أن ليس للإنسان إلا ما سعى» فقد قال ابن عباس إنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ﴾ الآية، وقيل هى خاصة بقوم موسى و إبراهيم عليهما السلام لأنه وقع

حكاية عما فى صحفهما لقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾، و قيل أريد بالإنسان الكافر و أما المؤمن فله ما سعى أخوه و قيل ليس له من طريق العدل وله من طريق الفضل، و قيل اللام فى الإنسان بمعنى على كقوله تعالى: ﴿و إن أسأتم فلها﴾ أى عليها، و كقوله تعالى: «لهم اللعنة» أى عليهم، و قيل ليس له إلا سعيه لكن سعيه قد يكون بمباشرة أسبابه بتكثير الإخوان وتحصيل الإيمان حتى صار ممن تنفعه شفاعة الشافعين، و أما قول النبى ﷺ: ﴿إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث﴾ فلا يدل على انقطاع عمل غيره، والكلام فيه وليس فيه شيء مما يستبعد عقلا لأنه ليس فيه الا جعل ماله من الأجر لغيره والله تعالى هو الموصل إليه و هو قادر عليه و لا يختص ذالك بعمل دون عمل[1] اهـ.

تحليل نفيس لشارح العقيدة الطحاوية

ذكر الشيخ ابن أبى العز فى شرح العقيدة الطحاوية مسأله انتفاع الميت بعمل غيره مما لم يتسبب فيه ورجح القول به وذكر الأدلة من الكتاب و السنة و الإجماع و القياس عليه ثم قال فى الجواب عن الآية التى يتمسك بظاهرها المانعون:

و الجواب عما استدلوا به من قوله تعالى ﴿و أن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾[2] قد أجاب العلماء بأجوبة: أصحها جوابان:

أحدهما: أن الإنسان بسعيه و حسن عشرته اكتسب الأصدقاء، و أولد الأولاد، ونكح الأزواج، وأسدى الخير، و تودد إلى الناس، فترحموا عليه،

---

١ . تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للشيخ فخر الدين عثمان بن على الشهير بالزيعلى٢/ ٨٥.

٢ . النجم::(٣٩).



ودعوا له، و أهدوا له ثواب الطاعات، فكان ذالك أثر سعيه، بل دخول المسلم مع جملة المسلمين فى عقد الإسلام من أعظم الأسباب فى وصول نفع كل من المسلمين إلى صاحبه، فى حياته و بعد مماته، و دعوة المسلمين تحيط من ورائهم.

يوضحه: أن الله تعالى جعل الايمان سببا لانتفاع صاحبه بدعاء إخوانه من المؤمنين وسعيهم، فإذا أتى به فقد سعى فى السبب الذى يوصل إليه ذالك.

الثانى: و هو أقوى منه أن القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعى غيره، و إنما نفى ملكه لغير سعيه، و بين الأمرين من الفرق ما لا يخفى، فأخبر تعالى أنه لا يملك إلا سعيه، و أما سعى غيره فهو ملك لساعيه فإن شاء أن يبذله لغيره و إن شاء أن يبقيه لنفسه. و قوله سبحانه و تعالى: ﴿**ألا تزر وازرة وزر أخرى، و أن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾[1] آيتان محكمتان تقتضيان عدل الرب تعالى:

فالاولى تقتضى أنه لا يعاقب أحدا بجرم غيره، ولا يؤاخذه بجريرة غيره كما يفعله ملوك الدنيا، و الثانية تقتضى أنه لا يفلح إلا بعمله لينقطع طمعه من نجاته بعمل آبائه وسلفه ومشايخه، كما عليه أصحاب الطمع الكاذب، وهو سبحانه لم يقل لا ينتفع إلا بما سعى.[2]

إذا مات ابن آدم انقطع عمله

و من النصوص المهمة المتصلة بالآية الكريمة الحديث الصحيح المشهور: عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**».[3]

---

١ . النجم:: (٣٨، ٣٩)

٢ . اهـ. العقيدة الطحاوية ص(٩٢٥).

٣ . رواه مسلم فى الصحيح، كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (٥/ ٧٣) و البخارى فى الأدب المفرد فى بر الوالدين بعد موتهما بلفظ: «إذا مات العبد..» و رواه أيضا أبو داود و الترمذى و النسائى.



و قد شرح هذا الحديث سيدى الوالد الإمام علوى بن عباس المالكى الحسنى رحمه الله، فقال: قوله: «**إذا مات ابن آدم...**» اعلم أن انقطاع ذات العمل بالموت أمر ظاهر إذ الميت لا يعمل و لا يكلف بعد الموت، و إنما المقصود: أن بعض الأعمال تستثمر آثارها حتى بعد الموت فلا ينقطع أجرها بتكرر ذالك. ولذا قال: «**إلا من ثلاث**» أى إلا من خصال ثلاث: «**صدقة جارية**» أى غير منقطعة كحفر بئر، ووقف مصحف، وبناء مسجد و رباط، و قوله: «**أو علم ينتفع به**» يعنى به العلم الشرعى: الذى ينتفع به، و يترتب عليه الفوز بالنعيم المقيم و النجاة من العذاب الأبدى. و يدخل فى ذالك: تأليف الكتب ووقفها لأن المراد مطلق الانتفاع: بالمباشرة و التسبب. و قوله: «**أو ولد صالح**» أى مسلم «**يدعو له**»: لأنه من كسبه. وقد تفضل الله تعالى بكتابته مثل ثواب سائر الحسنات التى يعملها الأولاد، دون آثام السيئات.

و بما تقرر، علم أنه لا حصر فى هذه الخصال الثلاث: لأن مفهوم العدد غير حجة أو لأنه عليه الصلاة والسلام اطلع على الثلاث ثم أطلعه الله على الزائد: فضلا منه و أحسانا. لما أخرج ابن ماجه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله و حسناته بعد موته: علما نشره، وولدا صالحا تركه، و مصحفا ورثه، و مسجدا بناه، وبيتا لابن السبيل بناه، و نهرا أجراه، و صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته».[١]

فهذا الحديث احتوى على سبع خصال تضم إلى الثلاث الأول: تبلغ عشرا. وقد زاد السيوطى عليها واحدة أيضا. وقد نظم ذالك بقوله:

إذا مات ابن آدم ليس يجرى ... عليه ـ من خصال غير عشر

---

١ . رواه ابن ماجه فى مقدمة السنن باب ثواب معلم الناس الخير (١/ ٨٨) و كذا أبونعيم فى الحلية عن أنس رضي الله عنه (٢/ ٣٤٤).



علــوم بثهــا، و دعـــاء نجـــل	وغرس النخل، والصدقات تجري
وراثــة مـصحف و ربــاط ثغــر،	و حفــر البئــر، أو إجــراء نهــر
وبيــت للغريــب بنــاه يــأوى	إليـــه أو بنـــاء محـــل ذكـــر
و تعلـــيم لقــــرآن كـــريم	فخـذها مــن أحاديـث بحـصر [١]

تخريج ما ورد في هذه الأبيات:

أما قوله (علوم بثها ودعاء نجل و الصدقات تجرى) فهذه جاءت مجموعة فى الحديث الصحيح المشهور «**اذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**» و أما قوله (غرس النخل و حفر بئر) فقد جاء ذكرهما فى حديث أنس مرفوعا «**سبع يجرى أجرها للعبد بعد موته و هو فى قبره ـ و ذكر منها حفر البئر أو غرس النخل**» رواه أبو نعيم فى الحليلة. و أما قوله (محل ذكر) فهو المسجد، وقد تقدم ذكره فى حديث «**إن مما يلحق المؤمن...**» الحديث.

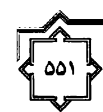
قال ابن أبى العز فى شرح العقيدة الطحاوية:

و أما استدلالهم بقوله ﷺ: «**اذا مات ابن آدم انقطع عمله**» فاستدلال ساقط، فإنه لم يقل انقطع انتفاع، و إنما أخبر عن انقطاع عمله، و أما عمل غيره فهو لعامله، فإن وهبه له وصل إليه ثواب عمل العامل، لا ثواب عمله هو، و هذا كالدين يوفيه الإنسان عن غيره، فتبرأ ذمته، ولكن ليس له ما وفى به الدين اهـ.[٢]

---

١ . فتح التقريب المجيب على تهذيب الترغيب و الترهيب: للإمام السيد علوى بن عباس المالكى الحسنى (ص١١٠ـ ١١١).

٢ . شرح العقيدة الطحاوية ص٥٣١.



القراءة على الميت و فعل السلف

و ربما يقول متنطع ممن يتشبث بأذيال العدم لرد كل مسألة و انكار كل جديد بقوله لم يفعله السلف ولم يثبت عنهم، ربما يقول هذا إن القراءة على الميت لم يفعلها السلف فنقول له:

(أولا) هذه الدعوى غير صحيحة لأن القراءة على الأموات صحت عن ابن عمر و حكاها الشعبى عن الأنصار و ثبتت عن الإمام أحمد و هو من كبار أئمة السلف. وفى نفح الطيب فى فوائد المقرى الكبير أنه أنشد شيخه الآبلى قول ابن الرومى المشهور:

أفنى و أعمى ذا الطبيب بطبه	و بكحله الأحياء و البصراء
فإذا مررت رأيت من عميانه	أمما على امواته قراء

فاستفاد منه قدم القراءة على الأموات.

(ثانيا) لو سلم عدم فعل السلف لها لا يلزم منه المنع الخاص المدعى، فعدم فعلهم لها ليس بدليل، و ليس كل شىء من مسائل الفروع لم يفعله السلف يكون محظورا و من ادعى ذالك فعليه الدليل و لا سبيل له إليه.

(ثالثا) قد ثبت فى الحديث الصحيح أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه[١]، و ثبت أيضا تعذيب الأموات فى قبورهم كقوله تعالى: **﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾**[٢] و كحديث وضعه ﷺ الجريدتين على قبرين و أخبر «**أنه يخفف عنهما مادامتا رطبتين**» أخرجه الشيخان، و أصحاب السنن الأربعة، و ابن خزيمة[٣]، و أخرج البخارى فى الأدب المفرد، و مسلم، و أبو داود، و النسائى،

---

١ . رواه البخارى فى كتاب الجنائز باب البكاء عند المريض (١/ ٢٢٧).

٢ . غافر:٤٦.

٣ . حديث الجريدتين رواه البخارى فى عدة مواضع من الصحيح؛ منها فى كتاب الوضوء باب ماجاء غسل البول بلفظ «ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين» (١/ ٥٥ـ٥٦)



والترمذي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةجارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به**» ووردت أحاديث كثيرة بخصال غير هذه الثلاثة يلحق ثوابها الإنسان بعد موته تتبعها الحافظ السيوطي فبلغت إحدى عشرة خصلة و نظمها في الأبيات السابقة.

و أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه، عنه عليه الصلاة و السلام أنه قال: «**إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله تعالى**»[1] و كون الأموات يعذبون في قبورهم و يتألمون من سوء أعمال أقربائهم الأحياء، و ينتفعون بما يسديه الأحياء إليهم شيء لا يأتي عليه الحصر من الأحاديث[2] و الآثار عن السلف، ذكر بعضا من ذالك ابن كثير في تفسير سورة الروم عند قوله تعالى: ﴿انك لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾[3].

(رابعا) القراءة على الأموات أمر بها النبي ﷺ فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده، و أبو داود، و النسائي، و ابن حبان و صححه عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**اقرءوا يس على موتاكم**»[4] قال النووي رحمه الله في كتابه «الأذكار» ما نصه: قال العلماء من المحدثين والفقهاء و غيرهم: يجوز و يستحب العمل في الفضائل و الترغيب و الترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعا اهـ.[5](قلت): فسكوت الإمام أبي داود عن تضعيفه يدل على أنه صالح و أنه لا يبعد عن درجة الحسن لغيره، و أقل ما يقال فيه أنه نافع للعمل به دافع

---

١ . رواه البخاري في كتاب الطب باب الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب (٤/ ١٦).

٢ . و قد تقدم بعض تلك الأحاديث و منها ما أخرجه الديلمي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: إن الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته.

٣ . تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٧)، الروم: ٥٢.

٤ . رواه أحمد في مسنده عن معقل بن يسار (٥/ ٢٦ و ٢٧).

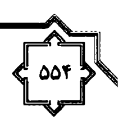
٥ . مقدمة الأذكار، ص٢٣.



لاعتراض المعترض أو انكار المنكر لذالك العمل. خصوصا و أنه قد جرى عليه عمل الفقهاء في كثير من الأمصار سلفا و خلفا واشتهر بين الناس ـ كما قرر ذالك الشيخ ابن القيم في كتاب الروح كما سيأتي ـ و غيره من أئمة السلف.

و الحديث الضعيف ـ إذا جرى عليه العمل ـ تقوى و انتهض و صار له مزية على غيره ويستأنس به أهل الاعتبار و النظر، و يفرحون للعمل به ويعتبرون ذالك داخلا في دائرة السنة النبوية و لا يبادرون إلى الانكار أو الحكم بالبدعة و الضلالة و المخالفة.

و شواهد هذا كثيرة في كتب السنة المشرفة. و ممن يعتني به الإمام الحافظ الترمذي، فإنه في كتابه السنن كثيرا ما ينقل أحاديث و يحكم عليها بالضعف ثم يقول بعد ذالك:[و قد عمل قوم من أهل العلم بهذا الحديث] كما قال في حديث أبي سعيد في دعاء الاستفتاح [أبواب الصلاة/ باب ما يقول عند افتتاح الصلاة] ج١ ص٢٧٦ و كما قال في حديث علي في ميراث الأخوه من الأم و هو ضعيف [و العمل على هذا الحديث عند عامة أهل العلم] كتاب الفرائض/ باب ماجاء في ميراث الإخوة ج٤ ص٣٠ و كما قال في حديث تميم الداري في ميراث المشرك الذي يسلم على يد رجل من المسلمين ـ إنه أولى. فالحديث فيه ضعف ولكن العمل عليه عند بعض أهل العلم] ج٤ ص٣٨ و كما قال في حديث أنس بن مالك في الصلاة على الدابة في ماء وطين و هو ضعيف [و العمل على هذا عند أهل العلم] أبواب الصلاة / باب ماجاء في الصلاة على الدابة في الطين و المطر ج١ ص٤٢١. و كما قال في حديث أبي هريرة في قضاء صلاة ركعتي الفجر بعد طلوع الشمس. و هو ضعيف: [و العمل على هذا عند بعض أهل العلم] أبواب الصلاة/ باب ماجاء في إعادتها بعد طلوع الشمس ج١ ص٤٣٣.



و الحاصل أن هذا الحديث صالح للعمل به و مقبول في هذا الباب.

و قال الإمام أحمد في المسند أيضا: حدثنا أبو المغيرة حدثني صفوان يعني ابن عمرو حدثني المشيخة أنهم حضروا غضيف بن الحارث الثمالي حين اشتد سوقه، فقال: هل منكم أحد يقرأ يس، قال: فقرأها صالح بن شريح السكوني فلما بلغ أربعين قبض، قال: فكانوا يقولون: إذا قرئت (يعني يس) على ميت خفف عنه بها.[١]

و أسنده صاحب مسند الفردوس إلى أبي الدرداء بلفظ: «**ما من ميت تقرأ عنده يس إلا هون الله عزوجل عليه**»[٢] قال محب الدين الطبري: المراد الميت الذي فارقته روحه، و حمله على المحتضر قول بلا دليل اهـ.

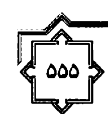
و أخرج ابن حبان في صحيحه عن جندب بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ : «**البقرة سنام القرآن و ذروته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا واستخرجت «الله لا إله إلا هو الحي القيوم» من تحت العرش فوصلت بها**، و يس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله و الدار الآخرة إلا غفر له، واقرءوها على موتاكم» اهـ.[٣]

---

١ . قال في الفتح الرباني (١٨/ ٢٥٣): غضيف قيل أنه صحابي و قيل أنه تابعي و الصحيح الأول، كذا في الإصاب اهـ.
قال الحافظ في الإصابة بعد ذكر الحديث: و هو حديث حسن الإسناد (٣/ ١٨٤) و عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن سعد أيضا (٨/ ٣٩)

٢ . مسند الفردوس (٤/ ٣٢)، و عزاه في الدر المنثور في تفسير سورة يس إلى ابن مردويه (٧/ ٣٨)

٣ . أخرجه ابن حبان في صحيحه في فضل سورة البقرة، كذا في موارد الظمآن للهيثمي (٥/ ٣٩٦) و رواه أحمد في المسند عن معقل بن يسار (٥/ ٢٦) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد و فيه راو لم يسم و بقية رجاله رجال الصحيح (٦/ ٣١١).



أقوال أئمة المذاهب الفقهية

وقد عقد العلامة الفقية الحنبلى الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله فصلا خاصا فى كتابه (غاية المقصود) جمع فيه أقوال العلماء من كل مذهب فى إثبات وصول الثواب إلى الأموات من أى عمل صالح يقوم به الحى و يهب ثوابه إلى الأموات كالحج، و الصدقة، و الأضحية، و العمرة، و قراءة القرآن، و لا شك أنه يدخل فيه الأذكار من تهليل و تكبير و صلاة وسلام على سيدنا محمد ﷺ فهى كلها أعمال صالحة يثاب عليها العامل بها، و إذا وهب ثوابها للميت تقبل الله منه ذالك و أوصله إليه، و إذا وصل إليه انتفع به بفضل الله و كرمه و إحسانه.

فنقل الشيخ ابن حميد أقوال الأئمة من فقهاء الأحناف مثل الشيخ برهان الدين على بن أبى بكر المرغينانى فى كتابه: (الهداية فى باب الحج عن الغير).

و الشيخ شمس الدين أبى العباس أحمد بن إبراهيم ابن عبدالغنى السروجى فى كتابه «نفحات النسمات فى وصول إهداء الثواب للأموات».

و البدر العينى فى باب الحج عن الغير من شرح الكنز.

و ابن عابدين فى رد المحتار على الدار المختار.

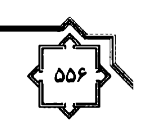
و صاحب الفتاوى الهندية، فى الفتاوى الهندية الباب الرابع عشر فى الحج عن الغير.

و صاحب الهداية فى بيان احكام الحج عن الغير.

و الشيخ على قارى فى شرح المنسك المتوسط.

و نقل أقوال أئمة الفقه المالكى و حفاظ المذهب فى الموضوع مثل:

الإمام ابن رشد فى نوازله.



و العلامة الشهاب القرافى فى الفرق الثانى و السبعين المائة.

و ابن الحاج فى الجزء الأول من المدخل.

و الشيخ أبو زيد الفاسى فى باب الحج عن الغير.

و الحطاب فى شرحه على خليل.

ثم ذالك أقوال كبار أئمة الشافعية مثل:

العلامة الشربينى فى كتابه السراج المنير.

و النووى فى روضة الطالبين و شرح مسلم.

و السيوطى. و السبكى، و ابن الصلاح فى الفتاوى، و الشيخ أبو المعالى على بن أبى السعود الشهير بالسويدى فى كتابه «العقد الثمين فى بيان مسائل الدين». و ابن النحوى فى المنهاج. و شيخ الإسلام أبو عبدالله القاياتى فى الروضة.

ثم ذكر أقوال أئمة الحنابلة و حفاظ مذهبهم.

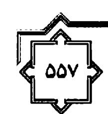
و بدأه بقول الإمام أحمد: الميت يصل إليه كل شىء من الخير من صدقة أو صلاة أو غيره، ثم ذكر كلام الموفق ابن قدامة فى المغنى و هو طويل و نفيس.

ثم قال فى العدة شرح العمدة: و أما قراءة القرآن و إهداء ثوابه للميت فالإجماع واقع على فعله من غير نكير و قد صح الحديث: أن الميت ليعذب ببكاء أهله، و الله سبحانه أكرم من أن يوصل إليه العقوبة و يحجب عنه المثوبة، قلت: و يدل على هذا أيضا قوله ﷺ : لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل[١]، فاذا كان هذا فى العذاب و العقاب ففى الفضل و الثواب أولى و أحرى.[٢]

---

١ . رواه أحمد عن بعدالله بن مسعود (١/ ٤٣٠).

٢ . غاية المقصود فى التنبيه على أوهام ابن محمود للشيخ عبدالله بن محمد بن حميد (٤٣٠.)



توثيق النصوص الفقهية من مذاهب العلماء في الموضوع

١) توثيق نصوص مذهب الحنفية

قال الإمام العلامة المرغيناني فى أول باب الحج عن الغير من هدايته ما نصه: الأصل فى هذا الباب أن الأنسان له أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة أو صوما صدقة أو غيرها عند أهل السنة و الجماعة، لما روى عن النبى ﷺ أنه ضحى بكبشين أملحين أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته ممن أقر بوحدانية الله و شهد له بالبلاغ»[١] اهـ.

و قد كتب عليه المحقق الكمال بن الهمام فى فتح القدير كتابة مطنبة جيدة، ملخصها أن المعتزلة خالفوا فى كل العبادات: أى منعوا وصول ثوابها للغير و ذكر شبهتهم وأجاب عنها و ساق آثارا كثيرة دالة على الجواز ثم قال ما نصه: فهذه الآثار و ما قبلها و ما فى السنة أيضا من نحوها عن كثير قد تركناه لحال الطول يبلغ القدر المشترك بين الكل ـ و هو أن من جعل شيئا من الصالحات لغيره نفعه الله به ـ مبلغ التواتر[٢]

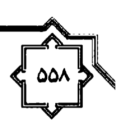
و قال العلامة عثمان بن على الزيلعى الحنفى فى شرحه على كنز الدقائق فى باب الحج عن الغير أيضا ما نصفه: الأصل فى هذا الباب أن الإنسان له أن يجعل ثواب عمله لغيره عند أهل السنة و الجماعة صلاة كان أو صوما أو حجا أو صدقة أو قراءة قرآن أو الأذكار إلى غير ذالك من جميع أنواع البر، و يصل ذالك إلى الميت و ينفعه.[٣]

---

١ . الهداية فى شرح بداية المبتدى، للشيخ أبى الحسن على بن أبى بكربن عبدالجليل الرشدانى المرغينانى، ج١/ ص١٨٣.

٢ . شرح فتح القدير: للإمام كمال الدين محمد بن عبدالواحد المعروف بابن الهمام الحنفى.

٣ . تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعى ٢/ ٨٣.



و قال العلامة الشيخ زين الدين المعروف بابن نجيم و المشهور بأبى حنيفة الثانى و محرر المذهب فى البحر الرائق فى باب الحج عن الغير: لما كان الحج عن الغير كالتبع آخره، و الأصل فيه أن الإنسان له أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة أو صوما أو صدقة أو قراءة القرآن أو ذكرا أو طوافا أو حجّ أو عمرة أو غير ذالك عند أصحابنا للكتاب و السنة، أما الكتاب فلقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كما رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ و إخباره تعالى عن ملائكته بقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ و ساق عبارتهم بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كل شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلك﴾ إلى قوله: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾.

و أما السنة فأحاديث كثيرة منها ما فى الصحيحين، ثم ذكر الأحاديث الواردة فى الموضوع.[1]

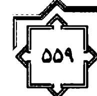
و جزم البدر العينى فى باب الحج عن الغير أيضا من شرح الكنز، بأن للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره من صلاة أو صوم أو حج أو صدقة أو قراءة قرآن أو ذكر إلى غير ذالك من جميع أنواع البر، و كل ذالك يصل إلى الميت عند أهل السنة و الجماعة اهـ. و للعلامة سعد الدين الديرى المتوفى سنة ٨٦٧. (الكواكب النيرات فى وصول ثواب الطاعات إلى الأموات) اقتفى فيه أثر السروجى مع زيادات عليه كثيرة اهـ.

٢) توثيق نصوص مذهب المالكية

قال الإمام القاضى ابو الفضل عياض فى شرحه على صحيح مسلم فى حديث الجريدتين عند قوله ﷺ «لعله يخفف عنهما ما دامتا رطبتين» ما نصه.

---

١. البحر الرائق شرح كنز الدقائق لا بن نجيم ٣/ ٥٩.



أخذ العلماء من هذا استحباب قراءة القرآن على الميت لانه إذا خفف عنه بتسبيح الجريدتين و هما جماد فقراءة القرآن أولى.[١]

و قال العلامة الشهاب القرافى فى الفرق الثانى و السبعين و المائة ما ملخصه؛ مذهب أبى حنيفه و أحمد ابن حنبل أن القراءة يحصل ثوابها للميت و اذا قرىء عند القبر حصل للميت أجر المستمع و الذى يتجه أن يقال مالا يقع فيه خلاف أنه يحصل لهم بركة القرآن لا ثوابه، كما يحصل لهم بركة الرجل الصالح يدفن عندهم أو يدفنون عنده، والذى ينبغى للإنسان أن لا يهمل هذه المسالة فلعل الحق هو الوصول إلى الموتى، هذه أمور مغيبة عنا و ليس فيها اختلاف فى حكم شرعى، و إنما هو فى أمر واقع، هل هو كذالك أم لا. و كذالك التهليل الذى جرت عادة الناس بعمله اليوم ينبغى أن يعمل و يعتمد فى ذالك على فضل الله بكل سبب ممكن، و من الله الجود و الإحسان هذا هو اللائق بالعبد.[٢]

و قال الشيخ ابن الحاج فى الجزء الأول من المدخل مانصه: لو قرأ فى بيته و أهدى إليه لوصلت، و كيفية وصولها أنه إذا فرغ من تلاوته وهب ثوابها له، أو قال: اللهم اجعل ثوابها له، فإن ذالك دعاء بالثواب لأن يصل إلى أخيه و الدعاء يصل بلا خلاف اهـ.

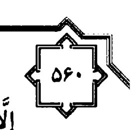
و نقل الشيخ أبو زيد الفاسى فى باب الحج عن الغير فى جواب له مانصه: الميت ينتفع بقراءة القرآن و هذا هو الصحيح، و الخلاف فيه مشهور و الأجرة عليه جائزة. و الله أعلم، نقله عنه الفقيه كنون الفاسى محشى عبدالباقى.[٣]

---

١ . شرح الشيخ محمد بن خليفة الأبى على صحيح مسلم ٢/ ١٢٥.

٢ . الفروق للإمام العلامة أحمد بن إدريس القرافى ٣/ ١٩٢.

٣ . إسعاف المسلمين و المسلمات. لشيخنا العلامة الشيخ محمد العربى التبانى.



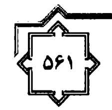
و في آخر نوازل ابن رشد في السؤال عن قوله تعالى ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ قال: و إن قرأ الرجل و أهدى ثواب قراءته للميت جاز ذالك، و حصل للميت أجره. اهـ.

و قال ابن هلال في نوازله: الذي أفتى به ابن رشد، و ذهب إليه غير واحد من أئمتنا بالأندلس أن الميت ينتفع بقراءة القران و يصل إليه نفعه و يحصل له أجره اذا وهب القارىء ثوابه له، و به جرى عمل المسلمين شرقا و غربا، ووقفوا على ذالك أوقافا، و استمر عليه الأمر منذ أزمنة سالفة اهـ.

و نقل العلامة الحافظ الشيخ عبدالرحمن الثعالبي في تفسيره «الجواهر الحسان» عند قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كما رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ عن الحافظ العلامة عبد الحق الاشبيلي في كتابه «العاقبة» ما نصه: و اعلم أن الميت كالحي فيما يعطاه و يهدى إليه، بل الميت أكثر و أكثر لأن الحي قد يستقل ما يهدى إليه و يستحقر ما يتحف به، و الميت لا يستحقر شيئا من ذالك ولو كان مقدار جناح بعوضة أو وزن مثقال ذرة لأنه يعلم قيمته، وقد كان يقدر عليه فضيعه و قد قال النبي ﷺ: «**اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به**» فهذا دعاء الولد يصل إلى والده وينتفع به، و كذا أمره عليه الصلاة و السلام بالسلام على أهل القبور، و الدعاء لهم، و ما ذاك إلا لكون ذالك الدعاء لهم و السلام عليهم يصل إليهم ويأتيهم والله أعلم.

و روى عن النبي ﷺ أنه قال: «**الميت في قبره كالغريق ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديقه، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا و ما فيها**» و الأخبار في هذا الباب كثيرة اهـ.

ثم قال الثعالبي: قلت: وروى مالك في الموطا عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أنه قال: «كان يقال: إن الرجل ليرفع بدعاء ولده من



بعده، و أشار بيده نحو السماء» قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر: قد رويناه بإسناد جيد، ثم أسند عن أبى هريرة رضى ا لله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله ليرفع العبد الدرجة فيقول: أى رب أنى لى هذه الدرجة؟ فيقال: باستغفار ابنك لك:**» اهـ من التمهيد.

و روينا فى سنن أبى داود «**أن رجلا من بنى سلمة قال: يا رسول الله! هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما و إنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما و إكرام صديقهما**»[1]

٣) توثيق النووي لنصوص الشافعية

قال الإمام النووى: و يستحب للزائر ـ يعنى زائر القبور ـ أن يسلم على المقابر و يدعو لمن يزوره و لجميع أهل المقبرة، و الأفضل أن يكون السلام والدعاء مما ثبت فى الحديث، و يستحب أن يقرأ من القرآن ما تيسر ويدعو لهم عقبها. نص عليه الشافعى واتفق عليه الأصحاب.[2]

٤) توثيق نصوص مذهب الحنابلة:

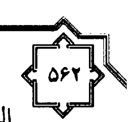
قال الإمام موفق الدين أبو محمد عبدالله بن قدامة الحنبلى:

(فصل) وأى قربة فعلها و جعل ثوابها للميت المسلم نفعه ذالك إن شاء الله. أما الدعاء و الاستغفار و الصدقة و أداء الواجبات فلا أعلم فيه خلافا إذا كانت الواجبات مما يدخله النيابة. و قد قال الله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾**.

---

١ . إسعاف المسلمين و المسلمات: لشيخنا العلامة الشيخ محمد العربى التبانى.

٢ . المجموع شرح المهذب (٥/ ٢٨٦).



و قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبك وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ و دعا النبى ﷺ لأبى سلمة حين مات، و للميت الذى صلى عليه فى حديث عوف بن مالك، ولكل ميت صلى عليه، و سأل رجل النبى ﷺ فقال يا رسول الله إن أمى ماتت فينفعها إن تصدقت عنها؟ قال:

نعم، رواه أبو داود وروى ذالك عن سعيد بن عبادة و جاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت يا رسول الله إن فريضة الله فى الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفاحج عنه؟ قال: **«أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيته»** قالت: نعم قال **«فدين الله أن يقضى»** و قال للذى سأله أن أمى ماتت و عليها صوم شهر أفاصوم عنها؟ قال **«نعم»** و هذه أحاديث صحاح و فيها دلالة على انتفاع الميت بسائر القرب لأن الصوم و الحج و الدعاء و الاستغفار عبادات بدنية و قد أوصل الله نفعها إلى الميت فكذالك ما سواها مع ما ذكرنا من الحديث فى ثواب من قرأ يس و تخفيف الله تعالى عن أهل المقابر بقراءته، وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال لعمرو بن العاص **«لو كان أبوك مسلما فأعتقتم عنه أو تصدقتم عنه أو حججتم عنه بلغه ذالك»** و هذا عام فى حج التطوع و غيره و لأنه عمل و بر و طاعة فوصل نفعه و ثوابه كالصدقة و الصيام و الحج الواجب، وقال الشافعى ماعدا الواجب و الصدقة و الدعاء و الاستغفار لا يفعل عن الميت و لا يصل ثوابه إليه لقول الله تعالى ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْانسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ و قول النبى ﷺ **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به من بعده أو ولد صالح يدعو له»**.

و لأن نفعه لا يتعدى فاعله فلا يتعدى ثوابه. و قال بعضهم: إذا قرىء القرآن عند الميت أو أهدى إليه ثوابه كان الثواب لقارئه و يكون الميت كانه حاضرها و ترجى له الرحمة.



ولنا ما ذكرناه و أنه إجماع المسلمين فإنهم فى كل عصر و مصر يجتمعون و يقرءون القرآن و يهدون ثوابه إلى موتاهم من غير نكير و لأن الحديث صح عن النبى ﷺ «أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه» و الله أكرم من أن يوصل عقوبة المعصية إليه و يحجب عنه المثوبة و لأن الموصل لثواب ما سلموه قادر على أيصال ثواب ما منعوه و الآية مخصوصة بما سلموه، و ما اختلفنا فيه فى معناه فنقيسه عليه، و لا حجة لهم فى الخبر الذى احتجوا به فإنما دل على انقطاع عمله، فلا دلالة فيه عليه.

ثم لو دل عليه كان مخصوصاً بما سلموه و فى معناه ما منعوه فيتخصص به أيضا بالقياس عليه، و ما ذكروه من المعنى غير صحيح فإن تعدى الثواب ليس بفرع لتعدى النفع ثم هو باطل بالصوم و الدعاء و الحج و ليس له أصل يعتبر به. و الله أعلم[1]

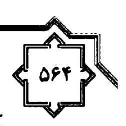
قال الإمام شمس الدين محمد بن مفلح المقدسى فى كتابه الفروع: كل قربة فعلها المسلم و جعل ثوابها للمسلم نفعه ذالك و حصل له الثواب كالدعاء و الاستغفار و واجب تدخله النيابة و صدقة التطوع و كذا العتق ذكره القاضى و أصحابه أصلا و ذكره أبو المعالى و شيخنا و صاحب المحزر و كذا حج التطوع. و فى المجرد: من حج نفلا عن غيره وقع عمن حج لعدم إذنه و كذا القراءة و الصلاة و الصيام نقل الكمال فى الرجل يعمل شيئا من الخير من صلاة أو صدقة أو غير ذالك و يجعل نصفه لأبيه أو أمه:

أرجو، و قال: الميت يصل إليه كل شيء من الخير من صدقة أو صلاة غيره.[2]

---

١ . المغنى لا بن قدامة (٢/ ٤٢٥).

٢ . الفروع لابن مفلح ٢/ ٣٠٧.



و قال الإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن محمد بن مفلح فی كتابه المبدع:(وأی قربة فعلها) من دعـاء و اسـتغفار و صـلاة وصـوم و حـج و قراءة و غير ذالك (و جعل ثواب ذالك للميت المسلم نفعـه ذالـك) قـال أحمـد: الميت يصل إليه كـل شـيء مـن الخـير للنـصوص الـواردة فيـه و لأن المـسلمين يجتمعون فی كل مصر و يقرءون و يهدون لموتاهم من غير نكير فكـان إجماعـا و كالدعاء والاستغفار حتی لو أهداها للنبی ﷺ جاز ووصل إليه الثواب ذكـره المجد.[1]

و قال الإمام أبو الحسن علی بن سليمان المرداوی فی كتابه الإنصاف: قولـه (وأی قربة فعلها و جعلها للميت المسلم نفعه ذالك).

و هو المذهب مطلقا، و عليه جماهير الاصحاب، و قطع به كثير منهم و هـو من المفردات، و قال القاضی فی المجرد: من حج نفلا عن غيره وقع عمـن حـج لعدم إذنه.

و قال شيخ الإسلام تقی الدين محمد بن أحمد الفتوحی الحنبلی: و سـن مـا يخفف عنه ولو بجعل جريدة رطبة فی القبر و ذكر و قراءة عنده و كل قربة فعلها مسلم و جعل ثوابها لمسلم حی أو ميت حصل له ولـو جهلـه الجاعـل و اهـداء القرب مستحب.[2]

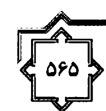
و قال العلامة الشيخ منصور البهوتی: و كـل قربـة فعلهـا المـسلم و جعـل ثوابها لمسلم حی أو ميت جاز و نفعه، و ذكر جمله من الأعمال منها القراءة[3]

---

١ . المبدع لا بن مفلح٢/ ٢٧٩.

٢ . منتهی الإرادات للفتوحی ١/ ١٧١.

٣ . كشاف القناع للبهوتی ٢/ ١٧٠.



كلام نفيس للشيخ ابن القيم

قال الشيخ ابن القيم: و القائل إن أحدا من السلف لم يفعل ذالك قائل ما لاعلم له به فان هذه شهادة على نفى ما لم يعلمه فما يدريه أن السلف كانوا يفعلون ذالك ولا يشهدون من حضرهم عليه بل يكفى اطلاع علام الغيوب على نياتهم و مقاصدهم لا سيما و أن التلفظ بنية الاهداء لا يشترط كما تقدم، و سر ذالك أن الثواب ملك للعامل فإذا تبرع به و أهداه إلى أخيه المسلم أوصله الله إليه، فما الذى خص من هذا ثواب قراءة القرآن و حجر على العبد أن يوصله إلى أخيه... قال: و أما السبب الذى لأجله لم يظهر ذالك من السلف فهو أنهم لم يكن لهم أوقاف على من يقرأ و يهدى إلى الموتى، و لا كانوا يعرفون ذالك ألبتة، و لا كانوا يقصدون القبر للقراءة عنده كما يفعله الناس اليوم، ولم يكن أحدهم يشهد من حضره من الناس على أن ثواب هذه القراءة لفلان الميت ـ بل ولا ثواب هذه الصدقة أو الصوم، ثم يقال لهذا القائل: لو كلفت أن تنقل عن واحد من السلف أنه قال: اللهم اجعل ثواب هذا الصوم لفلان لعجزت، فإن القوم كانوا أحرص شيء على كتمان أعمال البر، ولم يكونوا ليشهدوا على الله بإيصال ثوابها إلى أمواتهم[١] اهـ.

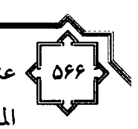
الخلاصة

قال شيخنا الإمام العلامة محمد العربى التبانى المكى[٢]: و قد تحقق وتلخص من كلام العلماء أن أربعة يصل ثوابها للميت بالإجماع. وهى: الصدقة و الدعاء و الاستغفار و أداء الواجبات التى تقبل النية كأداء الدين عنه و أن الصوم يصح

---

١ . كتاب الروح للشيخ ابن القيم.

٢ . إسعاف المسلمين و المسلمات بجواز القراءة و وصول ثوابها إلى الأموات ص(٦٢ ـ ٦٩)



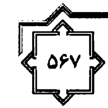
عنه و يصله ثوابه عند الإمام الشافعي في القديم و أبي ثور و المحققين من المحدثين، لعموم حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: **«من مات و عليه صوم، صام عنه وليه»**[1] و تحقق أيضا أن القراءة على الأموات فعلها السلف الصالح كما هو مستفاد من كلام ابن قدامة، و ابن القيم، و غيرهما من المنقول عن الأئمة الأقدمين و أهل الأثر كالخلال و غيره و أن عمل المسلمين شرقا و غربا لم يزل مستمرا عليها، و أنهم وقفوا على ذالك أوقافا كما في فتوى الامام ابن رشد المالكي، و كلام السيوطي الشافعي المنقول عن ابن عبدالواحد المقدسي الحنبلي و عن غيره، و كلام ابن قدامة في مغنية، و ابن القيم في كتابه الروح، بل صرح ابن قدامة و ابن عبدالواحد المقدسي فيما نقله عنه السيوطي بإجماع المسلمين فيها، وخصها الثاني منهما بتأليف، كما ألف فيها السروجي و سعد الدين الديري الحنفيان و غيرهما، و قال ابن القيم: و هذا عمل سائر الناس حتى المنكرين في سائر الأعصار و الأمصار من غير نكير من العلماء[2]، و نسب وصولها لجمهور السلف، و الإمام أحمد، وعدمه[3] إلى أهل البدع من أهل الكلام، و كذالك قال السيوطي و جمهور السلف و الأئمة الثلاثة على الوصول، و العلامة المرغيناني الحنفي قال: للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة أو صوما أو صدقة أو غيرها عند أهل السنة و الجماعة و كذالك قال البدر العيني الحنفي: يصل إلى الميت جميع أنواع البر من صلاة أو صوم أو حج أو صدقة أو قراءة قرآن أو ذكر إلى غير ذالك، و الآثار الدالة على جواز انتفاع الشخص بعمل الغير كثيرة، قال العلامة المحق الكمال بن الهمام: يبلغ القدر

---

١ . رواه أحمد عن عائشة (٦/ ٩٦). و رواه البخاري عنها (١/ ٣٣٤)

٢ . الروح لأبن القيم ص(٤٠٦)

٣ . أي عدم وصول ثواب القراءة.



المشترك بين الكل ـ و هو أن من جعل شيئا من الصالحات لغيره نفعه الله به ـ مبلغ التواتر.

و قال الحافظ السيوطى: و استدلوا (أى الجمهور) على الوصول بالقياس على الدعاء و الصدقة و الصوم و الحج و العتق، و بالأحاديث الآتى ذكرها (و ذكرها فى شرح الصدور عن الخلال و غيره) قال: و هى و إن كانت ضعيفة فمجموعها يدل على أن لذالك أصلا، و بأن المسلمين ما زالوا فى كل عصر يجتمعون و يقرءون لموتاهم من غير نكير فكان ذالك إجماعا[1] اهـ.

و أما قول الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ فلا حجة فيها للمانع لأنها مخصصة بأدلة الكتاب و السنة الكثيرة الدالة على انتفاع الشخص بعمل غيره أو محمولة على ما لا يهبه العامل له، و قد سئل عنها و عن قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ الإمام الحسين بن الفضل ﷺ فقال: ليس له بالعدل إلا ما سعى، وله بالفضل ما شاء الله تعالى.[2]

تحقيق الشيخ ابن تيمية في الموضوع

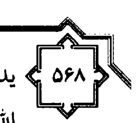
قال الشيخ تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية:

من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع و ذالك باطل من وجوه كثيرة:(أحدها) أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره و هو انتفاع بعمل الغير. (ثانيها) أن النبى ﷺ يشفع لأهل الموقف فى الحساب ثم لأهل الجنة فى دخولها ثم لأهل الكبائر فى الخروج من النار و هذا انتفاع بعمل الغير. (ثالثها) أن كل نبى وصالح له شفاعة و ذالك انتفاع بعمل الغير. (رابعها) أن الملائكة

---

١ . شرح الصدور للسيوطى. ص(٣١٠ـ٣١١)

٢ . المصدر السابق ص(٣١٠)



يدعون و يستغفرون لمن فى الأرض و ذالك انتفاع بعمل الغير. (خامسها) أن الله تعالى يخرج من النار من لم يفعل خيرا قط بمحض رحمة و هذا انتفاع بغير عملهم. (سادسها) أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم و ذالك انتفاع بمحض عمل الغير. (سابعا) قال الله تعالى فى قصة الغلامين اليتيمن ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾[1] فانتفعا بصلاح أبيهما ليس هو من سعيهما. (ثامنها) أن الميت ينتفع بالصدقة عنه و بالعتق بنص السنة و الإجتماع وهو من عمل الغير. (تاسعها) أن الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة و هو انتفاع بعمل الغير.(حادى عشرها) أن المدين الذى امتنع ﷺ من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة وقضى دين الآخر على بن أبى طالب انتفع بصلاة النبى ﷺ و بردت جلدته بقضاء دينه و هو من عمل الغير. (ثانى عشرها) أن النبى ﷺ قال لمن صلى وحده ألا رجل يتصدق على هذا فيصلى معه فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير. (ثالث عشرها) أن الإنسان تبرا ذمته من ديون الخلق إذا قضاها قاض عنه و ذالك انتفاع بعمل الغى.

(رابع عشرها) أن من عليه تبعات و مظالم إذا حلل منها سقطت عنه و هذا انتفاع بعمل الغير.(خامس عشرها) أن الجار الصالح، به ينتفع فى المحيا و المات و كما جاء فى الأثر و هذا انتفاع بعمل الغير.(سادس عشرها) أن جليس أهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس لذالك بل الحاجة عرضت له والأعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره. (سابع عشرها) فى الصلاة على الميت و الدعاء له فى الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحى عليه و هو عمل غيره. (ثامن عشرها) أن الجمعة تحصيل باجتماع العدد و كذالك الجماعة بكثرة العدد و هو انتفاع للبعض.(تاسع عشرها) أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ

---

١ . الكهف:٨٢.

لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾[1] و قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾[2] ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾[3] فقد دفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض و ذالك انتفاع بعمل الغير. (عشرونها) أن صدقة الفطر تجب عن الصغير و غيره ممن يمونه الرجل فينتفع بذالك من يخرج عنه ولا سعى له. (حادى عشرينها) أن الزكاة تجب فى مال الصبى و المجنون و يثاب على ذالك ولا سعى له، و من تأمل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى، فكيف يجوز أن تؤول الآية على خلاف صريح الكتاب و السنة و إجماع الأمة، و المراد بالإنسان العموم.[4] اهـ.

القراءة عند القبر ليست بدعة

من المسائل التى يكثر فيها الجدال و الخلاف و النقاش حتى يصل إلى الخصام و المقاطعة مسألة قراءة شيء من القرآن عند القبر فمنهم من يقول بدعة و منهم يقول حرام و المسألة لا تقتضى كل هذا الهجوم الفظيع و الانكار الشنيع و لنرجع فيها إلى أقوال أئمة السلف و على رأسهم إمام السلفية فى عصره الشيخ ابن القيم قال:

ذكر عن جماعة من السلف أنهم أوصوا أن يقرأ عند قبورهم وقت الدفن، قال عبدالحق الأشبيلى: يروى أن عبد الله بن عمر أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة[5]، و كان الإمام أحمد ينكر ذالك أولا حيث لم يبلغه فيه أثر ثم رجع عن ذالك.

---

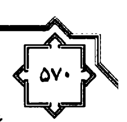
١ . الأنفال: ٣٣.

٢ . الفتح: ٢٥.

٣ . البقرة آية٢٥١.

٤ . انظر غاية المقصد فى التنبيه على أوهام ابن محمود للشيخ عبدالله بن محمد بن حميد ص١٠١.

٥ . سيأتى تخريجه.

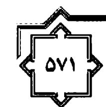


قال الحافظ جلال الدين السيوطى: روى البيهقى فى الشعب و الطبرانى عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: «**إذا مات أحدكم فلا تحبسوه و أسرعوا به إلى قبره و ليقرأ عند رأسه فاتحة الكتاب**» و لفظ البيهقى: فاتحة البقرة و عند رجليه بخاتمة سورة البقرة فى قبره.[١] اهـ.

قلت: وقد استعمل الصحابة هذا الحديث و عملوا به فقد روى الخلال فى الجامع، «كتاب القراءة عند القبور» أخبرنا العباس بن محمد الدورى، حدثنا يحيى بن معين، حدثنا مبشر الحلبى، حدثنى عبدالرحمن بن العلاء بن اللجلاج، عن أبيه قال: قال أبى، إذا أنا مت فضعنى فى اللحد و قل بسم الله و على سنة رسول الله و شن على التراب شنا واقرأ عند رأسى بفاتحة البقرة فإنى سمعت عبد الله بن عمر يقول ذالك قال عباس الدورى سألت أحمد ابن حنبل، قلت: تحفظ فى القراءة شئاً؟ و فى رواية تحفظ فى القراءة على القبر شيئا؟ فقال لا و سألت يحيى بن معين فحدثنى هذا الحديث. قال الخلال: و أخبرنى الحسن بن أحمد الوراق، حدثنا على بن موسى الحداد و كان صدوقا قال: كنت مع أحمد بن حنبل و محمد بن قدامة الجوهرى فى جنازة فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد: يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد بن حنبل يا أبا عبد الله ما تقول فى مبشر الحلبى؟ قال ثقة، قال كتبت عنه شيئا؟ قال نعم، فأخبرنى مبشر عن عبد الرحمن ابن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة و خاتمتها و قال سمعت ابن عمر يوصى بذالك فقال له أحمد فارجع و قل للرجل يقرأ.

---

١ . شرح الصدور ص١٠٤ . قلت: ورواه الحاكم أيضا مرفوعا بنحوه و ذكر شاهدا له عن البياضى، قال الذهبى فى التلخيص: هو على شرطهما واختلف فى رفعه ووقفه (المستدرك مع التخليص ١/ ٣٦٦).



و قال الحسن بن الصباح الزعفرانى: سألت الشافعى عن القراءة عند القبر فقال لا بأس بها.[١]

و ذكر الخلال عن الشعبى قال: كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرءون عنده القرآن قال: و أخبرنى أبو يحيى الناقد قال سمعت الحسن بن الجروى يقول: مررت على قبر أخت لى فقرأت عندها تبارك لما يذكر فيها فجاءنى رجل فقال إنى رأيت أختك فى المنام تقول جزى الله أبا على خيرا فقد انتفعت بما قرأ، أخبرنى الحسن بن الهيثم قال سمعت أبا بكر بن الأطروش بن بنت أبى نصر بن التمار يقول: كان رجل يجىء إلى قبر أمه يوم الجمعة فيقرأ سورة يس فجاء فى بعض أيامه فقرأ سورة يس ثم قال: اللهم إن كنت قسمت لهذه السورة ثوابا فاجعله فى أهل هذه المقابر فلما كان يوم الجمعة التى تليها جاءت امرأة فقالت أنت فلان بن فلانة؟ قال نعم قالت إن بنتا لى ماتت فرأيتها فى النوم جالسة على شفير قبرها فقلت ما أجلسك ها هنا؟ فقالت إن فلان بن فلانة جاء إلى قبر أمه فقرأ سورة يس وجعل ثوابها لأهل المقابر فأصابنا من روح ذالك أو غفر لنا، نحو ذالك

و فى النسائى وغيره من حديث معقل بن يسار المزنى عن النبى ﷺ أنه قال **«اقرءوا يس عند موتاكم»**[٢] و هذا يحتمل أن يراد به قراءتها على المحتضر عند موته مثل قوله **«لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»**[٣] و يحتمل أن يراد به القراءة عند

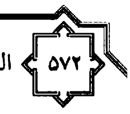
---

١ . هذا الذى ذكره ابن القيم عن الشافعى، و ذكره السيوطى أيضا عن الشافعى فى كتابه شرح الصدور (١٣٤).

٢ . تقدم تخريجه.

٣ . هذا حديث صحيح رواه الإمام مسلم فى كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى لا إله إلا الله (٣/ ٣٧) و أبو داود باب فى التلقين (٣/ ١٩٠ حديث ٣١١٧) و الترمذى باب ما جاء فى

←



القبر و الأول أظهر[١] لوجوه:

الاول: أنه نظير قوله: لقنوا موتاكم لا إله إلا الله.

الثانى: انتفاع المحتضر بهذه السورة لما فيها من التوحيد و المعاد و البشرى بالجنة لأهل التوحيد و غبطة من مات عليه بقوله: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ المكرمِينَ﴾[٢] فتستبشر الروح بذالك فتحب لقاء الله فيحب الله لقاءها[٣] فإن هذه السورة قلب القرآن و لها خاصية عجيبة فى قراءتها عند المحتضر.

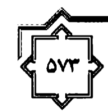
و قد ذكر أبو الفرج ابن الجوزى قال كنا عند شيخنا أبى الوقت عبد الاول و فى السياق: و كان آخر عهدنا به إنه نظر إلى السماء وضحك و قال: ﴿... يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ المكرمِينَ﴾ وقضى.

تلقين المريض عند الموت و الدعاء له عند (٣/ ٣٠٦ حديث ٩٧) و ابن ماجه فى باب ما جاء فى تلقين الميت لا إله إلا الله (١/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥ حديث ١٤٤٤ ـ ١٤٤٦) و النسائى باب تلقين الميت (٤/ ٥) و بلفظ: «**لقنوا موتاكم قول لا إله إلا الله**» و ابن حبان فى صحيحه (كما فى الإحسان، ٥/ ٣ـ٤ حديث ٢٩٩٢ ـ ٢٩٩٣).

١ . هذا من الشيخ ابن القيم تمام الإنصاف و الأمانه حيث نقل القولين المستفادين من الآية و صحح احتمال تناول الآية لهما ثم جنح إلى ترجيح الاول و هو (احتمال القراءة على المحتضر) فقال (و الأول أظهر) و يقابله أن الثانى صحيح و ظاهر، وهو (القراءة على القبر) بل هو قول الإمام أحمد بن حنبل و جماهير العلماء و عليه العمل فى كل عصر فأين أدعياء السلفية عن هذا المنهج العلمى الصحيح و البحث الدقيق فى أمانته و عدله و إنصافه و أدبه؟

٢ . يس: ٢٦ـ ٢٧.

٣ . أخرج البخارى عن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ قال: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، و من كره لقاء الله كره الله لقاءه**» قالت عائشة أو بعض أزواجه إنا لنكره الموت قال «**ليس ذالك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله و كرامته**» (٤/ ١٣)، و أخرجه مسلم عن عائشة و فيه. قالت عائشة قلت: يا نبى الله أكراهية الموت، فكلنا نكره الموت، فقال: «ليس كذالك...» الحديث (٨/ ٦٥).



الثالث: إنّ هذا عمل الناس و عادتهم قديما و حديثا يقرءون يس عند المحتضر.

الرابع: أن الصحابة لو فهموا من قوله ﷺ **«اقرءوا يس عند موتاكم»** قراءتها عند القبر لما أخلوا به وكان ذالك أمرا معتادا مشهورا بينهم.

الخامس: أن انتفاعه باستماعها و حضور قلبه و ذهنه عند قراءتها في آخر عهده بالدنيا هو المقصود و أما قراءتها عند قبره فإنه لا يثاب عل ذالك لأن الثواب إما بالقراءة أو بالاستماع و هو عمل وقد انقطع من الميت. اهـ من كلام ابن القيم.[1]

وقد ترجم الحافظ أبو محمد عبد الحق الإشبيلي على هذا فقال: ذكر ما جاء الموتى يسألون عن الأحياء و يعرفون أقوالهم و أعمالهم، ثم قال: ذكر أبو عمر ابن عبد البر من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ **«ما من رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه إلا عرفه وردّ عليه السلام»**[2]، و يروى هذا من حديث أبي هريرة مرفوعا قال: **«فإن لم يعرفه و سلم عليه ردّ عليه السلام»**[3]

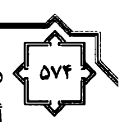
قال و يروى من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ ما من

---

١ . الروح ص١٥٢ـ١٥٥.

٢ . قال الحافظ الزبيدي في إتحاف السادة: أما حديث ابن عباس الذي رواه ابن عبد البر في التمهيد بلفظ: ما من أحد..» الحديث فقد رواه كذالك في الاستذكار و هذا الذي صححه عبد الحق في العاقبة (١٠/ ٣٦٥)، و في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٦/ ١٣٧) مثله عن أبي هريرة، و لفظه: **«ما من عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه وردّ عليه السلام»**.

٣ . ذكره في الإحياء عن أبي هريرة بلفظ: **«إذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه ردّ عليه السلام و عرفه، و إذا مر بقبر لا يعرفه... الحديث»** عزاه السيوطي في شرح الصدور إلى ابن أبي الدنيا و البيهقي موقوفا عليه (ص٢٠٢)، قال الحافظ الزبيدي في الاتحاف: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور و البيهقي في الشعب عن أبي هريرة مرفوعا (١٠/ ٣٦٦).



رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم[١]، واحتج الحافظ أبو محمد في هذا الباب بما رواه أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ، ما من أحد يسلم عليّ إلا ردّ الله على روحي حتى أرد عليه السلام.[٢]

قال: و قال سليمان بن نعيم: رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك و يسلمون عليك أتفقه منهم؟ قال نعم وأردّ عليهم، قال و كان ﷺ يعلمهم أن يقولوا إذا دخلوا المقابر: السلام عليكم أهل الديار[٣]... الحديث، قال: و هذا يدل على أن الميت يعرف سلام من يسلم عليه و دعاء من يدعو له.

قال أبو محمد: و يذكر عن الفضل بن الموفق قال: كنت آتي قبر أبي المرة بعد المرة فأكثر من ذالك فشهدت يوما جنازة في المقبرة التي دفن فيها فتعجلت لحاجتي ولم آته فلما كان من الليل رأيته في المنام قال لي يا بني لم لا تأتيني؟ فقلت يا أبتي و انك لتعلم بي إذا أتيتك؟ فقال إي و الله يا بني لا أزال أطلع

---

١ . عزاه السيوطي إلى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عنها (شرح الصدور ص٢٠٢)، و رواه الديلمي في مأثور الفردوس عنها (٤/ ٢٠ برقم ٦٠٥٥) قال الشيخ ابن تيمية في فتاويه (٢٤/ ٣٣١): قال ابن المبارك: ثبت ذالك عن النبي ﷺ و صححه عبد الحق صاحب الأحكام. انظر كتابنا مفاهيم يجب أن تصحح (ص٢٤٠)، و رواه الديلمي في زهر الفردوس عن أبي هريرة (٤/ ١٣) و عزاه الحافظ الزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٣٦٥) نحوه إلى أبي الشيخ.

٢ . رواه أبو داود في سننه (٢/ ٥٣٤ حديث ٢٠٤١ باب زيارة القبور) و رواه أحمد في مسنده (٢/ ٥٢٧).

٣ . رواه مسلم عن سليمان بن بريدة عن أبيه من رواية زهير بهذا اللفظ، و في رواية أبي بكر بن أبي شيبة بلفظ: «السلام على أهل الديار»، كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور و الدعاء لأهلها (٣/ ٦٣ ـ ٦٥).



عليك حين تطلع من القنطرة، حتى تصل إلى و تقعد عندى ثـم تقـوم فـلا أزال أنظر إليك حتى تجوز القنطرة، قال ابن أبـى الـدنيا: حـدثنى إبـراهيم بـن بـشار الكوفى قال: حدثنى الفضل بن الموفق فذكر القصة.

و صح عن عمرو بن دينار أنه قال: ما من ميت يمـوت إلا و هـو يعلـم مـا يكون فى أهله بعده و إنهم ليغسلونه و يكفنونه و إنه لينظر إلـيهم، و صـح عـن مجاهد أنه قال: إن الرجل ليبشر فى قبره بصلاح ولده من بعده.

و قال النووى ﵀ فى شرح المهذب: يستحب لزائر القبور أن يقرأ ما تيـسر من القرآن ويدعو لهم عقبها، نص عليه الشافعي واتفق عليه الأصـحاب، و زاد فى موضع آخر و إن ختموا القرآن على القبر كان أفضل[١] اهـ.

و قال ابن مفلح فى الفروع[٢] لا تكره القراءة على القـبر و فـى المقـبرة نـص عليه و اختاره أبوبكر و القاضى و جماعة و هـو المـذهب... إلـى أن قـال و فـى شرح مسلم: أن العلماء استحبوا القراءة عند القبر لخـبر الجريـدة[٣] لأنـه اذا رجـا التخفيف لتسبيحها فالقراءة أولى.

و قال الشيخ الإمام أبو محمد بن قدامة المقدسى فى آخر كتاب الجنـائز مـن مغنيه ما نصه:

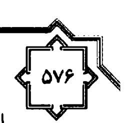
(فصل) و لا بأس بالقراءة عند القبر، و قـد روى عـن أحمـد أنـه قـال: **«إذا دخلتم المقابر فاقرءوا آية الكرسى و ثلاث مرات قل هو الله أحد ثم قـل: اللهـم إن فضله لأهل المقابر»**.

---

١ . المجموع شرح المهذب (٥/ ٢٦٨).

٢ . (٢/ ٣٠٤).

٣ . تقدم تخريجه.



و هذا الخبر عزاه السيوطى رحمه الله[1] إلى المحب الطبرى و إلى الغزالى فى الأحياء و فى العاقبة لعبد الحق عن أحمد بن حنبل بلفظ: إذا دخلتم المقابر فاقرءوا بفاتحة الكتاب و المعوذتين و قل هو الله أحد واجعلوا ذالك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم.

قلت: و يؤيده ما حكاه البرهان ابن مفلح فى كتابه المبدع عن الإمام أحمد، و نقلناه فى الفصل الآتى من النصوص الفقهية فى المسألة فانظره.

قال الحافظ السيوطى فى نفس المصدر[2]: و فى فوائد الزنجانى عن أبى هريرة مرفوعا: **«من دخل مقابر ثم قرأ فاتحة الكتاب و قل هو الله أحد والهاكم التكاثر، ثم قال: اللهم إنى قد جعلت... الحديث»**.

و فى نفس المصدر[3] فى فضل قل هو الله أحد للسمرقندى عن على مرفوعا بلفظ: **«و قرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة... الحديث»** و فى الإتحاف للزبيدى[4] بعد كلام أحمد بن حنبل قال: كذا أورده عبد الحق فى كتاب العاقبة عن أبى بكر أحمد بن محمد المروزى و عزاه أيضا إلى النسائى و الرافعى فى تاريخه و السمرقندى و ذكر الحديث مرفوعا عن على.

و قال الخلال: حدثنى أبو على الحسن بن الهيثم البزار شيخنا الثقه المأمون قال: رأيت أحمد بن حنبل يصلى خلف ضرير يقرأ على القبور.

و قد روى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: **«من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم يؤمئذ و كان له بعدد من فيها حسنات»**.[5]

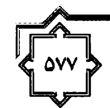
---

١ . شرح الصدور (ص٣١٢)

٢و٣ . شرح الصدور (ص٣١٣).

٤ . إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدى ٤/ ٢٢٠.

٥ . رواه الطبرانى بإسناد فيه أيوب بن مدرك، قال أبو حاتم و النسائى: متروك/ هـ من الميزان للذهبى باختصار.



و روى عن النبى ﷺ أنه قال: «**من زار قبر والديه أو أحدهما فقراء عنده أو عندهما يس غفر له**»[١] ثم قال: (فصل): و أى قربة فعلها و جعل ثوابها للميت المسلم نفعه ذالك إن شاء الله.

أما الدعاء و الاستغفار و الصدقة و أداء الواجبات فلا أعلم فيه خلافا إذا كانت الواجبات مما تدخلها النيابة، و قد قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ**﴾[٢] و قال تعالى: ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِك وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾[٣]. اهـ[٤].

قال العلامة الشهاب القرافى فى الفرق الثانى و السبعين المائة ما ملخصه: مذهب أبى حنيفة و أحمد بن حنبل أن القراءة يحصل ثوابها للميت و إذا قرىء عند القبر حصل للميت أجر المستمع و الذى يتجه أن يقال ما لا يقع فيه خلاف أنه يحصل لهم بركة القرآن لا ثوابه كما يحصل لهم بركة الرجل الصالح يدفن عندهم أو يدفنون عنده، و الذى ينبغى للإنسان أن لا يهمل هذه المسألة فلعل الحق هو الوصول إلى الموتى، فإن هذه أمور مغيبة عنا و ليس فيها اختلاف فى حكم شرعى، و إنما هو فى أمر واقع، هل هو كذالك أم لا، و كذالك التهليل الذى جرت عادة الناس بعمله اليوم ينبغى أن يعمل و يعتمد فى ذالك على

---

١ . ذكره فى الأحياء بلفظ: «**من زار قبر والديه أو أحدهما فى كل جمعة غفر له و كتب براء**». قال الحافظ العراقى: أخرجه الطبرانى فى الصغير و الأوسط من حديث أبى هريرة و ابن أبى الدنيا فى القبور من رواية محمد بن النعمان يرفعه و هو معضل و محمد بن النعمان مجهول و شيخه عند الطبرانى عن ابن العلاء البجلى متروك (٤/ ٤٩٠)، وله شاهد عن عائشة عن أبيها أبى بكر نحوه، و فى آخره: «بعدد كل حرف منها» ذكره الحافظ الزبيدى فى الإتحاف (١٠/ ٣٦٣).

٢ . الحشر: ١٠.

٣ . محمد: ١٩

٤ . المغنى (٢/ ٤٢٥ـ٤٢٦)



فضل الله، و يلتمس فضل الله بكل سبب ممكن، و من الله الجود و الإحسان هـذا هو اللائق بالعبد. ا هـ.

نصوص فقهية في المسألة

قال الإمام شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي في كتابه «الفروع»: لا تكره القراءة على القبر و في المقبرة، نص عليه و اختاره أبوبكر القاضي و جماعة، و هو المذهب.

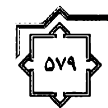
ثم قال: و صح عن ابن عمر أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عنده بفاتحة البقرة وخاتمتها. فلهذا رجع أحمد عن الكراهة، و قال الخلال و صاحبه: المذهب رواية واحدة لا يكره.[1].

و قال الإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح في كتابه المبدع: و لا تكره القراءة على القبر و في المقبرة في أصح الروايتين هذا المذهب، روى أنس مرفوعا قال: «**من دخل المقابر فقرأ فيها يس، خفف عنهم يومئذ و كان له بقدرهم حسنات**».

و صح عن ابن عمر أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عنده بفاتحة البقرة و خاتمتها، و لهذا رجع أحمد عن الكراهة قاله أبوبكر، و أصلها أنه مر على ضرير يقرأ عند قبر، فنهاه عنها، فقال له محمد بن قدامة الجوهري: يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر الحلبي؟ قال: ثقة، فقال: أخبرني مبشر عن أبيه أن أوصى إذا دفن أن يقرأ عنده بفاتحة البقرة و خاتمتها، و قال سمعت ابن عمر أوصى بذالك. فقال أحمد عند ذالك: ارجع، فقل للرجل: يقرأ، فلهذا قال الخلال و صاحبه: المذهب رواية واحدة أنه لا يكره لكن قال السامري: يستحب أن يقرأ عند رأس القبر بفاتحة البقرة و عند رجله بخاتمتها.

---

١ . الفروع لابن مفلح ٢/ ٣٠٤



و قال الإمام أبو الحسن علی بن سليمان المرداوی فی كتاب الإنصاف: قوله «**و لا تكره القراءة على القبر فی أصح الروايتين**» و هذا المذهب. قال فی الفروع و غيره و نص عليه، قال الشارح: هذا المشهور عن أحمد.

و قال الخلال و صاحب المذهب: رواية واحدة لا تكره و عليه أكثر الأصحاب منهم القاضی، و جزم به فی الوجيز و غيره. و قدمه فی الفروع و المغنی و الشرح و ابن تميم و الفائق و غيرهم.

و الرواية الثانية: تكره، اختارها عبد الوهاب الوراق، والشيخ تقی الدين.

قال الشيخ تقی الدين: نقلها جماعة و هی قول جمهور السلف وعليها قدماء أصحابه و سمی المروذی انتهی.

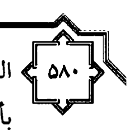
قلت: قال كثير من الأصحاب: رجع الإمام أحمد عن هذه الرواية: فقد روی جماعة عن الإمام أحمد: أنه مرّ بضرير يقرأ عند قبر فنهاه. و قال: القراءة عند القبر بدعة فقال محمد بن قدامة الجوهری: يا أبا عبد الله، ما تقول فی مبشر الحلبی؟ فقال: ثقة، فقال: حدثنی مبشر عن أبيه أنه أوصی إذا دفن أن يقرأ عنده بفاتحة البقرة خاتمتها و قال: سمعت ابن عمر يوصی بذالك، فقال الإمام أحمد: ارجع فقل للرجل: يقرأ فهذا يدل على رجوعه.

و عنه لا يكره وقت دفنه دون غيره. قال فی الفائق: و عنه يسن وقت الدفن اختارها عبد الوهاب الوراق و شيخنا و عنه القراءة على القبر بدعة، لأنها ليست من فعله عليه أفضل الصلاة و السلام و لا فعل أصحابه.

فعلی القول بأنه لا يكره: فيستحب، على الصحيح.

قال فی الفائق: يستحب القراءة على القبر. نص عليه أخيرا.

قال ابن تميم: لا تكره القراءة على القبر، بل تستحب نص عليه. و قيل: تباح. قال فی الرعاية الكبری: و تباح القراءة على القبر نص عليه و قدمه فی



الرعاية الصغرى و الحاويين. قال فى المغنى، و الشرح، و شرح ابن رزين: لا بأس بالقراءة عند القبر، و أطلقها فى الفروع.[1]

قال العلامة الشيخ منصور البهوتى: و لا تكره القراءة على القبر و لا فى المقبرة بل تستحب.[2]

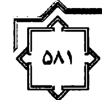
التلقين

و التلقين للميت هو أيضا من المسائل التى يكثر فيها الجدال و الأخذ و الرد و الذى يصل إلى الخصام و المقاطعة، و الأصل فى هذا الباب هو حديث أبى أمامة المرفوع الذى رواه الطبرانى و عبد العزيز الحنبلى فى الشافعى بسندهما إلى أبى أمامة قال: «إذا أنا مت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله ﷺ أن نصنع بموتانا، أمرنا رسول الله ﷺ فقال: إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره، ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة، فإنه يسمعه و لا يجيب، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة فإنه يستوى قاعدا، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة فإنه يقول: أرشدنا يرحمك الله، و لكن لا تشعرون، فليقل: أذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً عبده و رسوله، و انك رضيت بالله ربا و بالاسلام دينا، و بمحمد نبيا، و بالقرآن إماما، فإن منكرا و نكيرا يأخذ كل واحد بيد صاحبه و يقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند من لقن حجته، فقال رجل: يا رسول الله، فإن لم يعرف أمه؟ قال: ينسبه إلى أمه حواء، يا فلان ابن حواء».

---

١ . الإنصاف ٢/ ٥٥٧.

٢ . كشاف القناع ٢/ ١٧٠.



قال الحافظ في «التلخيص» و إسناده صالح، و قد قواه الضياء في «احكامه» و في إسناده سعيد الأزدي بيض له أبو حاتم، و قال الهيثمي بعد أن ساقه: في إسناده جماعة لم أعرفهم. انتهى[١]. و في إسناده أيضا عاصم بن عبدالله و هو ضعيف قال الأثرم: قلت لأحمد: هذا الذي يصنعونه إذا دفن الميت يقف الرجل و يقول: يا فلان ابن فلانة، قال: ما رأيت أحدا يفعله، إلا أهل الشام حين مات أبو المغيرة، يروى فيه عن أبي بكر بن أبي مريم عن أشياخهم أنهم كانوا يفعلونه، و كان إسماعيل بن عياش يشير إلى حديث أبي أمامة، انتهى. و قد استشهد في التلخيص لحديث أبي أمامة بأثر رواه سعيد بن منصور بسنده عن راشد بن سعد و ضمرة بن حبيب و حكيم بن عمير قالوا: «**إذا سوى على الميت قبره و انصرف الناس عنه كانوا يستحبون أن يقال للميت عند قبره: يا فلان: قل لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله ثلاث مرات، يا فلان قل: ربي الله، و ديني الإسلام، و نبيي محمد ﷺ ثم ينصرف**» رواه سعيد في سننه، و بما جاء عن عثمان قال: «**كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الان يسأل**» رواه أبو داود[٢] و أخرجه أيضا الحاكم[٣] و صححه البزار و قال: لا يروى عن النبي ﷺ له إلا من هذا الوجه.

قال الشوكاني عن أثر راشد و ضمرة و حكيم ذكره الحافظ في التلخيص وسكت عنه.[٤]

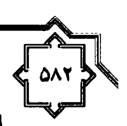
---

١ . مجمع الزوائد (٣/ ٤٥)

٢ . (٣/ ٢٥١ رقم الحديث ٣٢٢١).

٣ . (٥٢٦/١)

٤ . نيل الأوطار للشوكاني (٤/ ١٢٦)



(قلت): و قد تكلم الشيخ ظفر العثماني في كتابه القواعد عما سكت عنه الحافظ ابن حجر في كتابه الفتح من الأحاديث الزائدة بأنه صرح في المقدمة (هدى الساري) بأنه صحيح أو حسن عنده، ثم قال: و كذا سكوت الحافظ عن حديث في التلخيص الحبير دليل على صحته أو حسنه، فإن الشوكاني رحمه الله ربما يحتج بسكوته في التلخيص أيضا كما احتج بسكوته في الفتح يظهر ذالك بمراجعة نيل الأوطار.[1]

رأي الشيخ ابن تيمية

جاء في الفتاوى الكبرى للشيخ ابن تيمية:

وسئل: مفتي الأنام، بقية السلف الكرام، تقي الدين، بقية المجتهدين، أثابه الله، و أحسن إليه، عن تلقين الميت في قبره بعدالفراغ من دفنه، هل صح فيه حديث عن النبي ﷺ أو عن صحابته؟ و هل إذا لم يكن فيه شيء يجوز فعله أم لا؟

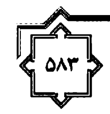
فأجاب: هذا التلقين المذكور قد نقل عن طائفة من الصحابة: أنهم أمروا به، كأبي أمامة الباهلي، و غيره. و روى فيه حديث عن النبي ﷺ لكنه مما لا يحكم بصحته و لم يكن كثير من الصحابة يفعل ذالك، فلهذا قال الإمام أحمد و غيره من العلماء: إن هذا التلقين لا بأس به.

فرخصوا فيه، ولم يأمروا به. و استحبه طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد و كرهه طائفة من العلماء من أصحاب مالك و غير هم.

و الذي في السنن عن النبي ﷺ أنه كان يقوم على قبر الرجل من

---

١ . قواعد في علوم الحديث للمحقق التهانوي ص٩٠.



أصحابه إذا دفن و يقول: «**سلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل**»[١] و قد ثبت فى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «**لقنوا أمواتكم لا إله إلا الله**»[٢] فتلقين المحتضر سنة مأمور بها.

و قد ثبت أن المقبور يسأل و يمتحن و أنه يؤمر بالدعاء له فلهذا قيل إن التلقين ينفعه، فإن الميت يسمع النداء كما ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: «**إنه ليسمع قرع نعالهم**»[٣] و أنه قال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**»[٤] و أنه أمرنا بالسلام على الموتى فقال: «**ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا ردّ الله روحه حتى يرد عليه السلام**»[٥] و الله أعلم.

و سئل رحمه الله: هل يجب تلقين الميت بعد دفنه أم لا؟ و هل القراءة تصل إلى الميت؟

فأجاب: تلقينه بعد موته ليس واجبا بالإجماع و لا كان من عمل المسلمين المشهور بينهم على عهد النبى ﷺ و خلفائه بل ذالك مأثور عن طائفة من الصحابة كأبى أمامة[٦] وواثلة بن الأسقع

فمن الأئمة من رخص فيه كالإمام أحمد و قد استحبه طائفة من أصحابه و أصحاب الشافعى، و من العلماء من يكرهه لاعتقاده أنه بدعة فالأقوال فيه

---

١ . رواه الحاكم فى المستدرك و قال صحيح و وافقه الذهبى. كتاب الجنائز (١/ ٥٢٦) حديث (١٣٧٢) و قد تقدم عن الشوكانى و قال: صححه البزار.

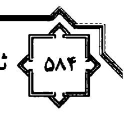
٢ . تقدم تخريجه و أنه رواه مسلم فى الصحيح و أصحاب السنن.

٣ . رواه البخارى، كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال (٢/ ٩٢) و فى باب ما جاء فى عذاب القبر و قوله تعالى ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ...﴾ الآية عن أنس رضي الله عنه (٢/ ١٠٢).

٤ . رواه البخارى، كتاب المغازى، باب قتل أبى جهل من حديث أنس بن مالك عن أبى طلحة (٥/ ٨ـ٩).

٥ . تقدم تخريجه.

٦ . فقد روى عن النبى ﷺ حديثا رواه الطبرانى فى التلقين كما تقدم تخريجه.



ثلاثة: الاستحباب و الكراهة و الإباحة و هذا أعدل الأقوال.

فأما المستحب الذى أمر به وحض عليه النبى ﷺ فهو الدعاء للميت[١] إلى أن قال:

فالقراءة عند الدفن مأثورة فى الجملة و أما بعد ذالك فلم ينقل فيه أثر و الله أعلم اهـ.[٢]

كلام ابن القيم

قال الشيخ ابن القيم:

و يدل على هذا أيضا ما جرى عليه عمل الناس قديما و إلى الان من تلقين الميت فى قبره و لولا أنه يسمع ذالك و ينتفع به لم يكن فيه فائدة و كان عبثا، و قد سئل عنه الإمام أحمد رحمه الله فاستحسنه واحتج عليه بالعمل.

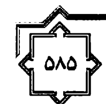
و يروى فيه حديث ضعيف ذكره الطبرانى فى معجمه من حديث أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع و لا يجيب ثم ليقل يا فلان ابن فلانة الثانية فإنه يستوى قاعدا ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فيقول: أرشدنا رحمك الله، و لكنكم لا تسمعون فيقول أذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و انك رضيت بالله ربا و بالاسلام دينا و بمحمد نبيا و بالقرآن إماما فإن منكرا و نكيرا يتأخر كل واحد منهما و يقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون حجيجه الله دونهما فقال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف أمه؟ قال ينسبه إلى أمه حواء.[٣]

---

١. تقدم تخريجه.

٢. كذا فى الفتاوى الكبرى للشيخ ابن تيمية ج٢٤/ ٢٩٦-٢٩٨.

٣. قال المجمع رواه الطبرانى فى الكبير، و فى إسناده جماعة لم أعرفهم (٣/ ٤٥) و قال الحافظ فى التلخيص و إسناده صالح، و حسنه الشوكانى بشواهده كما تقدم.



فهذا الحديث إن لم يثبت فاتصال العمل به فى سائر الأمصار والأعصار من غير انكار كاف فى العمل به و ما أجرى الله سبحانه العادة قط أن أمة طبقت مشارق الأرض و مغاربها و هى أكمل الأمم عقولا و أوفرها معارف تطبق على مخاطبة من لا يسمع و لا يعقل و تستحسن ذالك لا ينكره منكر منها بل سنه الأول للآخر و يقتدى فيه الآخر بالأول فلولا أن المخاطب يسمع لكان ذالك بمنزلة الخطاب للتراب و الخشب و الحجر و المعدوم و هذا و إن استحسنه واحد فالعلماء قاطبة على استقباحه و استهجانه.

و قد روى أبو داود فى سننه بإسناد لا بأس به أن النبى ﷺ حضر جنازة رجل فلما دفن قال «**سلوا لأخيكم التثبيت فإنه الآن يسأل**»[١] فأخبر أنه يسأل حينئذ و إذا كان يسأل فإنه يسمع التلقين.

و قد صح عن النبى ﷺ أن الميت يسمع قرع نعالهم إذا ولوا منصرفين.[٢] اهـ.[٣]

وضع الجريد على القبر

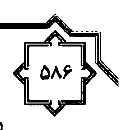
قال جماعة من العلماء إن من جملة ما ينتفع به الميت وضع الجريد على القبر لما ثبت عن النبى ﷺ أنه مر بقبرين، فقال: إنهما ليعذبان و ما يعذبان فى كبير، كان أحدهما يمشى بالنميمة، و كان الآخر لا يستنزه عن البول ـ أو قال: من البول ـ ثم أخذ جريدة رطبة فكسرها فغرز عند رأس كل قبر منهما قطعة ثم قال: عسى أن يخفف عنهما ما لم ييبسا. أخرجاه فى الصحيحين من حديث ابن عباس.[٤]

---

١ و٢ . تقدم تخريجه.

٣ . كذا فى الروح للإمام ابن قيم الجوزية ص١٥٢ـ١٥٩.

٤ . صحيح مسلم (كتاب الطهارة) باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه: ١/ ١٦٦.



و جاء بلفظ آخر عن جابر عند مسلم و فيه أن النبي ﷺ قال: يا جابر هل رأيت مقامي؟ قلت نعم يا رسول الله. قال: فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصنا فأقبل ثم قال رسول الله ﷺ: إني مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتي أن يرفه عنهما ما دام الغصنان رطبين.[١]

و رواه أيضا ابن أبي شيبة عن أبي بكرة بلفظ كنت أمشي مع النبي ﷺ فمر على قبرين فقال: إنهما ليعذبان، من يأتيني بجريدة؟ فاستبقت أنا و رجل فأتينا بها قال: فشقها من رأسها فغرس على هذا واحدة و على هذا واحدة قال: لعله يخفف عنهما ما بقي فيهما من بلولتهما شيء كانا يعذبان في الغيبة و البول.[٢]

و قد ذكر أن أبي شيبة في هذا الباب عدة أحاديث عن أبي هريرة و ابن عباس و يعلى بن شبابه رضي الله عنهم.

قال القرطبي في التذكرة معلقا على حديث ابن عباس الذي أخرجاه في الصحيحين و حديث أبي بكرة الذي أخرجه ابن أبي شيبة و غيره، و حديث جابر الذي أخرجه مسلم في أواخر كتابه قال: الذي يظهر لي إنهما قضيتان مختلفتان لا قضية واحدة كما قال من تكلم على ذالك، و يدل عليهما سياق الحديث، ففي حديث جابر زيادة على رطوبة الغصن وهي: شفاعته ﷺ، و حديث ابن عباس يدل على أن التخفيف إنما هو بمجرد نصف العسيب ما دام رطبا لا زيادة معه، و في حديث أبي بكرة و ابن عباس عسيبا شقه النبي ﷺ بيده نصفين و غرزهما بيده، و حديث جابر بخلافهما، ولم يذكر فيه ما يعذب بسببه. اهـ.

---

١ . صحيح مسلم (كتاب الزهد و الرقائق) باب حديث جابر الطويل ٨/ ٢٣٥.

٢ . مصنف ابن أبي شيبة (كتاب الجنائز) باب فيما يخفف به عذاب القبر:٣/ ٥٥.



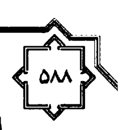
و قال الحافظ فى الفتح معلقا على حديث الباب. و أما ما رواه مسلم من حديث جابر الطويل أنه الذى قطع الغصنين فهو فى قصة أخرى غير هذه فالمغايرة بينهما من أوجه: منها أن هذه كانت فى المدينة، و كان معه ﷺ جماعه، و قصة جابر كانت فى السفر، و كان خرج لحاجته فتبعه جابر وحده. و منها: إن فى هذه القصة أنه ﷺ أمر جابراً بقطع غصنين من شجرتين كان النبى ﷺ غرس الجريدة بعد أن شقها نصفين و في حديث جابر أنه ﷺ أمر جابراً بقطع غصنين من شجرتين كان النبي ﷺ استتر بهما عند قضاء حاجته، ثم أمر جابرا فالقى الغصنين عن يمينه و عن يساره حيث كان النبى ﷺ جالسا، و أن جابرا سأله عن ذالك فقال: إني مررت بقبرين يعذبان... و لم يذكر فى قصة جابر أيضا السبب الذى كانا يعذبان به، و لا الترجى الآتى فى قوله: لعله فبان التغاير بين حديث ابن عباس و حديث جابر و أنهما كانا فى قصتين مختلفين و لا يبعد تعدد ذالك، قال: و قد روى ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة أنه ﷺ مر بقبر فوقف عليه فقال: ائتونى بجريدتين فجعل إحداهما عند رأسه و الأخرى عند رجليه فيحتمل أن تكون هذه قصة ثالثة، و يؤيده أن فى حديث أبى رافع: فسمع شيئاً فى قبر... و فيه: فكسرها باثنين ترك نصفها عند رأسه و نصفها عند رجليه، و فى قصة الواحد: جعل نصفها عند رأسه و نصفها عند رجليه، و فى قصة الإثنين جعل على كل قبر جريدة اهـ.[١]

تعليقات للعلماء مؤيدة:

روى الإمام البخارى فى الجنائز من صحيحه معلقا. عن بريدة بن الحصيب أنه أوصى أن يجعل فى قبره جريدتان.

---

١ . الفتح: ١/ ٣٨٢.



قال الحافظ فى الفتح[1]: يحتمل أن يكون بريدة أمر أن يغرزا فى ظاهر القبر اقتداء بالنبى ﷺ فى وضعه الجريدتين على القبرين و يحتمل أن يكون أمر أن يجعلا داخل القبر لما ـ فى النخلة من البركة لقوله تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قال: و الأول أظهر، و يؤيده إيراد المصنف حديث القبرين فى آخر الباب.

قال: و كان بريدة حمل الحديث على عمومه و لم يره خاصا بذينك الرجلين.

و قال أيضا: أثر بريدة يؤذن بمشروعيتها، و الذى يظهر من صنيع البخارى و تصرفه ترجيح الوضع، و علل إرداف البخارى لأثر ابن عمر عندما رأى فسطاطا قد ضرب على قبر عبد الرحمن بن أبى بكر: انزعه يا غلام فإنما يظله عمله، قال: يجاب عنه بأن ضرب الفسطاط على القبر لم يرد فيه ما ينتفع به الميت، بخلاف وضع الجريدة لأن مشروعيتها ثبتت بفعله ﷺ اهـ.

و قال الأمير الصنعانى فى العدة: قد تأسى بريدة بذالك و لا يتم التأسى إلا بناء على أنه أمر به ﷺ من يضعها، لأنه وضعها بيده الشريفة، أو أنه لا خصوصية ليده الكريمة فى ـ مطلق التخفيف، قال الخفاجى فى الريحانة: و عليه عمل الناس إلى الآن حتى رتبوا لذالك أوقافا، اهـ.

قال الإمام النووى رحمه الله[2] معللاً اختياره ﷺ للرطب من الجريد و تركه اليابس منه قال: لكونها يسبحان ما داما رطبين، و ليس لليابس تسبيح، و هذا مذهب الأكثرين من المفسرين فى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ...﴾ الآية. قالوا معناه و إن من شىء حى، ثم قالوا: حياة كل شىء بحسبه، فحياة الخشب ما لم ييبس و الحجر ما لم يقطع قال: ثم اختلف هؤلاء هل

---

١ . فتح البارى: ٣/ ٢٤٦ـ٢٦٦.

٢ . شرح مسلم ١/ ٢٠٦.

يسبح حقيقة أم فيه دلالة على الصانع فيكون مسبّحا منزّها بصورة حاله، قال المحققون: على أنه يسبح حقيقة، و قد أخبر الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ...﴾ الآية. قال: و إذا كان العقل لا يحيل جعل التميز فيها، و جاء النص به وجب المصير إليه، و الله أعلم. و قال أيضا لهذا الحديث استحب العلماء قراءة القرآن عند القبر لأنه إذا كان يرجى التخفيف بتسبيح الجريد فتلاوة القرآن أولى، اهـ. ونحوه لابن دقيق العيد في الاحكام[١]، والطيبي في شرح المشكاة[٢] و قال القرطبي في التذكرة.[٣]

يستفاد من هذا الحديث غرس الأشجار و قراءة القرآن، فإذا خفف عنهم بالأشجار فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن. و قال أيضا: قد استدل بعض علمائنا على قراءة القرآن على القبر بحديث العسيب الرطب الذي شقه النبي ﷺ باثنين.

اعتراضات مردودة:

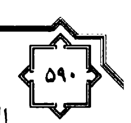
و قد قال بعضهم هذا خاص بالنبي ﷺ و استدل على عدم مشروعية وضع الجريد على القبر بأمور سنردها فيما بعد: منها أنه لا يعرف عن أحد من الخلفاء الراشدين، و ما ثبت عن بريدة ليس بحجة لأنه انفرد بذالك، و منها أن هذا من الأمور المغيبة، و وضع الجريد يستلزم الحكم بأنه يعذب في قبره، و منها أن النبي ﷺ لم يفعله في كل القبور بل فعله مرة، فدل على أنه خاص بذينك القبرين و أنه ليس مشروعا.

---

١. إحكام الأحكام/ ٦٣.

٢. ١/ ٣٨.

٣. ص١٠٠.



و الجواب: عن الأول: أن الجمهور من العلماء على أن الخصوصية لا تثبت إلا بدليل، و لا دليل، قال ابن عبد البر معلقا على حديث أم سلمة فى القبلة للصائم: ألا أخبرتيها أنى أفعل ذالك؟ قال فيه أن فعل رسول الله ﷺ كله يحسن التأسى به فيه على كل حال إلا أن يخبر رسول الله ﷺ أنه له خاصة أو ينطق القرآن بذالك، و إلا فالاقتداء به أقل أحواله أن يكون مندوبا إليه، و من أهل العلم من رأى أن جميع أفعاله واجب الاقتداء بها كوجوب أوامره، قال: و الدليل على أن أفعاله كلها يحسن التأسى به فيها قول الله عز وجل: ﴿**لَقَدْ كَانَ لكم فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**...﴾ الآية. فهذا على الإطلاق إلا أن يقوم الدليل على خصوص شىء منه فيجب التسليم له، و إلا فلا يجوز ادعاء الخصوص عليه فى شىء بوجه من الوجوه إلا بدليل مجمع عليه، و إلا فيما بان به خصوصه فى القرآن أو السنة الثابتة أو الإجماع، لأنه قد أمرنا باتباعه و التأسى به و الاقتداء بأفعاله، و غير جائز عليه أن يخص شىء فيسكت لأمته عنه و يترك بيانه لها، و هى مأمورة باتباعه، هذا ما لا يظنه ذو لب مسلم بالنبى ﷺ[1] اهـ باختصار.

و أما الجواب عن الثانى: بأن يقال: إن هناك أمورا كثيرة لا تعرف عن الخلفاء الراشدين قد فعلها الناس من بعدهم، منها تعدد الجمع فى البلد الواحد، و صلاتا العيدين فى الصحراء و غيرها، ثم إن ترك الخلفاء لهذا إنما هو عدم دليل، و كما أنه لا يعرف عنهم فعله كذالك لم يثبت عنهم النهى عنه أو القول بأنه خاص بالنبى ﷺ.

و أما قول بعضهم: بأن بريدة انفرد بذالك فخطأ، فقد ثبت أيضا عن غيره، قال الحافظ السيوطى[2]: روى ابن عساكر فى تاريخه من حديث حماد بن سلمة،

---

١. التمهيد ٥/ ١١٦ـ١١٨.

٢. شرح الصدور ص:١٣٥.

عن قتادة، أن أبا برزة الأسلمي رضي الله عنه: كان يحدث أن رسول الله ﷺ مر على قبر و صاحبه يعذب فأخذ جريدة فغرسها في القبر و قال: عسى أن يرفه عنه ما دامت رطبة، قال: و كان أبو برزة يوصي: إذا مت فضعوا في قبري جريدتين... الحديث، فهذا يدل على أن أبا برزة أيضا فهم من فعل النبي ﷺ مشروعية وضع الجريد على القبر، و أن بريدة لم ينفرد بهذا.

و أما قول بعضهم: إن هذا من الأمور المغيبة، ووضع الجريد يستلزم الحكم بأنه يعذب فليس بمجد في المقصود، فقد تعقب الحافظ ابن حجر[1] القاضي عياض لقوله: علل غرزهما على القبر بأمر مغيب و هو قوله: ليعذبان فقال: لا يلزم من كوننا لا نعلم أيعذب أم لا أن نتسبب له في أمر يخفف العذاب أن لو عذب كما لا يمنع كوننا لا ندري أرحم أم لا أن لا ندعو له بالرحمة.

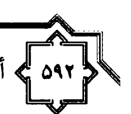
و أما احتجاج بعضهم بعدم مشروعيته لأن النبي ﷺ لم يفعله في كل القبور فهذه أيضا حجة مردودة و متعقبة بأنه لم يثبت عنه ﷺ أنه صلى عند قبر كل من دفن ولم يصل هو عليه، و مع ذالك فإن الجمهور يقولون مشروعية الصلاة بعد الدفن لمن فاتته الصلاة و المسألة من مباح الأصول، على أنه قد صحح الثقات القول بتعدد القصة و ثبوتها غير مرة عنه ﷺ فلا حجة فيما احتجوا به.

الاجتماع للتعزية في بيت الميت

من أهم المسائل التي يقع بسببها الخلاف و الخصام الذي يصل إلى المقاطعة و الحكم على الناس بالبدعة و الضلال هو جلوس أهل الميت و اجتماعهم في مجلس يجمعهم لاستقبال المعزين في وفاة فقيدهم، و قد جرت العادة أن يقف

---

١ . الفتح ١/ ٣٨٣.



أهل الميت في صف واحد فيما يسمى (بصف العزاء) تسهيلا لمهمة العزاء بدلا من أن يدور المعزى من مكان إلى مكان باحثا عن أهل الميت ليعزيهم وخصوصا إذا فاته حضور تشييع الجنازة، و هذا يوفر على الناس وقتا كبيرا و لولا ذالك لاضطر المعزون إلى المشي لكل واحد من أهل الميت في بيته لتعزيته كما أن فيه جبرا لخاطر أهل الميت و مؤانسة لهم في وحشتهم و حزنهم أول مصيبتهم، و هي مسألة فرعية لا تستوجب ذالك الانكار و الهجوم الشديد و لا تقتضي ما يقع بسببه من الخصام و المقاطعة.

و الأصل في جوازها أو مشروعيتها ما رواه الإمام البخاري في الجنازة. (باب من جلس عند المصيبة).[1] و ابو داود في الجنائز من سننه في (باب الجلوس عند المصيبة)[2] و في نسخة (باب من جلس في المسجد وقت التعزية) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لما قتل زيد بن حارثة و جعفر و عبد الله بن رواحة جلس رسول الله ﷺ في المسجد يعرف فيه الحزن.[3]

فأنت ترى الإمامين البخاري و أبا داود جعلا عنوان الباب بلفظ صريح في الجلوس وقت التعزية و لذالك قال الحافظ ابن حجر في الفتح: و في هذا الحديث من الفوائد أيضا جواز الجلوس للعزاء بسكينة ووقار. اهـ.[4]

ثم إن تعزية اهل الميت مقصد شرعي و اجتماعهم في بيت واحد وسيلة يتحقق بها هذا المقصد، و القاعدة عند الفقهاء أن الوسائل تتبع المقاصد في

---

١. (٣/ ٢١٤).

٢. (٣/ ١٩٢).

٣. و الحديث أيضا رواه البيهقي في السنن الكبرى «باب ما يستحب من تعزية الميت رجاء الاجر في تعزيتهم» (٤/ ٩٨).

٤. فتح الباري (٣/ ١٣١).



احكامها فوسيلة المحرم محرمة. ووسيلة الواجب واجبة. و كذالك بقية الاحكام الشرعية.

أما القول بأن الجلوس بدعة فلا أعلم أحدا نص عليه من أهل العلم و كيف يكون الجلوس بدعة و قد جلس رسول الله ﷺ ؟!، بل لا يصدق عليه تعريف البدعة التى هى كما قال الإمام الشاطبى فى الاعتصام: (طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشريعة يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية).[١]

نعم إن هذا التعريف يصدق على معنى آخر نص العلماء على أنه بدعة و هو أن يصنع أهل الميت طعاما و يجمعون الناس عليه، و إنما كان بدعة لأن السنة أن يصنع الناس لأهل الميت الطعام، فمن ترك هذه السنة وأحدث طريقة غيرها كان مبتدعا فقد نص الإمام النووى رحمه الله على أنه بدعة غير مستحبة.[٢] و قال ابن تيمية فيما نقله عن الشيخ عبد الرحمن بن قاسم: جمع أهل المصيبة الناس على طعامهم ليقرءوا و يهدوا له ليس معروفا عند السلف و قد كرهه طوائف من العلماء من غير وجه اهـ.[٣]

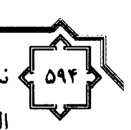
فيا ليت المنكرين المعترضين على الناس فى هذه المسائل يسلكون مسلك الشيخ ابن تيمية و يتأدبون بأدب أسلوبه فى الانتقاد و الانكار حيث اكتفى بقوله: (ليس معروفا عند السلف و قد كرهه جماعة) فما ألطف هذه الجملة و ما أحسن هذا الأسلوب فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و أين هذا مما

---

١ . الاعتصام، ص٢٧.

٢ . الأذكار ص١٩٨.

٣ . دفع الافتتات بجواز الجلوس للتعزية و القراءة للأموات للعلامة الفقيه الشيخ قيس بن محمد آل الشيخ مبارك، و هى رسالة عظيمة مختصرة مفيدة و هى الأصل فى هذا الباب، و قد طبعها فضيلة العلامة الموفق الشيخ عيسى المانع رئيس الأوقاف فى دبى جزاه الله خيرا.



نسمعه من أخواننا المنكرين من الهجوم الشديد و الانكار الغليظ بالألفاظ البشعة و الأساليب المنفرة و المقاطعة لأهلهم و أرحامهم و عدم مشاركتهم في مصيبتهم و أحزانهم بدعوى أن فيها مخالفة للسنة و محاربة لله و رسوله، و أن حضور ذالك تكثير لأهل البدع و الضلالات فلا أدرى من هو الذى وقع في الضلال المتفق على ضلاله؟ و من هو الذى فعل المنكر المتفق عليه؟ هل الذين اجتمعوا في بيت الميت للتعزية المشروعة؟ أم الذين قاطعوا أرحامهم و أهلهم و اتهموهم بالبدعة و الضلالة فتركوا تعزيتهم و تسليتهم في مصائبهم وفاتهم أجر عظيم بسبب ذالك ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُم﴾.[1]

و عليه فمن جلس للعزاء فلا حرج عليه إن شاء الله تعالى إذا خلا ذالك عن المنهى عنه الذى يقع فى بعض البلاد جهلا أو تهاونا، و من ترك الجلوس لا ينكر عليه، لأن المسألة من مسائل الخلاف التى تتسع لها الصدور المؤمنة و لا تضيق.

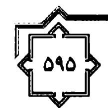
و لأن الانكار فى مثل هذه المسألة ليس من عمل السلف الصالح و إنما هو أمر محدث أحدثه الناس فى الأزمان المتأخرة. فعلى طلبة العلم أن ينتزعوا هذا الانكار المحدث من مجتمعاتهم، و أن يعيدوا الناس إلى ما كان عليه السلف الصالح من عدم الانكار فى مسائل الخلاف، و الحمد لله رب العالمين.

الفاتحة ويس لأموات السلمين

جرت العادة فى كثير من البلاد الإسلامية و فى الحرمين الشريفين خصوصا أن يجتمعوا على قراءة القرآن و ذكر الله سبحانه و تعالى فى مناسبات

---

١. محمد ﷺ: ٢٢.



عدیدة تقربا و توسلا بکتابه العظیم و ذکره الکریم فی قضاء الحوائج و تفریج الکروب و إصلاح القلوب و غفران الذنوب و رحمة الموتی و اللطف بالأحیاء و بلوغ الأمانی علی اختلافها.

و تکثر العنایة فی هذا الباب بقراءة الفاتحة ویس و تبارك و بالتهلیل و التکبیر و التسبیح و الصلاة والسلام علی الحبیب الأعظم و النبی الأکرم ﷺ.

معنی الاختیار و التفضیل

قد یخطر ببال بعضنا ما قد یعذر فیه، فیقول مثلا: لماذا کانت هذه السور و الآیات أفضل من غیرها؟ و قد حرر الجواب علی هذه المسألة فضیلة الإمام السید محمد زکی إبراهیم فقال[1]:

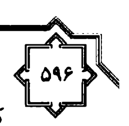
إن القرآن کله کلام الله تعالی، فهو من حیث المصدر و الذاتیة و التنزیل المناسب للأحداث، لا تفضیل فیه لبعض الآی و السور علی بعض، أما ما جاء علی لسان رسول الله ﷺ من بیان فضل بعضها، فلیس معناه أنه لا فضل لباقیها ولکن معناه أن ملابسات خاصة وقعت فجعلت النبی ﷺ یصرح بما فی بعض هذه السور و الآیات من البرکة و الخیر و بالتالی فإنه لم تقع الملابسات التی ربما لو وقعت لکشف لنا ﷺ عما لا نعرفه من فضل بقیة السور و الآیات فالفضل هنا و هنا موجود، ولکننا عرفنا هذا ولم نعرف ذاك لأن هذا الفضل سر ولا یمکن الإحاطة به إلا بوحی و بیان من الصادق المعصوم ﷺ.

هذا وقد قال بعض العلماء: إن الأفضیلة فی الآیات و السور، لیست فی ذاتها ولکن فی الأجر علیها و الانتفاع بها فی مواضعها.

و قال فریق آخر، منهم القرطبی، و إسحق بن راهویه و أبوبکر بن العربی، و الحلیمی، و ابن القصّار، و غیرهم: إن الأفضلیة طبیعة الأشیاء الکونیة کلها فلا عیب أبداً فی أن تکون هناك ایة سورةٍ أفضل من غیرها لسبب أو لاخر.

---

۱. فی کتابه الإسکات برکات القرآن علی الأحیاء و الأموات.



قالوا: فإن مدلول قوله تعالى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[١] ليس كمدلول قوله تعالى ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾[٢] ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾[٣] و إن ما فى آيه «الكرسى» من المعانى ليس فى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾[٤] فالتفضيل عندهم من حيث المعانى، و إن استوى الجميع من حيث المصدر و الغاية.

و لا مانع أن يكون لبعض السور و الآيات القرآنية مزايا. خاصة لمنافع معينة أخبر بها المشرع الأعظم ﷺ، فهذه المزايا بمنافعها فى مجالاتها الخاصة المعينة لا تقتضى أفضليتها على غيرها، و لهذا يقول العلماء فى هذا الباب «المزية لا تقتضى الأفضلية».

و أمثلة هذا كثيرة، و كتب السنة المشرفة طافحة بها، فمنها ما جاء فى خصائص بعض الآيات و السور مما هو لدفع الشر، و منها ما هو لجلب الخير، و منها ما هو لقضاء الدين، و منها ما هو لذهاب الهم و الحزن، و منها ما هو للشفاء من الأمراض عامة، و منها ما هو للشفاء من أمراض خاصة كالصرع و الحمى و الحسد و الوسواس و الشيطان و منها ما جاء أنه يقرأ على الموتى و هو موضوعنا، و منها ما هو لدفع الفقر و الفاقة.

و القرآن كله كلام الله، و فضله و أجر كبير و الله ذو الفضل العظيم.

فضل سورة الفاتحة

عن أبى سعيد بن المعلى قال كنت أصلى فدعانى النبى ﷺ فلم أجبه، قلت: يا رسول الله إنى كنت أصلى، قال: ألم يقل الله ﴿اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ

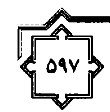
---

١ . الحديد: ٣.

٢ . الأنعام: ١٤٤.

٣ . الأنعام:١٤٣.

٤ . المسد: ١.



﴿إِذَا دَعَاكُم﴾[1] الآية ثم قال: ألا أعلمك أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد فأخذ بيدى فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله انك قلت ألا أعلمك أعظم سورة من القرآن؟ قال: الحمد الله رب العالمين هى السبع المثانى و القرآن العظيم الذى أوتيته[2].

و عن أبى سعيد الخدرى قال: كنا فى مسير لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحى سليم و إن نفرنا غيب فهل منكم راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأبنه[3] برقية فرقاه فبرأ فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنا فلما رجع قلنا له أكنت تحسن رقية أو كنت ترقى؟ قال: ما رقيت إلا بام الكتاب قلنا لا تحدثوا شيئا حتى نأتى أو نسأل رسول الله ﷺ فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبى ﷺ فقال: و ما كان يدريه أنها رقية، اقسموا و اضربوا لى بسهم.[4]

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج «ثلاثا» غير تمام، فقيل لأبى هريرة إنا نكون وراء الإمام فقال: اقرأ بها فى نفسك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: قسمت الصلاة بينى و بين عبدى نصفين و لعبدى ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى: حمدنى عبدى، و اذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى أثنى على عبدى، و إذا قال مالك يوم الدين: قال مجدنى عبدى، و قال مرة فوض إلى عبدى، و إذا قال إياك نعبد و إياك نستعين قال: هذا بينى و

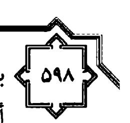
---

١ . الأنفال: ٢٤.

٢ . رواه البخارى: كتاب فضائل القرآن، باب الكتاب (٦/ ١٠٣) و أبو داود، كتاب الصلاة باب فاتحة الكتاب (٢/ ٧١ ـ ٧٢) حديث (١٤٥٨).

٣ . نأبنه أى نعيبه و قوله ما كان نأبنه... الخ أى ما كنا نعلم أنه يرقى فنعيبه بذالك. اهـ من النهاية لا بن الأثير.

٤ . رواه البخارى كتاب فضائل القرآن باب فاتحة الكتاب ٦٠/ ١٠٣.



بين عبدى و لعبدى ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم و لا الضالين، قال: هذا لعبدى و لعبدى ما سأل، قال سفيان: حدثنى العلاء بن عبدالرحمن بن يعقوب دخلت عليه و هو مريض فى بيته فسألته أنا عنه.[١]

و عن ابن عباس ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال هى أم الكتاب.[٢]

و عن أبى هريرة أن إبليس رنّ حين أنزلت فاتحة الكتاب و أنزلت بالمدينة.[٣]

و عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ أم القرآن و قل هو الله أحد فكانما قرأ ثلث القرآن**».[٤]

قال رسول الله ﷺ «**الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى و القرآن العظيم الذى أوتيته**».[٥]

و قال ﷺ «**و الذى نفسى بيده ما أنزلت فى التوراة وا فى الإنجيل و لا فى الزبور و لا فى الفرقان مثلها**».[٦]

---

١ . رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة. الخ عن أبى هريرة (٢/ ٩). أبو داود، كتاب الصلاة، باب من ترك القراءة فى صلاته بفاتحة الكتاب عنه (١/ ٢١٦ــ ٢١٧) حديث (٨٢١).

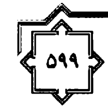
٢ . قال الهيثمى: رواه الطبرانى و فيه أبو سعد البقال و هو مدلس و قد تقدم حديث أبى سعيد بن المعلى بنحوه و هو صحيح.

٣ . قال الهيثمى: رواه الطبرانى فى الأوسط شبيه المرفوع و رجاله رجال الصحيح (٦/ ٣١١).

٤ . قال الهيثمى: رواه الطبرانى فى الأوسط و فيه سليمان بن أحمد الواسطى (٦/ ٣١١).

٥ . تقدم تخريجه.

٦ . رواه الترمذى عن أبى هريرة ﷺ مطولا فى كتاب فضائل القرآن باب ما جاء فى فضل فاتحة الكتاب و قال عقبه: هذا حديث حسن صحيح، و فى الباب عن أنس و فيه عن أبى سعيد بن المعلى اهـ(٥/ ١٥٥ ـ ١٥٦ رقم الحديث:٢٨٧٥). و قوله و فى الباب عن أنس هو عند ابن حبان (انظر الإحسان ٢/ ٧٤ ـ ٧٥ رقم ٧٧١ و موارد الظمآن ٥/ ٣٧١ رقم ١٧١٣) و الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٦٠) و قال هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، و سكت عنه الذهبى.



و عن عبد الملك بن عمير عن النبى ﷺ أنه قال: «**فاتحة الكتاب شفاء من كل داء**».[١]

و عن ابن عباس قال بينما جبريل قاعد عند النبى ﷺ سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم و قال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك، فاتحة الكتاب و خواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته»[٢]

فائدة

قال فى بغية المسترشدين للإمام عبد الرحمن بن محمد المشهور رحمه الله:

رجل مر بمقبرة فقرأ الفاتحة و أهدى ثوابها لأهلها فهل يقسم أو يصل لكل منهم ثوابها كاملا؟

أجاب الشيخ ابن حجر بقوله: أفتى جمع بالثانى و هو اللائق بسعة رحمه الله تعالى. اهـ.

ثم قال: نقل عن فتاوى السيد العلامة عبد الله بن حسين بلفقيه: الأولى لمن يقرأ الفاتحة لشخص أن يقول: إلى روح فلان بن فلان كما عليه العمل لبقاء الأرواح و فناء الأجسام و إن كان لها بعض مشاركة فى النعيم وضده فى البرزخ إذ الروح الأصل، و سرّ ذالك أن حقيقة المعرفة و التوحيد و سائر الطاعات الباطنية إنما نشأ عن الروح فاستحقت أكمل الثواب و أفضله اهـ ملخصا.

---

١ . رواه الدارمى فى كتاب فضائل القرآن باب فضل فاتحة الكتاب (٢/ ٣٢٠ رقم ٣٣٧٣).

٢ . رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين و قصرها باب فضل الفاتحة و خواتيم سورة البقرة (٢/ ١٩٨ رقم الحديث: ٨٠٦، شرح النووى ٦/ ٩١).



فضل سوره يس

عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال «**البقرة سنام القرآن و ذروته مع كل آية منها ثمانون ملكا، و استخرجت «الله لا إله إلا هو الحى القيوم» من تحت العرش، فوصلت بها، أو فوصلت بسورة البقرة، و يس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله تبارك و تعالى والدار الآخرة إلا غفر له، واقرءوها على موتاكم**».[١]

و عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**اقرءوا يس على موتاكم**».[٢]

و عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**سورة يس اقرءوها على موتاكم**»[٣]

و عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**أن لكل شيء قلبا، و قلب القرآن يس، و من قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات**»[٤]

---

١ . رواه أحمد حديث ١٩٧٨٩ (٥/ ٦٦١).

قال الهيثمى فى مجمع الزوائد: «و فيه راو لم يسم، و بقية رجاله رجال الصحيح». كتاب التفسير ـ سورة البقرة ص٦/ ٣١١).

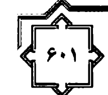
٢ . رواه أبو داود فى كتاب الجنائز، باب القراءة عند الميت (٣/ ٤٨٩).

و رواه ابن ماجه عنه أيضا بلفظ «**اقرءوها عند موتاكم**» يعنى يس حديث ١٤٤٨ (١/ ٤٦٦).

٣ . رواه الحاكم فى كتاب فضائل القرآن، باب ذكر فضائل سور و آى متفرقه، و قال عقب ذكره الحديث «أوقفه يحيى بن سعيد و غيره عن سليمان التيمى و القول فيه قول ابن المبارك إذ الزيارة من الثقة مقبولة» (٢٠٧٣/ ٥٣) (١/ ٧٥٣).

و قال ابن حجر فى التلخيص: «و قد أعلّه ابن القطان بالاضطراب و بالوقف و بجهالة أبى عثمان و أبيه و نقل أبو بكر بن العربى عن الدارقطنى قوله: «هذا حديث ضعيف الإسناد مجهول المتن و لا يصح فى الباب حديث» اهـ من تلخيص الحبير (٢/ ١٠٤).

٤ . رواه الترمذى فى السنن كتاب فضائل القرآن باب ما جاء فى فضل يس (٥/ ١٤٩ـ ١٥٠، رقم ٢٨٨٧) و قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد بن عبد الرحمن و الحديث فى إسناده هارون أبو محمد و هو شيخ مجهول و بعضهم يرويه موقوفا على حميد بن عبد الرحمن هذا.



و عن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **«من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له»**[١]

فضل سورة الملك

عن ابن عباس ﷺ: **«ضرب بعض أصحاب النبى ﷺ خباءه على قبر و هو لا يحسب أنه قبر فاذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذى بيده الملك حتى ختمها فأتى النبى ﷺ فقال يا رسول الله إنى ضربت خبائى على قبر و أنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها، فقال رسول الله ﷺ هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر»**[٢]

و عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: يؤتى الرجل فى قبره فتؤتى رجلاه، فتقول رجلاه: ليس لكم على ما قبلى سبيل كان يقوم يقرأ بى سورة الملك، ثم يؤتى من قبل صدره أو قال بطنه، فيقول، ليس لكم على ما قبلى سبيل كان يقوم يقرأ بى سورة الملك ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول ليس لكم على ما قبلى سبيل كان يقرأ بى سورة الملك فهى المانعة تمنع عذاب القبر، و هى فى التوراة سورة الملك من قرأها فى ليلة فقد أكثر و أطنب.[٣]

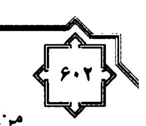
---

١ . رواه ابن حبان فى فضل قيام الليل حديث (٢٥٦٥) بترتيب ابن بلبان و رواه ابن السنى عن أبى هريرة مرفوعا **«من قرأ يس فى يوم و ليلة ابتغاء وجه الله عز وجل غفر الله له»** باب ما يستحب أن يقرأ فى اليوم و الليلة. حديث (٦٧٤) (٦٢٤).

و قال الهيثمى فى مجمع الزوائد: رواه الطبرانى فى الصغير و الأوسط و فيه أغلب بن تميم و هو ضعيف». مجمع الزئد (٧/ ٩٧). كتاب التفسير سورة يس.

٢ . رواه الترمذى و قال حديث حسن غريب من هذا الوجه فى كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فى فضل سورة الملك (٥/ ١٦٤).

٣ . رواه الحاكم فى المستدرك و صححه ووافقه الذهبى(٢/ ٤٩٨) باب تفسير سورة الملك. قال الهيثمى (٧/ ١٢٨) رواه الطبرانى و فيه عاصم بن بهدلة و هو ثقة و فيه ضعف، و بقية رجاله رجال الصحيح.



و عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: لوددت أنها فى قلب كل إنسان من أمتى يعنى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾.[١]

فضل لا إله إلا الله

أول أبواب الفرج لا إله إلا الله، هى كلمة التقوى، كما قال عمر رضي الله عنه، و هى كلمة الإخلاص و شهادة الحق و دعوة الحق و براءة من الشك و نجاة هذا الأمر و لأجلها خلق الخلق، كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٢] و لأجلها أرسلت الرسل و أنزلت الكتب، كما قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِك مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٣] و قال تعالى ﴿يُنَزِّلُ الْمَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾[٤] و نحو هذه الآيات. و لهذا قال ابن عيينة: «**ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله**» و أن لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا، و لأجلها أعدت دار الثواب و دار العقاب و لأجلها أمرت الرسل بالجهاد فمن قالها عصم ماله و دمه و من أباها فماله و دمه هدر، و هى مفتاح الجنة و مفتاح دعوة الرسل و بها كلم الله موسى كفاحا.

و فى مسند البزار و غيره عن عياض الأنصارى عن النبى ﷺ قال «**لا إله إلا الله كلمة حق كريمة على الله، و لها من الله مكان و هى كلمة من قالها صادقا أدخله بها الجنة و من قالها كاذبا حقنت دمه و أحرزت ماله ولقى الله غدا فحاسبه و هى ثمن الجنة**»

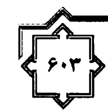
---

١ . قال الهيثمى: و فيه إبراهيم بن الحكم بن أبان و هو ضعيف» اهـ مجمع الزوائد (٧/ ١٢٧)، كتاب التفسير ـ سورة الملك.

٢ . الذاريات:٥٦.

٣ . الأنبياء:٢٥.

٤ . النحل: ٢.



و قال الحسن ـ و جاء مرفوعا من وجوه ضعيفةـ : «**و من كانت آخر كلامه دخل الجنة**». و هى نجاة من النار، و هى توجب المغفرة، و هى أحسن الحسنات و هى تمحو الذنوب و الخطايا، و هى تجدد ما درس من الأيمان فى القلب، و هى ترجح بالسموات و الأرض، و هى تخرق الحجب، و هى أفضل ما قاله النبيون، و هى أفضل الأعمال و أكثرها تضعيفا و تعدل عتق الرقاب و تكون حرزا من الشيطان، و هى أمان من وحشة القبر، و هى شعار المومنين إذا قاموا من قبورهم».[1]

عن أبى ذر قال قلت يا رسول الله: أوصنى، قال: «**إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها**» قال قلت: يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: هى أفضل الحسنات.[2]

و عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ «**مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله**».[3]

و عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ : «**لكل شىء مفتاح و مفتاح السموات قول لا إله إلا الله**».[4]

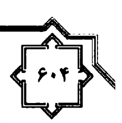
---

١ . انظر أبواب الفرج للمؤلف.

٢ . رواه أحمد فى مسنده (٥/ ١٦٩). قال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٨١): رواه أحمد و رجاله ثقات إلا أن شمر بن عطية حدث به عن أشياخه عن أبى ذر، ولم يسم أحدا منهم اهـ .

٣ . رواه أحمد فى مسنده (٥/ ٢٤٢)، و رواه البزار فى مسنده عنه أيضا إلا أنه قال: «مفتاح» بدل لفظ «مفاتيح» (٧/ ١٠٣ـ ١٠٤، رقم: ٢٦٦)، و أورده الهيثمى فى كشف الاستار (١/ ٩).
قال الهيثمى فى المجمع (١/ ١٦) عقب إيراده هذا الحديث: رواه أحمد و البزار و فيه انقطاع بين شهر و معاذ، و إسماعيل بن عياش و روايته عن أهل الحجاز ضعيفة و هذا منها اهـ.

٤ . أورده الهيثمى فى المجمع كتاب الأذكار باب ما جاء فى فضل لا إله إلا الله (١٠/ ٨٢) و قال: رواه الطبرانى و فيه أغلب بن تميم و هو ضعيف اهـ.



و عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ **«لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك، لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه»**.[1]

و عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصا إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرض ما اجتنبت الكبائر»**.[2]

هذه خلاصة يسيرة في ذكر فضائل بعض السور القرآنية و بركتها على الأحياء و الأموات و قد سبق من التحقيق و هو الراجح عند أكثر المذاهب و عليه عمل جمهور المسلمين من السلف و الخلف أن الميت ينتفع بقراءة القرآن كما ينتفع بالدعاء و الاستغفار له و الصدقة عليه و الحج عنه و زيارة قبره. و الله أعلم.

---

١ . رواه البخاري في كتاب العلم باب الحرص على الحديث (١/ ٣٣) و في كتابه الرقاق باب صفة الجنة و النار (٧/ ٢٠٤) و فيه زيادة: «من قبل نفسه»، و رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٧٣).

٢ . رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب دعاء أم سلمة، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه (٥/ ٥٧٥ حديث ٣٥٩٠).

الخاتمة

قصر الأمل و ذكر الموت

اعلم أن قصر الأمل، و الإكثار من ذكر الموت، أمر مرغب فيه، مندوب إليه، و أن طول الأمل و نسيان الموت أمر مكروه قد ورد التحذير عنه. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكم أَمْوَالُكم وَلاَ أَوْلاَدُكم عَن ذكر الله وَمَن يَفْعَلْ ذٰلك فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنفِقُوا مِن مَا رَزَقْنَاكم مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكم الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

و قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكونوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكتاب مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[2].

و قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكم ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الآية.[3]

و قال رسول الله ﷺ: «أكثروا من ذكر هاذم اللذات» الحديث.[4]

---

١ . المنافقون: (٩، ١٠، ١١).

٢ . الحديد: (١٦).

٣ . الجمعة: (٨).

٤ . رواه الترمذي في أبواب الزهد (باب ما جاء في ذكر الموت ج٣/ ص٣٧٨ ـ ٣٧٩)، و النسائي في كتاب الجنائز (باب كثرة باب ذكر الموت ج٤/ ص٤) و ابن ماجه في كتاب الزهد (باب ذكر الموت و الاستعداد له ج٢ / ص١٤٢٢) عن أبي هريرة، و قال الترمذي: حديث غريب حسن.



وسئل عليه الصلاة والسلام عن الأكياس من الناس من هم؟ فقال: أكثرهم للموت ذكرا، و أحسنهم له استعدادا أولئك الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا و كرامة الاخرة.[1]

و قال ﷺ: **«كن في الدنيا كانك غريب أو عابر سبيل»**.[2]

و قال ﷺ: **«ما لي و للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح و تركها»**[3]

معنى تذكر الموت:

وليس ذكر الموت النافع هو أن يقول الإنسان بلسانه: الموت الموت فقط؛ فإن ذالك قليل المنفعة و إن أكثر منه، بل لا بد مع ذالك من تفكر القلب و استحضاره عند ذكر الموت باللسان. كيف يكون حاله عند الموت و أهواله وسكراته و معاينته أمور الآخرة. وما الذى بقى من أجله وبم يختم له، و كيف كان حال من مضى من أقرانه و أصحابه عند الموت، و إلى أى مصير صاروا!! و أشباه ذالك من الأفكار و الأذكار النافعة للقلب و المؤثرة فيه. قال بعض السلف: انظر كل شىء تحب أن يأتيك الموت و أنت عليه فالزمه و كل شىء تكره أن يأتيك الموت و أنت عليه فاجتنبه. فتأمل رحمك الله هذه المقالة، فإنها عظيمة النفع لمن عمل بها و الله الموفق و المعين لا رب غيره.

---

١ . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت و الطبرانى فى الصغير بإسناد حسن.

٢ . حديث صحيح رواه البخارى فى الرقاق عن ابن عمر، و زاد أحمد فى المسند و عد نفسك من أهل القبور.

٣ . رواه أحمد فى المسند و رجاله رجال الصحيح غير هلال بن حبان و هو ثقة و رواه الترمذى و ابن ماجه و الضياء المدقسى و الحاكم فى المستدرك و قال على شرط البخارى و أقره الذهبى.



معنى كراهية الموت:

و أما كراهية الموت فأمر طبيعي لا يكاد الإنسان ينفك عنه، و ذالك لأن الموت مؤلم فى نفسه، و مفرق بين الإنسان و بين محبوباته و مألوفاته من دنياه. و لما قال رسول الله ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه. و من كره لقاء الله كره الله لقاءه**» قالت له عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله كلنا نكره الموت قال عليه الصلاة و السلام: «**إن المؤمن إذا حضره الموت بشر برحمة الله فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، و إن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله فكره لقاء الله و كره الله لقاءه**».[1]

و فى وصف المؤمن المحبوب المذكور فى قوله عليه الصلاة والسلام عن الله «**ما تقرب المتقربون**» فساق الحديث إلى أن قال تعالى «**و ما ترددت فى شيء أنا فاعله كترددى فى قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت و أكره مساءته ولا بد له منه**»[2]، فانظر كيف وصفه بكراهية الموت مع كمال إيمانه و علو منزلته عنده تعالى تعلم صحة ما ذكرناه و فى أخبار موسى عليه الصلاة والسلام أنه لطم ملك الموت حين جاءه ليقبضه فأخرج عينه.[3]

نعم، قد تنغمر كراهية الموت حتى لا تحس فى حال قوة إشراق أنوار المعرفة و اليقين، و يكون ذالك لأهله فى وقت دون وقت. و أما الأمر العام فى أهل الإيمان فهو أنهم يحبون الموت لما فيه من لقاء الله، و المصير إلى الدار الباقية، و الخروج من الدنيا محل الفتن و المحن، و يكرهون الموت بالنفس و الطبع، لما

---

١ . حديث صحيح رواه البخارى فى كتاب الرقاق(٣/ ١٣٢).
و مسلم باب: من أحب لقاء الله. و فى باب الذكر (٨/ ٦٥).

٢ . حديث صحيح رواه البخارى فى الرقاق (٨/ ١٣١).

٣ . رواه البخارى فى بدء الخلق (٤/ ١٩١) و مسلم فى الفضائل (٧/ ١٠٠).



فيه من الألم و فراق المحبوبات، و كلما كان الإيمان أقوى كانت الكراهية أقل و مقتضى الطبع أضعف، و بالعكس. فتفطن لذالك و الله يتولى هداك.

و أما طول العمر فی طاعة الله فهو محبوب و مطلوب لقوله عليه الصلاة و السلام: «**خيركم من طال عمره و حسن عمله**»[1] و كلما كان العمر أطول في طاعة الله كانت الحسنات أكثر و الدرجات أرفع. و أما طوله في غير طاعة الله فبلاء و شر: تكثر السيئات و تتضاعف الخطيئات.

و من زعم من الناس أنه يحب طول البقاء في الدنيا ليستكثر من الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالى، فإن كان مع ذالك حريصا عليها و مشمرا فيها و مجانبا لما يشغل عنها من أمور الدنيا فهو بالصادقين أشبه، و إن كان متكاسلا عنها و مسوفا فيها ـ أعنى الأعمال الصالحة ـ فهو من الكاذبين المتعللين بما لا يغني عنه، لأن من أحب أن يبقى لأجل شيء صار في غاية الحرص على ذالك الشيء مخافة أن يفوته و يحال بينه و بينه. سيما و العمل الصالح لا يمكن إلا في الدنيا، و لا يتصور وجوده في غيرها البتة، لأن الآخرة دار جزاء و ليست بدار عمل فتفكر في ذالك جدا عسى الله أن ينفعك به، و استعن بالله و اصبر، واجتهد و شمر، و بادر بالأعمال الصالحة من قبل أن لا تجد إليها سبيلا، و اغتنم فسحة المهل من قبل أن يفجأك الأجل، فانك غرض للآفات، و هدف منصوب لسهام المنيات، و إنما رأس مالك الذى يمكنك أن تشترى به من الله سعادة الأبد هذا العمر. فإياك أن تنفق أوقاته و أيامه و ساعاته و أنفاسه فيما لا خير فيه و لا منفعة، فيطول تحسرك و يعظم أسفك بعد الموت إذا عرفت قدر الفائت و تحققته.

---

١ . رواه الترمذى فى الزهد و هو حسن(٣/ ٣٧٨).



و قد ورد أنه تعرض على الإنسان فى الدار الآخرة ساعات أيامه و لياليه فى هيئة الخزائن كل يوم و ليلة أربع و عشرون خزانة بعدد ساعتها، فيرى الساعة التى عمل فيها بطاعة الله خزانة مملوءة نورا، و التى عمل فيها بمعصية الله مملوءة ظلمة، و التى لم يعمل فيها بطاعة و لا معصية يجدها فارغة لا شىء فيها فيعظم تحسره إذا نظر إلى الفارغة أن لا يكون عمل فيها بطاعة الله فيجدها مملوءة نورا. و أما التى يجدها مملوءة ظلمة فلو قضى عليه أن يموت عند النظر إليها من الأسف و الحسرة لمات، غير أنه لا موت فى الآخرة، فالعامل بطاعة الله يكون فيها فرحا مغتبطا على الدوام، يزيد فرحه واغتباطه على ممر الأيام.

و العامل بمعصية الله ترح مغموم، لا يزال يزداد ترحه و غمه إلى غير نهاية فاختر لنفسك رحمك الله ما دمت فى دار الاختيار ما ينفعها و يرفعها، فانك لو قد مت خرج الأمر عن اختيارك.[١]

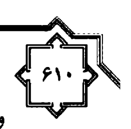
قال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى ﵀ فى البداية: و اعلم أن الموت لا يهجم فى وقت مخصوص، و حال مخصوص، و سن مخصوص، و لا بد من هجومه، فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا.

و قال أيضا فى موضع آخر من البداية: و لا تدع عنك التفكر فى قرب الأجل و حلول الموت القاطع للأمل، و خروج الأمر عن الاختيار، و حصول الحسرة و الندامة بطول الاغترار. انتهى.

و قد كان من السلف الصالح من لو قيل له: انك ميت غدّاً، لم يجد موضعا للزيارة من العمل الصالح، لما هو عليه من غاية الإقبال على الآخرة و الاشتغال بالأعمال الصالحة.

---

١ . النصائح الدينية للحبيب عبد الله علوى الحداد ص٤٤ ـ ٤٧.



و قال بعضهم لبعض من استوصاه: انظر فكل شيء تحب أن يأتيك الموت و أنت تعمله فالزمه الآن، و كل شيء تكره أن يلقاك الموت و أنت تعمله فاتركه الآن.

و في الإكثار من ذكر الموت، و استشعار قرب نزوله، فوائد جليلة، و منافع كثيرة، منها الزهد في الدنيا، و القناعة باليسير منها، و ملازمة الأعمال الصالحة التي هي زاد الآخرة، و مجانبة السيئات و المخالفات، و المبادرة بالتوبة إلى الله تعالى منها، إن كان قد قارفها.

و في نسيان ذكر الموت، و إطالة الأمل، أضداد هذه الفوائد و هذه المنافع، من شدة الرغبة في الدنيا، و شدة الحرص على جمع حطامها، و التمتع بشهواتها، و الاغترار بزخارفها، و تسويف التوبة من الذنوب، و التكاسل عن الأعمال الصالحة.

و قد قال السلف الصالح ﷺ: من طال أمله ساء عمله.[1]

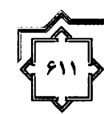
و قال علي كرم الله وجهه: أخوف ما أخاف عليكم، اتباع الهوى، و طول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، و أما طول الأمل فينسى الآخرة، انتهى، و في الحديث المرفوع «**أخوف ما أخاف على أمتي اتباع الهوى و طول الأمل**».[2]

و لا خير بحال فيما ينسي الآخرة من الآمال، و هو الأمل الذي استعاذ منه عليه الصلاة و السلام، فقال: أعوذ بك من كل أمل يلهيني، و من دعائه صلوات الله عليه: و أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة، و من حياة تمنع خير

---

١ . انتهى من كتاب سبيل الادكار و الإعتبار بما يمر بالانسان و ينقضي له من الأعمار للحبيب عبد الله بن علوي الحداد الحضرمي الشافعي ص٤٢ـ ٤٤.

٢ . ذكره ابن عدي في الكامل في ترجمة علي بن أبي علي اللهبي عن جابر و قال هو ضعيف يروي المناكير ٥/ ١٨٣١.



الممات، و من أمل يمنع خير العمل».[١]

فإذا غلب على قلب الإنسان استشعار طول البقاء في الدنيا، غلب عليه الاهتمام لها، والسعي لجمعها، حتى يغفل عن الآخرة و عن التزود لمعاده فيبغته الموت و هو على ذالك، فيلقى الله مفلسا من الأعمال الصالحة، فيندم و يتحسر، حيث لا ينفعه التحسر فيقول: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾، و ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾.

المرض نذير الموت:

ثم إذا مرض الإنسان فينبغي له أن يأخذ في التوبة، و الإكثار من الاستغفار و من الذكر لله، و الاعتذار إليه من سالف إساءاته و غفلاته، فإنه لا يدرى لعله يموت من مرضه ذالك، و لعله قد حضره الأجل، فيختم عمله و أيام عمره بالخيرات فإن الأعمال بخواتيمها.

و الامراض مذكرات بالآخرة، و بالرجوع إلى الله تعالى، و ليوص بما يحتاج إلى الوصية به، مما يهمه من أمور آخرته و دنياه، سيما من حقوق الخلق وتبعاتهم، فإنها شديدة و الخلاص منها عسير.

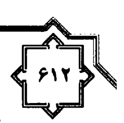
وليكن في مرضه على غاية و نهاية من حسن الظن بالله تعالى. قال عليه الصلاة و السلام: «**لا يموتن أحدكم إلا و هو يحسن الظن بالله تعالى**»[٢]، وليكن ذالك هو الغالب على قلبه، و المستولي عليه، فإنه تعالى يقول: «**أنا عند ظن عبدي بي، و أنا معه حين يذكرني**».[٣]

---

١ . قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من رواية حوشب عن النبي ﷺ و في إسناده ضعف و جهالة إهـ اتحاف السادة ج١٤ ص٤١.

٢ . رواه أحمد في المسند و مسلم في صحيحه.

٣ . رواه البخاري و مسلم و الترمذي و النسائي و ابن ماجه عن أبي هريرة.



و دخل صلوات الله و سلامه عليه على مريض شاب يعوده فقال: «كيف تجدك؟ فقال: أرجو ربى، و أخاف ذنوبى، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ما اجتمعا فى قلب مسلم فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو و آمنه مما يخاف**».[١]

و مع ذالك ينبغى أن يكون حال الرجاء هو الغالب على المريض، سيما إذا ظهرت عليه علامات الموت، و قرب حضور الأجل، ليموت على حسن الظن بالله، و قوة الرجاء فى كرمه وسعة رحمته وحب لقائه.

و فى الحديث: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، و من كره لقاء الله كره الله لقاءه.[٢] و قد جاء فى معناه: أن العبد المسلم إذا حضره الموت، بُشر برحمة الله و فضله فأحب لقاء الله، و أحب الله لقاءه، و أن المنافق إذا حضره الموت، بُشر بعذاب الله، فكره لقاء الله، و كره الله لقاءه.

فالمؤمنون المتقون يُبشرون برحمة الله، عند خروجهم من الدنيا، فتكاد أرواحهم أن تطير من أجسادهم شوقا إلى ربهم و حب لقائه، حين تسلم عليهم الملائكة، و تبشرهم بدخول الجنة، و أن لا خوف عليهم و لا هم يحزنون قال الله تعالى: **﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كنا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ﴾**.[٣]

و قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجُنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾**[٤] إلى قوله تعالى: **﴿نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾**.[٥]

---

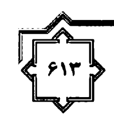
١ . رواه الترمذى و قال المنذرى هو حسن.

٢ . حديث صحيح رواه البخارى و مسلم. و قد تقدم.

٣ . النحل،: (٣٢).

٤ . فصلت،: (٣٠).

٥ . فصلت،: (٣٢).



و ينبغى للمريض أن يحترز من النجاسات أن تصيبه فى بدنه و فى ثيابه فتمنعه من الصلاة، و ليحذر كل الحذر من ترك الصلاة، و ليصل على حسب حاله، قاعدا أو مضطجعا، أو كيف أمكنه، و لا يختم عمله بالإضاعة لعماد الدين الذى هو الصلاة.

و ينبغى لمن حضره من أهله و أصحابه أن يحثوه على ذالك، و يعاونوه و يذكروه به.

و ليعلم أن فرض الصلاة لا يسقط عنه ما دام عقله معه و ليكثر من قول: لا إله ألا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، وليكثر من قراءة سورة الإخلاص.

ثم إن المريض إذا غلب عليه المرض، و ظهرت عليه أمارات قرب الموت كان الذى ينبغى لحاضريه من أهله و أقاربه: أن ينظروا فإن رأوا عليه شيئا من مخايل الجزع، و شدة الخوف، فليذكروا له محاسن عمله، وسعة رحمة ربه، وعظيم عفوه عن المذنبين و تجاوزه عن المقصرين، فقد كان السلف يستحسنون مثل ذالك مع المحتضرين من حاضريه، و ربما التمس المحتضر منهم مثل ذالك من حاضريه.

و من المتأكد المأمور به، أن يلقونه لا إله إلا الله، فإذا قالها فلا ينبغى أن يعاد عليه، إلا إن تكلم بكلام آخر.

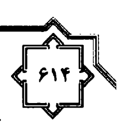
وينبغى أن يقرأ عليه سورة يس المباركة[١]، يقال: إن ذالك يسهل خروج الروح، و للموت كرب و سكرات و قد تسهل و تهون على بعض المؤمنين.

و فيما يروى عن ملك الموت ﷺ أنه قال: إنى بكل مؤمن شفيق رفيق. و قد يحضر الموتى فى حال قبضهم أنواع من الفتن و العياذ بالله.

فلذالك ينبغى الإكثار لمن يحضرهم، من قراءة القرآن و أحاديث الرجاء و ذكر أحوال الصالحين عند خروجهم من الدنيا.

---

١ . وقد تقدم بيان ذالك.



و فى بعض الآثار، أن الشيطان لعنه الله، أقرب ما يكون من العبد عند وفاته حرصا منه على أن يفتنه، ولكن **﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُون﴾ ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾**.

و قد اشتد خوف السلف الصالح، و رحمهم الله، من سوء الخاتمة، ولهم فى ذالك أخبار و حكايات، يطول ذكرها. وقد ورد فى ذالك ما يقتضى الخوف البالغ، مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «**فو الذى لا إله غيره أن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه و بينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، و إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه و بينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**» الحديث.[1]

و قال عليه الصلاة و السلام، إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، و هو من أهل النار، و إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، فيما يبدو للناس، و هو من أهل الجنة[2] و مثل ذالك كثير.

قالوا: و أكثر من يخشى عليه سوء الخاتمة و العياذ بالله المتهاون بالصلاة و المدهن لشرب الخمر و العاق لوالديه و الذى يؤذى المسلمين و كذالك المصرون على الكبائر و الموبقات الذين لم يتوبوا إلى الله منها يكاد يدل لذالك قوله تعالى: **﴿ثُمَّ كان عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءىٰ أَن كذبوا بِآيَاتِ الله وَكانوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾**.[3]

---

١ . حديث صحيح رواه البخارى فى أحاديث الأنبياء باب خلق آدم. و رواه مسلم فى صحيحه كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمى ٨/ ٤٤.

٢ . رواه مسلم فى كتاب القدر ٨/ ٤٩.

٣ . الروم،: (١٠).



فينبغي للمسلم: أن يرجو من فضل الله، أن لا يسلبه نعمة الإسلام، من بعد أن أنعم عليه بها ابتداء من غير وسيلة منه، و يخاف مع ذالك من التغير، لتقصيره في الشكر على هذه النعمة التي هي أعظم النعم.

و قد كان بعض السلف، يحلف بالله: أنه ما أمن أحد على أسلامه أن يسلب إلا سلب. وينبغي إن لا يزال سائلا من الله تعالى، متضرعا إليه، أن يرزقه حسن الخاتمة.

و قد ذكر عن إبليس لعنه الله أنه قال: قصم ظهري الذي يسأل الله حسن الخاتمة، أقول: متى يعجب هذا بعمله أخشى أنه قد فطن.

اللهم إنا نسألك بنور وجهك، و بحقك عليك، حسن الخاتمة عند الممات لنا و لأحبابنا و للمسلمين، يا أرحم الراحمين. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب. ربنا أفرغ علينا صبرا و توفنا مسلمين.

المحتضر:

و من السنة أن يضجع المحتضر على يمينه، مستقبل القبلة، فإذا قضى نحبه، فينبغي أن تغمض عيناه، فإنه يشخص ببصره عند ذالك.

و في الحديث: «**إن البصر يتبع الروح**» و يكثر عند ذالك حاضروه من الاستغفار له، و الترحم عليه، و الدعاء فإن الملائكة يؤمنون على ما يقولون، و في البكاء رخصة، و الصبر خير منه و أفضل.

النياحة و البكاء:

و أما النياحة و الندب، و هو التعديد، و طرح التراب على الرأس، و لطم



الخدود، و شق الجيوب، فجميع ذالك محرم شديد التحريم، وقد وردت الأحاديث الصحيحة، بالنهى عنه و الوعيد عليه.

تمني الموت:

ويكره تمنى الموت، و الدعاء به، لضر ينزل بالإنسان، من مرض أو فقر أو نحو ذالك من شدائد الدنيا فإن خاف فتنة فى دينه جاز له تمنيه، وربما ندب، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد فاعلا فليقل: اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً لى، و توفنى إن كانت الوفاة خير لى**».[1] و قال عليه الصلاة السلام: «**لا يتمنين أحدكم الموت، إما محسن فلعله يزاد و إما مسيء فلعله يستعتب**»[2] أي يتوب و يعتذر.

ثم أن الموت أمر مكتوب على جميع الأنام، و قضاء محتوم بين الخاص و العام، و قد سوى الله فيه بين القوى و الضعيف، و الوضيع و الشريف، و قهر به الجبابرة، و قصر به القياصرة، و كسر به الأكاسرة، و جعله للمؤمنين المتقين تحفة و أي تحفة، و زلفة و أي زلفة، و للكافرين و المنافقين حسرة و أى حسرة، وأخذة و أى أخذة.

فسبحانه من ملك جبار منفرد قهار، قد توحد بالدوام و البقاء، و تنزه عن الموت و الفناء، فهو الأول بلا ابتداء، و الآخر بلا انتهاء، قال عز من قائل: ﴿**كل مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبك ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾.[3]

و قال تعالى: ﴿**كل شَيْءٍ هَالك إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكم وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾.[4]

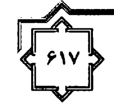
---

١ . رواه البخارى و مسلم و أبو داود و الترمذى و النسائى (الترغيب ٤/ ١٥٢).

٢ . رواه البخارى و اللفظ له و مسلم (الترغيب ٤/ ١٥١)

٣ . الرحمن،: (٢٦ـ ٢٧).

٤ . القصص،:٨٨.



و قال تعالى: ﴿كل نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكم يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.[١]

الموت و الغسل:

فإذا مات العبد المسلم و تحقق موته، فينبغى الأخذ فى تجهيزه إلى قبره بغسله و تكفينه و الصلاة عليه، و ينبغى أن يراعى فى ذالك الاتباع و الأخذ بما ورد فى السنة النبوية.

و ينبغى أن يعلم بموته أهله و أقاربه و جيرانه و أصحابه و أهل الخير و الصلاح ليدعوا له و يترحموا عليه و يشهدوا الصلاة على جنازته.

و يستحب لمن بلغه موت أخيه المسلم، أن يقول بعد الاسترجاع، اللهم اجعل كتابه فى عليين واكتبه عندك من المحسنين و اخلفه فى أهله فى الغابرين و اغفر لنا و له يا رب العالمين.

و يدعو له ويثنى عليه بالخير، فقد قال عليه الصلاة و السلام: **«اذكروا محاسن موتاكم و كفوا عن مساويهم»**.[٢]

و لا ينبغى الإفراط فى الثناء و المجازفة فيه بما يوقع فى الكذب و ما يقاربه.

التشييع و الدفن:

و فى تشييع جنازة المسلم و الصلاة عليه و حضور دفنه فضل و ثواب كثير. و فى الحديث: **«إن من شيع جنازة مسلم حتى يصلى عليها كان له قيراط من الأجر، فإن بقى معها حتى يحضر دفنها كان له قيراطان و القيراط مثل**

---

١ . آل عمران،: ١٨٥.

٢ . رواه الترمذى و أبو داود و ابن حبان فى كتاب الجنائز و قال الترمذى حديث غريب.

جبل أحد» الحديث.[1]

و ينبغى الإسراع بالميت و تعجيله إلى قبره. فقد قال عليه الصلاة و السلام: «**إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال فإن كانت صالحة قالت: قدمونى قدمونى، و إن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها إلى أين تذهبون بها؟**»[2] و قال عليه الصلاة والسلام: «**أسرعوا بالجنازة، فإن تكن صالحة فخير تقدمونها إليه، و إن تكن سوى ذالك فشر تضعونه عن رقابكم**».[3]

و للميت شعور و معرفة بمن يغسله و يكفنه و يدليه فى قبره. و قد ورد أن روحه بيد ملك يقف بها بالقرب منه و يمشى بها مع جنازته، و أنه يسمع ما يثنى به عليه من خير أو شر، فإذا وضع الميت فى قبره فمن المستحب أن يقول الذى يضعه فيه: بسم الله و على ملة رسول الله، و أن يحثو من يدنو من القبر ثلاث حثيات، و يقول مع الأولى: ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكم**﴾ و مع الثانية: ﴿**وَفِيهَا نُعِيدُكم**﴾ و مع الثالثة: ﴿**وَمِنْهَا نُخْرِجُكم تَارَةً أُخْرَىٰ**﴾، و يصب عليه التراب قليلا قليلا برفق، فإذا سوى عليه التراب فينبغى أن يمكث عنده الحاضرون ساعة، يتلون القرآن و يستغفرون للميت و يدعون له بالتثبيت، فإنه حينئذ يسأل كما فى الحديث، أى يسأله الملكان منكر و نكير اللذان هما فتانا القبر، يسألان الميت بعد ما يدفن كما فى الأثر: من ربك؟ و ما دينك؟ و ما نبيك[4]؟

فمن ثبته الله قال: الله ربى، و الإسلام دينى، و محمد نبى، و من أزاغه الله حار و تردد، على وفق ما كان عليه فى الدنيا، من الشك و الزيغ و الإضاعة

---

١ . رواه البخارى و مسلم (الترغيب ٤/ ٢٣٦).

٢ . رواه البخارى فى كتاب الجنائز باب قول الميت و هو على الجنازة قدمونى (٢/ ٨٨)، و باب كلام الميت على الجنازة (٢/ ١٠٣) عن أبى سعيد الخدرى.

٣ . رواه البخارى و مسلم (الترغيب ٤/ ٢٤٢).

٤ . تقدم تفصيل هذا بالأدلة.



لأمر الله و ارتكاب محارمه، فيقول: هاه هاه لا أدرى، كما ورد فى الأحاديث الصحيحة، فعند ذالك يضربانه و يضيق عليه قبره ويملا عليه عذابا.

و أما المؤمن المثبت، المستقيم على الأيمان و الطاعة فى حياته، فإنهما يبشرانه ويوسع له فى قبره، و يملا عليه نورا و نعيما، و تحيط به أعماله الصالحة من الصلاة و الصدقة و الصيام و قراءة القرآن و ذكر الله تعالى فيدفعن عنه ما يقصده من المخاوف و الأهوال.

و قد قال عليه الصلاة و السلام: **«القبر إما روضة من رياض الجنة، و إما حفرة من حفر النار»**[١]، و قال عليه الصلاة و السلام: **«ما رأيت منظر إلا و القبر أفظع منه»**[٢]

و كان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا حضر القبر يبكى حتى تبتل لحيته، فقيل له: انك تذكر الجنة و النار فلا تبكى هذا البكاء فقال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول **«القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه صاحبه فما بعد أيسر منه و إن لم ينج منه فما بعد أشد منه»**.[٣]

و يقال: إن أكثر عذاب القبر من ثلاثة أشياء: الغيبة و النميمة و قلة التحفظ من البول، و فى الحديث: **«عامة عذاب القبر من البول»**.[٤] و حديث الرجلين

---

١ . رواه الترمذى عن أبى سعيد فى كتاب صفة القيامة و قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه (سنن الترمذى ٤/ ٥٥١).

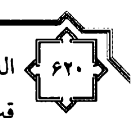
٢ . رواه الترمذى عن عثمان بن عفان و قال حديث حسن غريب، و قال المنذرى: وزاد رزين فيه مما لم أره فى شيء من نسخ الترمذى قال هانى: وسمعت عثمان ينشد على قبر:

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة   و إلا فإنى لا أخالك ناجيا

(الترغيب ٤/ ٢٦٤).

٣ . تقدم تخريجه فى حديث **«ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه»**

٤ . رواه البزار و الطبرانى فى الكبير و الحاكم و الدارقطنى كلهم من رواية أبى يحيى القتات عن مجاهد عنه، و قال الدارقطنى: إسناده لا بأس به، و القتات مختلف فى توثيقه (الترغيب ١/ ١٩٤).



اللذين سمعهما ﷺ يعذبان فى قبريهما و أمر بجريدة من النحل، فجعلت على قبريهما، و قال: «**لعله يخفف عنهما ما دامتا رطبتين، أنهما يعذبان، و ما يعذبان فى كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، و أما الآخر فكان لا يستبرى من البول**» الحديث. و هو حديث صحيح مشهور.

و كان ﷺ يكثر الاستعاذة من عذاب القبر، و يأمر بها فى الدعاء الذى بعد التشهد من كل صلاة، و فى أذكار المساء و الصباح، فعذاب القبر حق و نعيمه كذالك.

و مما ينفع الله به الميت فى قبره و يدفع به عنه، الدعاء له و الاستغفار و التصدق عنه، و قد وردت فى ذالك الأخبار و الآثار الكثيرة، و تقدم كثير منها.

و يروى أن هدايا الأحياء للأموات، من الصدقات و الدعاء و قراءة القرآن تأتيهم بها الملائكة فى أطباق من نور، مخمرة بمناديل من سندس، و تقول لأحدهم: هذه الهدية بعث بها إليك فلان، فيسره ذالك و يفرح به.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا انك أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ... * ... وَتُبْ عَلَيْنَا انك أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً انك أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.

و صلى الله و سلم على سيدنا و مولانا محمد عبد الله و رسوله الأمين على وحيه و تنزيله، و على آله الطيبين و الطاهرين و على أصحابه الهداة المهتدين، و على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، و علينا معهم و فيهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

و كتبه

السيد محمد بن السيد علوى المالكى الحسنى

الفجر الصادق

في

الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق

(تأليف)

علامة العراق. ونابغته بالاجماع والاتفاق

من هو لكل فضل حاوي. حضرة جميل افندى صدقى الزهاوى

تحقيق: قادر سعادتي



جميل أفندي صدقي الزّهاوي (صاحب كتاب الفجر الصّادق)

هو جميل صدقي بن محمد فيضي بن الملا أحمد بابان الزهاوي، شاعر و فيلسوف و أحد روّاد نهضة الأدب العربي في العصر الحاضر. وُلد الزهاوي في بغداد في عام (١٢٧٨هـ) الموافق لسنة (١٨٦٣م)، و توفي فيها في عام (١٣٥٤هـ / ١٩٣٦م). كان والده الكرديّ الأصل مفتي بغداد و من أجداد أسرة (بابان) الذين كانوا أمراء السليمانية (شرق كركوك)، و كان منزل والده داراً للعلم و الوجاهة حيث كان الناس يختلفون إليه لحلّ مشاكلهم و يقضي بينهم.

كتب الزهاوي أشعاره باللغتيْن العربية و الفارسية و بلغت حوالي عشرة آلاف بيت مطبوعة في ديوانه (ديوان الزهاوي) و (الكلم المنظوم) و (الشّذرات) و (نزغات الشيطان)، و من أعماله كذلك ترجمة (رباعيات الخيام ـ مطبوع) من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية. و لجميل صدقي الزهاوي أيضاً مؤلّفات في الفلسفة أشهرها:

١ ـ (الكائنات ـ مطبوع)؛

٢ ـ (الجاذبية و تعليها ـ مطبوع)؛

٣ ـ (المجمل ممّا أرى)؛

٤ ـ (أشراك الداما)؛



٥ ـ (الدفع العام و الظواهر الطبيعية و الفلكية ـ مطبوع) و هو كُتيّب تمّ نشره في مجلة (المقتطف).

شغل الزهاوي عدّة مناصب حكومية منها أنّه كان عضواً في مجلس المعارف ببغداد و أحد أعضاء محكمة الاستئناف في بغداد أيضاً، ثمّ عضواً في مجلس الأعيان العراقي. و كان جميل صدقي الزهاويّ أستاذاً في الفلسفة الإسلامية في المدرسة الملكية في (الآستانة) و كذلك أستاذاً للأدب العربي في دار الفنون في تلك المدينة فضلاً عن أنّه كان أستاذاً في مدرسة الحقوق ببغداد.

وقد تمّ تصنيف عدد من الكتب حول قصائد الزهاويّ أشهرها كتاب (الزهاوي و ديوانه المفقود) لهلال ناجي حيث جمع فيه شطحيّات الزهاوي، و كتاب (رباعيات الزهاوي) و كتاب (اللّباب) و (الأوشال) حول نفس الموضوع، و كتب أخرى تناولت سيرة حياته مثل كتاب (فيلسوف بغداد في القرن العشرين) لرفائيل بطّي و كتاب (محاضرات عن جميل الزهاوي، حياته و شعره) لناصر الحاني.

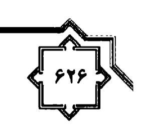
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أيد الحق بالبراهين والادله. وأدحض الباطل وجعل حجة أهله دارسة مضمحله. والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد بقويم الدليل وعلى آله وصحبه الذين أزهق الله بهداهم الاباطيل (وبعد) فأقول وأنا المفتقر إلى رحمة ربي. أحمد بن على المليجي الكتبي. قد اطلعت بحمد الله تعالى على ما في هذا الكتاب. فوجدته جامعا من الادلة ما راق ومن البراهين ما طاب وذلك في تأييد ما ذهب اليه أهل السنة والجماعة. تفنيد أباطيل من ضل عن طريقهم فأنكر التوسل والشفاعة. فهنيئا لمن طالعة متدبرا لمعانيه. واعترف بفضل مؤلفه وتمسك بما فيه

(اذ كل ما فيه نور يستضاء به وليس ينكره والله غير عمي)

(طوبى لمن بهداه نفسه ارتدعت عن اعتقاد يقود النفس للندم)

كتاب ادحض بما حواه من الادلة والبراهين القوية. معارضة من حاد عن السنة وتمسك بما عن له من الاضاليل الوهمية. كيف لا وهو تأليف نابغة هذا الزمان. من تفرد فيه على معاصريه بحسن البيان. رب الفضائل التي لا تضاهى. والفواضل العديدة التي لا تتناهى. الاستاذ الذى هو لمحاسن الكمالات حاوى. سيدى الشيخ (جميل افندى صدقى الزهاوى)



(رجل الفصاحة والبلاغة من له | في عصره فضل على الاقران)
(أنعم به وبما حواه كتابه | من خير علم نافع ومعان)
(فجزاه عن دين الرسول الهه | خير الجزاء بجنة الرضوان)

هذا واني أطلب ممن أمر العباد بدعائه. متوسلا اليه برسله الكرام وانبيائه أن ينفع بهذا الكتاب من وقف عليه. وعمل بما فيه ونظر بالاستحسان اليه وأن يكثر من أمثال مؤلفه الفاضل في جميع البقاع. لتستنير الامة بمعارفهم التي يحصل لها بها كمال الانتفاع. وأن يوفقنا لمثل هذا العمل الجليل. ولا يحرمنا عليه الثواب الجميل والاجر الجزيل. يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا صديق حميم. الا من عمل صالحا وأتى الله بقلب سليم. بجاه من ختم به الرسالة ونظر اليه بعين العناية سيدنا محمد عليه صلاة الله وسلامه في البداية والنهاية ٩ جمادى الأولى سنة ١٣٢٣هـ *

بسم الله الرحمن الرحيم

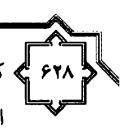
الحمد لله الذي أعلى الحق ونصر أصحابه. ودحض الباطل وخذل أحزابه والصلاة والسلام على من أنزل تعالى عليه كتابه. وجعله وسيلة لمن طلب غفرانه ورجا ثوابه. وشفيعا لمن فرط في جنبه فخاف عقابه. وعلى آله وصحبه الذين اتبعوا سننه وآدابه. ونابوا بعده في نصر هذا الدين منابه.

(وبعد)

فقد قال النبي ﷺ **«ستفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة»**[1] فكان الامر كما قال الصادق الامين. عليه صلوات رب العالمين. فقد افترقت هذه الامة فرقا شتى خالف أكثرها ما جاء به الله ورسوله ومرق غالبها عن سنن الدين. وحاد عن محجة اليقين. ولكن الفرقة الناجية هي التي اتبعت كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وثبتت على الصراط السوي والمنهج الحنيفي. غير طائشة فيه ولا مارقة عنه ومن آخر تلك الفرق الهالكة وأعداها للدين. وأشقها لعصا المسلمين. الفرقة الوهابية التي ما زالت منذ نشأتها إلى هذا اليوم تدأب في الغي متلاعبة في الدين. خارجة وقتا بعد آخر على ولاة المسلمين لما تزعمه من أن من خالفها من الامة الاسلامية واقع في شرك الشرك يجب عليها بزعمها الفاسد ومعتقدها الباطل قتاله والجهاد معه حتى يؤب إلى بدعتها وهي

---

١ . مسند احمد، ج٤، ص١٠٢



كلما بغت ردت الدولة المؤيدة كيدها في نحرها. وأطفأت شرر شرها. وها هي اليوم قد رفعت راية عصيانها. وتجاهرت بوخيم عدوانها. حتى أرسلت الدولة العلية. أيدها رب البرية. كتيبة خضراء من مؤيدي عساكرها تدميرا لجماعة تلك الفئه الباغية وقطعا «لدابرها وقد همت مستعينا» بالله تعالى ومستمدا من روحانية نبيه الاكرم أن أكتب في رسالتي هذه ما يكفل رد شبهها الباطلة ويضمن دفع اعتراضاتها الواهية ويكشف زيف عقائدها الزائغة. فيؤكّد بطلان دعاويها الفارغة. بايراد حجج بالغة. وبسط دلائل دامغة. تبيينا لجهالتها وكشفا لعورتها لكي يحذرها المسلمون. ولا يقع في حبالة اغوائها الجاهلون. فقد شاهدت في بغداد من لايزال مروجا لهذا المذهب الباطل زاعما أنه من أهل العلم وهو لعمر الحق بمعزل عنه وأجدر به وبأشياعه المروجين لمذهبه أن رماهم الله تعالى بخزي الدنيا قبل خزي الاخرة تجاه عدائهم للدين المبين. وخليفة الرسول الامين ليكونوا عبرة للمعتبرين.(يلدز)

(سلام البرايا في كلاءة فرقد (بيلدز) لا يغفو ولا يتغيب)

(وان أمير المؤمنين لوابل من الغوث منهل على الخلق صيب)

شيد اللهم ذلك القصر المنيف الذي هو عرين أسدك الغالب. ومقر خليفتك الذي أنطفأ به قضاء الحوائج والمطالب. ذلك القصر الذي هو المقصد الاسني والملجأ الاعلى قد قرّ فيه بالاجلال. وتبوءه بالاقبال. امام الامة الاسلامية على الاطلاق. وحامى بيضة الملة الحنيفية في الافاق. حجة الله البالغة في أرضة. القائم بأمر الدين في أداء نفله وفرضه. لا زالت أوامره السنية مشرعة للحق ومنهاجا. وعزائمه الهمايونية في سماء المعالى سراجا وهاجا. والامم على اختلافها داخلة في دين طاعته أفواجا. واحفظ اللهم ذلك الحصن الحصين بواقية عنايتك. واحرسه بكل حراستك وحمايتك. وارعه بوافي حرزك وكافي

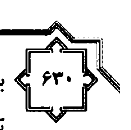


رعايتك. وأدمه للصادقين مصدر مثوبات. وللمارقين منشأ عقوبات، ذلك الملجأ الذي من وفد اليه بالصداقة عاد ناجحا مسرورا ومن حاد عنه بالخيانة رجع خاسئا مدحورا. ألا وهو المتبوء الذي حل فيه بالاجلال حبيب الامة الاسلامية وطبيبها. ومسعدها الوحيد الذي اذا دعته لملمة فهو مجيبها. أعني به مفخر آل عثمان الاقدس. وطراز عصابتها الانفس الخليفة الاعظم ابن أعاظم الخلفاء. الذين هم كواكب السعود في أرض حسدتها عليهم نجوم السماء. ملوك انتظموا في الزمان عقدا فريدا. فزينوا بمآثرهم الدينية نحرا منه وجيدا. من كل مجاهد حبرت يد التأريخ بالفخر أنباء فتوحاته. وغاز في الدين تموجت بالنصر على معاقل الاعداء خوافق راياته

(سما بك يا * (عبدالحميد) * أبوة	ثلاثون حضار الجلالة غيب)
(قياصر احيانا خلائف تارة	خواقين طورا والفخار المقلب)
(نجوم سعود الملك أقمار زهوة	لو ان النجوم الزهر يجمعها أب)
(هم الشمس لم تبرح سموات عزها	وفينا ضحاها والشعاع المحبب)

الامامة الكبرى

الامامة رياسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الاشخاص رجح هذا التعريف جماعة من العلماء واعترض عليه بأنه غير مانع لشموله النبوة والاولى أن يقال هي خلافة الرسول عليه الصلاة والسلام في اقامة الدين وقضاء مصالح الدنيا وتدبير شؤنها بحيث يجب اتباعه على كافة الامة لا يشترط في الامام كونه معصوما ولا علويا ولا قرشيا خلافا لبعض الفرق لنا أما عقلا فان الامامة على كلا تعريفيها المارين عامة فلا معنى لاختصاصها بقريش والا كان اهتضاما لحق القسم الاكبر من المسلمين وقد جعلهم الاسلام اخوانا وساوى



بين افرادهم حتى في أحقر الامور فكيف في هذا الامر الجلل والمطلب الاهم قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] وهذه الاخوة دينية ودنيوية وهي لا تتم الا بتساويهم فيما لهم وما عليهم من الحقوق وأيضا فمن الواضح البين أن الامامة خلافة ونيابة عن النبوة فكما أن النبوة عامة في البشر لم يخصها الله تعالى بصنف من الناس دون آخرين كذلك الامامة لا تختص بقوم من المسلمين دون غيرهم منهم الا أن الفرق كما تراه في التمثيل هو كون النبوة تعم كافة صنوف البشر والامامة تعم كافة أقوام المسلمين وأما نقلا فقوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[2] والمقصود بقوله أولى الامر هم الامراء والعلماء كما سنقرره فيما يأتي والخطاب في قوله منكم عام لكافة المؤمنين بدليل قوله يا أيها الذين آمنوا وفي هذه الاية سر آخر وهو أنه لما كان بين طاعة الله وطاعة رسوله فرق من حيث أن الله تعالى خالق والرسول مخلوق أعاد سبحانه الامر فقال تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وفي التأكيد المفهوم من هذا التكرار رمز إلى هذا الفرق فكأنه جل جلاله قال أطيعوا رسولى كما تطيعونى ولا تنظروا إلى الفرق بين الخالق والمخلوق ولكن لما لم يكن بين الرسول وأولى الامر فرق من حيث المخلوقية وكان أولو الامر خلفاء الرسول ونوابه على المسلمين كانت طاعتهم عين طاعته من كل وجه ولذلك لم يعد جل جلاله الامر فلم يقل وأطيعوا أولى الامر منكم كما قال وأطيعوا الرسول.

ومن الادلة السمعية قوله عليه الصلاة والسلام «**السمع والطاعة ولو عبدا حبشيا**»[3] فانه يدل صريحا على ان الامام لايجب ان يكون قرشيا قال المخالفون

---

١. الحجرات: ١٠

٢. النساء: ٥٩

٣. المواقف، ج٣، ص٥٨٥، و فى صحيح ابن حبان، ج٧، ص٤٦٧، بلفظ: «**اسمع وأطع ولو عبدا حبشيا**»



هذا الحديث فيمن أمره الامام على سرية أو ناحية ويجب حمله على هذا دفعا للتعارض بينه وبين الاجماع ولكونه مخالفا لحديث «**الائمة من قريش**»[١] فنقول في الجواب أما كون الحديث فيمن أمره الامام على سرية أو ناحية فمخالف لما في ظاهر الحديث من العموم وأما الاجماع فغير مسلم كيف وقد تأمر في القرون الغابرة كثير من الخلفاء ولم يكونوا قرشيين بدون انكار احد من علماء وقتهم عليهم بل كان الاجماع حينئذ على امامتهم وأما قول المخالفين ان المقصود بالاجماع هو اجماع الصدر الاول من المسلمين فتحكم وتخصص بدون مخصص كيف لا ولو لم يكن الاجماع في كل عصر لما انحسم ما يحدث كل يوم من مهام الامور بحسب تجدد الزمان مما لم يصرح بحكمه في الكتاب والسنة وأما الحديث الائمة من قريش فلفظه على الاصح «**ان هذا الامر في قريش ما أطاعوا الله واستقاموا**» كما ذكره محمد بن اسحاق في كتابه الكبير عند ذكره قصة سقيفة بني ساعدة ففي هذا الحديث قد أخبر ﷺ أن الخلافة دائمة في قريش ما داموا على طاعة الله واستمروا على الاستقامة ومفهومه أنهم عند عدم استقامتهم ينقلها الله تعالى منهم إلى من هم أحق بها فكان الامر كما أخبر ﷺ باقيا في قريش ما استقاموا فلما استخفوا بأمر الدين ولم يستقيموا كما حدث في اواخر بنى العباس نقله الله تعالى منهم إلى بنى عثمان لما أنهم كانوا أحق به من أولئك المستعفين وأحرص على صيانة دين الله وتنفيذ احكام شريعته وهذا من جملة معجزاته ﷺ فان في الحديث اخبارا عن المستقبل بما تم فيه على أن حديث السمع الطاعة ولو عبدا حبشيا مؤيد بما يدل عليه ظاهر الاية من العموم كما مر آنفا بخلاف هذا الحديث اذ ليس له من مؤيد

---

١ . مسند احمد، ج٣، ص١٢٩



طاعة أولى الامر

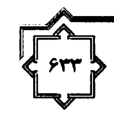
(من كان يؤمن بالنبى محمد وبما أتي في منزل القرآن)

(علم اليقين بأنه في دينه وحببت عليه طاعة السلطان)

لايخفي على من تبصر وأمعن النظر. واتبع الاثر وأذعن للخبر. ان نصب الامام واجب ليقوم بمصالح المسلمين كسد الثغور وتجهيز الجيوش وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق وزجر منتهكي حرمات الله تعالى وقطع المنازعات الواقعة بين الخصوم وحفظ مصالح الناس الدينية والدنيوية فلولا الامام الاعظم لما ازدجر الناس عن ركوب المظالم ولا نفذت احكامهم ولا اقيمت حدودهم وقد أجمع الصحابة بعد رسول الله ﷺ على نصبه حتي جعلوه أهم الواجبات وقدموه على دفنه ﷺ ولم تزل الناس في كل عصر على ذلك ويؤيده ايضا عدة أحاديث منها قوله عليه الصلاة والسلام «**من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»[1] ورب مارق يقول ان الشارع لم ينص على الامر باتخاذ الامام فمن أين يكون واجبا فنجيب ان الله تعالى أمرنا باقامة الدين ولا سبيل إلى اقامته الا بوجود الامان على انفس الناس وأهليم وأموالهم ومنع تعدى بعضهم على بعض وذلك لا يصح الا مع وجود امام يخافون عقابه ويرجون ثوابه. ويرجعون اليه ويجتمعون عليه. فاذا لم يأمنوا على أنفسهم لم يمكنهم ان يتفرغوا لاقامة الدين الذى اوجب الله تعالى عليهم اقامته وما لا يتوصل إلى الواجب الا به فهو واجب فاتخاذ الامام واجب. وكذلك طاعته واجبة عقلا ونقلا أما عقلا فلان في وجوده حكمة عظيمة. ونعمة عميمة. يناط بها العباد. وتحفظ بها البلاد. ويقطع بها العناد ويقوم بها السداد مما أدناه حراسة الرعايا.

---

١ . صحيح مسلم ج٦، ص٢٢



وسياسة البرايا. ومثل الناس بلا سلطان مثل الحيتان في البحر يزدرد الكبير الصغير فمتي لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لهم أمر ولم يستقم لهم معاش لان الله سبحانه فطر الخلق على حب الانتصاف وعدم الانصاف. فالسلطان في الخليقة قائم برعاية عباد الله وحماية بلاد الله وحراسة دين الله واقامة حدود الله وحفظ احكام الله وقمع اعداء الله وان اقامته من حجج الله على وجوده ومن دلائله على توحيده فكما لا يتوهم وجود العالم وانتظامه وما فيه من دقائق الصنعة بغير خالق خلقه وعالم أتقنه وحكيم دبره كذلك لا يمكن استقامة أمور الناس بغير مدبر ينفرد بتدبيرها وملك يقوم باعبائها ويلم شعثها وكما يستحيل وجود الهين في العالم كذلك لايجوز وجود سلطانين في مملكة واحدة وان مثله مثل الراعي ومثل الرعية مثل الغنم فاذا لم يكن للغنم راع يرعاها ويذود عنها عاثت بها الذئاب فاكلتها وان الامام العادل. خير من المطر الوابل. ولما يزع الله بالسلطان اكثر مما يزع بالقرآن، اذا تبينت هذا فقد اتضح لك ان طاعة السلطان واجبة بصريح العقل اذ لا يتم كونه سلطانا الا بالطاعة على أن انقياد الجماعة لواحد من نوعها يسوسها وترجع اليه في تدبير شوءنها أمر يكاد يكون طبيعيا يوجد حتى في القبائل المتوحشة بل حتى في الحيوانات كالنحل والنمل لاتعيش بدون ملك تنقاد اليه وتتبعه في حلها وترحالها وتبجله وتوءثره على نفسها فيما تصيب من الخير فما ظنك بالانسان العاقل المرتقى في مدراج الكمال والتقدم وان مثل الاسلام والسلطان مثل العمود والفسطاط فالفسطاط الاسلام والعمود السلطان والاوتاد الناس ولا يصلح بعضها الا ببعض

(لايصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة اذا جهالهم سادوا)

(والبيت لا يبتني الا له عمد ... ولا عماد اذا لم ترس اوتاد)

(وان تجمع اوتاد واعمدة ... يوما فقد بلغوا الامر الذى كادوا)



واما وجوب طاعته نقلا فحسبك ما امرنا به الله تعالى في محكم كتابه فقال جل من قائل ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[١] قال ابو هريرة رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية امرنا بطاعة الائمة وطاعتهم من طاعة الله وعصيانهم من عصيان الله فالمقصود من اولى الامر هو امراء المسلمين كما يقتضيه كلام ابى هريرة رضي الله عنه اما ما ذهب اليه المخالفون من ان المقصود بهم هو العلماء فلا اعتداد به اذ هو مناف لما يدل عليه ما قبل هذه الاية الشريفة من قوله تعالى ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[٢] قال المخالفون ان الذين يحكمون بين الناس هم العلماء لا غير فترد عليهم ان تقييد الحكم بالعدل صريح في انه ليس من الحكم في المسائل الشرعية التى يراجع فيها العلماء بل هو من الحكم في المظالم والخصومات التى يراجع في حسمها الامراء ويوءيده ما في الاية من العموم المفهوم من قوله تعالى ان تحكموا وكذلك يوءيده العموم الذي في قوله بين الناس فان الامير يكون من رعيته المسلم والذمى ومن الادلة النقلية على وجوب طاعة السلطان قوله صلى الله عليه وآله **«من فارق الجماعة او خلع يدا من طاعة مات ميتة جاهلية»**[٣] وقوله عليه الصلاة والسلام **«الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة»** قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولاولى الامر منكم[٤] فنصح الامام وطاعته فرض واجب وامر لازم لا يتم الايمان الا به ولا يثبت الاسلام الا عليه ومنها حديث انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله

---

١ . النساء: ٥٩

٢ . النساء: ٥٨

٣ . مسند احمد، ج٢، ص ١٣٣، بلفظ: «من نزع يدا من طاعه او فارق...» و فى صحيح البخارى، ج٨، ص٨٧: «من فارق الجماعة شبرا فمات الا مات ميتة جاهلية»

٤ . سنن ابى داود، ج٢، ص٤٦٥، بلفظ: «لله وكتابه ورسوله وأئمة المؤمنين وعامتهم، وأئمة المسلمين وعامتهم» وهكذا فى سنن الترمذى، ج٣، ص٢١٧



«اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي»[١] وعند مسلم من حديث ام الحصين **«اسمعوا واطيعوا ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله»**[٢] ولا يخفى ما فى قوله عليه الصلاة والسلام عبد من المبالغة في الامر بطاعته والنهى عن شقاقه ومخالفته

الخليفة الاعظم أيده الله

(سياسة مولانا الخليفة محذم يفل به الامر العسير ويحسم)

(لقد سعدت امنا بلاد وسيعة بعدل امير المؤمنين تنظم)

(له دام محفوظ الجناب مآثر اضاءت على الافاق منهن انجم)

(وقد بعث الله الخليفة رحمة إلى الناس ان الله للناس يرحم)

(ففى عهده قد اصبح الملك عامرا به الامن يزهو والاماني تبسم)

(هو الملك البر الروءف بأمة انار هداها والامام المعظم)

(يبيت لحفظ الملك يقظان ساهرا حريصا عليه والحوادث نوم)

(اقام به الديان اركان دينه فليست على رغم العدى تتهدم)

(وصاغ النهى منه سوار عدالة به ازدان من خود الحكومة معصم)

/ صفحة ١١ / (١/٩)

(وكم لامير المؤمنين مآثر بهن صنوف الناس تدرى وتعلم)

(ويشهد حتى الاجنبي بفضله فكيف يسئ الظن من هو مسلم)

(سلام على العهد الحميدى انه لاسعد عهد في الزمان وانعم)

* * *

١ . صحيح البخارى، ج٨، ص١٠٥

٢ . صحيح مسلم، ج٦، ص١٥



خلد الله ايام السلطنة الحميدية والبس دولتها احسن لبسها

وجدد لها انس السعادة حتى لا تخلو من انسها

واعلى سماءها ان تسموا الهمم إلى لمسها وجعل غدها افضل من يومها ويومها افضل من امسها

ونسخ بسلطانها امر الدول السالفة فلا يذكر ما اسسته ايام رومها ولا ايام فرسها

واضاء بوجود ملكها الاعظم سماء الخلافة فجعله بمثابة شمسها

(عبدالحميد الامام الحق ما ولدت ام المعالى له مثلا ولا شبها)

(نفديه بالمال والارواح من ملك تحسن الملك في ايامه وزها)

ذلل اللهم لحضرته رقاب البلاد والعباد. واقض لاحسانه ومهابته بملك القلوب والاجساد. واجعل ابواب جلالته مسجدا لكل محبت وموردا لكل صاد

وزد ملكه على التناهي زيادة لا يأخذ نقصها في الازدياد

واجر ولاءه في العبادات مجرى النية من الاعمال

والطهور من الصلوات والتسبيح من الاوراد

اللهم ادمه واجعل السماء ارضا لجنابه. والكواكب اترابا للفائز بلثم ترابه

واصرف الناس بين حكم سيفه وكتابه

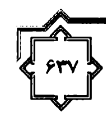
واقرن طاعته بالعمل الصالح الذى يتجمل صاحبه في الدنيا بزينة ثوبه وفى الاخرة بحسن ثوابه كم له ايده الله تعالى من مآثر فائقة وبيض نعم متلاحقة

طوق بها اعناق تبعته الصادقة. مضيئة تحسبها شموسا شارقة

ومن نقم اخزى بها الفرق المارقة وقهر بها الزنادقة

ارسلها عليهم صاعقة اثر صاعقة. فالالسن بحمده ناطقة

والافئدة على ولائه متوافقة والقلوب بعد له واثقة



فلو جمعت الاعصار في صعيد واحد لكان هذا العصر عليها فاخرا

وفاز بسبق اوائلها وان جاء آخرا

وليس ذلك الا لحظوته بالدولة الحميدية التي كسته حبرا

وقلدته دررا ودونت له في المحامد سيرا

وجعلت في كل ناحية من وجهه شمسا وقمرا

(وان امـــام المـــسلمين لوابـــل　　　بـه الارض تحيـا والعبـاد تـنعم)

(لـه مـن جـلال الله عـز وهيبـة　　　ومن نصره جندبه البغي يـصدم)

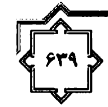
(ملاذ الورى اكبر به مـن خليفـة　　　بـه الملـك ماشـاء العلى يتقـدم)

ان من نبذ الحسد جانبـا ونظـر إلى الملـك نظـر منـصف رأى لمعالمـه في هـذا العصر الحميدى تقدما ولربوعه عمرانا لم يكن يحلم بهما السلف اما معـالم الـدين كالمساجد فقد ربا ما انشأه وشيده منها في كل بلد من بلاد المسلمين على ما جـدد بنيانه بعد الاندراس باضعاف مضاعفة عدد التكايا والرباطات التي يأوى اليهـا مشايخ الامة وزهادها وعبادها لاقامة ذكر الله آناء الليل واطراف النهار واجري عليها وعلى اصحابها جرايات تضمن بقاءها وتكفل حفظ نظامها إلى ما شـاء الله تعالى ومن مآثره الحميدة ايده الله تعالى تأسيس المستشفيات والمارستانات يـأوى اليها من عبثت ببدنه الامراض من الغرباء والفقراء اصحاب العاهات مـن غـير نظر إلى اختلاف اديانهم وتابعيتهم فترى اذا قدم بلاده المحروسة غريب قد انهكه في سفرته مرض وحد من فـضله ملجـأ يلتجـئ اليـه واطبـاء يداوونـه وخـداما يخدمونه حتي اذا صح جسده وعاد اليه ذاهب قوته رجع إلى بلاده شـاكرا. ولـما شاهده من الاحسان ذاكرا. ذلك عدا ما شيده من الملاجـئ للفقـراء والمـساكين والارامل والعاجزين ومنها احياء معالم العلم بتوفير مدارسه وتشييدها. وتكثـر مغارسه وتعديدها. فلا تخلو في عصره عصر العلم والعرفان بلدة من الـبلاد بـل



ولا قرية من القرى عن وجود مدارس ينتابها المتعلمون ويتردد اليها المعلمون فيقتبسون من نبراس العلم ما تتنور به عقولهم وتنمحي به ظلمات جهلهم ويكتسبون ما يدربهم في أمر المعاش فيتخرجون منها رجالا أكفاء قد حنكتهم يد العلم بما يؤهلهم للجهاد في ميدان هذه الحياة وكانوا قد دخلوا اليها أطفالا جاهلين لا يحسنون قيلا ولا يعلمون فتيلا ومنها توسيع نطاق التجارة بتكثير مواردها وتوفير مصادرها وتعزيز

نظامها المتكفل بصيانة حقوقها وفتح أبواب الصناعة بانشاء المعامل واستجلاب ما تتوقف عليه من الالات والادوات والمهمات وتعميم الزراعة بترغيب أهليها وتعليمهم طرقها الجديدة واحياء الموات من أرضها واكثار اخراجاتها إلى البلاد الاجنبية فوفرت بذلك ثروة الامة وزاد غناها وتأمين الطرق بقطع دابر أصحاب الشقاء الذين كانوا قبل عهد خلافته يعيثون في السبل فيستلبون أموال العابرين وينتهبون بضائع المتاجرين وذخائر المزارعين ومنها اعداد العدد لكفاح المعادين بتشييد المعاقل الرصينة والحصون الحصينة وتجهيزها بمبرلات المدافع الجسيمة وتنظيم الجنود وتكثير عددهم وتوفير مهماتهم من البنادق التي هي من الطراز الاخير مما يجدر ان يعبر عنها بمناجل الارواح تحصدها حصدا وبتأمين نفقاتهم وأرزاقهم في حالتي الحضر والسفر وانشاء البوارج البحرية والدوارع الحربية وتكثير عددها واكمال عددها وتجهيزها بالمدافع الضخمة مما زاد الاسطول العثماني قوة ومناعة لم تكونا في الحسبان وبالجملة فقد بلغت اليوم قوة الدولة المؤيدة العثمانية درجة شهدت لها بالتقدم أوربا وخافت سطوتها كبار الدول حتي أنها لتستطيع ان تجهز إلى الحرب ما ينيف على المليونين من العساكر الباسلة المدربة تعطي الحرب حقها فتعرف كيف تزحف إلى حومة الوغى وكيف تدير رحاها. وتسعر لظاها. وتقتحم أهوالها.



وتصرف أحوالها. فترجع والظفر من اتباعها. والنصر من أشياعها. مكللة بالنجاح. فائزة بالفلاح ومنها مد الخطوط الحديدية في كثير من ارجاء مملكته لاسيما الخط الحميدى الحجازي الذى شرع بمده إلى بيت الله الحرام على نفقة حكومته السنية دون ان يكون فيه للاجانب حصة أو سهم تسهيلا به لاداء الحج الذي هو أحد الاركان الاسلامية واراحة لوفد الله تعالى مما كانوا يكابدونه في طريقهم اليه من مشاق السفر ومتاعبه ركوبا على ظهور الجمال التي هي أراجيح الراكبين وتقصيرا لمدة السفر عليهم وتقريبا لمسافته وانها لعمر الحق مأثرة كبرى خصه الله تعالى بالتوفيق لها دون غيره من الملوك السالفين

(حسبه سكة الحجاز فخارا ... انها لم تكن زمان امام)

(سكة سهلت لنا حج بيت ... هو فرض في شرعة الاسلام)

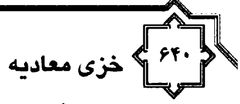
وناهيك به ملكا فاقت فراسته الاولين وأعجزت سياسته السلسة الاخرين حيث نراه حرسه الله سائرا مع الدول الغربية الكبرى. والحكومات الاجنبية الصغرى. على صراط الولاء. ومماشيا لهم في سبيل الوداد والصفاء مع محافظته صانه الله على حقوق دولته العلية. ومصالح سلطنته السنية. وصوالح رعاياه المستظلين بظل حماه. وسهره على ما به صيانة الشرف العثماني. وتأبيد السؤدد الخاقاني. حتى اجتمعت ملوك الارض وقياصرتها على الاقرار بوافر حكمته وطول باعه في سياسته مراجعين ذاته المقدسة في حل المعضلات وفك المشكلات إلى غير ذلك من الميزات التي هي السبب الوحيد لاعلاء السطوة العثمانية بين تلك الممالك والحكومات

(لسلطاننا عبدالحميد سياسة ... طريقتها المعضلات هى المثلى)

(هو الفاتح المنصور والملك الذي ... أعزبه الله الخلافة والعدلا)

(فيا أيها المولى الذي لكما له ... قد اختاره الله العزيز له ظلا)

(سللت لنصر الدين سيف عزيمة ... فللت به مالم يكن فله سهلا)



خزى معاديه

(وان أمـــير المـــؤمنين لـــصارم　　بـــه يقهـــر الله البغـــاة ويـــرغم)

(وان الـــذي بغيـــا يعاديـــه لم يكـــد　　من الخزي في الدارين ينجو ويسلم)

ان من الخصائص التي خص الله تعالى بها خليفته في العباد. وظلـه المـدود على البلاد. تأييده على أعدائه المارقين. واضداده خونة الدين. بغمسهم في خـزي الدنيا قبل خزي الاخرة وجعلهم مخذولين كلما أرادوا كيدا رد الله تعـالى كيـدهم في نحورهم وفضحهم بين الامم بما ألبسهم مـن العـار. وكـساهم مـن الـشنار. ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾[1].

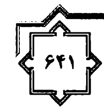
ها ان في الفرقة المارقـة الوهابيـة لعـبرة لاولى الالبـاب فانهـا لمـا سـول لهـا الشيطان باستحواذ. عليها حـادت عـن الحـق وعـدلت عـن الـصراط الـسوى وزاغت عن طاعة هـذه الدولـة المؤيـدة بالنـصر الالهـى حتـي خـذلها الله تعـالى وأخذها بعذابه الاليم ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾[2] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[3]. سـنذكر انـشاء الله تعـالى فـيما سـنكتبه مـن المباحث نشأة هذه الفرقة المارقة وخلاصة ما تمذهبت به وادخلتـه في الـدين مـن الاباطيل التي ما أنزل الله بها من سلطان. ولم يقم عليها دليل ولا برهان. مع الرد عليها بما يدحض فاسد حجتها. ويبين اعوجاج محجتها. فقد نشأ اليوم في بغـداد بعض المؤيدين لها من الذين اضلهم الله تعـالى حتـي اسـتحبوا العمـي واشـتروا الضلالة بالهدى جاعلين تأييدهم ذلك المذهب الباطل. والرأى العاطل. ذريعـة للرياسة على قوم كالانعام بل هم أضل سبيلا وقد رمي الله تعالى هؤلاء المؤيدين

---

١ . الصف: ٨

٢ . القمر: ٤٢

٣ . هود: ١٠٢



لها بصنوف العاهات. وأنواع الشناعات. وفضحهم بالخزى في الدنيا قبل الاخرة ليكونوا عبرة للمعتبرين. وتبصرة للمتفكرين. ولا غرو فان من يمرق عن الجماعة نابذا وراءه طاعة خليفة الله تعالى في أرضه ويمس أحكام دين الله المبين وشريعة رسوله الامين بيد التحريف والتغيير لجدير ان تحل عليه الرزايا وتحيط به البلايا ويصبح مثلة للاقوام. وضحكة للانام بما يصمه الله تعالى به من الخزى الشنيع. ويسمه به من العار الفظيع. عدا ما اعده الله تعالى له من خزي الاخرة وعذابها الاليم ولعذاب الاخرة اشد وابقي

الوهابية ومنشأها

الوهابية فرقة منسوبة إلى محمد بن عبدالوهاب وابتداء ظهور محمد هذا كان سنة ١١٤٣ وانما اشتهر امره بعد الخمسين فأظهر عقيدته الزائغة في نجد وساعده على اظهارها محمد بن سعود امير الدرعية بلاد مسيلمة الكذاب مجبرا اهلها على متابعة ابن عبدالوهاب هذا فتابعوه وما زال ينخدع له في هذا الامر حي بعد من احياء العرب حتى عمت فتنته وكبرت شهرته واستفحل أمره فخافته البادية وكان يقول للناس ما ادعوكم الا إلى التوحيد وترك الشرك بالله تعالى في عبادته وكانوا يمشون خلفه حيثما مشى حتي اتسع له الملك أما ولادته فقد كانت سنة ١١١١ وتوفي سنة ١٢٠٧ وكان في ابتداء أمره من طلبة العلم يتردد على مكة والمدينة لاخذه عن علمائهما وممن أخذ عنه في المدينة الشيخ محمد بن سليمان الكردي والشيخ محمد حياة السندي وكان الشيخان المذكوران وغيرهما من المشايخ الذين أخذ عنهم يتفرسون فيه الغواية والالحاد و يقولون سيضل الله تعالى هذا ويضل به من أشقاه من عباده فكان الامر كذلك وكذا كان ابوه عبدالوهاب وهو من العلماء الصالحين يتفرس فيه الالحاد ويحذر الناس منه



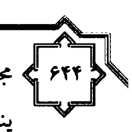
وكذلك اخوه الشيخ سليمان حتى أنه الف كتابا في الرد على ما أحدثه من البدع والعقائد الزائغة وكان محمد هذا بادئ بدئه كما ذكره بعض كبار المؤلفين مولعا بمطالعة اخبار من ادعي النبوة كاذبا كمسيلمة الكذاب وسجاح والاسود العنسي وطليحة الاسدى وأضرابهم فكان يضمر في نفسه دعوى النبوة الا أنه لم يتمكن من اظهارها وكان يسمي جماعته من أهل بلده الانصار ويسمي متابعيه من الخارج المهاجرين وكان يأمر من حج حجة الاسلام قبل اتباعه أن يحج ثانية قائلا ان حجتك الاولى غير مقبولة لانك حججتها وأنت مشرك ويقول لمن اراد أن يدخل في دينه اشهد على نفسك انك كنت كافرا واشهد على والديك انهما ماتا كافرين واشهد على فلان وفلان ويسمى له جماعة من اكابر العلماء الماضين انهم كانوا كفارا فان شهد بذلك قبله والا امر بقتله وكان يصرح بتكفير الامة منذ ستمائة سنة ويكفر كل من لا يتبعه وان كان من أتقى المسلمين ويسميهم مشركين ويستحل دماءهم وأموالهم ويثبت الايمان لمن اتبعه وان كان من أفسق الناس وكان عليه ما يستحق من الله ينتقص النبي ﷺ كثيرا بعبارات مختلفة منها قوله فيه انه (طارش) وهو في لغة العامة بمعنى الشخص الذى يرسله أحد إلى غيره والعوام لايستعملون هذه الكلمة فيمن به حرمة عندهم ومنها قوله اني نظرت في قصة الحديبية فوجدت فيها كذا وكذا من الكذب إلى غير ذلك من الالفاظ الاستخفافية حتى أن بعض اتباعه يقول بحضرته ان عصاى هذه خير من محمد لاني انتفع بها ومحمد قدمات فلم يبق فيه نفع وهو يرضي بكلامه وهذا كما تعلم كفر في المذاهب الاربعة ومنها أنه كان يكره الصلاة على النبي ﷺ وينهى عن ذكرها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنابر ويعاقب من يفعل ذلك عقابا شديدا حتى انه قتل رجلا أعمي مؤذنا لم ينته عما أمره بتركه من ذكر الصلاة على النبي ﷺ بعد الاذان ويلبس على أتباعه قائلا ان ذلك كله محافظة



على التوحيد وكان قد أحرق كثيرا من كتب الصلاة على النبي ﷺ كدلائل الخيرات وغيرها وكذلك أحرق كثيرا من كتب الفقه والتفسير والحديث مما هو مخالف لاباطيله وكان يأذن لكل من تبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه تمسك ابن عبد الوهاب في تكفير الناس بآيات نزلت في المشركين فحملها على الموحدين وقد روى البخارى في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما في وصف الخوارج أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين وفي رواية أخرى عن ابن عمر أنه ﷺ قال «**أخوف ما أخاف على أمتي رجل متأول للقرآن يضعه في غير موضعه**»[1] فهذا وما قبله صادق على ابن عبد الوهاب واتباعه ويظهر من أقواله وافعاله أنه كان يدعي أن ما أتي به دين جديد ولذلك لم يقبل من دين النبي ﷺ الا القرآن وقبوله اياه انما كان ظاهرا فقط كيلا يعلم الناس حقيقة أمره والدليل على ذلك أنه هو واتباعه كانوا يأولون القرآن بحسب أهوائهم لا بحسب ما فسره النبى ﷺ واصحابه والسلف الصالح وائمة التفسير وما كان يقول باحاديث النبي وأقاويل الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين ولا بما استنبطه الائمة من الكتاب والسنة ولا يأخذ بالاجماع ولا القياس الصحيح وكان يدعي الانتساب إلى مذهب الامام احمد كذبا وتسترا وقد رد عليه أضاليله كثير من علماء الحنابلة وألفوا في ذلك رسائل عديدة حتي أخوه الشيخ سليمان بن عبدالوهاب الف رسالة في الرد عليه كما ذكرناه وكان يقول لعماله اجتهدوا بحسب نظركم واحكموا بما ترونه مناسبا للدين ولا تلتفتوا لهذه الكتب المتداولة فان فيها الحق والباطل وقتل كثيرا من العلماء والصالحين لانهم لم يوافقوه على ما ابتدعه قال العلامة السيد العلوى الحداد ان المحقق عندنا من أقواله وأفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد الاسلامية لما أنه يستحل امورا

---

١ . لم اعثر به



مجمعا على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ وهو مع ذلك ينتقص الانبياء والمرسلين. والاولياء والصالحين. وانتقاصهم عمدا كفر بالاجماع عند الائمة الاربعة ثم انه صنف لابن سعود رسالة سماها (كشف الشبهات. عن خالق الارض والسموات) كفر فيها جميع المسلمين وزعم أن الناس كفار منذ ستمائة سنة وحمل الايات التى نزلت في الكفار من قريش على اتقياء الامة واتخذ ابن سعود ما يقوله وسيلة لاتساع الملك وانقياد الاعراب له فصار ابن عبد الوهاب يدعو الناس إلى الدين ويثبت في قلوبهم أن جميع من هو تحت السماء. مشرك بلا مراء. ومن قتل مشركا فقد وجبت له الجنة وكان ابن سعود يمتثل كلما يأمره به فاذا أمره بقتل انسان أو أخذ ماله سارع إلى ذلك فكان ابن عبد الوهاب في قومه كالنبي في امته. لايتركون شيئا مما يقوله ولا يفعلون شيئا الا بأمره ويعظمونه غاية التعظيم. ويبجلونه غاية التبجيل وما زالت احياء العرب وقبائلها تطيعه حتى اتسع بذلك ملك ابن سعود وملك اولاده بعده وحاربه الشريف غالب ﷺ خمس عشرة سنة حتي عجز عن حربه ولم يبق احد الا صار من حزبه ودخل مكة بالصلح سنة الف ومائتين وعشرين واستمر فيها سبع سنين إلى أن جهزت الدولة العلية عساكرها المنصورة عليه ووجهت الامر إلى وزيرها المفخم محمد علي باشا صاحب مصر فاتاه بجيوش باسلة وطهر الارض منه ومن اتباعه ثم جهز ابنه ابراهيم باشا فوصل بجيوشه إلى الدرعية سنة ١٢٣٣ فافني وأباد من بقي منهم. ومن قبائح ابن عبد الوهاب الشنيعة انه منع الناس من زيارة قبر النبي ﷺ فبعد منعه خرج أناس من الاحساء وزاروه ﷺ فلما رجعوا مروا على ابن عبد الوهاب في الدرعية فامر بحلق لحاهم واركبهم مقلوبين إلى الاحساء. قد اخبر النبي ﷺ عن هؤلاء الخوارج في احاديث كثيرة فكانت من اعلام نبوته عليه الصلاة والسلام لان فيها اخبارا بالغيب فمنها قوله

عيه الصلاة والسلام «**الفتنة من ههنا الفتنة من ههنا**»[١] واشار إلى المشرق وقوله ﷺ «**يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه «يعني موضع الوتر» سيماهم التحليق**»[٢]. وفي رواية زيادة على ذلك هم شر الخليقة طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شئ وقوله ﷺ «**اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا**» قالوا يا رسول الله وفى نجدنا قال هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان[٣] وقوله عليه الصلاة والسلام «**يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم مع المسيح الدجال سيماهم التحليق**»[٤] وفي قوله عليه الصلاة والسلام سيماهم التحليق تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب فيما ابتدعه لانهم كانوا يأمرون من اتبعهم أن يحلق رأسه ولا يتركونه اذا تبعهم حتى يحلقوا رأسه ولم يقع مثل ذلك من احدى الفرق الضالة التي مضت قبلهم وكان ابن عبد الوهاب يأمر بحلق رؤس النساء ايضا ممن اتبعنه وفي مرة أمر امرأة دخلت في دينه أن تحلق رأسها فقالت له لو أمرت بحلق اللحى للرجال لساغ أن تأمر بحلق رؤس النساء فان شعر الرأس للنساء بمنزلة اللحية للرجال فلم يجد لها جوابا ومن الاحاديث قوله ﷺ «**يخرج في آخر الزمان في بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام**»[٥] وقوله

---

١ . مسند احمد، ج٢، ص٢٣

٢ . صحيح البخارى، ج٨، ص٢١٨

٣ . المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣

٤ . كنز العمال، ج١١، ص٢٠٥، بدون: «**سيماهم التحليق**»

٥ . لم اعثر به فى كتب الاحاديث، ونقله الشيخ احمد زينى دحلان، فى الدرر السنيه، ص٥٠



عليه الصلاة والسلام «**سيظهر من نجد شيطان تتزلزل جزيرة العرب من فتنته**»[١] إلى غير ذلك من الاحاديث. ومن قبائح ابن عبد الوهاب احراقه كثيرا من كتب العلم وقتله كثيرا من العلماء وخواص الناس وعوامهم. واستباحة دمائهم واموالهم. ونبشه لقبور الاولياء وقد أمر في الاحساء أن تجعل بعض قبورهم محلا لقضاء الحاجة ومنع الناس من قراءة دلائل الخيرات ومن الرواتب والاذكار ومن قراءة المولد الشريف ومن الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام في المنائر بعد الاذان وقتل من فعل ذلك ومنع الدعاء بعد الصلاة وكان يصرح بكفر المتوسل بالانبياء. والملائكة والاولياء. ويزعم أن من قال لاحد مولانا أو سيدنا فهو كافر. ومن اعظم قبائح الوهابية اتباع ابن عبد الوهاب قتلهم الناس حين دخلوا الطائف قتلا عاما حتى استأصلوا الكبير والصغير. واودوا بالمأمور والامير. والشريف والوضيع. وصاروا يذبحون على صدر الام طفلها الرضيع ووجدوا جماعة يتدارسون القرآن فقتلوهم عن آخرهم ولما أبادوا من في البيوت جميعا خرجوا إلى الحوانيت والمساجد وقتلوا من فيها وقتلوا الرجل في المسجد وهو راكع أو ساجد حتي افنوا المسلمين في ذلك البلد ولم يبق فيه الا قدر نيف وعشرين رجلا تمنعوا في بيت الفتني بالرصاص ان يصلوهم وجماعة في بيت الفعر قدر المائتين وسبعين قاتلوهم يومهم ثم قاتلوهم في اليوم الثاني والثالث حتى راسلوهم بالامان مكرا وخديعة فلما دخلوا عليهم واخذوا منهم السلاح قتلوهم جميعا واخرجو غيرهم ايضا بالامان والعهود إلى وادي (وج) وتركوهم هنالك في البرد والثلج حفاة عراة مكشوفي السوآت هم ونساؤهم من مخدرات المسلمين ونهبوا الاموال والنقود والاثاث وطرحوا الكتب على البطاح وفى الازقة والاسواق تعصف بها الرياح وكان فيها كثير من المصاحف ومن نسخ

---

١ . لم اعثر به فى كتب الاحاديث، و نقله الشيخ احمد زينى دحلان، فى الدرر السنيه، ص٥١



البخاري ومسلم وبقية كتب الحديث والفقه وغير ذلك تبلغ الوفا مؤلفة فمكثت هذه الكتب اياما وهم يطئونها بأرجلهم ولا يستطيع احد ان يرفع منها ورقة ثم اخربوا البيوت وجعلوها قاعا صفصفا وكان ذلك سنة ١٢١٧

الوهابية وحديث بغيها

ان زعيم الوهابية اليوم هو عبد الرحمن بن فيصل من اولاد محمد بن سعود الباغى الذى حاد عن طاعة الخلافة العظمى الاسلامية سنة ١٢٠٥ واستمرت له وقائع مع الشريف غالب إلى سنة ١٢٢٠ حتى اذا عجز الشريف عن حربه جهزت الدولة العلية عليه عساكرها وناطت الامر بوزيرها المرحوم محمد علي باشا صاحب مصر وولده المرحوم ابراهيم باشا فابادهم سنة ١٢٣٣ كما المعنا اليه في مقالتنا السابقة مما هو مسطور في كتب التاريخ وعبد الرحمن هذا كان قبل ثلاثين سنة تقريبا اميرا على الرياض فلما استولى عليها المرحوم امير نجد محمد بن الرشيد هرب عبد الرحمن بن سعود إلى بعض السواحل البحرية واخيرا التجأ إلى الكويت وبقى هناك يعيش في فقر مدقع لا يرحمه احد إلى ان عطفت عليه الدولة العلية وأجرت له جراية ازالت ما كان فيه من الفقر وصار يعيش في ارغد عيش على نفقتها في تلك الديار لما توفي محمد بن الرشيد رحمه الله وتأمر مكانه ابن اخيه امير نجد الحالى عبدالعزيز بن متعب بن الرشيد اتفق أن حدثت واقعة بين عبد العزيز المشار اليه وبين شيخ الكويت مبارك بن صباح وذلك ان مباركا المذكور كان قد قتل أخاه محمد بن صباح الذى كان حينئذ قائمقاما من قبل الدولة العلية في الكويت وقتل أخا له آخر ايضا وغصب اموالا طائلة من اولادهما الذين فروا من عقابه ثم ان خال اولئك الاولاد وهو يوسف بن ابراهيم التجا إلى الامير عبدالعزيز بن الرشيد منتصرا بحضرته على مبارك المذكور لكي يسترد منه ما اغتصبه من أموال ولد اخته فجرت بينه وبين ابن صباح في ذلك مخابرات آلت



اخيرا إلى أن جهز كل من الطرفين جيشا على الاخر فتصادما في موقع يقال له الطرفية فكانت الدائرة على ابن صباح فقتل من جيشه زهاء اربعة آلاف مقاتل اما مبارك فقد نجا هاربا بنفسه إلى الكويت خاسئا مدحورا لم تمض مدة ان تمرد ابن صباح محتميا ببعض الاجانب فساعدوه بالمال وبالسلاح فاخذ يقوى عبد الرحمن المذكور على الامير ابن الرشيد واتفق أن كان الامير ابن الرشيد اذ ذاك مشغولا ببعض الغزوات في اما كن بعيدة عن الرياض فانتهزها ابن صباح فرصة فجهز جيشا تحت امرة عبد العزيز بن عبدالرحمن المذكور وارسله إلى الرياض للاستيلاء عليها فاحتلها عنوة وحصنها واحكم سورها فلما بلغ الخبر الامير ابن الرشيد عاد اليها فحاصرها مليا لاجل استرجاعها حتى امتد حصارها سنة ثم حدث له في بعض قبائله البعيدة ما صرفه عن حصارها فتركها وانتهز ابن سعود هذه الحادثة فرصة ايضا فاخرج من الرياض جيشا مجهزا بسلاح الاجانب فاستولى به على عنيزة وبريدة وما يليهما من بلاد القصيم. ولما رأت الدولة العلية اعتداء عبد الرحمن هذا وبغيه وتطاوله على صادقها ومخلصها الامير بن الرشيد ونزوع عبد الرحمن إلى الاجانب ارسلت كتيبة من عساكرها المنصورة بصحبة الامير ابن الرشيد لقطع دابر اولئك المارقين وقمع بغيهم واعتدائهم واطفاء شرر فتنتهم المستطير فصادمت العساكر المنصورة الجماعة الباغية حزب ابن سعود قرب بلد البكرية من بلاد القصيم فوقعت بين الجمعين ملحمة كبرى انجلت عن هزيمة الفئة الباغية جماعة ابن سعود وامتلاك العساكر احد عشر راية من راياتهم وقد كان والحق يقال لحضرة الامير ابن الرشيد وجيشه في هذه الملحمة خدمة في قمع الاعداء تشكر. وبسالة يخلد ذكرها ولا تنكر. واما المنهزمون فهم اليوم متحصنون ببعض تلك البلاد والعساكر المنصورة مع جيوش الامير ابن الرشيد محدقون بهم. ومجدون في تنكيلهم. وكبح جماحهم. وفقهم الله تعالى لذلك.

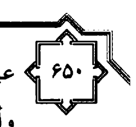


عقيدة الوهابية

لما رأى ابن عبدالوهاب أن قاطني بلاد نجد بعيدون عن عالم الحضارة لم يزالوا على البساطة والسذاجة في الفطرة قد ساد عليهم الجهل حتى لم يبق للعلوم العقلية عندهم مكانة ولا رواج وجد هنالك من قلوبهم ما هو صالح لا يزرع فيه بذور الفساد مما كانت نفسه تنزع اليه وتمنيه به من قديم الزمان وهو الحصول على رياسة عظيمة ينالها باسم الدين اذ كان لحاه الله يعتقد أن النبوات لم تكن الا رياسة وصل اليها دهاة البشر حين ساعدتهم الظروف عليها بين ظهراني قوم جاهلين ليس لهم من العلم نصيب وحيث أن الله تعالى قد أرتج باب النبوة بعد خاتم الانبياء سيدنا محمد ﷺ لم يجد للحصول على أمنيته طريقا بين أولئك الانعام الا أن يدعى أنه مجدد في الدين مجتهد في أحكامه فحمله هذا الامر أن كفر جميع طوائف المسلمين وجعلهم مشركين بل اسوأ حالا. وأشد كفرا وضلالا. فعمد إلى الايات القرآنية النازلة في المشركين فجعلها عامة شاملة لجميع المسلمين الذين يزورون قبر نبيهم ﷺ ويستشفعون به إلى ربهم نابذا وراء ظهره كل ما خالف أمانيه الباطلة وسولته له نفسه الامارة بالسوء من أحاديث سيد المرسلين. وأقوال أئمة الدين والمجتهدين. حتي أنه لما رأى الاجماع مصادما لما ابتدعه أنكره من أصله وقال لا أرى للناس بعد كتاب الله الذى جمع فأوعى كل رطب ويابس وتغافل عما جاء به كتاب الله من قوله تعالى ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[1] على أنه لم يأخذ من كتاب الله الا ما نزل في المشركين من الايات فاولها ظلما منه وتجاسرا على الله تأويلا يسهل له الحصول

---

١. النساء: ١١٥



على أمنيته وذلك بأن حملها على المسلمين فكفرهم منذ ستمائة عام وهدر دماءهم وأباح أموالهم وجعل بلادهم بلاد حرب وقد قال النبي ﷺ في حديث جبريل كما في الصحيحين «**الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله**»[١] الحديث وفى الصحيحين من حديث عمر «**بني الاسلام على خمس شهادة ان لا آله الا الله وان محمدا عبده ورسوله**»[٢] الحديث وقوله ﷺ لوفد عبدالقيس «**آمركم بالايمان بالله وحده أتدرون ما الايمان بالله وحده شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله**»[٣] الحديث كما في الصحيحين وقوله ﷺ «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله**»[٤] الحديث وقوله ﷺ «**كفوا عن أهل لا اله الا الله**»[٥] لكن ابن عبدالوهاب ومن تابعه خالفوا هذه الاحاديث وكفروا كل من قال لا اله الا الله محمد رسول الله ممن لم يكن على شاكلتهم زعما منهم أن من قالها وهو يتوسل بنبي أو يدعو غائبا أو ميتا أو ينذر له كان كأنه اعتقد خلافها وما مأربه في ذلك الا ترويج مدعاه الكاسد ونحن سنبين فيما يأتي ان شاء الـه تعالى بطلانه ونظهر للقارئ زيفه ومن عجيب أمره أنه يموه على الناس بدعوى توحيد الله وتنزيهه قائلا ان التوسل بغير الله شرك مع أنه يفصح عن استواء الله تعالى على العرش بمثل الجلوس عليه ويثبت له اليد والوجه والجهة ويقول بصحة الاشارة اليه في السماء ويدعي أن نزوله إلى السماء الدنيا حقيقي فيجسمه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فاين تنزيه الله تعالى بعد جعله سبحانه جسما يشترك

---

١ . صحيح مسلم، ج١، ص٢٩

٢ . صحيح البخارى، ج١، ص٨

٣ . مسند ابى داود، ص٣٥٩، و فى صحيح البخارى، ج٨، ص٢١٧ مع اختلاف

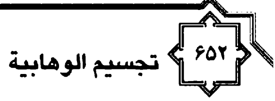
٤ . صحيح البخارى، ج١، ص١٠٣

٥ . المعجم الكبير، ج١٢، ص٢١١

فيه معه حتى أخس الجمادات وفي ذلك من النقص والازدراء بالوهيته سبحانه ما هو منزه عنه. ومن عظيم سفهه أنه لما رأى العقل مخالفا لجميع ما يدعيه خلع الحياء فعطل العقل ولم يحكمه في شئ وتصدى إلى جعل الناس كالبهائم في أمورهم الدينية وحظر عليهم استعمال العقل فيها مع أنه لا منافاة بين العقل والدين بل كلما ارتقت العقول في مدارج الكمال ظهرت لها مزايا الدين وتجلت محاسنه وهل ترى في هذا العصر عصر ارتقاء العقل أشنع من جعله محقرا بوضع الحجر عليه على أن مدار الدين والتكليف باحكامه ليس الا على العقل الذي سقط التكليف عمن عدمه وقد خاطب الله تعالى عباده في مواضع كثيرة من كتابه العزيز بقوله ﴿يَا أُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾[١] تنبيها على أن معرفة حقائق الدين انما هي من شأن أولى العقول. قد آن لنا أن نذكر ههنا خلاصة ما تمذهبت به الفرقة المارقة الوهابية من الاباطيل ثم نتكلم عليها في المباحث الاتية بما يردها ويدحض حجتها فنقول. قد اشتملت عقيدتهم الباطلة على أمور (الاول) اثبات الوجه واليد والجهة للباري سبحانه وجعله جسما ينزل ويصعد (الثانى) تقديم النقل على العقل وعدم جواز الرجوع اليه في الامور الدينية (الثالث) نفي الاجماع وانكاره (الرابع) نفي القياس (الخامس) عدم جواز التقليد للمجتهدين من أئمة الدين وتكفير من قلدهم (السادس) تكفيرهم لكل من خالفهم من المسلمين (السابع) النهي عن التوسل إلى الله تعالى بالرسول أو بغيره من الاولياء والصالحين (الثامن) تحريم زيارة قبور الانبياء والصالحين (التاسع) تكفير من حلف بغير الله وعده مشركا (العاشر) تكفير من نذر لغير الله أو ذبح عند مراقد الانبياء والصالحين.

---

١ . مثلا، البقره: ١٧٩



تجسيم الوهابية

ان الوهابية التى كفرت من زار قبر رسول الله ﷺ متوسلا بـه إلى الله تعـالى وعدت ذلك شركا في ألوهيته وقالت بوجوب تنزيهه تعالى عن ذلك قد خبطـت كل الخبط في تنزيهه تعالى حيث أبت الا جعل استوائه سبحانه ثبوتا عـلى عرشـه واستقرارا وعلوا فوقه وأثبتت له الوجه واليدين وبعضته سبحانه فجعلته ماسكا بالسموات على أصبع والارض على أصبع والشجر على أصبع والملك على أصبع ثم أثبتت له تعالى الجهة فقالت هو فوق السموات ثابت على العـرش يـشار اليـه بالاصابع إلى فوق اشـارة حـسية وينـزل إلى الـسماء الـدنيا ويـصعد حتـي قـال بعضهم:

(لئن كان تجسيما ثبوت اسـتوائه	عـــلى عرشـــه اني اذا لمجـــسم)
(وان كان تشبيها ثبـوت صـفاته	فعـن ذلـك التـشبيه لا أتلعـثم)
(وان كان تنزيها جحود اسـتوائه	وأوصـــافه أو كونـــه يـــتكلم)
(فمن ذلك التنزيـه نزهـت ربنـا	بتوفيقـــه والله أعـــلى وأعلـــم)

نحن ننقل لك ههنا بعض عباراتهم التي وردت في هذا الـشان مـسطورة في كتاب (الدين الخالص) قال صاحبه ان اردتم بالجسم المركب من المادة والصورة أو المركب من الجواهر الفردة فهذا منفى عن الله تعالى قطعا والصواب نفيه عـن الممكنات أيضا فليس الجسم المخلوق مركبا من هذه ا هـ. فأقول انظـر إلى مـا في هذه العبارة من الخبط فانه أنكر فيها وجود جسم بالمعني الذى ذكره سـواء كـان واجبا أو ممكنا والظاهر أن غرضه من هذا الانكار هو التوصل إلى نفي الجـسمية التي تلزم من معتقده في الله تعـالى فلـئلا يقـال انـه شـبه الخـالق بمخلوقـه نفـى الجسمية بالمعني المذكور عن مخلوقه ايضا وأنت تعرف أن الجسم ان لم يكن مركبا

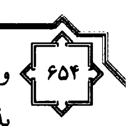


من المادة والصورة فلا محيص أن يكون مركبا من الجواهر الفردة ولكن الجهل ليس له حد ينتهى اليه فلا غرو ان وصل به إلى هذا الخبط الشنيع فليته بيّن بعد نفيه تركب الجسم مما ذكر، من أى شئ تتركب الاجسام؟ ولا اعتقد أنه يذهب به طيشه أن يقول بتركبها من اجزاء تتجزى إلى غير النهاية فان ذلك مما انكره علماء الكلام قاطبة ونفته العلوم الحاضرة وقامت البراهين على بطلانه ولولا أن في ذكرها خروجا عن الصدد لبسطناها. ثم قال وان اردتم بالجسم ما يوصف بالصفات ويرى بالابصار ويتكلم ويكلم ويسمع ويبصر ويرضى ويغضب فهذه المعاني ثابتة للرب تعالى وهو موصوف بها فلا ننفيها عنه بتسميتكم الموصوف بها جسما إلى آخر ما قال. فاقول لم نعرف احدا عرف الجسم بأنه المتكلم المكلم السميع البصير الذي يرضى ويغضب وانما هذه صفات تقوم بالحى العاقل نعم ان الجسم يرى بالابصار كما قال ولكن اثباته الجسم له تعالى بهذا المعنى تنزيل له سبحانه منزلة مخلوقاته مما ينافى الالوهية فان كون الله تعالى جسما بهذا المعنى نقص يجب تنزيهه عنه أما عقلا فلأن الرؤية كما تحقق في علم البصر انما تتم بوقوع أشعة النور على سطح المرئى وانعكاسها عنه إلى البصر فيلزم منه كون المرئي ذا سطح وذلك يستدعى تركبه من أجزاء وهو ينافي الالوهية لان الجسم بهذا المعنى عين الجسم الذي نفاه أولا عنه تعالى بل حتى عن الممكن وأما نقلا فلقوله تعالى ﴿لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾[1] ولا تعارض هذه الاية بقوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[2] لان كيفية رؤيته تعالى يوم القيامة مجهولة كما هو معتقد أهل الحق فيمكن أن تكون الرؤية يومئذ بنوع من الانكشاف والتجلي من غير حاجة للباصرة ولا محاذاة لها ويدل على ذلك قوله

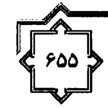
---

١ . الانعام: ١٠٣

٢ . القيامه: ٢٢



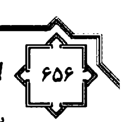
وجوه ولم يقل عيون وفي قوله ناضرة ما يفصح عن حصول السرور التام لها بذلك الانكشاف. ثم قال وان اردتم بالجسم ما يشار اليه اشارة حسية فقد اشار أعرف الخلق بالله تعالى اليه باصبعه رافعا لها إلى السماء الخ.. فاقول ان بداهة العقل حاكمة بأن المشار اليه بالاشارة الحسية لا بد أن يكون في جهة ومكان وأن يكون مرئيا وكل ذلك مستحيل على الله تعالى لانه تعالى لو كان في مكان جهة لزم قدم المكان أو الجهة وقد قام البرهان على أن لا قديم سوى الله تعالى وايضا لو كان في مكان لكان محتاجا إلى مكانه وهو ينافي الوجوب وايضا لو كان في مكان فاما أن يكون في بعض الاحيان أو في جميعها. أما بطلان الاول فلان الاحيان متساوية في أنفسها وكذلك نسبته اليها متساوية فيكون اختصاصه ببعضها ترجيحا بلا مرجح ان لم يكن هناك مخصص خارجي أو يلزم احتياجه في تحيزه إلى الغير ان كان هناك مخصص خارجي. وأما بطلان الثاني فلانه يلزم منه تداخل المتحيزين في الاماكن التى هي مشغولة بالاجسام وذلك محال وايضا لو جاز أن يشار اليه بالاشارة الحسية لجاز أن يشار اليه من كل نقطة من سطح الارض وحيث أن الارض كروية يلزم أن يكون سبحانه محيطا بها من جميع الجهات والا ما صحت الاشارة اليه ولما كان تعالى مستويا على عرشه ومستقرا عليه كما تزعمه الوهابية كان عرشه محيطا بالسموات السبع فيلزم من نزوله إلى السماء الدنيا وصعوده منها كما تقوله الوهابية ان يصغر جسمه تعالي عند النزول ويكبر عند الصعود فيكون متغيرا من حال إلى حال تعالي الله عما يقول الجاهلون واما ما تمسكت به الوهابية من النقول التى تثبت الاشارة اليه تعالي فهى ظواهر ظنية لا تعارض اليقينيات فتأول اما اجمالا ويفوض تفصيلها إلى الله كما عليه أكثر السلف واما تفصيلا كما هو رأى الكثيرين فما ورد من الاشارة اليه في السماء محمول على أنه تعالي خالق السماء أو أن السماء مظهر قدرته لما اشتملت عليه من



العوالم العظيمة التى لم تكن أرضنا الحقيرة الا ذرة بالنسبة اليها وكذلك العروج اليه تعالى هو بمعنى العروج إلى موضع يتقرب اليه بالطاعات فيه إلى غير ذلك من التأويلات.

الوهابية ونبذها للعقل

لما كان صريح العقل وصحيح النظر مصادما كل المصادمة لما اعتقدته الوهابية اضطروا إلى نبذهم العقل جانبا وأخذهم بظواهر النقل فقط وان نتج منه المحال. ونجم عنه الغى والضلال. فاعتقدوا متمسكين بظواهر الايات أن الله تعالى ثبت على عرشه وعلاه علوا حقيقيا وأن له تعالى وجها ويدين وأنه ينزل إلى السماء الدنيا ويصعد نزولا وصعودا حقيقيين وأنه يشار اليه في السماء اشارة حسية بالاصبع إلى غير ذلك مما يؤول إلى التجسيم البحت تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فالوهابية التي تسمى زائري القبور عباد الاوثان انما هي قد عبدت الوثن حيث انها جعلت معبودها جسما كالحيوان جالسا على عرشه ينزل ويصعد نزولا وصعودا حقيقيين وله وجه ويد ورجل واصابع حقيقية مما يتنزه عنه المعبود الحق واذا رد عليهم بالبراهين العقلية وأثبت لهم أن ذلك مناف للالوهية عند العقل قالوا في الجواب لا مجال للعقل الحقير البشرى في مثل هذه الامور التي طورها فوق طور العقل فاشبهوا في ذلك النصارى في دعوى التثليث فانك اذا سألتهم قائلا كيف يكون الثلاثة واحدا والواحد ثلاثة قالوا ان معرفة هذا فوق طور العقل ولا يجوز اعمال الفكر في ذلك. لا ريب أنه اذا تعارض العقل والنقل أول النقل العقل اذ لا يمكن حينئذ الحكم بثبوت مقتضى كل منهما لما يلزم عنه من اجتماع النقيضين ولا بانتفاء ذلك لاستلزامه ارتفاع النقيضين لكن بقي ان يقدم النقل على العقل أو العقل على النقل والاول باطل لانه ابطال للاصل بالفرع وايضاحه أن النقل لا يمكن اثباته الا بالعقل وذلك



لان اثبات الصانع ومعرفة النبوة وسائر ما يتوقف صحة النقل عليه لا يتم الا بطريق العقل فهو أصل للنقل الذى تتوقف صحته عليه فاذا قدم على العقل وحكم بثبوت مقتضاه وحده فقد أبطل الاصل بالفرع ويلزم منه ابطال الفرع ايضا اذ تكون حينئذ صحة النقل متفرعة على حكم العقل الذى يجوز فساده وبطلانه فلا يقطع بصحة النقل فلزم من تصحيح النقل بتقديمه على العقل عدم صحته واذا كان تصحيح الشئ منجرا إلى افساده كان مناقضا لنفسه فكان باطلا فاذا لم يكن تقديم النقل على العقل بالدليل السابق فقد تعين تقديم العقل على النقل وهو المطلوب اذا علمت هذا تبين لك جليا وجوب تأويل ما عارض ظاهره العقل من الايات القرآنية التي هي ظواهر ظنية لا تعارض اليقينيات اما تأويلا اجماليا ويفوض تفصيله إلى الله تعالى كما هو مذهب أكثر السلف واما تفصيليا كما هو مذهب أكثر الخلف فالاستواء في قوله تعالى ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[1] هو الاستيلاء ويؤيده قول الشاعر:

(قد استوى عمرو على العراق من غير سيف ودم مهراق)

وقوله تعالى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[2] اي جاء امره وقوله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[3] اي يرتضيه فان الكلم عرض يمتنع عليه الانتقال بنفسه وقوله سبحانه ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾[4] اى يأتى عذابه وقوله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[5] اي قرب رسوله اليه بالطاعة والتقدير بقاب قوسين تصوير للمعقول بالمحسوس

---

١ . طه: ٥

٢ . الفجر: ٢٢

٣ . فاطر: ١٠

٤ . البقره: ٢١٠

٥ . النجم: ٨



وقوله ﷺ **«انه تعالي ينزل إلى السماء الدينا في كل ليلة فيقول هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له»**[١] معناه تنزل رحمته وخص بالليل لانه مظنة الخلوات. وانواع الخضوع والعبادات. إلى غير ذلك من الايات والاحاديث.

الوهابية ونفيها الاجماع

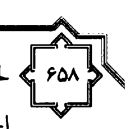
حيث كان ما انطوت عليه العقيدة الوهابية مباينا لما أجمع عليه الصحابة الكرام. والمجتهدون العظام. وكافة علماء الاسلام. لم ير أصحاب تلك العقيدة بدا من انكار الاجماع ونفي كونه حجة يعمل بها فهم قد كفروا كل مسلم عداهم ممن قال لا اله الا الله محمد رسول الله بسبب زيارته لقبور الانبياء والاولياء والتوسل بهم إلى الله تعالى مع أن الامة قد اجمعت ان من نطق بالشهادتين اجريت عليه احكام الاسلام لحديث **«امرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله»**[٢] ولحديث **«كفوا عن اهل لا اله الا الله»**[٣] وقال ابن القيم اجمع المسلمون على ان الكافر اذا قال لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقد دخل في الاسلام ولذلك انعقد الاجماع على ان المرتد اذا كانت ردته بالشرك فان توبته بالشهادتين ثم ان الوهابية عدوا الاستشفاع إلى الله تعالى بالنبي ﷺ بعد موته كفرا مع ان الاجماع منعقد على جوازه وهم لم يجوزوا لاحد ان يقلد مجتهدا من ائمة المسلمين وجوزوا لكل احد ان يستنبط من القرآن ما استطاع ان يستنبط مع ان الاجماع واقع على أنه لا يجوز لاحد ان يكون اماما في الدين والمذهب حتى يكون جامعا

---

١ . السنن الكبرى للنسائى، ج٦، ص١٢٥

٢ . صحيح البخاري، ج١، ص١٠٣

٣ . المعجم الكبير، ج١٢، ص٢١١



لخصال الاجتهاد فليس لاحد أن يأخذ من الكتاب والسنة ما لم يجتمع فيه تلك الخصال التى هي شروط الاجتهاد. اما الاجماع فهو اتفاق المجتهدين من الامة الاسلامية في عصر على أمر ديني او دنيوي ويلزم على هذا التعريف عدم انعقاد الاجماع على امر بعد انقراض المجتهدين مع انك تعلم انه لو لم يكن لانعقاد الاجماع جواز في كل عصر لما انحسم ما تراه يحدث كل يوم من الامور التي لم يصرح بحكمها في الكتاب والسنة ولا تكلم فيها المجتهدون السابقون مثاله ان رجلا سمع بما استجد من القول ان الارض متحركة حول الشمس فقال غير مكترث لذلك ان كانت الارض متحركة فزوجته طالق ولما لم يكن في الكتاب ولا في السنة صراحة دلالة على ثبوت الارض ولا على حركتها لزم ان يبين علماء الامة حكم هذه المسألة فينعقد اجماعهم على حركة الارض حتى ينحسم به مثل هذه المسالة. وكذلك لو فرضنا أن رجلا صائما ركب بالونا (المركبة الهوائية) قبيل الغروب فارتفع به في الجو صاعدا حتى بلغ علو عشرة آلاف ذراع ثم غابت الشمس على الارض فافطر الناس هنالك لكنها لم تغب عن عينه وهو في الجو بسبب كرية الارض فهل يسوغ له الافطار او هل وجبت عليه صلوة المغرب فهذا مما لم يصرح به في الكتاب ولا في السنة فيلزم على علماء العصر ان يبينوا حكم امثاله ويجمعوا عليه ويوافق ما قلناه تعريف الامام الغزالى للاجماع بقوله هو اتفاق الامة المحمدية على امر من الامور والمراد باتفاق الامة هو اتفاق علمائها كما لا يخفي. قال المنكرون للاجماع ان انعقاده محال واستدلوا على ذلك قائلين ان اتفاقهم فرع تساويهم في نقل الحكم اليهم وانتشارهم في البلاد القصية مانع من ذلك فأجيب بمنع كون الانتشار مانعا مع جدهم في البحث عن الادلة وقالوا ايضا الاتفاق اما عن دليل قاطع أو ظني وكلاهما باطل اما القاطع فغير



موجود كيف ولو كان لنقل فاغنى عن الاجماع فلما لم ينقل علم عدم وجوده واما الظنى فالاتفاق فيه ممتنع عادة لاختلاف القرائح وتباين الانظار (والجواب) منع ما ذكر أما في القاطع فللاستغناء عن نقله بحصول الاجماع الذى هو أقوى منه وارتفاع الخلاف المحوج إلى نقله وأما الظني فلجواز ان يكون جليا مما لا يمنع اختلاف القرائح والانظار الاتفاق فيه وانما يمنعه فيما يدق ويخفى مسلكه قالوا لو سلمنا ثبوت الاجماع في نفسه فالعلم باتفاقهم محال واحتجوا بأن العادة قاضية أن لا يصادف أن يثبت عن كل واحد من علماء الشرق والغرب أنه حكم في المسألة الفلانية بالحكم الفلاني. وكذلك احتجو أن نقل الاجماع مستحيل عادة لان نقله من الاحاد لا يفيد فلا يعمل به في الاجماع والتواتر لا يتصور اذا الواجب فيه استواء الطرفين والواسطة ومن البعيدان يشاهد أهل التواتر جميع العلماء المتشتتين في البلاد شرقا وغربا ويسمعوا منهم. وينقلوا عنهم. هكذا طبقة بعد أخرى إلى أن يتصل بنا (والجواب) عن كلا الاحتجاجين واحد وهو أنه تشكيك في مصادمة الضرورة فقد علم قطعا اجماع الصحابة والتابعين على تقديم الدليل القاطع على المظنون وما ذلك الا بثبوته عنهم ونقله الينا ثم ان الاجماع حجة عند جميع العلماء الا النظام وبعض الخوارج والدليل على حجيته أنهم اتفقوا على القطع بتخطئة المخالف للاجماع فكان حجة لان العادة تحيل اتفاق عدد كثير من العلماء المحققين على القطع في شرعي من غير قاطع فوجب بحكم العادة تقدير نص قاطع دال على القطع بتخطئة مخالف الاجماع لايقال على ذلك ان فيه اثبات الاجماع بالاجماع ولا اثبات الاجماع بنص قاطع توقف ثبوته على الاجماع لان ثبوت ذلك النص مستفاد من الاجماع على القطع بالتخطئة وهذا دور لانا نقول ان المدعى هو كون الاجماع حجة والذي ثبت به ذلك هو وجود



نص قاطع دل عليه وجود صورة من الاجماع يمتنع عادة وجودها بدون ذلك النص وثبوت هذه الصورة من الاجماع ودلالتها العادية على وجود النص لا تتوقف على كون الاجماع حجة لان وجود تلك الصورة مستفاد من التواتر ودلالتها على النص مستفادة من العادة ومن الادلة على حجية الاجماع ايضا قوله عليه الصلاة والسلام «**لا تجتمع أمتي على الخطأ**»[1] فان معنى هذا الحديث متواتر لما أنه جاء بروايات كثيرة نحو «**لا تجتمع أمتي على الضلالة**»[2] «**لايزال طائفة من أمتي على الحق حتى تقوم الساعة**»[3] «**يد الله مع الجماعة**»[4] «**من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة جاهلية**»[5] إلى غير ذلك والاحاد وان لم تتواتر فقد تواتر القدر المشترك وحصل به العلم كما في شجاعة علي وجود حاتم. احتج المنكرون لحجية الاجماع بقوله تعالى **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾**[6] فقالوا لا مرجع في تبيان الاحكام الا إلى الكتاب (والجواب) ان هذا لا ينافى كون غير الكتاب ايضا تبيانا ولا كونه تبيانا لبعض الاشياء بواسطة الاجماع وان سلم فغايته الظهور ولا يقاوم القاطع واحتجوا ايضا بقوله تعالى **﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾**[7] قالوا فلا مرجع غير الكتاب والسنة (والجواب) ان هذا يختص بما فيه النزاع والمجمع عليه ليس كذلك أو هو يختص بالصحابة ولئن سلمنا فغايته أنه ظاهر وهو لا يصادم القطعي كما مر واستدلوا ايضا بحديث معاذ وهو أنه

---

١ . شرح نهج البلاغه ابن ابى الحديد، ج٢٠، ص٣٤

٢ . مجمع الزوائد، ج٧، ص٢٢١

٣ . فتح البارى، ج١٣، ص١٦

٤ . سنن الترمذى، ج٣، ص٣١٦

٥ . صحيح البخارى، ج٨، ص٨٨، بلفظ: «**من فارق الجماعة شبرا فمات الا مات ميتة جاهلية**»

٦ . النحل: ٨٩

٧ . النساء: ٥٩



أهمل الاجماع عند ذكر الادلة اذ سأله النبي ﷺ عنها وأقره عليه الصلاة والسلام قالوا فقد دل هذا على أن الاجماع ليس بدليل (والجواب) أنه انما لم يذكره لانه حينئذ لم يكن حجة لعدم تقرر المأخذ من الكتاب والسنة بعد ولا يلزم أن لا يكون حجة بعد الرسل ونقرر المأخذ.

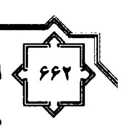
الوهابية ونفيها القياس

ان الوهابية كما انكروا الاجماع كذلك أنكروا القياس وما قصدوا بانكاره الا التوصل إلى الطعن بمجتهدي الامة قائلين انهم نابذون كتاب الله وسنة رسوله ظهريا عاملون بمقتضى آرائهم حتى انهم أخذوا يندون على ائمة الدين القائلين بالقياس وكونه حجة ويشنعون عليهم بأنهم يعتقدون الدين ناقصا وأنهم يتهمونهم بمثل الاجماع والقياس وقد قال الله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1] ويقولون انا لنجد الرطب واليابس في كتاب الله المبين فأي حاجة تدعونا إلى القياس فان النصوص تستوعب جميع الحوادث من غير حاجة إلى استنباط وقياس. ومن العجب أن الوهابية لاجل تخطئة المجتهدين في قبولهم القياس جعلت تعبث بكلام الله تعالى فتصرف الايات القرآنية عن معانيها الصحيحة مأوّلة اياها بما يوافق هواها. مع أنها لا تأوّل من الايات ما يلزم من ظاهره النقص على الله تعالى والمحال كآية الاستواء واليد والوجه ونقول ان المجتهدين عاملون بآرائهم مع أنها تجوز حتى للجهلة الرعاع من ذوي نحلتها أن يفسروا كلام الله بحسب أفهامهم القاصرة.

(القياس) هو مساواة فرع لاصله في علة الحكم. وأركانه أربعة الاصل المشبه به. والفرع المشبه. وحكم الاصل. والوصف الجامع الذي هو جهة

---

١ . المائده: ٣



التشبيه. وليس حكم الفرع ركنا له لانه ثمرة القياس ونتيجته فاذا قلنا النبيذ مسكر فيحرم قياسا على الخمر بدليل قوله حرمت الخمر فالاصل هو الخمر وهو المشبه به والفرع في مثالنا هو النبيذ الذي هو المشبه. وحكم الاصل هو الحرمة والوصف الجامع هو الاسكار. والقياس حجة لان أكثر الصحابة قد عملوا به متكررا مع سكوت الاخرين والسكوت في مثل ذلك وفاق عادة ولقوله تعالى (فاعتبروا)[1] ومعلوم أن الاعتبار هو قياس الشئ ليس الا. ولو لم يكن حجة لبقى كثير من الامور التي نراها تستجد بحسب الزمان مهمل الحكم مما ليس في ظاهر الكتاب والسنة ما يتبين به حكمه صراحة وهذا لا ينافى قوله تعالى ﴿وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[2] فان المقصود بالكتاب المبين هنا هو اللوح المحفوظ الذي أودعه الله تعالى ما كان وما يكون أو نقول يقاس به في حكم كونه مذكورا ايضا لانه مبني عليه أو نقول من البديهي ان احتواء كتاب الله على كل رطب ويابس ليس كله بطريق الصراحة بل كثير من أحكامه يستنبط منه استنباطا ومن طرق الاستنباط القياس فقول الوهابية ان النصوص تستوعب جميع الحوادث بدون استنباط أو قياس غير مسلم فان استيعابها جميع الحوادث لا يتم الا بطريقهما.

الوهابية وتكفيرها من قلد المجتهدين

لما كانت أقوال المجتهدين السالفين ﷺ وما وصلوا اليه باجتهادهم من الاحكام المقررة الدينية تصادم ما ابتدعته الفئة المارقة الوهابية لم تر هذه الفئة بدا من انكارها صحة اجتهادهم. وتخطئة آرائهم. وتكفير من قلدهم. حتى يخلو لها

---

١ . الحشر: ٢

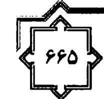
٢ . الانعام: ٥٩



الجو فتبيض وتصفر وتلعب بالدين كما شاء هواها ويتمهد لها الطريق إلى تأسيس قواعد ضلالها المبين. اذ هي لو لم تنف اجتهادهم لما تم لها أن تصرف بحسب هواها الايات النازلة في المشركين إلى المسلمين الذين يتوسلون إلى الله تعالى بجاه رسوله وكرامة أوليائه لان هذا الصرف مما لم يقل به مجتهد ولم يرض به أحد من أئمة الدين. وحيث ان مبتدع ضلالتها ابن عبدالوهاب كان كثير الميل إلى الاطلاع على اخبار من ادعى النبوة كمسيلمة وابى الاسود العنسي وغيرهما من الكذابين. وأنه كان يضمر في نفسه أن يؤسس دينا يحذو به حذو أولئك الكذابين. ولكنه خاف أن يظهر للناس كذبه كما ظهر كذبهم أبرز ما كان يضمره بصورة النصر للدين المحمدي مموها على عقول الناس أنه يريد التوحيد الحقيقي وأن الناس قد أشركوا فيلزم الجهاد معهم حتى يرجعوا عن شركهم وادعى الاجتهاد المطلق وخطأ كل من تقدمه من المجتهدين أولئك الاخيار الذين اغترفوا من بحر علم النبي ﷺ وكفر مقلديهم ولم يجز لاحد تقليد غيره مع أنه أجاز لكل أحد من اتباعه الجاهلين أن يفسر الايات الفرقانية بما يصل اليه قاصر فهمه وأن يأخذ الاحكام منها حسب عاجز ادراكه فكأنه جوز لكل أحد من اتباعه أن يكون مجتهدا فانظر إلى هذا التلاعب بالدين. والعبث بشريعة الرسول الامين نقول اما ادعاؤه الاجتهاد المطلق فهو محض سفه منه وقحة بالغة اذ هو لم يكن في زمنه ممن عرف له الرسوخ في العلم بل ولا ممن عد في عداد أرباب الترجيح في المذهب فضلا عن أن يكون مجتهدا مطلقا في الدين فان للاجتهاد شروطا أجمعت العلماء قاطبة على أنه لا يجوز لاحد أن يكون اماما في الدين والمذهب حتى يكون مستوفيا لها. منها أن يكون حافظا للغات العرب عارفا باختلافها ومعاني أشعارها وأمثالها وعاداتها. ومنها أن يكون واقفا على اختلاف العلماء والفقهاء وأن يكون فقيها عالما بكتاب الله حافظا له عارفا باختلاف قراآته



واختلاف قرائه بصيرا بتفسيره خبيرا بمحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وقصصه. ومنها أن يكون عالما بسنة رسول الله ﷺ مميزا بين صحيح أحاديثه وسقيمها ومتصلها ومراسيلها ومسانيدها ومشاهيرها ومنها أن يكون ورعا دينا صائنا لنفسه صدوقا ثقة يبني مذهبه على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فمن فاتته واحدة من هذه الخصال كان ناقصا فلا يجوز أن يكون مجتهدا يقلده الناس (وقال) ابن القيم في اعلام الموقعين لا يجوز لاحد أن يأخذ من الكتاب والسنة ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم. وسأل رجل احمد بن حنبل اذا حفظ الرجل مائة الف حديث هل يكون فقيها قال لا قال فمائتي الف حديث قال لا قال فثلاث مائة الف حديث قال لا قال فاربعمائة الف حديث قال نعم ويقال ان احمد ابن حنبل أجاب عن ستمائة الف حديث وأنت تعلم أن الناس قد أجمعوا جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن على أن الائمة المجتهدين ما استنبطوا أحكام الله من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الا بعد ما أحاطوا بالسنة علما. وبالكتاب تفقها وفهما. احاطة قل أن يوجد بعدهم من يتوصل اليها بل العلماء طبقة بعد طبقة متمسكون بأقوالهم كالنووى والرافعي والتقي السبكي وابن حزم وابن تيمية وابن القيم وابن الجوزي وكالفخر الرازي والطحاوي والقاسم والقرافى جميعا على تقليدهم واتباعهم مع أن كل واحد من هؤلاء الاحبار ومن قبلهم كانت له اليد الطولى في كل فن من الفنون لكن لما علموا أنهم لم يصلوا إلى رتبة الاستنباط من كتاب الله وسنة رسوله وقفوا عند حدهم ورحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره فكيف يسوغ للواحد منا في هذا الزمان المتأخر أن يستنبط من كتاب الله وسنة رسوله ويطرح أقوال العلماء المستنبطين الذين أجمع الخاص والعام على ابتداعهم فيه. وأما تكفير ابن عبدالوهاب لمقلدي من تقدم من المجتهدين فهو كما ذكرناه آنفا انما كان صادرا منه لترويج بدعته حتى لا يعد



مسلما الا من اتبعه وليت شعري لو فرضنا أن المجتهدين السابقين كما زعم ابن عبد الوهاب قد ضلوا وأضلوا فما الذي كان يلزم على عوام الناس أن يعملوا حينئذ وهم لم يكونوا قادرين على معرفة أخذ الاحكام واستنباطها من كتاب الله وسنة رسوله وابن عبدالوهاب نفسه لم يكن اذ ذاك مولودا حتى ينقذهم من ورطة غيهم وجهالتهم ولا أظن أنه كان قد بلغت به القحة أن يقول أولئك الناس أهل فترة جاؤآ في زمن لم يكن فيه مجدد في الدين. المنصف يعلم أن التقليد ضروري اذ من المحال عادة أن يكون كل فرد من أفراد المسلمين بالغا في العلم منزلة يمكنه فيها أن يستنبط الاحكام الشرعية رأسا من كتاب الله وسنة رسوله مما ليس فيه نص صريح سيّما الجاهلين باللغة العربية كل الجهالة من عوام الامم الاعجمية كالفرس والاكراد والافغان والاتراك وغيرهم ممن يزيد عددهم على مسلمي العرب زيادة كبيرة كما لا يخفى على العارفين بجغرافية الامم وقد أطبق العلماء أنه يجب على من لم يبلغ درجة الاجتهاد أن يقلد مجتهدا وقال تعالى **﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ﴾**[1] وقال ﷺ **«هلا اذا لم يعلموا سألوا فانما دواء العي السؤال»**[2].

الوهابية وتكفيرها المسلمين

للوهابية ذرائع اتخذتها لتأسيس بدعتها. منها تكفير المسلمين وذلك أن ابن عبد الوهاب كما علمت مما قدمناه لك فيما كتبناه سابقا قد سولت له نفسه الامارة أن يبتدع دينا جديدا ينال به الرياسة ولكنه لما رأى أن ذلك لايتم له في بلاد أهلها على جهلهم شديد والتمسك بالدين الاسلامي ابتدع ما ابتدعه في

---

١ . النحل: ٤٣

٢ . سنن ابى داود، ج١، ص٨٥، بلفظ «**شفاء العي..**»



نفس الدين الاسلامى وحيث رأى أن الامر لا يتم له الا بعد تكفير جميع المسلمين بشبه قرانية وجد الطريق الوحيد إلى تكفيرهم توسلهم إلى الله تعالى بنبيهم ﷺ وبغيره من الانبياء والاولياء والصالحين وكذا ما يتبعه من النذر والذبح وغير ذلك مما سوف يأتي فعد تلك الامور عبادة واذ كان القرآن العظيم مفهما بالايات الناطقة بأن من يعبد غير الله تعالى فهو مشرك جعل الموحدين جميعهم مشركين بسبب تلك الامور ثم ان الوهابية لما كفروا جميع المسلمين ممن خالفهم جعلوا بلادهم بلاد حرب فهدروا دماءهم. وحللوا أموالهم. وقد قال الله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾[1] وقال تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[2] وقال عليه الصلاة والسلام «**الاسلام أن تشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله**»[3] الحديث وفي حديث ابن عمر «**بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله**»[4] الحديث وفي حديث وفد عبدالقيس «**أمركم بالايمان بالله وحده اتدرون ما الايمان بالله وحده شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله**»[5] الحديث وغير ذلك من الاحاديث قال ابن القيم أجمع المسلمون على أن الكافر اذا قال لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقد دخل في الاسلام. واعلم أن تكفير المسلم أمر غيرهين فقد أجمع العلماء منهم الشيخ ابن تيمية وابن القيم على أن الجاهل والمخطئ من هذه الامة ولو عمل ما يجعل صاحبه مشركا أو كافرا يعذر بالجهل والخطأ حتى نتبين له الحجة بيانا واضحا لا يلتبس على مثله. والمسلم قد يجتمع فيه الكفر والاسلام والشرك

١ . آل عمران: ١٩

٢ . آل عمران: ٨٥

٣ . صحيح مسلم، ج١، ص٢٩

٤ . صحيح البخاري، ج١، ص٨

٥ . مسند ابى داود، ص٣٥٩، وفى صحيح البخاري، ج٨، ص٢١٧ مع اختلاف



والايمان ولا يكفر كفرا ينقله عن الملة فقد فارقت الخوارج أولا الجماعة وقد ذكرهم رسول الله ﷺ وأمر بقتلهم وقتالهم وقال «**يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم**»[١] وقال «**انهم كلاب أهل النار**»[٢] وقال «**يقرأون القرآن يحسبونه لهم وهو عليهم**»[٣] وهم قد خرجوا في زمن علي رضي الله عنه فكفروا عليا ومعاوية ومن معهم واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم وجعلوا بلادهم بلاد حرب وبلاد أنفسهم بلاد ايمان ولم يقبلوا من السنة الا ما وافق مذهبهم واستدلوا لمذهبهم بمتشابه القرآن وجعلوا الايات النازلة في المشركين في أهل الاسلام ومع كفرهم لم يكفرهم الصحابة ولا التابعون كما نقله ابن تيمية وقال لهم على رضي الله عنه لا نبدأكم بقتال ولا نمنعكم من مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا نمنعكم من الفيء ما دامت أيديكم معنا وقد ناظرهم أكابر الصحابة منهم ابن عباس رضي الله عنه حتى رجع منهم إلى الحق أربعة آلاف.

وأما قتال أهل الردة فلأن صنفا منهم ارتدوا عن الاسلام وعادوا إلى الكفر الذي كانوا عليه من عباده الاوثان. وصنفا ارتدوا وتابعوا مسيلمة وهم بنو حنيفة وقبائل غيرهم. وصنفا ارتدوا ووافقوا الاسود العنسي في اليمن. وصنفا صدقوا طليحة الاسدي وهم غطفان وفزارة وغيرهما. وصنفا صدقوا سجاح فهؤلاء أنكروا نبوة محمد ﷺ وتركوا الزكاة والصلاة وسائر الشريعة الاسلامية. وصنفا فرقوا بين الصلاة والزكاة وانكروا وجوب آدائها إلى الامام وهؤلاء في الحقيقة أهل بغي وانما أضيف اليهم اسم الردة لدخولهم حينئذ في غمار أهل الردة.

---

١ . صحيح البخاري، ج٨، ص٢١٨

٢ . المعجم الكبير، ج٨، ص٢٦٩

٣ . لم اعثر به



ثم فارقت القدرية الجماعة في آخر زمن الصحابة وهم فرقتان (الاولى) أنكرت القدر رأسا وقالت ان الله لم يقدر المعاصي على أهلها ولا يهدي الضال ولا يقدر ذلك فعندهم المسلم هو من جعل نفسه مسلما بنفسه والمصلي هو الذي جعل نفسه مصليا إلى غير ذلك من الطاعات والمعاصي فجعلوا العبد خالقا لاعماله (والثانية) بضد الاولى زعموا أن الله جبر الخلق على ما عملوا وأن الكفر والمعاصي في الخلق كالبياض والسواد في الخلق فعندهم ليس للمخلوق في جميع ذلك صنع بل جميع المعاصى عندهم تضاف إلى الله وهؤلاء هم اتباع ابليس حيث قال فبما اغويتني وكذلك قال المشركون لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ومع كل كفر القدرية هذا وضلالهم لم يكفرهم أحد من الصحابة ولا من التابعين بل قاموا في وجوههم وبينوا لهم ضلالهم من الكتاب والسنة وما أوجبوا قتلهم ولا أجروا عليهم أحكام أهل الردة ثم فارقت المعتزلة الجماعة في زمن التابعين ومن أقوالهم الكفرية قولهم بخلق القرآن ومنها انكار شفاعة النبي ﷺ لاهل المعاصى ومنها قولهم بخلود أهل المعاصي في النار وغير ذلك من أقوالهم ولم يكفرهم أحد من العلماء حينئذ بل قام في وجوههم العلماء من التابعين ومن بعدهم وردوا عليهم وبينوا باطلهم ولكن لم يجروا عليهم أحكام أهل الردة بل أجروا عليهم وعلى من تقدمهم من أهل البدع أحكام المسلمين من التوارث والتناكح والصلوة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين. ثم فارقت الجماعة المرجئة القائلة ان الايمان قول بلا عمل فمن نطق عندهم بالشهادتين فهو مؤمن وان لم يصل لله ركعة طول عمره ولاصام يوما من رمضان ومع تماديهم في ضلالهم واستمرارهم على عنادهم بعد ان بين أهل الحق لهم خطأ مذهبهم لم يكفروهم بل جعلوا الاخوة الايمانية ثابتة لهم ولمن قبلهم من أهل البدع. ثم فارقت الجهمية الجماعة فقالوا ليس على العرش اله يعبد ولا لله في الارض من كلام



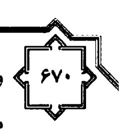
وأنكروا صفات الله التي أثبتها لنفسه في كتابه المبين وأثبتها رسوله الصادق الامين، وأجمع على القول بها الصحابة وكذلك أنكروا رؤية الله تعالى في الاخرة إلى غير ذلك من اقوالهم ومعتقداتهم الكفرية ومع ذلك فقد رد عليهم الائمة وبينوا ضلالهم حتى انهم قتلوا بعض دعاتهم كجهم بن صفران والجعد بن درهم وبعد ان قتلوهم غسلوهم وصلوا عليهم ودفنوهم في مقابر المسلمين ولم يجروا عليهم أحكام اهل الردة ثم فارقت الرافضة الجماعة وأنهم وافقوا المعتزلة في اعتقاد خلقهم الافعال وأنكروا رؤية الباري تعالى يوم القيامة وحكموا بكفرا اكثر الصحابة وقذفوا أم المؤمنين ومع ذلك فلم يكفرهم أحد من العلماء ولا منعوهم عن التوارث ولا التناكح وأجروا عليهم أحكام المسلمين. ومذهب السلف الذي تتستر به الوهابية هو عدم القول بتكفير طوائف المارقين الذين ذكرناهم. قال الشيخ تقي الدين بن تيمية لم يكفر الامام أحمد الخوارج ولا المرجئة ولا القدرية ولا أعيان الجهمية بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا الناس إلى قولهم وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الشديدة وقال ايضا ما محصله ان من البدع المنكرة تكفير طائفة من المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم اذ لعل تلك الطائفة ليس فيها من البدعة أعظم مما في الطائفة المكفرة لها ولو فرض أن تلك الطائفة قد ابتدعت لم يجز للطائفة التى على السنة أن تكفرها لما عسى أن تكون بدعتها ناشئة عن خطأ قال الله تعالى ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[1] وقال تعالى ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[2] وقال النبي ﷺ «ان الله تجاوز لامتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[3].

---

١ . البقره: ٢٨٦

٢ . الاحزاب: ٥

٣ . المصنف لابن ابى شيبه، ج٤، ص١٥٣



وقد انعقد الاجماع على أن من كان مقرا بما جاء به الرسول وان كانت فيه خصلة من الكفر او الشرك لا يكفر حتى تقام عليه الحجة والحجة لاتقوم الا بالاجماع القطعي لا الظني والذي يقيم الحجة هو الامام او نائبه والكفر انما يكون بانكار الضروريات من دين الاسلام كوجود الباري ووحدانيته وانكار رسالة محمد ﷺ أو بانكار الفرائض كوجوب الصلوة ومذهب أهل السنة والجماعة التحاشي عن تكفير من انتسب للاسلام حتى أنهم يقفون عن تكفير أئمة أهل البدع مع الامر بقتلهم دفعا لضررهم لا لكفرهم والشخص الواحد يجمع فيه الكفر والايمان والنفاق والشرك ولا يكفر كل الكفر فمن اعترف بالاسلام قبل منه سواء كان صادقا أو كاذبا وان ظهرت منه بعض علامات النفاق والجهل عذر عن الكفر وكذلك الشبهة وان كانت ضعيفة هذا فقد تبين ما للوهابية في تكفيرها المسلمين من البدعة والمخالفة لما جاء به كتاب الله وسنة رسوله ولاقوال أئمة الدين والعلماء المجتهدين (الوهابية ونفيها التوسل) ذكرنا فيما سبق تكفير الوهابية لمن خالف بدعتها من جميع المسلمين ونسبتها اياهم إلى الشرك الاكبر وقد آن لنا أن نذكر ههنا ما اتخذته ذريعة لتكفيرهم من الامور فمنها الاستغاثة بالانبياء والاولياء والتوسل بهم إلى الله تعالى وزيارة قبورهم فهي قد نفت ذلك وحرمته وشددت النكير على المستغيثين والمتوسلين والزائرين فكفرتهم وعدتهم مشركين كعباد الاوثان بل جعلتهم أسوأ حالا منهم حيث قالت ان المشركين السابقين كانوا مشركين في الالوهية فقط وأما مشركو المسلمين تعني بهم من خالفها منهم فقد أشركوا في الالوهية والربوبية وقالت أيضا ان الكفار فى زمن رسول الله ﷺ لا يشركون دائما بل تارة يشركون وتارة يوحدون الله ويتركون دعاء الانبياء والصالحين وذلك انهم اذا كانوا في السراء دعوهم واعتقدوا بهم واذا أصابهم الضر والشدائد تركوهم وأخلصوا لله الدين وعرفوا ان الانبياء

والصالحين لا يملكون ضرا ولا نفعا. حملت الوهابية جميع الايات القرآنية التي نزلت في المشركين على الموحدين من أمة محمد ﷺ وتمسكت بها في تكفيرهم منها قوله تعالى ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾[١] وقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللهِ مَن لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾[٢] وقوله تعالى ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٣] وقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[٤] وقوله تعالى ﴿فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾[٥] وقوله تعالى ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلاَلٍ﴾[٦] وقوله تعالى ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُون كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾[٧] إلى غير ذلك من الآيات النازلة في المشركين فزعم ابن عبد الوهاب أن كل من استغاث بالنبي ﷺ أو توسل به أو بغيره من الانبياء والاولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة أو

---

١ . الجن: ١٨

٢ . الاحقاف: ٥ ـ ٦

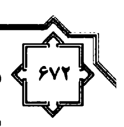
٣ . يونس: ١٠٦

٤ . فاطر: ١٣ ـ ١٤

٥ . الشعراء: ٢١٣

٦ . الرعد: ١٤

٧ . الاسراء: ٥٦ ـ ٥٧



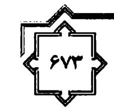
زار قبره يكون معدودا في عداد هؤلاء المشركين داخلا في عموم هذه الايات وشبهته في ذلك ان هذه الايات وان كانت نازلة في المشركين الا أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب. (والجواب) انا لا ننكر أن العبرة هي لعموم اللفظ لا لخصوص السبب ولكنا نقول ان هذه الايات لا تشمل من زعمت الوهابية أنها شاملة لهم لما أنه ليس من أحوال الكفار الذين نزلت هذه الايات فيهم شئ عند المتوسلين والمستغيثين فان الدعاء يأتي لمعان شتى كما سنذكره قريبا وهو في هذه الايات كلها بمعنى العبادة والمسلمون لا يعبدون الا الله تعالى وليس فيهم من اتخذ الانبياء والاولياء آلهة وجعلهم شركاء لله تعالى حتى تعمهم هذه الايات ولا اعتقدوا أنهم يستحقون العبادة ولا أنهم يخلقون شيئا ولا انهم يملكون ضرا ولا نفعا بل انما اعتقدوا أنهم عبيد الله مخلوقون له وما قصدوا بزيارة قبورهم والتوسل بهم إلى الله تعالى الا التبرك بهم لكونهم أحباء الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم فببركتهم يرحم عباده. قالت الوهابية ان اعتذاركم هذا هو عين اعتذار المشركين عن عبادة الاصنام فقد قال تعالى حكاية عن المشركين في اعتذارهم عن عبادة الاصنام ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ﴾[1] فالمشركون ما اعتقدوا في الاصنام أنها تخلق شيئا بل اعتقدوا أن الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[2] وقوله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[3] فانما حكم الله تعالى عليهم بالكفر لقولهم ليقربونا إلى الله زلفى قالت وهكذا المتوسلون بالانبياء والصالحين يقولون ما هو بمعنى قول المشركين ليقربونا إلى الله زلفى. والجواب

---

١ . الزمر: ٣

٢ . الزخرف: ٨٧

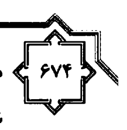
٣ . الزمر: ٣٨



من وجوه (الاول) ان المشركين جعلوا الاصنام آلهة والمسلمون ما اعتقدوا الا الها واحدا فعندهم أن الانبياء أنبياء والاولياء أولياء ليس الا فلم يتخذوهم آلهة مثل المشركين. (الثاني) ان المشركين اعتقدوا أن تلك الالهة مستحقون للعبادة بخلاف المسلمين فانهم لم يعتقدوا أن أحدا من المتوسل بهم مستحق لاقل عبادة وليس عندهم المستحق للعبادة الا الله وحده. (الثالث) ان المشركين عبدوا تلك الالهة بالفعل كما قال تعالى حكاية عنهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا﴾[1] والمسلمون ما عبدوا الانبياء والصالحين في توسلهم بهم إلى الله تعالى. (الرابع) ان المشركين قصدوا بعبادة أصنامهم التقرب إلى الله تعالى كما حكى الله عنهم وأما المسلمون فلم يقصدوا بتوسلهم بالانبياء وغيرهم التقرب إلى الله لما أن التقرب اليه تعالى لا يكون الا بالعبادة ولذلك قال الله تعالى حكاية عن المشركين ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا﴾[2] بل ان المسلمين قصدوا التبرك والاستشفاع بهم والتبرك بالشيء غير التقرب به كما لا يخفى. (الخامس) ان المشركين لما كانوا يعتقدون أن الله تعالى جسم في السماء أرادوا بقولهم ليقربونا إلى الله التقريب الحقيقي ويدل عليه تأكيده بقولهم زلفى اذ تأكيد الشئ بما هو بمعناه يدل في الاكثر على أن المقصود به هو المعنى الحقيقي دون المجازي فانا اذا قلنا قتله قتلا تبادر القتل الحقيقي إلى الفهم لا الضرب الشديد بخلاف ما اذا قلنا قتله فقط فانه قد يراد به الضرب الشديد. وأما المسلمون فحيث لم يعتقدوا أن الله جسم في السماء يبعد منهم أن يطلبوا التقرب الحقيقي اليه بالتوسل فلا ينطبق عليهم حكم الاية، نعم ان الوهابية لما اعتقدت أن الله تعالى جسم استوى على عرشه في السماء لم تجد للتبرك الذى قصده المسلمون بتوسلهم معنى غير التقرب الذي يكون إلى الاجسام ولذلك جعلت هذه الاية منطبقة عليهم. ويجدر بنا أن نبين هنا أنواع الشرك فنقول. منها

---

١ و٢ . الزمر: ٣



ما يقال له شرك الاستقلال وهو اثبات الهين مستقلين كشرك المجوس. ومنها شرك التبعيض وهو تركيب الإله من عدة آلهة كشرك النصارى. ومنها شرك التقريب وهو عبادة غير الله تعالى ليقرب إلى الله زلفى كشرك الجاهلية والشرك الذي جعلته الوهابية أصلا لشرك المستغيث والمتوسل وبنت عليه قاعدتها هو شرك التقرب الذى دانت به الجاهلية. والامر الذي حمل الجاهلية على شركها هذا هو تسويل الشيطان لها أن عبادتها لله تعالى على ما هي عليه من غاية الضعف والعجز وتركها التقرب اليه بعبادة من هو أعلى منها عنده وأشرف وأقوى كنحو الملائكة انما هو سوء أدب ولكن لما رأت غيبة من عبدته عنها دائما أو بعض الاوقات صنعت الاصنام أمثلة لما غاب عنها من معبوداتها فعبدتها.

اذا تحققت هذا اتضح لك أن حال مشركي الجاهلية لا ينطبق بوجه من الوجوه على المسلمين المتوسلين إلى الله بالانبياء والصالحين فأولئك اتخذوا الاصنام آلهة والاله معناه المستحق للعبادة فهم اعتقدوا استحقاق الاصنام للعبادة واعتقدوا أولا أنها تنفع وتضر فعبدوها فاعتقادهم هذا وعبادتهم اياها أوقعهم في الشرك فلما أقيمت عليهم الحجة بأنها لا تملك نفعا ولا ضرا قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى فكيف يجوز للوهابية أن تجعل المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين اذ لا شك في أن المشركين انما كفروا بسبب عبادتهم تماثيل الانبياء والملائكة والاولياء التي صوروها على صورهم وسجدوا لها وذبحوا وبسبب اعتقادهم في الملائكة والانبياء والاولياء أنهم آلهة مع الله يضرون وينفعون بذواتهم ولذلك احتج الله تعالى على ابطال قولهم وضرب الامثال للردعلى معتقدهم في كثير من الايات بأن الاله المستحق للعبادة يجب أن يكون قادرا على كشف الضر وايصال النفع لمن عبده وبأن ما عبدوه من جملة المحدثات المنافية للربوبية وأما المستغيث والمتوسل فهو براء من هذه العبادة



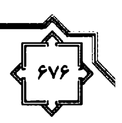
وهذا الاعتقاد وأما القول بأن مجرد الاستغاثة عبادة لغير الله تعالى فتحكم ومكابرة اذ الايات التي استدلت بها الوهابية انما نزلت جميعها في الكفار الذين عبدوا غير الله وان قصدوا بعبادتهم ذلك الغير التقرب اليه تعالى وفى الذين اعتقدوا أن مع الله الها آخر وأن له ولدا وزوجة ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً﴾[١] وهذا محل وفاق لا نزاع فيه وليس في الايات النازلة في الكفار دلالة على كون مجرد الاستغاثة بنبي أو ولي مع الايمان بالله تعالى هي عبادة لغير الله تعالى. قالت الوهابية ان الاستغاثة من نوع الدعاء وقد ورد في الحديث الشريف «**ان الدعاء هو العبادة**»[٢] فالذي يستغيث بنبي أو ولي فهو انما يعبده بتلك الاستغاثة وحيث أن العبادة لا تصلح الا لله وحده وأن عبادة غيره شرك كان المستغيث بغيره مشركا. فالجواب على هذا ان ضمير الفعل انما يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذا تعريف الخبر كما ذكره صاحب المفتاح وعليه الجمهور فقولنا الله هو الرزاق مثلا معناه لا رازق سواه وعلى هذا فقوله عليه الصلاة والسلام «**الدعاء هو العبادة**» دال على أن العبادة مقصورة على الدعاء فيكون المراد من الحديث ان العبادة ليست غير الدعاء ويؤيده قوله تعالى ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ﴾[٣] أي ما يصنع بكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان بعبادته وكرامته بمعرفته وطاعته والا فلا فضل له على البهائم. والحج والصلاة والزكاة والصيام والشهادة كلها دعاء وكذلك التلاوة والاذكار والطاعة فانحصرت العبادة في الدعاء. اذا تقرر هذا فلا حجة في الحديث اذ على تقدير كون الاستغاثة من نوع الدعاء كما قالته الوهابية لا يلزم ان تكون عبادة لما

---

١ . الاسراء: ٤٣

٢ . سنن ابى داود، ج١، ص٣٣٢

٣ . الفرقان: ٧٧



أن الدعاء قد لا يكون عبادة كما هو ظاهر. واما اذا قصرنا المسند اليه على المسند في الحديث بناء على ما ذهب اليه صاحب الكشاف من أن تعريف الخبر قد يكون لقصر المسند اليه كما يكون لقصر المسند فلا يتم استدلال الوهابية به الا اذا كانت ال في الدعاء للجنس والاستغراق وهي ليست لذلك اذ ليس كل دعاء عبادة فهو كما يكون بمعنى العبادة كما في قوله تعالى ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ الله مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ﴾[1] كذلك يكون بمعنى الاستعانة كقوله تعالى ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾[2] وبمعنى السؤال كقوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3] وبمعنى القول كقوله تعالى ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾[4] وبمعنى النداء كقوله تعالى ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾[5] وبمعنى التسمية كقوله ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً﴾[6] على ما فصله صاحب الاتقان وعليه فلو كانت أل للجنس والاستغراق كان قول المرء يا زيد اعطني درهما كفرا والوهابية لا تقول به فتعين أن أل في الحديث للعهد فيكون المراد بالدعاء في الحديث هو دعاء الحق تعالى لا مطلق الدعاء أي ان سؤال الله تعالى هو من أعظم العبادة فهو على حد قوله عليه الصلاة والسلام «الحج عرفة»[7] أي ركنه الاكبر وذلك لانه يدل على أن السائل مقبل عليه تعالى معرض عما سواه ولان السؤال مأمور به وفعل المأمور به عبادة وسماه النبي عبادة ليخضع الداعي ويظهر ذلته وافتقاره اذ العبادة ذل وخضوع

١ . يونس: ١٠٦

٢ . البقره: ٢٣

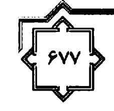
٣ . غافر: ٦٠

٤ . يونس: ١٠

٥ . الاسراء: ٥٢

٦ . النور: ٦٣

٧ . سنن الترمذى، ج٢، ص١٨٨

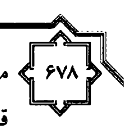


ومن الدلائل على كون المراد من الدعاء في الحديث هو دعاء الله لا مطلق الدعاء ما حققه كثير من اللغويين وصرح به ابن رشد والقرافى في شرح التنقيح من أن السؤال أحد أقسام الطلب وهو طلب الادنى من الاعلى فاذا كان من الله تعالى سمي سوءالا ودعاء ولا يقال للطلب من غيره تعالى دعاء فاذا كان لا يجوز ان يقال للطلب من غيره تعالى مجرد دعاء فبالاحرى أن لا يقال لذلك الطلب دعاء بمعنى العبادة

التوسل وأدلة جوازه

قبل الخوض في المطلب نبين لك أن المراد من الاستغاثة بالانبياء والصالحين والتوسل بهم هو أنهم أسباب ووسائل لنيل المقصود وان الله تعالى هو الفاعل كرامة لهم لا أنهم هم الفاعلون كما هو المعتقد الحق في سائر فعال فان السكين لا يقطع بنفسه بل القاطع هو الله تعالى والسكين سبب عادي خلق الله تعالى القطع عنده. قال السبكي والقسطلاني (في المواهب اللدنية) والسمهودي في (تاريخ المدينة) وابن حجر في (الجوهر المنظم) ان الاستغاثة به عليه الصلاة والسلام وبغيره من الانبياء والصالحين انما هي بمعنى التوسل إلى الله بجاههم والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يجعل له الغوث ممن هو أعلى منه فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى والنبي ﷺ واسطة بين المستغيث وبين المستغاث به الحقيقي فالغوث منه تعالى انما يكون خلقا وايجادا والغوث من النبي عليه الصلاة والسلام انما يكون تسببا وكسبا. وقد جوز أجلة العلماء الاستغاثة والتوسل بالنبي ﷺ ولا يعارض جوازها بخبر أبي بكر رضي الله عنه «قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق» فقال النبى ﷺ «**انه لا يستغاث بي انما يستغاث بالله**»[1] لان

١ . مجمع الزوائد، ج١٠، ص١٥٩



من رواته ابن لهيعة والكلام فيه مشهور. ولو فرضنا أن الحديث صحيح فهو من قبيل قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللهَ رَمَىٰ﴾[١]. وقوله عليه الصلاة والسلام «ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم»[٢] فيكون معنى الحديث السابق انى وان يستغاث بى فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى. وبالجملة فاطلاق لفظ الاستغاثة على من يحصل منه غوث ولو تسببا وكسبا أمر نطقت به اللغة وجوزه الشرع فتعين تأويل الحديث المذكور ويؤيد ما بيناه في تأويله حديث البخاري في الشفاعة يوم القيامة. فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ. لنا على جواز التوسل والاستغاثة دلائل منها قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[٣] قال ابن عباس ان الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله تعالى والوهابية جعلت الوسيلة خاصة بالافعال وهو بل ظاهر الاية تخصيصها بالذوات فانه تعالى قال في هذه الاية ﴿اتَّقُوا اللهَ﴾ التقوى عبارة عن فعل المأمور به وترك المنهي عنه فاذا فسرنا الوسيلة بالاعمال كان الامر بابتغاء الوسيلة اليه تأكيد للامر بالتقوى بخلاف ما إذا أريد بها الذوات فان الامر حينئذ يكون تأسيسا وهو خير من التأكيد. ومنها قوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[٤] قال ابن عباس هم عيسى وأمه وعزيز والملائكة وتفسير الاية ان الكفار يعبدون الانبياء والملائكة على أنهم أربابهم فيقول الله لهم أولئك الذين تعبدونهم هم يتوسلون إلى الله بمن هو أقرب فكيف تجعلونهم أربابا وهم عبيد مفتقرون إلى ربهم متوسلون اليه بمن هو أعلى مقاما منهم ومنها

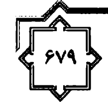
---

١. الانفال: ١٧

٢. صحيح مسلم، ج٥٢، ص٨٢

٣. المائده: ٣٥

٤. الاسراء: ٥٧



قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[1] فقد علق تعالى قبول استغفارهم باستغفاره عليه الصلاة والسلام وفي ذلك صريح دلالة على جواز التوسل به ﷺ وقبول المتوسل به كما يفهم من قوله تعالى ﴿لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ وأنت تعلم أن استغفاره ﷺ لامته لا يتقيد بحال حياته كما دلت عليه الاحاديث الواردة مما سننقله. لا يقال ان الاية وردت في قوم معينين فلا عموم لها لانا نقول انها وان وردت في قوم معينين في حال حياته ﷺ تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف سواء كان في حال حياته أو بعد موته ﷺ ومنها قوله تعالى ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾[2] فنسب الله تعالى الاستغاثة إلى غيره من المخلوق وكفى به دليلا على جوازها فان قيل ان المستغاث في هذه الاية حي وله قدرة وانما كلامنا في الميت أجيب بأن نسبة القدرة اليه ان كانت استقلالا فهي كفر وان كانت بقدرته تعالى على أن يكون هو السبب والوسيلة ليس الا فلا فرق بين الحي والميت فان الميت له كرامة واذا لم تنسب الاغاثة إلى الله حقيقة والى غيره مجازا كانت الاستغاثة ممنوعة ومن هنا تعلم سر نفي النبي ﷺ الاستغاثة عن نفسه عند ما قال أبوبكر الصديق رضي الله عنه قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال عليه السلام «لا يستغاث بي انما يستغاث بالله»[3] مع أن النبي كان حينئذ حيا وله قدرة فانما قصد ﷺ نفي الاستغاثة الحقيقية فأراد تعليم أمته أنها لا تكون الا بالله. ومنها قوله تعالى ﴿لاَّ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْداً﴾[4]

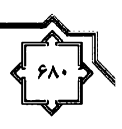
---

١ . النساء: ٦٤

٢ . القصص: ١٥

٣ . مجمع الزوائد، ج١٠، ص١٥٩

٤ . مريم:٨٧



قال بعض المفسرين ان العهد هو قوله لا اله الا الله محمد رسول الله وعليه فمعنى الاية لا يشفع الشافعون الا لمن قال لا اله الا الله وهم المؤمنون كقوله تعالى ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[1] وهو معنى بعيد ان يكون حينئذ تقدير الاية لا يملكون الشفاعة لاحد الا من اتخذ الخ وفيه من التكلف ما فيه والاحسن ان يكون تفسير قوله لا يملكون بمعنى لا ينالون فحينئذ يصح الاستثناء بدون تقدير شئ وقيل معناه لا يملك الشفاعة الا من قال لا اله الا الله أي لا يشفع الا المؤمنون ومثله قوله تعالى ﴿وَلاَ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾[2] والشهادة بالحق هي قول لا اله الا الله وحيث كان المراد من التوسل بالانبياء والاولياء والصالحين والطلب منهم هو استشفاعهم وقد أخبر تعالى انهم يملكون الشفاعة فأى مانع من طلب شئ مما ملكوه باذنه تعالى فيجوز أن تطلب منهم ان يعطوك مما أعطاهم الله تعالى وانما الممنوع هو طلب الشفاعة من الاصنام التي لا تملك شيئا منها ومنها ما رواه ابن ماجه باسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله «من خرج من بيته إلى الصلاة فقال اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا اليك فاني لم أخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لى ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون الف ملك»[3] فقد توسل النبي عليه الصلاة والسلام في قوله اني أسألك بحق السائلين عليك بكل عبد مؤمن وأمر أصحابه أن يدعوا بهذا الدعاء فيتوسلوا مثل توسله

---

١ . الانبياء: ٢٨

٢ . الزخرف: ٨٦

٣ . سنن ابن ماجه، ج١، ص٢٥٦

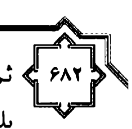


ولم يزل السلف من التابعين ومن تبعهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم إلى الصلاة ولم ينكر عليهم أحد ومنها قوله ﷺ «**اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي**»[١] إلى آخر الحديث رواه الطبراني في الكبير وصححه ابن حبان والحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه وفاطمة هذه أم علي كرم الله وجهه التي ربت النبي ﷺ وروى ابن أبي شيبة عن جابر مثل ذلك. وروى مثله أيضا ابن عبدالبر عن ابن عباس رواه أبونعيم في الحلية عن أنس كما ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الكبير ومنها ما رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني باسناد صحيح عن عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه ان رجلا ضريرا أتى النبي ﷺ فقال ادع الله أن يعافيني فقال «**ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير**» قال فادعه فأمره أن يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء «**اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعه في**»[٢] فعاد وقد أبصر. وخرج هذا الحديث البخاري أيضا في تاريخه وابن ماجه والحاكم في المستدرك باسناد صحيح وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير والصغير فقد أمر النبي ﷺ الرجل الضرير أن يناديه ويتوسل به إلى الله في قضاء حاجته قد تقول الوهابية ان هذا انما كان في حياة النبي ﷺ فليس يدل على جواز التوسل به بعد موته فنجيب ان الدعاء هذا قد استعمله الصحابة والتابعون أيضا بعد وفاته ﷺ لقضاء حوائجهم. يدل عليه ما رواه الطبراني والبيهقى أن رجلا كان يختلف إلى عثمان رضي الله عنه زمن خلافته في حاجة ولم يكن ينظر في حاجته فشكى الرجل ذلك لعثمان بن حنيف فقال له ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل

---

١ . مجمع الزوائد، ج٩، ص٢٥٧

٢ . سنن الترمذی، ج٥، ص٢٢٩



ثم قل اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد نبى الرحمة يا محمد اني أتوجه بك إلى ربك لتقضى حاجتي وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتي باب عثمان ﷺ فجاءه البواب وأخذ بيده وأدخله على عثمان فأجلسه معه وقال اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها ثم قال له ما كان لك من حاجة فاذكرها فلما خرج الرجل من عنده لقى ابن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته لى فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله ﷺ وقد أتاه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره الحديث[1]. فهذا توسل ونداء بعد وفاته ﷺ على أن النبي عليه الصلاة والسلام حي في قبره فليست درجته دون درجة الشهداء الذين صرح الله تعالى بأنهم ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2]. ومنها ما رواه البيهقي وابن أبي شيبة باسناد صحيح ان الناس أصابهم قحط في خلافة عمر ﷺ فجاء بلال بن الحرث ﷺ إلى قبر النبي ﷺ وقال يا رسول الله استسق لامتك فانهم هلكوا فأتاه رسول الله في المنام وأخبره أنهم يسقون[3] واستدلالنا هذا ليس بالرؤيا للنبي ﷺ فان رؤياه وان كانت حقا لا تثبت بها الاحكام لإمكان اشتباه الكلام على الرائي وانما الاستدلال بفعل أحد أصحابه ﷺ في اليقظة وهو بلال بن الحرث فانه أتى قبر النبي ﷺ وناداه وطلب منه أن يستسقى لامته. ومنها ما ذكر في صحيح البخاري من رواية أنس بن مالك ﷺ من استسقاء عمر بن الخطاب ﷺ في زمن خلافته بالعباس عم النبي ﷺ لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا[4] (وفي

---

١ . المعجم الكبير، ج٩، ص٣٠

٢ . آل عمران: ١٦٩

٣ . المصنف لابن ابى شيبه، ج٧، ص٤٨٣

٤ . صحيح البخارى، ج٢، ص١٦

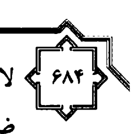


المواهب اللدنية) للعلامة القسطلاني أن عمر رضي الله عنه لما استسقى بالعباس رضي الله عنه قال يا أيها الناس ان رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله تعالى لا فرق في التوسل بالانبياء وغيرهم من الصلحاء بين كونهم أحياء أو أمواتا لانهم في كلا الحالتين لا يخلقون شيئا وليس لهم تأثير في شئ وانما الخلق والايجاد والتأثير لله وحده لا شريك له في كل ذلك وأما من يعتقد التأثير للاحياء دون الاموات فلهم أن يفرقوا بين التوسل بهم والتوسل بالاموات اما نحن فنقول ان الله هو الخالق لكل شئ ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[١] فالوهابية التى تتظاهر بالذب عن التوحيد وتجوز التوسل بالاحياء قد دخل الشرك في توحيدها من حيث لا تدري لكونها اعتقدت تأثير الاحياء مع انه لا تأثير في الحقيقة الا لله تعالى.

والتوسل والتشفع والاستغاثة بمآل واحد فانما المقصود منها التبرك بذكر احباء الله الذين قد يرحم الله العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا فالموجد الحقيقي هو الله تعالى وانما هؤلاء أسباب عادية لا تأثير لهم في ذلك وأما قوله العامي من المسلمين يا عبد القادر (ادركنى) ويا بدوي (المدد) مثلا فيحمل على المجاز العقلي كما يحمل عليه قول القائل هذا الطعام أشبعني وهذا الماء أرواني وهذا الدواء شفاني فان الطعام لا يشبع والماء لا يروي والدواء لا يشفي حقيقة بل المشبع والمروى والشاف الحقيقى هو الله تعالى وحده وانما تلك أسباب عادية ينسب لها الفعل لما يرى من حصوله بعدها في الظاهر ومعظم الامة أجمعوا على جواز التوسل به ﷺ وبغيره من الصحابة والصالحين فقد صدر من كثير من الصحابة والعلماء من السلف والخلف واجتماع أكثرهم على الحرام أو الاشراك

---

١ . الصافات: ٩٦



لا يجوز لقوله ﷺ في الحديث الصحيح وقيل المتواتر «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**»[١] ولقوله تعالى ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾[٢] فكيف تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة ومن أدلة جواز الاستغاثة ما رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ ذكر في قصة هاجر أم اسماعيل عليه السلام أنها لما أدركها وولدها العطش جعلت تسعى في طلب الماء فسمعت صوتا ولا ترى شخصا فقالت أغث ان كان عندك غوث فلو كانت الاستغاثة بغير الله شركا لما طلبت الغوث ولما ذكر النبي ﷺ ذلك لاصحابه ولم ينكره ولما نقلته الصحابة من بعده وذكره المحدثون. ومنها ما رواه البخارى في حديث الشفاعة أن الخلق بينما هم في هول القيامة استغاثوا بآدم ثم بنوح ثم بابراهيم ثم بموسى ثم بعيسى وكلهم يعتذرون ويقول عيسى اذهبوا إلى محمد فيأتون اليه ﷺ فيقول «**أنا لها**»[٣] الحديث

فلو كانت الاستغاثة بالمخلوق ممنوعة لما ذكرها النبي ﷺ لاصحابه رضي الله عنهم وأجاب المانعون أن هذا يكون يوم القيامة حيث يكون للنبي ﷺ قدرة ورد عليهم أنهم في حياتهم الدنيوية لا قدرة لهم الا بنوع التسبب فكذلك بعد الموت على أنهم أحياء في قبورهم يتسببون ومنها ما رواه الطبراني عن زيد بن عقبة بن غدوان عن النبي ﷺ قال «**اذا أضل أحدكم شيئا أو أراد عونا وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني فان لله عبادا لا يراهم**»[٤] لا يقال ان المقصود بعباد الله هم الملائكة أو مسلمو الجن أو رجال الغيب وهؤلاء كلهم أحياء فلا

---

١ . مجمع الزوائد، ج٧، ص٢٢١
٢ . آل عمران: ١١٠
٣ . صحيح البخارى، ج٨، ص٢٠١
٤ . مجمع الزوائد، ج١٠، ص١٣٢



يستدل بالحديث على الاستغاثة بالاموات والكلام فيهم لانا نقول لا صراحة في الحديث بأن المقصود بعباد الله هم من ذكر لا غير ولو سلمنا فالحديث حجة على الوهابية من جهة أخرى وهي نداء الغائب الذي لم يجوزوه كنداء الميت ولا يفيد الوهابية طعنها ببعض رواة هذا الحديث فانه قد روى بطرق شتى يعضد بعضها بعضا قد رواه الحاكم في صحيحه وأبو عوانه والبزاز بسند صحيح عن النبي ﷺ بهذا اللفظ أنه قال «**اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله أحبسوا**»[1] وقد ذكر هذا الحديث شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه (الكلم الطيب) عن أبى عوانة في صحيحه وابن القيم في (الكلم الطيب) له والنووي في (الاذكار) والجزري في (الحصن الحصين) وغيرهم ممن لا يحصى من المحدثين وهذا لفظ رواية ابن مسعود مرفوعا ورواية ابن مسعود موقوفا عليه فليناد أعينونى يا عباد الله. ونقل عن عبدالله ابن الامام احمد بن حنبل أنه قال سمعت أبي يقول حججت خمس حجج فضللت في احداهن عن الطريق وكنت ماشيا فجعلت أقول يا عباد الله دلونا على الطريق فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق فقل للوهابية التي تدعى نسبتها إلى الامام احمد كيف جاز له أن يطلب الدلالة على الطريق من غير الله وهو غائب من غير أن يراه. ومن شبه الوهابية في تكفير من استغاث أو نادى غائبا من نبي أوولي قد مات ان الذين ينادون نبيا أو وليا مستغيثين به قد يكون نداؤهم في أماكن متعددة في زمان واحد ويكون عددهم كثيرا جدا مما يبلغ مئات الالوف وهم يعتقدون أن المستغاث به يحضر حين ندائه في ذلك الان وهذا بصرف النظر عن كونه كفرا وشركا لما فيه من جعل ذلك المنادى موصوفا بما هو من صفات الرب عزوجل ممتنع عقلا فمن

---

١ . المصدر نفسه، ج١٠، ص١٣٢،



البديهي أن الجسم الواحد لا يكون في زمان واحد موجودا في أماكن متعددة. والجواب أنه ليس من معتقد المسلمين حضور المنادى بشخصه حين ندائه في الاماكن المتعددة فان ذلك المعتقد كفر وذلك الحضور محال وانما المعتقد حضور البركة بخلق الله تعالى اياها في تلك الاماكن المتعددة لطفا منه ورحمة بالمستغيث لكرامة المستغاث به وليس في ذلك محال فان رحمة الله تعالى واسعة ليس لها حد. ثم ان الوهابية لما رمت المسلمين بهذا المعتقد الذي هم براء منه ساقت على بطلانه ما ذكره الفقهاء في شرائط النكاح وذلك أنهم قالوا تزوج رجل امرأة بشهادة الله ورسوله لا ينعقد النكاح وقالت لو كان النبي يعلم نداء المستغيث به اذا ناداه من بعيد لكان علام الغيوب ولصح انعقاد النكاح الذي قال الفقهاء ببطلانه والجواب ان المسلمين كما لا يعتقدون أن النبي أو الولي المستغاث به يحضر عند ندائه كذلك لا يرون علم الغيب لاحد الا الله تعالى وأما عدم انعقاد النكاح بشهادة الله ورسوله فلإنّ الشرع انما اشترط شهادة الشهود في النكاح وأمثاله صيانة لحقوق الزوجية لما عسى أن يحدث بين الزوجين من المنازعات التي ربما آلت بهما إلى الترافع أمام الحكام وحينئذ لا يمكن لاحد الخصمين أن يثبت دعواه بشهادة الله ورسوله اذ نحن لو فرضنا أن الله تعالى عما يقول الظالمون جسم ينزل إلى السماء الدنيا كما زعمت الوهابية نقول ما جرت عادته تعالى أن ينزل إلى غرفة الحاكم فيؤدي شهادته أمامه حسما لنزاع المخاصمين قد علمت أن الوهابية كفرت من نادى غير الله تعالى كقوله يا رسول الله ونحو ذلك ونحن اذا أمعنا النظر رأينا أن كفر هذا الذي يقول يا رسول الله مثلا لا يخلو اما أن يكون لانه يعتقد أن من ناداه يحضر بنفسه حين ندائه ويسمع نداءه ويقضي بنفسه له حاجته وينجيه من الورطة التي ناداه من أجلها أو يكون لانه يعتقد أن الذي



يناديه يسمع نداءه باسماع الله اياه بمحض قدرته وان الله تعالى لا غيره يقضي حاجته ببركة ذلك المنادى وان الله تعالى ينجيه من الورطة التي هو فيها بجاه ذلك النبي وعلى كلا التقديرين ففيه من السقط ما فيه. أما الاول فلان من اعتقد أن أحدا غير الله تعالى يقضي الحاجة وينجي من الورطة فقد كفر سواء نادى ذلك الاحد أو لم يناده فلا وجه لتخصيص كفره بحالة النداء وأنت تعلم أن لا أحد من المسلمين يعتقد هذا المعتقد. وأما الثاني فلإنّ من كان قلبه عرية الايمان معتقدا أن الذي يقضي الحوائج وينجي من المهالك انما هو الله تعالى لا غيره لايجوز أن يكون كافرا بمجرد نداء غائب معتقدا أن الله تعالى يخلق فيه السماع.

ومن الجهل ما قالته الوهابية هنا من أن الشرع يحكم بالظاهر والظاهر من نداء أحد لغير الله أنه يعتقد في ذلك الغير علما محيطا بالغيب وقدرة بالغة على قضاء الحوائج وتصرفا تاما في الكون مما هو مختص بالباري عزوجل ويكون اعتقاده في غيره كفرا وشركا. والجواب أن الظاهر من حال من نادى غير الله تعالى يدل على أنه نادى غير الله فقط لا أنه اعتقد في ذلك الغير قدرة وقضاء للحوائج وغير ذلك مما ذكرته الوهابية والاعتقاد أمر باطني قد يدل بعض الظواهر عليه لكن النداء ليس من قبيلها فقل للوهابية التي تجعل ظاهر النداء دالا على الشرك والكفر ما بالكم لاتنظرون إلى ما للمسلم الذي تكفرونه من ظاهر الصلاة والصوم والزكاة وغير ذلك من أركان الدين فتعدونه دالا على ايمانه وحسن اعتقاده ومن العجيب أن ذلك المسلم الذي ينادي يصرح بعدم اعتقاده القدرة وما شاكلها لمن ناداه وأنتم مع ذلك تجعلون ظاهر ندائه دالا على ذلك الاعتقاد الذي نفاه عن نفسه فليت شعري أي حكم لاستدلالكم بظاهر نداء الرجل على سوء اعتقاده في مقابلة تصريحه لكم بحسن ما يعتقده.

الوهابية وتكفيرها من زار القبور

لو سأل سائل عما تمذهبت به الوهابية ما هو وعن غايته ما هي فقلنا في جواب كلا السؤالين هو تكفير كافة المسلمين لكان جوابنا على اختصاره تعريفا كافيا لمذهبها فان من أمعن النظر فيما جاءت به رآها تتحرى في كل مسألة تكفير كافة المسلمين الذين رضي الله لهم الاسلام دينا فقد كفرتهم لتنزيههم الله تعالى عن الجسمية وكفرتهم لاخذهم بالاجماع وكفرتهم لتقليدهم الائمة المجتهدين في الدين وكفرتهم لاستشفاعهم بنبيهم ﷺ بعد موته وتوسلهم به إلى الله تعالى وكفرتهم لزيارتهم القبور لا يخفى على البصير أن زائر القبور يقصد بزيارتها اما الاستشفاع والتوسل إلى الله بأصحابها والتبرك بهم كما في زيارة قبور الانبياء والاولياء واما الاعتبار بالقوم الماضين تمكينا للخشوع من قبله ونيلا للاجر بقراءة الفاتحة والدعاء لهم بالمغفرة كما في زيارة قبور سائر المسلمين. أو يقصد تذكر من مات من ذويه الاقربين. وأحبائه الراحلين. وأعزته الذين غالتهم يد المنون فاسكنتهم القبور بعد القصور فذهبوا عنه ذهابا ليس وراءه اياب وغادروه كئيبا يندب الاسى ولسان حاله يقول:

(ألا يا راحلا عنا مجدا ... على مهل فديتك من مجد)

(فلا تعجل وسر سير الهوينا ... لانك راحل من غير عود)

وتدفعه احساساته إلى زيارة قبورهم فيقف على دوارس اجداثهم حزينا يسكب على ترابها عبرات الاسف ولسان حاله ينشد:

(ذهب الذين أحبهم ... وبقيت مثل السيف فردا)

(كم من أخ لى صالح ... بوأته بيدي لحدا)

وليس في كل هذا ما يستلزم تكفير المسلم الذي شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ولا أظن أن الجاهل الغر من اناس فضلا عن العالم المتشرع



تدفعه جهالته أن يقصد بزيارة القبر عبادته وأن يعتقد كونه يقضي حاجته فيخلق له ما يريد. قال رسول الله ﷺ **«اني كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور الا فزورها فانها تزهد الدنيا وتذكر الاخرة»**[١] رواه ابن ماجة كما في المشكاة. أما شدّ الرحال إلى زيارة القبور فمما اختلف فيه العلماء فحرمه بعضهم استدلالا بقوله عليه الصلاة والسلام **«لا تشدّوا الرحال الا إلى ثلاثة مساجد إلى المسجد الحرام والى مسجدي هذا والى المسجد الاقصى»**[٢] رواه الشيخان والترمذي[٣] واختار التحريم القاضي حسين والقاضي عياض وجوزه آخرون منهم امام الحرمين وغيره من المشايخ واستدلوا على الجواز بقوله عليه الصلاة والسلام **«كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزروها»**[٤] فقالوا قد أمر النبي ﷺ في هذا الحديث بزيارة القبور لم يفرق بين زيارة القريب منها والبعيد الذى تشد اليه الرحال قالوا وأما حديث **«لا تعمل المطي الا إلى ثلاثة مساجد»**[٥] فانما منع فيه شد الرحال إلى المساجد لا إلى المشاهد كما هو الصريح منه وانما منع عن شد الرحال إلى المساجد لانها متماثلة فلا يخلو بلد من مسجد فلا حاجة إلى الرحلة وليست كذلك المشاهد فانها غير متساوية في البركة كما أن درجات أصحابها متفاوتة عند الله تعالى ولاشك أن الاستثناء في قوله ألا إلى ثلاثة مساجد مفرغ فيكون تقديره. اما بالجنس البعيد كأن يقال لا تشد الرحال إلى موضع الا إلى ثلاثة مساجد وعليه فيلزم منع السفر إلى كل موضع عدا المستثنى فيحرم حينئذ شد الرحل حتى للجهاد وللتجارة وطلب الرزق واقتناء العلم وللنزهة وغير ذلك وليس الامر كذلك. واما

---

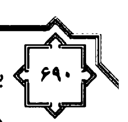
١ . سنن ابن ماجه، ج١، ص٥٠١

٢ . صحيح البخارى، ج٢، ص٥٦، صحيح مسلم، ج٤، ص١٢٦

٣ . سنن الترمذى، ج١، ص٢٠٥

٤ . سنن ابن ماجه، ج١، ص٥٠١

٥ . سنن النسائى، ج٣، ص١١٤



بالجنس القريب كأن يقال لا تشد الرحال إلى مسجد الا إلى ثلاثة مساجد وهذا هو الصحيح وعليه فيكون الحديث خاصا بمنع شد الرحال إلى المساجد فقط ويدل على جواز شد الرحال لزيارة القبور ما قاله عمر ﷺ بعد فتح الشام لكعب الاحبار يا كعب ألا تريد أن تأتي معنا إلى المدينة فتزور سيد المرسلين قال نعم يا أمير المؤمنين أنا أفعل ذلك وكذا يدل عليه مجئ بلال ﷺ من الشام إلى المدينة لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام وذلك في خلافة عمر ﷺ. ومن القائلين بالجواز الامام النووي والقسطلاني والامام الغزالي فقد قال في (احيائه) بعد أن ذكر حديث لا تشد الرحال ما ملخصه استدل به بعضهم على المنع من الرحلة لزيارة المشاهد ويتبين لي أن الامر ليس كذلك بل الزيارة مأمور بها بخبر «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها**» والحديث انما ورد نهيا عن الشد لغير الثلاثة من المساجد لتماثلها ولا بلد الا فيها مسجد فلا حاجة للرحلة إلى مسجد آخر وأما المشاهد فتتفاوت بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله. وأما كون الاموات يسمعون أو لا يسمعون فنقول فيه من المعلوم أن سماع الاحياء انما هو في الحقيقة للروح وانما الاذن آلة له ليس الا وحيث أن الميت لا تفنى روحه بفناء جسده فلا يبعد أن تسمع روحه لا يقال انها لا تسمع لفقد آلة السماع منها بدثور الجسد لانا نقول انها قد تسمع بدون تلك الالة كما في الرؤيا فان الروح تكلم وتسمع في منامها كما تبصر فيه من غير وساطة آلة من حواسها فهل يستبعد العاقل بعد أن يسمع ويبصر في منامه مع علمه أن ذلك بمجرد روحه من دون أن يكون لحواسه أدنى دخل وتسبب أن الروح بعد تجردها من الجسد تكون سامعة مبصرة بدون آلة السمع والبصر على أن الوهابية لا يسعها نفي سماع الشهداء الذين ثبت كونهم أحياء لقوله تعالى ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي

سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[١]. ومما لا ريب فيه أن درجة الانبياء ليست دون درجة الشهداء فهم مثلهم أحياء عند ربهم يرزقون وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال **«مررت بموسى ليلة أسرى بي وهو قائم يصلي في قبره»**[٢] وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال **«الانبياء أحياء في قبورهم»**[٣] رواه الموصلي والبزار وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال **«رأيت عيسى وموسى وابراهيم عليهم الصلاة والسلام»**[٤] رواه الشيخان ومالك في الموطأ وروى أبوبكر احمد بن الحسين البيهقي في شعب الايمان عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ **«من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ نائيا أبلغته»**[٥] فاذا ثبت أن الانبياء أحياء ثبت لهم السماع الذي هو من لوازم الحياة. لا يقال ان حياة الانبياء والشهداء البرزخية غير الحياة الدنيوية فلا تنطبق هذه على تلك لانا نقول لو سلمنا أن تلك الحياة ليست من نوع الحياة الدنيا فمجرد ثبوت الحياة لهم أي حياة كانت كاف لثبوت السماع لهم وجواز التوسل والاستغاثة بهم على أن آلة السماع في الانبياء لا تنعدم بالموت لان أجسادهم لا تبلى فقد ورد في الحديث الشريف أنه حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء ولو أرخينا العنان فصدقنا أن أجسادهم تبلى في قبورهم كما تزعمه الوهابية وقد ثبتت لهم الحياة وأنهم يرزقون لكان ذلك مثبتا لسماعهم بدون آلة على الوجه الذي بيناه آنفا. وأما غير الانبياء والشهداء من الاموات فقد ورد في الاحاديث ما يدل على سماعهم روى

١ . آل عمران: ١٦٩

٢ . المصنف لعبد الرزاق، ج٣، ص٥٧٧

٣ . مسند البزار، ج١٣، ص٢٩٩

٤ . صحيح البخاري، ج٤، ص١٤١

٥ . شعب الايمان، ج٣، ص١٤٠



البخاري ومسلم وأصحاب السنن من حديث ابن عمر قال اطلع رسول الله ﷺ على أهل القليب فقال **«وجدتم ما وعدكم ربكم حقا»** فقيل له أتدعو أمواتا فقال **«ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون»**[١] وفي الصحيحين من حديث أنس عن أبى طلحة أن رسول الله ﷺ ناداهم **«يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا»** فقال له عمر يا رسول الله كيف تكلم أجساد لا أرواح فيها قال **«والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول فيها منهم»**[٢] وكذلك قد ثبت في الصحيحين عن أنس عن النبى ﷺ قال **«ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ليسمع قرع نعالهم»**[٣] وذكر الاصبهاني باسناده عن عبيد بن مرزوق قال كانت امرأة بالمدينة يقال لها أم محجن تقم المسجد فماتت فلم يعلم النبي ﷺ فمر على قبرها فقال ما هذا فقالوا أم محجن قال التي كانت تقم المسجد قالوا نعم فصف الناس فصلى عليها ثم قال **«اي العمل وجدت أفضل»** قالوا يا رسول الله أتسمع قال **«ما أنتم بأسمع منها»** فذكر أنها أجابته. قم المسجد[٤]. وهذا الحديث مرسل إلى غير ذلك من الاحاديث واما ما روي عن عائشة ؓ أنها لما سمعت حديث سماع الاموات أنكرته وقالت كيف يقول عليه الصلاة والسلام ذلك وقد قال الله تعالى ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾[٥] فهو لعدم ثبوت ذلك عندها كما نقل ذلك عن ابن تيمية في بعض فتاواه وغيرها لا يكون معذورا مثلها

---

١ . صحيح البخارى، ج٢، ص١٠١

٢ . المصدر نفسه، ج٥، ص٨

٣ . المصدر نفسه، ج٢، ص٩٢، صحيح مسلم، ج٨، ص١٦١

٤ . أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور (ابن رجب الحنبلى)، ص٧٦، وفى صحيح مسلم، ج٣، ص٥٦، مع اختصار واختلاف

٥ . فاطر: ٢٢



لان هذه المسألة معلومة من الدين بالضرورة لا يجوز لاحد انكارها على أن عائشة رضي الله عنها قد روت عن النبي ﷺ كما ذكره ابن رجب في أهوال القبور أنه قال «انهم ليعلمون الان أن ما قلت لهم حق»[1] وروايتها هذه تؤيد رواية من روى أنهم يسمعون فان الميت اذا جاز أن يعلم جاز أن يسمع فيلزم من اثبات العلم لهم اثبات السماع أيضا ضرورة. واما قوله تعالى ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾[2] وقوله تعالى ﴿إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[3] فليس فيه دلالة على نفي مطلق السماع عن الموتى وانما يدل على نفي السماع الذي ينتفع به وذلك لان المراد بمن في القبور في الاية الاولى وبالموتى في الاية الثانية انما هم الكفار تشبيها لهم بمن في القبور من الموتى فكما أن الموتى لا يسمعون سماعا نافعا وهو السماع الذي يتم به التخاطب بين السامع والمسموع منه كذلك الكفار لا يسمعون ما يلقيه النبي ﷺ عليهم من الايات في انذارهم سماعا نافعا يهتدون به إلى الايمان وإلا فمطلق السماع ثابت للكفار فانهم يسمعون ما يقوله النبي لهم ولكنهم لا ينتفعون بما يسمعونه ويؤيد هذا قوله تعالى ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا﴾[4] فان المراد بالسماع في قوله لاسمعهم هو السماع النافع وفي قوله ولو أسمعهم هو السماع غير النافع والا لفسد المعنى اذ تكون الاية حينئذ قياسا تكرر فيه الحد الاوسط فينتج برفعنا الحد الاوسط أنه لو علم الله فيهم خيرا لتولوا وهذا محال كما ترى اذ يلزم أن يقع منهم التولى الذى هو شر مع علم الله الخير فيهم فيكون علم الله

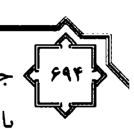
---

١ . صحيح البخارى، ج٢، ص١٠١

٢ . فاطر: ٢٢

٣ . النمل: ٨٠

٤ . الانفال: ٢٣



جهلا تعالى عن ذلك علوا كبيرا. وفي الايتين السابقتين مخرج ثان وهو أن المراد بالاسماع المنفي فيهما هو اسماع الهداية كما يدل عليه مساق الايتين فيكون المعنى انك لا تهدي بنفسك الكفار لانهم كالموتى وأنت لاتسمع بنفسك الموتى وانما المسمع اياهم هو الله تعالى وهذا كما في قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[1] لا يقال انه كما أن مسمع الموتى في الحقيقة هو الله تعالى كذلك أن مسمع الاحياء في الحقيقة ليس غيره لان الله تعالى هو الخالق لجميع الافعال كما هو المذهب الحق فما وجه التمثيل بالموتى. لانا نقول اما اولا فان كون الله تعالى وحده هو المسمع للموتى أمر لا يلتبس حتى على العامي وأما كونه تعالى هو المسمع للاحياء في الحقيقة فليس كذلك لانه قد يظن أن المسمع للمخاطب هو المتكلم لما يرى من ان سماع المخاطب يعقب الصوت الخارج من فم المتكلم فلا يكون التمثيل بالاحياء لائقا وذلك لان التمثيل يقتضي أن يكون الممثل به واضحا أمره وهو في الاحياء ليس كذلك كما بيناه واما ثانيا فان الكفار لما كانوا احياء فتمثيلهم في عدم اسماع النبي اياهم بالاحياء في عدم اسماعه اياهم أيضا قريب من تشبيه الشئ بنفسه فيكاد يكون من قبيل قول الشاعر:

(كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء)

أجابت الوهابية عن حديث أهل القليب بأن سماع الموتى حين سوءال النبي ﷺ اياهم كان معجزة له فلا يدل انهم يسمعون كلام غيره أيضا والجواب ان المعجزة لا تكون معجزة الا اذا ظهرت لغير مظهرها كتكلم الحصى فان الصحابة ﵃ كانوا يسمعون صوت تسبيحه في كفه ﷺ ولا يمكن ههنا أن يكون سماع الاموات كلام النبى ﷺ معجزة لانه لم يظهر لغيره ﷺ وأيضا

---

١ . القصص: ٥٦

ينافي كون ذلك معجزة حديث انه ليسمع قرع نعالهم فانه يدل على انهم يسمعون كلام غير النبي أيضا. وأجابت الوهابية أيضا بأن المقصود من تكليم النبى للموتى هو وعظ الاحياء لا افهام الموتى والجواب انه لو كان المقصود بتكليمه عليه الصلاة والسلام هو وعظ الاحياء لما سأله عمر ﷺ كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها متعجبا من تكليمه اياهم ولا أظن أن الوهابية يدفعها السفه أن تعتقد أنها فهمت بعد الف ونيف من السنين مراد النبى ﷺ أكثر من صاحبه عمر ﷺ وأيضا ينافي كون المقصود بذلك هو الوعظ جواب النبي ﷺ لعمر بقوله ما أنتم بأسمع منهم فان جوابه هذا لا يصلح ان يكون وعظا بل هو صريح رد على استبعاد عمر وتعجبه من ذلك كما لا يخفى. وأجابت الوهابية أن النبى عليه الصلاة والسلام انما كلم الاموات اعتقادا منه أنهم يسمعون فنزلت الايتان تصحيحا لاعتقاده والجواب أن النبى ﷺ لا يجوز أن يعتقد مثل ذلك من تلقاء نفسه بل لابد ان يكون بوحي والهام من ربه فقد قال تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1] سيما وان الامر ليس مما يتوصل الانسان إلى معرفته بمجرد عقله بل هو مما ينافي العقل في الظاهر فلا تمكن معرفته الا بالنقل وذلك بطريق الوحي أو الالهام كما أبنّا. ومن الادلة على أن الله تعالى يحيي الموتى في قبورهم فيسمعون قوله تعالى حكاية على سبيل التصديق ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾[2] فالمراد باحدى الاماتتين الاماتة قبل مزار القبور وبالاخرى الاماتة بعد مزار القبور فانهم لو لم يحيون في القبور ثانية ما صحت اماتتهم ثانية. واما جواب الوهابية ان الاماتة الاولى هي حال العدم قبل الخلق

---

١ . النجم: ٣ـ ٤

٢ . غافر: ١١



والثانية الاماتة بعد الخلق فمما يضحك الصبيان لان الاماتة لا تكون الا بعد الحياة ولا حياة قبل أن يخلق الله الحياة. وأما جوابها ان الاماتة الاولى هي اماتة الناس بعد حياتهم في عالم الذر فهو أوهن من جوابها الاول لان الناس في عالم الذر لم يكونوا غير أرواح خلقها الله تعالى فسألهم ألست بربكم فأجابوا قائلين بلى وأنت تعلم أن الموت عبارة عن مفارقة الروح للجسد وحيث لا جسد فلا موت نعم يجوز أن يفنى الله الارواح بعد خلقها في عالم الذر ولكن ذلك ليس من الموت في شئ لما تقدم واستدلت الوهابية على عدم سماع الموتى بالحكم الشرعي الذي أطبق العلماء عليه من أن الرجل لو قال ان كلمت فلانا فامرأتي طالق أو أمتى حرة وكلمة ميتا لا يقع الطلاق ولا العتق قالوا وهذا مبني على عدم سماع الميت عندهم.

(والجواب) لانسلم أنه مبنى على عدم سماع الميت عندهم بل هو مبني على ما يعرفون من أن العادة جارية بتقييد مثل تلك اليمين بالحياة على أن فائدة الكلام هو حصول التخاطب وحيث أن التخاطب لايتم مع الميت فالكلام معه لا يكون كلاما اذ لا قدرة فيه على الجواب لا لانه لا يسمع الكلام.

الوهابية وتكفيرها الحالف بغير الله والناذر والذابح

قاتل الله الوهابية انها تتحرى في كل أمر أسباب تكفير المسلمين مما يثبت أن همها الاكبر هو تكفيرهم لا غير فتراها تكفر من يتوسل إلى الله تعالى بنبيه ﷺ ويستعين باستشفاعه إلى الله تعالى على قضاء حوائجه وهي لا تخجل اذ تستعين بدولة الكفر على قضاء حاجتها التي هي قهر المسلمين وحربهم وشق عصاهم والمروق عن طاعة أمير المؤمنين. الذي أمر الله تعالى في كتابه المبين بلزوم طاعته كما بسطناه في مقدمات الرسالة وتتخذ أعداء الدين أولياء تستمد منهم في



احضار القوى التي تسعى بها إلى الفساد. وتلج بها في الغواية والعناد وقال الله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾[١] سحقا للوهابية انها لا تدري أن أولئك الاولياء الذين تتخذهم ذريعة لقهر المسلمين اذا ثبت قدمهم فانهم يقهرونها ويهتضمونها أيضا مع من تعده خصما مخالفا لمذهبها. مر غير مرة ان ديدن الوهابية تكفير كافة المسلمين بكل أمر فهي تكفرهم لتوسلهم بجاه الانبياء والاولياء وندائهم وتكفرهم بالحلف بغير الله والنذر لذلك الغير والذبح له ولو سلمنا أن في بعض الاقوال التي تنسبها الوهابية إلى المسلمين كفرا يصح أن يقال فيه ان قائل هذا القول يكفر لما صح أن تكفر جميع الامة أو تكفر شخصا معينا قال ذلك القول فقد يكون القائل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق او لم تثبت عنده او لم يتمكن من معرفتها وفهمها أو يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله تعالى فيها فالذي يؤمن بالله ورسوله فان الله قد يغفر له برحمته بعض الذنوب القولية والعملية وأما ما نزل من الايات في التشديد على مقترفي تلك الذنوب فهي للوعيد كقوله تعالى ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾[٢] وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾[٣] وقوله تعالى ﴿وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً خَالِداً فِيهَا﴾[٤] إلى غير ذلك من الايات قال ابن القيم (مدارج السالكين) ما ملخصه ان أهل السنة متفقون على أن الشخص الواحد قد يكون فيه ولاية لله تعالى وعداوة من وجهين مختلفين وقد يكون فيه ايمان ونفاق وايمان

---

١ . المائده: ٥١

٢ . النساء: ٩٣

٣ . النساء: ١٠

٤ . النساء: ١٤



وكفر ويكون أحدهما اقرب اليه من الاخر فيكون من اهله قال الله تعالى ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾[1] هذا والشرك قسمان خفي وجلي فالخفي قد يغفر والجلي لا يغفر الا بالتوبة اما الحلف بغير الله تعالى فلا يخرج مرتكبه عن الاسلام فانه وان ورد من حديث ابن عمر أنه «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[2] وفي رواية «**من حلف بغير الله فقد كفر**»[3] قد حمله أئمة الحديث من شافعية وحنفية وحنابلة ومالكية على أن المقصود به كفر النعمة والشرك الخفي كالشرك الحاصل بالرياء وذلك لا يخرج عن الاسلام انما يحبط العمل فقط كما وقع عليه الاجماع حتى أن أصحاب الشافعي قالوا بأنه مكروه تنزيها لا تحريما فالحلف الذي قد اختلف فيه العلماء أنه مكروه أو حرام لا يجوز أن يقال في مرتكبه أنه كافر خارج عن الاسلام وأما النذر لغير الله فقد صرح الشيخ تقي الدين ابن تيمية وابن القيم وهما من أعظم من شدد فيه بعدم جوازه وكونه معصية لا أنه كفر وشرك مخرج عن الاسلام فلا يجوز الوفاء به ولو تصدق بما نذر من ذلك على من يستحقه من الفقراء كان خيرا له عند الله فلو كان الناذر لغير الله كافرا لما أمراه بالصدقة لان الصدقة لا تقبل من الكافر بل أمراه بتجديد اسلامه وأما الذبح لغير الله فقد ذكره ابن القيم في المحرمات لا في المكفرات الا اذا ذبح لما عبد من دون الله وكذلك أهل العلم ذكروا أنه مما أهل به لغير الله ولم يكفروا صاحبه لقد تم ما أردت تنميقه في هذه العجالة منعا لاتساع المذهب الوهابي وانتشاره في بغداد. وما جاورها من البلاد. كي يتضح الحق لعين القارئ وينجلي له الصواب فلا يغير بما نشرته هذه الفرقة المارقة وموهت به على البسطاء

---

١ . آل عمران: ١٦٧

٢ . سنن ابى داود، ج٢، ص٩١

٣ . سنن الترمذی، ج٢، ص٤٦

والجاهلين وقد ساعدني في تأليفها وتنميقها حضرة أخي وصاحبي العلامة (معروف افندي الرصافى) دام في حفظ البارى. والحمد الله اولا وآخرا. الفقير اليه تعاى زهاوي زاده جميل صدقي بغداد في غرة رمضان سنة ١٣٢٢ هجرية

ولما تم طبع هذا الكتاب بغاية الاتقان. قرظه بقوله حضرة الفاضل الشيخ عبدالصمد بن أحمد السنان نحمدك يا من أمرتنا بابتغاء الوسيلة اليك. ونشكرك معترفين بالعجز عن احصاء الثناء عليك. ونصلى ونسلم على صاحب الشفاعة العظمى يوم يقوم الحساب سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه المقربين الاحباب (وبعد) فقد اطلعت على هذا الكتاب الفائقة معانيه. البديعة أساليبه الرائقة مبانيه. فألفيته وحيدا في بابه. مفيدا لطلابه. وكيف لا ومؤلفه حضرة الاديب الذى ارتضع من البلاغة اخلافها. والاريب الذى انتجع من الفصاحة اكنافها

(خدن الكمال الزهاوي الذي حسدت   أم المعالى عليه سائر الامم)

فلا بدع اذا تطفلت على موائد واصفيه. قائلا لكل من أمعن صائب النظر فيه

(قل لقوم توهموا الرشد غيا   ولهم قد غدا الرجيم وليا)

(ذا كتاب لغيكم جاء يمحو   وعليكم يحل خزيا جليا)

(صاغه فضال تدفق علما   وسما بيننا مكانا عليا)

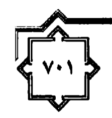
(ذاك حبر الزمان من بالزهاوى   قام يدعى موفقا مرضيا)

(فجزاه الاله خيرا وأحيا   ليحيى به الرشاد مليا)

(وبهذا الكتاب في كل عصر   جعل النفع وافرا ووفيا)

(فهو نعم الكتاب ما جاء فيه   ذلك اللوذعي شيئا فريا)

فاتخـــذه لــــردع كـــل غـــوى يـا أخـا العقـل صـارما هنـديا)
(وادع بـالخير للمؤلـف والقـا ثـــم بـــالطبع بكـــرة وعـــشيا)
(ولذى اللب والحجا قـل وأرخ طبع ذا الفجر جاك طبعا سنيا)



المصادر

ابن ابى الحديد، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، مكتبة آية الله المرعشي، قم، ١٩٩٩م.

أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور، ابن رجب الحنبلي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

الدرر السنية في الرد على الوهابية، أحمد زيني دحلان، مكتبة ايشيق، إستانبول، ١٣٩٦هـ.

سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، بلاتاريخ.

سنن أبي داود، ابن الأشعث السجستاني، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، الطبعه الأولى، ١٤١٠هـ.

سنن الترمذي، أبو عبد الله، محمد بن علي بن الحسن بن بشر الترمذي، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

السنن الكبرى، النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعه: الأولى، ١٤١١هـ.

سنن النسائي، أحمد بن شعيب بن علي النسائي، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٤٨هـ.

شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، بلا تاريخ.

صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد الدارمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، موسسه الرساله، بيروت، الطبعه: الثانية، ١٤١٤هـ.

صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

صحيح مسلم، مسلم بن حجاج النيسابوري، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ.

الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣ م

فتح الباري شرح صحيح البخاري، احمد بن علي بن حجر، دار المعرفة، بيروت، الطبعه: الثانية، بلا تاريخ.

كنز العمال، المتقي الهندي، تحقيق: الشيخ بكر يحياني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ.

مجمع الزوائد، نور الدين الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ.

مسند احمد، الإمام احمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.



مسند البزار (البحر الزخار)، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وغيره، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩م.

المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

المعجم الكبير، ابو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بلا تاريخ.

المواقف، عضد الدين الإيجي، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، دارالجيل، بيروت، الطبعه: الأولى، ١٤١٧هـ.